UNIVERSAL
LIBRARY
OU_234915
UNIVERSAL
LIBRARY

Checked 1965
CHECKED 1966
CHECKED. 1967

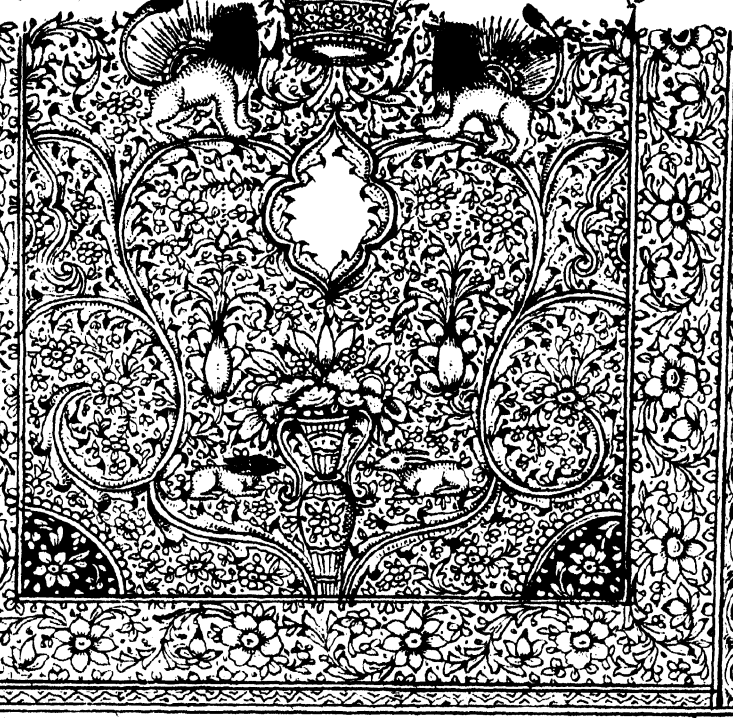

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله
يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل
السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن
اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه و
اتقوا الله إن الله سريع الحساب اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل
لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد
حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن
كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم

إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة وروى عن عمرو وبن الباقون مشددة شذان في الموضعين يسكون النون ابن عامر واسمعيل وابو بكر وحماد وهبيرة عن عاصم وابن ذكوان الباقون بالفتح ان صددتكم بكسر الهمزة ابن كثير وابو عمرو والباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح المكي ومن اضطر كاتر في البقرة واختلف في الباء في الوقف سهل ويعقوب او حلكم النصب ابن عامر وناضر وعلي والمفضل وحفص ويعقوب الاعشى في اختياره الباقون بالجر الموقوف بالمعقود لاستيناف الفعل حرم ما يريد ورضوانا الابتداء هي ان تعتدوا لئلا يتوهم العطف وحذف التاء من بغاوا والنهري بخطف المنقطعة والعدوان كذلك واتقوا الله شديد العقاب بالالف السوسي واختلس دينا لان الشرط من تمام الجزم لا تحلوا لا تاركم لان ما بعده جزاء وحرم احلالكم صيدا بهيمة الانعام الكعبة بالنصب على البيان للعطف اي وصيد ما علمتم ما علمكم الله لقاء التعقيب مع عطف المختلفين علمتم الله الحسنا الطيبات الان بعد مبتدأكم لعطف المنقطعين لهم لان قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه خذان عملة لعطف المختلفين مع ان ما بعده من تمام جزاء الكفر معنى الخاسرين الكعبة بالنصب على البدل حكم فاطهروا كذلك وايديكم منه تشكرون واتقوكم بالان لان اذ ظرف المواثقة واطعنا لعطف المنقطعين مع وقوع العامل بينهما الله الصدور بالفتح لعطف المنقطعين مع زيادة نون التاكيد الموزن بالاستيفا فان لا تفعلوا للاستيناف اعدلوا هو اقرب للطيفة لان الضمير مبتدأ مع شذا ما لا يخفى للتقوى واتقوا الله بما تعملون الصالحات لان ما بعده مفعول الوعد اي ان لهم عظيم الجزم ايديهم عنكم لاعزام الظرف بين المتضيفين واتقوا الله المؤمنون النقير وفي بالعهد واوفي بمعنى العقد وصل الشيء بالشيء على سبيل الاستيثاق والاحكام والعهد اللزام مع احكام والمعصوص من الاضداد بالعقود اذا تكاتبه فعلا وتركا والتحقيق ان الايمان معرفة الله تعالى وصفاته واحكامه وافعاله فكانه قيل يا ايها الذين آمنوا بما تعلمون انكم انواع العقود او فوا بها ومعنى تسمية التكاليف عقودا انها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثوق قال الشافعي اذا نذر صوم يوم العيد او ذبح ولده لا ينذ ذبح الولد لانها لقوله لا نذر في معصية الله وقال ابو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله تعالى اوفوا بالعقود عامة نذرا هذا النذر في خصوص كون الصوم والذبح في هذه المدة خصوص كون الذبح في الولد وقال ابو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام لان النكاح من العقود بدليل لا تنقضوا عقدة النكاح وقال اوفوا بالعقود نزل العقد في الطلقة الواحدة بالاجماع فينبغي سائرها على الاصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو انه لو وقع الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم انه سبحانه لما مهد القاعدة الكلية ذكر ما يندرج تحتها فقال احلت لكم بهيمة الانعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الامر اذا اشكل وهذا باب بهيم اي مسدود ثم خص هذا الاسم بكل ذات اربع في البر او البحر والانعام هي المال الراعية وهي الابل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الانعام الحافر لانه ما خوطب من بعضه الوطي واضافة البهيمة الى الانعام للبيان اضافة خاتم فضة بتقديم من وفائدة زيادة لفظ البهيمة مع صحة ما لو قيل احلت لكم الانعام كما قال في سورة الحج هي قابدة الاجمال ثم التبيين وانما وحد البهيمة لانها اسم جمع يشمل افرادها وجمع الانعام لان النعم مفرد يقع على الواحد فصاعدا وقيل المراد بالبهيمة شيء بالانعام شيء اخر وعلى هذا فوجهان احدهما ان البهيمة الظباء وبقر الوحش ونحوها كانه اذا رمى بما ثل الانعام وهذا بما من جنس الانعام في الاجترار وعدم الانياب فينضاف الى الانعام لمشابهة الشبه الثاني انها الاجنة عن ابن عباس ان بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فاخذ ابن عباس يلوكها ويقول هذه بهيمة الانعام وعن ابن عمر انها اجنة الانعام وذكوه ذكاة امها قال الشافعي ذبح الحيوان ان بلام والا بلام فيبح وخصوصا بلام من بلام بلغ في البحر الى حيث لا يقدر ان يدفع عن نفسها ولم يكن له سلاح يقع على من يقصدا بلاده والقبح لا يرضى به الا الرحيم الحكيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا الا فلذوه فلا الشبهة فعم البكرة من المسلمين انهم يدفع الم الذبح عن الحيوانات وقال المعتزلة ان الابلام انما يقبح اذا لم يكن مشوبا بجناية ولا معلوما بعوض وهينا بعوض الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات باعواض يثيبها فلا يكون ظلما وعبثا كالفصد والحجامة وعلة الاستاءة الاذن في ذبح الحيوانات مضرة من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه لذا قال ان الله يحكم ما يريد قال بعضهم احلت لكم بهيمة الانعام مجملا احتمال ان يكون المراد احلال الانتفاع بجلدها او عظمها او صوفها او بالكل والجواب ان الاحلال لا يضاف الى الذات فتعين اضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل امشام الانتفاع على ان قوله والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع وفيها تاكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه الا ما خص بالاجماع او بالنص عن الاستثناء الاذكر قوله الا ما يتلى عليكم اي الا محرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم آيته بتحريمه واجمع المفسرون على ان الآية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم والثالث قوله غير محلي الصيد انتم حرم داخلون في الحرم او في الاحرام قال الجوهري رجل حرام اي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل حرم جمع حرام كما يقال قوم جنب وشباب عبر حملا على الحال من الضمير المستتر في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد في حالة الاحرام وفي الحرم ثم كان لقائل ان يقول ما السبب في اباحة الانعام جميع الاحوال واباحة الصيد في بعض الاحوال فقيل ان الله تعالى يحكم ما يريد فليس لاحد اعتراض على حكمه ولا سؤال لم وكيف ثم اكد النهي عن خفر الغدر بالنهي عن الصيد بقوله يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الاكثرون على انها جمع شعيرة فعيلة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعار ثم المفسرون اختلفوا على اقوال احدها انها اعلام مناسك الحج جميع نكاية وهي من قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني انها شيء مخاص من النكاية ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم في حال احرامكم من الصيد ومثل الافعال التي علم انها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والتعرض قال الفراء كانت عامة العرب لا يعتمرون في اشهر الحج

تنبيه

الجزء الثالث

المائدة من شعائر الحج فنهوا عن ذلك ليتسع بينهم فلا يقاتلوا وقيل هذا مما نسخ وقيل بل هو محكم ويحمل النهي على الاستحباب وقال ابن عباس اسم الحطم واسمه شريح بن ضبيعة الكندي أتى النبي ﷺ من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ فقال لهم انه قد دعوا الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم واتي بهم وقد كان النبي ﷺ قال اصحابه يدخل عليكم رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله ﷺ لقد دخل بوجه كافر وخرج بعجب غادر وما الرجل باسلم ثم رجع الى المدينة فاستاقه فطلبوه ففوتهم فلما خرج رسول الله ﷺ معتمرا القضاء سمع تلبية بحاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطم واصحابه كان قد قلد ما اهدي من سرح المدينة واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه نزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله اي لا تهينوها ولا تستحلوا القتال في الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام اي قوما قاصدين بيته والمعنى لا تقصدوا على هؤلاء العباد لان صدوكم اصحابهم فالشهر الحرام شهر الحج اعني ذي الحجة او المراد رجب ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد لكونها باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عرف شاة او لحاء يجعل في عروة الجوالق والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدي لانه لما خصها من بين الهدي بالفضائل وجب ان يكون لها مزيد حرمة فنهى عن التعرض للقلائد ليلزم النهي عن التعرض لذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء مواضعها والمفسرون خلاف في الآية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وقتادة الى انها منسوخة وذلك ان المسلمين والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك اينما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وهؤلاء وقتوا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يطوفون في نفس ايامهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم الى الله فوسمهم الله بظلمهم وقال الاخرون هذا محكم وانه تعالى امرنا ان لا نخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من ربهم اي ثوابا وقيل ان يربح في تجارتهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالآية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ فلما زال العهد بسورة براءة زال الحظر اذا سألتم فاصطادوا وظاهر الامر للوجوب الا انه بعيد ههنا لانه لما كان المانع من مال الاصطياد هو الاحرام لقوله غير محلي الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا تجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم بمعنى كسب كسب الخير ومن حيث تعدية الى مفعول واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمه ذنبا نحو كسبه اياه ولهذا هو المذكور في الآية الشنآن بالتحريك والتسكين مصدر شنئه اشنؤه وكلاهما شاذ كالضربان بالتحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجيء شيء من المصادر عليه قال الجوهري وصفه الآية لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء لانه يحملكم بعضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بكسر الهمزة فهو شرط وجوابه ما بعد عليه لا يحملنكم ومن قرأ بفتح ان فمعناه لان صدكم قبل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة والتسوون تترك بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء وعلى كل ما يتعلق بر او تقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد والحاصل ان ايذاء المطيع لان يقتدي به ويعان عليه ايذاء للمطاع بترك الثناء عليه وهو الخير والبر وما فيه تقوى الله سبحانه وتعالى ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في ايذاء الله بمخالفة امره ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل الاستثناء الموعود لاوله في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة الآية والمجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم تاكلون ما قتلتم وتاكلون ما قتل الله فاخبر الله تعالى بالعقل والحكمة في تحريم الميتة انها الدم جوهر لطيف فاذا فارقها الحيوان اخذ في الفساد فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا ياكلون الفصيد وهو دم كان يجعلونه معا من مصدر فصد اذا شق ثم تشوى ثم تطعم الفصيد الآية ذكر وصف المنع لعلم من وصف الميتة بالبعد ربما يقال من فوائد الثاني تعليم المخبر انا لما علمنا العذاء بصيرورة من جوهر المغتذي لا بدان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يحصل بكيفية واما اللحم فانه في غاية الالتذاذ وكانها غاية من جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلنا احوال الانسان والرابع ما اهل لغير الله به والاهلال رفع الصوت وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات والعزى وقد ذكرنا في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذا الانواع الاربعة قيل اجمع الموتى الخامس المختنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها وقد تختنق بحبل الصائد او بشبكة او بغصن من اغصان الشجرة فتختنق فتموت وبالجملة فموتها بسبب من الاسباب المذكورة في حكم الموقوذة وهي المقتولة بالخشب وقد كانت العرب تضرب الشاة بالعصا حتى تموت فتاكلها السابع المتردية وهي التي تقع في الردى وهو الهلاك او البئر وهي اذا وقعت في بئر او سقطت من موضع مرتفع وبدخل فيه ما اذا اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الارض فانه يحرم اكله لانه لا يعلم ان زهوقه بسبب السهم او بسبب التردي الثامن النطيحة التي نطحتها اخرى فماتت بسببه لا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة وانما خصها بالذكر لما كانت في العادة كثيرة الحاصل في العالم فرعت بالذكر لهذا السبب والهاء في المختنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة لانها صفات للشاة بناء على الغلبة فانها اكثر ما يأكل الناس والا فالحكم عام وانما اتت النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء كقولهم كف خضيب بمعنى مخضوب عين كحيل لان الموصوف عند ذكره مرت طائفة من النحاة الى ان قولهم امرأة صبور شكول فلان لئلا يقع الاشتباه

التاسع مما أكل السبع وهو ما منع على ما له تاب بعد وعلى الانسان ويفترس الحيوان كالاسد ماوقذ فمات فانه كان أهل الجاهلية اذا رجع السبع بشيء فضله واكل بعضه اكلوا ما بقي تجرئة الله وفي الآية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكل السبع فقد وكله حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم الذكاء في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في السن تمام فهمها والمذاكي الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وقد ذكت النار وفيها وقوله استثناء والذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن فساده انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع المعنى انكم ان ادركتم ذكاة بان وجدتم فيها قطرة او ذنبا يتحرك او وجدتم بعض ذابح منه حلال لان ذلك قبل الحيوة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما اكل السبع وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال ومن النحر هذا حرم عليكم ما قضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال والعامة على ذابح على النصب هو مفرد وجمعه نصاب كطنب واطناب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله قاله الجوهري ضعف بانه يخرج بكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام قال الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب حجارة كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها للاصنام وكانوا يطوفون بها ويمسحون الدماء ويسترجون للقوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقادهم النصب بهذا ان يكون الذبح للاصنام واقعا عليها وقيل النصب جمع انا لنصاب كحمر وحمار وانا لنصب كسقف وسقف الحاء وبضمها ابدعها اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تشتغلوا بالازلام وانما ذكرهم مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منها عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او تجارة او نكاحا او امرا اخر من معاظم الامور ضرب بالقداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا عن الكتبة فان خرج الامر الذي على الفعل وان خرج النهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فيه الاستقسام بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح. قال الكثير من اهل اللغة الاستقسام هيهنا هو الميسر المنهي عنه والازلام قداح الميسر التي كتب عليها وقد على الشيوع بها والاجادة بقال ما احسن ما قسم سهام اي سواه ورجل مقسم اذا كان محققا للمهنة وامرأة مقسمة اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشاره الى جميع ما تقدم من المحرمات اي ثابتا ولها فسق وتحمل ان يرجع الاستقسام بالازلام فقط وكونه فسقا يحتمل الميسر ظاهرا وانما يحتمل طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان خارج من الامر او النهي هو رشاد الاصنام واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بعلمه ومعتقد بان طلب الظن بالازلام قادر المتعارفة عنه نهي كالتعبير والفال كما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه وتعالى حرض على الفتك بالمشركين فقال اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون الحج مواظبا على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل ملكي وتم بالمد بالان تم ملك ذلك الملك لا يجوز ان يكون قبل ذلك ناقصا وقيل المراد انه اكمل لكم ما تحتاجون اليه لكم تكليفكم من تعليم الحلال والحرام وقوانين القياس واصول الاجتهاد وضعف بانه يلزم ان لا يكمل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا محتاجين اليه من الشرايع واخبر اليشاعر فتح الحاجة غير جايزة والخشية في الجواب ان الدين كان ابدا كاملا ومعنى اتمام الشرايع الشارة من عند الله في كل وقت ناسخة او منسوخة او مجملة او مبينة او غير ذلك كانه بحسب ذلك الوقت في اخر زمان البعثة حكم بتمام الاحكام على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص ليوم الفتح قال نقاة القياس لكمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا عليه فلا قائلة في القياس واجيب بان كماله هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظائرها فانوا ممكن كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون كما لا للدين وانما يكون الفقاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله تعالى لما نزلت الاية على النبي صلعم فرح الصحابة وظهر السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق وعمر فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال كما ظنوا فانه لم يتم بعده عام واحد ثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعده زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك عادة جارية في الانبياء عليهم السلام عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب يكون معجزا احتج الاستاذ ابو اسحاق بالاية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الامرين اضافة الدين الى الله تعالى لا يحصل الا بخلق الله وايجاده فانه لا يمكن ان يكون كمال الدين منه الا واصله منه والمعرفة تحصل وذلك على كمال الدين وظاهر ان الشرايع ثم قال وأتممت عليكم نعمتي اي بذلك لان الكمال لا يتم الا به او نعمتي بفتح مكة او دخولها امنين ظاهرين ورضيت لكم الاسلام دينا نصب على الحال ومفعول ثان ان فتحت ضممت وصبرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى قوله فمن اضطر يحتمل ان يكون من جملة المحرمات والتعبير بالتاء وختمها بدين الاسلام للناس من بين سائر الاديان ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر بخمصة اي مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف منحرف واضطر بمعنى اضر فاعل غير محرف الى اثم بان يأكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وفيه دليل على ان الرخصة مستوفى في سوء البغي تتبدل ما ذا احل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من جنسها ما الحل لهم والسؤال في صيغة العموم يقتضي ان يكون الجواب كذلك انما احل لنا على حكاية

قولهم نظر الى ضمير الغائبة في يسئلونك ومثل هذا يجوز فيه الوجهان يقول منه ذبحه فعقرا ولا تفعل ما عيب النزول فقيل الى نافع ان جبريل جاء الى النبي
فاستأذن عليه فاذن له فلم يدخل فخرج رسول الله فقال جبريل انا لا ندخل بيتا فيه كلب لا صورة فنظر فاذا في بعض بيوتهم جرو فقال ابو رافع فامر
ان لا يدع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغنا العوالي فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمها فتركته ثم انه ذكره فاخبرها فامر بقتله فرجعنا الى الكلب
فقتلناه فجاء ناس فقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الامة التي تقتلها فسكت رسول الله حتى انزلت هذه الآية فامر بقتل الكلب الكلب العقور
وما يقرب بوذي وذكر في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سبعتهن جبريل ليلة عدي بن حاتم وزيد الخيل لا تسماه رسول الله زيد الخير فقال يا رسول
الله انا قوم نصيد بالكلاب البراة وانما تأخذ البقر والحمر والضبع منه ما ندرك ذكوته ومنه ما نفقئ فلا ندرك ذكوته وقد حرم الله الميتة فماذا يحل لنا
منها قل احل لكم الطيبات اي ما لم يستخبث منها وهو ما لم تأت بتحريمه كتاب ولا سنة او قياس يحمل عليها واحل لكم كل ما يستلذ ويشتهى عند اهل المروة
والاخلاق الجميلة واعلم ان الاصل في الاشياء الحل لانها خلقت لمنافع العباد هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا واستثنى من ذلك اصولا الاولى تنصيص
الكتاب على تحريمها كالميتة والدم وغيرهما الثاني تنصيص الكتاب السنة كما روي عن جمع من الصحابة ان النبي نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية
والبغال كالجمع لا يحرم الجمل عند الشافعي لما روي عن جابر انه قال نهانا رسول الله عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الجمل الثالث ما هو في معنى المنصوص كل
مسبع فانه مشتق من الخمر وينشأ من كما في الخمر الرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطير وقد مر معنى السبع عن قريب فلا يحل لموجب هذا الاصل الكلب والاسد
والذئب النمر والفهد الدب البر والقرد والفيل لانها تعدو بانيابها والاجل من الطير والباز والشاهين والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير انما
انما امر بقتله من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان مأكولا لجاز اقتناؤه للتمتع باعداده للاكل وقتل الحاجة
ومنه الفواسق الخمس روي انهن قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والغراب الابقع والكلب العقور والحداة السادس وورد النهي عن قتله
فهو حرام لانه لو كان ماكولا لجاز ذبحه ليؤكل كما روي انه نهى عن قتل الخطاطيف كذا القرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش الرابع الاستطابة
والاستخباث لقوله ثم قل احل لكم الطيبات قال العلماء فبعد الرجوع الى طبقات الناس فمنهم من قبل كل قوم عليها يستطيبون ويستخبثون لان فيه
اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضوع الشرع فالعبرة ولي الامر بالاعتبار الذين عرفوا وهم الخاطبون ولا وليس لهم ترفه ونعم
تورث تضييق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى البلاد دون جلاف البوادي الذين لا يميزهم وما يقع بعتبر اصحاب الدسا
والترفه دون اصحاب القرى وذلك ما يقع المعتبر حال الخصب الزمانية دون حال الجدب الشدة والخشارات ما يسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعلان
وحمار قبان الا الضب فانه حل الاكل ولا احترمه ومن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان الخبيثة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر الخبيث مما فان النجاسة
كالدم والنتن الناشئ الدبس والخل ومن الاصل الكسب بمحامرة المحاسرة ولكن كسب الحجام حلال عندنا للشافعي ومن الاصول ما يضر كالزجاج السم
والنبات المسكر او المخدر فوله سبحانه وما علمتم من الجوارح معناه احل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف للدلالة فكلوا مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون ما
شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات والجوارح الكواسب سباع البهائم والطير كالكلب الفهد والباز والصقر فانك تعلم منها التجرد
بالليل اي كسبتم وجرحتم بعضهم ان يكون من الجراحة وقال ما اخذ من الصيد فلم يقتل منه دم لم تحل وانه اصاب مكلبين على الحال من علمتم وفائدة هذا الحال
صحة الاستثناء عنها بعلمهم ان معلم الجوارح ينبغي ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما اصطادها غير الكلاب
فلم يدل ذكره لم يجز اكله لان قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على ان الجوارح يدخل فيه ما يمكن الاصطياد به من السباع فاما
الكلب فمؤدب للجوارح وذا نفعها لان نشاطها لصاحبها وانما اشتق من كلب لكثرة هذا النوع فيه فصار كالعلم وكان سائر السبع يسمى كلبا كقوله تعالى سلط
عليهم كلبا من كلابك فاكله الاسد ومن الكلب الكلب هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه يعني الملكوف في الانباء باخذ الصيد بالكلب
لكن يخصصه بالذكر لا ينفي حل غيره لجواز الاصطياد بالرمح بالشبكة ونحوها مع سكون الا نفس عنها فعلمتم من حال تأديبها ما علمكم الله من علم
التكليب ان بعض الهام من الله وما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه انه جائز ان يزجره واعلم انه يعتبر في صيده الكلب معلما امور منها ان يزجر
فينزجر ضابطه في ابتداء الامر كذا اذا انطلق واشتد عدوه وحد ثم يشترط ان يزجر زجرا بقم على الاشبه فيه نظير الشافعي ومنها ان يسترسل بارسال صاحبه
اي اذا اغرى بالصيد هاج وفيها ان يمسك الصيد لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظ والثاني ان لا
ياكل منه لقوله لعدي بن حاتم فان اكل فلا تأكل فانما امسك على نفسه جوارح الطير يشترط فيها ان يهيج عند الاغراء وان يزدجر بالزجر لكن لا مطمع في
ازدجار هذا بعد الطيران ويشترط عند الشافعي ترك هذه الامور بحيث تغلب على الظن بادب الجارحة بمرة او قلة ثلث مرات ولم يعد الاكثرون عدد المرات كما
واما التعرف مضطربا وطباع الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة وطبائعها وعن علي الفارسي وسعيد بن جبير وابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل ضعفا
الامساك هو ان يحفظ ولا يرسله وصفة الا نيز كلوا مما يمسكن لكم الجوارح وان كان بعد اكلها منه من قبل امسكن فان اذا بدا نحو كلوا من عرقه وفيل بعيده
وذلك ان بعض الصيد لا يؤكل كالعظم والدم والريش قال سعيد جبير وابو حنيفة والمزني يؤكل ما بقي من جوارح الطير لا يؤكل ما بقي من الكلب العرف
ان تاديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتاديب الطير غير ممكن ولا خلاف انه اذا كان الجارح معلما ثم صيد صيدا وجرحه وقتله وادركه الصائد حيا
فهو حلال وجوح الجارحة كالذبح وان قتله بالثقل من غير جرح فقد حلا خلافا لمالك لقوله سبحانه وذكروا اسم الله عليه فالضمير اما ان يعود الى ما امسكن اي عقر

عليها اذا ادركتم ذكوتها والى ما قبلتم اى ما تعلمون انه حلال عندكم بسبب ذكاته والى الاكل فالمراد بالاكل ما يعم الانتفاع به وعلى الاول فالتسمية مجمولة على الندب عند الشافعي وعلى الوجوب عند ابي حنيفة وسيجيء بيان المسئلة في سورة الانعام انشاء الله تعالى قوله تعالى اليوم احل لكم الطيبات فائدة الاعادة ان يعلم بناء هذا الحكم عند اكمال الدين و استقراره وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم الاكثرون على ان المراد بالطعام الذبائح لان ما قبل الاية في بيان الصيد والذبائح ولانه تعالى سوى بين الصيد والذبائح والذبائح محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب بعد ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة وعن بعض ائمة الزيدية ان المراد هو الحنطة والشعير ونحوهما لانهما هما اللذان كانا يؤكلان في بلاد اهل الكتاب في ذلك الزمان وعلى هذا فقوله وطعامكم حل لهم اى بعد ان تطعموهم من طعامكم لانه لا يمتنع ان يحرم الله عليهم اطعامهم من ذبائحنا وابيحت لنا فانا نعلم ان ذبائحنا في هذا الزمان لا تحل لهم الا بعد ان نطعمهم من طعامنا وقيل انه جميع الطعوم فانه تعالى ذكر ان ما اباحه الذبائح حاصلة في الجانبين

بالطهور ثم بتيقن عدم الماء لم يصح لصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك واجيب انما امر بالصلوة مع الوضوء فالاتي بها بدون الوضوء تارك للمامور به فيستحق العقاب بهذا وان سقط عنه التكليف اقامة لحاجة فالحاصل ان الوضوء لا يسقط بالنية ليست شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة في الاية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء مامور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل مامور به يجب ان يكون منويا لقوله عليه السلام وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين والاخلاص النية الخالصة قلنا فضل النية يجب ان يكون معتبرة وغايته ما في الباب بها مخصوصة فنعين الصوت يقيد مجمله في غير محل المخصوص الشافعية قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء كان الواو لا يفيد الترتيب فلو نكس يجوز وهو ينسخ عندنا جائز قال الشافعي امر واجيب بان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم سائر الاعضاء على الترتيب في قالوا في حديث الصفا ابدأ بما بدأ الله به وابقى الترتيب المعتبر في الحس هو الابتداء من الراس الى القدم او بالعكس الترتيب لبعض افراد العضو المغسول على الممسوح ثم الترتيب ادرج الممسوح في المغسول فقد هذا على ان الترتيب الملفوظ في الاية واجب لان اهمال الترتيب في الترتيب مستبشع موجب تنزيه كلام الله تعالى عنه وايقاع الجناب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث خروج من موضع والغسل يجب في موضع اخر ولان اعضاء الحدث ظاهره لقوله المؤمن لا يتجزى حيا وميتا وتطهير الظاهر محال لان تشريع اقام التيمم مقام الوضوء والتيمم نظافة فاقام المسح على الخفين مقام الغسل لانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر والعضو يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيد فاما فاندفع الاعتراض على ابي حنيفة حكما خفية لا نعرفها او هو محض التعبد فلا وجه لما ذكرتم وايضا رعاية الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء اولى الشافعية قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان الباء في هذه الافعال للمشاركة بمعنى ايجابها على سبيل التراخي وهذا الفعل معلوم من الاثر ومفيد للطهارة والزيادة لا دليل عليه انهم رووا انه راى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بعيد ما بالموالاة ولم يبحث عن المدة الفاصلة وعند غيره شرط كما لا تجلبان بين اجزاء العبادة ما ليس منها وهذا التقرير يخل بالموالاة يقتضي ان الزمان ما يجف فيه المغسول مع اعتدال الهواء ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الاثر يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة للامر بالعمل بمعنى كل ما لم يخرج الخارج الجنس في خالفه الشافعي بعود دليلا على ما ذكرنا انه امرهم اذا جاءوا الصلوة ان يتوضأوا ولم يزد على غسل اثر مجاءهم التاسعة قال مالك لا وضوء في الخارج عن المسلك اذا كان غير معتاد وسلم في دم الاستحاضة لنا العمومات بعموم الاية العاشرة قال ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود ينقض الوضوء وقال الباقون لا ينقض لا بي حنيفة ان تمسك بعموم الاية الحادية عشرة قال ابو حنيفة لمس المرأة وكذا لمس الفرج لا ينقض الوضوء قال الشافعي ينقض تمسكا بالعموم الثاني عشر لو كان على جسده نجاسة فغسلها ونوى الطهارة من الحدث فذلك الغسل هل يصح وضوءا قال في التفسير الكبير اما هذه المسئلة ففي الاصحاب قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل بقوله فاغسلوا وقد اتى بهذا القدر اقول لقائل ان يقول لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاسة حكمية وعينية وهذا بخلاف ما لو نوى التبرد او التنظف فان الخاصة هناك حكمية فقط الثالث عشر لو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء و نوى رفع الحدث هل يصح وضوءه يمكن ان يقال لا لانه لم يأت بعمل وان يقال نعم لانه اتى بما اقتضى الى المقصود وهو الاتيان الرابع عشر انا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلده فالاظهر وجوب غسله لتحقيق الامتثال فان ذلك الموضع غير مغسول الخامس عشر لو ربط الاعضاء من غير سيلان الماء عليها لم يكف لانه مامور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي الجنابة يكفي لانه هناك مامور بالتطهر لكن يريد بتطهركم والتطهر يحصل بالسر طيب السادس عشر لو اتى بالفرض على العضو فان ذا بي سال جاز والا فلا لما تلا وما روى عنا غسلوا وهذا ليس بغسل السابع عشر التثليث سنة لان ما هية الغسل تحصل بالمرة الثامن عشر السواك سنة لان الجبائي الاية ساكتة عنه وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليدين على الوضوء خلافا لبعضهم التاسع عشر قال الشافعي لا يجب المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل واحمد واسحق يجبان فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي يكون مواجها وحده من مبتدا تسطيح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال الماء الى داخل العين لا العين جزء من الوجه الباقون لا يجب لقوله في اخر الاية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي والعشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل بلوغ الشعر بالاجماع فكذا بعده ولانه من الوجه والوجه يجب غسله الثاني والعشرون ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ازال العمل عند كثافة اللحية وفعا للحرج فبقي عند كثافتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا وخالف الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب كما لو نتف شعرا جلد تحتها لخبر بغسل ظاهرها فابقيتها الرابع والعشرون لو بقيت المرأة لحمية وجب ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت تحتها كثيفة لانا تركنا العمل بظاهر الاثر في اللحية الكثيفة للحرج ولحمية المرأة نادرة وخصوصا الكثيفة فينبغي حكمها على الاصل الخامس والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجبان الشارب العذار والهدب لان قوله فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلده ترك العمل في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فبقيت على الاصل السادس والعشرون الشعر المنبت من الاذن من الوجه فنغسله ما ادير من الراس فيجب دون باقي الاذن غير مواجه صلا السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما مع اليدين وخالف مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والحنفيون الى بمعنى مع والمراد بالغاية مجموع المسافة او خصوص النهاية فان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حسا انفصال الظلمة عن النور في قولهم اتموا الصيام الى الليل بل يكون والحد حاجزا غير محدود فلا يكون كذا

من الذين يتيمموا بغير عذر فلا يجوز لهم الصلوة

نحو حفظ

نحو حفظت القرآن من أوله الى آخره ونحن هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق هو موصل الذراع في العضد متى يذلك لا ذنفاق صاحبها بها غير متميز في الحس عن محدودها فلا يكون بإنجاب الغسل الجزء الذي من بجابره الجزء الذي وجب غسلها جميعا وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاذ طرفا العظم ولا نزاع في ان ما وراء طرفا العظم لا يجب غسله وهذا الجواب انما يتم على مذهب الزفاج وعلى هذا فمقطوع اليد من المرفق يجب عليه مسائل الماء بطرف العظم وان كان قطع تما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لان محل هذا التكليف لم يبق اصلا الثالث والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى مستحب وليس بواجب خلافا لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الآية من غير تقديم لاحد اليدين او الرجلين الرابع والعشرون ذهب بعضهم الى ان مبدأ الغسل يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرفق لان المرفق جعل غاية في الآية نهاية الغسل من الفقهاء على ان عكس هذا الترتيب محل بصحة الوضوء لان المراد في الآية بيان جملة الغسل لا بيان ترتيب اجزاء الغسل الثلثون لو بدئ من المرفق صح وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو بدئ على الكف اصبع زائدة الحادي والثلثون المراد من تحديد الغسل بالمرفق بيان الواجب فقط لما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة سنة مؤكدة الثاني والثلثون مالك يجب مسح كل الراس وابو حنيفة بقدر الربع لانه مسح على ناصيته وانما ربع الراس لشغل الواجب قلنا ما يطلق عليه اسم المسح لانه انما نقل مسحت المنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما لو قال مسحت يدي بالمنديل لكفى في صدقه مسح البعض من اجزاء المنديل هكذا في الآية والاجماع في تعيين المقدار الدليل منفصل وبعضه الآية مجملة وهو خلاف الاصل الثالث والثلثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحا للراس قال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لنا داود مسح على العمامة واجيبا بانه لعله صح الفرض على الراس والبقية على العمامة الرابع والثلثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل الفقال في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشيعة وابي جعفر محمد بن علي الباقر ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء والمغيرة على ان فرضهما الغسل قال الواحدي يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر في وارجلكم عطفا على برؤسكم ولا يمكن ان يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لانه لم يجئ في كلام الفصحاء في السعة وايضا انه جاء حيث كان البس لا عطف بخلاف الآية واما القراءة بالنصب فيمكن ان يكون للعطف على محل برؤسكم حجة الجمهور ما روي انه ورد بالغسل وان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والعموم اتيا بوا بان اخبار الاحاد لا تعارض القرآن ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع فنمنع الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على مغسول فاغسلوا وان كانا بعد ان امسحوا وقراءة الجر تنبيه على وجوب الاقتصاد في صب الماء لان الارجل مغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الخامس والثلثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين هما العظمتان الناتئان من جانبي الساق وقال الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير هو موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في ارجل جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعبا ومنه كعوب الرمح لما صح ان الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعبا واحدا وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقا واحدا لاجرم قال الى المرافق واجيب العظم المستدير الموضوع في المفصل شيء خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان لكل احد فناط التكليف بهما امر ظاهر ايضا قالوا الصفوا الكعاب بالكعاب لساس الثلثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافا للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاحاديث حجة الشيعة الآية فان جواز المسح على الخفين خاتمة غاية فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ المتواتر السابع والثلثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه وهو الراس فان لم يكن معه من يوضئه او يتيمم سقط عنه ذلك ايضا لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط بالقدرة عليه فاذا فات القدرة سقط التكليف الثامن والثلثون قوله تعالى وان كنتم جنبا فاطهروا الاصل فيه فاطهروا وادغم التاء في الطاء فاجتلبت همزة الوصل للجنابة سببان نزول المني لقوله الماء من الماء والتاني التقاء الجنابتين خلافا لزيد بن ثابت ومعاذ وابي سعيد الخدري ولنا قوله فاطهروا النفي الخاص يجب غسل ختان الرجل هو الموضع الذي يقطع من جلدة القلفة واما المرأة فان شفرها يحيطان بثلثة اشياء ثقبة اسفل الفرج وهي مدخل الذكر ومخرج الحيض والولد وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول لا غير والثالثة جلدة رقيقة فائقة مثل عرف الديك فوق ثقبة البول قطع هذه الجلدة هو ختانها فاذا لا يجوز الجنب مس المصحف خلافا لداود لنا قوله لا فاطهروا ايدل على ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امرا بتحصيل الحاصل وهو لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون الثلثون فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها وكالطلاق في قوله فطهروا علم انه امر بتحصيل الطهارة في كل البدن والاخصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تقديم الوضوء على الغسل فلا لابي ثور وداود وعلم ان الترتيب غير واجب خلافا لاحمد فانه اوجب البداءة بالعلى ثم بالاسفل وعلم ان الدلك غير واجب خلافا لمالك الاربعون الشافعي للمضمضة والاستنشاق غير واجبين في الوضوء لقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقد اتى بهما واوجبهما ابو حنيفة واحمد في احد قوليه فاطهروا والتطهير يحصل لا بظهارة جميع الاعضاء ترك العمل به في الاعضاء الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فيجب ذاخل في التعذر لان قولهم بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله شعرا وقولهم البشرة يدخل فيه جلدة داخل الفم الحادي والاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهير وان منع وجب خلافا للمغيرة الثاني والاربعون ان كان المرهم مانعا من استعمال الماء حاصلا في بعض جسده دون بعض فقال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه

ثم تيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن يجب عليه غسل الجميع ودون التيمم وان كان اكثره جرحا يكفيه التيمم لان المرض اذا كان حالا في بعض اعضائه فهو بمرض الثالث الاربعون لو الصق على موضع التيمم لصوقا منع وصول الماء الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق قال الشافعي يلزمه نزع اللصوق حتى يصل الثواب له اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب نزعه للحرج الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله فليستنج بثلثة احجار وقال ابو حنيفة واجب عند الجمع من الغائط اما الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب الخامس الاربعون لمس المرأة ينقض الوضوء عند الشافعي ولا ينقضه عند ابي حنيفة وقد مر المسئلة في سورة النساء السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المستعمل لقوله فلم تجدوا ماء وهيهنا قد وجدنا ماء وخالف فيه احمد والاوزاعي ابو حنيفة واحمد لا يكره المشمس لقوله فلم تجدوا ماء وهذا قد وجدنا والشافعي يكره للحديث السابع والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء الذي شربت منه الهرة وقد مر في سورة النساء الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء الذي شربت منه الهرة وقد مر في سورة النساء التاسع والاربعون لا يجوز الوضوء بماء البحر لانه ماء واجد الماء خلافا للاصطخري وقوله ماء عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق

انما المشركون نجس لقوله المؤمن لا ينجس حيا ولا ميتا وبانه لو كان وطيا فاصابه ثوبه لم ينجس لو حمله انسان وصلى به بعد صلوته بالاتفاق وبان الله لو كان يوجب بخاسة الاعضاء كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف الشرايع وبان خروج النجاسة من موضع كيف يوجب تنجس موضع اخر وبان التيمم زيادة في التكليف فكيف يوجب التظافة والتطهير وبان المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبان الذي يزاد والنه ليس من الاجسام والا كان محسوسا ولا من الاعراض لان الاعراض محال التنفس الثاني ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد على الله تعالى لا طهارة المال والثواب الى هذه الاعضاء المخصوصة ليس فيه فايدة بعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف يعد محض عبودية وبوكده الاخبار في ان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه ورأسه ورجليه لئلا يكون عليكم حرج تعليل بالطبيعة من المطاعم والمشارب لهذه النعمة الدنيوية وهي كيفية فرض الوضوء او لئلا يترخصه كالتيمم ونحوا نعامه عليكم بعزايمه ثم ذكر ما يوجب عليهم بقوله تكاليف بعد ذلك من تحريم الاول تذكير نعمة في الشامل في هذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع وهو اعطاء نعمة الحيوة والتحفظ والعقل والهداية والصون عن الافات والايصال الى الخيرات في الدنيا والاخرة حيث انه مما لا يقدر عليه غيره يجب تقييده بالشكر وهو الاذعان لاوامره والانقياد لنواهيه فاذا قيل ذكر واشعر بسبق النسيان وكيف يعقل نسيانها مع تواترها وتواليها في كل لحظة ولحظة فالجواب بالخاصات لتواليها كالامر المعتاد فصار من غلبة الظهور كالامر المستور او المراد التوبيخ على عدم القيام بمواجبها فكانها كالشيء المنسي الثاني ذكر المبثاق ومعنى ميثاقكم به عقدا وثيقا يعني بيعة الرضوان وسوله حين بايعهم تحت الشجرة وعنبر عنها بلفظ السمع الطاعة في المحبوب والمكروه وعن ابن عباس هو المبثاق الذي اخذه على بني اسرائيل حين قالوا امنا بالتوراة وبما فيه من البشارة ببني اخر الزمان ومن غيرها وقال مجاهد الكلبي ومقاتل انه اشارة الى قوله للذين استجيبوا لربكم قالوا بلى وقال السدي وهو ادكن في العقول من حسن هذه الشريعة وهو احتجاب اكثر المتكلمين واعلم ان التكاليف ان كثرت الا انها منحصرة في نوعين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله وهذا بالبسيط فاذا عطا بقول لا تخالف شيئا من ذلك واهل وذلك وقرابتك ولا تمنع شيئا من ذلك اهلك واصدقاءك وقال الزجاج يتبنون دين الله لانا لشاهد يبين ما يشهد عليه ثم امر جميع الخلق بان لا يعاملوا احدا لا على سبيل العدل والانصاف بتركوا الظلم والاعتساف فقال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي بهم فحذف للعلم ثم استانف فصرح لهم الامر بالعدل تاكيدا فقال اعدلوا ثم استانف فذكرهم وجه الامر بالعدل فقال هو اي العدل الذي دل عليه اعدلوا اقرب للتقوى اي الى الانتفاء من عذاب الله ومن معاصيه وقيل المراد سلوك سبيل العدالة مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بان لا يقتلوهم اذا اظهر الاسلام والا يحملوا تجل من قتلهم او قتل اولادهم او سبيهم او نقض عهدهم ونحو ذلك وفي هذا تنبيه على ان العدل مع اعداء الله اذا كان هذه المكانة فكيف يكون مع اوليائه واحبائه ثم ختم الكلام بوعد المومنين وبوعيد الكافرين وقولهم مغفرة بيان للوعد قدم لهم وعدا ثم كانه قيل اي شيء لذلك فقيل لهم مغفرة او يكون على اذا قيل الوفاء اي وعدهم وقال لهم مغفرة او يكون وعد مضمنا معنى قال او يجعل وعدا واقعا على هذا القول اذا وعدهم هذا القول من هو قادر على كل المقدورات فان عالم بجميع المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف اما جهل او عجز او بخل او حاجة وهو منزه عن الكل وهذا الوعد يصل اليه كل المومن فيهون عليه السرور عند سكرات الموت فيسهل عليه الشدايد وفي ظلمة القبر بتنويره ونوره وفي غرصة القيمة بتجوزه والجسر اسم من اسماء النار وهي كل نار عظيمة في هواة كقوله فالوا بنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ملاوه وقيل هي بئر عميقة والصحاب الجحيم وسطه البئر مدها الى المبسوط شبه بعرض جابر ان البئر نزل منها ونظر فانا في العضاه يستظلون تحتها فعلق البئر سلاحه على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله فسله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله فها انت ذا والبئر بيده فزلزل الاعرابي السيف فلما البئر اصحابه فاخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه ثم يعاقبه ولم يعاقبه وقال مجاهد الكلبي وعكرمة نزلت في رجلين من اصحاب البئر رجلين من بني سليم وبين البئر وبين قومهما مواعدة فجاء قومهما بطلبون الدية فاتى البئر وهو معه ابو بكر وعمر وعثمن وعلي وغيرهم فقال على كعبك الا شر وبني النضير بنفر منهم في عقلهما فقالوا نعم يا ابا القسم فدان لك ان نابنا ونسئلك حاجة لجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسئلنا فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض فقالوا انكم لن تجدوا محمدا اوثر منه الان فمن يظهر على هذا البيت فيخرج عليه صخرة منه بحيالة فيقتله فقال عمرو بن جحاش كعب انا فجاء الى حيث عظيم ليطرحها عليه فامسك الله يده فجاء جبرئيل واخبره بذلك فخرج البئر وانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في قصة عسفان حين هم الاعداء ان يوقعوهم فنزلت صلوة الخوف وقيل اهتم بنزولها غافلا عاصة ولكن المراد ان الكفار ابدا كانوا يريدون ايقاع البلاء والنعمة الفضل بالمسلمين فاخر الله المسلمين وقل شوكة الكفار وقوي دين الاسلام واظهر على الاديان الثاني وقيل سماع اسم الله وهو من صفات الهيبة يوجب الفناء والعبد وسماع الرحمن الرحيم وهما من صفات اللطف يورث البقاء وقيل هو اتيانها العشاق بالعهود التي جرت بينهما يوم الميثاق وفي يوم الثلاث من صبر على عهوده فقد فاز بمقصوده عند بذل وجوده اعلم لكم ذبح بهيمة النفس التي كالانعام في طلب المرام الا النفس المطمئنة التي تليت عليها ارجعي الى ربك تنفرد من المدنيا بما فيها وهي كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى الكعبة الوصال واحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال ان الله يحكم ما يريد لمن يريد فيامر بذبح النفس اذا كانت متصفة بصفة البهيمة ويتركه ذبحها اذا كانت مطمئنة بذكر الحق ومستهترة بسماع الملك ثم لما اخبر عن تعظيم الشعاير من صدقا لقلوبها فقال يا ايها الذين امنوا لا تحلوا الفلوب فقصدوا زيادة الحبوب وخرجوا عن وطن الاوطار وسافروا عن ديار الاغيار لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم اداب الطريقة والحقيقة وعظموا الزمان والمكان والاخوان والنفائس كعبة الوصول الى الرحمن الذين اهدوا للقربان نفوسهم وفلذوها بلجاء الشجرة الطيبة اياسوا عن مكر

الاعلا الحبيثة واذا حللتم احرمتم فناسك الوصول فاصطادوا ارباب الطلب بشبكة الدعوة الى الله ولا يجلنكم حسد الخشك الذين يريدون ان يصدوكم
عن الحق على ان تعتدوا على الطالبين فتكونوا قطاع الطريق عليهم في طلب الحق حرمت عليكم يا اهل الحق الميسر وهي الدنيا باسرها والدم ولحم الخنزير اي حلالها
حرامها قليلها وكثيرها الان سر الدم ما هو حلال ولحم الخنزير كله حرام والدم بالنسبة الى القلب قليله وما اهل به لغير الله اي كل طاعة هي لغير الله والمنخنقة والموقوذة بغير
الذين يخنقون انفسهم بالجاه حلال وبقدر دنيا بالوباء ثمانات دنيا وسمعة المتردية بها والمتردية الذين يتردون انفسهم الى اسفل سافلين الطبيعة بالسباع
مع الاقران والتفاخر بالعلم والزهد بين الاخوان وما اكل السبع الظالم المتهارشون في جيفة الدنيا تهارش الكلاب الا ما ذكيتم بالكسب الحلال وصالح
بقدر ضرورة الحال وما ذبح على النصب ما يذبح عليه النفوس من المطالب الفانية وان تستقسموا بالازلام اي ان تكونوا مترددين في طلب المرام فاذا
انهيتم عن هذه المنكرات وتخلصتم عن هذه الذوات فعند ذلك يكمل نهاركم وظلمتكم انوار اليوم يئس الذين كفروا من النفس صفاتها والدنيا وشهواتها
من دينكم فلا تخشوهم واخشون فان كيدهم بين اليوم اي في الازل كما لكم وبنكم ولكن ظهر الامر في حجة الوداع يوم عرفة واتممت عليكم نعمتي وهي بساط
تحصيل الكمال بعثة النبي ﷺ من اضطر من ابتلي بالتفات شيء من الدنيا والاخرة عنه قابل البر للاعراض عن الحق ولكن من فترة للطالبين او وقفة للسالكين يسئلونك
قل احل لكم الطيبات اي الدنيا حرام على اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الله الطيبات كل ما كول ومشروب طيبوس يكون سببا للقيام بالواجبات وما
علمتم من الجوارح مكلبين اي امسكن عليكم نشاوا ما اصطدن النفوس المطمئنة المعلمة بعلوم التربية المؤدبة بآداب الطريقة الموزونة بانوار الحقيقة واذكروا اسم الله عليه
كلوا مما امسكن عليكم من الاموال الدنيوية والاخروية باسم الله اي لا تنصرفوا فيها الا لله بالله في الله اليوم يعني الله منه ظهر كمال دينكم لاهل الدين الا فلية وهو يوم عرفة
وهذه فائدة التكرار احل لكم الطيبات التي يتعلق بها بعاد الدارين بلا حل لكم التخلق بالاخلاق الطيبات وهي اخلاق الله المتعالية عن
الكيفيات والكميات وطعام الذين اوتوا الكتاب هم الانبياء حل لكم اي عند هم بلباده الولاية كما عندوا بلباس النبوة وطعامكم حل لهم اي متبع لهما النبوة
والولاية واحد وان كان الثاني اثنين فقد علم كل اناس مشربهم وملبسهم وذاك كله مشرب بيت عند رب البيت بطعمي وبسقيني والمحصنات من المؤمنات
وهي ابكار حفظوا القرآن والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب ابكار حفظوا الكتب المنزلة على الامم السالفة اي التي درجت في القرآن فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين اذا آتيتموهن اجورهن وهي بدل الوجوه محصنين في هذا البدل ليكون على وجه الحق غير مسافحين على وجه الطبع ولا متخذي اخدان
غير ملتفتين الى شيء من الاكوان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله الذي عمل من دون المكاشفات يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة
السنية بكم اذا قمتم من نوم الغفلة الى الصلوة وهي معراجكم للرجوع الى مكانكم من ربكم فاغسلوا وجوهكم الى توجهكم بها الى الدنيا وامسحوا برؤسكم
الاعتماد بها النوم وارجلكم الى الكعبين من طين طبيعتكم الى القيام بانانيتكم ولا يجرمنكم ولا يحملنكم حسد الخشك وعداوته الا تعدلوا مع نفوسكم
اذ هم جزء من الشيطان والنفس والهوى ان يبسطوا اليكم ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا
ابدلهم نكفا بهم عنكم والله خير موفق ومعين وبدرستي كه گرفت خدا پيمان بني اسرائيل را وبرانگيختم ازانها دوازده نفر سيد را
وقال الله اني معكم لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا
وگفت خدا كه بدرستي كه من با شمايم هرگاه كه برپا داريد نماز را وبدهيد زكوة را وبگرويد ببيغمبران من وياري داريد انها را وقرض دهيد خدا را واي
حسنا لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك
خوب هرآينه بپوشانم از شما گناهان شما را وهرآينه درآورم شما را در بوستانها كه روان است از زير انها جوها پس هركه كافر شود پس ازاين
منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون
از شما پس بدرستي كه گمراه شده از راه راست پس بجهت شكستن انها پيمان انها را و كرديم انها را و كرديم دلهاي انها را سخت كه تغيير دهند
الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم
كلمات را از جايگاه خود وفراموش كردند بهره از انچه را كه يادآورده شدند وهميشه خبردار ميشوي بر خيانت انها مگر كمي از ايشان
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا
پس درگذر از ايشان وبخش بدرستيكه خدا دوست ميدارد نيكوكاران را واز انجمله كه گفتند كه بدرستي كه ما ترسايانيم گرفتيم پيمان انها را پس فراموش كردند بهره
مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
از انچه پند داده شدند انها را پس انداختيم درميان ايشان دشمني و عداوت را تا روز قيامت وزود است كه خبر دهد انها را بانچه كه بودند كه ميكردند
يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا
اي صاحبان كتاب بدرستي كه آمد شما را پيغمبر ما كه هويدا ميكند براي شما بسياري از انچه را كه بوديد كه پنهان ميداشتيد از كتاب و درگذرد خدا
عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
از بسياري بدرستي كه آمد شما را از جانب خدا روشني وكتابي هويدا كننده راه مينمايد بدان خدا ازا كه پيروي كند خوشنودي او را براه سلامت

وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
وبيرون آورد ايشان را از تاريكيها بسوى روشنى بفرمان او وراه نمايد ايشان را بسوى راه راست بدرستى كه كافر شدند آنانكه گفتند بدرستى كه خدا او
الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
مسيح پسر مريم است بگو كيست كه نگاهدارد از خدا چيزى را اگر بخواهد كه نابود كند مسيح پسر مريم را ومادر او را وهر كه در زمين است همه
وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَقَالَتِ
ومر خداراست پادشاهى آسمانها وزمين وآنچه درميان آنهاست بيافريند آنچه خواهد وخدا بر هر چيزى تواناست وگفت
الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ
يهود وترسايان كه ما فرزندان خدا ودوستان اويم بگو كه پس چرا عذاب كند شما را بگناهان شما بلكه شما بنداديد ميان ازانها كه آفريد
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ
ميامرزد مرازرا كه خواهد وعذاب كند ازرا كه خواهد ومر خداراست پادشاهى آسمانها وزمين وآنچه درميان آنهاست وبسوى اوست بازگشت
يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا
اى اهل كتاب بدرستى كه آمد شما را فرستاده ما كه ظاهر ميسازد از براى شما احكام را در وقت سستى فرستادن پيغمبران كه مبادا گوئيد از براى ما
مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ع
مژده دهنده وترساننده پس بتحقيق كه آمد شما را مژده دهنده وترساننده وخدا بر هر چيز تواناست حمزة وعلى
والمفضل البافون فاستبان الوقوف على ان السؤال للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة فبين للعدل عن الحكاية الى الاخبار معكم الى
ما بعده ابتداء قسم محذوف وجوابه لا كفرن الا انهما استبقا فاستبق لاحتمال الاستباق والحال اى لعنا هم محرفين مواضعه لان ما تلوه حاله
اى قد نسوا ذكرا بر للعدول عن الماضى الى المستقبل مع الواو واضمر الحسنين ذكرا بر كعطف المتفضلين يوم الفهر يضعون عن كنز مبر
لان قوله بعد وصف الكتاب الى اخر الاية مستقيم المسيح مريم الاولى جميعا وما بينهما اما بشاء فليرحمها واحباؤه بذنوبكم لنا هى الاستفهام الى الاخبار
ممن خلق من يشاء وما بينهما للفصل بين ذكر الحال والمال المصير لا نذير للعطف مع وقوع العارض ونذير للتفسير سبحانه لما خاطب اليهود بنيز
بذكر بعثة نبينا فبدء فذكر مبشرا فى اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك بخلاف هذه الامة من مثل ما فعلوا وفعل بهم وبوجه عرضا ذكر
عذابهم وانهم اذا ابقاع الشر بالنبى ثم لولا دفع الله تعاد فنه بذكر ساهر فضاياهم لعلم ان ذلك لم يزل مجراهم والتعقيب التعريب يعقل بعض
فاعل لانه ينقب عن احوال القوم فيكون شاهدهم وصفيهم وقال ابو مسلم يجئ مفعول يعنى اخبارهم على علم منا بهم واصل النقب الطريق فى الجبل
ونقب لبطارسة الدابة يخرج منها ماء اصفر والمناقب لفضائل لانها لا تظهر الا بالنقب عنها ويقال كلب منقب هو ان ينقب حجرته لئلا يرفع
صوت نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد الكيلى والسدى ان الله تم اختار من كل سبط من اسباط بنى اسرائيل
رجلا يكون نقيبا لهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا الى مدينة الجبارين ليتجسسوا عن احوالهم فرأوا اجراما عظيمة فهابوها ورجعوا وحدثوا قومهم وفشلوا
موسى ان يجدوهم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعنى انى ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف الرابط للعلم به والخطاب للنقباء
او لكل يهود اسرائيل والحاصل انى فعلت بكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم واراعى افعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم لهذه مقدمة معترضة
جدا فى الترغيب فى الزهد بينهم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من حضرة مورد الجزاء هو قوله لاكفرن وهو اسناد الى اذا الزاء العقاب قوله ولادخلنكم
وهو اسناد الى ايمان النواب اللام فى لئن اقيمتم موطئة للقسم وفى لاكفرن جواب له ولكنه سد مسد جواب الشرط ايضا والعزر فى اللغة الرد ومنه التعزير
التاديب الذى نهرمه عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معناه عزرتموهم بنصرتهوهم لان نصرة الانسان رد اعداءه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله و
تعزروه وتوقروه تكرارا وههنا اسئلة لم اخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة هل يعم ان الايمان مقدم على الاعمال واجيب بتسليم
ذلك ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل
فذكر انه لا يفيد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر فلا يحتمل ان يكون التقدير فلما سلم واخر الايمان
عن العمل بنبينا على ان الايمان انما يقع معتدا به اذا اقترن به العمل كقوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى او هو من القلب الذى
يشيع عليه من الالباس ولعل اليهود كانوا مقصرين فى الصلوة والزكوة فكان ذكرهما اهم سؤال اخر ما لعناهم فى قوله وانا لم نعد بعد قوله وايتاء الزكوة
واجيب بان الاقراض يذهب الصدقات المندوبة قال القراء ولو قال واقرضتم الله قرضا حسنا لكان صوابا ايضا الا انه اتى الاسم مقام المصدر
مثل وانبتها نباتا حسنا اخوكم قال من كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فان من كفر قبل ذلك بهم كفر قبل ذلك بهم فقد اخطا الطريق المستقيم لله شرعه الله
لهم والجواب اجمل ولكن الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به لو عبد العظيم اشنع فلما اخص بالذكر فيما تقضيهم ميثاقهم بكذيبهم لرسل قتلهم او بكتمانهم
صفة محمد او باخلالهم لجملة الشرط المذكور لعناهم قال عطاء اخرجناهم من رحمتنا وقال الحسن من اهل مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير قال ابن

عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا فلوسهم فاسبة موقرة فسبة بمعنى الفاسبة اى الا اننا البغ كعلم وعالم ومنه فولهم درهم ضي اى فيه مغشوش لما فيه من البهرج لصلابته بخلاف الدراهم الخالص فان فيه لينا وانفيادا قال المعترلة معنى الجعل فيهما هنا انه اخبر عنهما بانهما صادت فاسبة كما يقال جعلت فلانا فاسقا او عدلا لا يحرفون الكلم بتبديل لفظ فلوبهم لانه لا فسق اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه وتسوا حظا ترکوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما ذكروا به من النوزيه بل ذكرهم التوبيخ واعراضهم عن العمل بها اغفال لحظ عظيم او فسدت نبا تهم تحرفوا التوتير وقد علوم منها عن حفظهم كما روى عن ابن مسعود قد يلتبس المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس ترکوا نصيبا مما امروا به بكتابهم وهو الايمان بمحمد ثم بين ان تلك الهنات والعظائم ليست عادتهم خلفا عن سلف فقال ولا تزال تطلع على تطلع خائنة اى خيانة كالعافية والخاتمة او صفة لمحذوف اى على فعلة ذات خيلة او على نفس او فرقة خائنة او التاء للمبالغة مثل رجل راوية الشعر لا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام وامثاله او هم الذين بقوا على الكفر من عبر عبد ونقض العهود منهم فاعف عنهم واصفح بعث على حسن العشرة معهم فقيل منسوخ بآية القتال انها التي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد عفو عن مؤمنهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل بناء على ان القليل منهم لا يؤمنون على العمد منهم ان المراد لا تؤاخذهم بالصغائر هذا موالا بن على العمد هذا قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس ومعناه اذا عفوت فانه محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله وعلى قول ابي مسلم فالمراد بهؤلاء المحسنين هم القليلون الذين لم نقضوا عهد الله وفي هذا تنفير بليغ وتهديد والله تعالى اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى فيه قولان من النصارى لانهم انما سموا انفسهم بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصار الشيطان حيث خلعوا ربقة الطاعة واخذوا بطاعة الشيطان فهم ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في فعال الخير والايمان بالرسل فنسوا حظا مما ذكروا به من الصفات والزمناه ومنعه الغراء الكثير يلصق بهذا ويغري بالشيء لونه ويصوبه بينهم بين فريق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد فقال يا اهل الكتاب لانه اخرج محمد الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله وكصفة الرجم وهذا معجز لانه لم يقرأ كتابا وقد اخبرهم بأسرار كتابهم وبعفوا عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما لا يمس الحاجة في هذا الدين وعن الحسن وبعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه بجرمه تفضلا كم من الله نور يعني محمدا والاسلام وكتاب مبين هو القرآن لانه بانه ما كان خافيا على الناس من الحق ولانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القرآن والمغايرة اللفظية كالتي بين المعطوف بن ولا شك ان القرآن نور بمعنى يهتدى به البصيرة على ازالة الحق والمعنى لانه يهدي به الله اى بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه اتباع الدين الذي يرضيه الله لا الذي لغير يحب هواه سبل السلام طرق السلامة وطرق دار السلام او سبل بر الله اذا الله هو المسيح بن مريم بناء على ما جرى الحلول ومن يملك من الله شيئا من الله يعقد على دفع شيء من امر الله ومنع شيء من مراده وقوله ان اراد شرطا جوابه احرف محذوف يدل عليه فمن يقدر والمعنى ان اراد ان يهلك المسيح المذكور وامه وغيرهم ممن في الارض جميعا فمن يقدر على ان يدفعه عن مراده ومقدوره والمراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جملتهم وتحكم في الصور والخلقة والجسمية والتركيب سائر الاعراض فانا نسلم كونه تعالى خالقا لغير هما وجب ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد اما الصنفين او النوعين وفي قوله يخلق ما يشاء دليل على ان من ترکوا نبي فقط كما في حق عيسى وثان من غير ذكر وانثى كادم وحواء ثبت بهذا ان عيسى اذا قد صور الطير من الطين فان الله تعالى يخلق فيها الحياة والحيوة معجزة لعيسى وكذا احياء الموتى بإذن الاكمه والابرص من جملة انباء الله واحياؤه قيل علم ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل ذلك عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك فحق افسهم واجيب بان المضاف محذوف اى نحن ابناء رسل الله او اريد بان عند الله تعالى لهم كمال واشد اعتناء الاب بالابن او اليهود لما ادعوا ان عزيرا ابن الله والنصارى ان المسيح ابن الله وقد يقول الملوك لمماليكهم نحن الملوك وحشمهم كونهم مختصين بذلك الشخص لانه هو الملك عن ابن عباس ان نجران لما دعا عدو اليهما الى بن لاسحق وخوفهم بعقاب الله نفلوا كيف نخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه وما تلوا النصارى في الا يحتمل ان كلا منهم ان المسيح ان الله اى قالوا ذلك ايضا كما حكى عنهم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فسئل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا وهو يمكن معارضته بوقوعه احيانا وبفضل احباء الله كالحسن والحسين او عذاب الاخرة والقوم ينكرون ذلك ولو كان مجرما لبانوا بانهم كذبوا في ادعائهم احباء الله كما في ابصاله الاستدلال ضائعا والجواب ان محل الالزام عذابا عاجلا والمغارضة بيوم احد سائغة لانهم وان ادعوا نهم الاحباء لكنهم لم يدعوا نهم الابناء او عذاب اليهود والنصارى يعترفون بذلك وانهم يتمسكون بالنار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى لتكونوا لا احتجاج عليهم بشيء مما ذكر في الوجه الاول فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر من جملة من خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب بغفره وكافة ذنوبه ممنوعة وان بعذبه وبنافي الابنة ثابتة هذا المعنى بينه لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان احدهما ان يقال المبين وهو الدين والشرايع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لتبيين الشرايع او هو ما كنتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقال المبين والمخفي بدل الكل البيان وصف المفعول اتم فايدة وقوله على فترة منعلق بجاءكم او بما الخر قال ابن عباس اى على حين فتور من ارسال الرسل وفي نفار بانقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرايع كان بين عيسى ومحمد ستمائة وستون واثنتا عشرة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة وسبعون سنة والذي وبين عيسى ومحمد اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل واحد من العرب خالد بن سنان العبسي اما العبسي بالنون فهو المسمى الكاذب المفضوح ان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وتطرق التحريف والتبديل الشرايع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراضهم الخالي عن العناد لان لهم ان يقولوا المعنى فينا انه لا بد من عبادة قائمة ولكنا ما عرفنا كيف

فضله ثم الله تم عليهم بازاحة هذه العلة وذلك قوله ان يقولوا اى كراهة ان يقولوا اما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اى لا تعتذروا فقد جاءكم
ان العذر يوجب حتما يحتاج الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شئ فكان يجب بحكمته ورحمته ارسال الرسل فى الفترات ازاحة للعلل والله اعلم
الثانى وبل جعل فى امة موسى اثنا عشر نقيبا وجعل فى هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال ع يكون فى هذه الامة اربعون على خلق ابرهيم وسبعة على
خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد ص وقال ابو عثمان المغربى البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب والقطب
عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه هو امام الاربعين وهكذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا نقص من الاربعين
واحد بدل مكانه واحد من غيرهم واذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى
القطب الذى هو قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلثة هكذا الى ان يأذن الله تعالى فى قيام الساعة نعم اقام الصلوة بان يجعلها معراجا لك الى الحق فى حال
القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام تخلص عن حجب الصفات وهو مخاصمة النار وبالركوع تخلص عن حجب صفات البهيمية
واعظمها الشهوة وهو مخاصمة الهوا وبالسجود تخلص عن حجب طبيعة البنان واعظمها الحرص على الجذبة للنشو والنما وهو مخاصمة الماء وبالتشهد تخلص
عن حجب طبع الجماد واعظمها الجمود وهو مخاصمة التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجيا ربك كانك تراه كما قال ع اعبد الله كانك تراه
واتيتم الزكوة بان تصرف ما رزقك فيما خلقت بتعلق الغالب بسبيل الله وامنتم برسلى اى سلمتم بالكلية لمنصب النبوة والرسالة وازرتموهم بالوجود
كلا وقرضا حسنا وهو ان يأخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا بانيا كما هو قول الكافر لا اشرك بالوجود الحقيقى عنكم سبحانكم الوجود
المجازى لاد خلتكم جنات الوصلة يجرى من تحتها انهار العنايات ولا تزال تطلع على قلوبهم منهم لوامع العصمة فمن عند بينهم اعداوة حتى
تواطئ القلوب واتطلوا الاستعداد للنظر فتصادوا كالسباع بينها وهم ينجاذبون بغير امر تبارك وتعالى بجعل انواعا مظهر لطفه
وفضله واخرين مظهر قهره وجلاله وجعل بعباده

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ

وچون گفت موسى مر قوم خود را اى قوم ياد آريد نعمت خداى را بر شما چون قرار داد در شما پيغمبران وگردانيد شما را

مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ

پادشاهان وداد شما آنچه نداد هيچيك از عالميان را اى قوم درآئيد در زمين پاكيزه كه نوشت خداى براى شما

وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا

وبازنگرديد بسوى پشت خود پس بازگرديد زيان كاران گفتند اى موسى بدرستى كه در آن گروهى اند ستمكاران ودرستى ما داخل نشويم آنرا

حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا

تا بيرون روند ازان پس اگر بيرون روند ازان پس ما درآئيم گفتند دو مرد از آنانى كه مى ترسيدند و انعام فرمود خدا برايشان كه دريابيد

عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ

برايشان از در پس چون در شويد در آنرا پس شما غالبيد وبر خداى پس توكل كنيد اگر هستيد گروندگان گفتند اى موسى

إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي

ما هرگز داخل نشويم آنرا در هنگامى كه ايشان در آنند پس برو تو و پروردگارت پس قتال كنيد كه ما در اينجا نشستگانيم گفت پروردگارا من

لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ

مالك نيستم بجز نفس وبرادر مرا پس جدا كن ميان ما وميان گروه فاسقان گفت كه پس زمين حرام است بر ايشان در چهل

سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ

سال كه سرگردان مانند در زمين پس تاسف مخور بر گروه فاسقان

القراءة جبارين بالامالة مثبة ونصير وابو عمرو حيث كان فلا تاس بغير همزة حيث وقعا ابو عمرو وهزة والاعشى ودوش وحمزة فى الوقف لوقوف ملوكا جبارين قد قبل لشبهه الابتداء بان ولكن كسر الفان يجيئه بعدا لقوله معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها
لابتداء الشرط مع فالمعقب فى اخلوا فالباب لذلك غالبون مؤمنين قاعدون فاسقين سنة لانها تصلح ظرفا للتيه بعده وللخبر به قبل الفاسقين انفسنا
وجه النظم انه سبحانه كانه قال اهذا الله مبتاتيه ايها آبائكم وذكرهم موسى نعم الله وامرهم بمجاهدة الجبارين فحاذوا فى الكل من الله عليهم بامور ثلثة
لوطها قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث فى امة ما بعث فيهم من الانبياء وثانيها قوله وجعلكم ملوكا قال السدى اى جعلكم احرارا تملكون
انفسكم بعدما استعبدكم الفبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكان لهم اموال كثيرة وخدم يعنى كان من كان منهم وقيل كان كذلك
كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يحتاج فى منزله وخدمه الى احد الا باذنه وقيل الملك هو الصحة والامن والامن والغنى وقيل من كان مستغلا بامر
نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا فى قضاء حاجة الى احد فهو ملك وقيل كان فى اسلافهم واخلافهم ملوك وعظماء وقد بقى الى حصل فيهم ملوك
مجازا وقيل كل نبى ملك لانه يملك امر امته بتنفيذهم حكمه وقالتها وآتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق والعظائم وقيل اراد عالمى زمانهم وروى ان ابرهيم لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادرك بصرك فهو لعقبك

ومبارك لذرّيتك وقيل لما خرج قوم موسى من مصر بعدهم الله سكانا ارض الشام فكان بنو اسرائيل يسكنون ارض المؤاجهة ثم بعث موسى من كل سبط نقيبا فكانوا اثني عشر نقيبا من الامناء ليجسسوا لهم من احوال تلك الارض اذا دخلوا تلك البلاد وقوا الجسامة عظيمة فلما المفسرون لما بعث موسى النقباء لاجل التجسس امرهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه وراى بهم الملك فنشرهم بين يديه وقال لمن بعثك يا هؤلاء بهذا دون فتانا فقالوا الملك ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بما شاهدتم فاحضر النقباء الى موسى واخبروه بالواقعة فامرهم ان يكتموا فاشاعوا ولم يقبلوا قوله الا رجلان هما كالب يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف فانهما قالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم واجسامهم عظيمة الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس بحيث اظهروا الامتناع عن عدوهم والارض المقدسة هي المطهرة من الاقذار وقيل من الشرك ونقيت بانها لم تكن قط كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل كما انها كانت مسكن الانبياء ثم انها هي عن عكرمة والسدي وابن زيد هي اريحا وقال الكلبي ومقاتل وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم اوجبها لكم او خطها في اللوح المحفوظ انها لكم او امركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم ذنوبهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اي مكتوب لبعضهم وحكم على بعضهم وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم اربعين سنة فلما مضت الاربعون حصل ما كتب في قوله كتب الله لكم ثبوت القلوب وان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا من الدين الصحيح الى الشك في نبوة موسى واخباره هذه النصرة او لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها الى التي خرجتم عنها فقد روي ان القوم كانوا قد عزموا على الرجوع الى مصر فتنقلبوا اخاسرين في الاخرة بفوات الثواب والحلول في العقاب او ترجعوا الى الذل او تبوئوا في البشر غير راسلين الى شيء مما وطنتم عليه من الاخرة والجبارون هم قوم عاد وكانوا طوالا وقيل العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وهو الغالب الذي يجب الناس على ما يريد وهو اخبثهما الفراء والزجاج قالا الفراء لم اسمع فعلا الا من فعل الا في حرفين جبار من اجبر وذراك من ادرك وقيل نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تنال الا بشدة ايها القوم كانوا في غاية القوة وفي غاية العظم فخيل قوم موسى عنهم حتى قالوا لموسى سبيل المنافقين في الاستبعاد انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون كقولهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع وكالب من الذين يخافون الله وقرئ يخافون الله وقيل يخافون الناس والاول اظهر وقوله انعم الله عليهما اي بالهداية والتقوى وقوله والاعتماد على نصره مرفوع صفة لرجلان ويحتمل ان يكون جملة معترضة فان قلت كيف يجوز ان يكون الفقير فيخافون لبني اسرائيل والعائد الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل قلت هم الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبارين ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر كانه قال متى دخلتم باب بلدهم لم يثبتوا منهم ناخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموه بنا او بغيرنا من عادة الله ان ينصر رسله غالبة ومن صنعه لموسى في قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا الغاء للاذان بتلازم ما قبلها وما بعدها ومحل ما وعلكم الله النصر فلا ينبغي ان تصيروا خائفين من عظم اجسامهم بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القادر موقنين بصحة نبوة موسى لما ثبت ان دخولها مقرون بالتوكل على الله وجه التاكيد بقولهم ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فان تعالوا معهم حتى تحوزوا الذهاب المحوج على الله تعالى لم يقصدوا حقيقة الذهاب كقولك كلمته فذهب يجيبني وزيد يقصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هرون وسموه ربا لانه اكبر من موسى وقيل النقيب اذهب انت وربك معين لك بنصرك ولكن لا يجاوبه قوله فقاتلا ولا يتبع لقوله انت فاذهب فاصحه ولا يخفى ان هذا القول منهم كفر او ضعف فلهذا قال موسى على سبيل الشكوى والبث ربي اني لا املك الا نفسي واخي قال الزجاج في اعرابه وجهان الرفع على موضع اني لان المعنى انا لا املك الا نفسي واخي وكذلك ونصفا على الضمير في املك اي املك انا واخي الا نفسانا وعلى نفسي واخي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي لان اخاه ان كان مطيعا له فهو مالك طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما ولعله قال ذلك تقليلا لمن يوافقه واراد من يوافقه في الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين والمراد فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لكلمتنا بما نستحق وهو نصفي الدعاء عليهم بدليل فاء التسبب في قوله فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة تحرمهم الله لهم من غير مجاهدة وانما المراد انهم يتيهون اربعين سنة ويعفى بيتيهون يسيرون متحيرين عن مقاتلة الجبارين قال موسى لما دعا عليهم فاجابه الله بما يتيهون فقالوا لما دعوت علينا فلم تدع علينا فدعا الله ربه فقال اي لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فانهم استحقوا بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا للحمزة اي لا تحزن على قوم لم يزالوا مخالفة الرسل قبلهم واعلم ان المفسرين اختلفوا في ان موسى وهرون هل بقيا في التيه ام لا فقال قوم انهما ماتا في التيه لانه دعا ان يفرق بينه وبينهم كما بني مجاب لان التيه عذاب الانبياء لا يعذبون ولان سبب ذلك العذاب لم يوجد منهما فلم يلحقهما ضرر وقال آخرون انهما كانا مع القوم لان الله سلط عليهم ذلك العذاب كما كان النار كانت على ابرهيم بردا وسلاما ثم من هؤلاء من قال ان هرون مات في التيه وما ت موسى بعده بسنة وبطل بوشع وما ربما بعد هرون بثلاثة اشهر وكان ابن اخت موسى وصيه بعد هرون ومات النقباء في التيه بغتة بعقوبات عاجلة الا كالب يوشع وقيل من قال بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين فهزمهم واعلم ان الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا اين هي في التيه هي المقام التي ناهوا فيها فقال الربيع مقدار تسعة فراسخ في مثلها وقيل تسعة فراسخ في ثلثين فرسخا وقيل تسعة اثني عشر فرسخا قيل كانوا ستمائة الف وعشرين الفا وقيل ان هذا العدد لم يكن الا في زمن يوشع وكالب لان الذين خرجوا من مصر كانوا ممن بلغ عشرين سنة فما فوقها فماتوا في التيه ولم يدخلوا الشام وانما دخلها من كان دون العشرين سنة وقيل كانوا ممن لم يبلغ العشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائتين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائتين والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائتين والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائتين والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائتين والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثمائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثمائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثمائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثمائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثمائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعمائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعمائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعمائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعمائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعمائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسمائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسمائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسمائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسمائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسمائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستمائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستمائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستمائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستمائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستمائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعمائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعمائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعمائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعمائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعمائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانمائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانمائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانمائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانمائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانمائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعمائة سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعمائة والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعمائة والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعمائة والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعمائة والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالف سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالفين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالفين والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالفين والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالفين والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الالفين والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثة الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثة الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثة الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثة الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثلثة الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعة الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعة الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعة الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعة الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الاربعة الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسة الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسة الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسة الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسة الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الخمسة الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستة الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستة الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستة الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستة الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الستة الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعة الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعة الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعة الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعة الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ السبعة الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانية الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانية الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانية الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانية الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ الثمانية الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعة الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعة الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعة الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعة الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ التسعة الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ العشرة الاف سنة وقيل كانوا ممن بلغ العشرة الاف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ العشرة الاف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ العشرة الاف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ العشرة الاف والثمانين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة الف سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة الف والعشرين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة الف والاربعين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة الف والستين سنة وقيل كانوا ممن بلغ المائة الف

المائدة ۵

واحسانه وبشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم ذلك المدة الطويلة مع التفاوت بين منطاوله بحيث لا يعرف احدهم ان يتبع طريقا للسير ولو بامارات حتى كانت النجوم والجواب ان هذا من الخوارق التي يجب المصير اليها كاسكان الحجارة التي يسبحد وعصا موسى فان بعضهم ان هذا الخروج بعد ما تم امرهم بالمكث في تلك المفاوز اربعين سنة عقابا لهم على سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال الثاني قيل اشارة موسى الروح الى القوى البدنية اذهبوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله لكم تلك المستعدة في الفطرة فمنها بوا تحملوا اعباء الجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقال لهم النفس اللوامة والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد والطلب بسبب الراحة بالتعب فلم يعتدوا بقولها فحرمهم الله ثم ذلك عليهم اربعين سنة هي تلاشي استيفاء محظوظ النفس الامارة وانكسار سورتها فانها في الاغلب كقوته حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وفي الاثر تكرر هي التي تسمى تلاطم اترى تملك نفسه ونفس اخيك بلاه الله في الحال بالدعاء على امته لانا اذا اغنا يملك نفسه ذاملكها عند الغضب فشان بينه وبين من قال حين شج راسه وكسرت رباعيتاه اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون اللهم صل على وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين قوله تعالى جل

واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك قال انما

وبخوان برايشان حكايت دو پسر آدم را بر ستي چون نزديك آوردند قربانى را پس پذيرفته شد از يكي و قبول نشد از ديگري گفت كه هر آينه بكشم ترا گفت

يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله

قبول ميكند خدا از پرهيزكاران اگر بگشائي بسوي من دست خود را كه بكشي مرا نميكشايم من دستم را بسوي تو كه بكشم ترا بدرستي كه من ميترسم خدا را

رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت

كردگار جهانيان من ميخواهم كه بازگردي بگناه من و گناه خودت پس بوده باشي از ياران آتش و اين است پاداش ستمكاران پس قبول كرد

له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري

او را نفس كشتن برادرش را پس كشت او را پس صبح كرد از زيان كاران پس فرستاد خدا غرابي را كه بكند زمين را تا بنمايد بوي كه چگونه بپنهان كند

سوأة اخيه قال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من النادمين

نعش برادر را گفت كه اي واي بر من كه نتوانستم كه بوده باشم مانند اين غراب پس بپنهان كنم نعش برادرم را پس صبح كرد از پشيمانان

من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما قتل

از اينجهت نوشتيم بر گروه بني اسرائيل كه بدرستي كه هر كه كشت نفسي را بدون نفسي يا فسادي در زمين پس چنان است كه كشته

الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات

مردمان را همه و هر كه زنده كرد او را چنانست كه زنده كرده باشد مردمرا همه و بدرستي كه آمد بايشان فرستادگان ما بگواهان

ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون

پس بدرستي كه بسياري از ايشان پس از اين در زمين هر آينه زيادروانند جز اين نيست كه پاداش آنها كه جنگ كنند با خدا و رسول او و بشتابند

في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض

در زمين بجهة فساد كه كشته شوند يا بدار كشيده شوند يا بريده شود دستهاي ايشان و پايهاي ايشان از يك طرف يا رانده شوند از زمين

ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم

اين رسوائي ايشان است در دنيا و مر ايشانراست در آخرت عذاب بزرگ مگر آنهائي كه بازگشتند پيش از آنكه دست يابيد برايشان

فاعلموا ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا

پس بدانيد كه خدا آمرزنده مهربان است اي زمره آنهائي كه گرويده ايد بپرهيزيد خدا را و بجوئيد بسوي او وسيلت را و بكوشش كنيد

في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا

در راه او شايد شما رستگار شويد بدرستي آنهائي كه كافر شدند اگر كه بخشد مر ايشانرا آنچه در زمين است همه و مانند او با آن كه فديه دهند

به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم

بآن از عذاب روز قيامت پذيرفته نشود از ايشان و مر ايشانراست عذابي دردناك ميخواهند كه بيرون آيند از آتش و نيستند ايشان

بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا

بيرون آيندگان از آتش و مر ايشانراست عذابي پاينده و مرد دزد و زن دزد پس ببريد دستهاي ايشان را پاداش آنچه كسب كردند و عقوبت

من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم الم

از خدا و خدا غالب دانست پس هر كه توبه كرد پس از ظلم كردنش و بكند كرد پس بدرستي كه خدا ميپذيرد توبه او را بدرستي كه خدا آمرزنده مهربانست الم

تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شئ قدير

ندانستي كه خدا مر اوراست پادشاهي آسمانها و زمين عذاب كند از كه خواهد و بيامرزد از كه خواهد و خدا بر هر چيزي تواناست

القراءة لاقتلنك بالنون الخفيفة روى ليعدلن عن يزيد بن يدي اليك بفتح تاء المتكلم ابو جعفر ونافع من اجل بكسر النون نزيد قرا ورش بفتح النون هو موصولة وسلنا بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف بالحق على ان ذكر محذوفا ولو وصلا وهم انه معمول اذا وهو محال ان الآخر لاقتلنك المتقين لاقتلنك لاجتماع امثاله اللام او الفاء العالمين لنا لا اختلاف الجملتين الظالمين لاجل الفاء الخاسرين سواء اخبط اخي لطول ما اعترض من المعطوف والمعطوف عليه الباء وبئس من اجل ذلك كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق بما بسح وبكتنا جميعا لان الموضع بالبنان لان ثم لن يتب لاخبك المسرفون من الارض عظيم عليهم لنتهي الاستثناء مع الجواب اني لا يغفر الله ان يشرك غفور رحيم تفلحون منهم لنتهي الشرط مع اخذ المعطوف من الكلام اليم لاذا المعطوف مع اختلاف الجملتين منهم من الله حكم يتوب عليكم حيث من يشاء فهو التفسير النظم ووجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكانه تعالى ذكر لاجل شبلة بنيه قصصا كثيرة كقصة النقباء وما الخبر اليه لكلام من اصر اهل الكتاب ونعتهم بعد ظهورا لدلايل القاطعة ثم ختمها بقصة ابني آدم وان احدهما قتل الاخر حسدا وبغيا لعلم ان الفضل كان محسودا بكل اوان ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة وكثيرا من اخبار القصاص ليست بينة كانت من اسرار التوراة ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اي لا يفهم كونهم من اولاد وابناء مع كفرهم كما لم يفهم قابيل وهابيل ان الامر دائر على ان اهل الكتاب خبر ابني آدم من صلبها بيل وقابيل فاولاده متلبسة بالحق والصحة من عند الله ثم اوسلبسة بالصدق وموافقة لما في التوراة بالاجمال او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد الحامل اياهم على سوء غائلته الحاسد واثمه عليهم وانت تحقق ان لا مبطل هابيل كالا فاصيل الى لاغتنا منها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنبا اي قصهم في ذلك الوقت وبدل من النبا اي بناء ذلك الوقت على حذف المضاف للقصة او قرب كل واحد منهما قربانا الا انه جمعهما في الفعل تكالا على فهم الحكاية او كان القربان في الاصل مصدرا ثم سمي به ما يتقرب به الى الله ثم من نبح او صدقة يرى ان آدم كان هو لذلك كل سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن اخر وولد قابيل توأمة قليما وبعدهما هابيل توأمة البوزا وكانت توأمة قابيل احسن واجمل فاراد آدم ان يزوجها من هابيل فابى قابيل قال انا احق بها وليس هذا من الله وانما هو رأيك فقال آدم لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل قربانه زوجها منه فتقبل الله قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فاخذ قابيل يحسد اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن البصري انهما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ومن البيان ان صدور الذنب من احد بني آدم لا يصلح ان يكون سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وزيف بان الآية تدل على ان القاتل جعل ما يصنع بالمقتول حتى يعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف عليه وقال مجاهد اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول قيل ما كان في ذلك الوقت قربان يتقرب به الى الله فكانت النار تنزل من السماء فتاكله وانما صار احد القربانين مقبولا والاخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال ثم حكاية عن المحق في جواب المبطل انما يتقبل الله من المتقين وذلك لانه لما كان الحسد هو الذي حمله على قتله بالفعل فكانه قال له لا تعاتبني فعلك لانك انما تعاقب الله تعالى على طاعته الله التي هي السبب في القبول قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن فاكان معه كان صاحب غنم والاخر جعل قربانه اردا فاكان معه كان صاحب زرع وقيل انه اضمر خبر قربانه لان احد زوجي اخته من هابيل سواء قبل او لم يقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى في الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب المقتول قد لم تقبلني قال لاقتلنك صار مقبولا فقال لها بيل ما ذا نبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك ذكر الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل صرفنا بالبناء المرة لانا كبد النفي دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان اقوى من القاتل وابطش منه لكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وهذا وجه قوله اني اخاف الله رب العالمين وقيل المعنى لا ابسط يدي اليك لاعرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر لا بالاسر وليس له ان يقصد الدفع ثم ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فمسئل انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا يزداد اثما آخر وفيه وجوه منها ان هذا من باب التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير وقال ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اي يحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال الزجاج يرجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك وقال في الكشاف انه تحمل مثل الاثم المقتول كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي سوالا خر كيف جاز ان يريد معصية اخيه كونه من اهل النار والجواب ان هذا الكلام انما ذا وبينهما عند ما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على فعل القتل فكانه لما وعظه وضحى قال له ان كنت لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان تقصد قتلي في وقت غفلة وحينئذ لا يمكنني ان ادفعك عن قتلي الا اذا قتلتك ابتداء فحينئذ يحصل الوعيد الشديد والعقاب العظيم وهذا معنى كبيرة ومعصيته واذا دار الامر بين ان اكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت فانا احب ان تحصل هذه الكبيرة لك لا لي من البين ان اراده صدور الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عن الطاعة والمراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد ان الله تعالى عذاب الظالم وقد روي ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعل هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي تحمل عليك يوم القيامة اذا لم تجد ما يرضيني به من اثمك فقتلك اياي هذا يصلح جوابا عن السؤال الاول بقي فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته وخصته وسهلت من طاع له المرتع واطاع اذا اسرع وله لاجل ذا وقع الوقت كموا لقاتل حفظت لونه ما له ومنهم من قال شجعته فقتله والتخفيق ان الانسان اعلم ان القتل العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوعه النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقاد لها وخضع واصانه

المائدة

التطويع والتمهيد الى النفس لابتدائي بكون الكل مضافا الى قضاء الله فيتسر بحكي ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس اخذ طيرا وضرب راسه بحجر فقتله فعلم من ذلك منه ثم ان وجد قابيل هو ما فعل فضرب راسه بحجر فقتله وعن النبي صلعم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها وذلك انه اول من سن القتل فاصبح من الخاسرين دنياه واخرته لانه استخط والديه وبقي ملعونا الى يوم القيمة ثم بلغني في اثناء رحلتي ما قتل اخاه هربا من ارض اليمن الى عدن فاتاه ابليس وقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فابنِ بيتا وارصد النار وروي ان هابيل قتل هو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء قبل البستر وفي موضع المسجد الاعظم وروي انه لما قتله استوحش وكان يبصر فسلم ادم على اخيه فقال له كنت عليه كلا فقال بل قتلته ولذلك استوحشت له ومكث ادم بعده مائة سنة لم يضحك وانبرى له شعر هو فذا نغبر ابيدا ادم ومن عليها ووجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح قال في الكشاف انما كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وصدقه في التشبيب الكبير قال ولو سلم من غايته الوكاكة بحيث لا يليق بالاحاد نضلا عن الافراد وخصوصا من علم حجة على الملائكة واقول اما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل عدم الوقوع لا يمكن منه وكانه نص خاص نبينا محمد وهذا ان الله علمه بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولا انه من لم يكن له كذا بحيث المذكور وهو مكابرة مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر لمصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به ثم خان عليه السباع فجاء غراب على ظهره سنة حتى تغير بعث الله غرابا يدري الاكثرون انه بعث غرابين فاسلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فتعلم من الغراب قال الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يبحث على المقتول فلما راى القاتل ان الله تعبد كيف يكرم بعد موته ندم وقال ابو مسلم عادة الغراب دفن الاشياء فجاء غراب فدفن شيئا فعلم ذلك صنعه ليريه اي الله او الغراب اي ليعلمه وذلك ان كان سبب يعلمه كيف يواري محل نصب على الحال من ضمير يواري والجملة صفة لغراب في محل نصب لانه مفعول ثان لكي يريه كيفية مواراة سوأة اخيه اي عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل اي جيفة اخيه والسوأة الحالة القبيحة يا ويلتى كلمة عذاب يقال لكل من وقع في بلية ومعناه الدعاء بالاهلاك وقد يقال في معرض الترحم وانما طلب قتال الويل ههنا على سبيل التعجب التنبيه على ان حضور احد ينبغي ان يكون من مظانك واحضر فهذا اوان حضورك والا لعنصد من مثله المتكلم العجز استفهام بطريق الانكار وان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب في الفعلة المذكورة وهذا قال قاري بالنصب على جواب الاستفهام من الناديين من الندم وضع للزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن ندمه توبة لانه انما تعلم الدفن من الغراب فما من الناديين على ان حمله على ظاهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابويه واخوته او ندم لانه تركه بالعراء استحقارا وتهاونا وان كان دون الغراب في الشفقة على مقتوله حتى صار الغراب ليلا وقيل اذا كان الغراب ليلة قوم من اجل ذلك القتيل هو من اجل شرا باجله اجلا ازاحه كتبنا على بني اسرائيل ان كان القاتل المقتول من بني اسرائيل فالمناسب بين الواو فعرو بين وجوب القصاص عليهم ظاهره وان كان بني ادم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما في القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامور المذكورة اي من اجل ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل لا ان التشديد المذكور في الاية وهو ان قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس غير ثابت لان على تقدير ان الغرض بيان فساد رايهم فالمعنى مع علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل ويكون فيه تسلية لرسول الله في الواقعة التي عزموا فيها على قتله ثم القاتلون بالقياس استدلوا بالاية على ان احكام الله ثم قد يكون معللة بالعلل لانه تصرح بان الكتبة معللة بتلك المعاني المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا يقولون انها دالة على ان الاحكام معللة بمصالح العباد ويعلم منه امتناع كونه تعالى فاعلا للكفر والقبائح لان ذلك ليس في مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاكمال والتحقيق ان استيفاء الفعل الغاية التي هي كمال ذاتي وقد سبق مرارا وبغير مقدور هو ان يقع لا على وجه الاقتضاء او تساقال الزجاج انه معطوف على نفس يعني او بغير فساد في الارض كالكفر بعد الايمان وكقطع الطريق وغير من المذكورات فكانما قتل الناس جميعا وههنا نكتة وهي ان التشبيه يستدعي التسوية بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس فلا بد اذا من تاويل وهو ان المراد انه مساو للكل في الغرض استعظام امر القتل العمد العدوان واشتراك القاتلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد فان قتل النفس جرأة على جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل واحد بالاتفاق اذ الكل انسان بدليل ان الكرامة والحرمة بما يدركه الاخر فيلزم تجاذب الناس جميعا وانهماكهم في دفع قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جدهم في دفع من اراد قتلهم باسرهم ومن احياها استنقذها من مهلكة كغرق او حرق او جوع مفرط ونحو ذلك والكلام في تشبيه احياء البعض باحياء الكل كالكلام في القتل ثم ان كثيرا منهم اي من بني اسرائيل بعد ذلك اي بعد مجيء الرسل بالبينات لمسرفون في القتل لا يبالون بهتك حرمته وسفكه ثم الاخبار بالتوبة ثم ان تجاوزهم بين ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استدل بالاية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حملها على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال انا نحمل ههنا المحاربة على مخالفة الامر بالتكليف والتقيد انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين او على العلة اي للفساد او على المصدر الخاص بحذف الزوائد اي كالافساد ضع من يستحق عن قتله او نفيه او ان الاية نزلت في العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله واستاقوا الذود فبعث رسول الله في اثارهم وامر بقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم

وذكرهم خمسة فوافقنا الا ابن ثابت سنة للثلاث السنة وعندنا الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ للثلاث السنة سنة اخرى نزل هذا القرآن مطابقا للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي برزة عن الاسلمي وكان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فمر بهم قوم من كنانة يريدون الاسلام وابو برزة غائب فقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذين حكى الله عنهم انهم مسرفون في القتل وقيل قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول اكثر الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الآية على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض لانه لا يجوز الا قتصاص المرتد على قطع اليد والرجل وكان حده بسقط بالتوبة قبل القدرة عليه وبعدها وكان الصلب غير مشروع في حقه وكان اللفظ عاما وشرطوا في هذا المحارب ان يجب كونه مسلما مكلفا ان يكون معتمدا للقوة في المقاومة مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب كذا المتعذر للفساد وعلى الاستغاثة لمن يغيثه واتفقوا على ان هذه الحالة اذا حصلت في الصحراء كان قاطع الطريق قاما في فضاء البلد فكذلك عند الشافعي لعموم النص وخالف بو حنيفة ومحمد لانه يلحقه الغوث في الغالب فحكم حكم السارق والمعلم في لفظ او في الآية خلاف وعن ابن عباس وزاذان وعن علي بن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد المسيب المحاربة انما للمجاهرة باشهار الامام قتل واشهار قطع الايدي والارجل وان شاء نفى وعنه في رواية عطاء ان الاحكام مختلفة بحسب الجنايات فمن انتصر على القتل قتل ومن قتل واخذ المال قتل وقطعت السرقة قتل وصلب ومن اقتصر على اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم يأخذ المال نفى من الارض وليه ذهب الشافعي والاكثرون والذي يدل على ضعف القول الاول انه ليس للامام الاقتصار على النفي بالاجماع وكان هذا المحارب لم يقتل ولم يأخذ المال فقدهم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر المعاصي فتعين الآية ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان جمعوا بين القتل والاخذ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على الاخذ والتشديد في هذه الافعال للتكثير او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي يؤيد هذا التفسير لان القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ ذلك في قاطع الطريق بالصلب وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطريق من خلاف اي يد اليمنى ورجله اليسرى فان عاد قطعت يده اليسرى ثم رجله اليمنى هكذا ثلاثا يقطع بعد الثالثة يده اليمنى ورجله اليسرى لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في الركوب ان جمعوا بين القتل والاخذ يجمع بين القتل والصلب ان شاء مصلوبا في ثمر الطريق اشهر او اخر وان انفرد واعلى مجرد الاخافة اقتصر الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان يقتل فقط او يقطع ثم يقتل ثم يصلب وعند الشافعي لا بد من صلبه لاجل الردع كيفية الصلب ان يقتل ويصلب عليه ثم يصلب مكفنا ثلثة ايام وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده اي صليبته هو الورك وعند ابي حنيفة يصلب حيا ثم يمزق بطنه برمح حتى يموت ويترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم ان نزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك حتى يتهرى فلا غسل ولا صلوة اما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا واخذوا المال فالامام ان ظفر بهم اقام عليهم الحد وان لم يظفر بهم طلبهم ابدا لانهم خافين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني الذين يحضرون للوقعة ويعينونهم بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما قتلوا ولا اخذوا المال فالامام ياخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا الحبس قال ابو حنيفة واحمد اصحق النفي هو الحبس لان الطرد عن جميع الارض غير ممكن والى بلد اخرى استضرار بالغير والى دار الكفر تعرض للمسلم بالردة فلم يبق الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع بشيء من طيبات الدنيا فكانه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال لبثه اخرج خبيثا من الدنيا وكم من اهلها قد تمتعنا من اموالها وبنيها ولا الاحياء اذا جاءنا السخينا هو مالي احبه عجبا ولما جاء هذا من الدنيا ذليلا كهام خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الاحباط وقال الاشاعرة بل بشرط عدم العفو لا الذين تابوا قال الشافعي ان تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لانه شهر حق يدفع العذاب عنه وفي سائر الحدود بعد القدرة عليه يسقط بالتوبة اظهار الاسلام نحو ظلال السيوف الاصح انه لا بد مع التوبة من اصلاح العمل لقوله تعالى في الزناة فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ولعل الغاية في هذا الشرط انه ان ظهر منها خلاف التوبة اقيم عليه الحد وانما يسقط بتوبة قاطع الطريق قبل القدرة عليه بحكم الفضل فاما لو بقي او بعضه بناء على ان عفوه بتوبة قاطع الطريق لا بمحض حد بل يتعلق بها القصاص وهو الاظهر اما اذا محضناه حدا فلا يبقى عليه ان كان اخذ المال وقتل سقط الصلب وبحكم الفضل في القصاص وحكم المال ناذكرنا وان كان اخذ المال سقط عنه قطع الرجل في قطع اليد وجهان الاظهر السقوط لانهما بنا على انه جزء من الحد الواجب ذا لم يعلم الكل يعلم شيء من اجزائه بالاتفاق والثاني انه ليس من خواص قطع الطريق لانه يجب بالسرقة ففي سقوط الخلاف في نهاية الحدود ثم انه سبحانه لما بين كمال حيازته الهوى على المعاصي وغايته بعدهم عن الوسائل الى الله قال الكلام الى هنا قال ابتداء الى ارشاد المؤمنين لكونه بالقصد منهم بقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وابتغوا فاتهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن ابناء الانبياء وكان افتخارهم باعمال اباءهم فقيل للمؤمنين لكم مفاخر تكم باعمالكم لا باسلافكم فقوله اتقوا الله اشارة الى ترك المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة عبارة عن فعل المامورات وان كان ترك المنهي من جملة الوسائل لان هذا التقسيم هنا سبب لفعل الترك ايهم بعتبر في الاخلاق الفاضلة والذبهم في الاعتقادات الصائبة والخاطر والهاجس يحتمل الترك والفعل يحتمل الخطيئة والصحو او بالنقيض الانبات او بالفناء والاول مشكل على الشافعي فانه لم يقل بفناء الله ولم يزل في البقاء بالله والوسيلة فعيلة وهي كل ما يتوسل به الى المقصود ولهذا قد يتعدى بالتاء توسلا والواسل الراغب الى الله قال لبيد بلى كل ذي لب اليه واسل اي راغب والتوسل والتوسل واحد قال الراجز بصبحن سهبا طامسا اعلامها توسل السير بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل قال الشاعر

انه تعالى امر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يتعلمنا معرفته وأجيب بان الامر بالابتغاء موجه الى الايمان لقوله يا أيها الذين آمنوا فعلمنا ان المراد بها هي العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي اذا كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعو الى خلافه والنفس تدعو الى اللذات الحسية والجمع بينهما كالجمع بين الضدين وهذا تكليف بما لا يطاق والمراد بسبيل الله هو الجهاد وفي سبيل الله والمراد بهذا القول ان يكون العبادة لاجله لا لغرض سواه وهذه مرتبة الشاذ بقين ثم قال لعلكم تفلحون والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب وهذا دال على ان غرضه الترغيب في الجنة والتحذير من النار وكلتا المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة المنافقين بقوله ان الذين كفروا وخبر ان مجموع الجملة الشرطية وهي قوله لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور والواو يجمع مع والعامل في المفعول معه هو المثل ما في ان من معنى الفعل اي لو ثبت هذا المثل يوم القيامة ما تقبل منهم والغرض التهويل بان العذاب لازم لهم وقدر مثله سوى الاول وعن ابن عمر ان الكافر يوم القيامة اربا اربا وكان ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال لقد سئلت ايسر من ذلك بكثير فلما تقدم ان يخرجوا اي يتمنون الخروج من النار اردفه بما يدل على ذلك قبل اذا فهم هيهنا انا نرى في القرآن يتمنون الخروج وقبل يكادون يخرجون منها لقوتها ورفعها انا هم عن المغفرة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه الاشاعرة بالكفار لدلالة الآية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تهديد عباده المختار استحقاق وهو الماخوذ على سبيل الخفية لا المحاربة فقال والسارق والسارقة مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه والاخفش والتقدير فيما فرض او فيما يتلى عليكم السارق والسارقة فاجلدوا او اقطعوا عند الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط كما تدخل في قولك الذي يأتيني فله درهم والتي سرقت فاقطعوا يديهما وقراءة علي بن عمر يا بالنصب فضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا بدليل واما اذا نصبت فانه يكون من باب الاضمار على شريطة التفسير الفاء يكون موقوفا بما قبلها وما بعدها مثل زيدا ضربته فكيف وضعف قول سيبويه بانه طعن في قراءة واطبق عليها رسول الله ومرجح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذي ذهب اليه هو خلاف الاصل والذي مال اليه الفراء اولى على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما كسبا فانه يضعف بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوي في الآية فان كثيرا من الاصوليين زعموا انها مجملة لانه لم تبين نصاب السرقة وذكر الايدي بالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان لبد نقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا بيده فلمسه باصبعه فانه يحنث ويقع على الاصابع من الكف وعلى الاصابع والكف الساعد بل الى المرفقين وعلى كل ذلك الى المنكبين وايضا الخطاب فاقطعوا اما للامام او الزمان كما هو مذهب الاكثرين او لجموع الامة او لطائفة منهم ثبت بهذا الوجوه ان الآية مجملة وقال المحققون مقتضى الآية ولا سيما في تعليق القراء عموم القطع بعموم السرقة الا ان السنة خصصته بالنصاب ويقولون ان اهل اللغة لا يقولون ان اخذ جزء نصاب سارق والمراد بالآية اليدان مثل فقد صنعت فلو بكى او قد انعقد الاجماع على انه لا يجب قطعهما ولا الابتدا بالبسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو الى المنكب لهذا فيده في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهب الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين لظاهر الآية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الآية غامة لكنها خصصت بالاول منفصلة فينبغي حجة في البابين وهذا اولى من جعلها مجملة غير مفيدة اصلا ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى القطع لا يجب الا عند شرط كالنصاب الحرز وخالف ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج منكما بعموم الآية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالتي يستقل الملك باستكثاره الفقير وقد نال الشافعي لو قال الغلاء على مال عظيم ثم فسره للحنة بقبل لاحتمال ان يريد انه عظيم في الحل او عظيم عند الشارع فقره ولما طعنت الحنفية في الشريعة بان اليد كيف يبقى ان يقطع في قليل مع ان فيها منافع عظيمة ثم ان ذلك معفو عنه بان ذلك معفو من الشارع لو علم انه تافه واذا كان هذا الجواب مبنيا على ان الكل فليكن مبنيا على ان القليل والكثير دائم الاختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجيء يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم متعاضدة فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ودعوى الاجماع على ان القطع مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق اما المسروق فمن شرطه عندنا الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص او ما سواه بقوم به وهو مذهب الامامية لما روي انه قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي انه قال لا قطع الا في ثمن المجن ولا شك ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم وقال مالك ربع دينار او ثلثة دراهم وعلى احمد واثنان كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وفي قوله اخذ مرة ابن ادرهم ومنها ان يكون المسروق ملك غير السارق فلو سرق مال نفسه من يد غير كبيد المرتهن والمستاجر او طرأ ملكه على المسروق قبل اخراجه من الحرز بان ورثه السارق او اهبته هو منه سقط القطع ومنها ان يكون محرزا بالكسر وخبزه ومنها ان يكون الملك تاما فتوا والمراد بالتمام ان لا يكون للسارق فيه شركة او حق كالمرتهن المال بالفتوة ان لا يكون ضعيفا كالمستولد له والموقوف منها كون المال خاليا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق دين الدين من مال المديون فاتاخذه لا يقطع لان قضاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد او لا ما ظن قطع وان اخذه لا على قصد استيفاء الحق وهو جاحد او ما ظن فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او من جنس ما اسرقه الدين وجب من مال الاجير وكان المال محرزا عنه فعندنا في جنيفة لا يجب القطع وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا واوا المراح او الجرين فالقطع فيما يبلغ قدر المجن وحرز كل شيء على حسبه فالاصطبل حرز للدواب ان كانت نفيسة وليس حرزا للثياب والنقود والصفة في الدور ومنها حرز ان للاواني وثيابا لبذلة دون الحلي والنقود ان العادة فيها الاخراج في الصنار ونحوها المخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز للمال فهو حرز لكل ما اما السرقة فهي

اخراج المال عن ان يكون محرزا وكذا بدون شرط الحفظ فلا قطع على المختلس والمنتهب لعدم هتك القوة ولا على الموضع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط فيه التكليف لالتزام الاحكام الاجتنابية فيقطع الذمي المعاهد ولا يقطع المكره وانما ثبت السرقة بشهادة رجلين او رجل وامرأتين او بشهادة رجل ويمين المدعي وبالاقرار مرتين ويتعلق بها حكمان الضمان والقطع قال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان لان الشافعي قوله حق على البدل اخذ حتى يؤدي ويجب الضمان وقد اجتمعا وقد اجتمعا في السرقة امر الله عز وجل لانه جمع حق العباد وهذا يجتمع الجزاء والقهر في الصيد المملوك ولو كان المسروق باقيا وجب رده بالاتفاق فيجتمعان قوله جزاء بما كسبا الجزاء هو الكافي في هذا القطع كاف في جناية السرقة ورد يلزم رد المسروق عند كونه قائما اتفاقيا القطع فقط وروي عنه ان بدأ بالقطع فقطع يمينه قال للسارق فان سرق ثانيا فاقطع رجله اليسرى فان سرق ثالثا فاقطع رجله اليمنى وبه قال مالك وزفر وذلك على التخيير وعند ابي حنيفة واحمد لا يقطع في الثانية وما بعدها لما روي عن ابن مسعود انه قرأ فاقطعوا ايمانهما وضعف الشافعي بان القراءة الشاذة لا تعارض ظاهر القرآن المفيد لنكرار القطع بتكرار السرقة واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم والتسبب لهلاك النفس كالمباشرة لعموم قوله فاقطعوا ولم يجوز ابو حنيفة واحتج المتكلمون بالآية انه يجب على الامة نصب امام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا كان التكليف هو واجب وانتصاب جزاء ونكالا على انه مفعول لهما والعامل اقطعوا وان شئت بعلى المحذوف الذي دل عليه فاقطعوا قوله جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن تاب من السارقين بعد ظلمه اي سرقته واصلح اي بتوبة صالحة وغيرها صحيحة حتما لبنه عن الاغراض الفاسدة فان الله يتوب عليه وعند بعض الائمة يسقط العقوبة به وعند الجمهور لا يسقط وتاب في الاثناء فذكر بعضهم واختاروا تقدم التعذيب على المغفرة طبقا للنقل السرقة على التوبة التأويل ان ادم الروح بازدواجه مع حوا القالب لذا قبل النفس توامته قلبا الهوى وهم قبيل القلب توامته البوذا العقل لكان الهوى في غاية الحسن في نظر النفس فيميل اليه الذنبا ولذا غما وكان في نظر العقل بضد ذلك في غاية الحسن فيه يميل الى طلب المولى وكان العقل في نظر النفس في غاية القبح لانها به تخرج عن طلب الدنيا وكذا في نظر القلب لانه تارة بالعقل يمنع عن طلب الحق والفناء في الله ولهذا قيل العقل عقلة المرتجل لعزم الله تعالى الازدواج بين التوامين كان الهوى اذا كان قرين النفس انزلها اسفل سافلين الطبيعة واذا كان قرين القلب كان عشقا فيوصله الى اعلى فراديس القرب واذا كان العقل قرين القلب صار عقلا لالهيا واذا كان قرين النفس حرضها على العبودية فرضها قبيل القلب وسخط قبيل النفس وكان صاحب ضع اي مدبر العقل الناقص وهي القوة النباتية فغرب طعاما من رعاه نذعة هي القوة الطبيعية وكان قبيل القلب عبا الموائي الاخلاق الانسانية والصفات المحمودة بنه فغرب نصفه البهيمة وهي اجل الصفات البهيمية لاحتياجها لها لضرورة التعدي والبقاء وسلامتها بالتبعية لا الصفات السبعية والشيطانية فوقعا فزرنا نصفه على جبل البشرية ثم منها ادم الروح فزرقت نار المحبة من سماء الجبروت فحملت الصفة البهيمية كما حطب فيها النار ولم تاكل من قربان قابيل النفس شيئا لانها البست من طينها بل هي حطب نار المحبوبية فتبوئها بمجاورتك اي اتم وجودي واتم وجودك فان لم يوجد عجاب بعضهم بين محبوبي فضل قابيل النفس هابيل القلب والنفس اعدة القلب فاصبح من الخاسرين اما في الدنيا فبالحرمان عن الواردات والكشوف واما في الاخرة فبالبعد عن جناب الوصول فبعث الله غرابا هو الحرص الدنيا ليشتغل بذلك عن عقلها وفي تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العباد باي طريق شاء فيزول بعجز الملائكة والرسل باختصاصهم بتعليم الخاص في الارض يسيرون اي في ارض البشرية انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض الفرار والابتلاف فان الذين يحبون الهجران على جزع الحرمان او تقطع ايديهم عن اذيال الوصال وارجلهم عن الخلاف او ينفوا من ارض الفرار والابتلاف فان الذين يحبون انفوا الله فعل الفلاح الحقيقي واربعة اشياء في الايمان وهو اضاءة نور شاش التوحيد ونبذ الخلقة وبه يخلص العبد من ظلمة الكفر وفي النفوس وهو الاخلاق المرضية وضبع الاعمال الشرعية وبه الخلاص عن ظلمة المعاصي وفي ابتغاء الوسيلة وهو فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية وبه يخلص من ظلمة اوصاف الوجود وفي الجهاد في سبيله وهو محو الانانية في اثبات الهوية وبه يخلص من ظلمة اوصاف الوجود ونظر شهود ما هم فيه بان يمنعهم الانانية خلعوا مظاهر الغير اكسائين والشارف كانا مقطوعي الاثداء عن بلوغ شاش النور فكان نطاقا بينهما اليوم الى اسنا السفلى ومن نتائج مقعوا بدبهما من بقول تلك السعادة جزاء بما كسبا الان في عالم الصفوف تكالا من الله فليتبع منه في الازل

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
اي پيغمبر اندوهناك مكرداند تورا انهائي كه مي شتابند در كفر از انهائي كه گفتند بزبانهاي خود ايمان آورديم بدهان
قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم اخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه
ولهاشان واز گروهي كه يهود شدند شنوندگانند انديشه دروغ را شنوندگانند مر گروهي ديگر را كه نيامدند تورا تغيير ميدهند كلمها را از پس مواضع ان
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
ميگويند اگر داده شديد اين را پس بگيريد اين را واگر داده نشديد پس حذر كنيد و هر كه بخواهد خدا فتنه او را پس مالك نشوي از براي او از خدا چيزي
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب عظيم
آنانند كه نخواسته است خدا كه پاك گرداند دلهاشان را مر انهارا در دنيا رسوائي و مر انهارا در آخرت عذابي بزرگ
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم فلن يضروك شيئا
شنوندگان مر دروغ را خورندگان مر حرام را پس اگر آيند تورا پس حكم كن ميان ايشان يا روي گردان از ايشان پس هرگز زيان نكنند تورا چيزي

وان حكمت

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا
واگر حکم کردی پس حکم کن میان ایشان بعدالت بدرستی که خدا دوست دارد عادلان را وچگونه داور میگیرند ترا و حال آنکه نزد ایشان است توریة که در آنست
حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى
حکم خدا پس روگردان میشوند از پس این و نیستند ایشان گروندگان بدرستیکه فرستادیم توریة را که در آنست راستی
وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
و روشنی که حکم کنند بآن پیغمبران آنان که اسلام آوردند مرایشانرا که جهودشدند و خداشناسان و دانشمندان بآنچه باز خواسته شدند
مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا
از کتاب خدا و بودند بر آن گواهان پس مترسید مردمرا و بترسید مرا و مخرید بآیات من بهای
وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ
و هرکه حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آنگروه ایشانند کافران و نوشتیم بر ایشان در آن که نفس بنفس و چشم
بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ
بچشم و بینی بینی و گوش بگوش و دندان بدندان و زخمها را قصاص است پس هرکه صدقه دهد آنرا پس آن کفارة
لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا
مر او را و هرکه حکم نکند بآنچه فرستاد خدا پس آنگروه ایشانند ستمکاران و از عقب در آوردیم ایشانرا بعیسی پسر مریم تصدیق کننده
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى
مر آنرا که در پیش او بود از توریة و دادیم او را انجیل که در او راستی و روشنی و تصدیق کننده مر آنرا که در پیش او بود از توریة و رستی
وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ
و پند ازبرای پرهیزکاران و باید که حکم کنند اهل انجیل بآنچه فرستاد خدا در آن و هرکه حکم نکند بآنچه فرستاد
اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ القراءة السبعة بضم ياء يحكم ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد عن البانون بسكون العين
خدا پس آنگروه ایشانند فاسقان
والباقون بالنصب وقرأ ابن سهل ويعقوب عن ابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسقط الياء في الوصل والعين وما بعده بالرفع على واو ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد في والجروح بالرفع والأذن وبابه بسكون العين نافع ولنحكم بالنصب حمزة
البانون بالجزم الوقف فلو تم اي من الذين هادوا وقوم سماعون وان سئت عطفت من الذين هادوا على من الذين قالوا امنا ووقف على اميانهم واستانف بقوله سماعون واجعل الآيتين والاول اجود لان التحريف محكي عنهم وهو مختص بالجهود اخبر ان كان ما بعده صفتهم لهم لم يقولوا صفة
لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف فاحذر شيئا فلو تم سبظم للمستحل لان المشروط غير مخصوص بما يليه اعرض بنبيهم شيئا بالقسط للمقسطين فذلك
تناهي الاستفهام بالمؤمنين ونور لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف شهداء لاختلاف النظم مع فاء التعقيب فلا الكافرون بالنفس لمن قرأ
والعين وما بعده بالرفع بالسنن لمن قرأ والجروح بالرفع قصاص لابتداء الشرط كفارة له الظالمون من النوتمه الاولى لطول الكلام ونور لان الحال بعد
معطوف على محل الجملة قبل الواقعة حالا للمتقين لمن قرأ وليحكم بالنصب فاسقون للتفسير خاطب محمدا ﷺ بقوله اليك في مواضع وخاطب بقوله يا ايها
الرسول الاههنا وفي قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ولانك نخاطب بشريف وتعظيم شريف في هذه السورة التي هي اخر السور نزولا
حيث تخففت سائلة في الواضح اقاويل لنظم فهو انه لما بين بعض النكاية في الشارع وكان قد علم مساءة بعض الناس في الكفر فلم يجزم
رسول الله ﷺ على نحل ذلك ووعده ان ينصره عليهم ويكبت شرهم والمراد بمساءتهم في الكفر ها فيهم وحرصهم عليه حتى اذا وجدوا فرصة هم يخطوها
امنا بافواههم مبتدئين واخبرهم قالوا بافواههم امنا سماعون للكذب يقبلون لما يفتعلونه احبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن
في نبوة محمد ﷺ من قولك الملك يسمع كلام فلان اي يقبله سماعون لقوم اخرين لم ياتوك اي قابلون من الاحبار والذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة
البغضاء وافراط العدوان ويحتمل ان يراد نفس استماع واللام في الكذب لام التعليل اي يسمعون كلامك لكي يكذبوا عليك يحرفون الكلم مبتدئين وغير ستاعون
لاجل قوم اخرين وجمتوهم عيونا وجواسيس من بعد قوا ضعيه اي لقوم وضعها الله فيها من امكنة الحلو والحظ والفرض والندب عن مراتبها ومن يجوز
التهيب في النظم يتمها وقفا بغير مواضع بعدان كانت ذاموا ضع ان اوبلتم هذا الحرف الزال عن موضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعلموا ان لم تؤتوه
وانتم محمدة بخلافه فاحذروا وانهوا الباطل عن الدخل بن خاذب قال عمر على المنبر سمعوا محمدا يحلوا فقال هكذا يجدون حد الزاني في كتابكم فقالوا نعم
بعلماء من علمائهم فقال لهم انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا يجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني لم اخبرك نجد حد الزاني
في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع
فاجتمعنا على التجبيم والجلد مكان فقال رسول الله ﷺ اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله الا ترى الى قوله ان اوتيتم هذا فخذوه

ايتوا محمدا فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا فوقع اختلافهم ان شرفيا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا وفدا منهم الى بني قريظة ليسئلوا رسول الله ﷺ عن ذلك فقالوا ان امركم محمد ﷺ بالجلد التحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الى ابنيين معلم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال لهم جبريل ﷺ اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن تدارك فقال لهم ابن صوريا فقالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض وصوفوا حكما فقال لهم رسول الله ﷺ انشدكم الله الا الاهو الله فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق ال فرعون والله انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم قال رسول الله ﷺ عن شيء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي الذي تجده الملعونون وامر رسول الله ﷺ بالزانيين فرجما عند بابه مسجده قال العلماء الفاتلون برجم المحصن كلهم ومنهم الشافعي ان كان الامر برجم المثيب لذنب من الرسول ﷺ فهو المقصود وان كان ما ثبت في شريعة موسى ﷺ فالاصل بقاؤه الى ان يظهر النسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه وبهذا الطريق جمع العلماء على ان قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس حكم في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الايهام ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلاله فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى لا يريد باسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل لامن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد ومن يرد الله اختياره فيما يتبلبه من التكاليف ثم انه بين كفرهم ولا يهوم بالمائدة فلن تملك له من الله شيئا ولا تنفعه ثم قال اولئك الذين لم يرد الله ان يتعبد قلوبهم بالالطاف لا تعلم انه لا فائدة في تلك الالطاف كما لا تنفع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج الغم والوحشة الدالة على كفر او هو استعارة عن سقوط وضعه عند الله تعالى وانه غير ملتفت اليه بسبب ما فعلوا وسواء على انه تعالى وصفهم بهذه الامور او اخبر عنهم بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه سحت اي استاصله لانه مسحوت البركة ومال مسحوت اي مذهوب الا للبث السحت حرام يحصل منه العار وذلك انه يجحف بقبيلة الانسان ويستاصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يبقي الاخا ابدا كانه يستاصل كل ما يصل اليه من الطعام والسحت الرشوة في الحكم ومهر البغي وحلوان الكاهن وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن من الاستكساب في المعصية روي ذلك عن علي وعمر وعثمان وابن عباس وابي هريرة ومجاهد وقد يعضهم ونقض بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار يجب بخفيه صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه وكان يسمع الكذب ياكل السحت فلما كان نفر منهم يا خذون من اغنيائهم ما لا يعفيهم عما هم عليه من اليهودية فكانوا يسمعون الكذب ويا كلون السحت وقيل انما عوا للاكاذيب التي كانوا يسنونها الى التوراة اكالون للربوا قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خيره الله بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا الخبر مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امم خاص وهو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري وقيل في قبيل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف كانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف دية فحكموا الى النبي ﷺ فجعل الدية سواء وعن النخعي والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الاية عامة في كل من جاء من الكفار وان الحكم ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن عباس والحسن ومجاهد عكرمة وهو مذهب الشافعي ان هذا التخيير منسوخ في حق غير المعاهد بقوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وجب على حكام المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في اعراضه حكم الاسلام عليهم صغارا لهم واهل الحجاز يضعهم لا يرون اقامة الحد عليهم ويهربون الى امهم فلا صولحوا على شرط وهو اعظم من الحد ويقولون ان النبي ﷺ رجم اليهوديين قيل نزول الجزية انهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب السهل والاخف كالجلد وكان الرجم فاذا اعرض عنهم والى الحكومة بينهم شق عليهم وعاندوه فانه تعالى بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الاحيط كما حكم في الرجم وكيف يحكمونك يعجب رسول الله ﷺ من تحكيمهم لوجوه منها علمهم عن حكم كتابهم ومنها رؤيتهم الحكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة وهذا الواو في قوله وعندهم للحال ومن الحكيم والعطف على ما في الاستفهام من التعجيب ثم قوله فيها حكم الله فاما ان ينتصب حالا من التوراة على ضعف هي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها والتقدير وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر واما ان لا يكون لها محل ويكون جملة مبتدئة لان عندهم ما يغنيهم عن تحكيمك كقولك عندك زيد يضحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بعده وانت ثم التولي من بعد ما فيها من صون ثناء الثاني يتولون عطف على يحكمونك ثم لتراخي الزمان اي ثم تعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبار انهم لا يؤمنون ابدا او المراد انهم غير موصوفين بكتابهم كما يدعون والمراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغب اليهود فان يكونوا كمتقدميهم من ابنائهم ومسلمي احبارهم فقال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور العطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الاحكام والشرائع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقال الزجاج الهدى بيان الحكم الذي احتاجوا واستفتوا فيه والنور بيان ان امر النبي حق وقيل فيها هدى لهدى والعدل نور يبين ما التبس من الاحكام فيهما عبادان عن معبر واحد فلا يستدل بالاية على ان شرع من قبلنا بل من الان الهدى والنور لا بد ان يكون واحدهما بمعنى بالفرع والاخر بالاصول

والاكاذيب

والا كان تكرارا وايضا انها نزلت في اليهود والانبياء لا يبدلان يكون داخلا فيها سواء قلنا ان عزير داخل او خارج يمكن ان يجاب بان النكرة يعاد بها عين المحدود وبان في الكلام تقديما وتاخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا والحكم بها النبيون اما قوله للذين اسلموا فاورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة في هذا الوصف ليجعل بيانا صفة جاء به على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه تعريض باليهود انهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء فدينهم اذن ليس كذلك وايضا غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ارضاء الحكم بالتوراة اخذ الرشى من العوام فالغرضان متباينان ولهذا اورد فيه قوله للذين هادوا اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف قوله تعالى الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان المراد بهم من اسلم عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان يكون مغايرا لصفة المحكوم بهم ولقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لم لا يكفي مغايرة العام للخاص قال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والمراد بالنبيين هو محمد ﷺ كقوله ان ابراهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كانت مفرقة في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا والحكم التوراة من الانبياء من لم يكن شرعه شرع موسى فالتوراة ليست تفاصيل احكامه فلم يقض في العمران والاحبار عن ابن عباس هم الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسير اذا كان جميلا حسن الهيئة او حبر بالكسر من ذلك ايضا لقولهم حسن الحبر بالكسر ايضا وفي الحديث يخرج رجل من امتي فتذهب حبرة وسبرة اي جمالة وبهاؤه ويحبر الخط والشعر تحسينه او من هذا الحبر الذي يكتب به كان العالم صاحب كتب قاله الفراء والكسائي وابو عبيدة ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل على انهم اعلى حالا من الاحبار فينبغي ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كالحافظين للعلم وقوله بما استحفظوا اما ان يكون من صلة يحكم بها الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا اياه من كتاب الله للنبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء ان يحفظوا كتابه من وجهين احدهما ان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه لانهم لو اشرعوا كانوا اي هؤلاء النبيون والربانيون والاحبار عليه على ان كل ما جاء في التوراة حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل او يحتمل ان يعود ضمير استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود والمعاصرين عن التحريف فيه بقوله فلا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير في غيبته فقال ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا او هو الرشوة واتباع الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتج الخوارج بالآية على ان كل من عصى الله فهو كافر والمعتزلة في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود وردوا بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظ من معرض الشرط للعموم فلا وجه لتخصيصه ومن لم يحكم من هؤلاء المذكورين لليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء هو كفر دون كفر قال طاوس ليس بكفر الملة ولا كمن يكفر بالله واليوم الآخر فلعلهما اذا اراد كفران النعمة وضعف بان الكافر اذا اطلق ويدبر الكافر في الدين وقال ابن الانباري المراد انه بعض اهل الكفر لانه يقال فعلا من فعل الكافر ذنبا بانه عدو لله وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني معناه من اتى بضد حكم الله تعالى في كلامه انزل يخرج الفاسق لانه في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا واعترض بان سبب النزول يخرج عن ان يكون مرادا لانه نزل في اليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال الحرف داخل في الكلام تاكيدا لعكس ما بينا ولان الآية من انكر بقلبه وجحد بلسانه انما العارف والمقر فاما العامل بما انزل الله تعالى ولكنه تارك فلا يدخل الآية ثم انه سبحانه لما بين الحكم الزاني المحصن في التوراة هو الرجم واليهود عندهم اقرار ان بينات التوراة هو نفس النفس بالنفس وانهم بدلوه وحكموا بخلافه نبه النبي على نبي قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرأ المعطوف فانه كلها بالنصب فظاهر ومن قرأ ما سوى الاول بالرفع فللعطف على محل النصب لان المعنى وكتبنا عليهم في التوراة النفس بالنفس ما الاجواء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله ونحمده وقرأ ان سوى ان انزلناه واما على سبيل الاستيناف والمعنى على جميع القادير فرضنا عليهم فيها ان النفس مقتولة اذا قتلها بغير حق والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اي مقاصة وهذا انهم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والقدمين فمن الجراحات المضبوطة كالموضحة مثلا دون الى توضح العظم وبدئ وضحه وهو الصفو والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر والبطش فاما اذا لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر عظم وخدش وافاد في جلد ففي ذلك دشار وحكومة وتفاصيلها في كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له الضمير في به يعود الى القصاص وفي هو الى التصدق الدال عليه الفعل وفيه وجهان احدهما انه يعود الى العافي المتصدق بما روي عبادة بن الصامت ان رسول الله ﷺ قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن عمرو بهم عنه بقدر ما تصدق به والثاني انه يعود الى الجاني المعفو عنه اي كان اخذ الله تعالى المعفو عنه ذلك العفو واما العافي فاجره على الله تعالى وقفينا على آثارهم اي على آثار النبيين بعيسى مرحى عقبناهم به بعد نبينا المفعول الثاني بآثارهم ونونه على آثارهم لسد مسد الاول كانه اذا قفى على اثره فقد قفى ببراثاه مصدقا لما بين يديه اي مقررا لنبوته كائنا من التوراة كائن حقا ولاجل ما بين يديه دون ما سخه وهو الاجيل المصدق به لكونه مبشرا به مخبرا كالتوراة اما النور فبيان الاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف وهذا الاول صوان الذي بانان كالتوحيد والنبوة والمعاد وهذا الثاني انشئنا على اللبس بجيء محمد لان ذلك سبب هذا والناس لما نبوته وانشانا لا يجعل على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهرة خص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون بذلك ومن قرأ وليحكم بالجزم فالغيا وعما قبل لهم في ذلك الوقت من الحكم بما انفقه الاجيل اي فلما لهم ليحكموا بما فيه واما امر صنا نف للقضاري بالحكم بما في كتابهم من الدلالة على نبوة محمد ﷺ او لما لم يقرءوا منسوخا بالقرآن ومن قرأ بالنصب فلانه علة فعل محذوف بدل عليه ما تقدم اي لاجل حكمهم بما فيه انشانا هم كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى وموعظة بتقدير عرضين معطوفين للحكم والله اعلم اما قوله الكافرون الظالمون الفاسقون فللمفسرين فيه خلاف قال

الافعال وكفولك من اطاع الله فهو المؤمن ومن اطاع الله فهو المتقي لان كل ذلك اوصاف مختلفة لها صلة الموصوف واحد فهذه كلها نازلة في الكفار وقال اخرون الازلية الجاحدة والثانية والثالثة في المقر الذي تارك وقال الاصم الاولى الثانية في اليهود والثالثة النصارى لانهم بدلوا ما عوتبوا عليه من الكذب والشتم والنفض فهو اجمالها ستماعون ليقوم اخرين لم يستوفوا السنة السيئة لغيرهم يحرفون يغيرون فوائد بين الشريعة بطوعها الطبيعة وفاؤه هاهنا على القرآن والاخبار على وفق اهوائهم سماعون يقبلون كالوقون للسحت كالاخلاق الرديئة تهم لاعمال الدنيا فالاخلاق نتائج الاعمال والاعمال نتائج الاستعداد الفطري فان جاؤك فاحكم بينهم مخيرا وبالزامهم ان رابك لتداوي سببا السفهاء اهم واعرض عنهم ان يفتنوك عوا الشفاء لشفائهم فان حكمت فاحكم بينهم بالقسط لاوهم على ما يستحقون من ذمهم بما استحفظوا من كتاب الله الغرني بين بني اسرائيل وبين هذه الامة ان احرانهم استحفظوا التوراة فضيعوها وحرفوها وقالوا حفظنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم كما كان في اهلاك النفس هلاك النفس المهلك ففي احيا نفس احيا الناس جميعا وفي صفح عين فليرد انف فليرد اذن فليرد سن فليرد معالجة هذه الاعضاء مرتبا لادراك من تصدق فهو بدلا الاحياء هو كفارة له فيما فرط من احيا نفسه معالجة فليرد طرفه عين ومن لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تركيبها وتحليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله اعلم

وفرستاديم بسوى تو كتاب را براستى تصديق كننده مر از كه پيش از او بود از كتاب

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا

وگواهي ست بران پس حكم كن ميان ايشان بانچه فرستاد خدا و پيروي مكن هواهاي ايشان را از انچه آمد ترا از حق از براي هر يك قرار داديم

مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا

از شما راه روشن و راهي واكر خواهد خدا هر آينه بكرداند شما را كروهي يكانه ولكن تا بيازمايد شما را در انچه داد شما پس پيشي كنيد

الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

خوبيها را بسوى خداست بازكشت شما همه پس خبر دهد شما را بانچه بوديد كه در ان اختلاف ميكنيد وانكه داوري كن ميان اهل كتاب بانچه فرستاد خدا

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ

وپيروي مكن هواهاي ايشان را وبترس از ايشان كه مفتون كنند ترا از بعضي انچه فرستاد خدا بسوى تو پس اكر روكردانند پس بدان كه ميخواهد خدا

أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ

كه بمصيبت افكند ايشان را ببعض از كناهان ايشان ومدرستي كه بسياري از مردمان هر آينه فاسقانند پس حكم زمان جاهليت را خواهش دارند وكيست

أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ

خوبتر از خدا داوري براي كروهي را كه يقين دارند اي زمره انهائي كه كرويده ايد مكيريد يهود ونصاري را دوستان بعضي ازايشان

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

دوستان بعضي اند وهر كه دوستكيرد انهارا از شما پس هر آينه از انهاست مدرستي كه خدا راهنمايي نكند كروه ستمكاران را پس ميبيني انهارا كه در دلهاشان

مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا

ناخوشي ست ميشتابند در ايشان ميكويند كه نميترسيم كه فرو كيرد ما را كردش روزكار پس اميد هست كه خدا بيارد كشايش يا فرمانى از نزد خود پس صبح كنند

عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ

بر انچه پنهان داشتند در نفسهاي خود پشيمانان ومكويند انان كه كرويدند ايا اينانند انها كه سوكند خوردند بخدا بسختي سوكندهاي خود

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ

بدرستي كه انها هر آينه باشما باطل شد كردارهاشان پس صبح كردند زيان كاران اي زمره انهائي كه كرويده ايد هر كه بكردد از شما از دين خود

فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ

پس زود باشد كه بيارد خدا كروهي را كه دوستدارد ايشان را ودوستدارند وي فروتنان بر مومنان وباهيبتان بر كافران كوشش كنند

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ

در راه خدا وترسند از ملامت ملامت كنان اين بهره خداست كه ميدهد انرا هر كه ميخواهد وخدا محيط

عَلِيمٌ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ

دانست مرايشان را كه ميست دوست شما خداست وپيغمبر او واناني كه كرويدند انهاكه بر پاي دارند نماز را ودهند زكوة را الذين

وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ يَا أَيُّهَا

وايشان ركوع كنندكانند وهر كه دوستي كند بخدا ورسول او واناكه كرويدند پس بدرستي كه لشكر خداي انهايند غالبان اي زمره

الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ

مرمنان مكيريد انهارا كه فراكرفتند دين شما را بازيچه وبازي كه از انها كه داده شده اند كتاب را از پيش شما

الكفار

المائدة

وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا

وكافرانرا دوستان وبرنگيريد خدايرا اگر هستيد مؤمن وچون صلا زنيد مسوى نماز فراگرفتند ايرا

هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ القراء تنبعون بناء الخطاب بن عامر والجزري غير هبيرة الباقون بالياء

ريشخند وبازيچه اين بجهت است كه انكار ميكنند كه ادراك نكنند ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو وسهل

ويعقوب بالنصب عباس مخبر الباقون يقول بدون واو والعطف من يرتد بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام والكفار بالجر ابو عمرو

وسهل ويعقوب وعلى الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا قرأ ابو عمرو وعلى غير ابن ثابت وابي حمدون ومحمد وهبيرة وابن رستم الطبري عن بعضهم وان

مهران بالاماله الوقوف بالحق ومنهاجا الخليل يختلفون لعطف وان احكم على ما قبله ومن وقف فلانه راس اية انزل الله البلخي تولهم لفاسقون يتولون

اولياء البلزمي التمني عن الخان الاولياء مطر اولياء بعض منهم الظالمين زائدة كلمات المعول تاديتم من قرا ويقول بالنصب عطفا على ان ابى جدا بانهم

لان قولهم انهم جوابا لقسم لعكم خاسرين يحبونه لان ما بعده صفة قوم الكافرين لشبه لانه لانهم من بناء علم لا كعون العالمون اولياء للعطف

ولطول الكلام مؤمنين لعبا لا يعقلون التفسير من الله ثم على نبيناء ما نزل القرآن اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه هو كل كتاب سوى

القرآن نازل من السماء وفي الهمهمين قولان قال الخليل وابو عبيدة هم على النبي عليهم ان كان وقيبا على النبي وشاهدا ومصدقا وقال الجوهري

اصله امن بهمزتين قلبت الثانية ياء لكراهة اجتماع الهمزتين ثم الاولى هاء كما في هرقت وهياك والمعنى انزلنا اليك من على الكتب التي قبله لانه لا يبنى البتة ولا يحرف

قوله وانا له لحافظون وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو مؤتمن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل والله يهيمن عليه الله عز وجل كما قلنا او الحفاظ

في كل بلد القراء المشهور لهم بالاجازة فاحكم بينهم بين اليهود بالقرآن ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق وقرئ لا تتبع مضى لا تحزن قبل لو لا

جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي الجواب قد ذكر مقدر لم ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل جعلنا منكم ايها الناس

او لامم امة موسى وامة عيسى وامة محمد فالمقام ذكر الثلاثة شرعة وشريعة قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الاباب اذا شققته وسميت مورد الناس شريعة

الشرع في الشيء الدخول فيه والشرعة للهيئة بمعنى الشريعة فعلة بمعنى مفعولة وهي الامور التي اوجبها الله ثم على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق

الواضح وقيل هما بمعنى واحد وهو الدين والتكرير للتاكيد يحتمل ان يقال الشريعة غاية والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذه بناؤها على

الطريقة وقال البلخي بدا الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة ضفة على شريعة واحدة او دين امة واحدا اي يامر

واحدا خلافا لغيره وفيه دليل على ان الكل بمشيئة الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشيئة الالجاء ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين مختلفين ليبلغكم امتحانكم

المحبر هل تعملون بالتوامس الالهية وتدعون للعفاة بالحق لم تقصرن في العمل وتتبعون الشبهة لذلك قال فاستبقوا الخيرات ما دعوا اليها او

تسابقوا اليها وبعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات المحقق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم

فيجزيكم بها الاستئناف معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل المقصر والمراد ان الامر سيؤول الى ما يحصل معه لبعض من مجازاة المحسن باحسانه

والمسيء باساءته وانا حكم قيل معطوف على الكتاب اي انزلنا اليك القرآن احكم على اتباع المصدر به وصلت الامر انه فعل كسائر الافعال او على قوله بالحق

اي انزلناه بالحق وبان احكم وقيل يحتمل ان يكون نفسه وفعل الامر محذوف اي وامرناك ان احكم وتكرار الامر بالحكم اما للتاكيد او لانهما احكام

لانهم احتكموا اليه في زنا المحصنين ثم احتكموا في قتل كان بينهم ونعم بعض الائمة ان هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض وعن ابن عباس

ان جماعة من اليهود منهم كعب اسيد عبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا

يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم

ونحن نؤمن بك وتصدقك فابى ذلك فانزل الله فيهم واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل

اشتمال من مفعول احذروا والمراد بالفتنة ردة الى اهوائهم فكان من صرف من الحق الى الباطل فقد فتن قال بعض اهل العلم في الاية دليل على ان الخطاء

والتثبت جائزان على النبي لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطاء والتثبت فلو لم يكونا جائزين لم يكن لهذا فائدة فان تولوا عن الحكم

المنزل اي فان لم يقبلوا حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم الا صابة قد تكون بمعنى الارادة فالمراد بهما فتلهم واجلاؤهم واما ذكر بعض الذنوب فلان

مجازاتهم ببعض الذنوب كافية في اهلاكهم وتدميرهم او اراد بالبعض نبذا لتولي عن حكم الله وفيه ان لهم ذنوبا اخر ان هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد

تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه انما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام وكانه قال نفسا كبيرة لان التنكير قد يفيد

ايقاع الفاسقون لتمردون في الكفر وفيه ان التولي عن حكم الله سوء موكد جدا ثم استفهم منكرا لما رامهم فقال افحكم الجاهلية يتبغون وفيه تعيير لليهود

بانهم اهل كتاب علم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال قائل ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان

يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين الفئتين فقال رسول الله الفضل بواء اي سواء فقال بوا النضير بحق لا نرضى بذلك فنزلت وفي الحسن هو عام

في كل من يبتغي غير حكم الله ورسوله طاوس عن ابن عباس ان رجلا بفضل بعض ولده على بعض فقال هذه الا بنة واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك

با الاجازة د

اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعرفون انه لا احد اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا قال عطية العوفى جاء عبادة بن الصامت فقال يا رسول الله ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرء الى الله والى رسوله من ولايتهم واتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى دعنى اخاف الدوائر لا ابرء من ولاية اليهود فقال رسول الله يا ابا الحباب ما نجا منهم من هو اهل ولايته عليهم عبادة بن الصامت وقال ذلك فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء الآيات ثم علل النهى بقوله بعضهم اولياء بعض لان بعضهم على الضم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمهم ولذلك قال ابن عباس برئ بانه كافر مثلهم ومنه من التغليظ وانتصب ما بعده انا لا يهدى القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة فوضعوا الولاء فى غير موضعه عن ابى موسى الاشعرى قال قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه كاتبا نصرانيا فقال مالك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الآية قلت له دينه ولى كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ ذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا قوام بالبصرة الا به قال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا فاصنعه الان فرأى الذين فى قلوبهم مرض يعنى مثل عبد الله بن ابى يبتادرون فى موالاة اليهود والنصارى يخافون ان يصيب احدا منهم دائرة من دوائر الدهر فيضاعوا ويهزموا كما انهزم بنو قينقاع ونضارى نجران كانوا اهل ثروة وكانوا يعينونهم على ما هم بصدده فيقولون نخشى ان لا نصيب منهم فى الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدى هى الدولة ومثلها صرنا لزمان ونوائبه قال ابن جبير فتح الله ان الامر محمد بعد الامر كما كان قبل ذلك ثم تسلى رسوله والمؤمنين بقوله فعسى الله ان يأتى بالفتح او امر من عنده فعسى من الله كلمة اطماع وايجاب ففتح الله عليهم مكة او مطلق دولة الاسلام وغلبته وقهره وقوله او امر من عنده المراد به ما يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب فى قلوب بنى النضير وعزمهم على الكف وقيل هو ان يوبر البتة باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم من النفاق والشك ان امر الرسول تم نادمين ويقول الذين آمنوا قال ابو واهيمنا كاتبا بما فالهمزة جاءت فى مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفى مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان فى الجملة المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فان قولهم هؤلاء استئناف الى الذين يسارعون فلما حصل فى كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن لوجهين وجه العطف مع التباين ظاهر ووجه ذلك مع الرتق على انه كلام مبتدأ اى يقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت ووجه الفصل هو ان يكون جوابا لسؤال فانا نقول المؤمنون حين رأوا نفاق هذا القول فيما بينهم تعجبوا من حالهم وفرحوا ان الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص او يقولونه للهيود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اى باغلاظ الايمان نصب على الحال يجتهدون جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول الله تعالى او من جملة قول المؤمنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها ويتعبون انفسهم فيها فاصبحوا خاسرين حيث بقى عليهم تبعة العمل فى الدنيا والعذاب فى العقبى من يرتد منكم عن دينه اى من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى يأتى بقوم آخرين يصرفون هذا الذين على ابلغ الوجوه وقال الحسن علم الله تعالى ان قوما يرجعون الى الاسلام بعد هوى نبيهم فاخبرهم انه سيأتى بقوم يحبهم ويحبونه فيكون الارتداد من غيرهم فى الغيب فوقع فيكون مخبره كما اخبر فى الكشاف ان اهل الردة كانوا احد عشر فريقا ثلثة فى عهد رسول الله بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار الاسود العنسى كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله فكتب رسول الله الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يد فيروز الديلمى وقتله ليلة قتل رسول الله وبشر المسلمون وبعض رسول الله من الغد وانى خبره فى آخر شهر ربيع الاول بنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجابه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فمات مسيلمة فى زمن ابى بكر بجنود المسلمين وقتل على يد وحشى قاتل حمزة كان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس فى الاسلام ارجو ان يجعلنى الله كفارتهما واسلم بنو اسد قوم طليحة بن خويلد بزعامته بعث له رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عمر له بكر فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل بن هوازن قوم مالك بن نويرة وبعض بنى تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب كندة قوم الاشعث بن قيس بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد مناة بن ذهل بن شيبان قتله ابو بكر وكفى الله امرهم على يديه وفرقهم واحدة فى عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كانوا بطوس فلما بويع لابى بكر ارتد جبلة وقال كنا نأنف ان يلينا على بن عمر فرأى جلادا جارا فلطمه فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشرفها بالف فى الرجل فلم يزل يزيده فى الفداء الى ان بلغ عشرة آلاف فابى الرجل الا القصاص فاستنظره ثم نظر عمر فرأى ان الروم ونصرة النصرانية تقهره فى شؤن البضرة فى قوله يحبونهم لحب الله وانما قدم محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته لا زلفة انا هم فعلنا اصله وهذا فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف معناه فسوف يأتى الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم ازلة جمع ذليل لان ذلولا من الذل بفتح الصعوبة لا يجمع على ذلة وانما يجمع على ذلل فليس المراد انهم مهانون عندنا المؤمنين بل المراد المبالغة فى وصفهم بالرفق ولين الجانب ان من كان ذليلا عندنا فانه لا يظهر الكبر لانه يضع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدى بعلى ودون اللام كانه قيل عاطفين عليهم اولى المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم واستيلائهم على المؤمنين خافضون لهم جاعلون لهم ضمنوا الى وصفهم فضيلة التواضع اعزة على الكافرين يظهرون لهم تغلظة وترفع عليهم من عزه يعزه اذا غلبه نحو هذه الآية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو فى قوله ولا يخافون فانها ان يكون للحال اى يجاهدون وحالهم فى الجهاد خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اولئك اليهود واما ان يكون للعطف كقوله الى الملك القرم وابن الهمام اى هم الجامعون بين الجهاد لله وبين الصلابة فى الدين اذا شرعوا فى امر من امور الدين لا يبرحهم اعتراض معترض ولا فى عدة اللوم وتنكير اللائم مبالغة

كانه قيل لا يخافون شيئا فقط من لوم احد من اللوام ذلك اشارة الى ذكر من يغلب الكمال من المحبة والذلة وغيرها فضل الله احسانه وقوته فالنا الاشارة الى ان الاعمال مخلوقة لله تعالى والمعتزلة يحملونه على فعل الانسان وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلا بد للتخصيص من فائدة والله واسع عليم تام القدرة كامل العلم يعلم اهل الفضل والله اعلم ان للمفسرين خلافا في ان القوم المذكورين في الاية من هم قال الحسن هم ابو بكر واصحابه لانهم الذين قاتلوا اهل الردة وقال السدي هم علي واصحابه لانهم قاتلوا اهل البغي الناكثين والقاسطين والمارقين وقال عكرمة هم اهل اليمن لانها لما نزلت اشار النبي صلعم الى ابي موسى الاشعري وقال هم قوم من هذا وقال اخرون هم الفرس لما روي انه صلعم سئل عن هذه الاية فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لنالها رجال من ابناء فارس وقالت الشيعة نزلت في علي كرم الله وجهه لما روي انه صلعم اعطى يوم خيبر كان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وكان ما بعد هذه الاية نازلة فيه فالنا في اكثر المفسرين قال الامام فخر الدين الذي يلزمني هذه الاية من ادلة الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين يفقون على امامة ابي بكر لو كانوا اقوياء واضحا على امامة علي لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحبهم ويحبونه ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان فرقة الشيعة مهجورون ابدا حاصل الجزم بعدم النص وايضا مذهب الشيعة ان يقول قائلهم انه صلعم لا يجيء بقوم يحبهم ويحبونه ولعل المراد بخروج المهدي هو ذلك فان محاربته من جنس الاوائل هي محاربة الاوائل وهذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل فان اعتقادي ارتفاع الصحابة الكرام امر قطعي والله اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الايات المتقدمة عن موالاة الكفار امر هيهنا بتلك بموالاة من يحق موالاته فقال انما وليكم ولم يقل انما ولينا كم ليعلم ان ولاية الله صار الفا في جنب ولاية الله ورسوله والذين امنوا وفيه قولان الاول ان المراد عامة المؤمنين لان الاية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة بن الصامت وقول ابيه ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجروا وفاتوا وقطعوا ان لا يجالسونا ولا يستطيع مجالستك اصحابك لبعد المنازل فنزلت هذه الاية فقالوا رضينا بالله ثم برسوله وبالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة وعلى هذا رفع على البدل او على هم الذين يقيمون وانصب بعضهم خص واعني وفي الكلام مدح والعرض منه المؤمن المخلص عن يدعي الايمان نفاقا ومعنى وهم راكعون قال ابو مسلم اي متضارعون خاضعون لاوامر الله تعالى ونواهيه قيل المراد ومن شانهم انهم يقطعون الصلوة وخص الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند نزول الاية مختلفين في هذه الصفات فمنهم من قال انما الصلوة ومنهم من رفع المال الى الفقير ومنهم من كان بعد الصلوة راكعا فنزلت الاية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين وحي به على لفظ الجمع ليرغب الناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روي عكرمة انه ابو بكر وروى عطا عن ابن عباس انه علي رضي وروى ان عبد الله بن سلام قال لما نزلت هذه الاية يوما صلوة الظهر فسئل السائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سئلت في مسجد الرسول فما اعطى احد شيئا وعلي كان راكعا واومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاخذ الخاتم فرآه الينه فقال اللهم ان اخي موسى سئلك فقال رب اشرح لي صدري الى قوله واشركه في امري فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل وزيرا من اهلي عليا اشدد به ازري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد اقرأ ان وليكم الله الاية فاستدللنا بهذه الاية على ان الامام بعد رسول الله هو علي بن ابي طالب لان الولي هو الموالي المتصرف في امور الاية وانه علم بدوا بانه الى زوجه واجيب بالمنع من ان الولي ههنا هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان لفظ الاية المنهي عنها فيما قبل هذه الاية وفيما بعدها هو بهذا المعنى فكذا لفظ الولاية المامور بها وايضا ان علينا لم يكن ناذا التصرف فحال نزول الاية والا هنا تقتضي ظاهرا ان يكون لفظ الولاية خاصا في الحال ايضا لان لفظ الجمع على الواحد لا جل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين امنوا عامة المؤمنين وان بعضهم يجب ان يكون ناصرا لبعض كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الاية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما مر وانه هو الذي حارب المرتدين فما اشبه ان يكون هذه ايضا فيه ثم ان على تقدير ان يكون المراد علي كان عرف بقرينة السياق من هو الولاية والامامة فلو كانت الاية دالة على امامته على الاطلاق لوجب ان يكون اماما في كل الاوقات لان الاية دالة على ان امامته ثابتة في كل الاوقات وانه باطل بالاجماع فثبت ان الاية لا تدل على امامته بل على امامته في وقت معين وهو وقت حضور الرسول صلعم وقت غيبته عن المدينة في بعض الغزوات ولا يلزم من ثبوت امامته في ذلك الوقت ثبوتها في سائر الاوقات ثم ان الشيعة تمسكوا بهذه الاية في مسئلة الامامة من وجوه الاول ان الولي هو المتصرف والمتصرف هو الامام والثاني ان الولي هو الناصر والناصر هو الامام والثالث ان الولي هو المحب والمحب هو الامام اما الاول فقد بينا ان الولي ليس بمعنى المتصرف واما الثاني فلان الناصر قد يكون ناصرا في بعض الامور دون البعض ولا يلزم من ذلك ان يكون اماما في كل الامور واما الثالث فلان المحبة قد تكون في امر دون امر فلا يلزم من كونه محبا في امر ان يكون اماما في كل الامور ثم ان سلمنا ان الولي هو الناصر والمحب لكن لا نسلم ان الامام يجب ان يكون ناصرا ومحبا لكل المؤمنين بل يكفي ان يكون ناصرا ومحبا لاكثرهم وهذا القدر حاصل في حق كل الائمة ثم ان سلمنا ان الامام يجب ان يكون ناصرا ومحبا لكل المؤمنين لكن لا نسلم ان كل من كان كذلك وجب ان يكون اماما لجواز ان يكون اماما لبعض المؤمنين دون البعض ثم ان سلمنا ان الامام يجب ان يكون اماما لكل المؤمنين لكن لا نسلم ان كل من كان كذلك وجب ان يكون اماما لكل الناس لجواز ان يكون اماما لقوم دون قوم ثم ان سلمنا ان الامام يجب ان يكون اماما لكل الناس لكن لا نسلم ان كل من كان كذلك وجب ان يكون اماما لكل الاوقات لجواز ان يكون اماما في وقت دون وقت ثم ان سلمنا ان الامام يجب ان يكون اماما لكل الاوقات لكن لا نسلم ان كل من كان كذلك وجب ان يكون اماما لكل الامور لجواز ان يكون اماما في بعض الامور دون البعض ثم ان سلمنا ان الامام يجب ان يكون اماما لكل الامور

وسويد بن الحرث قد اعلم الاسلام ثم نافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى لا تتخذوهم دينكم هزوا ولعبا بل اتخاذكم اياهم ولياء بل يجب ان تبغضوهم
ذلك بالشتم والبغض وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع ان اهل الكتاب ايضا كفار والعطف يقتضي المغايرة لانه اراد بالكفار المشركين
لوثنيين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر وعضد ذلك بانهم اسندوا دينهم بالدين واسندوا ايمانهم بالاظهار لهم ذلك بالسنتهم وعلموا اطاة البتة وانفوا الله في امور الا
الكفار ان كنتم مؤمنين خطاب الايمان الحقيقي بالجملة الاداء اعداء الدين فالكل كان منادي رسول الله اذا نادى الى الصلوة قام المسلمون اليها
قالت اليهود قد امرنا موا لا قاموا صلوا الاصلوا وركعوا الا ركعوا على طريق الاستهزاء والعبث فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا والمناداة
وقد بعض المحدثين من هذا التهزء ولعبا فلهذا اردفه الآية المقدمة الكلية وقال الشيخ نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمة بنار ذات ليلة وهو نائم واهله نيام فطارت منها شرارة في البيت فاحترق البيت
واحترق هو واهله وماله واخرون الكفار اذا سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فاخذوا يقولون اعلى رسول الله نقالوا يا محمد لقد ابتدعت
شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اسبق
به الانبياء والرسل قبلك من ابن لك صبا كصبا الغزلان افصح من صوت وما اسمع من امر فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل انا صل الاذان بالمنام والتعريف بنص الكتاب كان اصوب وذلك
لان اخذ بانهم قوم لا يعقلون فانه الصلوة من المنافع لانها توجب الى الخالق والاشتغال بعبده المعبود ولا يفهمون ما في اللعب والهزء من السفه والجهل
بعض الحكماء اشرف الحركات الصلوة وانفع السكنات الصيام اما قبل انزال البيان الكتاب بالجواب بالجملة الآية انزل على قلبه وانزل سائر
الكتب في الالواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن وكان يهتم باجمع الكتب يصدق بها عما انبأ الانبياء بجيء شاهد قبله لينزل عليه ويوده حفظ جميع
الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حفظ الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة في شرع فيها
بالبيان وفيها جاء بالعيان ولكن ليبلوكم ايتها الامم فيما اتيكم من البيان والتبيان والحجج والبراهين والعز والسلطان فاما بلاكم بزهرة الدنيا
واتباع الهوى ونيل المنى والوقوع بين الورى والتجافي عن العفو ليهدي الناس بالبيان ويهدد العاملون بالبرهان ويحكم العادلون بالسلطان
بل يقصد الزاهدون بزهرة التهنا ويقدم العابدون بنهي الهوى ويسلك المشتاقون بنفي المنى ويجتنب العارفون بترك الورى ويسلك الواصلون
بالسلو عن الدنيا والعفو فاسبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا اخبارا بقدم الصدا واضطرار الحلول الاجل
فان تولوا عن قبول الحق فاعلم بطلا العذاء القضاء انما بر بدا لله في حكم القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعذار من
ان الحق سبحانه لا يشرط التكليف وبقدمهم ويوخرهم بعين التصريف فالتكليف فيها اوجب التصريف فيما اوجد والعبرة بالايجاد
لا بالايجاب لعاسفون لخارجون عن حدنا بالعذاب الحكم للجاهلية يبغون ابطلوا منك ان يجد عن الحجة المثلى بعد ما لعلت ثم موس
الذنبا وسلطنة الهبن البقين واهلك اسناد الرتب واسناد القلب بانوار الغيب لبادرون فيهم لان شبيه الشيء يجذب البدن بانه بالضح
فتح عيون القلوب او امر من عنده وهو الجذبة الحق توازي عمل الثقلين وقبول الذين امنوا بانوار الغيوب باسناد القلوب فاصبحوا بنعمته
بالطال الاستعداد الفطري بقوم بهم ويجوز ان ارباب السلوك انامهم عنهم لسطوات بجتهم ثم ايقاظهم به عند صنوبهم نخافون بجوزه فان محبة الله
للعبد فناء الناسوتية في بقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله بقاء اللاهوتية في فناء الناسوتية والتسبح بحمد الذين اوادي المعروف بالهادي هو الله
لعنه فد عكس الفضة فلعله فهم عنها فنهاهم فالآية تعالى بحب العبد بصفة وانه لا وهي الارادة القديمة المخصوصة بالغاية والعبد تجلى لله
لذلك الصفة ابدا اذ لتدعي المومنين لا ينفاع الا بتهراعزة على الكافرين بفناء اللاهوتية واثبات الوجود الحق في سبيل
وطلب الحق في البلاد بدل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد الوسط الدوام الشهود ذلك بغي صدق الطلب ابتدا وعلو
الوجد في الوسط والاختصاص بالجذبة النهاية والله واسع كرمه وعلى ان يتفضل كل احد لكنه علم بحال كل احد فلا يتفضل الا على من
ابنا هل يعقبوا الصلوة بدينهما مراهبين حقه فقال في الباطن بمراعاة الشروط يوتون الزكوة من وجودهم وهو الفناء فالله هم راجعون الى الله وما
انكم
انخطاط قيام الدين بالامام المنصوبة هم الغالبون على امورهم افيضهم الدنيا والتسلط الذين اتخذوا دينهم بغي اصل الغفلة والتلهو المشتهرين بالهزل
لجهد والغرور من الذين اوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والكتابة الفاسقة ومثلهم لا يضر عن العلو الدنية والكثيرة واذا ناديتم الى الصلوة وعن هم
لاجل الغرب والبهج لا يتهلون بالوهم والخيال المذمومة شهود ذلك الجمال

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ
بگو كه اى اهل كتاب بازشت نمى يابيد شما را از ما مگر آنكه گرويديم بخدا

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ
بگرويده فرو آمد سوى ما و آنچه فرستاده شد از پيش و بدرستى كه بيشتر از شما فاسقانيد بگو كه آيا خبر دهم شما را بدتر از اين بازشى در نزد خدا هر كه لعنت كرد او را

اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ
خدا وخشم كرد بر او و كرد ايشان را ميمون و خوكان و پرستندگان جبت آنكه بدتر است منزلت ايشان و دورتر از راه راست

المائدة ۵

وَاِذَا جَآءُوْكُمْ قَالُوْٓا اٰمَنَّا وَقَدْ دَّخَلُوْا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوْا بِهٖ وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا كَانُوْا يَكْتُمُوْنَ ۝ وَتَرٰى
وچون آیند بسوی شما گویند ایمان آوردیم ما و بحقیقت درآمدند بکفر و ایشان تحقیق بیرون آمدند و خدا داناتر است بآنچه که پنهان میدارند و می بینی
كَثِيْرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُوْنَ فِى الْاِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۝ لَوْلَا
بسیاری از ایشان را که پیشی میکنند بگناه و دشمنی و خوردن ایشان حرام را هر آینه بدست آنچه که بودند میکردند اگر نه
يَنْهٰهُمُ الرَّبّٰنِيُّوْنَ وَالْاَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْاِثْمَ وَاَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوْا يَصْنَعُوْنَ
باز دارند ایشان را خدای پرستان و دانشمندان از گفتار ایشان گناه را و خوردن ایشان حرام را هر آینه بود بآنچه که بودند میکردند
وَقَالَتِ الْيَهُوْدُ يَدُ اللّٰهِ مَغْلُوْلَةٌ غُلَّتْ اَيْدِيْهِمْ وَلُعِنُوْا بِمَا قَالُوْا بَلْ يَدٰهُ مَبْسُوْطَتٰنِ يُنْفِقُ كَيْفَ
وگفتند یهود دست خدا بسته است گردانیده شد دستهای ایشان و لعنت کرده شدند بگفتار ایشان بلکه دستهای او گشاده است خرج میکند چگونه
يَشَآءُ وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ مَّآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَّكُفْرًا وَاَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
میخواهد و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگارت سرکشی و کفر و افکندیم درمیان ایشان دشمنی
وَالْبَغْضَآءَ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ كُلَّمَآ اَوْقَدُوْا نَارًا لِّلْحَرْبِ اَطْفَاَهَا اللّٰهُ وَيَسْعَوْنَ فِى الْاَرْضِ فَسَادًا وَاللّٰهُ
و کینه را تا روز قیامت هرقدر که افروختند آتشی را از برای جنگ خاموش کرد آنرا خدا و میکوشند در زمین در فساد و خدا
لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِيْنَ ۝ وَلَوْ اَنَّ اَهْلَ الْكِتٰبِ اٰمَنُوْا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّاٰتِهِمْ وَلَاَدْخَلْنٰهُمْ
دوست ندارد مفسدان را و اگر که اهل کتاب گرویدندی و پرهیز کردندی هر آینه میپوشیدیم از ایشان گناهان زشت را و هر آینه داخل کردیم ایشان را
جَنّٰتِ النَّعِيْمِ ۝ وَلَوْ اَنَّهُمْ اَقَامُوا التَّوْرٰىةَ وَالْاِنْجِيْلَ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْهِمْ مِّنْ رَّبِّهِمْ لَاَكَلُوْا مِنْ فَوْقِهِمْ
در بهشت نعیم و اگر آنچه فرود آمد بسوی ایشان از پروردگارشان هر آینه خوردندی از بالای
وَمِنْ تَحْتِ اَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ اُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيْرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الرَّسُوْلُ بَلِّغْ ع ۱۰
و از زیر پاهای ایشان بعضی از ایشان گروهیند میانه روان و بسیاری از ایشان بدست آنچه میکنند ای پیغمبر
مَآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ وَاِنْ لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهٗ وَاللّٰهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ اِنَّ اللّٰهَ
آنچه فرود آمد بتو از جانب پروردگارت و اگر نکنی پس نرسانیده رسالت و پیام او را و خدا نگاهدارد تو را از شر مردم هر آینه خدا
لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكٰفِرِيْنَ ۝ قُلْ يٰٓاَهْلَ الْكِتٰبِ لَسْتُمْ عَلٰى شَىْءٍ حَتّٰى تُقِيْمُوا التَّوْرٰىةَ
راه نمیدهد گروه کافران را بگو ای اهل کتاب نیستید بر چیزی تا بپا دارید توریت
وَالْاِنْجِيْلَ وَمَآ اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِّنْ رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيْدَنَّ كَثِيْرًا مِّنْهُمْ مَّآ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ
و انجیل را و آنچه فرود آمد بسوی شما از پروردگارتان و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگارت
طُغْيَانًا وَّكُفْرًا فَلَا تَاْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكٰفِرِيْنَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَالَّذِيْنَ هَادُوْا وَالصّٰبِـُٔوْنَ
سرکشی و کفر پس تاسف مخور بر گروه کافران هر آینه کسانیکه گرویدند و آنانکه
وَالنَّصٰرٰى مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْاٰخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ
و ترسایان آنکه گروید ازیشان بخدا و روز واپسین و کرد کار شایسته پس نیست ترسی برایشان و نباشند اندوهناکان

القراءة هل ينقمون وبابه مدغما جزه وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الدال الجمع الطاغوت جزه الباقون بنصب الطاغوت
على ان عبد فعل ماض عطفا على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان مثل زاده بصطة وقد مر في البقرة وسالت ابو جعفر
وابن كثير بخلف عنه وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون وسالا ترا الوقف من قبل العطف وان اكثركم على ان امنا فاسقون عند الله
لتناهي الاستفهام والتقدير هو من لعنه الله ومن جعل محله جرا على البدل من شر بيقف لطاغوت السبل خرجوا بكم تحملون السحت تحملون
السحت صنعون مفعولة وبنا لا وقف لتصل قوله غلت به وهو جزاء فهم بما قالوا لتلا يوهم ان قوله بل يداه مبسوطتان منعوت
قالوا فالواجب مبسوطتان لان قوله ينفق من مقتضى الكلام فلا يستانف كيف يشاء وكفرا يوم القيمة اطفاها الله قال الجعاد لا ان الواو
للحال اي وهم يسعون وغير نظم يشاء المفسدة النعيم وجلة مقتصدة يعملون من ربك سالة من الناس الكافرين من ربك وكفرا لاختلاف النظم
مع فاء التعقيب الكافرين تحزنون التفسير لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا قال لهم يا اهل هذا الذين
تنقمون على الرجل انقم بالكسر اذا عاب عليه ونقم بالكسر لغة ونقمت الامر اذا كرهته وانكرته وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل
والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وليس هذا ما يوجب عيبا لان الايمان بالله تعالى جميع الطاعات
واما الايمان بمحمد وبجميع الانبياء فهو الحق الذي لا محيد عنه كان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجزات وانه حاصل في الكل فلا وجه للايمان

وسويد بن الحرث قد اظهر الاسلام ثم نافق فكان رجال من المسلمين يوادونهم فنزلت يجيء انخاذهم دينكم هزوا ولعبا نهاية المخافتكم اياهم او لبناء بل يجب ان يقتلوا
ذلك بالتشديد والبخضا وانما عطف الكفار على اهل الكتاب مع انا اهل الكتاب ابضا كفار والعطف يقتضي المغايرة لانه اراد بالكفار
المشركين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى نداءهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك بالاستهزاء وسموا اظهار الجنابة ونفوا الله فيما
لو تبين خاصة لما ان كفرهم اغلظ فكانوا احق باسم الكفر ومعنى نداءهم بالدين واستهزائهم به اظهارهم ذلك بالاستهزاء وسموا اظهار الجنابة ونفوا الله فيما
لكفار ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان الحقيقي يأبى هذه الاعداء الدين قال الكلبي كان منادي رسول الله اذا نادى الى الصلوة قام المسلمون اليها
قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلوا لا صلوا ركعوا لا ركعوا فنزل واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان في الصلوة
وفي بعض ما اتخذوه من هذا الدين هزوا ولعبا فلهذا اردفه الآية المتقدمة الكبيرة وقال السدي نزلت في رجل من النصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه بنارذات ليلة وهو نائم واصلها نام فطارت منها شرارة في البيت فاحترق البيت
واحترق هو واهله وقال الاخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله فقالوا يا محمد لقد ابتدعت
شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى الناس
به الانبياء والرسل قبلك فنزل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اي هل تعيبون منا وتكرهون الا ان امنا بالله وبما انزل الينا وما انزل من قبل
قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان ببعض الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قبل ان اصل الاذان بالمنام والتعريف بنص الكتاب كان صعود ذلك
الى الاذان هو واهله وقالوا الاخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله فقالوا يا محمد لقد ابتدعت
شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى الناس
بذلك الانبياء والرسل قبلك فنزل قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا اي هل تعيبون منا وتكرهون الا ان امنا بالله وبما انزل الينا وما انزل من قبل
وان اكثركم فاسقون وانفع السكان لهم اما قبل انزالها اليك الكتاب بالحجاب بالحجفة لانه انزل على قلبه وانزل سائر
الكتب في الالواح والصحف فلهذا كان خلقه القرآن وكان يهتم على جميع الكتب يصدقها عما انبأ الانبيا بها يجب شهادة قلبه لما نزل عليه ينوره حفظ ما في جميع
الكتب واسرارها بخلاف ما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حفظا في الكتب ومعانيها لكل جعلنا منكم معاشر الانبيا شرعة ومنهاجا
بالبيان وفيها جاء بك بالعيان ولكن ليبلوكم ايها الامم فيما اتيكم من البيان والتبيان والحجج والبرهان والعزة والسلطان فابتلاكم بزهرة الدنيا
واتباع الهوى وبذل الجهد والوقوف بين الورع والتجافي عن العجب لهذا تابون بالبيان وبعضهم الغافلون بالبرهان وبحكم الغافرون بالسلطان
بل بعضهم الزاهدون عن بغض الدنيا وبقدم الغابدون بنهي الهوى وبسلك المشاؤون بنفي المنى ويجانب الغافرون بترك الورع وبسلب الواصلون
بالسلو عن الدنيا والعفي فاسبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعا انبأكم بما كنتم فيه تختلفون فان تولوا عن قبول الحق فاعلم بما انا عالم القضاء انما بر بدا الله في حكم القدر ان يبتليهم بمصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعم من
فان الحق سبحانه يلزم بشرط التكليف وبقدمهم وبؤخرهم بعين التصريف فالتكليف فيما اوجب التصريف فيما اوجد والعبرة بالايجاد
لا بالايجاب لغافرون عن جذبانا لغابرون الحكم الجاهلية يبغون ابطلون منك ان يجد عن المحجة المثلى بعدما لمعت شموس
الدنيا وسطعت براهين هذا اليقين وانهلت استار الريب واستنار القلب بانوار الغيب يسارعون فيهم لان شبهة التي عجذب البدن باني بالفتح
فتح عون القلوب وامن عنده وهو الجذبة التي توازي عمل الثقلين وبقول الذين امنوا بانوار الغيوب في استار القلوب فاصبحوا خاسرين
بالضلال الاسعد الفطرة بقوم يحبهم ويحبونه ازباب السلوك انهم عنهم يسطوان يجتهم ثم ابقاهم به عند هبوبهم نفحات يجوزه فان محبة الله
للعبد فناء التاسوتية في بقاء اللاهوتية ومحبة العبد لله ابقاء اللاهوتية في فناء التاسوتية والتبع بنجم الدين الواعظ المعروف بداية وهو الله
عنه قد عكس القضية فلعله فهم عنها فيما تم قال الله تعالى يحبهم يحب العبد بصفة ذاته انه لا وهي الارادة الفديم المخصوصة بالغاية والعبد يحب الله
بذات تلك الصفة ابدا اذ لم يزل على المؤمنين لا ينفاع الانانية عن على الكافرين بيقاء اللاهوتية واثبات الوجود بها هكذا في سبيل
طلب الحق في البداية يبذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجد في الوسط لدوام السمو ذلك يقتضي صدق الطلب في البداية وغلبة
الوجد في الوسط والاختصاص بالجذبة النهاية والله واسع كريم قادر على ان يتفضل كل احد لكنه علم بحال كل احد فلا يتفضل الا على من
يستاهل بقيمة الصلوة بدينهم ما رأيتهم حفوظا في الباطن بمراعاة الشريعة كون الزكوة من وجودهم وهو الفناء في الله وهم الكاملون راجون الله بما
لا خطاط من قيام البدنية الى قيام العبودية هم الغالبون على اهوائهم وانفسهم والدنيا والشيطان الذين اتخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسلو المستهزئين بالدين
المحبة والفرق بين الدين اوتوا الكتاب اي العلوم الظاهرة والكتاب في الفاء سقطت صلتها لانهم بمعزل عن العلوم الدينية والكشفية واذا ناديتم الى الصلوة عن نومهم
الى محل القرب والنجوى لا يعقلون لا يدركون بالهوى والخيال لذاذة شهود ذلك الجمال قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله

بگو كه اى اهل كتاب اى زشت نمى پندارى از ما مگر انكه گرويديم بخدا

وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه

بگو كه آيا خبر دهم شما را بدتر از اين پاداشى در نزد خداى كه لعنت كرد او را

الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل

خدا و خشم كرد بر او و گردانيد از انها را ميمون و خوكان و پرستندگان شيطان آنكه بدتر است منزلت ايشان و دورتر از راه راست

المائدة ٥

وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَىٰ
وچون آیند بشما گویند ما ایمان آوردیم و بحقیقت بکفر درآمدند بکفر و ایشان بتحقیق بیرون آمدند و خدا داناتر است بآنچه ایشان پنهان میدارند و می بینی
كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا
بسیاری از ایشان را که پیشی میکنند بگناه و بدکاری و بخوردن ایشان حرام را هرآینه بدست آنچه را که بودند میکردند اگر نه
يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾
باز داشتندشان خدای پرستان و دانشمندان از گفتارشان گناهرا و خوردنشان حرام را هرآینه بود آنچه که بودند میکردند
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ
و گفتند یهودان که دست خدا بسته است کردش کرد دستهای خود و دشمنان و لعنت کرده شدند بگفتارشان بلکه دستهایش گشاده است بخشاید هرنوع که
يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ
بخشاید و هرآینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرو آمد بسوی تو از پروردگارت سرکشی و کفر و افکندیم درمیان ایشان دشمنی
وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ
و کینه را تا روز قیامت هرقدر که افروختند آتشی را از برای جنگ خاموش کرد آنرا خدا و میکوشند در زمین در فساد و خدا
لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ
دوست ندارد مفسدان را و اگر که اهل کتاب گرویدندی و پرهیز کردندی هرآینه میپوشیدیم از ایشان گناهان زا و هرآینه داخل کردیم ایشان را
جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ
در بهشت نعیم و اگر حق آنچه بپای داشتندی توریه را و انجیل را و آنچه فرو آمد بسوی ایشان از پروردگارشان هرآینه خوردندی از بالای
وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ع
و از زیر پاهای ایشان گروهیند میانه روان و بسیاری از ایشان بدست آنچه میکنند ای پیغمبر
مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
برسان آنچه فرو آمد بتو از جانب پروردگارت و اگر نکردی پس نرسانیده رسالت و پیام او را و خدا نگاهدارد تورا از شر مردم به درستی که خدا
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ
راه نمینماید گروه کافران را بگو ای اهل کتاب نیستید بر چیزی تا بپا دارید توریه
وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ
و انجیل را و آنچه فرو آمد بسوی شما از پروردگارتان و هرآینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرو آمد بسوی تو از پروردگارت
طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ
سرکشی و کفر پس تاسف مخور بر گروه کافران به درستی که آنانکه گرویدند و آنانکه
وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾
ترسایان هرکه گروید بخدا و روز واپسین و کرد کار شایسته پس نیست ترسی برایشان و نباشند اندوهناکان
القراءة هل ينقمون وبابه مدغما خمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الذال وجعل الطاغوت خمزة والباقون بفتح الطاغوت
على ان عبد فعلنا من عطفا على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت مسبوطتان مثل زاده بسطة وقد مر في البقرة وساء الثانية عمر
وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون وسالا ثم الوقوف من قبل لعطف ان اكثركم على ان امنا فاسقون عند الله
لشناعة الاسقام والتقليم هو من لعنه الله ومن جعل محله جرا على البدل من شر ابتدأ الطاغوت السبيل حمزة وابن كثير يحسبون السحت يعملون
السحت يصنعون معلولة وبلا وقف لتصل قوله غلت قوله هو جزاؤهم بما قالوا لئلا يوهم ان قوله بل يداه مغلولة بما قالوا فالوا قوله مبسوطتان
قالوا فالوجب مبسوطتان لان قوله ينفق من مقتضى الكلام فلا يستانف كيف يشاء وكفرا يوم القيمة اطفاها الله قال البقاعي وحد لان الواو
للحال اي وهم يسعون وبنصر نظر بشار المفسدة النعيم وجلهم مفتصدة يعملون من ربك سالة من الناس الكافرين من ربكم وكفرا لاختلاف النظم
مع قاء التعقيب الكافرين محزونون التفسير لما حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا انكر عليهم ما اليه ينقمون من اهل هذا الدين
نقمت على الرجل انقم بالكسر اذا عتبت عليه ونقمت بالكسر لغة ونقمت الامر اذا كرهته وانكرته وتعمى العقاب فقد لا يرجب على ما ينكر من الفعل
والمعنى هل يثبتون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها والبر هذا مما يوجب عيبا وعيبا لان الايمان بالله وبجميع الكتاب
واما الايمان بمحمد وبجميع الانبياء فهو الحق الذي لا يجحد عنه كان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجزات وانه حاصل في الكل فلا وجه للايمان

وانكفر بعض ثم عطف عليه اكثركم فاسقون والمراد منتقمون منا الا لجمع بين ايماننا وتمردكم كانه قيل ما تنكرون منا الا مخالفتكم فاضنا وما فسقنا مثلكم وفيه من حسن الازدواج والطباق ما بينه كقولك ما نقم مني الا اني محسن فاجر ويجوز ان يعطف على الجر وراي ما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم خارجون عن الدين ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي ما تنكرون منا الا الايمان مع فسقكم لان احد الخصمين اذا كان مكتسبا للصفات الجميلة مع نضاف الاخر بالصفات الذميمة كان ذلك اشد تاثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل ان يكون تعليلا معطوفا على محذوف وما تنقمون منا الا الايمان لعلمنا انضافكم واكثر افسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم تنقمون ذلك علينا ويجوز ان ينتصب بفعل مخالف بدل عليه ما قبله اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون ويرتفع بالابتداء والخبر محذوف اي فسقكم ثابت محقق عندكم على ان خبر الجاه والمال اذا وجدا عدم الانضاف انما خصا الاكثر بالفسق مع ان فيهم كلهم فساقا هرتهم اباجنادهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال الذين هم اهل الملوك والمراد ان اكثرهم في ذنهم فساق لا عدول فان الكافر المبتدع قد يكون عدلا في دينه او ذكر اكثرهم لئلا يظن ان من امن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس انى نفر من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال نؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته فقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة اي جزاء للشر وهو الايمان ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله وغضب عليه الخبر مرتفع على انه خبر هو محذوف هي الصادرة الى جاءت على مفعول كالمجلود والمحلوق ومثلنا المستوى وشر مثوبة كما يقال مشورة والمثوبة ضد العقوبة واستعمال احد الضدين مكان الاخر مجاز رخصه ازاءة انهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم وقد اخرج الكلام هيهنا على حسب قولهم واعتقادهم والا فلا شركة بين المسلمين وبين اليهود في اصل العقوبة حتى يقال ان عقوبة احد الفريقين شر لكنهم حكموا بان دين الاسلام شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك ولكن لعن الله وغضبه ومسخ الصور من ذلك قال المفسرون عنى بقرده اصحاب السبت بالحنادير كما مر وقيل عنى بهم قوما كانوا في عهد عيسى وهم الذين سالوه ان يدعو الله ان يمسخهم حنادير فمسخوا خنازير وهذا كان المسلمون يعيرون اليهود بعبادة القرد والخنازير فيكسرون رؤسهم انما قوله وعبد الطاغوت فقد ذكرت في تلك القراءة انواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها الا شذوذها الا فراد حمزة والوجه فيه ان العبد بمعنى العبيد الا انه بنا سبا لغة كقولهم رجل جلد وقطن للبلغ في الجلد والقطنة قال الشاعر ابني لبيني ان امكم امة وان اباكم عبد ابني لبينى لستم بيد الا عبدا ليست لها عضلة وقيل هما لغتان مثل سبع وسبع وقيل ان العبد جمع عبا والعبا جمع عبلة كثمار وثمر الا انهم استثقلوا الفتحتين فابدلتا الاولى ضمة وقيل اراد واعبد الطاغوت مثل فلس افلس الا انه حذف الالف وضم الباء لتلا يشبه الفعل واطاغوت ههنا قيل هو العجل وقيل هو الاحبار والاظهر انه كل ما عبد من دون الله وكل من اطاع احدا في معصيته فقد عبده احتج الاشاعرة بالاية على ان الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او انه خذلهم حتى عبدوها او لتلك الملعونين المسوخين شر مكانا من المؤمنين قال ابن عباس ان مكانهم شر ولا مكان شر منه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لانه ذكر المكان واريد اهله الا ان هو ملزوم المكان واصل عن سواء السبيل قصده ووسطه كان الناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبر الله تعالى انهم انهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيء من النصيحة والموعظة فقوله بالكفر وبه حالان اي ملتبسين بالكفر وكل قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد فيهما لتاكد امر الحال وليفيد التنويع ايكم وذلك انهم اذا زادوا النفاق كانت لاجئة على صفحات الوجوه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ستوقفا لاظهار الله اسرارهم والعامل في هذه الحال اما في الاولى فدخلوا وخرجوا اي قالوا امنا وحالهم انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وانما ذكر عند الخروج كلمة الكفر لانهم كادوا ان لا يتفوهوا بها عند الدخول وقيل ان يكون من الشيء في ذلك فعل اي لم يعتقدوا منك يا محمد عند جلوسهم ما هو حجة كفر فتكون انا الله انهم قد الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باعتقادهم وههنا استدل المعتزلي على صحة مذهبه بان الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله اعلم بما يكتمون فيه ان حسدهم وبغضهم لا يخفى بره الا الله فما اعظم ذلك وابلغ الاثم الكذب كقوله بعد عن قولهم الا اثم والعدوان الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وفي الاية فوائد منها ذكر كثير لان كلهم كان لا يفعل ذلك او بعضهم يستحي فيترك ومنها ان المسارعة انما تليق بالخيرات وانهم كانوا يسارعون في المنكرات ومنها ان الاثم يشمل وجميع المعاصي فذكر بعده العدوان واكل السحت ليدل على انهما اعظم انواع الاثم والكلام في معنى السحت وقبحه والربانيون والاحبار قدمت في التوبة عن فرق قال الحسن لولا ينهون علماء الا يجهلوا والاحبار علماء النورية وانما قال لبئس ما كانوا يصنعون وفي الاول يعاتبون لان الصنع ارسخ من العمل فلا يستعمل العامل صانعا عادة الا اذا ذكر فيه مدح او ذم وبئس يشبه فعل فكان تنبيها على انهم تركوا النهي عن المنكر اشد واعظم وابلغ في باب الذم وتحقيقه ان المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته واحكامه فاذا حصل هذا العلم لم تزل المعصية دل على ان مرض الغلبة في غاية القوة والشدة كالمرض الذي يشرب صاحبه الدواء فانا لا نعلم ان ابن عباس هل استدل بهذه الاية في القرآن وهل النحاة استدلوا بها في الفرق انه اخوف عندهم فانا نعلم اليهود بالله معلوم كذا قبل في هذه الاية اشكال لان اليهود مطبقون على انا لا نقول ذلك كيف يطالبنا بمعلوم بالقرائن لان الله اسم لوجود قديم قادر على خالق العالم وايجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع ان يكون له معلولة وقد ثبت هذا بالجواب ان الله تعالى صانع كما مر عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل القوم قالوا هذا على سبيل الالزام فانهم لما سمعوا قوله من ذا الذي يقرض الله

قرضا حسنا قالوا من احتاج الى القرض كان فقيرا عاجزا مغلول اليدين والعلم لما رأوا اصحاب محمد في غاية الفقر والضر قالوا ان الله بخيل كما قال اذا زادوا انه لا همتهم الا انا ما معدودة الا انهم عيروا عن كونه تعالى عن معتقدهم الا هذا القدر لان زمان هذه العبارة الفاسدة فاستوجبوا اللعن لفشا العيان وسوء الادب قيل لعلهم كانوا على هذه بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته وان حدوث الحوادث عنه لا بمكن الا على نسق واحد فعبروا عن اقتداره على غير ذلك بالبسط بغل اليد وقال المفسرون كان اليهود اكثر الناس مالا وثروة فلما بعث الله محمدا وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالوا يد الله مغلولة اي مضبوطة عن العطاء على جهة النعت بالبخل والجاهل اذا وقع في البلاء والشدة فانه يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد بسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ضده قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك لا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد للانسان اكثر الاعضاء آلة لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد بسط اليمين وطبعا الانامل وللبخيل ابن الاصابع مقبوض الكف جعلا الانامل لا زمة في عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه تنبيه تستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا بما لا شائبة فيه بقال للافقر لست بسطا يده بالنوال قد يستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد فدا صبحن بيدا لثة اليرمانيا مجازاهم الله تعالى بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل والشح ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم دعا به عليهم بفعلهم لعبادته كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وكما علمهم الدعاء على المنافقين في قوله فزادهم الله مرضا وحتى لا يطمعوا في قوله فليمددد له الرحمن مدا يجوز ان يكون دعاء عليهم بفعل الا بد حقيقة واخبارا فعل الحسن بفعلون في الدنيا اساءة وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل فغلت ايديهم مع ان الجزاء ينا سب الشرط لبكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدا به فيرد به قوة ورونقة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام به وقوة الاعتناء بشهره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الاخرة بالنار وروي وقع في عصرنا من اعجاز القرآن ما حكي ان مغفلا من اليهود مستهى بسعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع هذه الاية فانقلب وصل الى بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ودعا بمحقة كانت مكتوبا باحسن خط واشهره من خطوط الكتابيين وكان يعلم ان اهل هذه العصرة يقدرون على كتابة مثله ثم قال لابن فذه الاية يعني قوله غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا فاراد اثباتها فلم يمهر اسبوع الا وقد بسط السلطان عليه فاعتقله في ظلمة امر بغل يديه فضلوه وحملوه اليه فامر بقتله ثم انه تجاسر ودعى على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة وهو كثير وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكره لها وعلى القوة اولي الايدي والايصاف قد يدعى القوى والعقول منه لا يدين له بهذا والمغنى سلكي القدرة وعلى الملك هذا بيد فلان اي ملكه قال لا تعقد النكاح وقد مر اوبرشده العناية قال لما خلقت بيدي ويقال تكلك وهن بالوفاء اذا ضعفت لم تشبا ولا تسك ان لبد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال للدليل الدال على انه ليس بجسم ولا ذي اجزاء خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا يليق بها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم تفويض معرفتها الى الله وقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شانها ان تكون على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي والمراد تخصيص ادم بهذا التشريف نص القرآن ناطق باثبات اليد ثابت بدلالة نون اليهم وباثبات اليدين اخرى كما في الاية وباثبات الايدي اخرى مما عملت ايدينا انعاما وجمع التوجيد والجمع ظاهرا واما وجه التثنية فذلك ان من اعطى بيديه نقد اعطى على اكمل الوجوه فكان ابلغ في وصف الجود خذلهم الله او المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع ونعمة الدفع او نعمة على اهل الجنة ونعمة على اهل الشمال بل لطفه في حق اولئك وقهره في شان هؤلاء او المراد المبالغة في وصف النعمة بحيث لو امكن ان يعبر عن اثنتين اكثر منهما لعبر بعد ان ثم اكد الوصف بالقدرة والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وبينا ان لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وان تعذر العذر على حسب المشيئة والارادة لا مانع لذلك ولا ممكن فيه اوجب عليه شيئا او اعترض على فعل من افعاله فقد فاز بعجزه وجهله وغلوه ونسبه الى ما لا يليق به ولم يدر بان جواب ثم محذوف كثيرا منهم يعني علما منهم ما ازداد اليهود الا طغيانا من القرآن والحجج كفرا مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان البدل عن الشيء كالغير فهو زيادة شر اوالقينا بينهم بين اليهود والنصارى فالمراد بما هذا الحسن وفيما بين اليهود العداوة والبغضاء لانها تلف كلهم لا تناسا عدا فلتهم من اليهود جبرية وقدرية وموحدة ومشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكل ذلك الاختلاف بوجب السخط واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولنفرق اهوائهم ونشعب اراءهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفا الله فلا يهتمون بامر من الامور الا وقد رجعوا بخفي حنين قبل كلما حاربوا رسول الله غلبوا وعن فناده لا تلقى اليهود بلدة الا وجدتهم اذل الناس يسعون في الارض فسادا يستخفون كيدا للاسلام وزوره والله لا يحب المفسدين فلا يحج لهم سبيل هيهات فالحكم المؤبد بعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى يوم القيمة ثم لما بالغ في تبجيل سيرهم ذكرانهم مع قاعدة من صالحهم لو امنوا بمحمد وما جاء به وانفقوا المنكرات التي كانوا يأتونها لبكون توبتهم نصوحا لكفرنا عنهم تلك السيئات سترا عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم من النعم خلافا لبؤس اي بئيم صاحبها فانه اوسع الله عليهم وما اعظم عفوه وغفرانه وكونهم آمنوا التوبة والايمان يجعل عملوا بما فيها من الوفاء بعهود الله تعالى ومن الاقرار بنبوة النبي الخاتم محمد والحفاظ على الحكام فيما وجدوها او اقاموها نصب اعينهم لئلا يلبسوا فيها من النكاية فيما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن وسائر الكتب الالهية كصحف ابرهيم وزبور داود وكتاب شعيا وحقوق وزخنيال فان كلها مشحونة من البشائر بمبعث محمد وانهم مكلفون بالايمان بجميعها الا كلا من ايمانهم وهن اخبار جليلة اي

ينزل عليهم بركات السماء وبركات الارض او بكثرتهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة اويرزقهم الجنات النابغة الثمار بخلقها منها من رؤس الشجر وبلفظ ما تنابت على وجه الارض ويحتمل ان يراد بالنبات الغرس في شرح السنة والخصب ان هناك فوقا او تحتا اى لا كلوا كلا كثيرا متصلا او بسبب ان يكون هذا اشارة الى ما جرى على بني قريظة من قطع نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن اوطانهم والحاصل انه تسبحانه وعلام سعادة الدارين بشرط الايمان بما جاء به محمد وقدم السعادة الاخروية بقسميها اولهما دفع العذاب ايضا لشرفها ثم فصل ما لهم فقال منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة في العلو والتقصير فلان من عرف مقصوده فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف لا اضطرابي بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب يسخرا يمينا وشمالا فجعل الانقضاء دليلا على العمل المؤدي الى الغرض ومنهم فريقان احدهما الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدوا لك في دينهم ولا يوجد بينهم عناد شديد ولا غلظة كاملة والثاني هم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وغايرهم وان يعين من النصارى كثيرا منهم ساء ما يعملون فيه مغنى التعجب كانه قيل ما اسوء عملهم لكونهم اجلافا فاعتصبين لا يفهم فهم القول ولا يؤثر فيهم الدليل فمثلهم كعبيد الاشرف واصحاب الوقوم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدة وكثرة المعاندة ولا يخوف مكرهم فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الاية نزلت في فضل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم فاخذ رسول الله بيد علي وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر وقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولا كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب محمد بن علي وروي انه نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه ونزل والله يعصمك من الناس وقيل لما نزلت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك في فضل علي بن ابي طالب فان لم تفعل فما بلغت رسالته يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا ربنا اتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما

جميع ما انزل اليك

ان هل بلغت فقالوا نعم فقال اللهم اشهد فنزلت وقيل نزلت في فضة الوبر والعضاه ويقال نزلت في اليهود والنصارى يخوفونني نزلت لانه قرأ الخوف فقالت عائشة سهر رسول الله ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما شانك قال الا اعمل صالح يحرسني الليلة فانتبهنا بخوف ذلك سمعنا صوت السلاح فقال من هذا قال سعيد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله يحرس فكان يرسل معه بوطالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاذا رهط من المشركين يرسل معه من يحرسونه فقال يا عماه ان الله قد عصمني من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك اى شيئا انزل اليك فان لم تفعل ما امرتك به كما امرتك به فما بلغت رسالته من قرأ على الوصل فلان القرآن كلمة واحدة او كان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجمع ومن جمع فلان كلا اية او حكم رسالة فان قيل لم قيل فما بلغت رسالته ان لم تبلغ رسالة فما بلغت رسالته وما وجه صحته فالجواب ان هذا جار على طريق التهديد والمراد ان لم تبلغ منها اوفى شيء فانك لم تبلغ شيئا لان اداء بعضها ليس اولى من اداء البعض الاخر كان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل ذلك مما يوجبه كتمان الوحي كله فوضع السبب موضع المسبب بقصده مما ذكر انه قال يعني الله يرسالاته وضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقوي فان قيل ان ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد او المراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما ناله من الناس والناس الكفار لقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اى لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اى شيء كان ظاب للسامع او ثقل عليه امره ان يقول لاهل الكتاب لستم على شيء اى على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء يريد به تحقير شانه ونزلت في الاية مكررة للتاكيد وضع فلانا سرا فسف ولا تحزن عليهم بسبب زيادة طغيانهم فان ونبال ذلك غايد عليهم او لا تاسف بسبب قول الكفار في العذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك فقال اسى على صبيته يأسى اسى اى حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد منفعة ولا سعادة الا اذا امن وعمل صالحا وذلك ان كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد على الايمان بالله واليوم الاخر وكمال القوة العلمية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على المخلوق اعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا عظيمة اشرف وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله والصابئون عطف على ما ذا فقال الكوفيون انه معطوف على محل الذين لان اسم ان اذا كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان مثل ذلك الخبر فهو نحو انك وزيدا ذاهبان وان زيدا وعمرا قائمان وذهب البصريون الى ان جواز ذلك مطلقا لانه يؤدي الى احمال ان وتعمل الابتداء معا في ثمان فيجتمع على الرفع الواحد ذا فاعلان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء وعلى هذا الخبر كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه الجملة معطوفة على الجملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره وكل محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا التقديم التنبيه على ان التوبة معتبرة البتة وذلك ان الصابئين هؤلاء المعدودين ضلال لانهم صباوا عن الاديان كلها اى خرجوا كما قال جل ذكره فلما خرجوا منها بالايمان والعمل صالح قبلت توبتهم حتى الصابئون ولو قبل الصابئين لم يكن في التقديم فائدة لان ذلك ثابت في حكم الاصل وانما يطلب ذلك التقديم للمزايض موضعه والراجح الى اسم ان محذوف التقدير من امن منهم كما في البقرة والله اعلم انا وبل شر الفريقين من جعله الله مستعدا لقبول بعض الفرض من اللعن والغضب وجعل صفة

الفريقين

الفردية والجزئية اعني الحبلة والحرص والشهوة من بعض حضايضهم او كثك شهكانا من القردة والخنازير استعدادهم وقوتهم فاطلوا استعدادهم الفطري مثلهم وتلك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا بالتربص مشايخ الطريقة والاحبار على الشريعة على ابليتهم من نبذ الخبر مغلولة ومشاربهم عن تسنم ذرا بح الصدق فمزكومة فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء بترشح بما فيه ولكن الله ادركه العناية الازلية وسلبت عنه صفات الظلومية والجهولية قال ربهم الله ملاي لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار بيده الخير بيده الفتح والقهر على المؤمنين من اهل هذا الدار والاخشاء على الكافرين من العوانة والخذلان والعنا بهم العداوة فلا يوجد الا وبينه وبين صاحبه بغض الى ان يتوارثوا بطنا بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعتراض ولو انهم عملوا بمنقحات الكتب المنزلة ومسمنات بها الاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم الى على مقاماتهم من العلم والظاهر ان لم تكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم الملقى والمريد الصافي وهو السابق وهو الواصل الكامل العالم الرباني يكفي طائرا لتيك بندبح بحنة الوحي والهامات والمنامات والوقايع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار والاخلاق والمزاهب والحظايا وهي النبوة والرسالة فالرسول انما يبلغ بعض هذه الحظايا الى العالم بكمهم الوصول الى الله فلا يحصل مقصودها ارسل به فلم يبلغ رسالته الا ان للتبليغ مراتب كما انزل اليه فيبلغ بالعبارة ويبلغ بالاشارة ويبلغ بالتاديب ويبلغ بالتعليم ويبلغ بالتزكية ويبلغ بالتحليم ويبلغ بالهمة ويبلغ بجذبات الولاية ويبلغ بقوة النبوة والرسالة ويبلغ بالاستفاضة والمحاق بقدر ما يكسب قوة الله تعالى بحسب استعداد المخلوق انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك بالوصاف لاهوتيته عن وصاف ناسوتيتك لتشرف في الخلق بقوة اللاهوتية فوصلهم الى الله ولا ينصرفون فيك فتقطعوك عن الله بالاربا بالعلوم الظاهرة لتسلم على شيء من حقيقة الدين حتى تزهو ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة في الكتب الالهية وذلك بمقدمتين واربع نتايج فالمقدمتان الجذبة الالهية وبتبعها الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تهذيب التبتل وبتبعها تزكية النفس الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق

لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول

الفاضلة والله حسبي ونعم الوكيل بدرستي كه فراگرفتيم پيمان بني اسرايل را وفرستاديم بسوي ايشان پيغمبران هرچند كه آوردند ايشان پيغمبر

بما لا تهوى انفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا الا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم

بانچه نخواسته انها بود گروهيرا تكذيب كردند وگروهيرا ميكشتند وپنداشتند كه نباشد شكنجه وكفر پس كور شدند پس پذيرفت خدا ازانها

ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح

پس كور وكر شدند بسيار ازايشان وخدا بيناست بانچه ميكنند هرآينه كافر شدند انان كه گفتند كه خدا ان مسيح پسر مريم است وگفت مسيح

يا بني اسرايل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأويه النار

اي بني اسرايل پرستيد خداي مرا وپروردگار من شما است هر كه شرك آورد پس حرام كرد خداوند خدا براو بهشت را ومنزلش آتش است

وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة وما من اله الا اله واحد وان لم

ونيست ازبراي ظالمان ازياوري هرآينه كافر شدند انهائي كه گفتند كه بدرستي كه خدا سيمي ازسه است ونيست خداي بجز خداي يگانه واگر

ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور

وانمانند از انچه ميگويند هرآينه درسد انهائي را كه كافر شدند ازانها عذابي دردناك ايا پس بازنگردند بسوي خدا وطلب امرزش نكنند او را وخدا امرزنده

رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام انظر كيف

مهربان نيست مسيح پسر مريم مگر پيغمبري كه پيش ازان پيغمبران بوده اند ومادرش راستگو بود بودند كه ميخوردند طعام را بنگر كه چگونه

نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا

ظاهر ميكردانيم ازبراي انها ايات را پس بنگر كه چگونه برگردانيده ميشوند بگو ايا ميپرستيد از غير خدا انچيرا كه واداميست ازبراي شما ضرري ونه نفعي را

والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا

وخدا اوست شنونده داناء بگو اي اهل كتاب درمشويد در دين خود نباحق وپيروي نكنيد خواهشهاي گروهيرا كه گمراه شدند

من قبل واضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرايل على لسان داود

ازپيش وگمراه كردند بسيارها وباز گرديدند از راه راست لعنت كرده شدند انانكه كافر شدند ازبني اسرايل بر زبان داود

وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا

وعيسي پسر مريم اين بجهة نافرماني انهاست وبودند كه نهي نميكردند از ناشايسته كه ميكردند ازا هرآينه بدست انچه

يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم وفي

ميكنند ميبيني بسياري ازانها را كه دوستي ميكنند انانرا كه كافر شدند هرآينه بدست انچه پيش انداخته ازبراي نفسهاشان كه خشم كرد خدا برايشان ودر

العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا

عذاب ايشان جاويدانند واگر بودند كه ايمان ميآوردند بخدا وپيغمبر وانچه فرود آمد بداو نگرفتند اينانرا دوستان ولكن بسياري

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ

ازایشان فاسقانند هرآینه میابی سخت‌ترین مردمان در دشمنی ازمرده مؤمنان یهود و زمرهٔ مشرکان و هرآینه میابی نزدیکترین ایشان در دوستی زمره

آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا

اندکه گفتند که ما ترسایانیم این بجهت است که برخی ازایشان دانشمندانند و زاهدان و بجهت آنکه ایشان از تکبر بری میباشند و چون بشنوند

مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ ع

آنچه راکه فرود آمد بسوی پیغمبر دیدی چشم ایشان را که میریخت از گریه از آنچه شناختند از حق میگویند که پروردگارا گرویدیم پس بنویس ما را

الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

گواهان و چه شده ما را که نگرویم بخدا و بآنچه آمد و ما را از حق و امید داریم که داخل کند ما را پروردگار ما با گروه نیکوکاران

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ

پس عوض داد ایشان را خدا بآنچه گفتند بهشتها که روانست از زیر آن جویها جاویدانند دران و هست پاداش نیکوکاران و آنانکه

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝

کافر شدند و تکذیب کردند آیات ما را گروه دوزخ

القراءة ان لا تكون بالرفع ابو عمرو ونصل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير كان نزلة وتكذبوا يا سهل وحفص وابي بكر وحماد بالتاء ون بالنصب الوقوف ورسلا انفسهم لان عامل كلما قوله كذبوا او قتلوا كثير منهم بما يعملون ابن مرة ورتكم الناط ومن انصاري ثلثة الثلاثة هم ان ما بعده من قول الكفار واحدا لم يستغفروا ثم الوصل اتم حسن بناء على ان الواو للحال اي هلا يستغفرون وهو غفور رحيم سول لاحتمال ما بعده الصفة والاستيناف والوسل ان الواو للاستيناف لا للعطف صلة بغفر لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير كانا صار مشتغلا بالطعام يكونا ولا نفعا والوصل احسن على ان الواو للحال اي يعبدون ما لا ينفع ولا يضر في الحال ان الله يسمع دعاء المضطر ويعلم رجاء المعترف العليم استبيل ابن مرة بعد دون فعلوه يفعلون كفروا الذين فاسقون منكرون الطور الكلا والفصل بين الوصفين منصار ون نصار لا يستكبرون من الحق لاحتمال فاسلوه الحال الاستيناف الشاهدين من الحق لان الواو بعده الحال الفصل خالدين فيها المحسنين الجحيم اتقى الله ثم يقولوا اوتوا يا يعفوا وا بحر الكلام الى ما ابحر الان عاد الى ما بدا به والمقصود بنا عنوبني اسرائيل وتمة هم اي اخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال او ارسلنا اليهم رسلا لتعريف الشرايع والاحكام فان الكتاب كلما جاءهم رسول الخ جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف اي رسول منهم وانوثوا لاصوب جعلها جملة مستانفة جوابا لسائل يسأل كيف فعلوا برسلهم وهذا كان الوقف على رسلا مطلقا اما جواب الشرط فاختاروا في الكشاف انه محذوف كان الرسول الواحد لا يكون فريقين لانه لا يخلو ان يقال ان كرمنا في اخاك اكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه او عاندوه وقوله فريقا كذبوا جواب فان قيل كيف فعلوا وانوثوا ما ان الفريق المذكور غير محسن بعين النزاع وانا ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فغلبط لان قوله كلما يدل على كثرة مجيء الرسل فلما صح جعلهم فريقين ومعنى لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لم يعتبهم عن التكالب فاقتل تقليم المفعول واريد يقتلون مضارعا دكرناها في سورة البقرة وذكر في التفسير الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضي لانه استانف الى ما عاملوا نهم مع موسى في التيه ومن هم عن قبول قوله وقد انقضى ذلك الزمان اذ كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه مذكور في حكاية ابنا ادم فعلوا بزكريا ويحيى وعلى نحوهم وان ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر وحسبوا آن لا تكون فتنة قال علماء الاثر الاصابة على ثلثة اضرب يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع بعده ان المشددة الدالة على ثبات الشيء بقينا كما بعد ظننت وعلموا ان الله هو الحق المبين فان خففت وجعل على الفصل لم يجز الا ان يكون مع فعل مذاو سوف او السين او حرف نفي ليكون كالعوض من احد النونين وقبل من حذف ضمير الشان مثل علم ان سيكون ويدل على ذلك ان الاستمرار بخواطع اخاف ارجوا فلا يجيء معها الا المخففة الناصبة للفعل كقوله وا لذي اطمع ان يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين يجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا يكون فرفع بالنصب على ان المصدر بدل وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة اي انه لا يكون فتنة فحققت ان وحذف ضمير الشان وترك حسبانهم لقوة ترك صلة وهم فزلة العلم وغاشتمل عليه صلة وان من المسند المسند اليه سد المفعولين وكان ناقدوا المعنى وحسب بنوا اسرائيل انه لا يقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وعذاب الدنيا اصناف منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العذاب والبعض بها بينهم ومنها الاسار والحشر وكل ذلك قد وقع بهم وقد صرنا الفتنة بكل ذلك فحسبانهم ان لا تقع فتنة يحتمل وجهين الاول انهم كانوا يعتقدون ان لا نبي لشريعة موسى ان كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه الثاني انهم عظموا كونهم مخطئين في التكذيب والقتل لانهم كانوا يقولون نحن ابنا ؤالله واحباؤه فلا يبعد ان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الايه تدل على ان عامة الدين وصمهم عن الحق حصل من هذين فقال بعض المعتبرين انهم عموا وصموا وشان زكريا ويحيى وعلى نحوهم ثم تاب الله على بعضهم حيث قال فلما ابصارهم عموا وصموا كثير منهم في ثاني حال فان كرر بنونة الاعظم كعبد بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك ما بت القوم اكثرهم وقبل انه على لغة من يقول اكلوني البراغيث وقبل خبر مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا منه فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو

بالمثلث وثبة الله جمعه وقال الفضال انه يجوز ان يكون استئنافا الى معانى نحو ويقولون ائذا جاءنا بل فاذا جاءه وعدا وليهما وعدا الاخرة وفرئ فعموا وصموا بالضم اى عماهم الله وصمهم بالعمى والصمم كما يقال كبتهم اذا صرعهم بالركبة ثم انه سبحانه لما استطرد الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى وحكى عن فريق منهم انهم قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وهذا قول اليعقوبية الغالين ان يريد به ما قالوا ولعل مرادهم انه تم حلول الكلمة فيه او اتحادها به ثم حكى عن المسيح ما حكى ليكون لهم حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوا فيه ذلك انه لم يدع بل نفسه وهو يدعو الى الله في المربوبية وفي ظهور دلائل الحدوث عليه ثم اكد ذلك المعنى بقوله انه من يشرك بالله في العبادة او في بعض الحلول او الاتحاد او في اجزاء وصفة في الحلولي او بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اى منعه منها وما للظالمين من انصار تتمة من كلام الله تعالى او من حكايته قول عيسى لهم وقد ذكر بعض مؤرخي النصارى في آخر سورة آل عمران وبين تفريع لهم كانهم كانوا يعتقدون ان لهم انصارا كثيرا فانما يقولون ويعتقدون ذلك ان كانوا ظالمين بذلك بخلافهم قال المفسرون ثالث ثلثة معناه ثالث اله ثلثة ليلزم الكفر والاغناء من شيئين الا واحد فانها لم يحكوا ان النصارى يقولون بالهين وروح قدس والثلثة اله واحد كما ان الشمس جرم والضوء والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الله واحد وبالروح الحيوة قالوا ان الكلمة التي هي كلام الله حالطت جسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وعنوا ان الاب الواحد والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون ثلثة فلا جرم رد الله عقائدهم بقوله وما من اله الا اله واحد فرد من الاستغراقية والمعنى ما اله في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا اثاني له ولا شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج بعني الذين ماتوا على هذا القول لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية ومن في قولهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد بهم الظاهر صفام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر ومنا الى انهم من الكفر بمكان حتى لو نسب الكفار المعتوهون عنوا بذلك خاصة ومعنى عذابهم نوع شديد الايلام من العذاب فلا يتوبون قال الفراء انما ادخل لفظ الاستفهام في معنى التعجيب اصرارهم على الكفر بعد الوقوف على بطلان معتقدهم بقوله ما المسيح بن مريم الا رسول وهذا برهان قاطع في غاية الحسن لانه منعهم من الكفر او كافحهم على الاسلام ثانيا ثم شرع في قتل شبههم ثالثا ومن هنا قيل ان المراد باستئناب الايمان ومناظرة ان عند الله شبههم بل يسلم اركانهم بحمل شبههم ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يخطئ الوهية كما لم يخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى وان برأ الاكمه والابرص احيى الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى في غير ذلك من آيات ربه الكبرى وامه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالانبياء الصالحات في اقوالهن وافعالهن واحوالهن قالوا لم توصف في صفتها وصفت بكمالات تيهما وكيفيته وكانتا تاكلان الطعام اى من الذين صدقوا اما عاهدوا الله عليه وهم المجتهدون في اقامة مراسيم العبودية نفيه تكذيب لليهود للنصارى المفرطين فيها افرطوها الهاه ذه تكذيب لليهود المفرطين في شانها حيث نسبوها الى ما لا يليق بها والى الكذب في ان عيسى خلق من غير اب وبيان من كان لهم فقد حدث بعد ما لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم اكد حدوثها وعجزهما بقوله كانا ياكلان الطعام فان المحتاج الى الاغتذاء يحتاج الى ما يتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما واحوالهما في غير الامكان ثم عجب غاية عجبهم فقال انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نبين لهم الآيات الادلة الظاهرة على بطلان قولهم والمعاطاة في كيف قوله نبين ومفعول انظر محذوف ثم عجب من صدوفهم عن الحق بعد ما تبين لهم الآيات فقال انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق فكر بالفتح بافكر بالكسر فكا بالفتح والسكون صرف عن الشيء ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق وارض مافوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم انظر اى بينا لهم الآيات بينا عجيبا ولكن اعراضهم عنها اعجب ثم الصارف عن تامل الحق هو الله او العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق فيها مرارا ثم اقام حجة اخرى على فساد قول النصارى فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا على مثل ما يصركم به الله من البلايا ينفعكم به من يخلصكم والخصب بواسطة او بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه فان اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدروا على نفعهم ومن مذهب النصارى ان اليهود صلبوه وقتلوه اضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عم مصروفا الهة الى عباده الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا غالبا والله هو السميع لاقوالهم العليم باحوالهم وبعلم ضمائرهم لجاز ان يهم جاهلية من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا او الغلو مجاوزة حد الاعتدال الى ما يشاكل طرفي الافراط والتفريط وان كان قد يختص بطرف يجعل مقابلا للتقصير فلعل المراد بهما هنا هو الاول فالمراد بغلو اليهود فرطوا فيه حيث نسبوه الى الزنى وكذبوا والنصارى افرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال في الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر اى غلوا غير الحق ولا يرضى القول ما بالغلو في الدين غلوان حق وهو ان يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه بقدر ما طاقة البشر عليه وباطل وهو ان يتبع الشبهات على حسب الشهوات فالثاني منهي عنه دون الاول واعلم ان الغلو مجاوزة الحد وكل شيء جاوز حد شيء ما فهو مشابه له فكيف يتصور خلق الله تعالى كذلك فلا طريق لتصديق الامور الذهنية من الا بصور بيان فقال لا تنصبوا غير الحق على انه صفة فتجعلوه مقام المصدر اى لا تغلوا غلوا كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا اى فانشاكم انشاء او كقولهم تعلما بها ونعلما ولو سلم ان المصدر محذوف كان غير الحق صفته موكدة مثل بغتة واحدة واصل الباب لا تصفوا بمزة فانهم ولا تتبعوا اهواء قوم هي المذاهب التي ادعوها الشهوة دون الحجة قال الشيخ فانكر الله لفظ الهوى في القرآن لا ذم به ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى فاذا ثبت من اتخاذ الهه هواه قال ابو عبيدة لم يجئ الهوى موضع الا في الشر الا بقال فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه ويميل متى هوى فانه يهواه قال الشاعر

اذا هوى حب هند عرض صاحبه ... ان يهوى حب ليلى يهوى حب ليلى

قال ابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك قال ابن عباس كل هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني في النصرانية واليهودية قبل صيحة الجحة وقد ضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث او التفريط في شان مريم وابنها وضلوا

عن سواء السبيل عنه بعثت البينة فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقبل الضلال الاول عن الدين والضلال الثاني عن البينة وقبل الضلال الثاني اعتقادهم في ذلك الاضلال انه ارشاد الى الحق لعنهم الله في الزبور على لسان داود وعيسى عليهما السلام حيث دعوا انهم اولاد الانبياء وقد لعنوا على السنتهم وقال كثير من المفسرين ان اصحاب البلة كما سيجيء في الاعراف لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة وان اصحاب المائدة لما اكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمحمد ﷺ ولعنا من يكذب به ذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون الى آخره والتناهي معناه احدهما وعليه المحققون انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود ان البينة قال لمن مضى عمل قوم منهم ومن كثير منهم ليس كل قومهم وذلك ان في التناهي الماموربه حسما للفساد فكان الاخلال به معصية وظلما والتناهي نفسه يجيء على الانتهاء اي لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه لان النهي بعد الفعل لا يعقل والمراد لا ينتهون عن منكر اراد وا فعله واحضروا الاذن او لا ينتهون ولا يتهون عن الاصرار على منكر فعلوه ثم عجب سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المحذوف فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف اسلافهم بما وصف من سخف الحاتهم وانهم كثير منهم يتولون المشركين المراد كعب الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله ﷺ وقد يجيء يتولون للنساء عند قوله اهوكلا اهدى من الذين امنوا سبيلا لبئس ما قدمت لهم انفسهم من العمل المعاد بهم ومحل ان سخط وقع على انه مخصوص بالذم اي لبئس الزاد الآخرة سخط الله وسببه لو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما انزل اليه في التوبة كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك مما تكرر في شرع موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم بخصيل لوناسة والجاه باي طريق ندروا عليه لا تقرير دين موسى ويحتمل ان يراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله ويحمد والقرآن ايمانا خالصا ما اتخذ المشركين اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال الفقال ولو ان هؤلاء المشركين يؤمنون بالله ويحمد ما اتخذهم اليهود اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد اكل من له اهلية الخطاب عند الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله للذين امنوا كما تعلقت بالمودة فيما بعد ظاهر الآية يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين وكيف لا وقد نبذه على قدم قدمهم في العداوة بتغليبهم على الذين اشركوا وقد تقدم ما خلا يهود بني مسلم الا هنا بقليل لكنه روي عن ابن عباس وسعيد جبير وعطاء والسدي ان المراد بهذا الجانب هو ومن امن الحبشة على عهد رسول الله ﷺ وامنوا به لم ير جميع النصارى مع عداوتهم للمسلمين وقال الاحزون مذهب اليهود انه يجب عليهم ابتغال الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق كان بالقتل او بغصب المال او بوجوه المكايد الحيل وليس للنصارى مذهبهم ذلك بل الابتداء في بهتهم حرام وهذا هو وجه النفاوت بالعداوة والمودة وقد اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب في الآية من افادة ان التمرد والمعصية غاذاهم فتفرع قبلك بانا محمد لا بانا بكم ولا تحزن على كبلهم ثم ذكر سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا القس والقسيس اسم رئيس النصارى في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشيء وطلبه قال قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه الوفاق بين اللغتين وقال عروة بن الزبير هم بعث النصارى الا بحيل وادخلت فيه ناس صدق وبقوا واصلين على ما هم عليه من الخير وسمي قسيسا من كان على هدى ودين وهو فعيل من القس والرهبان جمع راهب كركبان وفارس وقيل انه واحد جمعه رهابين كقربان وقرابين كروبيين وكروبيين ولكن التظم باباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة فساق اليهود وغلظهم والا فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله ﷺ لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة وهي ان كفر النصارى حيث نهم بنا زعون في الالهية والبنوة جميعا اغلظ في الجملة من كفر اليهود لانهم لا يتازعون الا في البنوة ان الا بعضهم الفائلين بان عزيرا ابن الله ثم ان النصارى لما لم يشتد حرصهم على طلب الدنيا وعلى الشهوة وافبلوا على العلم والعبادة من اكبر خصمائهم افضتهم بالمدح وذم اليهود حيث قال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون ثم حرض المسلمين على حبوة غلبة بدينهم فبين صحة قوله ثم حب الدنيا راس كل خطيئة قال ابن عباس كان رسول الله ﷺ خاف على اصحابه من المشركين بعث جعفر بن ابيطالب وابن عمرو ابن امية الضمري الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه كرهوا ذلك فقال هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم فقالوا نعم فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة العنكبوت والروم فبكوا واسلموا فانزل الله الحق قدموهم تماعرفوا من الحق وقالوا ما احرون قدم عشرة من اهل ابيطالب من الحبشة هو اصحاب برهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس الى آخرها فبكوا واسلموا فانزل الله الحق في شرى لكل اواء وقد وضع الفيض موضع الامتلاء واصله تمثلي من الدمع حتى يفيض فيفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون الدمع مصدرا معنى بمعنى وضعت ان البلغة وضعهم بالبكاء كانوا لا عين تفيض بالفيض ومعنى تفيض تمتلئ من الحزن اي مما نزل على محمد وهو الحق من الاولى لابتداء الغاية على ان الفيض للدمع ناشئ من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض بمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله واحاطوا بالسنة وانبيا امنا المراد انشاله الايمان لا الاخبار عنه فاكتبنا مع الشاهدين مع امة محمد ﷺ وقد مر مثله في آل عمران وما لنا ان انكار واستبعادا لا نفاء الايمان مع حصول موجبه هو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين فاولوا ذلك في نفسهم او فيما بينهم او في جواب قومهم حين رجعوا اليهم ولا موهم ومحل لا نؤمن نصب على الحال نحو مالك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي اي شيء حصل غير مؤمنين وهو العامل ايضا في ونطمع لكن مقيدا بالحال الاولى كانك وحدتها وقلت ما لنا ونطمع لا حلت ويحتمل ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن كانهم انكروا ان لا يوحدوا

الله هم يطعمون في الثواب ان يكون عطفا على لا تؤمن اى ما لنا نجمع بين الثلث و بين الطمع او ما لنا لا نجمع بين الايمان و بين الطمع فانا نجمع بينهما فالواو اظاهر و يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول لكن فيما سيتلى من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف الى المعرفة كمال الايمان و يحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا قول فلان اى اعتقاده و مذهبه روى عطاء عن ابن عباس ان المراد بما سئلوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين فالاهل السنة دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب و صحة الكبيرة للمعرفة و الاقرار و كلا بدان يقول احالة الى هذا الثواب المعتزلة سلموا ان الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب لكن بشرط عدم الاحباط التاويل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذرات ذريات ادم م و ان سئلتهم ربكم و سئلكم بالآيات في عالم الشهادة و من الواردات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا اى بعض الالهامات و الواردات و فريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا النصارى اردوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فما وافق اودية الهيمان و امة محمد سلكوا الطريق بايدام جذبات الالوهية على ذوق المتابعة الحبيبية فاسقط عنهم بركات الوصال كلفة الاستدلال و لهذا كان الشيء يغسل بكثيره بالماء و يقول نعم الدليل انت لكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال يخفف لهم ان عليهم بعد التزكية و التحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق و يفعل ما يفعل باذن الله كما ان المرايا المحرقة بحرق بما قبل من فيض الشمس انه من يشرك بالله ظاهر انفطر حرم الله عليه الجنة و من يشرك به باطنا حرم عليه القربة على استاد و وجه تكرير هذا السر الخلافة فان الانسان الكامل المستحق للخلافة يقول بقول الحق و رده الحق لا يداهنون عن منكر سمعتني لعصبا منكر الانر يوجب النكرة كما سمعتني الظاهر معرفا لانها توجب المعرفة ذلك باية منهم فتبين و هنا يعني ان تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالتضاد روى بركة علمائهم و عبادهم و صفاء قلوبهم و خضوعهم لنبيائهم كقرابة و المودة من اهل الايمان و عرفوا الحق لما سمعوه في الازل يوم الميثاق فاسئوا و ذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله و يثنون عليه بما هو اهله من طوالع المحبة و لوائح المعرفة

ع

يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم و لا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين

بعبد الله كانك تراه ای زنده انسانی که گرویده اید حرام مسازید پاکیزه ها آنچه را که حلال کرد خدا از برای شما و از حد مگذرید بدرستی که خدا دوست ندارد از حد گذرندگان را

و كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا و اتقوا الله الذي انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم

و بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا حلال و پاکیزه و بپرهیزید خدا را که شما باو گرویده اید لیکن مؤاخذه نمیکند شما را خدا بسبب بیهوده در سخنهای

و لكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم او كسوتهم

و لکن میگیرد شما را بآنچه بسته باشید سوگندان پس کفارهٔ آن طعام دادن ده نفر بینوا است از میانه آنچه میخورانید اهل خود را یا پوشش ایشان

او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم و احفظوا ايمانكم

یا آزاد کردن بنده است پس هر که نیافت پس روزه سه روز است این است کفارهٔ سوگندهای شما چون سوگند یاد کردید و نگاهدارید سوگندهای خود را

كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا انما الخمر و الميسر و الانصاب و الازلام

اینچنین ظاهر گرداند خدا از برای شما آیات خود را شاید که شکر کنید ای زنده انها که گرویده اید جز این نیست که شراب و قمار و بتان و تیرهای قمار

رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة

پلیدند از کردهٔ شیطانند پس دور شوید از آن شاید که رستگار شوید جز این نیست که میخواهد شیطان که بیندازد در میان شما دشمنی را

و البغضاء في الخمر و الميسر و يصدكم عن ذكر الله و عن الصلوة فهل انتم منتهون و اطيعوا الله و

و کینه را در خمر و قمار و باز دارد شما را از یاد ورزی خدا و از نماز پس آیا شما باز ایستگانید و بپروی کنید خدا را و

اطيعوا الرسول و احذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين امنوا و

بپروی کنید پیغمبر را و بپرهیزید پس اگر برگشتید پس بدانید که جز این نیست که بر پیغمبر ما است رسانیدن ظاهر نیست بر انها که گرویدند و

عملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا و امنوا و عملوا الصالحات ثم اتقوا و امنوا ثم اتقوا

کردند شایستها باکی در آنچه خوردند چون بپرهیزند و گرویدند و کردند شایستها پس بپرهیزند و گرویدند پس بپرهیزند

و احسنوا و الله يحب المحسنين يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم

و نیکوئی کردند و خدا دوست دارد نیکوکاران را ای زنده انها که گرویده اید هر آینه بیازماید شما را خدا بچیزی از شکار که گرفته باشد آنرا دستهای شما

ع

و رماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم يا ايها الذين امنوا

و نیزه‌های شما تا بداند خدا که کیست که میترسد او را در پنهان پس هر که از حد گذشت پس از این پس مر او راست عذاب دردناک ای زنده انها که گرویدید

لا تقتلوا الصيد و انتم حرم و من قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل

شکار را و شما احرام بسته اید و هر که کشت آنرا از شما از روی عمد پس بایستی داد مانند آنچه کشت از چهارپایان حکم کنند بآن دو صاحب عدل

منكم هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفى الله

از شما قربانی رسنده بکعبه یا کفاره که طعام دادن چند فقیر است یا عدل آن روزه داشتن تا بچشد وبال امر خود را در گذشت خدا

عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِنْهُ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ اُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَ

از انچه گذشته و هر که باز گردد پس انتقام کشد خدا از او و خدا غالب صاحب انتقام است حلال شد شما را شکار دریا و طعام ان بهره از برای شما و

لِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللّٰهَ الَّذِيْٓ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ جَعَلَ اللّٰهُ الْكَعْبَةَ

کاروانان و حرام کرده شد بر شما شکار دشت ما دامیکه احرام بسته باشید و بپرهیزید خدای را که بسوی او گرد آورده شوید قرار داد خدا کعبه را

الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيٰمًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَآئِدَ ذٰلِكَ لِتَعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ

که خانه احرام ایستادن مردمانرا و ماه حرام را و قربان و گردن بندان را این از برای انست که بدانید که خدا میداند انچه در اسمانهاست

وَمَا فِي الْاَرْضِ وَاَنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ اِعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ وَاَنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ

و انچه در زمین است و انکه خدا هر چیزی داناست بدانید که خدا سخت عقوبت است و انکه خدا امرزنده مهربان است

مَا عَلَى الرَّسُوْلِ اِلَّا الْبَلٰغُ وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُوْنَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُوْنَ قُلْ لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيْثُ

نیست بر پیغمبر بجز رسانیدن و خدا میداند انچه را که ظاهر سازید و انچه را که نهان دارید بگو که یکسان نیست ناپاک

وَالطَّيِّبُ وَلَوْ اَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيْثِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ يٰٓاُولِي الْاَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُوْنَ الْقِرَاءَةُ بِمَا

و پاک و هر چند که شگفت آرد تو را بسیاری ناپاک پس بپرهیزید خدا را ای صاحبان خرد شاید که رستگار شوید عقدتم بالتخفیف

حرم وعلی وخلف عاصم سوی حفص والمفضل وقرا ابن ذکوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشدید هما وسط مثل میسوطتان تجراء بالتنوین مثل بالرفع یعقوب وحمزة وعلی وخلف وعاصم عن المفضل کفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون کفارة بالتنوین طعام بالرفع فبما بغیر الف ابن عامر الوقوف ولا تعتدوا المعتدین طیبات عطف المنفیین موصولین بالایمان لاختلاف النظم مع اتحاد الکلام وفاء التعقیب فی ثلثة ایام خلفتم للاضافة ای حلفتم وحنثتم ایمانکم تشکرون تفلحون وعن الصلوة لابتداء الاستفهام لاجل التخلیه مع دخول الفاء فیه منتهون داخل واط المبین واحسنوا المحسنین بالغیب لیم وانتم حرم ونال امره سلفت منه انتقام وللسنان لطول الکلام ومضاد المعنیین وان تفقت الجملتان لفظا حرما لاطلاقا لامر بالابتلاء تحشرون والقلائد علیم رحیم البلاغ تکتمون کثرة الخبیث لانفاق الجملتین مع وقوع العارض فتحلون التفسیر انه سبحانه بعد

استقصا المناظرة مع اهل الکتابین عاد الی بیان الاحکام بدا بجمل المطاعم والمشارب لاستیفاء اللذات کلا بموهم منوهم ان مدح الفقیر والرهبان یوجب ابتذارهم فی هذا الدین قال المفسرون جلس رسول الله یوما فذکر الناس ووصف القیمة ولم یزدهم علی التخویف فرق الناس وبکوا فاجتمع عشرة من الصحابة فی بیت عثمان بن مظعون منهم ابو بکر وعلی وابن مسعود وابو ذر الغفاری وسلمان الفارسی فاتفقوا علی ان یصوموا النهار ویقوموا اللیل ولا ینامواعلی الفرش ولا یاکلوا اللحم ولا الودک ولا یقربوا النساء والطیب ویلبسوا المسوح ویرفضوا الدنیا ویسیحوا فی الارض ویترهبوا ویجبوا المذاکیر فبلغ ذلک رسول الله فقال لهم الم انباء تکم انفقتم علی کذا وکذا قالوا بلی یا رسول الله وما اردنا الا الخیر فقال انی لم اومر بذلک ان لانفسکم علیکم حقا فصوموا وافطروا وقوموا ونوموا فانی اقوم وانام واصوم وافطر واکل اللحم والدسم وایتی عن سنتی فلیس منی ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطیب والنوم وشهوات الدنیا اما انی لست امرکم ان تکونوا قسیسین ورهبانا فانه لیس فی دینی ترک اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سیاحة امتی الصوم ورهبانیتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشرکوا به شیئا وحجوا واعتمروا واقیموا الصلوة واتوا الزکوة وصوموا رمضانا فما هلک من قبلکم الا بالتشدد شددوا علی انفسهم فشدد الله علیهم فاولئک بقایاهم فی الدیارات والصوامع فانزل الله هذه الایة فقالوا یا رسول الله فکیف بمن یاتی من بعدنا ممن لم یطق ما کلفنا علیه فانزل الله لا یؤاخذکم الله باللغو فی ایمانکم فنسخ ما اوجبته هذه الایة ان قضاء الایمان فان قیل ما الحکمة فی قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان فی اللذائذ والطیبات یمنعه عن الاشتغال فی تحصیل الاستعدادات النافعة لها قلنا اذا تبعت الاجسام صفات الارواح اجتهادا واذا جاعت الاجسام صفات الاجساد واعاقت الارواح عن الوصول الی مقاماتها العلیة فثبت ان الرهبانیة المفرطة مما یوقع الانسان فی الاعتقادات الرديئة التی هی الغلب الکبیر الدفاع والاتیان فیختل الفکر ویقل التامل فی الجواهر القدسیة وصفاتها وافعالها فان النفوس الفوتیة لا یمنعها التقرب فی الجسمانیات عن التامل فی الروحانیات فالرهبانیة دلیل الضعف والقصور والکمال فی الوفاء بالخیر وکیفا والرهبانیة لیست بواجبة بل هی مستحبة لان التبتل وترک الزهد مع رغبته وظائف الطاعة یفضی الی سعادة الدارین قال الغفال انه تعالی فی اول السورة اوعدوا بالعقوبة فبین انه کما لا یجوز تحلیل الحرام لا یجوز تحریم الحلال وذلک انهم کانوا یحللون المیتة والدم ویحرمون البحیرة والسائبة وبعض الاشیاء فنهوا عن ان یحرموا الا ما حرم الله ولا یظهروا بالکلیة تحریمها ولا یضیقوها اجتنابا بالشبهة حتی یلحقوا هذا الوجه محمولة علی الاولی والقول والعمل بحیث ان یزاد لا تحرموا علی عبارکم بالفتوی ولا تلتفتوا الی من یحرمها بنذر او یمین کقوله ما احل الله لک او یخلطوا المملوک بالمغصوب او الظاهر بالبخس خلطا لا یبقی التمییز فانه یحرم الکل والطیبات الملذات التی تشتهیها النفوس وتمیل الیها الطبوع مما لم ینه عنه او الاسراف کقوله کلوا واشربوا ولا تسرفوا وکلوا مما رزقکم الله فی مقابل من التبعیة بعضه ارشادا الی الاقتصاد والاقتصاد فی الاکل هو البعض وصرف الباقی الی المحتاجین بنیة التقرب الی الله والتبرز عن بخله وتکلفه یزیدهم فی التفضل الکبیر کقوله

حلا الاکبر

حلالا طيبا ان كان منعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن في كل كل ما رزق الله تعم واما ما اذن في اكل الحلال فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان منعلقا بالمأكول اى كلوا من الرزق الذي رزقكم الله يكون حلالا لانه حجة لاصحابنا على الاباحة فيقبل بعوزن بان الرزق قد لا يكون حلالا لا اقول هذا قرئ ضعيف فلهذا قال الكشاف حلالا لاحال ما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاد تاكيدا بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب اتقاءه في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكر ناوجه النظم انفا وقد تقدم معنى يمان اللغو في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان من قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال من قرأ بالتشديد فانا نجيب عما عرض عليه بان التشديد للتكثير هذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد في المعنى ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقدها بقلبه لسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الاخر فلا كفارة ومن قرأ بالالف فمثل القراءة المخففة كقولك عافيت اللص وعافاه الله والمعنى على القراءة الثانية لكن يؤاخذكم بعقد الايمان وبتعقيدها او معاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم والمراد بنكث العقد بحنث المضاف بكفارته اى لفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اى يشرعها احد هذه الامور وبسمى بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان بكل واحد منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باى واحد شاء منها فانه يخرج عن العهدة ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب احدها لا بعينه من الاطعام والكسوة وتحرير الرقبة فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء اخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي نصيب كل مسكين مدا ى ثلثا من وهو قول ابن عباس وزيد بن ثابت وسعيد المسيب والحسن القاسم لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا في العرف فثلثا من من الحنطة اجود ما تجدها وخيرها فانه يصير ذلك من اعلى الاوساط وان كان المراد ما كان متوسطا في الشرع فليس له في الشرع مقدار الا اجماعا في بعض الاعراب في الفطرة انتهى امره باطعام ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتى النبي بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال اطعم هذا رجلا على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحانث بما شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الاهل فكان تكفيرها معتبرا بصدقة الفطرة وقد قدرت بالنص بتقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها قال الاثرم الاوسط هو الاعدل فاذكره الشافعي هو اولى فاما يكفي واما الاعدل فيكون باداء ما دون عن ابن عباس مدا باصاعكم والاداء تبلغ قيمته ما اخرجه زيد في الاعلى اجاب الشافعي ان الاداء غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على المتوسط في قدر الطعام ومقداره فاذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة ثم قال الشافعي الواجب في تمليك الطعام فيما سوى الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غدى وعشى عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام وكان الاطعام الاول بكون بالتمليك لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم ولقائل ان يقول كل اطعام الاهل التعيين مقدارا والمطعم لا اجل كيفية الاطعام وقال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا عشرة ايام جاز وقال الشافعي لا يجزي الا طعام عشرة لان مدا واحدا ينوب على التعدد لكنه لا يعقل معناه يجب تحريره على ما مر والنقل ان الكفارة اذا كسوهم عطف على محل من اوسط وجه بان البدل هو المقصود فكانه قيل فكفارته من اوسط واقول الاظهر ان يكون من اوسط مفعولا اخر للاطعام سواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي يجزي في الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازارا او رداء او قميصا او سراويل او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي عن ابن عباس كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالوقبة الجملة كان الاسير في العرب يجمع يداه الى عنقه فاذا اطلق حل ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل ذلك ثم كثر حتى اجروا في ذلك على العتق فكذا في اصل هذا المجاز وهذا قول اهل الظاهر ان جميع الرقاب مجزئة وقال الشافعي لا يجزي الا كل سليم من عيب يخل بالعمل صغيرا كان او كبيرا ذكرا او انثى بعد ان كان مؤمنة فيما سوى كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا ام الولد في تغليب الاطعام على العتق مع ان العتق افضل ينبغي على التخيير وان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل لان الحر الفقير قد لا يجد الطعام ولا يكون هناك من يطعمه فينفع في الصراط العبد يجب على مولاه طعامه وكسوته فالعتق يحمل الناس خيرا والاطعام قد لا يحمل ذلك فمن اوجد احد الامور الثلثة فضيلة صيام فعليه صيام ثلثة ايام قال الشافعي اذا وجد فوت نفسه فوت عينا لزمه صومه وليلته ومن الفضل فاطعم عشرة مساكين لزمه الكفارة بالاطعام واذا لم يكن عنده ذلك الوقت يجاز له الصيام وذلك انه خلق جواز الصيام على عدم وجدانا لخصال الثلث فعند وجدانها وجبت لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان فوت نفسه وفوت عينا لزمه يوما وليلة لان ذلك مروي وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فيتبع الاية معمولا بها في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلثة مشروط عندنا بالتتابع بتمسكا بقراءة ابي وابن مسعود وصيام ثلثة ايام متتابعات فان قراءتهما لا تخالف مصحف عثمان وقال الشافعي في اصح قوليه ان التفريق جائز بالقراءة الشاذة لانتشابهما الا ترى لو كانت صحيحة لتقلت نقلا متواترا وقد روي عن البتي عن ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني وطئت امراتي في رمضان فقال له ادها وكان على عهد ابن خفضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك قال لا قال فاذهب فاطعم ستين مسكينا وقال ابو حنيفة يجزيه صوم رمضان في عبره اولى واما العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ثم قال تعالى واحفظوا ايمانكم اي لا تحنثوا فيها او لا تحلفوا اصلا وقيل احفظوها بالتكفير بعد الحنث او بالبر فيها كذلك يبين الله لكم ايته اي مثل ذلك البيان المذكور يبين لكم احكامه لعلكم تشكرون نعمة البيان والتوفيق والهداية ثم قال واحفظوا ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث لعلم ان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف والمقصود من هذا ان الكفارة لا يجوز تقديمها على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز وبه قال مالك والشافعي واحمد واوافقنا في انه اذا قال ان حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا فكفر عن يمينك

لعل البيت

ثم اثبت بالذي هو خبره لان الكفان خبرهما في تعلق بيبين فجاز بجعله بعد وجود احد البيبين كتحمل الزكوة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بهما
الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان اعضاء البدنية لا تقدم على وقتها اذا لم يمس اليه حاجة كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير
به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب ان كان الحنث بارتكاب محظور كان حلف ان لا يشرب الخمر اذ اراد التكفير قبل الشرب
ايضا لوجود السببين والتكفير لا يتعلق به استباحة ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لان اثر اليمين انما هو جمع فا
ذكرنا ظاهر هذا هو مذهب الشافعي اما عندنا في حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث معللا واحفظوا ايمانكم فلو قها ولا تكثر وا منها واحفظوا ايمانكم
عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان مختصة بالحنث فيها معصية لكن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن فانه لا يؤمر بالحفظ عن الحنث
وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تسوغوها فيها وتاثيمها كذلك مثل ذلك البيان لنا في يبين الله لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم تشكرون
نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر فلنتكلم معناهما وما يتعلق بهما في سورة البقرة وسئلك
في مسلك التجريد الانصاف والاز لام وقد ذكرنا انهما في اول هذه السورة واعلم انه كان تحدث قبل تحريم الخمر اشياء كرهها رسول الله منها قصته على ابن ابطالب
كرم الله وجهه مع عمة حمزة على ما روى في الصحيحين انه قال كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر وكان رسول الله اعطاني شارفا من الخمس فلما
اردت ان ابني بفاطمة بنت رسول الله واعدت رجلا صواغا من بني قينقاع ان يرتحل معي فناتي باذخر فاردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين به في وليمة
عرسي فبينا انا اجمع لشارفي متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاي مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفي قد جب
اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عيني حين رايت ذلك المنظر فلت من فعل هذا فقالوا فعله حمزة بن عبد المطلب هو في البيت في شرب
من الانصار في غنائه فقلت فغنائهم الا باخرمي لشارفي النواء وهو معقلان بالفناء ضع السيف في اللبات منها فقضى حتى حمزة بالدماء واطعم من
سنامها كذا بالملوحة على قدح الصلف فانتابا عمارة المرجل لكشف الضر عنا والبلاء فوثبت الى السيف فاجب اسنمتهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما
قال علي ثم دخل رضي الله عنه فالتطف خفي وخلف علي البنين ومعه زيد بن حارثة فعرف رسول الله الذي اصابه فقلت يا رسول الله ما رايت
كاليوم عدا حمزة على ناقتي فاجب اسنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا في بيت معه شرب فدعا رسول الله برداءه ثم انطلق يمشي واتبعته انا
وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذي فيه حمزة فاستاذن فاذن لنا فاذا هم شرب فطفق رسول الله يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة قد ثمل محمر عيناه فنظر الى رسول
الله ثم صعد النظر فنظر الى ركبته ثم قال هل انتم الا عبيد لابي فعرف رسول الله انه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من اسباب
الموجبة لتحريم الخمر فقال العلماء هذه الآية تدل على تحريمها من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا الرجس عمل الشيطان
ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام وضم قوله ومنها انه جعلها رجسا كما قال فاجتنبوا موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس
العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اي العقاب والغضب كانه امثال الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد يدوي من الرعد
ومن هدير البعير فلهذا سمي العمل القوي الذي جرح في الفحج رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر الصحيح ومنها انه
امر بالاجتناب بظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب ضد من الفلاح ويكون الفلاح منها خيبة والفصيح فاجتنبوه طابيا الى الرجس اي اعملوا
اولى المضاف المحذوف اي انما تعاطي الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنجرة منها من التعادي والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلوة
خصوصا وفيه ان عرض الشرب من الاجتماع تاكد لالفة والمودة ثم انما نورث بفتح المفعول لان العقل انما زال باستيلاء السهو والغضب وهو داع الشارع
والجاح وكذا القمار يفضي الى انفاء المال الى ان بقامر على حريمه اهله وولده وكل ذلك يورث ذلة الغلبة الحالية وكلتاهما توجب الاشتغال عن الله
الحقيقة الحاسلة من الاستغراق في طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر لانهما الاصل في الخطاب مع المؤمنين فقرنهما او لا بذكر الانصاب والازلام بيانا
انهما جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افرد هما لان الكلام مسوق لحرمتهما على المخاطبين حيث انهم كانوا الا بتعاطون هذين ومنها سوق الكلام
بطريق الاستفهام في قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلي عليكم ما هو كاف في باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون انتم على ما كنتم عليه كان لم تزجروا
ولهذا قالوا قد انتهينا ربنا ذدنا فهموا الزجر المؤكد ومنها انه قال بعد ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم
من الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة في ذلك اليات منها مذيلا بما يخالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الا يدل وا المراد اعراضهم فالحجة قد قامت
عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله المقتدر على الشر قال لكنت سالتي القوم يوم حرمت في بيت ابي طلحة
وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا منادي ينادي الا ان الخمر قد حرمت قال فخرجت في سكك المدينة فقال ابو طلحة اخرج فانظر فانها فقاقيع فلا
وفلان وفي بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلاف الشرب في الاغلب فدفع على المشرك بقوله
ومن لم يطعمه فانه يحتمل ان يكون المراد منها شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل او يشرب جميعا فقد يقول العرب لما طعم
ذاق ويظهر هذا الاثر قوله في نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم اي اعمالكم والعامل اذا اتقوا محض الكلام المتقدم اي لا باثمون في ذلك اذا اتقوا الخمر
لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد انهم لذلك كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحد لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ونعم بعض
الجهلة ان هذا الحكم معلق بالمستقبل والاصل لم يكن او ما كان جناح مثل وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه العلاة

والبغضا

والبغضاء وسائر المفاسد الملكورة بل حصل معها نوائع المصالح من الفاعة والتقوى في الاحسان الى الخلق والجواب ان صيغة طعموا وهي الماضي تأباه وايضا ان سبب نزول الاية بكذ بهم روى ابو بكر الاصم انه لما نزل تحريم الخمر قال ابو بكر يا رسول الله كيف باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر واكلوا القمار وكيف بالغائبين عنا في البلاد لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعونها فانزل الله على هذا فالحاصل قد ثبت بما اسلفنا ان كون الغائبين لا يفهم بلغهم حكم التحريم ثم انه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والايمان مرتين وفي الثالثة التقوى والاحسان فقال الاكثرون الاول قبل الاتقاء والثاني وامة البقاء عليه والثالث اتقاء ظلم العباد مع الاحسان اليهم وقيل الاول اتقاء جميع المحرمات قبل نزول الاية والثاني اتقاء الخمر والميسر منها في هذه الاية والثالث اتقاء بالعقد بحرمته بعد هذه الاية وهذا قول الاصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الاول الاتقاء من القبيح في صحة النهي لئلا يشبه تحريم الخمر بعد اكلها متاخرة والثاني الاتيان بالعمل المطابق للاية والثالث المداومة على التقوى مع الاحسان الى الخلق ثم سبحانه استدل على بعض القيود من الحلال فقال على سبيل التوكيد القسمي ليبلونكم اي ليعاملنكم معاملة المختبر بشيء يتبين به المحقق من المبطل فان العظام التي تدخل عندها الاقدام كالابناء يبدل الارماح والاموال فاصحاب الله انه محمد بصيد البر كما اصحاب ايلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان نبلاؤهم بالصيد هم محرمون عام الحديبية حتى ان الوحش والطير يغشاهم في رحالهم فيتمكنون على اخذها بالايدي وصيدها بالرماح وما اشبه ذلك فظنوا انهم عرض لهم ذلك ابتلاء قال الواحدي الذي منا ايلة من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان او للتبعيض وهو صيد البر وصيد الاحرام والمراد بالعين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله اليه ليعلم الله ليظهر معلوم وهو حذر الخائف وليعاملكم معاملة من يطلب ان يعلم او ليعلم اولياء الله ومحل بالغيب النصب على الحال اي يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته او عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب اليم في الاخرة وقيل في الدنيا عن ابن عباس هو ان يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينتزع ثيابه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي انه البري المتوحش المأكول اللحم الاول فلهذا تقع بعد ذلك احل لكم صيد البحر وانما المتوحش يدخل فيه نحو الظبي وان ضاما مستانسا ويخرج الانسي وان ضار امتوحشا بقاء لحكم الاصل وانما كونه مأكولا فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه انه ما يحل اكله في غير الاحرام وقال ابو حنيفة المحرم اذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمنه ويسلم انه لا يجب الضمان في قتل الذئب في قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا مخصوص في قتلها الا الايذاء فيلزم جواز قتل جميع الموذيات لاستوائها وقد جاء خمس يقتلن في الحل والحرم الغراب الحداة والحية والعقرب الكلب العقور وفي رواية زيادة السبع العادي واحتج لابي حنيفة بقول علي رضي الله عنه صيد البر لكم حلال ما لم تصيدوه او يصاد لكم وقوله تعالى وانتم حرم اي محرمون بالحج والعمرة ايضا على الاصح وقيل وقد خلتم الحرم وقد هما مرادان بالاية وهو قول الشافعي ففوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس لان يتعرض للصيد ما دام محرما ان في الحرم بالسلاح ولا بالكلاب من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل او صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا جزاء مثل ما قتل من قرأ جزاء بالتنوين فمثل بالرفع فالمعنى فعليه جزاء صفته كذا ومن قرأ بالاضافة فمن باب اضافة المصدر الى المفعول اي يغرمه مثل ما قتل فالواجب على هذا ان يكون المقتول لا جزاء مثله وهو كقولهم انا احب مثلك اي لعبتك ومثل الاضافة يجري مثل ما قتل فالواجب على هذا ان يكون المثل مقوما لما كان الواجب عليه جزاء المقتول لا جزاء مثله وهو قول داود والنهدي وروي عن المتعمد وهو ان يقتله ذاكرا لاحرامه وعالما ان قاتله محرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رماه صيدا وهو يظن انه ليس بصيد او رمى غير صيد فقتل الصيد فانه لا شيء عليه لفقدان العمد المذكور وبهذا اكد هذا الراي بقوله ليذوق وبال امره وبقوله ومن عاد اي الى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام انما يتأتى بالعمد دون الخطاء وقال جمهور الفقهاء بل فيه الضمان سواء قتل عمدا او خطأ فيما عدا سائر محظورات الاحرام كما في الناس وعمده وكما في ضمان مال المسلم فانه لما ثبت اعتراضه لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه عمدا او خطأ وانما ورد الاية بالعمد لان العمد اصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما تلونا انه عن ابن عباس في جزاء الحمامة بقيمتها وحش محمل عليه ابو البسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وانت محرم فنزلت الاية على وفق القصة وعن ابراهيم وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد وورد السنة بالخطأ قال في الضيع كيش اذا قتله المحرم وقالت الظاهرية في الظبي شاة اطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطاء ثم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد الحربي الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فمتضمن بالقيمة وقال ابو حنيفة وابو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له تجب الشافعي قوله تعالى من النعم فانه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعلى انه حكم في الضبع بكبش وعلى عمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس وابن عمر انهم حكموا في مكة مختلفة وازمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الظبي بكبش وفي الغزال بعنز في الظبي بشاة وفي الارنب بجدي وفي اليربوع بجفرة وفي الضب بجفرة وفي الحمام بشاة ويعضد بكل ما عب وهدل كالقمري والدبسي الفاخته والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيعه صوته وفرخه وفيه دليل على انهم نظروا الى اقرب الاشياء شبها بالصيد من النعم ولو نظروا الى القيمة لاختلف باختلاف الاسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال الانثى والجفر من اولاد المعز ان افضل من انثاها والعنز الانثى من اولاد المعز انها المنصوص من الضمان جبرا لهلاك فكلما كانت المماثلة اتم كان الجبر اكمل مسائل الاولى جماعة محرمون قتلوا صيدا فان شاؤا حكموا واحدا منهم لا يجب عليهم الا جزاء واحد لان مثل الواحد واحد ابو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يضمن جميعا وكذا لو حلف كل منهم ان لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة وجه الاول ان قتل الجماعة بالواحد تعذر فتعذر الكفارة لتعذر

الايمان الثانية لشافعي المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن لانه لا يجب بالدلالة لانه كفارة الفعل ولا الدلالة وكما لو دل على مال المسلم وذلك لان الدلالة ليست بقتل ولا اتلاف ابو حنيفة بضمن بها لما روى ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا الجزاء على الدال الثاني الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة او شاة الى هنا هو الاسهل لانه قال لا يجب بالجرح كما في ذبح شاة وبعقده عليه اخرج منه من الجرح او قال المراد عليه عشر شاة وقال داود لا ضمان الا بالقتل لظاهر الآية حيث ربط الجزاء بالقتل فقط الى آخره اقتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا اخر لم يجز اخر خلافا لداود ويقتل عن ابن عباس وشريح حجة الجمهور ان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو زال مال لنسانه من دخل منكم الدار فمن ظالمي فدخل احد عشر مرة فانه لا يلزم الا طلاق واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم حجة داود وقد عاد فينتقم الله منه فرتب جعل جزاء العائد الانتقام لما الكفارة الخامس قال الشافعي اذا اصاب بيضا اعور او مكسور اليد او الرجل فاداه بمثله والصحيح اوجب كذا الكبير لاجل الصغير والذكر بقتل بالذكر والانثى والاولى ان لا يقع تحقيقا للمماثلة فالانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه طيب وصورة حسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس اي حكمان صالحان فيهما من هل حكمكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به ولهذا التجئ من نصر قول ابي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر والامثلة الخلقة والصور فيشاهدان الى الاجتهاد وقد بان وجه المشابهة بين النعم والصيد بها فيوقف على الاجتهاد عن فضيلة بن جابر انه ضرب ظبيا في الاحرام فمات فسئل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى فقال عليه شاة فقال انا ارى ذلك فذهب فاشترى شاة فاتى بها فخرج الى صاحبي فقال ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سئل غيره فان فقها جاء في عمره علاني بالدرة وقال اتفتي في الحرم وفيه الحكم فقال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما روي فيه نص وهو متبع كما روي انه قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة او التابعين او من اهل عصر اخر من النعم انه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لان بحثهم اوفى ونظرهم اعلى وقال مالك يجب التحكيم فيما حكمت به الصحابة ويتحالم بحكم وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا وعدوانا قال لا لانه مردود الفسق في الحكم موصوف بالغلظ الزجر وان كان خطأ او كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجزاء الشافعي لما روي ان بعض الصحابة رأى طاوسا صبيا فسئل عمر فقال الحكم فيه فقال انت خير فقيه واعلم يا امير المؤمنين فقال انما اردت ان تحكم فيه لم امرك ان تزكيني فقال الرجل اردت فيه حكما فقال عمر فذلك في فيه وايم الله فانه حق يجوز ان يكون من عليه مبنيا فيه كما ان زنا الماعز في الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا واخران بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان بمثل واخران بمثل اخر فاصح الوجهين انه يتخير والاخر انه ياخذ بالاغلظ قبل الاجتهاد الاولى ان العمل بالاجتهاد والقياس جائز واجب لانه نزاع في الصلوة الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين ثم قيم المتلفات ارش الجنايات وكعمل القاضي بالفتوى وكالعمل بالظن في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات مرجع عام في حق جميع المكلفين بان على وجه الدهر والا نقصان ان يجوز الاجتهاد في القبلة وفي بعض مثل الصيد المثلي امر بكفهم وانتصب هديا على انه حال عن جزاء عند من صفة بمثل لانه نعت مخصص او بدل عن محل مثل عند من اضاف او حال عن الضمير في به ووصف هديا بالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة ولا في غالب الحرم الثلاثة وفي هذا دفع ما قاله الشافعي ان الهدي المقول الى الفقراء حيثما يجز قال الشافعي يجب عليه ان يتصدق به في الحرم ايضا لان نفس الذبح لا يلزم وكما لا يلزم فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء ولانها الماء صلة الى الكعبة فتخرج عن العهدة بقوله او كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن اضاف فللبيان اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم او عدل ذلك الطعام صياما نصب على التمييز كقولك علي رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه العدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك اذا كان غلاما يعدل غلامك واذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه تصوم لكل مد يوما ومذهب ابي حنيفة انه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك بسبب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما مر كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب فيه الصيد يوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم فيتصدق به بين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي ان الصيد فيه ان قاله مثل النعم وما ليس كذلك والاولى جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق به على مساكين الحرم اما بان يفرق اللحم وجملته اما هم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها طعاما ويتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها وبالجملة كل ما دون الحمام او فوقه فيه تخير ولا يتصدق هنا بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان انكسر مدة الصيام يوما الا ان الصوم لا يتبعض فالجزاء في القسم الاول ثلثة اركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهي واوها على التخيير في ظاهر المذهب على الترتيب وافق مالك وابو حنيفة الا ان والتخيير غالبا وخالف احمد وزفر فقالا انها في الآية للترتيب لان الواجب هنا نوع على سبيل التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم الغالبون بالتخيير انقسموا فاختار ان الخيار في بعض هذه الثلثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر الآية الامجد الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين فيما ساء على بعين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالخيرة في القيمة مجمل الا الاتلاف فيما ساء على كل مخالف فقوم والمعتبر في الضرر الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالعبرة في بلد مكة بوم مثل قيمة

محل الذبح

عمل الذبح لو كان بذبح ولا جزاء على المحرم بأكل الصيد سواء ذبحه بنفسه واصطاد له أو بدلالته لأنه لا أثر لهذا الذبح ولا يؤول إلى الفناء فلا يتعلق به الجزاء كما لو أتلف بعضه مذفف هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك وأحمد يلزمه القيمة بعد هما أكلا وإذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الأكل منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك وأحمد وأبو حنيفة لأنه تكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب ضمان الجزاء القديم للمالك وهل يحل له بعد دفع الجزاء ظاهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم إذا ذبح أما قوله لبذوذ فإنه متعلق بقوله فجزاء أي فعليه أن يجازى أو يكفر لبذوذ وفي يحتمل أن يقال يتعلق المحذوف أي شرعنا ما شرعنا لبذوذ في سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والإحرام والتركيب يدل على الثقل مرعى وبيل إذا كان فيه وخامة وطعام وبيل ثقيل على الطبع على المعدة والأمور الثلاثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث وهو الصوم ثقيل على البدن أيضا وكل منها موجع عفو عفى الله عما سلف في الجاهلية كانتهم متعبدون بشرع من قبلهم أو عما سلف قبل التحريم في الإسلام وعلى هذين الوجهين يدل على أن المراد بالسبيل في الآية الأولى الجزاء ومن عاد فإنه لعظم ما يعفى بالجزاء فينتقم الله منه أي هو ينتقم الله منه لأنه لا يخلو إلى الانتقام فاء الجزاء لارتباط بفسر قوله أحل لكم صيد البحر أي مصيده والبحر جميع هذه المياه والأنهار وحله ما يصاد منه ثلثة أجناس الجنس وجميع أنواعها حلال والضفادع وجميع أنواعها حرام وما شوهد بين خلاف فقال أبو حنيفة حرام وقال ابن أبي ليلى والأكثرون حلال فقوله وطعامه عطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن أبي بكر الصديق أن الصيد ما اصيد بالحيلة والطعام ما وجد بنفسه لظاهر البحر ويضاف عنه الماء من غير معالجة في أخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للأكل وقد يكون لغيره كالصيد لأجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات لأجل عظامها وأسنانها فالمعنى أحل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر وأحل لكم أكل المأكول منه وعن سعيد بن جبير أن الصيد هو الطري والطعام هو القديد منه وفي الغرب ضعف قال الشافعي التمكن الطافية في البحر محللة لأنه طعام البحر وقد قال ثم أحل لكم صيد البحر وطعامه وقال البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتة متاعا لكم في الحضر طريا والمسيارة في السفر مالحا وانتصب متاعا على أنه مفعول له ولكنه مخصص بالطعام وقال الزجاج أنه مصدر مؤكد لأن قوله أحل لكم في معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البر هو الذي لا يعيش إلا في الماء أما الذي لا يعيش إلا في البر فإنه يمكنه أن يعيش في البر ما وفي البحر أخرى وذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء كل ذلك من صيد البر يجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على أن المحرم يحرم عليه الصيد الذي صاده الحلال فعن علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن جبير وطاوس والثوري وإسحق أن الحكم كذلك لإطلاق الآية ولما روي عن علي أن البحر أهدى له حمارا وحشيا وهو محرم فأبى أن يأكله وقال مالك والشافعي وأحمد أن لحم الصيد مباح للمحرم بشرطين ألا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى أبو داود في سننه عن جابر أن رسول الله ﷺ قال الصيد البر لكم حلال ما لم تصيدوا أو يصاد لكم وعن أبي قتادة مثله وبهذا أخذ أكثر العلماء منهم أبو بكر وعمر وعثمان وابن عباس وابن عمر وجابر وأبو هريرة وعائشة وأم سلمة رضي الله عنهم وإليه ذهب عطاء وطاوس والزهري وربيعة ومالك والأوزاعي وأهل العراق وأهل الحجاز وأهل الشام وقال أبو حنيفة لا يجوز أكل لحم الصيد بحال لعموم قوله حرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وبه قال ابن عباس في رواية وابن مسعود وابن الزبير وعائشة وزيد بن ثابت وروي ذلك عن عمر وعلي وابن عباس في رواية أخرى وهو قول الحسن البصري وإبراهيم النخعي وسفيان الثوري وأصحاب الرأي واحتجوا بما روي عن الصعب بن جثامة أنه أهدى إلى رسول الله ﷺ حمارا وحشيا وهو بالأبواء أو بودان فرده عليه فلما رأى ما في وجهه قال إنا لم نرده عليك إلا أنا حرم فكلوه وهذا يحتمل أنه رده لأنه صاده لأجله أو لأنه كان صيد في الحرم أو لأنه كان صيد له فظنه حراما فأعلمه أنه حلال لهم وأما الآية فالمراد بالصيد الاصطياد لا المصيد بدليل قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما وقال ابن عباس في رواية عطاء صيد البحر ما أخذ طريا وطعامه ما رمى به وقال ابن عباس في رواية أخرى طعامه ما مات فيه فطفا وقال أبو بكر الوراق طعامه ما نضب عنه الماء وقال أبو عبيدة طعامه ما لفظه البحر ميتا وقال الأخفش طعامه ما يبس من صيده وقال الزجاج طعامه ما مات فيه أو قذفه البحر وقال الكلبي طعامه ما يبقى إلى العام القابل وقال الفراء طعامه ما يباع ويشترى من صيده وقال الشافعي طعامه ما قذفه البحر ميتا أو وجد ميتا فيه ولم يكن فيه سبب من جهة الآدميين وقال أبو حنيفة طعامه ما يبقى في البر والبحر وقال الأصم طعامه ما يتزود من صيده مملحا ليأكله المسافر في سفره وقال الحسن طعامه ما يتزود من صيده مملحا أو طريا ليأكله المقيم والمسافر وقال عكرمة طعامه ما يتزود من صيده مملحا ليأكله المسافر في سفره وقال الحسن طعامه ما يتزود من صيده مملحا أو طريا ليأكله المقيم والمسافر وقال عكرمة طعامه ما يتزود من صيده مملحا ليأكله المسافر في سفره

فقالوا الآية

فقال أهل مني من لحم شيء فالوا معنا رجله فأخذها النبي ﷺ فأكلها وهذان القولان مفرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف أخذ بالمفهوم فكأنه قيل وحرم عليكم أيها المحرمون ما صدتم في البر فخرج عنه مصيد غيرهم وبرد عليه أن المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عما نهى بقوله واتقوا الله الذي إليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد الحرم وفي الإحرام فقال جعل الله أي حكم وبين بالخطاب والتعريف أو صيره بحيث يخاف ويعظم في القلوب قياما للناس أي مهما العرب ومعاشهم فإنهم لو لا الحرم وأمنه حوله لتخطفتهم العرب من أرضهم ولم يتعرض لهم أحد ولم يتم لهم عيش ولا قرار وقيل معناه أن الله تعالى جعل الكعبة قبلة للناس يحجونها ويعظمونها فيأمنون بسببها على أنفسهم وأموالهم وكانوا في الجاهلية يعظمون الكعبة والحرم والأشهر الحرم والهدي والقلائد فلا يتعرض أحد لمن لجأ إليها بشيء من ذلك فلما جاء الإسلام أقر الناس على ما كانوا عليه في الجاهلية من تعظيم هذه الأشياء وقيل معناه أن الله تعالى جعل الكعبة والحرم والأشهر الحرم والهدي والقلائد سببا لقيام الناس بمعايشهم ومكاسبهم ومتاجرهم وما يصلحهم في أمر دينهم ودنياهم لأنهم كانوا يأمنون في الأشهر الحرم لأجل الحرم وفي الحرم لأجل الأشهر الحرم وكانوا يأمنون بسبب الهدي والقلائد لأجل الحرم وقيل معناه أن الله تعالى جعل الكعبة قياما للناس في أمر دينهم بما شرع لهم فيها من الحج والعمرة وسائر المناسك وفي أمر دنياهم بما جعل فيها من المكاسب والمتاجر وقيل معناه أن الله تعالى جعل الكعبة قياما للناس في أمر دينهم ودنيا

والطمع في الاكتساب لادوات المحرم بعين شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها فقال يا رسول الله لو لم تكن خمرا كانت فلة بحارنا واستعذب من بيع الخمر الا انهم ينفقون ذلك المال ان يعلن به بطاعة الله فقال له النبي ص ان الله قد حرم بيعها فقال يا معشر يهود عدلتم الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب انزل الله عز وجل تصديقا لقول رسوله قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو عام في جميع الاشياء حلالها وحرامها وسلالها وصالحها وسقيمها المذاهب وصحيحها ودوي النفوس وجيدها واجتنبوا الخبائث الرذائلة والمحرمة والمعصية واطيب الطيبات الورع عن معرفة الله ع وطاعته والبون بين الصفتين في العالم الروحاني بعدهما بتباعد العالم الجسماني الا ترى انهما في عالم الارواح اتقى واردع واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث بالطيب يا اولي الالباب وكلوا ان اعجبك كثرة الخبيث لان كثرة الخبيث في الاخرة ذلة وفي الدنيا مضرة وقد يعد صرف العمر في طلب خبيث لا طائل له تحرموا على انفسكم بالاستمتاع النفساني طيبات ما احل الله لكم دون سائر المحلوفات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا ولا تخالفوا امر الله في حدوده ولا تعبدوا غيره وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله ان كنتم اياه تعبدون فجعل حلالا طيبا حلالا لهم بشرط ان لا يتعدوا فيما احل لهم الى ما حرم عليهم من ولاية الشيطان بالتعدي في ايمانكم ان تحلفوا بالائمة على الشرع من ولاية الشيطان وكلا ولاية الهوى واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى في اثناء المجاهدات واعوان المشاهدات ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة الباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب السر والروح والخفي طعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسطه الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد للحق والرجاء يشغل الحواس العشرة بمثل الامور وبكسوهم لباس التقوى ويجرد نفسه من عبوديته الحرص والهوى من لم يجد امساك اليوم المانع عما عليه في اليوم الحاضر بها لا يعينه وفي اليوم المستقبل عن العود اليه ومن لغو اليمين عند اولياء الله بيان الطالبين الصادقين عند غلبات الشوق وجدان الذوق يعتبر عليه بحاله وجلاله ان يرد فيه شيئا من اقباله ووصاله وذلك شرعا يرخص الرضى بلغو وفي مذهب التسليم سهو ولكن يرجى له عفو فلا يؤاخذه بفعله لعلم بضعف حاله والكمال في الثبات والاستقامة اريد وصاله كفارته طاردا بدليل ما يجري فكفارته طاردا بدليل ما يجري على لسانهم ما يجري على لسانهم في غلبات الوجد من بعد بيا العهد تاكيد العقد كقولهم بجمعهم وعقيك ما نظر الى سواكا بمعنى موتة شعبي ازاكا فان هذا بنا في التوحيد وابنه في الدار وبار كلا بل هو الله الواحد القهار وليس على الذين امنوا بالقلب وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا ما اتقوا الشبهة والاسراف وامنوا بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من مخالفة القلب على سواه ومن مخالفته بالاحوال المضادة لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل والتسليم وما عداه ثم اتقوا شرك الاثنية وامنوا هو به ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفناء في الفناء واحسنوا وهو البقاء به فافهم جعل الله البلاء لاهل الوفاء كالطيب للذهب فقال يا ايها الذين امنوا ايمان المحبين الذين بحر دوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال الحاضر وما يحل الوصول لعمرة الوصال ليبلوكم الله في اثناء السلوك بشيء من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية تناله ايديكم يعني اللذات البدنية ورماحكم يعني اللذات الجنانية فلم غلبات الوجد والصدد لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعني صوامع الجنان حرم لزيارة كعبة الوصال مغلبة جسم الاطماع من الحرام والحلال اصعد اي عالما نيا في الانفصال الى عيره من المضار ومثل ما قتل من النعم بجانبي نفسه برياضته ومجاهدته بمثل المماثلة اللذة فداء عدلا هما القلب والروح بحكمان على هذا الاسلام وعلى حسب قوة السالك يقبل الطعام والشراب ويبذل المال ويترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس عدلا بالغ الكعبة خالصا عن الخلق لاجل الحق وطعام مساكينهم العقل والقلب والسر والروح والخفي كما نواحي معين عن اعتذابهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على الكد والتظلم من الموفات من الشكر والرضا وعدل ذلك صياما هو الامساك عن الاعتبار والركون الى الواحد القهار ليذوق النفس الامارة وبال امرها فان كل هذه الامور على خلاف طبيعتها ذوقا تنقاد من اجابته بنقاب الدلال ومن اعتذاره بحجاب الملام والملال احل لكم صيد بحر الجاز في الكشوف تنفعون بالواردات وتنتفعون منها السائرين الى الله من اهل الارادات صيد البر ما شيء للتابرة من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اي في حال المحو في الصحو جعل الله الكعبة الظاهرة قياما للعوام والخواص يتحجون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص ولخواص الخواص يطوفون بها بدوام الذكر ونفي الخواطر حتى تعلموا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا لله البيت الحرام حرام ان يسكن في كعبة القلب غير الله الشهر الحرام هو ايام المطالعة حرام على الطالب فيها نخا لطر الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدى هو النفس البهيمية يشاقي كعبة القلب مع قلائد وكان الشرع بمثابة حلق عتبة القلب ليسهل الذهاب عن تهتوا نما فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بالتوان ان ولية ما في التمنوا ذ وما في الارض شدها العفا بدستدل الحجاب بغير الحبيب غفور رحيم للصادقين في الطلب يغفر الابواب الا البلاغ بالقال بلوا عليهم اياتنا ردوا بالحال ان ربهم ما تبدون بظهر اللسان وما تكتمون من بصيرة الجنان الحبيث فاشتغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفي ذلك كفرة والله اعلم قوله الله عز وجل

ع

يا ايها الذين امنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سئلها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين

ای زنهار ایمان کرده اید نپرسید از چیزها که اگر ظاهر شوند بشما بد کنند شمارا و بپرسید ازان احکامی که فرو فرستند قرآن را ازان که شما را بد کند ثمارا و در گذشت خدا ازان و خدا آمرزنده بردبار است پرسیدند ازانها گروهی پیش از شما پس بشدند بدان کافر شدند

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب

قرار نداده است خدا از بحیره و نه سائبه و نه وصیله و نه حامی ولیکن کسانیکه کافر شدند افترا میکنند بر خدا دروغ را

واکثرهم

المائدة ۵

وَأَكْثَرُهُمُ لَا يَعْقِلُونَ ﴿۱۰۳﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

و بیشتر ایشان درک نمیکنند ﴿۱۰۳﴾ و چون گفته شود بایشان که رو آرید بسوی آنچه فرستاد خدا و بسوی پیغمبر گفتند که بس ست ما را آنچه یافتیم

عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿۱۰۴﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ

بران پدران خود را اگرچه بود پدران ایشان بیخرد ان چیزی را و راه نیافتگان ﴿۱۰۴﴾ ای زمره آنان که گرویده اید نگاه دارید خودتان را

لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿۱۰۵﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

گمراه نمیرساند شما را آنکه گمراه شد اگر شما در راه راست یابید بسوی خدای بازگشت شماست همه پس خبر دهد شما را بآنچه که بودید که میکردید ﴿۱۰۵﴾ ای زمره آنان که گرویده اید

شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ

گواهی ضرور ست در میان شما چون در رسد یکی از شما را مرگ در هنگام وصیت دو تن مرد از صاحبان عدل از شما یا دیگران از غیر شما اگر

ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي

سیر کردید در زمین پس رسید شما را واقعه مرگ بازدارید آن دو را پس از نماز پس سوگند خورند بخدا اگر شک نمودید ما نگیریم

بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ ﴿۱۰۶﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا

بآن بهاء و اگرچه باشد صاحب خویشی و پنهان نداریم گواهی خدا را بدرستی که ما انگاه از گناه کاران ﴿۱۰۶﴾ پس اگر دیده شود که آن دو سزاوار شدند

إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا

گناه بر ایشان دو تن دیگر میایستند در مقام ایشان از آنان که مستحق شدند بر ایشان دو تای اول پس سوگند خورند بخدا که هر آینه گواهی

أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا ۚ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿۱۰۷﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا

راستتر ست از گواهی ایشان و در نگذشته ایم اگر انگاه ما هر آینه از ستمکاران بودیم ﴿۱۰۷﴾ این نزدیکتر ست که بیایند بگواهی برروی آن یا بترسند

أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿۱۰۸﴾ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ ع

که رد کنند سوگندان پس از سوگند ایشان و بپرهیزید خدا را و گوش دارید و خدا هدایت نکند گروه فاسقان را ﴿۱۰۸﴾ در روز یکه گرد آرد خدا

الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ۖ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿۱۰۹﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ

پیغمبران را پس گوید چه جواب داده شدید گویند که نیست مارا دانشی تو دانای پنهانها ﴿۱۰۹﴾ چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم یاد کن

نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ

نعمت مرا بر تو و بر مادرت چون قوت دادم تورا بروح القدس که گفتگو میکردی با مردم در گهواره و در موعد و چون آموختم تورا انجیل کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ

و حکمت و توریة و انجیل را و چون میسختی از گل مانند ترک مرغی بفرمان من پس میدمیدی در آن پس میگردید مرغی بفرمان من و نگاه

الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ

کنگ مادرزاد و صاحب برص بفرمان من و چون زنده میکردی مرده را بفرمان من و چون باز داشتم بنی اسرائیل را از تو چون آوردی آنها را بآیات پس گفتند

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿۱۱۰﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ۖ قَالُوا آمَنَّا

آنانکه کافر شدند از ایشان که نیست این مگر جادوئی هویدا ﴿۱۱۰﴾ و چون وحی فرستادم بسوی حواریین که بگروید بمن و بفرستاده من گفتند گرویدیم

وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿۱۱۱﴾ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ

و گواه باش باینکه ما تسلیم کنندگانیم ﴿۱۱۱﴾ چون گفتند حواریون ای عیسی پسر مریم آیا میتواند پروردگار تو که فرو فرستد بر ما خوانی از آسمان

قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿۱۱۲﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ

گفت که بپرهیزید خدا را اگر هستید مومنان ﴿۱۱۲﴾ گفتند که میخواهیم که بخوریم از آن و محکم گردد دلهای ما و بدانیم که تو تصدیق کرده ای ما را و باشیم

عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿۱۱۳﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا

بران از گواهان ﴿۱۱۳﴾ گفت عیسی پسر مریم که خدایا پروردگار ما فرو فرست بر ما خوانی از آسمان که بود بسبب برای ما عید

لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿۱۱۴﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ

از برای اول ما و آخر ما و نشانی از تو و روزی کن ما را و تو بهترین روزی دهندگان ﴿۱۱۴﴾ گفت خدا که من میفرستم آنرا بر شما پس هر که کافر شود پس از آن از

مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿۱۱۵﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي ع

شما پس من عذاب کنم او را عذابی که عذاب نکرده ام بواحدی از جهانیان ﴿۱۱۵﴾ و چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم آیا تو گفتی مردم را که فرا گیرید مرا

الجزء السابع

وَاِنِّي لَهُمْ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُوْنُ لِيْ اَنْ اَقُوْلَ مَا لَيْسَ لِيْ بِحَقٍّ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهٗ فَقَدْ عَلِمْتَهٗ تَعْلَمُ

و مادر مرا و خدا از غیر انتخای یگانه گفت منزهی تو ؛ چوشنده بود مرا که بگویم چیزرا که نیست مرا سزاوار اگر من گفته ام اینرا پس بدرستی که میدانی تو از آمیدانی

مَا فِيْ نَفْسِيْ وَلَا اَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِكَ اِنَّكَ اَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوْبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَا اَمَرْتَنِيْ بِهٖ اَنِ اعْبُدُوا

انچیزرا که در نفس من ست و نمیدانم انچیزرا که در نفس تست بدرستی که تو دانای پنهانیها نگفتم من بانها مگر انچه فرمودی مرا بان که پرستید مرا

اللّٰهَ رَبِّيْ وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيْدًا مَّا دُمْتُ فِيْهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِيْ كُنْتَ اَنْتَ الرَّقِيْبَ

خدایرا که پروردگار من ترا و پروردگار شما و بودم بر ایشان گواه زمانکه من درمیانها بودم پس چون میراندی مرا بودی تو خود مواظب

عَلَيْهِمْ وَاَنْتَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيْدٌ اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ اَنْتَ الْعَزِيْزُ

برانها و تو بر هر چیزی گواهی اگر عذاب کنی انها را پس انها بندگان تواند و اگر بیامرزی انهارا پس بدرستی که تو خود غالب

الْحَكِيْمُ قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِيْنَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنّٰتٌ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ

داور گفت خدا که این روزیست که سود بخشد راستگویانرا راستی انها مرانهارست بهشتها که روانست از زیران جویها

خٰلِدِيْنَ فِيْهَا اَبَدًا رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوْا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ

جاویدانند دران همیشه خشنود شد خدا ازایشان و راضی شدند از خدا اینست بهرمندی بزرگ مر خدایرا ست پادشاهی آسمانها و زمین

وَمَا فِيْهِنَّ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ القراءة بنزهن الا نزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب بتنوين شهادة بالتنوين الله بالمد وجر ربك نافع

و انچه در انهاست و او بر هر چیزی توانا بالاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولياء

جمع الاول بغير الا خرسهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختيارهم الباقون الاولياء نشبه الاولى الاخرى العيون بكسر العين حيث

كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشموني والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر وكذا هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بناء الخطاب

ربك بالنسب على الاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد تنزيلا

بالتشديد بدغاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو والباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع

الباقون بالرفع الوقوف تسؤكم لا بتداء شرط اخ ومع واو العطف بتدلكم عليها حليم كافرين ولا حام للاستدراك الكذب لا يعقلون ان شاء لا تسئلوا عن

انفسكم لاحتمال الاستيناف واو الحال اي لحفظوا انفسكم غير مضرورين اذا هتدتم يعلمون معصبة الموت قربى لان قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة

بين قراءة الله بالمد الا يمين وما اعتدنا الظاهران والوصل اجود لتعلق انا بقوله وما اعتدنا الظالمين ايمانهم لا يبتدا والا مر واسمعوا الفاسقين

الجيم لما الغيوب في ذلك لا بل هو هم انه ظرف لا ذكر او عامله محذوف اي انتفاء هذا ذكرا فاذ بدل منه وكذا والا يجعل والا برص باذني الموتى لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق

بهذا الاول ويمكن تعلق كل واحد بمحذوف اخر لتفصيل النعم سحر مبين وبه الجزم وبرسول لاحتمال ان قالوا مستانف او عامله قالوا وهيئة مسلمون من السماء

الاولى هو مبتدا شاهدين انه منك لا نفاق الجملتين مع وقوع العارض الزمتين عليكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين من دون الله ما ليس

قد قيل هو ضعيف لان المنكر لا يفهم به والفهم لا يجاب بالشرط بل الوقف على يحق علمنا غيوب ربكم على ان الواو للاستيناف او الحال اي وقد علمت

منهم لان عامل ما متاخر وفاء التعقيب دخلت عليهم لان الواو لا يحمل الحال النعم في كل شيء شهيد جناك لابتداء الشرط مع الواو والحكم صدقهم الاخلاق

الجليل بلا عطف بدا عنكم العظيم وما فيهن فدبر التفسير عن انس انهم سئلوا رسول الله فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسئلوني عن شيء

ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس فقال اقرت

مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال ويحك وما يؤمنك ان اقول

نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت لما قمتم بها ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا

منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام اخر فقال يا رسول الله ابي فقال في النار ولما اكثر عليه قال سلوني فقام عمر فقال رضينا

بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فاذ رد الله هذه الامة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كانه قال ما اتيتكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا

في غيره فلعله يصيبكم بما يشق عليكم وايضا كانوا مشركون بطالبون معجزات اخر كقولهم حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الامة وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فنهوا عن ذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب الحكم والغاية الوظيفة ثم انكرت

استحق العثار العاجل بحمل ان يكون جملة لتعلم فوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاركبوا الامر على ظواهرها ولا تسئلوا عن اشياء عفا الله عنها

ان سئلكم تسؤكم والمحققون وضع صرفا لشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئا على وزن حمراء فهمزتها مع جمع شيء استثقلوا الهمزتين في الوجه

نقلوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة وحذفوا ونزلوا لغاء وقال الفراء اصلها اشياء على افعلاء بناء على ان شيئا مخفف شيء كما قالوا لهين ولينين وقد يجمع شيء على

افعلاء كبيع وابناء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين مخالفوا اللام فبقي استثقال افعاء وقال الكسائي وزنها افعال وضع الصرف تشبيها له

بحمراء ولا يلزم منه صرفها بناء واسماء لان ما مثل على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الشيء

وبما نأتي على ظهور احوال مكتومة يكره ظهورها وبتمادي تنبت عليها ان كلفتم شافهة صعبة فالذي سئل عن اسباب يأمن ان يلقى بغيرها يبغضني والسائل يحبني كاد ان هو جبه وقد قال تم ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سئل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسئلته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاستبنوه وما حرم فاجتنبوه وما ترك بين ذلك اشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله تم فاقبلوه قال ابو تعلبة ان الله تم فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها تم تمار تيا المساءة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور والتكاليف فالحاصل انهم ان سئلوا عنها ابدا لهم وان ابديت لهم سائهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سئلوا عنها ساءتهم وقبل السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فمنهي عنه بقوله لا تسئلوا والثاني السؤال عن شيء نزل به القرآن لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسئلوا رفعا للحرج وبين لهذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشياء وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسئول عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسئلوا عن تلك المسئولات هل هي جائزة ام لا تبد لكم ما لم ارادان يطلبا لرخصة في السؤال او لا تم يسئل عفى الله عنها اي عما سلف من مسئلتكم واعضاكم للرسول فلا تعودوا واليها او المراد بالعفو انتقام ما اظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من تكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشياء كما ان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسئلوا عن اشياء امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي عنكم باسقاطها فد سئلها قبلكم قوم الى قوله فكفروا بها وبمجيء الرسل بالاشياء فكان ائمة محمد سئلوا عن احوال الاشياء والمنقذ ان سئلوا فسر الاشياء كالسائبة والوصيلة والبحيرة فلما اختلفت الاجوبة اختلفت العبارات الا ان كلا واحد من القسمين يشتركان في قسم هو الخوض في الفضول والشروع فيما لا يعنيه فتوجه النهي عليهما جميعا ولما صنعهم عن امور تكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى فاجعل لما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر ناقته اذا شق اذنها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان الخامس ذكرا شقوا اذن الناقة وصعروا كوعها وسيبوها لآلهتهم ولا يحمل عليها ظهر ولا تطرد عن ماء ولا ترد عن مرعى ولا يمنع بها خير ولا يلتقى عليها المعيى لا يركبها احد حتى تموت فاذا ماتت حل اكلها للرجال والنساء جميعا وحرمت اذن على بناتها المعيى لا يركبها احد حتى تموت فاذا ماتت حل اكلها للرجال والنساء جميعا وحرمت اذن على بناتها واما الثانية فانها فاعلة من سابه اذا جرى على وجه الارض يقال سابه الماء وسابت الجنة فالسائبة هي التي ذهبت حيث شاءت قال ابو عبيد كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هو ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب لبنها الاولادها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وحرمت اذن على بناتها الاحية وكانت بمنزلة امها فامها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم الهتهم فيطعمون منها ابناء السبيل وقيل هي العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة اثنى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم فالوصيلة بمعنى الموصلة كانها اوصلت بغيرها او بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحامي فيقال حمى ظهره واحفظه قال الشعبي هو الفحل اذا ضرب الابل عشر سنين فخلوا سبيله وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلا ولا من ورود على ماء اذا احتاج اليه فاذا مات اكله الرجال والنساء جميعا وقيل الحامي الفحل اذا ولد من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلا ولا من ورود على ماء اذا احتاج اليه فاذا مات اكله الرجال والنساء جميعا وقيل الحامي الفحل اذا ولد من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلا ولا من ورود على ماء اذا احتاج اليه فاذا مات اكله الرجال والنساء جميعا وقيل الحامي الفحل اذا ولد من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلا ولا من ورود على ماء اذا احتاج اليه فاذا مات اكله الرجال والنساء جميعا وقيل الحامي الفحل اذا ولد من صلبه عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من كلا ولا من ورود على ماء اذا احتاج اليه فاذا مات اكله الرجال والنساء جميعا

ثم ان احدهما السؤال

العباد بح والسبات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فانكم حرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال لرسول الله ﷺ فقال في سبيل الله لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه عرضة على ما لا يوكان ابن شبرمة يقول من قرأ هذه الآية فقد مزق ومن تلك فلم يفرق قيل لها نخنقه بالكفار الدين علم انه لا ينفعهم الوعظ بوكده ما روي في سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما افرجوس هجر بالجزيرة قال منافقو العرب عجبا من محمد زعم ان الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا وكان يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قتل من مشركي العرب فجر مارد على مشركي العرب فانزل الله تعالى لا يضركم ملامة الملائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب نفوسهم حسرة على اهل العناد من الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه ﷺ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الآية قرأت عنده فقال ان هذا في اخر الزمان ومثله عارض عن يغلبه الخشع انه سئل عن ذلك فقال للسائل سئلت عنها جبرا سئلت رسول الله ﷺ عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام فان من ورائكم اياما الصبر فيهن كالقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت بأمك ولأموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس ان تميما الداري واخاه عديا كانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فماتوا وخرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب كتابا بما معه وطرحه بين امتعته ولم يخبر صاحبيه بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله وماله ففعلا متاعه فاخذا ما فيه من فضة منه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي المتاع الى اهله فلما قدما باعا بديل الصحيفة فظا بهما بالاناء فجاءا فرفعوا الى النبي ﷺ فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اي من التشارع والتشاجر وانما اضيفت الشهادة الى التشارع لان التشاجر انما يحتاج اليه عند التشارع واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل ان الوصية مما لا بد فيه ان يشهد عليها المسلم عند ظهور امارات الموت ككان وقتهما واحد هما مسلما ويجوز ان يتنع اثنان على انه قام مقام الخبر اي شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف اي فليشهد شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم ومن غيركم قولان ضعفهما الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنيان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من اقاربكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب ولاكونهم اعلم بحال الميت واراف به وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد المسيب وسعيد جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم اي من كافر كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشافعي مرض رجل من المسلمين في الجزيرة فلم يجد احدا من المسلمين يشهد على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري وكان والي عليها فاخبراه بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد الذي ﷺ فحلفهما بعد العصر بالله لخيانتهما ما كذبا ولا بدلا ولا غيرا وشهادتهما والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد بهما مشروطا بالسفر لجواز ذلك الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا نصرانيين وبان ابا موسى افتى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورات يفتح المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة والمسلم اذا فقد في اول الاسلام لقلة المسلمين وكثرتهم في السفر غالبا وما يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الآية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من يرى ان المائدة من اخر القرآن نزولا قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم والمراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والا عتماد على الكذب اعظم من الفرية على الله وعلى رسله وانما قبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتشاما لكلمة الاسلام وموقع محبوسين تهما من اي يوقفونهما وتضربهما استيثاقا كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا فقيل تحبسونهما من بعد الصلوة وبينا ابن عباس من بعد صلوة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلوة العصر لان هذا الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعدها ولفعل رسول الله ﷺ حبث دعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بعد صلوة العصر ولان جميع اهل الاديان يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه يجتنبون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يفعلون الحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلوة كانت لان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان يحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت المقدس عند الصخرة وفي سائر البلدان في اشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعديد بل الحاق الفساقة واللعان وبزيادة الاسماء والصفات وقال ابو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان ومكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للآية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ان اريتم اعتراض والضمير في به للقسم لم يجز لاستبدال بعض القسم بالله عرضا من الدنيا ولو كان من يقسم له مريبا فان اردوا ان هذا عادتهم في صدقهم واقامتهم ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم رخص لنا العرب بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة بينهم اكثر لكم شهادة بينكم

الى امر بحفظها وتعظيمها واذا تمها لقوله اذا كنتم لا تؤمنون اى اذا كنتما هكذا من الامتين ونقل عن الشعبى انه وقف على قوله الله عز وجل شهادة بينكم الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه ان منهم من يقول الله لقد كان كذا والمعنى بالله فان عثر قال لا نشتري بالله ثمنا لو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين والمعنى ان الله عز وجل اطلعنا على ان هذين الوصيين خانا فان حصل الاطلاع على انهما استحقا إثما هو كناية عن الجناية والخشية الحلف فاخران خبر مبتدا محذوف اى فالشاهدان اخران او فيمين الشاهدان اخران وفاعل يقوم محذوف وصفته مبتدا محذوف اى فى الشاهدان او فليشهد او فشاهدان اخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم فاعل الكشاف اى الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفى التفسير الكبير اى الحمال واما وصفوا بالذين لانه اخذ منهم والكل من اخذ منه عزيز نفسه واولى للميت ان يكون تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق من لا كبير فضل ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال او ينتفع الاولياء على انهما خانا مبتدا محذوف تقديره فمكانه بدل ومن الاخران يقبلها الاولياء ويجوز ان يكون بدلا من الفعيلين او من اخران ويجوز ان يرتفع باستحق اى من الذين استحق عليهم الذنب الاولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال فالمعنى الكشاف فالمعنى الاولى بان يأتيا بالشهادة على وجهها والاولى بالاولين الاحقان بالشهادة لقربهما ومعرفتهما او الاحقان بالميت اما على تقدير الوصية وذلك عند الشافعى رضى الله عنه وكل من يرى اليمين على المدعى واما على الانقلاب فعند من يرى ذلك كابى حنيفة واصحابه رحمهم الله فان من اقر لاخر بدين ثم ادعى انه قضاه حكم عليه باليمين الى الله ادعى الدين او لا لانه صار مدعيا على اثر ما استوفاه وفى هذه القصة دعوى الوصيين ان الميت باع عضما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حق الورثة ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى ان يغلب الذين استحق عليهم او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب فى الشهادة او التقدم فى الذكر فى قوله يا ايها الذين آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم ذكر قبل قوله او اخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاولیان فقد قال الكشاف فعناه من الورثة الذين استحق عليهم الاولیان ان يحلفا بعدهما بالشهادة ان يمينهما احق من يمينهما ويظهر ان يمينهما كذب لكذا بين وفى التفسير الكبير ان الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما اللذان قاما مقام الميت فى تحليفهما بعد الصلاة وهما اللذان ادعيا ان الميت باعهما الاناء من غيرهما لسببين احدهما ان الوصية صحت بقول الوارث فقد استحق عليهم الاولیان بقول الوارث ان الاناء الذى ادعيا انهما اشترياه من الميت ملك الوارث والثانى ان الوصية لما

فى الاخرة منبهة على حفظ هذه الامور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فان الظن لا عبرة به فى الغيب مع ان التكوين وبعض الامر الى الاعلم الاعذ الاقرب الى الادب وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم عند قوله انك انت الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء ثم عدد انواع نعمه على عيسى فاحدة فاحدة تنبيها على انه عبد ليس بالهه وتوبيخا للمتمردين من الامم وآذكر الامم بذلك التضاؤل المطاعون فى ذات الله بجاهرة باتخاذ الصاحبة والولد وموضع اذ قال رفع بالابتداء على معنى ذلك اذ قال الله او نصب باضمار اذكر او هو بدل من يوم يجمع وانما ذكر القول بلفظ الماضى ولا لفظ يدل على الغيبة تحقيقا كانها قد قامت وقعت كما يقال الجيش قد اتى اذا قرب منا ثم ابرز على الحكاية كقول الرجل لصاحبه كانك بنا وقد دخلنا بلدة كذا منعنا كذا ومحل بانا على انه منادى مفرد معرفة او مضموم على انه منادى مفرد نكرة او مضموم لانه وصف ابن مضافا الى علم وهو الخيار الليث فحذف وكثرة الاستعمال تحق عليك ذا والجمع وحد لانه مضاف يصلح للجنس فاعطى قوة على ذلك لان النعمة على الوالد نعمة على الولد لاتصاله به ولان مكارم الاخلاق ودلبل على الاعراق اذ ايدتك بدل من نعمتى او ظرف نعمتى او بقدس روح القدس اى بجبرئيل او بالقدس هو الله كانه اضافه الى نفسه تعظيما له او بالروح الطاهر المقدس وقد تقدم فى البقرة تكلم الناس حكاية حال ماضية فى المهد وكهلا فى فاتحة آل عمران وتقدم الكلام فى اذ علمتك الكتاب الخط او جنس الكتب والحكمة النظر والعملية والتوراة والانجيل بعض الاخاطة والاشراف الالهية بعد العلوم المتداولة فتنفخ فيها الضمير للكاف لانها للهيئة المضافة اليها او الانها كالجنس من خلقه ولا تخلق فى شئ وكان الضمير فى فتكون والكاف مؤنث بحسب الخلق لانها على الهيئة التى هى كهيئة الطير وتذكير الظاهر فلهذا غاد الضمير اليه مذكرا زاده كما فى عمران ومؤنثا اخرى كما فى هذه السورة وكرر باذنى ايذانا بان كل واحد من تلك الخوارق على طبقه والا فهو عبد كسائر عبيده واذ كففت بنو اسرائيل اظهر هذه المعجزات العجيبة وقصدوا الهود فنجاه الله منهم برفعه الى السماء ان هذا الا سحر مبين من قرأ بغير الف اشار الى ما جاء به او انه زور وسحر فاطلق عليه لحدث مبالغة ومن قرأ بالالف اشار الى الرجل واللام فى البينات يحتمل ان يكون للجنس فيدخل ان براديها المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار فى حقه ان هذا الا سحر مبين يحتمل ان يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن ان يراد بذلك بعد ازاء النعم ايهم لان كل واحدة منهم مستوفطعن الكفار فيه بدل على علو شانه وسمو مكانه واذ انك صدقنى من اوحى فى السماء اذه الى بانى كاملا ولا يتباهجه بهذه النعم الجسام والمنن العظام كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول يوما كل يوم رزق يأتينا لم يكن لابيك معجزة لا ولد يحيى الموتى بامرى اذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بى وبرسولى انكانوا انبياء فظاهره الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل او حينا الى ام موسى وهذا ابعد من جعله النعم لان كون الانسان معصوما لعقل عند الناس محبوبا فى قلوبهم من اعظم نعم الله تعالى وقدم الايمان على الاسلام لعلم انهم امنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم هل تستطيع ربك تقرأ بالتاء وبالنصب فظ والمراد هل يستطيع سؤال ربك اى هل يسئله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرأ بالياء وبالرفع فمشكلا انه تعالى حكى عنهم انهم قالوا لعيسى بنفسه ومع الايمان شك فى اقتدار الله تعالى واجيب بوجوه منها ان حكاية الايمان عنهم لا يوجب كمالهم واخلاصهم فى ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ومنها انهم طلبوا برهانا لايقان والطمانينة ولهذا قالوا نطمئن قلوبنا ومنها اراده اهل المائدة ومنها قول السدى زائدة وكذا الناء اى هل يطيع ربك وقيل المراد بالربين الاب وحده ومنها ان المراد الاستفهام التقريرى بان يأخذ بيد ضعيف ويقول هل لهذا السلطان على اشباع هذا يريد ان فلانا رجلى لا يجوز للعاقل ان يسئل غيره ان يرفع المائدة فاعلم من عاد بعيد اذا تحرك وكما انعم عليها وذلك انها لا تستغنى ما دامت الا انا كان عليها طعام فمن خوان وقال ابن الانبارى هو من مادا اذا اعطاه كانها قطع من تقدم اليه وقال ابو عبيدة هى بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية اى مرضية كما صاحبها اعطاها الخالق من قال عيسى اتقوا الله فى تعنيتهم المجرد فانه كان يحق ان يعظم ويوقر ان كنتم مؤمنين فسلوا عما الى المطلوب من توالية بجعل لكم مخرجا وبرزقنه من حيث لا تحتسب فاجاب الحواريون بانا لا نطلب هذه المعجزات بعجزها ولكن نريد ان ناكل منها فان بجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما اخر فقد رووى انهم سئلوها فى فقاع على غير ماء ولا طعام وان نزيد يقينا ونعرفا ونطمئن قلوبنا هذا ما عنا معجزات رضيته وهذا سماوية فيكون اعجب واغرب ان نعلم صدقك فى دعوى النبوة وبنما وعدتنا وذلك انه كان قال لهم صوموا ثلثين يوما واذا تم صومكم فكلما سالتموه والله تعالى نزيد تعطيكم واذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بنى اسرائيل او نكون من الشاهدين لله تعالى بالقدرة وذلك بالنبوة نكون لنا عيدا صفة للمائدة او حال من الضمير فى علينا بالجار حذفا بالالهام كما نزلها يوم الاحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا او العيد ما يعود به البدء ونفرح فعلوم ومنه العيد لانه يعود كل سنة مفرح جدد بدل من لنا بتكرير العامل اى لمن خلفنا من اهل ديننا ولمن يأتى بعدنا او بدل منها اخرانا كما بدل اولانا او للمقدرين مثنا وا لاتباع وقرئ لاولانا واخرانا بحذف الالف والجماعة فعول عيسى دينا ابتدا وبذكر الحق واترل علينا انتقال من الذات الى الصفات وقوله تكون لنا عيدا استئناف الى اتمام الدعاء بالمعجزة لا من حيث انها نعمة بل من حيث انها ضمانة عن المنعم وقوله وانت خير استئناف الى كون المائدة دليلا لاصحاب النظر والاستدلال او مطلقا وارزقنا استئناف الى طلب حصة النفس فى الحواريون قد مواغراض النفس واحرزوا الاغراض الدينية وان عيسى بدأ بالاشرف حتى انتهى الى الاخس ثم قال وانت خير الرازقين فجعله هو مرجع مرة اخرى من الخلق الى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين المقامين الكاملة والناقصة والحسرة والمظلة اللتين جعلنا من اهل الكمال والاشراف بهم فضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف والتشديد يعذبه يعنى بالتشديد لتنكيره بالتخفيف مرة واحدة عذابا لا اعذب به احدا قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير مثل فرده وقيل جنسا من العذاب لا يكون موجودا الى الاخرة وعذابا

فاذا لم يكن عليها طعام

ضمير على المصدر اى فقد نباه والضمير في لا اعذبه للصدقة والواو بمعنى الباء اى لا اعذبه بعذاب ما يعذب به بشر في الموضعين فيدخل في اعذبه بعذابا لا اعذب به احدا او اراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلف ان عيسى عليه السلام سئل المائدة لنفسه وسئلنا لقومه وان كان صانعها لنفسه في الظاهر وكلاهما محتمل الجائز لها فقد قال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استعفوا وقال الاكثرون بل نزلت وهذا اقوى لان الله تعالى اخبر انه منزلها بقوله اني منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شريعتهم روى ان عيسى لما اراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال اللهم ليقم احسنكم عملا ويكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال الحواريون اسمك اولى بذلك فقام عليه السلام فتوضأ وصلى بكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك يسيل سمنا وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكن شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا مما سالتم واشكروا يمدكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لهما عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل ان عيسى كان شرط عليهم ان لا يسرفوا في الاكل ولا يدخروا فعصوا فمسخوا واذ قال الله معطوف على اذكر والصحيح ان هذا القول يقع يوم القيامة عند تعجب الكفرة من تلك الاحوال التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام نظير ان الله تعالى يقول يوم القيامة للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون مع علمه بذلك تقريعا لعبدته وتوبيخا لهم على رؤوس الاشهاد وقيل ان الله تعالى يقول ذلك لعيسى عليه السلام في الدنيا ليلة رفعه اليه وقيل قاله عند نزوله من السماء قبل يوم القيامة والاول اصح لان الانكار والتعرض للتوبيخ انما يليق بيوم القيامة وقال بعض النصارى هذا يدل على ان محمدا لم يمت لانه لو مات لعلم ان عيسى لم يقل ذلك لقومه ولا يعلم ذلك الا من شاهده وهذا جهل لان الله تعالى اخبر بذلك في القرآن وهو اصدق القائلين وقال بعض المشبهة كيف يجوز ان يقول الله لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله مع علمه بان عيسى لم يقل ذلك وهذا سؤال ركيك لان الله تعالى انما قال ذلك توبيخا لقوم عيسى على ما ادعوا في حق عيسى وامه من الالهية وهو يعلم ان عيسى لم يقل ذلك ولكن قاله توبيخا لقومه وتقريعا لهم على رؤوس الاشهاد وليس لقائل ان يقول ان هذا يدل على ان الله تعالى جاهل بالاشياء قبل وقوعها لان هذا من باب التهكم والتوبيخ كما يقول الرجل لعدوه اتظن اني اخافك وهو يعلم من نفسه انه لا يخافه وانما قاله على سبيل التهكم والتوبيخ وقيل ان الله تعالى انما قال ذلك ليسمع عيسى توبيخ قومه فيزداد غما الى غمه وحزنا الى حزنه وقيل ان الله تعالى انما قال ذلك ليسمع الحاضرون فيحذروا ان يقولوا في عيسى ما قالت النصارى فيه وقيل ان الله تعالى انما قال ذلك ليسمع محمد صلى الله عليه وسلم فيخبر امته بما قال الله لعيسى ليكون ذلك زجرا لهم عن ان يقولوا في محمد ما قالت النصارى في عيسى وقيل ان الله تعالى انما قال ذلك ليسمع عيسى فيعلم ان قومه قد كذبوا عليه وعلى امه وقيل ان الله تعالى انما قال ذلك ليسمع الملائكة فيعلموا كذب النصارى في دعواهم على عيسى وامه ما لم يقولا وقيل ان الله تعالى انما قال ذلك ليسمع الناس فيعلموا ان عيسى وامه كانا عبدين مربوبين لله تعالى وقيل ان الله تعالى انما قال ذلك ليسمع الناس فيعلموا ان عيسى لم يدع الالهية ولا امه

بنى على الفتح كما في هؤلاء وخطاه البصريون وقالوا انما بني الظرف اذا اضيف الى المبني كالماضي في قولنا لنابغة شعر على حين غابت النابغة الجعدي او مثلا في قوله يوم لا ينطقون واجيبوا على ان هذا اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيمة كما قال قتادة هذا كلام ان تكلما يوم القيمة انفعا اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدقكم وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا في الدنيا وفي الاخرة فنفعه صدقه وفي هذا الكلام تصديق من الله تعالى لعيسى في قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به رضي الله عنهم ورضوا عنه هما صادقان لان رضى الله عن العبد وغايته وظايف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار بل يكون اراده مفقودة في ارادة ربه فذلك الفوز العظيم اشاره الى جميع المذكورات والى الجزاء الاخروي وهو الرضوان وما فهمن لم يقل من فهمن ليكون دالا على العموم وليتنبه على ان عقول النساء وعلومهن في العقول وعلوم الدنيا بالنسبة الى علم الملائكة واتباعهم وغيرهم نحن فهمنا وسمعنا سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله آمنوا بالمعقود وهو الشريعة والبداية فختم السورة بهذه الاية الدالة على فناء الكل في جنب جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فهذا احسن هذا الترتيب والبديع في السورة بدأ بالشرايع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاهتمام ذكر فيه انه سبحانه مالك الجميع الممكنات والكائنات وموجد الجميع الارواح والاجساد ليسهل التكليف على اي وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم المالكية في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد وليكون ردا على النصارى ان عيسى وبر يهم داخلان في المخلوقين موجودان بايجاد الله ولا مغنى للعبودية الا هذا وابهم لما اخبر عن فناء وجودهم المجازي علم بنوع هناك يجب بجانب نفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وتعالى في هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه والله تم اعلم باسرار كتابه الناطق بل اخبر عن كثرة السؤال انها من قبل الملائكة عن علوم الغالب عن علوم الحال او اصف الاول بحدة في السؤال الثاني بلدم منه ذلك اذ يحصل بالعجز الا بالبرهان كما كان حال الانبياء مع الله وكذلك ترى ابراهيم لقد رأى من ربه الكبرى وقالهم ارنا الاشياء كما هي وقال الخضر لموسى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا وقال موسى في الثالثة ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فان فهم العلم المدلل بالحال في الصحبة والمتابعة بدليل التسليم في السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن اي ان كان لابد لكم من السؤال عن حقايق فاسئلوا عنها بعد نزول القرآن عسى القرآن يجيبكم عن بعضها بقرائنه على قد عقولكم والله غفور لمن تاب عن طلب علوم الحقايق بالعقل عليم لمن يطلب بالحال ينصلح عنه في اثناء الطلب سوال قد سئلها قوم من قبلكم كعيسى عليه السلام اعرضوا عن مثلها بعد الانبياء وابتلوا على هجر العقل والقال وقعوا في اودية الشبهات والضلال نسأل الله من بحره قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هم الحيدرية لعنهم الله يشهون انفسهم ويعلمون انهم اهل الحقيقة ولا يصلهم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون بحبهم الاقارب لاجل العصبية والعناد والاحقاد وهو المغرور بالله يظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا يفرق مخالفات الشريعة وانا نقل لهم تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لما بعثه قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا اي شيء اخذنا واهل صحبتي اذا كانوا اباءهم لا يعلمون شيئا من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اي اشتغلوا اولا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغريق لا يتعلم السباحة اذا شبث بمثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فلا طالبين بحق اباءه ولا مطلبين بسلاسل الفهر والنكاية اذا حضر احدكم الموت اي النفس حين موت صفاتها الدنية بالرياضة والمجاهدة فوصى بصفاتها لوثتها وهم القلب وصفاته والوصيتان اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات واخران من غير الروحانيات هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر شهيدان الحق وان كان على نبي فمن اتباعه من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم في السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اي فصيبة النفس حبسوهما ان كنتم في بعد من الروحانيات من بعد الصلوة من بعد حضوركم مع الله وتوجهكم الى الحق ومراقبته فيشهد على الشاهدين بالقسم والحلف بالله ان ثوبا شهادة الحق وبدفعان زكاة النفس وهي صفاتها الى ورثتها وهم القلب وصفاتها ولا يضرها في شيء من السفليات فان كل خلق اذا استعانة النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان وصفا مذموما واذا استعمله القلب في طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فان عثر على انهما استحقا اثما مان مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فاخران من صفاتها لقلبها التذكر والفكر الصايبة بنظران في عواقب الامور ويشهدان على الاخوة خبرهما الدنيا والباقي خير لها فاني كتمانها شهادتنا اخرون من غيرنا ان الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بكلام الحق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ ان ارتابوا بالشهادة على وجهها اي لعقل والسر بانهما في بعد الاسرار يستعملان صفات النفس لاغراضها الاخروية فحلفان عواقب الامور بان يشتد واعلى انفسهم بالاستهلاك وتضييع الوقت ان انتما الاستعداد لهم بالتفكر والتذكر بالامر الحق وجوب غاية الحقوق فحينئذ جاءت الى كثرة الرياضة ماذا اجبتم قالوا وهم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا اي بتواطن الامور وحقايقها وانما وجب لنا الحقوق بالظواهر في عالم الدرك يوم القيامة في قالوا يبقى ذلك التغاير في عالم الاشباح امتنان بعض الحواس بين المقلدين في الايمان قالوا نا عيسى بن مريم فلا تستطيع ذلك منازعة الامر مع نبيهم حيث لم يعلموا انا رسول الله وانا روح الله لامع بهم حيث تكلموا في كمال قدرته لهم اذ انا ثرة لهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى من وهب الموهاب مادة جسمانية لافادة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاسرار والحقايق من سماء العناية على المعشر الجهال الذين يكونون لنا اي لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لاولينا نقتسمها واخرينا فاهل الحق يراعون الانفاس لصعدة مع الله وهوى مع الله وانت خير الرازقين لان الله يرزق من يشاء بغير حساب ورزق من عبر ورزق من بكر يجب علينا لا يعلم بحسبها ويجعلها سببا كبرى بصطادها الدنيا فاني اريده من المراتب الروحانية الى المراتب الجبروتية وهو المسمى بالحقيقة ويوم العيد يقع حيث على صفاتهم الحسنا نواعليها كما قال يوم يدعو الناس على اعتقى فيه ويحشر على ما

علیه انت قلت للناس الخطاب مع الامة الامی سبحانه ان لا یکلم الکفار ویکلم حبیبه بلا منهم او المراد بالقول امر التکوین فالمعنی انت خلقت
فیهم اجتهادهم وامثالهم الهین ام انا خلقت فیهم خذلانا الیم انک انت علام الغیوب الغیب فلا یغیب عن الخلق وبعمل ای شیء یعملون الغیب ما غاب عنهم ولا یمکنهم
ان یعلموه والله حسبی ونعم الوکیل نعم المولی ونعم النصیر سورة الانعام مکیة وهی مائة وخمس وستون آیة وعشر رکوعاتها

بسم الله الرحمن الرحیم

بنام خدای بخشاینده مهربان

ع ۱ الحمد لله الذی خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذین کفروا بربهم یعدلون

سپاس مر خدای را که آفرید آسمانها وزمین را وآفرید تاریکیها وروشنی پس آنگاه که کافر شدند پروردگار خود را برابر میکنند

هو الذی خلقکم من طین ثم قضی اجلا واجل مسمی عنده ثم انتم تمترون وهو الله فی السموات

اوست آنکه آفرید شما را از گل پس حکم فرمود مدتی را ومدت نامیده ودر نزد اوست پس شما شک میکنید وهو او پرست خداوند در آسمانها

وفی الارض یعلم سرکم وجهرکم ویعلم ما تکسبون وما تاتیهم من آیة من آیات ربهم

ودر زمین میداند پنهان شما وآشکار شما را ومیداند آنچه کسب میکنید ونمیآید بشما از آیتی از آیات پروردگار ایشان

الا کانوا عنها معرضین فقد کذبوا بالحق لما جاءهم فسوف یاتیهم انباء ما کانوا به یستهزءون

مگر آنکه بودند از آن روگردانان پس بتحقیق که دروغ شمردند حق را چون آمد بایشان پس زود است که بیاید ایشان را خبرهای آنچه بآن استهزا میکردند

الم یروا کم اهلکنا من قبلهم من قرن مکناهم فی الارض ما لم نمکن لکم وارسلنا السماء علیهم

آیا ندیدند که چه قدر هلاک کردیم پیش ایشان از زمانها که جای دادیم ایشانرا در زمین آنچه جای ندادیم شما را وفرستادیم از آسمان بر ایشان

مدرارا وجعلنا الانهار تجری من تحتهم فاهلکناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم

باران را وقرار دادیم نهرها که روان بود از زیر ایشان پس هلاک کردیم ایشانرا بگناهان ایشان وپیدا کردیم از پس ایشان

قرنا آخرین ولو نزلنا علیک کتابا فی قرطاس فلمسوه بایدیهم لقال الذین کفروا ان هذا

قرنهای دیگر را واگر فرستادیم بر تو کتاب در کاغذی پس بمالیدند آنرا بدستهای خود هر آینه گفتند آنان که کافر شدند نیست این

الا سحر مبین وقالوا لولا انزل علیه ملک ولو انزلنا ملکا لقضی الامر ثم لا ینظرون

مگر جادوئی آشکارا وگفتند چرا فرود نیامد براو فرشته واگر فرستادیم فرشته را هر آینه حاضر شده بودی کار پس ایشان

ولو جعلناه ملکا لجعلناه رجلا وللبسنا علیهم ما یلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلک

واگر آفریده بودیم اورا فرشته هر آینه میکردیم اورا مرد ودر آینه میپوشیدیم بر ایشان آنچه میپوشیده اند ودر رسیده است پیغمبرانرا از پیش تو

ع ۲ فحاق بالذین سخروا منهم ما کانوا به یستهزءون قل سیروا فی الارض ثم انظروا کیف کان عاقبة

پس احاطه کرد بآنانکه مسخره کردند از ایشان آنچه که بودند کسانرا که استهزا میکردند بگو سیر کنید در زمین پس بنگرید چگونه بود عاقبت

المکذبین قرأ نافع وابن عامر حیث کان بالغیب هنا وحیث کان ابو عمرو ویزید والاعشی ورویس عن طریق الاصفهانی وحمزة فی الوقف لفلا یستهزئ وبابه بالهمز

تکذیب کنندگان ابو عمرو وسهل ویعقوب وحمزة وعاصم وفرا ویزید والشموني وحمزة فی الوقف بغیر همز ابتاءون بغیر همز فحاق بالالف الرحیث کان حمزة

الوقف والنور لان ثم لتراخی الاخبار بعد لون احلا تمترون وفی الارض وقف بصری للتغلیب هو الله یعلم سرکم وجهرکم فی السموات وفی الارض

ویعلم بعد بل للغنی وهو المستحق للعبودیة فی اهل السموات واهل الارض تکسبون معرضین لما جاءهم للابتداء بالتهدید یستهزءون صدارة العطف للتفخیم

انزل علیه ملک لا ینظرون یلبسون یستهزءون الکذبین التفسیر عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزل معها من الملائکة

سبعون الف ملک فملا ؤا ما بین الاخشبین فدعا رسول الله ﷺ الکتاب فکتبوها من لدنهم سوی اثنا عشر معدودة عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ قال لقد نعت

لنا الجبار جل جلاله مع جنبین الف ملک او جنبین الف ملک تحفهما اجنحة اقدامهم فی صدر کما بقدر ما فی الحوض ولعظمة الله عز وجل ما یعلم الا الله تعالی

بنا ومن حضر من المشرکین وعلم الله لا یخلقه ولا استمال هذه السورة علی لامات التوحید والنبوة والمعاد ولردة لها جملة ذهب علماء الکلام الی ان علم الاصول

صح جلالة قدره بجب تقدمه علی الفروع لا علی الزاعی بخلاف الاحکام فانها تنزل کفاء المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذکور

فی اوایل سور جمع واخص کل واحد منها بصفة لکن اعمها صلة فاتحة الکتاب الحمد لله رب العالمین فان العالم کل موجود سوی الله تعالی فکان سائر السور

تفاصیل لهذه الجملة اثنی الله سبحانه علی نفسه بقوله الحمد لله الذی خلق السموات والارض اشار علی النفس صحیح فی الشاهد فبهذا دل علی انه لا یمکن قیاس الحق علی

الخلق وکما انه واحد فی ذاته فهو واحد فی صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد علیه والخلق فی هذا مستحقون فالمدح بحسب الفضیلة والکمال لا بوجه آخر لان الممکن صفر

کما الاولی هی مشوبة بالنقص والاختلال وذاته الاولی فی اقوی الامکان بخلاف واجب الوجود فانه کمال غایة الکمال ولا نهایة لعظمته وجلاله فلا یلیق علیه

هو ولا يثنى الا عليه ولا ان يشكر ويحمد الا له ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف
اسما جائز ومعرفة وانما الذة ذكرناها وقد تقدم في الاسماء ان مسمى الخلق يجمع الى التقدير والتقدير عابد العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على
حسب علمه لان بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر
لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد
الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجئ تقرير ذلك في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وان تخصيص جرم
هذا الكل بمقدار معين وتخصيص كل من اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الجسمية وتخصيص كل حركة بحد
معين من السرعة والبطوء بجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد ذاته وفي صفاته وفي افعاله والا يتم ان الحركة كذلك والا لان حقيقة
الانتقال من حالة الى حالة فيقتضي المسبوقية بالغير وعدم الاولوية بنفسها في المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل
حركة اول فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اختصاص بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل
في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما تقدم في الكلام فحصول هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج
الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تاثيراتها وهي الابانية
العنصرية وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجوه صانع قدير وحكيم خبير تدبر اعلى
احسن وجه من اتم الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشاء ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين وانما لم
يقل وخلق لانه ازال الغامض عن اشياء شتى من شئ كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الاخر وقيل
لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل وحد النور لان النار واحد هو منها والظلمة والنور
ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس الظلمة ظلمة الشرك والنفاق
والنور نور الاسلام واليقين على الاول لما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص
وتلك المراتب كثيرة او لانه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم
الحدث سابق على وجوها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدما للنور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاخبار
ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد
على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلق ما خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم
يعدلون اي يسوون به ما لا يقدر على شئ من ذلك فعلى الاول يعدلون من العدل وعلى الثاني هو من العدول وعدي ثم ههنا وفي قوله ثم انتم
تمترون الى رتبة واستبعادا مضمون الجملتين احدهما ان الاخرى دليل اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من ادم
لانه مخلوق من الطين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر وكلها يرجع الى خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم تولد
النطفة المتشابهة الاجزاء عن تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام
والغضاريف والاوتار والاوردة وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد
المخلوق فيكون قادرا على اعادته واعادة الحي فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يجئ بمعنى
بمعنى الحكم والامر وقضى ربك لا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل ازلا فقضاها سبع
سموات وسنة قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب ولا نقضا الامد اصله من التاخير ومنه الاجل
نقيض العاجل ثم ان صريح الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول اجال الماضين لانهم لما ماتوا صاروا اجالهم معلومة والثاني
اجال الباقين لانها عندهم معلومة بعد انها هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية
الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني ما بقي
من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي يمكن بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي محصونا عن الافات الخارجية والثاني
الاجل الاختراعي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل والسم وغيرها من الاسباب المفصلة ومعنى مسمى اي مذكور
في اللوح المحفوظ او عندي في حكمه وعلمه كما يقول هذا المسئلة عندي لكذا وعندي ابو حنيفة كذا او تعني اجل بالابتداء وجاز ذلك مع
تنكير المكان وصفره فقد يراد بالمعرفة ما لم يعهد وعند اجل مبتدا ثان هذا الاجل فكانه قيل واي اجل مسمى عنده والمبتدا والاستقرار الثاني مبتدا
بتعهد الاستقرار عن مثل هذه الجملة الباهرة الموجبة للتيقن في امر البعث والمعاد ثم قرر انه سبحانه عالم بجميع المعلومات وارد على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا
يمكنه الطمع من العاصي لان من جزاء بعض اجزاء بدنه عن اجزاء بدنه عمرو فقال وهو الله في السموات وفي الارض وقيل اراد ان من في السماء انه سبحانه

مستقر في السماء او مؤكد وقف بعض القراء على السموات الابتداء بقوله في الارض يعلم اي يعلم سائر كم الموجوده في الارض ولو سلم ان لا وقف فالاجماع حاصل على انه ليس موجودا في الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد ظاهري ترك العمل بالظاهر الاخر من غير دليل ونقول بانه تعالى الله ثم السموات فلو كان هو في السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه ولا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقدرة نقول لان الله على كل شئ قدير وبانه لما ان لم يكن في مكان واحد هو ظاهر الظاهر في جميع الجهات وهو يقتضي كونه في اماكن لا تتجزأ ومتصلة التجزأ الواحد في مكانين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استيعاب المكان لا فقا البتة لا التجزء والتجزء وهو فرق بديهي من وجه وبانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون مختصا بمقدار معين فيكون محدثا ومرتبا عليه ان لا يكون في السموات وفوقها الما الا يتناهى لا سيما عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقيد على عالم اخر فوقها لزم التحيز وان قيد فلو فعل الحصل تحت ذلك العالم او القوة منكرون كونه تحت العالم والاعراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال عز الجسمية المراد وهو الله في تدبير السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه ويحتمل هذا ان يكون في السموات اخبارا بعد خبر وهو يوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعده او صلة لله بمعنى الاشارة لكن فيه هذا الاسم وللسر من صفة القلوب وهو الكتم والصور والجهر من اعمال الجوارح لان الاول متعد على الثاني طبعا فالاجرم قدم عليه رعاية لحاله

ذلك ويكون المعنى يعلم في السموات والارض سرائرهم الذي والاين والجهر اوالمراد هو المعروف منهما او المعروف بالالهية والمتوحد بها

اي تعلم سركم وجهركم مقدرة لما قبلها او خبرا ثالثا وكلام مبتدأ وبعلم ما تكسبون تكسبون الكسب الاعمال السيئة والجهرية لانه الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او دفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب فرارا لاخص الذكر بعد الاعم للتقرير والتاكيد ويكون ذكرهم حسنا لما يلزم منه عطف الشئ على نفسه والمراد انه عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب وعقاب لما وقع من دلائل التوحيد والمعاد شرع في البيانات فرتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلاث مراتب الاولى كونهم معرضين عن التامل في الدلائل وذلك قوله وما تاتيهم من اية من اياته من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض قد يكون للغفلة لا للتكذيب اذ الكذب فقد العرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الايات فقد كذبوا بما هو اعظم اياته وهو الحق لما جاءهم فسوف يأتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذي تحداهم به فعجزوا عنه وقيل محمد وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء كان غاية في القوة وذلك قوله فسوف يأتيهم انباء ما كانوا اي اخبار الشئ الذي كانوا به يستهزءون وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس المراد نفس الانباء بل العذاب الذي انباء الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحكيم اذا توعد فعل ما قال مستعينا هذا اذا نزل بك اما اذا لم ينزل فلا يكون الغرض من الخبر حصول العلم بالخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة ومعنى الآية سيعلمون بأي شئ استهزؤا وانه لم يكن موضع استهزاء ودلك عند نزول العقاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره او في الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة فنبههم بتذكر احوال الامم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المقدرون بعدد كالقرن الذي هو ثمانون سنة وقيل سبعون وقيل ثلاثون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى القرن وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا في هذه الاخبار لانهم بصدد التكذيب فسيكذبونه فيها ايضا وانما المراد ان ما يختص بالمقدمين منهم مشهور بين الناس منعبدان بقالانهم ما سمعوا تلك الحكايات وجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلثة اوصاف الاول تمكنهم في الارض بما لم يتمكن فيه غيرهم والثاني انه جعل لهم مكانا ومكنهم فيها امتن وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الآية والمعنى لم نعط اهل مكة نحوا مما اتينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجساد والسعة في الاموال واسباب الدنيا الثالث ارسال السماء عليهم يعني العث السحاب والحضر الان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار كثير الدر والدرور اذا اقبل على الحالب منه شئ كثير ومدرارا نعت المطر وقيل ايضا سحاب مدرار اذا تتابع مطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث الرابع وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت امكنتهم والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم بحسب ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا قلنا الدفع هذا الاشكال كرر فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي لا ائم كما يكون بالعذاب الايلام ثم نبه بقوله وانشانا من بعدهم قرنا آخرين على كمال عزته واستغنائه وغاية قدرته واستعلائه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد فالبلد بلاده والعباد عباده التحريف التعبير والتبديل الاعدام والايجاد ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه متناه لا على قانون الحزم والعدل فمنعه ذلك عن التزام التكاليف فهو المذكور الاول ومنهم الذين اذا ذهبت عنهم الكفر اق ولين من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حمله العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء وجعلها من قبيل السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله لو كونزل علينا كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا اسحر هو ههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب جملة اما لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره منكرا وان كان من قبيل الاعجاز فالملك يقدر على ان الزله من السماء وقبل الايمان بصدقا لرسل لم يكن عصمة الملائكة معلومة وحينئذ يجوز ان يكون نزول ذلك من قبيل بعض الجن والشياطين او من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الآية ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا مسوه بايديهم بقوى الادراك البصري بالادراك اللمسي وبلغ الغاية في القوة والظهور ثم ان هؤلاء يبقون ساكتين غير ذاهبين

الجزء السابع

موجود ام لا وذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد المستفسطة قال الفاضل الاية دليل على وجوب اللطف لانه تعالى انما انزل هذا الكتاب من حيث انه علم انهم لو قابلوه وامنوا به لانزله لاحسانه وترتيب باقي المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل على وجوبه ومن المكفرة من قابل البرهان بامثال هذه الشبهات والافترافات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد ما نراك على شيء مما تدعيه فاتنا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وائتنا برسوله وذلك قوله قالوا لولا انزل عليه ملك فاجابهم الله تعالى عن مقترحهم بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر بالهيئة وبالمعنى الذي يجب لاهل الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك ثم قتلوا ولجوا لم يؤمنوا بل يجب لهم العذاب الذي يجب لاهل الاستيصال وقد جرت سنة الله على ان يعذب من اقترح الاية ثم كفر بها عذابا لا يرجى معه النظرة والانسان بطبعه عجول وقد يقترح ما لا خير له فيه فلو اجابه الله تعالى الى كل ما يقترحه لهلك ولكنه تعالى يعامله بالفضل والرحمة ولا يجيبه الى ما يقترحه من الاشياء التي لا مصلحة له فيها ولا يخفى ان هذا الجواب لا يتم الا على مذهب من يقول ان الله تعالى قد يعلم ان المصلحة في ان لا يفعل ما اقترحوه وقد يعلم ان المصلحة في ان يفعل ما اقترحوه ثم يفعل ما اقترحوه ثم يكفرون بعد ذلك فيستحقون العذاب المستأصل وقد يعلم ان المصلحة في ان لا

اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا
المتكلم ابو جعفر ونافع الى اخاف بفتح الياء هما وابن كثير وابو عمرو اباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف و
عاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول انكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام بادخل بينهما مدة اينكم بالياء بعد الهمزة ابن
كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب بغير مد اينكم بالمد والياء ابو عمرو وبين بين وبمد وقالون بتحقيقهما جيث كان بمد وحمزة في الوقف يحشرهم
ثم بقول بالياء الغيب فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بالتانيث حمزة وعلي وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير
وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب الا نصبا بالنصب على التدا حمزة وعلي خلف المفضل الباقون بالجر على البدل والبيت الوقوف
الارض قل الله الرحمة لان قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف ليجمعنكم جواب هذا القسم في كتب فيه نظر لان كتب عدا جوز ليجمعنكم وعد
منتظر لا ريب فيه بلى على ان الذين مبتدا فيه معنى الشرط لا يؤمنون والنهار العليم ولا يطعم من المشركين عظيم رحمة المبين لا هو قدر عباده الخبير
شهادة ومن بلغ انوي لانها استئناف الى الاخيار قل لا اشهد لاتساق الكلام بلا عطف يشركون ابناءهم لتلا يوهم ان ما بعده وصف لا يؤمنون
بضم التاء وكسر الباء انكم الظالمون بفتح الهمزة وكسر الميم عمر مشركين بفتح الياء وكسر الكاف نحشرهم بالنون وفتح الشين نقول بالنون وضم اللام
باعتبار احوال الغائبين عادا الى اثبات هذه المطالب بطريق الالزام واخذ الاعتراف وذلك ان اثار الحدوث وسمات الامكان لائحة
على صفحات السموات والارضين حتى تبلغ ظهوره الى حيث لا يقبل منكرا على انكاره فكان في السؤال تبكيت الخصم وفي الجواب تقرير والزام اي هو الله بلا
مراء وشفاء ولن تهم الملك والملك اذا كان قادرا على الاعادة كما هو قادر على الابداء ولن تحصل حكمة الاعادة الا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
ولن يحسن ايضا الثواب والعقاب الا بعد نصب الادلة وارسال الرسل فلاجل ذلك تاله كتب على نفسه الرحمة اي بنصب الادلة واراحة العلة
ايجابا الفضل والكرم وقبل هذه الرحمة هي انزاههم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستيصال او فرض على نفسه الرحمة لمن تاب لان ترك التكذيب بالرسل وتاب اثابة
وصدقهم وقبل غير بعثهم او تلك الرحمة هي تاخيرهم الى يوم القيمة فانه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كانه قيل
لما علمتم ان كل ما في السموات والارض لله تعالى وانتم مالك الكل فاعلموا ان الملك الحكيم لا يهمل امور عبيده ولا يجوز في حكمته التسوية بين المطيع والعاصي
والعاقل والساهي ومعنى ليجمعنكم الى المحشر يوم القيمة فان الجمع يكون الى المكان كالى الزمان وقيل ليجمعنكم في الدنيا خلقكم قرنا بعد قرن الى يوم القيمة
قال الاخفش الذين خسروا بدل من ضمير المخاطبين في ليجمعنكم وقال الزجاج انه مبتدا خبره فهم لا يؤمنون وذلك لتضمنه معنى الشرط فكانه قيل ان
المشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فالجدير الذين خسروا انفسهم اي في علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون في طرف الابد فكان امتناع
الايمان منهم مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال الكشاف الذين خسروا انصب او رفع على الذم بمعنى ابدل الذين او انتم الذين
ثم لما بين ان له المكان والمكانيات ارتقى الى بيان ما هو اشد التربية المعلمية لما هو اخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال
وله ما سكن في الليل والنهار عن ابن عباس ان كفار مكة قالوا يا محمد صلى الله عليه وآله انا قد علمنا انما يحملك على ما تدعونا اليه
الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من اموالنا حتى تكون من اغنانا فرجع فانزل الله وله ما سكن الاية قل اشتقاقه من السكون والتقدير
كل ما سكن ومحل كقوله سرابيل تقيكم الحر اي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر للقرينة والاحوان في اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان
مسكن ببلد كذا اي حل فيه والمراد كل ما حل في الوقت من الزمان سواء كان متحركا او ساكنا او ثابتا وذلك ان الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث
فلا بد له من محدث يتقدم عليه على نفس الزمان وهو السميع العليم الذي يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجاتهم المضطرين فيوصل كل ممكن الى كماله
اللائق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم ان يزعم ان الله تعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا في نفسه كالمقارنات التي يثبتها الفلاسفة فلا
جرم قال قل اغير الله اتخذ منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه انكر ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الانكار الى
الفعل نفسه اتخاذ الولي واتى بغير مهتم فاطر السموات عطف بيان من الله وبدل وقرئ بالرفع على اضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر
حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدانها وقال ابن الانباري اصل الفطر الشق وقد يكون شق اصلاح كقوله فاطر السموات و
الارض لصحة الفهم ومنشاها التركيب لانه سبحانه ان يحصل فيه الشق والتاليف عند ضم بعض الاشياء الى بعض وقد يكون شق فساد ومنه قوله تكاد تميز من
غيظ وذا السماء انفطرت وهو يطعم ولا يطعم اي هو الرزاق لغيره وكل ما يرزق فلا بد له من طعام وان كان متغايرا فالا لم يجز العطف في قوله وهو يطعم ولا
يطعمون لانه اما مستقيم بان يجعل احدهما كناية عن الانوثة وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا للفاعل على ان الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم
ولا يطعم كلاهما للفاعل والمعنى هو يطعم ثمارة ولا يطعم لنوى كقولهم فلان يعطي الجزيل ويمنع القليل بمعنى لا يستطعم وحاصل الاية انه يجب شغل القلب كله بالله وقطع
العلائق بالكلية عما سواه لانه المتولي المطلق الذي يجب ان لا يعوض منه الانقطاع ثم بين ان النبي ايضا داخل في تكليف المعرفة بل هو اسبق وقدوة لباقي ذلك فقال قل اني
امرت ان اكون اول من اسلم وقيل لا تكونن من المشركين وفيه ان الواعظ يجب ان يتعظ اولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر ان النهي عن الشرك

لتضمنكم وقيل في خذلاني لتضمنكم

انا فطرتها ثم

قدره بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لان الفرض قد يجلو للمستحيل كقولك ان كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من بصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد الى الله والمفعول وهو العذاب محذوف لكونه معلوما ومذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز ان تنصب به مفعولا به على ان المفعول به ليصرف الى من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله ومن قرأ على بناء المفعول فهو مسند الى ضمير العذاب او لم يتم الفاعل وهو الله تعالى العلم به فقد رحمه اي الله الرحمن العظيم كقولك ان الطعام زيد من جوعه فقد احسن اليه يعني كمال الاحسان والمراد فقد ادخله الجنة فان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا او استيجابا بالنذر لان الاشاعرة وان لا يوجبون شيئا على الله تعالى لكنهم يقولون ان الله تعالى اوجب على نفسه الثواب على الطاعة غير واجب انما هو ابتداء فضل واحسان والا لم يجز ذكر الرحمة ههنا الا ترى ان الذي يفتح منه ان يضرب يدا فاذا لم يضرب به لا يقال انه رحمه وذلك لان صرف العذاب ايضا الثواب على سبيل التفضل والاستيجاب الفوز المبين لانه المطلب الاعلى والمقصد الاسنى لكل مكلف ثم اكد المعنى المذكور وهو انه لا يجوز للعاقل ان يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وان يمسسك الله بضر من مرض وفقر او غير ذلك من البليات فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير عام الحكم ليندرج تحته كل خير والحاصل ان اندفاع جميع المضار بقدرته وكذا حصول جميع الخيرات لان كل ما عداه فانما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بايجاده وتكوينه فان الممكن لذاته لا يوجد لا بايجاد الواجب لذاته وراس المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الايمان ولن يحصل نفع الكفر وداعيته الا بتوفيقه تعالى وكل ما به صلاح المعاد او المعاش فان ذلك بتهيئة الخالق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع او الضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة الا هو ثم زاد هذا المعنى بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو اشارة الى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وانما اشار الى كمال العلم فالحكيم اعم من العلم لانها عمل وعلم وكونه خبيرا خص من العلم لان العلم يتعلق بالامور وخباياها فاذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من اثبت الفوقية لله تعالى وعورض بوجوه منها انه لو كان فوق العالم بان كان في الصغر بحيث لا يتميز منه شيء من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقدح في كونه عالما وان كان ذاهبا في الانظار كل مذهب مجتمعا واجيبوا بان يكون نورا فانما ابدا نه غير متناه لا متحيزا ولا منبعضا فانه محيط بجميع الاشياء لا بانه في جوفه ولا بانه لا نهاية لوجوده واما انه كيف يتصور نور بلا انها نهاية مع انه لا ينقسم ولا يتبعض فمجرد استبعاد فلا يصلح حجة وادراك شيء من هذا النور محال الا نور ومن يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها انه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اتحاد الحيز والمحيز بالقادرات والجواب ان هذا كلام تخييل فلا يستعمل في البرهان ومنها انه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن وجود الله تعالى فيه فوجود الله تعالى فيه جزء من اجزاء ذلك الخلاء دون سائر اجزائه محتاج الى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف الجواب اما ذكرنا ان نور الانوار لا يتناهى في القوة والا بتناهي فيها لانتهى هذا الاعتراض ومنها انه سبحانه موجود قبل الخلق والحيز والجهة فلا يكون بعد خلقها موجودا فيها والا لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين الاختفاء ومنها ان العالم كرة فاما ان يكون الله تعالى فوق اقوام يلي اقدامهم او يكون تحت اقدام من يقابلهم واما ان يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بالكل فلا يكون الله تعالى فوق العالم كرة انما يلزم القسم الاول ولا يلزم لجواز ان يكون فوق جميع الجوانب وهو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء والقسم الثاني ولا يلزم من احاطته بجميع الاشياء كونه فلكا كسائر الافلاك واما التحقيق فقد مر منا ان لفظ الفوق في الآية مسبوق بالقهر وبالقدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده وانه شعر بالمملوكية والمقدورية فلم نسلم ان يراد بالفوق ايضا فوقية القدرة والقهر ولا يلزم التكرار لان المراد من القهر القدرة عام في حق الكل والجواب ان حمل الوسط على الطرفين اولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وانما النزاع في مفهوم المقاهرية والفوقية ويحمل احدهما على الاخر اولى من غيره ومنها ان الآية سيقت رد على من اتخذ غير الله وليا وهذا انما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب ان الفوقية بالوجه الذي قررنا من جوابه الاعتراض الاول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب ان يكون المتوصل عليه في كل الاحوال لا وجود ولا ظهور لشيء من الاشياء الا بفيضه ونوره وقد يلوح للمتأمل في هذا الاجمال بعد التنزيه عن التشبيه التجسيم الحلول والاتحاد اسرار غامضة شريفة ان كان اهلا لها وكل ميسر لما خلق له قال الكليبان زوشا مكه فاوحى الله اليه ما محمد ما رأيت احدا يصدق بما تقول من سر الربوبية ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فما عرفوا ان اسمك عندهم مذكور لا صفة فاذا من اشهد ك انك رسول كاذبون فنزلت قل اي شيء اكبر شهادة الآية قال العلماء اتفقوا على ان اكبر الشهادات واعظمها شهادة الله ثم بين ان شهادة الله حاصلة الا انها لم تدل على ان تلك الشهادة لاثبات اي المطالب فقيل انها لاثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه من سبب النزول والمعنى قل يا محمد اي شيء اكبر شهادة حتى يعترفوا بان اكبر شهادة هي شهادة الله تعالى فاذا اعترفوا بان الله شهد بالنبوة بان اظهر على وفق دعواه معجزا هو القرآن الذي يحير ثم معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقبل ان حصول هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى فلان اي الوحدانية لم تثبت قط بنص صحيح على صحة السمع فلا يمتنع اثباتها بالسمع والمعنى قل الله شهيد بيني وبينكم في اثبات الوحدانية والبراءة عن الاضداد والانداد والاشباه والاشباه وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به والبلاغ ان الذين هم بالقوة والشرك مردود واستدل المجسمة والاينية على انه يصح اطلاق الشيء على الله تعالى وخالفهم معتجا بقوله تعالى خالق كل شيء اذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه فان التخصيص انما يجوز في صورة شاذة لا يلتفت اليها فلذلك اعتبارها يطلق لفظ الكل على الاكثر نبهنا على ان البقية جارية مجرى العدم فلو كان

الباري تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء واشرفها فيكون اخواجه من هذا العموم محض الكذب وايضا انج بان الشيء يطلق على المعدوم لقوله تعالى انا نقول لشيء اذا اردناه فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فالشيء لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول ان اخواج الاكثر من العموم جائز عندنا وليسلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار داخل في الباقي وعن الثاني ان لفظ الشيء اعم الالفاظ وقد صدق الخاص كالذات والحقيقة صدق العام بالضرورة قال الجبائي قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا يصح استدلالكم فلما قل لي شيء سؤال ولا بد لمن جواب هو اما مذكور او راء قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيد اي وهو شهيد بيني وبينكم او محذوف المعنى قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله شهيد علم ان اكبر الاشياء شهادة هو الله واما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير المخاطبين العائد الى المعنى محذوف اي لانذركم يا اهل مكة ولانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ اي من احلام بلغ اوان التكليف على هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى وصف بالجمع الواحدة كما يقال الرجال فعلت ثم رد على ايجاب التوحيد بثلث جمل اولاها قوله لا اشهد اي بما تذكرون من اثبات الشركاء وثانيها قوله انما هو اله واحد وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها قوله واني بريء مما تشركون ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن اسلم ابتداء ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ الى الله تعالى عن كل دين سوى دين الاسلام ولما زعم مشركو مكة انهم سئلوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكر كذبهم الله تعالى بقوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه اي يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالتعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون لغيرنا انهم الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاولى ويكون المقصود عدم المعاندين منهم والجاحدين او اما مبتدأ والكلام جملة مستأنفة شاملة لجميع الجاحدين من اهل الكتاب من المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذين يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من احد الا وله منزلة في الجنة الا ان من كفر كان منزله الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورث منزله غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا انهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاولى ان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله والنصارى كانوا يقولون المسيح ابن الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون ان التوراة والانجيل ناطقان بعد النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثاني قدحهم في القرآن وفي صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشيء في غير موضعه الباطل مكان الحق والحق مكان الباطل ثم كشف عن حالهم يوم القيمة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اي يوم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في الوعيد ويحتمل ان يكون مفعولا به اذكروا او معطوفا على محذوف اي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر ثم قرر شركاءكم الهتكم التي جعلتموهم شركاء الذين كنتم تزعمون هم شركاء فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز ان يحال بينهم وبين الهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم عند الحاجة اليهم فيزداد حسرتهم ويحتمل ان تكون شفاعتهم لكم وانتفاعكم بهم والغرض من جميع الوجوه ان يتفرر في نفوسهم ان الذي يظنونه نافعا يوشك ان يصير ذلك تبيها لهم في الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم من قرأ بالرفع على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فبعكس ما قلنا والتقدير شيء الا ان قالوا والمعنى واحد تانيث يكن لتانيث الخبر مع تذكير الفعل كقولهم من كانت امك وتأويل مقالتهم قال الواحدي الاخير قراءة من قرأ بالنصب لان اذا وصلت بالفعل لم يوصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر كما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت انا القائم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله خبرا فكذلك ههنا قال الزجاج تأويل هذه الآية حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك انه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم منهمكين فيه ثم ذكر ان عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وتمادوا عليه الفخر وابوءوا به وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين والتبرؤ والحلف على عدم الشرك من عادة الذين يؤتى بهم يوم القيمة فاذا وقعت في محنة يتبرأ منه فيقال له ما كانت محنتك اي عاقبة محنتك لفلان الا ان تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هي شركهم في الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز ان يراد ثم لم يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي قولهم كذبا لانه كذب قال القاضي ان الجبائي وابو بكر الاصم اجازا ان اهل القيمة لا يجوز ان يلجئهم الله تعالى الى الكذب بالاضطرار فيكونون مجبرين الى ترك القبيح وكيف لا وانتم يعلمون ان ذلك لا يروج منهم ولا يستفيدون من ذلك الا زيادة المقت والغضب من الله تعالى عليهم ولا يجوز ان يفعل بهم ما يعلم انه يؤدي الى القبيح واختلت عقولهم واضطرب فلهذا قالوا الكذب وانتم تسلمون انهم مشركون في الدنيا لانه لا يليق بالحكمة تعالى ان يوبخهم ثم يحكي عنهم ما يجري مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان يجوز في بعض الاوقات ان يلجئ الله تعالى الشخص مدة عمره نوع من التسفسطة وايضا انهم لو كذبوا في موقف القيمة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا على نوع من القبيح فان هوة بو على ذلك صاف الاخرة دار التكاليف ان لم يكونوا كذلك اذ ناس الله تعالى ذكر ما لذنوب وكلامهم محال فاذن الوجه في الآية ان يقال انهم لقوة اعتقادهم في صحة مذهبهم وفساد مذهب المسلمين ظنوا انهم موحدون فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اي في اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فهم كونوا صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين

عند انفسهم فيجب حمله على قوله ثم انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم على صواب وان ما هم عليه لهم شرف وان الهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اى انظر كيف غاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترونه اى يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الاية صيغت لبيان تضاد حالهم في الدنيا وفي الاخرة بالكذب بالصدق لان الصدق في الاخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذا اجمالي كلام القاضي ثم قال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد ما كنا مشركين ليس بمفتر ا وكيف كذبوا على انفسهم في الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون في الغمة لقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وقوله لا يكذبون تعالى الا ان المحق ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه وبما لا ينفعه جميعا وبهذا الاعتبار صح الاستثناء بقوله الا امرأته منهم وقد اتفقوا على الخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم فاختلال عقولهم حال ما يكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في نشأة الاخرة ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسئل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل لله وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم يحنين من اشتاق اليه فلا غير الله اتخذ ولي وقد اتخذ الله في الازل حبيبا فاطر سمواته القلوب على محبته وفاطر ارضه النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين طعام المعارف وطعام المشاهدات وحقيقتهم كؤوس من الكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالدراري اول من اسلم لانه خاض من حبس الوجود بالكلية وحده ولهذا يقول الانبياء نفسي نفسي واقول امتي امتي ان عصيتك فانهم عبادك ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك لاقوام والتوحيد لاقوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة ازليته متصلة ابدية وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن يتهي الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب فضلوا لاظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلذعات الاشواق الى يوم التلاقي وقهر ارواح الصديقين بسبطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما قهر فلا تخاوف من حكم الخبير لمن يستاهل كل صنف من قهره فنوره بر الله اكبر شهادة لا تنحط بحضانة الانبياء ولا يجيء بر شيء من الاشياء ومن بلاغ القرآن ووقف على حقايقه يقول بوحدانية المشركين انكم لمشركون الذين اتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقرآن يعرفون الله او الذي وفيها اشارة الى ان الاباء قد تحقق عندهم انهم مصارا ابا فكذلك اهل المعرفة قد تحقق عندهم ان الله مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم بافتنا الاستعداد الفطري يوم يحشرهم جميعا يعني اهل المعرفة والنكرة ثم شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على انفسهم لانهم كذبوا في الدنيا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون مخالفة كنند تورا ومنع كنند مردمان را از ايمان آوردن بتو ودور ميشوند از تو ايشان را بدروغ ميدارند ايشان بجز از هلاك نكردانند بجز نفسهاى خود را ودر نمى يابند ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه

قال ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون القراءة ولا تكذب وتكون بالنصب فيهما حمزة ويعقوب واقول ابن عامر وتكون الباقون بالرفع ولدار الاخرة بالاضافة ابن عامر بتاء وبال الساعة الاخرة الباقون بتنوين الدار ورفع الاخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك الاعراب يكذبونك بالتخفيف من اكذب اذا وجدكاذبا على زنافع والاعشى اختياره الباقون بالتشديد من كذب اذا نسبه الى الكذب بان تنزل بالتخفيف ابن كثير ابو عمرو وقرأ بها الاولين ويسارعون عنه لا يشعرون من الخبر من قبل كاذبون لم يعوثبن يضف الجزء وربهم بالجر حفص وتبا تكفرون بلقاء الله لان حتى للابتداء فيها الا ان الواو للحال على ظهورهم يرون وهو شقوة يعقلون يجدون ضرا لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكما ان الله كذلك المرسلين بايات من الجاهلين يسمعون يرجعون من وتبر لا يعلمون التفسير لما بين احوال الكفار في الاخرة اتبعه بعض اشباه ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه واله ابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله ثم قالوا للنضر ما تقول في محمد فقال ما ادري ما يقول الا اني ارى تحرك شفتيه بشيء وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث من القرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فمن ذلك الاية والاكنة جمع كنان وهو كل ما ستر شيئا واستره من الاعطية والغفل ومنه اكنت كنت وان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه والوقر الثقل في الاذان الزكيبة يريد على الثقل ومنه الوقر بالكسر الحمل والوقار الحلم في الاذن دلالة على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان بجعل بين المرء وبين قلبه وقالت المعتزلة لا يكون اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التاويل وذلك من الاوجه قال الجبائي ان القوم كانوا يسمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا بسماع قراءته الى المكائد بالليل فيقصد وافتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والتغفلة وعلى اذانهم الثقل وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه وبان قوله وان يروا كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه الثاني ان المكلف الذي علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر يمنع قلبه بعلامة مخصوصة يستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسميته تلك العلامة بالكنان مع انها لا تفيد بانفسها ليست بمانعة عن الايمان الثالث يقال انه جعل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على حجة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدين فوض امورهم الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم اذانا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه الادلة بالعلم والداعي وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علم محال وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو العني بالكتان وتحقيق المسئلة تقدم في قوله ختم الله على قلوبهم والافراد في يستمع والجمع في قلوبهم اعتبار للفظ من تارة وللمعنى اخرى حتى اذا جاؤك هي حتى التي يبتدأ بعدها الجمل كقوله حتى ما دجلة اشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء اعني قوله اذا جاؤك يجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون جارة حتى اي وقت مجيئهم ويجادلونك حال بحالة وبقول تفسير له والمعنى انتم بلغ تكذيبهم الايات الى حالة المجادلة ثم فسر المجادلة بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا في صف منه سطر الكتاب سطر من نخل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير وقال الزجاج واحد الاساطير اسطور كاحاديث واحدوثة وقال ابو زيد لا واحد له كاباطيل قال ابن عباس معناه احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اي يكتبونها ومن فسر الاساطير بالاكاذيب والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان لا يكون لها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتغيير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزا كما ان الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب ان هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن اتيان مثله دون تلك القصص فظهر الفرق ثم اكد طعنهم في القرآن بقوله وهم ينهون عنه قال محمد بن الحنفية وابن عباس نزلوا بمكة كانوا ينهون الناس عن القرآن وعن اتباع محمد وينأون عنه والنأي البعد ومنه ناء بناء الرجل اذا بعد لغة في نأى وحملوه على القلب لان المصدر لم يجئ الا على النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والقصد الى تنفيره جمعوا بين النأي والنهي فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس انها في ابي طالب كان ينهى المشركين ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه واله وينأى عنه جاء به روى ان قريشا اجتمعوا الى ابي طالب وبلغهم سوء ابي النبي صلى الله عليه الخ فقال ابو طالب والله ان يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وضعفت هذه الرواية بان قوله وهم ينهون عنه يقتضي ان ذلك النهي لم يحصل الا بعد نزول القرآن وهذا ضعيف لان النهي عن الشيء قد يتقدم ذكره ولكن النهي عن الشيء حسن لا يوجب الهلاك ويمكن ان يجاب بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي عن الشيء والانتهاء عنه بناء على ما ت

الجزء الرابع

وجوف النار غابصين فيها فيكون على بمعنى في وجاز لان النار دركات بعضها فلا يخلو امن معنى الاستعلاء بها ليتناول قوله ولا نكذب ونكون من قرأ بالنصب منهما فباضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان احدهما ان التمني تم عند قوله نرد ثم ابتدأ ولا نكذب ونكون اي نحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد ام لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعودُ وانا لا اعودُ تركيبان اولهما تركيب وثانيهما ان يكونا معطوفين على عائرة اوحالين على معنى بالتمني لنرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان التمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا تمنٍ في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه كذب لا نه كانه قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب في تحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وهو الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقايدهم واعمالهم وسوء عاقبتها ذلك ان كفرهم كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة قال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا قول الحسن وقبل انها في المنافقين كانوا يسرون الكفر فظهر نفاقهم على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب ظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والاولى حمل الاية على الكل لانها تتناول السرائر فلا يوم تظهر الفضائح وتبلى السرائر وتنهتك الاستار ويكشف من الاسرار وتهتك الاستار اللهم كفرعتا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو رددوا الى حالة التكليف وعلموا انهم تعادوا عنه قبل كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير لا يبقى المعترض ضرورة بنه فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر واذا فرض عودهم الى حالة التكليف ان التجئ كما هو الان فاذن لا تخلو العقد الا بان يقال المراد توكيد جريان القضا السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم سئلوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم يخل ذلك فيهم وانهم لكاذبون فيما وعدوا به ضمن التمني او في كل شيء وبهذا قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحيوة المعلومة في الاذهان وهذا اضيف الى ضمير المتكلم جمع الى ما لنا حيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب اليناء ومحض متبعين بعدها وقيل ان تقدير الاية ولو رد وا العاد وا لما نهوا عنه ولا نكروا البعث ولقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيمة فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم ممسك بعض المشبهة بهذا على انه تعالى يحضر ذاته ويقيمه اخرى وردبان اسناد شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق فوجب تاويله بانه اتى مجاز عن الحبس للتوبيخ والسئوال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف وفاي على جزاء ربهم او وعده او انذاره بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ما قال لهم ربهم اذا وقفوا عليه فاجيب قال اليس هذا الذي كنتم تنكرونه من امر البعث والجزاء بالحق الذي حدثتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حال الاقرار كانه سئل اما هذا فعل بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة القدسية بعث الى هذا العالم الجسماني الكثيف واعطي الاذان التي تحصل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي بعظم منافعها بعد الموت فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع راس المال وكان في ربح ذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي بلوغ الاخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هناك الا الله تعالى بخلاف الدنيا فانه قد يظن ان للانسان نصرا واختيارا وملكا وحمل اللقاء على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا لخسران خسرانهم لا غاية له اي لم يزل بهم التكذيب الى تحسرهم وقت مجئ الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة يلوح على صفحات احوال المكلف من وقت وهذا معنى قوله صلى الله عليه الا من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحساب فيه وكانه قيل ما هو الاساعة الحساب او لانها تجيء الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى وهذا قال بغتة اي مجاءة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجاه او على المصدر لعامل اي يغتم الساعة بغتة او الحال لان البغت نوع من المجئ او عامل اذا يلحسرتنا مثل يا ويلنا وقد مر في المائدة اي احضري فهذا وقتك على ما قرئ هنا اصله يا حسرتي فابدل عن الياء الالف كما في يا ويلتى وقولهم فرطت الفوم اي سبقتهم الى الماء معناه تركتهم من ورائي حتى حصل لي التقدم اما التصير في فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر لانه لا بد لكل عاقل ان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن في وقت الساعة على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعدادا لزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران قبل الى ما فرطنا اي احسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الاثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لتحمل ثقل صاحبه والوزر الملجاء لانه يرفع عنه ما اضافه كانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف تمثيل عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت ايديهم لا تراعيد حمل

الاشغال على الظهور كما الف الكتب بلا بد والزجاج الفعل فيه بذكر في المال والصفة تقلع عن خطاب فلان لك كرهه والمعنى انهم يقاسون عذاب ذلك
مقاساة يثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك ستحضك نصب على الذم وقال الجبرائي المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شيء هو احسن الاشياء
صورة واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح ظالما كنت في الدنيا فاركبني اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا واما الكافر اذا خرج من قبره استقبله شيء هو افبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد ظالما كنت في الدنيا فاركب فالكافر
والشقي الاساءة مايردون بئس شيئا يردون وزدهم ثم رد في الجهود الباقية وزدهم في الجهود العاجلة فقال وما الجهود الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس
يريد جهود اهل الشرك والنفاق لان الجهود المؤمن يحصل فيها اما خالصا فلا يكون لعبا ولهوا وقال اخرون هو عام في جهود المؤمن والكافر فذلك ان مدة اللهو واللعب
وكل شيء للهلك وتشغلك تماما اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال مدة هذه الجهود كذلك وايضا اللعب واللهو لا بد في الدنيا منها فما في الكلام شيء من الكلام
ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المناهون وقال الاخرة قال ابن عباس هي الجنة والحياة الحقيقية قال ابو بكر الكفر والمعاصي قال الاصم التمثيل بالعمل
الاخرة خير لمن لا يعمل الا لاخرة ونعم الاخرة خير من نعيم الدنيا من حيث انها دائمة باقية مصونة من سوابق الالام والخوافات شيء من نقص الانقضاء والانقراض
للذين يتقون هذا الخبر انما يتم حصل من انتفى الكفر والمعاصي اما الكفر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليها خير كما قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
افلا تعقلون قال الواحدي من قرأ بالتاء فالخطاب فالمعنى قل لهم افلا تعقلون ايها المخاطبون ومن قرأ بالياء فمعناه افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الاخرة خير من
هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا لبست الا قضاء الشهوات التي يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كان نصيب الحيوانات فيها اكمل فيجعل اكثر اكلا والذ منك
والعصفور اكثر وقاعا والذئب والنمر والحيوان اقوى غضبا وقهرا وكل من وقف عمره على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء
قدر وكل من صرف عمره في تحصيل الكمالات النفسانية والتعلقات الباقية كان له في العقبى مقابلة في الطوبى وقول ذلك دليل على ان هذه الفطرة الاصلية
بحسب اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب ان النوعين تساويا في الفضل المنفعة فالعقل المعلوم افضل من المظنون وان خيرات الاخرة معلومة
قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغالب غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكره وصالح الزاهد عشيته وكم من متمول مغلب صبح امره كبيرا ثم امسى
فقيرا حقيرا وهاهنا وجه بعد هذا اليوم يوما اخر فلا يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب بل انتفع فظلما بخلاص من شوائب الكدورة والافات كما روي انه قال
من طلب العلم ليجادل به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فهو في النار والافضل ان يقال كل ذلك من الحال الزوال والانقراض
وكفى بذلك نقصا وكدرا كما قال الكمال عز عشيرك في سر ومن نفع عند صاحبه انفق الاتم سلى رسوله وقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة كما مر في قوله
قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشان وكسرت بعد العلم لكان لام الابتداء في ليحزنك وما قالك الحزن قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن
مجنون وقيل بصيرهم انهم لا يومنون به ولا يقولون به وقيل نبه اباه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وتغلب كذبه وكذبه يحتج
وقيل اكذبني الرجل الفيه كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب وقواه وكذبته اذا اخبرت انه
انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى اكذبته ان الذي يحدثه يفتعل من عنده شيئا فان ذلك الفاعل يكلف ذلك الكذب والذي يدل على
سبيل الافتعال والافتعال والقصد من قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون ان محمدا ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل لجهل صحيح
ذلك وانه يفي الاان يحتمل بان ظاهر الاية يقتضي انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وآله وانهم يجحدون بايات الله فكيف الجمع بين الامرين وجوه الاول
ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القران ونبوته ويؤكده قراءة السكائي لا يحزنك بضم الياء والجهل
هشام النقيا فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيرنا فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله
مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا واتيناك لانا لا نكذبك انك عندنا الصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر
نوفل كان يكذب النبي صلى الله عليه وآله في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال لهم ما احمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فاذن هذه الاية نظير قوله تعالى في قصة
موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فان قيل كيف قال فانهم لا يكذبونك بل يكذبون غيرك قلنا معناه لا يجدونك كذابا ولا يجدون ما جئت به
مثل كذب وممن يقول الصادق الامين فلا يقولون بعد انك كاذب ولكن يجحدون صحة نبوتك ورسالتك لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض لهم بما
خيل ونقصان فلاجل ذلك يحتمل انه رسول الا انه كذب في نفسه او لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد لانك انت المأمون
المعجزات على يديه ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال لهم ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول الشيطان لعلامة اذا اهانه بعض الناس انهم
لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله كانه قيل له حزنك ليفتك ولا يشغلك عن ذلك فاصواتهم
وهو استعظامك لجحوداتهم الله والاستهانة بكتابه الرابع قيل في التقدير لكبرياء محمد يكذبونك بجعل تكذيبه كتكذيب الله والمعجز على الصدق صدق
ويكذبون جميع الانبياء والرسل وقوله ولكن الظالمين من قامة المظهر مقام المضمر تجهيلا عليهم بالظلم في جحودهم لان من وضع التكذيب مقام
التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذية القوم فقال ولقد كذبت رسل من قبلك اي رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
فانت اولى بهذه النبوة لانك مبعوث الى كافة العالمين فاصبر كما صبروا انظر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لوعده في نحو قوله لاغلبن انا ورسلي

اي تذكرك

الجزء الرابع

وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح انها للتبعيض لقد يجئ زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض فصل الانباء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي صلعم كفرهم واعراضهم عما جاء به فنزلت وان كان كبر عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القرآن فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن العلم به والنفق سرب في الارض لخلاص الحمكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم والسلم الذي يرقى عليها واصله من السلامة كانه يسلك الى صعدة المراد بناء حوشه على اسلام قوته انه لو استطاع ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بهما ولكل ما اقترحوه رجاء ايمانهم ويجوز ان يكون ابتغاء النفق والسلم هو الاتيان كانه قيل لو استطعت ذلك لفعلت لعلمك ذلك لكون الايمان عندها ثم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على ان تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشيئة الالجاء المنافي للتكليف الا الجاء هو ان يعلم انهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا فيضطر الى الايمان مثاله ان يحصل شخص بحضرة السلطان فيلومه في الحال فيصير هذا العلم باعثا له على الفعل وعوض بالعلم والداعي كما مر مرارا اما قوله فلا تكونن من الجاهلين اي من الذين يرضون خلاف ما مر به الله فهذا النهي لا يقتضي انه واقع على مثل هذه الحالة ولكنه بهذا التغليظ والتأكيد الامتناع عن الجزع والاضراب الحزن والاسف على ايمان من لم يشأ الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فجعل من لم يشأ ايمانه كالموتى وان لا يقدر على ذلك والمعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم اما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلان جثوه الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما ان جثوه الجسد بالروح ثم ذكر شبهة اخرى للمطاعنين في نبوة محمد صلعم وهو انه ما جاء بآية فاهرة ومعجزة باهرة كانهم طلبوا ان يكون هذا القرآن معجزا على سبيل العناد وقياسا على سائر الكتب السماوية وطلبوا معجزا ان تقرب على حد الالجاء كشق الجبل وفلق البحر فان معجزات بنيتنا من تسبيح الحصا انشقاق الصخر وغير ذلك لبست بافلق منها او اقدر حوامر بدل الاباء بطريق التعنت واللجاج او المراد قولهم ان كان هذا الموحى من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فائدة الانبياء ليست محض المعجزة عند اهل السنة وعلى وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس ومطالبهم واتيانه بالمعجزة الدالة كاف من القرآن وغيره لمن يبغي الهدى ولو لا علة فلو جاءتهم الى ان يعترفوا اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضي الى ان يستفرق الدليل ولا يتم التحدي وهذا خلاف المقصود ولا يعلمون انه لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستيصال ولا يعلمون انهم لما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق وسبيله لاعطى مطلوبهم على اكمل الوجوه الثابتة ولمنهم من يتبع البتك انكارا واخبارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حجابا من عبادة الانكار وقفلا من امر فيما الاستعداد الفطري وان يرد اكثر ابدا بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى قلوب اعوانهم الايمان منها وهم يعلمون الطلب لعنتهم وان يهلكون بتعنتهم الحلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد من اهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الصحيح ولو رجع ذو قوة على الدنيا ارواح الاشقياء بعد الخلاص عن خراب الطبيعة عرفوا له عذاب الطبيعة قالوا يا ليتنا نرد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطري قبل بدا لهم ما كانوا يخفون اي بظهر عليهم اثار الشقاوة التي كتبت لهم كانوا يكتمون سرها في عالم الصور لغاية الملائمة عنه من اتباع الهوى فيفسد استعداد مرآة حقيقتهم ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب بالاجل التصديق وهذا لانهم اشاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاف وقولهم يا ليتنا نرد خطاب الكبرياء اذ وقفوا على اثارهم عرفوا ربوبية ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم يدعوا البعد في الطف حتى ازجاهم الساعة بغتة هي الساعة التي يتطلب العبد فيها عن اوصاف البشرية بجذبات المحبة وهي فيما اخرني لان فيها بدا لارض البشرية عبد الارض وانشق الارض بنور ربها فنظر المحب الصافي بالنور الساطع الى انام ضاعت عنه في طلب عين الحق فيها شقت عليها وبقول انها الفارض ما احسن صبغ الطبيات فانك العرب وما ازدوت عبر الحيران وهم يحملون اثقالهم الزائدة على ظهور وجودهم فاذا لوجوه على السالك تقيل مانع عن السلوك فكيف ما زاد عليه الا لعب لهو كلعب الصبيان ولهوا هل الغفلة والدار الاخرة هي البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما سواه خير للذين يتقون عبادة الله افلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشأن لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسي فاعلم انه ليس من ضيق نطاق البشرية اثر حتى يجب لله مقالة الجملة ولا مبدل لكلمات الله لفقد انها الحق فقدها وبروزها من الازل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم على الهدى في عالم الارواح عند شاش النور على الهدى فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل التعرض في مظاهر اللطف التعرض بظاهر القهر والبعض في حقه صلى الله هو نهي الامتناع عن الكينونة لما حلفت في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا اكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن فان الله قادر على ان ينزل آية في كل الحظة ولحظة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب الموصوفات على الصانع وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات

بلطائف البشرية ولو ردوا الى عالم الصورة

من كتب الله

الانعام ٦

مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ
هركرا خواهد خدا ازراه بردش وهركرا بخواهد وراه دهد دررا ه ست بگوكه اياببينيد اگر آيد بسركه ديگرى شمارا عذاب خدا يا فرا گيرد شما را قيامت
أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝ وَلَقَدْ
آيا غير خدا را ميخوانيد اگر راست ميگوييد بلكه مراورا ميخوانيد پس برطرف ميكند از آنچه ان ميخوانيد اگر خواهد و فراموش ميسازيد آنچه را كه ازاو براورا ده ايد
أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَ
فرستاديم بسوى گروهى از پيش تو پس گرفتيم اينها را بسختى وتنگى تا مگر ايشان بزارى كردندى پس چرا وقتى كه آمد ايشان بلاى ما زارى كردندى و
لَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا
ولكن سخت شد دلهاى ايشان وآراست ايشان را شيطان آنچه را كه ميكردند پس چون فراموش كردند آنچه را كه پند داده شدند بدان گشوديم برايشان درهاى هر چيز را تا آنكه چون شاد
بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ
شدند بآنچه داده شدند گرفتيم ايشان را ناگهان پس ايشان نوميدانند پس منقطع شد وقطع كرده شد بيخ آن گروهى كه ستم كردند و ستايش خداى را پروردگار جهانيان بگو آيا
إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ
اگر فرا گرفت خدا شنيدن شما را و ديده شما را و مهر نهاد بر دلهاى شما كيست الهى كه غير خداست كه بيارد بشما آن را بنگر چگونه مكرر ميكنيم آيات را پس ايشان
قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ
بگو كه آيا ديديد اگر فرود آيد بر شما عذاب خدا ناگهان يا آشكارا آيا هلاك شوند جز گروه ستمكاران و نفرستيم پيغمبران را
وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا
و ترسانندگان پس هركه ايمان آورد و نيكوكار شد پس نيست بر ايشان ترسى و نه ايشان اندوهگين شوند و آنانكه تكذيب كردند آيات ما را عذاب بايشان رسد بسبب
يَفْسُقُونَ ۝ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ
آنكه فاسقان بگو نميگويم شما را كه نزد من است گنجهاى خدا و نه آنكه ميدانم غيب را و نميگويم شما را كه من فرشته ام پيروى نميكنم مگر آنچه را كه وحى شده ميشود بمن بگو آيا
يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝ وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
كور است و بينا پس انديشه نميكنيد و بيم ده بقرآن كسانى را كه ميترسند از آنكه جمع كرده شوند بسوى پروردگارشان نيست ايشان را جز او هيچ دوست و نه شفيعى

بضم الهاء وروى الاصفهانى عن ورش الوقوف امثالكم تحشرون ظ الظالمون بضلالة ظ لابتداء شرط اخر مثلهم يوعدون لان جواب ان ننظر محذوف
تقديره ان كنتم صادقين فاجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين تشركون بتضرعون يعلون كل شئ مثلهم ظلموا العالمين بآياتكم يرجعون يصدفون الظالمون وتبتدئ
تحزنون يفسقون الملك للابتداء بما يلتقى مع اتحاد الفاعل والقول الى ظ يتفكرون النفهم الى ان زال الساتر المعجز الا لو كان مصلحة لهم لفعل
ذلك اكده بما يؤذن ان انا وفضله واحسانه واصله الى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين في اظهار ذلك المعجز الفاهر
المجمل لم يخل بذلك البتة وهذا ايضا مما يدل بقرينة على ان المبعث والتكليف حاصل لجميع الحيوانات فان الحيوانات ان كان يكون بحيث يثاب ويكون بحيث
يظهر وانما خص من الدواب المشي على الارض بالذكر دون ما في السماء وفي الماء لان معايشه مصالح الاكوان اكثر لزوم وجوده وغايته مصالح الاشرف
ويمكن ان يقال ان الماء ايضا من جملة الارض كلها جميعا كالكرة واحدة فان علياء الجنة انها وصف الدابة بكونها في الارض والطاير بانه يطير بجناحيه
ليعلم انها بانفرادها على عمومها انه بسببهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل ان يقيد فيهما صفة توقع او يقيد فيختصا او لا وهم ان المراد بها
غير الجنس المعاين فبين لقوله بعده الا امم امثالكم وقد يقول الرجل لعبده طرفا حاجتي والمراد الاسراع قال الحماسي طاروا اليه زرافات ووحدانا
قبل ذكر طير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة ذو الاجنحة فان المراد ذكر من هو دون حالا وقبل ان الوصف للتاكيد كقولهم نجم انثى وكما يقول
البصير رجلي وانما جمع الامم مع انه افرد الدابة والطائر التكرة المستغرقة في معنى الجمع قال الفراء كل صنف من البهائم امة وفي الحديث لولا ان
الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فما وجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر نقل الواحدي عن ابن عباس انه قال المعنى في ارزاقها وبموتها وبحشرها
وبتسخيرها كقوله وان من شئ الا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه وعن ابي القدر اهيم الاعرج معرفة الاله وطلب الرزق و كونها
معرفة الذكر والانثى وهذا قول لطائفة عظيمة من المفسرين وقيل وجه المماثلة جماعاة وكونها محلوقة بحيث تشبه بعضها بعضا وبان بعضها
ببعض وهو الذي بعضها من بعض وضعفه بان هذا امر معلوم مشاهد لا فائدة في الاخبار عنه وقيل هو انه دبرها وخلقها وكفل برزقها
واحصى احوالها وما يجري عليها من العمر والرزق والاجل والسعادة والشقاوة ودليله قوله عقيبه ما فرطنا في الكتاب من شئ وقيل هو انها تحشر يوم
القيمة وهو صل اليها حقوقها وقد جاء في الحديث ينتص للجماء من القرناء ولكن قوله بعد ذلك ثم الى ربهم يحشرون يصد كل الاقوال وعن ابن عباس ان عند بقاء
الارض من الدواب الا وقد شبيه من بعض انتقاما فمنهم من يفقد اقدام الاسد ومنهم من يفقد الذئب ومنهم من يفقد الكلب ومنهم من يفقد بعض اعضاء الطاووس ومنهم من
يشبه الخنزير ولولا الخوف الطبيعة كره واذا اقام رجيعه اعجبه وكذلك يجذر الادميين من يشبع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة وان خطأ منها

واحدة حفظه ولم يجالس مجلسا الا اراد فيه واعلم يا اخي انك تعاشر البهائم والسباع فبالغ في الحذار والاحتراز وهب هل التناسخ الى ان ارواح البشر ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها ينتقل الى ابدان الملوك وربما قالوا انها تصل الى محافل عالم الملكية وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت كثيرة الشقاء فانها تنتقل الى ابدان حيوانات اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المناسخة يقتضي حصول المناسخ وهو جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من جنسها الى قوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا ببعثة النمل وبما ذكر هدهد وبخوذلك وانا نعلم بالضرورة بطلان هذا المذهب بالتناسخ طول والله تعالى اعلم بحقيقة الحال ما فرطنا في الكتاب من شيء من هذه المذاهب الا استقرأنا بها ما تركنا وما اغفلنا شيئا من اباطيلها وهل للتبعيض ايما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع الاحوال العالم التفصيل قبل القرآن لانه هو الذي سبق به الاذهان فيما بين اهل الايمان واورد عليه انه ليس فيها فصيل علم الطب الجسماني ولا نفاصيل كثير من العلوم ولا حاصل هذا هل فاتهم في علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل الا اذا تيسر ان يفعل والمحاجة البرهانية هو الاصول القوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تتناهى وعلم الاوائل القرآن اصلا منه شرفه وفضله كما قيل ولا نسلم انه لا يجب المبين بالمطبوع قوله وهو اوسع الخامس والكتاب قوله هذا العموم والخصوص في جانبي الحظر والاباحة اما ما فصيل علم الفروع فذكر الغزالي ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وكقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء قيل ان القرآن وافى ببيان جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا يتقين من دليل منفصل كل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او التضمن بالالتزام لم يكن ذلك تكليفا اذ يكون باطلا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فالمعقول انه نزول لان الاول الاشارة الى الحشر الدنيوي والثاني الحشر الاخروي بقي هل يجوز الارادة والمشية ومقتضى الاطلاق الثاني قول المعتزلة ان حشر الحيوانات الاعواض يليها لان اسبال الاعواض اليها من غير سبق جناية لا يحسن الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال الكل حيوان ان يستحق العوض على الله تعالى بما الحقه من الالام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على الله تعالى حشره فما الذي يوفر عليه ذلك العوض والذبح لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع ورد بحشر الكل فيقطع بذلك فرع اخر وكل حيوان ان الله تعالى يوجب العوض له على الله تعالى وكذا الذبح ان ذبح فيلذع كوبنه موذيا او المرض وسخره للانسان يحمل الاثقال واما اذا ظلم ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا والذبح لما كان فيه العوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان لغير اكله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت ان لا سبيل الى تحصيل تلك المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به اخوذ هب اليه القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك يصيرها ارواحا بقيت كنزابا وقال ابو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها يوجب الالم فذلك الالم يوجب عوضا اخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له واجيب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام اخر البهيمة اذا استحق عوضها على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة فلا تستحق عوضا على الله تعالى فانما يوصل ذلك العوض الى المظلوم والا فانه تعالى يتفضل بذلك العوض على هذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام سبحانه اعلم وما ذكرمن خلايقه وفكره زاد فدرنا ما يتبعك على عظيمه ويشهد لوبيته وبنيه على وحدانيته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم لا يسمعون كلام المنبر ويكم خابطون في الظلمات الحالة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الجهل والضلالة ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيته وارادته وتقديره وتدبيره فقال من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم والجار اول الاية بان للمرء ايتم كذلك في الخوف كقوله ويخرون للاذقان على وجوههم عميا وبكما وصما اوانهم شبهوا بمن حاله كذا وهو محمول على الشتم والاهانة واما قوله من يشأ الله يضلله الى قوله عن طريق الجنة ولا يشاء الا ضلال الا لمن يستحق عقوبته بما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين والمراد بالاضلال منع الالطاف لانهم للسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وانهم مع مجيئهم مفرعون الى اقصى البلدان فقال قل ارأيتكم هو منقول من رابني بمعنى اضربني وعرفت كانه قيل اضربتم وشاهدتم حالة لا يجب ان يعرفها اخبروني عنها فلا يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة شنيعة فهذا بين بانا ايقاع السبب على المسبب لان الاحباب انما يكون بعد المشاهدة والعرفان اما اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتاء يختلف هذه المعاني على الكاف نحو ارايتك ارايتكما ارايتكم ارايتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب ليست اسما والا لكانت اما مجرورة لا جار لها او مرفوعة ولا ليست الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع لها لان التاء فاعل ولا يكون الفعل فاعلا واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها ان هذا الفعل قد سبك الى مفعولين نحو ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان قائلا وشانها لو كان

مفعولا لكان هو الثاني في المعنى وليس المعنى على ذلك اذ ليس الغرض اراءتك نفسك بل اراءتك غيرك ولذلك قلنا اراءيتك زيدا وزيد وغير المخاطب ولا هو بدل منه لانها لو كان منصوبا على انه مفعول اظهرت علامة التثنية والجمع والتانيث في الفعل حتى اراءيتاكما اراءيتموكن وقد ذهب الفراء الى انه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تصريفها لتاء فاما مفعولا اراءيت الاية فقبلها احمد وفان تقدير اراءيتكم عبادتكم الاصنام هل ينفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب الشرط فمادل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقدير اراءيتكم الساعة ودعوتم الله وحاصل الاية قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارأيتكم ان اتتكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة اتخصونها بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الاصنام فيكشف ما تدعونه الى كشفه ان شاء لان قوارع الساعة لا يكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم ياتيا على الحالة لكن في الدنيا ولو علق المشيئة بكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب لهم معقبا بالمشيئة ولنون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ويجوز ان يراد لا تذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان اذهانهم مقهورة بذكر الله وحده والمقصود من الاية توبيخ الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدايد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تعبدون عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الجزم والدليل على محض التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وآله بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا الى القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا ولم يتضرعوا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في اشد اندك ويحتمل ان يكون حكم الطائفتين واحدا لان التضرع والالجاء الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر في الاية محمد وقد تقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذناهم بالباساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والباساء والضراء البؤس والضر والباساء الخطط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد وضرع الرجل ضرعا فهو ضارع اذا ذل ضعيف اجتج الجبائي بالاية على انه تعالى انما ارسل الى هذه الامم البأساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا وهو ممنوع فهو يريد الايمان والطاعة من الكل والجبائي يرجح في حقه تعالى ما لا يرجح في حق نفسه فهم يحملونه على الارادة ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المرجح فما الترجيح على ان الغش وتزيين الشيطان وكل ما يفوضونه الابدان ينتهي الى خلق الله وتكوينه اما قوله فلولا ارسالنا رسلا الى هؤلاء الامم فاهلكناهم بالباساء والضراء قبل ان يتضرعوا فانعناه ونفي التضرع كان قبل فلم يتضرعوا فاهلكناهم بالباساء ولكنه جاء بلولا التخصيصية ليعبد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر فلهم من الباساء والضراء الا الزاحة والراحة ففتح ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعله الاب المشفق لولده بخاشنه تارة وبلاينه اخرى ومعنى كل شيء كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يريدوا الا البطر وترفا اخذناهم بغتة قال الصم كربة الصوم وربة الكعبة وقال اذا اراد الله تعالى بعبد الخير عجل عقوبته في الدنيا وان اراد به الشر امسك عنه ذنوبه حتى يوافي بها يوم القيامة ليكون اشد لتحسره على ما فاته من الثواب لعطاء فاذا هم مبلسون ايسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ومنه سمي ابليس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين مما ذا ههنا للمفاجاة وهي ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل فيه اذا فقطع دابر القوم الذابر للشيء من خلفه كالولد للوالد يقال قطع الله دابر فلان اي اهلكه واستاصله وقيل دابر القوم اخوهم الذي يدبرهم لا يصح الدابر الا اصل قطع الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين تفسير على ان لم يترك منهم احدا واستاصلهم لان ذلك جار مجرى التنعم على الماضين ارسل وعلى اولئك الهالكين كيلا يزيد والكفر انما يزداد اذا عذبوا ولم يعذبوا او عذبوا ولم يعد عليهم قبل ذلك وهو ان كلهم وان قال عنهم الاعذار والعلل وبعث الانبياء والرسل واخذهم بالباساء والضراء ثم تفضلهم الا الاواخر لعلهم الا انهم لم يزدادوا الا انهماكا في الغي والضلال فظهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة الاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلالة على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل ارايتم ان اخذ الله وقد مر بيان ذلك اي ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها في اوايل الكتاب لان بها يتم الافادة والاستفادة على تحصيل قواها وايضا صرف عنها عن الافات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس انه الطبع او الامانة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يا بائسكم بمرأى من ذلك الذي اخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم ان يكون لمذكر عقل او فرضا والاحسن ان يرقى الى ذكر شيء متعدد فيجيء بعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح ويجيء ان يكون الضمير مؤنثا على انه اراد المذكور ومعظم فعبر ان يشار اليه بذلك ثم انه اتى بام الضمير المذكور مقاما وبعود الى ما اخذ وختم عليه وضع من غير التكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد وكل من له اهلية النظر كيف نصرف الايات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقود ما قبله الى الايصال الى المطلوب ومعنى ثم تصدف اي يعرضون ويبتعدون عن الاقرار صدوف الله تعرض وجهها عليك ثم تصدف اي تعرض وتصد مبالغة في الخافر الى الشق او هي صدف الدرة عشاؤها هلبل فهو قال الكعبي يخلق الله فيهم الاعراض والصد بسبب ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لا مانع ان يصح الخبر فيهم الدلائل القاطعة الا عدادهم عمم التدليل بقوله قل ارايتكم ان اتتكم والمعنى انه لا فرق لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه وتعالى

ارايتكم
الانعام

الجزء الثامن

ان لا يكون معهودا لا هو ثم العذاب المفروض اما ان يجيء من غير سبق امارة تدل على ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة واكثره بالنهار وهذا قال الحسن معناه ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اى لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين الاشرار كان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستحقون بذلك ثوابا جزيلا فهو لهم بلاء في الظاهر لا بالحقيقة بخلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله ان امر المؤمن عجب كله ان امره خير وليس ذلك لاحد الا للمؤمن ان اصابته سراء فشكر كان خيرا له وان اصابته ضراء فصبر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارتكم مرتين فزاد خطابا واحدا لان عذاب الاستيصال اعلى من مزيد فتنا زيادة الخطاب لاجل التاكيد وبينا بينا قال رايتهم حيث لم يكن كذلك وكان في يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة لهم على اظهار الايات وانزال المجزات التي اقترحوها في قوله وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصي من قبل قولهم ولحق بالايمان الذي هو من افعال القلب العمل الصالح الذي هو من افعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بايانا يمسهم العذاب ومعنى المس الملاقاة الشيء من غير فصل قال والكشاف جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما بين بد لم يكن بعيدا قال القاضي انه على عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا وقوله هذا من باب بهلم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه ان ينفي عن نفسه امورا ثلثة فقال قل لا اقول لكم عندي خزائن الله وهي جمع خزانة المكان الذي يخزن فيه الشيء لحوزه بحيث لا يناله الايدي ولا اعلم الغيب قال والكشاف محل النصب عطفا على محل قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول اي لا اقول لكم ذلك ولا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اي قل لا اعلم الغيب فيكون فيه دلالة على ان الغيب لا يستقل لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبي يحتمل ان يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع الخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود والنصارى في المسيح وقيل المقصود ابداء العجز والضعف انه لا يستقل باتيان المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل لم ادع سوى النبوة والرسالة ولا ادعي الالهية والملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف صورة هود حيث قال ولا اقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في الاية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعي فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض المتواضع فالاقرب ان ذلك يدل على ان الملك فضل وان كان المراد نفي قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا الملائكة لم يدل على افضليتهم الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي قيل هذا النص يدل على انه كلما حكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد في شيء من الاحكام ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بما يوحى اليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس وتاكيد هذا الحكم بقوله هل يستوي الاعمى والبصير وذلك ان العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون ينبهها على انه يجب على العاقل ان يعرف الفرق بين هذين ويجتنب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلالة والا يلزم مثل الضال والمهتدي اولى ان ادعى المستفهم وهو النبوة والحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا اضل من الاعيان او فعلموا الى ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى اعلم واحكم التاويل وما من دابة يدب في ارض البشر ويتحرك من الحواس والجوارح والنفس صفاتها الا انهم امثالكم في السؤال عن اقوالهم واحوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ما فرطنا ما تركنا في القرآن من شيء يحتاج اليه الانسان ظاهرا وباطنا من صفاته وصفاته في السير الى الله من الاوامر والنواهي والتاديب والاداب ثم الى ربهم يحشرون هيهنا بالسير وجد بالبعث الى العباد وهناك بالتسلسل والاغلال يتحيرون في التارة في القطعة على وجوههم لان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بايانا الموصلة ايمانهم ان قلوبهم عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة في ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعهم الى ربه مركوز في روحانيته ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء التي هي موجبة للالجاء فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وعلموا ان المخالفة الطاعنة حجة في فاتق صورتها فلولا ان دررا محبتنا مستودعة في اصداف شدايد باسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع في الترغا فلما قست قلوبهم بسبب لفيف ما ذكروا مرض معارضة الباساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتعرف قدر النعمة والنعماء ويوقظ الى وزيد المنعم فتحنا عليهم ابواب كل شيء من البلاء في صكوك النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول واشباهها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب اشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفاته شرعوا في الطلب على فتوحهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون في تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لارباب ولفهم لا يحاسبهم ليعلم ان الكل بقدر كما قال قل ارايتم ان اتاكم عذابه ليلا او نهارا ما ذا يستعجل منه المجرمون اتى امره ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس اتاهم بياتا وهم قائلون اتاهم ضحى وهم يلعبون افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبوديته المولى في عبادة الطواغيت فاما من ابتلي بعذاب الله من الافات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء فانه يرجع فيه غيرها لك على الحقيقة قل لا اقول لكم عندي خزائن الله يعلم ان خزائن الله وهي العلم بحقائق الاشياء وما هيتها عنده باداءة سرهم ايانا تنا الافاقة انفسهم وباستجابة دعائنا في قولهم الاشياء كما هي ولكنه يتكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اي لا اقول

لکم هذا مع انه کان یخبرهم عما مضی وعما سیکون ما علم الخ وقد قال صلی الله علیه وآله فی قصة لیلة المعراج فطرقت فی لیلة فطرة علمت ما کان وما سیکون ولا اقول لکم انی ملک وان کنت قد عبرت عن مقام الملک حین قلت لجبرئیل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان اتبع الا ما یوحی الی ان اخبرهم وقل معهم قال هل یستوی الاعمی کلام البصیر فکیف اخبرکم عما اعمی الله بصائرکم عنه وانا به بصیر قوله تعالی وانذر به الذین یخافون ان یحشروا الی ربهم لیس لهم من دونه ولی ولا شفیع لعلهم یتقون ولا تطرد الذین

(والبصیر هذا النبی مع الاعمی ع ۱۲)

وبترسان هان انها را که میترسند که جمع آیند بسوی پروردگارشان نیست مر ایشانرا از غیر او دوستی ونه وسیطه شاید که ایشان پرهیزند ومران انانرا که

یدعون ربهم بالغداة والعشی یریدون وجهه ما علیک من حسابهم من شیء وما من حسابک علیهم من

میخوانند پروردگارشان را در بامداد وشام میخواهند دیدار او را نباشد بر تو از حساب ایشان از چیزی ونیست از حساب تو بر ایشان از

شیء فتطردهم فتکون من الظالمین وکذلک فتنا بعضهم ببعض لیقولوا اهؤلاء من الله علیهم من بیننا

چیزی پس براند ایشانرا پس باشی از ستمکاران وهمچنین آزمودیم برخی ازیشان را ببعضی تا گویند که آیا اینان گروهند که منت نهاد خدا بر ایشان از میان ما

الیس الله باعلم بالشاکرین واذا جاءک الذین یؤمنون بآیاتنا فقل سلام علیکم کتب ربکم علی نفسه

آیا نیست خدا دانا تر بسپاسگزاران وچون آیند نزد تو آنان که ایمان آورده اند بآیات ما پس بگو که درود بر شما باد نوشت پروردگارشا بر خویش

الرحمة انه من عمل منکم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحیم وکذلک نفصل الآیات

رحمت را که هر که بکند از شما بدی را نادانی پس توبه کرد واز پس آن وشکیبا کند پس مدستی که خدا امرزنده مهربانست وهمچنین بیان کنیم آیات را

ولتستبین سبیل المجرمین قل انی نهیت ان اعبد الذین تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءکم

وتا ظاهر شود راه گنهکاران بگو که من نهی کرده شدم که پرستم انها را که میخوانید شما از غیر خدا بگو که پیروی نمکنم خواهشهای شما را

قد ضللت اذا وما انا من المهتدین قل انی علی بینة من ربی وکذبتم به ما عندی ما تستعجلون به ان

هر آینه گمراه شدم اونیستم من از راه یافتگان بگو که من بر گواهی هستم از پروردگارم وتکذیب کردید بان نیست نزد من آنچه شتاب خواهید نیست

الحکم الا لله یقص الحق وهو خیر الفاصلین قل لو ان عندی ما تستعجلون به لقضی الامر بینی وبینکم

فرمان مگر از برای خدا حکایت حق را واوست بهترین جدا کنندگان بگو که اگر بودی در نزد من آنچه شتاب خواهید هر آینه گذشته بود فرمان در میان من ومیان شما

والله اعلم بالظالمین وعنده مفاتح الغیب لا یعلمها الا هو ویعلم ما فی البر والبحر وما تسقط من ورقة

وخدای داناتر است بستمکاران ودر نزد اوست کلیدهای پنهانی که نمیداند آنرا مگر او ودمیداند آنچه در خشکی ودریاست وفتد هیچ برگ

الا یعلمها ولا حبة فی ظلمات الارض ولا رطب ولا یابس الا فی کتاب مبین وهو الذی یتوفیکم باللیل

مگر میداند آنرا ونه دانه در تاریکیهای زمین ونه تری ونه خشکی مگر آنکه در کتاب هویدا ست واوست آنکه میگیرد شما را در شب

ویعلم ما جرحتم بالنهار ثم یبعثکم فیه لیقضی اجل مسمی ثم الیه مرجعکم ثم ینبئکم بما کنتم تعملون القراءة

ودمیداند آنچه را که کرده اید در روز پس برانگیزاند شما را در روز تا تمام شود مدتی که نام برده شده پس بسوی اوست بازگشت شما پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که میکردید

القراءة بالغداة مضمومة الغین ساکن الدال مفتوح الواو وکذا فی الکهف ابن عامر الباقون بفتح الغین والدال وبالالف بالفتح وانذر بالکسر ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ویعقوب جمیعا بالفتح الباقون بالکسر فیهما ولیستبین بیاء التذکیر یزید وحمزة وعلی وخلف وعاصم غیر حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانیة سبیل بالنصب ابو جعفر ونافع ودیدا الباقون بالرفع یقص ابن کثیر وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون یقضی الحق الوقف یتقون وجمة الظالمین من بیننا الشاکرین الوقف لمن قرا انه بکسر الالف فهم الجمهور من دون الله اهواءکم للنحویین اذا

باقبله ای قد ضللت اذا اتبعت المهتدین وکذبتم به لله الفاصلین وبینکم بالظالمین الا هو والبحر مبتدا مستقبلان ثم لتبلغن الاخبار

مع اتحاد المقصود تعلمون التغییر لما وصف الرسل بکونهم مبشرین ومنذرین امر الرسول بهما الانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال

له وانذر به قال ابن عباس والزجاج ای بالقرآن وهو المذکور ههنا فی قوله ان اتبع الا ما یوحی الی وقال الفراء اذا بالله قبل والاول اولی لان

الانذار التخویف انما یقع بالقول وفیه نظر لان الانذار کما یتناول الاقوال یتناول الافعال ایضا کما یقول الرجل لغیره انذرتک بکذا فارتکبته ولو زعم ان المراد وانذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا فقد دخل هذا المعنی فی انذرهم العذاب یقول بنبی شدة سخط الله وعقوبته اما الذین یخافون ان یحشروا فهم اهل الکافرون الذین سبق ذکرهم فلعل ناسا من المشرکین من حالهم انهم یخافون اذا سمعوا بحدیث البعث ان یکون حقا فیهلکوا انهم ممن یرجی ان ینجح فیهم الانذار فامر ان ینذر هؤلاء دون المتمردین منهم ثم قال هذا القائل ولا یجوز حمله علی المؤمنین لانهم یعلمون انهم یحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس کافة لعدم الجزم بالثواب قبول الطاعة وان کانوا مقرین بحشر الحشر فالظاهر ان الضمیر یتناول الکل لان العاقل لا بد ان یخاف الحشر سواء کان جازما بالعذاب او شاکا فیه وایضا الله مامور بتبلیغ الکل فالاولی التخصیص وقیل انهم قوم مسلمون مفرطون فی العمل فیندرهم بما اوحی الیه لعلهم

يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقبلهم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعتادون بتحاكم الى حكم وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جمعة
اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا
لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانها يكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ولا بد من هذا الحال لان الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع
الا الله واذا لم يكن الله ناصرا ولا شفيعا لزم ان لا يكون ناصرا اصلا لعلمهم بتفوق قال ابن عباس لكي يخافوا الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت
المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيبوا بان الترجي راجع الى العباد والمراد انذار عموم المكلفين ليتقوا اذا فهم بذكر التهديد
وامر تيغير بهم واكوامهم روي عن ابن عباس وجماعة من الملأ من قريش مروا على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين
فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اترضى بان تكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما انا بطارد المؤمنين
فقالوا فاجعل لنا مجلسا تعرف لنا العرب به فضلنا فانا نستحي ان تراك سودة الحاكة فاتاه عيينة والاقرع فقالا له مثل ذلك فهم بكتابة الصحيفة واستدعى عليا
ليكتب فنزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس الحسن ومجاهد يريد بصلاة الصبح والعصر قبل ان
يدعوهم ربهم طرفي النهار والمراد بالغداة والعشي الدوام والغداة لغة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والعشية ما بين الزوال الى الغروب
قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة ويدوان معرفة غير مصروفة كسحر لا محل ويدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما اراد
بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر عن ذات الشيء
او حقيقته كما يقولون اوجه الرأي وذا وجه الدليل وايضا المحبة يتلزم طلب وبذل الوجه كما يعبر عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك
من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فقبل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد
وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولان موالي لاجل المأكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر
ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعداك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت لاجلهم بحساب صاحبه قبل فما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم
فتكونن من الظالمين جواب النفي في قوله فتطردهم فهو جواب النفي فيما عليك وفي انتفائه انتفاء كون وجهان احدهما انه جواب لنهي الثاني انه عطف
على فطردهم على وجه الشبه لان كونه ظالما معلوم من طردهم وسبب عنه فان طردهم يستوجب التعذيب والترجيب وضع للشيء في غير موضعه ومن
هنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وآله لو كان يقول كلما دخل اولئك لنفراء علينا بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني
ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما انزلهم مجلسا نائيا لغاية قلوب المشركين و
تكثير السواد الاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء هذه المصالح امرهم في الدنيا ولا في الدين فغايته ذلك ان يكون من باب ترك الاولى
والافضل وكذلك ما مثل ذلك التغير العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين هم الكفار يريد الاخرة مقدما عليه في المناصب
الدنيوية فيقول اهؤلاء المسترذلون من الله عليهم من بيننا كقولهم الذكر علينا من بيننا والفريق الاخرين هم الاولون مقدما عليه في الخير
العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول اهذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون فهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو صواب
ولا اعتراض عليه بحكم الملكية وبحسب غاية الاصلح بالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا مجتمعة في انسان واحد لتعذر ذلك موقوفة على الحال
وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحمد صنعا على ما اتاه الله تعالى من صفة الكمال فمن عرف سر القدر رضي بنصيب نفسه وسكن عن التعرض
لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والاخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على ان التردد يحال على الله تعالى لا يعلم
الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المخبر وقد مر اوقالت الاشاعرة الاية ولا تتعلق مسئلة خلق الاعمال لان تلك
الفتنة الهاها الله تعالى بسبب لا اعتراضهم على الله والاعتراض على فعله كفر فهو تعم خالق الكفر وايضا منه الله عليهم ليستدلا بالايمان ومتابعة
الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد كان هو المان على نفسه اجاب المعتزلة ان معنى فتناهم ليقولوا خذ لنا هم حتى ان امرهم الى ان قالوا فاكون
الكلام لام الغاية ونوقف بانه عدول عن الظاهر مع انا نقل الكلام الى الحالان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى ايضا بالعلم بالشاكرين من غيرهم
يصرف كلما انعم عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر انعامه على حسب معلوم الله تعالى وقال الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيفعل
الايمان ولمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم

هذا احد الوجوه

وزرهم من شيء وما من حسابك عليهم

وكان اذا لقاهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من اذا لقي احدهم بدأه بالسلام وقال ما هان الخلق الى قوم الفهم صلى الله عليه وآله فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة والاسف فما الذي يجب علينا فاذهبوا وتولوا نزلت الاية قال في التفسير الكبير الاقرب ان يحمل الامر على عمومها فكل من امن بايات الله تعالى دخل تحت هذا التشريف الكريم ثم ابدى اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقول كل واحد من جميع المؤمنين اذا رأى هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان تنزل السورة دفعة ويؤمر كل الصحابة بان كلا منهم اذا وقعت بناسبها كيف يفهم العارف بحقايق التنزيل واعلم بدقايق التاويل انهم اهل مشاهدة الوحي واربابه مرارا لامر والنهي واعلم ان ماسوى الله تعالى افعاله اما بايمان وجود الله وانها لا تكاد تحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حمومة كالسابح في تلك القفار ليكون دائما مترقيا في معارجها مترقبا ان يفيض عليه الانوار من مدارجها فيستعد لبشاشة سلام عليكم ويتاهل لكرامة انكتب ربكم على نفسه الرحمة فقل سلام عليكم امنا ان يكون امرا يتبلغ سلام الله اليهم وامنا ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام امامصدر سلمت سلاما وسلما مثل كلمت كلاما وكلما ومعناه الدعاء بان يسلم من الافات في نفسه ويجوز ان يكون جمع سلمة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم ولعل هذا الوجه اما يتاتى في المعرف كالمنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم تبشيرا بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنا كتب على نفسه وجب على نفسه ايجاب اثابة لكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبايح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظلما وايجاب الرحمة بناء في القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امر حال ذلك المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان واجيب بانه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرا بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرا بالكسر فعلى الاستيناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم سوءا بجهالة اي وهو على موضع الحال اي عمله وهو جاهل او المراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضر بالعاقبة وهو عالم به ذلك او ظان فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعد ذلك اي من بعد الاثم او الظلم على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب اليه من قرا بالكسر فعلى ان الجملة جواب للشرط ومن قرا بالفتح فعلى ان الخبر الا المبتدا محذوف اي فغفرانه كائن او فامره اغفور قبل ان الاية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا او لعلم انها مفسرة وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والنبوة والقضاء والقدر نفصل الايات ونميز بها الدلائل في تقرير كل حق بكره اهل الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق ولتستبين او معلق بمحذوف اي ولتستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل البين من رفع السبيل قرا التستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرا التستبين بناء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته واستبنت الامر بمعنى واعلم ان استبانة سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يشتبه امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فهم قبول الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يتوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهى عن عبادة معبوديهم وذلك قوله قل اني نهيت اي عرفت بالدلايل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لان عبادة المصنوع والمحاكي محض التقليد وهم انفسهم يعلمون ذلك علما ضروريا او نظريا قد ضللت اذا ومعاذ الله ان اكون من المهتدين اثبت الضلال اذ ذاك ونفى الطرف مع انه مستحيل منه للتقرير والتاكيد وفيه تعريض بهم انهم كلهم ضلال ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفته وانه لا معبود سواه وكذبتم به حيث اشركتم به غيره او انا على بينة من هذا الامر العلي بقين منه اذا كان ثابتا عنده بدليل وقبل الى على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تاويل القرآن او البيان ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء قال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث وزمعة بن الاسود وابي بن خلف وقارش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى ففتح منه فضل لكفر الا بارادة الله واستحقت المعتزلة بقوله يقضي بالحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يقال ان جميع احكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر محذوف اي يقضي القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويديره ومثله من قراه يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي نقول الحق ويتبعه من قصر اثره وهو جبريل او الفاصلين اي القاضي وانما كتب بقص في المصاحف بغير الف لانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين وليوافق قراءة بقص قل لو ان عندي ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم عاجلا غضبا لربي وانتقاما لاهلاك بني وانتقم اعلم بالظالمين بوقوع عقابهم الى وقته وانا لا اعلم ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت اما بانا قض هذا قوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال العذاب هناك في الحرص على ايمان الكل من حرص على ايمان احد حرص عظيم جيء به طعانا في اينا نزلت بل يؤكده لاشتراك كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للبشر في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين بحانه اعلم بقوله على سبيل الاستعارة وعنده مفاتح الغيب واما انه توصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها وله يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح

الجار والمجرور في قوله تعالى

وتبينة

اوسع مفتوح بفتح الميم وهو الخزن قال الحكيم في بيانه ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما استوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه بواسطة او بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم الجميع اثاره على ترتيبها المعتبر كلها ان كانت اوجز بيانا وعلمه بذاته لا يحصل الا الذات فقط فان يقال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فنقول انه لا ضد له ولا انداد لو كان في الوجود واجب اخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل الحصر ولا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شئ من الممكنات لان المحاط لا يحيط بالمحيط فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفاتح الا لله للعلم بجميع المعلومات لا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة ببعض هذه القضية نادر جدا والقرآن انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لها يعين الحس العقل فقال ويعلم ما في البر والبحر لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن جهة عظيمة لذلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله قليل مع كثرة ما فيها من العجائب والغرائب ثم فرد من هذه المحسوسات قسما فقال وما تسقط من ورقة الا يعلمها اي لا يغيب عن علمه ورقة الا واحاط بعلمها ثم عدل عن التعجيب كثرة المدركات الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال ولا حبة في ظلمات الارض وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه للمكلفين على امر الحساب لانه اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة بعبارة اخرى فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين قال في الكشاف ولا حبة ولا ورقة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط شئ من هذه الاشياء الا هو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها الا ان معنى الا يعلمها ومعنى الا في كتاب مبين واحد الكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل شانه اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان يخلق الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يعزب عنه شئ فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون بما يحدث في العالم فيجدونه موافقا او لانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب او الجهل فيصير كتبة تلك الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في ان يمتنع تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اراد ان يبين كمال قدرته بقوله وهو الذي يتوفاكم اي يتوفى انفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك لان ارواح الحيوانات تعتورها حالة التوفي من الظاهر الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت فصح لفظ الوفاة على النوم ومن هذا الوجه ويعلم ما جرحتم اي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثم يبعثكم فيه اي يرد اليكم ارواحكم بالنهار ليقضي اجل مسمى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غير فناء ثم ذكر انه يبعثهم اولا ثم يوقظهم ثانيا كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة فالجزم استدل بذلك على صحة البعث في القيمة فقال ثم الي ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الآية اشكالا لان قوله ويعلم ما جرحتم بالنهار كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون ثم يبعثكم في النهار الاتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل عن التفسير الى ان قال هو الذي يتوفيكم بالليل والخطاب للكفار انما نم مسندون الليل كالمجوف للاضلاع الانطواح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي تقطعونه باعمالكم من النوم بالليل وكسب الاثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فتقول في امر كذا ليقضي اجل مسمى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزاهم على اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الى موقف الحساب والاصوب عندك ان بقي الخطاب عاما وكذا الكسب في النهار لينبغي ان لا يقيد بالاثام اما الضبح فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب البعث هو البعث من القبور الى اخره قال والله اعلم التاويل والذي يدل على صحة هذه الاقاويل والمعاني الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى ربهم بجذبات العناية ويتحقق لهم ان ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يغني من الانبياء الا ان الوصول لا يمكن الا بجذبات الحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلساؤه بالغداة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم عن مجالسك فانهم يطلبونني في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهي وجهت كل له سؤلي وبين ومذهبي وصلكم رسولي وربي فما قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب لجلب المراد من العبد حتى يصل الله فصاحب الارادة لا يهدا ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شئ يعني الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوجه في الطاعة فانهم ليسوا في شئ فلا يكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شئ الى الذي لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم فتطردهم فتكونوا من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فاتقوا بعثة الجبر قلوبهم كقوله وخفض جناحك للمؤمنين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليشكر الفاضل ويصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قبل لسليمان ولايوب كلاهما مع قدرة العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول ترفعه وفضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده على

فضل وسخطه على غيره منع حقه من فضله عنه فان المعطي والمانع هو الله ومنها ان الابن الفاضل مستحق للفضل فقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا افضل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء حملهم محمل الاكابر والملوك الذين بنبيه صلى الله عليه واله وسلم
بالسلام على الاخوة فالهم الملائكة ان يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بدانه عليهم سلام توكلا من وتبرؤهم وكل ذلك تلقينا لهم من ظلمة
الخلقة باضاءة شعاشع النور الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه رحمة اي الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله واتيناه رحمة من عندنا والرحمة
العامة كما في الحديث الرحمة انما انت رحمة ارحم بك من شاء من عبادي اي من علم منكم اي من المؤمنين سوء بجهالة اي بجهالته التي جبل الانسان عليها
لا بجهالة الضلالة التي هي بتجرع خطأ النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده اي رجع الى الله بقدم التبري من بعد فساد الاستعداد والفطرة والى
الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل اني نهيت في الازل باصابة النور المرشح لي عند ربي فاستعجلون به من عجلة الهوى لقضي الامر بيننا في
الفعال والخصوصات والاستحقاق من ادبكم لان الشيء انما ينفعل عن ضده لا اشبهه وعنده مفاتح الغيب اي العلوم العقلية التي سبب فتح باب هو عالم
الشهادة كالنقاش يتشئ التصوير في ذهنه ثم يصوره في الخارج واحدا واحدا الغيب جمع المفتاح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع
الاشياء وفي الملكوت كثرة وتفهم ما في البر والبحر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب بهذا العلم ما تسقط من ورقة عن شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها
ومسقطها ولا حبة هي حبة الروح في ظلمات صفات ارض النفس الا حبة الجثة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين اي لوح محفوظ
موجودا وما فد صا او الرطب الرقاتيا واليابس الجمادات او الرطب المؤمن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل او الرطب العارف واليابس
الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقي بالله واليابس الباقي بنفسه
وهو الذي يتوفيكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر او الليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة
وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا ع ١٨
اوست قهر كننده در بالاى بندگان خود ويفرستد برشما نگاهبانان تا چون كه آمد يكى از شما را مرگ جان بستاند او را فرستادگان ما ونيكان ما در ميان تقصير نكنند پس بازگردانند
إلى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا
بسوى خدا كه مولاى شان است بحق آگاه باش كه مر اوست فرمان واوست زود حساب كننده بگو كه كيست كه برهاند شما را از تاريكيهاى بيابان ودريا ميخوانيد او را بزارى
وخفية لئن انجينا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل
ونهانا اگر رهاند ما را ازاين هراسانيها البته باشيم از سپاس گذاران بگو كه خدا برهاند شما را ازان واز هر اندوهى پس شما شرك آوريد بگو
هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس
اوست توانا بر اينكه فرو آرد برشما عذابى از بالاى سرشما يا از زير پاى شما يا برآميزد شما را گروهان وبچشاند پاره از شما عذاب
بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل
بعض بنگر كه چگونه مكرر گردانيم ايات را شايد كه ايشان فهم كنند وتكذيب كردند از اقوام تو واوست حق بگو كه نيستم من برشما وكيل
نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا
خبرى را جايگاه هلاك وبرود كه بداند وچون ديدى انهارا كه فرو روند در ايات ما پس روى كن از ايشان تا فرو روند
في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين
در حكايتى غير ازان واگر ازخاطر برد تورا شيطان پس منشين وقتى پس از ياد آورى با گروه
يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة
پرهيزندگان از محاسبه ايشان چيزى وليكن پند است شايد كه ايشان پرهيزند وواگذار انانرا كه گرفتند دين خود را بازيچه وبيهده وفريب دادشان زندگانى
الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل
دنيا وپند ده بدين قرآن كه گرو كرده شود وبدهى تنى باچه كسب كرده ونيست مر او را از غير خدا دوست ونه شفاعت كننده واگر فدا كند
لا يؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل ع ١٩
پذيرفته نشود ازان انكه داده شود اينانند كه در گرو شده اند بچه كسب كرده اند مر انهارا شربتى از آب گرم وعذابى دردناك بچه كه بودند كافران بگو
اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين
آيا بخوانيم از غير خدا آنرا كه سود ازما نتواند وزيان ما نتواند ودر گرديم بر پاشنهاى خود پس از آنكه راه نمود ما را خدا چون كسى كه سرگشته كرده او را ديوان
في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين
در زمين حيران شده ومر او را يارانى است كه بخوانند او را بسوى راستى بيائى ما بگو كه بدرستى كه راه خدا ان راه است وما مامور شده ايم كه منقاد شويم مر پروردگار جهانيان
واقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض بالحق ويوم
واكنيد برپاى داريد نماز را وبپرهيزيد او را واوست آنكه بسوى او گرد آئيد واوست آنكه آفريد آسمانها وزمين را بحق وروزى

الجزء الثامن

بقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم

گويد باش پس ميشود گفتار او حق است و مر اوراست پادشاهي روزي كه دميده شود در صور دانای نهان و آشكارا و اوست دانا

القراءة توفية واستهوته نماله حمزة الباقون بتاء التانيث قل من يجيكم من الانجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفف بالكسر حيث كان ابو بكر وحمدا الباقون بالضم نجانا نماله حمزة وعلي وخلف انجانا بدالا نماله عاصم الباقون لئن انجيتنا قل الله ينجيكم بالتشديد يديد حمزة وخلف وعاصم هشام الباقون بالتخفيف بعض انظر وانباه ذلك بكسر الهاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم وابن شنبوذ عن اهل مكة وابن ذكوان بتسهيل بالتشديد ابن عامر ابو جعفر خفظه لا يفرطون الحق الحاسبين وخفيه لاحتمال الادغام اي يقولون لئن انجيتنا ويتعلق لئن بمعنى القول في قد عونا راجع الشاكرين اشركون باس بعض بفقهون وهو الحق بوكيل مستقر للابتداء ابو على الهدى سبع شدة اتصالا لتعي يعلمون عبرا الظالمين يتقون ولا شفيع للشرط مع لعطف منها كبوا لانقطاع انتظم مع اتصالا لمعنى والاحتمال ان يكون الدين خفية اولئك وقولهم شراب جزاء هذا انشاء الهدى العالمين لان التقدير وامرنا بان اقيموا واتقوه تحشرون يا الحق هنكون في الصور والتهاذ الجبل لتقسير من الدلائل على كمال قدرته وحكمته وقوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه القوة بالقدرة والتسخير كما تقول امر فلان اي نفذ منه ولا ريب ان الممكنات باسرها تحت تصرف الواجب بقلمها من حين العدم الى حالة الوجود وبالعكس وتصرفها كيف شاء علويا كن او سفليات ذوات او صفات نفوسا او ابدانا اخلاطا او اركانا ومن جملة تهره ارسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيد بضبط اعمالهم من الطاعات والمعاصي والمباحات لانهم مطلعون على اقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وعلى افعالهم بقوله يعلمون ما تفعلون واما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس ان مع كل انسان ملكين احدهما عن يمينه والاخر عن يساره فاذا تكلم الانسان بحسنة كتبها من على اليمين واذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انتظر لعله ان يتوب عنها فان لم يتب كتب عليه قالت العلماء من فوائد هذه الكتبة ان المكلف اذا علم ان الملائكة الموكلين عليه يكتبون اعماله في صحايف يعرض على رؤس الاشهاد في موقف القيمة كان ذلك زاجرا عن القبايح ومنها ان يؤتى تلك الصحايف يوم القيمة فان وزن الاعمال عز مكن ومنها التعبد فعلى المكلف ان يوطن نفسه على كل ما ورد به الشرع وان لم يعرف وجه الحكم في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس الخيرة والجسمانية التي يحفظ الاركان مع طبايعها المتضادة على امتزاجها وقال بعض العدتها منهم النفوس البشرية والارواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بمراتبها فبعضها خيرة وبعضها شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والذلة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الارواح السفلية روح سماوي هو لها كالاب المشفق والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الوراثة وعلى سبيل الالهامات اخرى فالارواح الخيرة لها مبادي من عالم الافلاك وكذا الارواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم يسمى بالطباع التام لان تلك الارواح في تلك الطبايع والاخلاق ثابتة كالهادهذه الارواح السفلية المتولدة منها لان المعلول في كل باب اضعف من علته ولاصحاب الطلسمات والعدة في هذا الباب كلام كثير وقيل ان النفوس المفارقة تميل الى ما يناسبها ويشابهها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالابدان فيحفظها ويعينها حتى اذا جاء احدكم الموت اي وقته واما اذا تاه توفته رسلنا اي يأذننا وتقويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى لما قال الله يتوفى الانفس حين موتها وهو لا ارسل ابتاع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهم الحفظة باعيانهم اخبرهم هنا قولان اشهرهما الثاني ليكون ملائكة الروح والنجاة وهم الرحمة يتوفى غير ملائكة الكرب والاخران وهم الكرب ويتوفى وعزيجاهد جعلت الارض مثل الطست لملك الموت يتناول من بيتا ولد ومن اهل بيت الا وهو طوف عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما امرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا الى الله اي الى حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والتغيير في ردوا اما للملائكة بمعنى كما يموت اولوا دم يموتون اولئك الملائكة او الى البشر اي انهم بعد موتهم يردون الى الله تعالى انهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات المولى الباطل وهي النفس والشهوة والغضب فاماتوا تخلصوا الى تصرف المولى الحق وفيه اشعار بان الانسان شيء اخر وراء هذا الهيكل المحسوس وان هذا الهيكل يبقى بيتا والانسان مرورا البرزخ وفي لفظ الرد اشارة الى ان الروح كان موجودا قبل البدن وقد تعلق ببدن ما ثم رد الى موضعه الاصلي وهو عالم الارواح بحين بتراجعي الى ربك الا لذا الحكم كقوله ان الحكم وهو اسرع الحاسبين حسابا قيل انه تعالى يحاسب الخلق بنفسه فمن احد فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل انسان واحد للملك اذن الله تعالى لانه لو حاسب الكفار بنفسه لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة الحاسبة ظهور الملكات في الهيئات على النفس ان طبع المتعلق قبلية كان في كبرة حسنها وذميمة وبعد تعارض البعض يرجح ما هو غالب بحسب ذلك يكون الثواب وضده وذلك انه لا يحصل الا بالحفظة ولا يحفظ ولا يحرك ولا يسكن الا وبفلهم منها في جوهر نفسه اثر من اثار السعادة او ضدها قال اكثر وهو لما ذكر بكتبة الاعمال قال الجبائي منها لو كان كلا عليما الوجب ان يكون متكلما بالحاسبة الان وقبل خلقه وذلك محال لان الحاسبة بقتضي حكاية عمل تقدم وعرض بالعلم فانه كان قبل العالم عالما بانه سيحدث وبعد حدوثه صار عالما بانه وجد لا يلزم منه تغير لا للعلم ثم عدد لطفه واحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما
استهزاء المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف
بالبيت فنزلت الرخصة ان يقعدوا معهم ويذكروهم ويعظوهم بقوله وما على الذين يتقون اى الشرك
والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليها من شئ ولكن ذكرى اى ولكن يذكروهم
تذكيرا او لكن عليهم ان تذكروهم او ولكن الذي قام وهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من
شئ كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من
حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والميل اليهم
لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم وصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وفيه وجوه اتخذوا الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزاء واتخذوا
ما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وعبرها دينا لهم او المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كغوغاء الجاهير
والسوابب والمراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه
الله تعالى قال ابن عباس وهو اشارة الى من جعل دينا الاسلام وسيلة الى المناصب والرياسات والغلبة
والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثاني وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا
كانهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر بها اى بالقرآن
او بالدين لقوم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد ان تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء صنعها واصله
المنع فالمسلم البنه وهو العذاب بمنع المسلم ومنه لباسل الشجاع لامتناعه عن قرنه وقال قتادة يحبس في جهنم وعن
ابن عباس تفضح ليس لها اى للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفادي
يعدل المفتدي بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند
اليه الاخذ وانما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى بوضع اسناده قلت ان مثل الاخذ بالقبول كما في قوله
باخذ الصدقات ارتفع الفرق وليتنا المخذولون هم الذين ابسلوا بما كسبوا لهم بين مابهم صادر امرتهن وعليه محبوس
بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا من دون الله الى قوله الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا
اى لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اى نرجع الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام
فان الردة عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اى انتكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى
في الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه اى سقوطه من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكانما
خر من السماء وقيل استفاقة من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة الترد
في الامر بحيث لا يهتدي الى مخرجه منه ومنه تحير الروضة بالماء اذا استلأت فتردد فيها الماء اى لهذا المستهوى اصحاب
رفقة يدعونه الى الهدى اى ان يهدوه الطريق المستوى فيكون مصدرا او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون ائتنا او الدعاء في معنى القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان وتستولي عليه فتشبه
ايضا عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف لمهمه تابعا للجن عيرانا لفت اليهم وقيل
ان للملك الكافر اصحابا يدعونه اى لذلك الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروى ان الابة نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه
كان يدعوا اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله وهو الاسلام هو الذي يحق ان يسمى هدى وما وراءه عمى وضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تاويل لمستقيم لعطف فالتقدير وامرنا لنسلم ولاقيم او امرنا ان اسلموا وان اقيموا
قيل والترجيح للعدول عن الظاهر انا لمكلف كالغايب حال اسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتعذر الاتيان بعلق الامر لها ان يكون من باب
الافعال الذي من باب التفعل والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح وبدئ افعال القلوب الايمان بالله و
الاسلام وهو قوله لنسلم وبثنى افعال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه
ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظاهر في يوم الحشر ثم دلى على وجود الحاشر

الحاشر بقوله وهو الذی خلق السموات والارض قیما او ملتبسا بالحق بالحکم اللطیفة والغایات الصحیحة والاغراض المطابقة وذلک اذا وقع فی هذه الاوان قوی وخواص واثار بتضمن مصالح الابدان ومنافع نوع الانسان وهکذا خلق یوم یقول کن فیکون قوله الحق فقوله فاعل یکون ویوم مفعول خلق والمعنی انه تم خلق العالم من الافلاک والطبایع والعناصر والموالید وخلق یوم القیمة ازید الارواح الی الاجساد بطریق کن فیکون وعلی هذا یجوز ان یکون قوله الحق مبتدا وخبرا مستانفا وقوله الحق مبتدا ویوم یقول ظرف دال علی الخبر مثل یوم الجمعة القتال الی القتال واقع یوم الجمعة والمراد انقضاء فی ذلک الیوم حق وصدق وخال عن الجور والعبث ویوم ینفخ ظرف لقوله وله الملک کقوله لمن الملک الیوم والمقصود انه لا ملک فی ذلک الیوم الا له من غیر دافع ولا منازع والصور باتفاق اکثر اهل الاسلام قرن ینفخ فیه ملک من الملائکة کما جاء فی مواضع من القرآن وینفخ فی الصور یصعق ففزع فاذا نظر فی القاموس قال ابو عبیدة الصور جمع صورة مثل صوف وصوفه وخطأه الائمة فقالوا الواو لا تجمع علی لفظ الواحد فواحد بزیادة ها فیه کالصوف اما اذا استوی الواحد الجمع فلیس کذلک کغرفة وغرف وطلح مجمع صورة الانسان علی صور بالفتح کقوله فاحسن صورکم ومن اسکن فقد اخطأ ومما یدل علی ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تم لم یضف النفخ الی نفسه کما قال ونفخت فیه من روحی فنفخنا فیها من روحنا ثم انشأناه خلقا اخر فتبارک الله احسن الخالقین وکمال علمه بقوله علم الغیب والشهادة ای هو العالم بکل المعلومات القادر علی کل المقدورات وهو الحکیم المصیب فی اقواله وافعاله الخبیر الناقد علمه فی بواطن الحقایق من غیر اشتباه النبأ فان امر البعث لا یتم الا بقدرة کاملة وعلم تام کما لا یشتبه المطیع والعاصی والصدیق والزندیق الشاول وهو الظاهر بوصف الجلال للاولیاء تهابوصف المجد ثم للاعداء ویرسل علیکم حفظة من صفات قهره حتی لو اراد نفس الخروج عن قبضة مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها الی بذل الجهد ان اراد قلبه فرجة عن مطالبات الغرة قهرته صدمات الهیبة فردته الی تودیع البهجة ولو اراد روحه استراحا من الخرقات قهرته بوادة البخل فردته الی بذل المهجة حتی اذا جاء احدکم الموت یعنی الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا یقصرون فی افنا الاوصاف ثم ردوا الی البقاء بالله قل الله ینجیکم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الی عالم الالوهیة ظلمانیة دعوا تضرعا بالجسم وخفیة بالروح ومن کل کرب افنوفسه ثم انتم تشرکون حین تجلی لکم نور من انوار صفاته بعضکم یقول انا الحق وبعضکم یقول سبحانی ما اعظم شانی عدنا بالله من فوقکم بسدل حجاب العزة والغیرة بینه وبینکم او بختار جلکم عجابا من اوصاف بشریتکم باستیلاء الهوی علیکم او بلبسکم شیعا بجعل الخلق فیکم فرقا فمن قائل هم من قائل هم الزندیقون وبدتوبعضکم باس بعض بالقتل والصلب الاطراف وقطع السانرین الی الله لعلهم یفهمون لشرائط السیر ولا یقصرون فی مقام دون الفناء عن کلیة الوجود بالبقاء بشهود المعبود وکذب بهذا المقام قومک المنکرون وهو الحق قل لست علیکم بوکیل لا سلک طریق هذا المقام بوکالتکم لانه لکل انسان الا ما سعی کما قال لکل نبأ مستقر ای لکل سابر وواقف مستقر من درجات القرب او درکات البعد واذا رایت الذین یخوضون فی احوال الرجال ولاحظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتی یخوضوا فی حدیث غیر تلک الظامات التی هی ریح فی شبح وذر الذین اتخذوا دینهم لعبا ولهوا لان همهم لیس الا حرقة القلب بنار الطالبین انما هو الدنیا ویقبل الحق ان تبسل نفس ای کراهة ان یبطل استعدادها بالکلیة بما کانوا یکفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعو من دون الله اندعو غیر الله الذی هو النافع الضار والنفع الحقیقی هو الفوز بالوصول الیه والضر الحقیقی هو الانقطاع عنه ونرد علی اعقابنا الی مقام الاثنینیة التی کنا فیها بعد ان هدانا الله الی الوحدة کالذی اضلته شیاطین الجن والانس فی ارض البشریة بانباء الهوی حیران من اخوانهم وامر نا لنسلم بترک الوجود کالکرة فی میدان القدرة مستسلما لصولجان القضا وان اقیموا الصلوة بحافظة الاسرار عن الاغیار والانقطاع بسر عن غیر الحشر الیه لا الی الجنة او النار کما قال الامن طلبنی وجدنی وهو الذی خلق السموات والارض بالحق لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مرآة لجماله وجلاله وارادان یری عبده من عباده تلک الصفات یقول له کن فیکون ولن یعیدها بتجرد سعیه لان قوله حق الانسان کون رابنا هو الحق وله ملک الارادة وملک الرویة بنفخ الارادة فی صور القلب هو الحکیم بما اختص الانسان بارادة الایات الخیر بین یخصه من بین الناس بالارادة

وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِیْمُ لِاَبِیْهِ اٰزَرَ اَتَتَّخِذُ اَصْنَامًا اٰلِهَةً اِنِّیْٓ اَرٰىكَ وَقَوْمَكَ فِیْ ضَلٰلٍ مُّبِیْنٍ وَكَذٰلِكَ نُرِیْٓ

و چون گفت ابراهیم مر پدر خود آزر را کرا بتان گرفته بتها را خداوندان بدرستی که من میبینم ترا و قوم تو را در گمراهی هویدا و بچنین و همچنین

اِبْرٰهِیْمَ مَلَكُوْتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِیَكُوْنَ مِنَ الْمُوْقِنِیْنَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَیْهِ الَّیْلُ رَاٰ كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّیْ فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَآ اُحِبُّ

ابراهیم را پادشاهی آسمانها و زمین و تا بباشد از یقین داران کان پس چون در آمد بر او شب دید ستاره را گفت که این ست پروردگار من پس چون فرو شد گفت دوست

الْاٰفِلِیْنَ فَلَمَّا رَاَ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّیْ فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَىِٕنْ لَّمْ یَهْدِنِیْ رَبِّیْ لَاَكُوْنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّیْنَ فَلَمَّا رَاَ

فرو شوندگان را پس چون دید ماه را تابان گفت که این پروردگار من ست پس چون فرو شد گفت اگر راه ننماید مرا پروردگار من هر آینه میباشم از گروه گمراهان پس چون دید

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّیْ هٰذَآ اَكْبَرُ فَلَمَّآ اَفَلَتْ قَالَ یٰقَوْمِ اِنِّیْ بَرِیْٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ اِنِّیْ وَجَّهْتُ وَجْهِیَ

آفتاب را تابان گفت که این پروردگار من ست این بزرگتر ست پس چون فرو شد گفت ای قوم من بیزارم از انچه انباز قرار داده اید بپرستی من روی آوردم بدین

لِلَّذِیْ فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِیْفًا وَّمَآ اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِیْنَ وَحَآجَّهٗ قَوْمُهٗ قَالَ اَتُحَآجُّوْٓنِّیْ فِی اللّٰهِ وَقَدْ

مرا نزدیک فرید آسمانها و زمین را مایل از باطل و نیستم من از مشرکان و حضومت کردند او را قوم وی گفت که با حضومت میکنید در خدا و حال آنکه

الجزء السابع

هَذَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ وَكَيْفَ

وایت کردم دو تن پیغمبر اسم کسیکه را که انباز قرار داده اید مر کسی خواهد پروردگار من چیزی را اگر خواهد پروردگار من هر چیز را بدانش اپایین پند گیرید چگونه

أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ

بیندیشم کسیکه را انباز کردید و نمیترسید که شرک آورده اید بخدا کسیکه را که فرو نیاورده بر شما بیان حجتی پس کدام از این دو طائفه سزاوار ترند باسودگی اگر

كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا

بدانید کسانی که ایمان آوردند و نیالودند ایمان خود را بستم ایشان راست ایمنی و ایشان راه یافتگان و این دلیل ما

ع ١٥ آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ

که آوردیم ابراهیم را بر قومش بالا بریم پلهای هر که را خواهیم بدرستی که پروردگار تو دانا و داناست

بفتح الیا ابو عمرو ابن کثیر و ابو جعفر نافع لا بهمز از بالضم علی النداء یعقوب رای کوکبا بامالة الطاء حمزة ابو عمر و عباس و الجعفی عن ورش و کذلک رای الشمس و رای القمر حمزة و علی و خلف و یحیی و عباس و هبیرة من طریق الخزاز بکسر الواو و الهمزة و افق ابن ذکوان فی رای فقط و حالفهم فیما اتصل بها الکاف و الیاء فی سورة النجم و افق ابن مجاهد و الفضل الا ما لا ذکر له و کسر الراء فی سورة اقرا باسم رای القمر و رای الشمس و نحوهما بکسر الراء و فتح الهمزة حمزة و خلف و نصر و عباس و یحیی و الخزاز و روح و خلف عن یحیی بکسر الواو و الهمزة الحاجوني بتخفیف النون ابو جعفر و نافع و ابن ذکوان الیاقون بادغام نون لا فی نون الوقایة و قد هدان بالا ما لة علی قراءة سهل و یعقوب ابن شنبوذ عن قنبل بالیاء فی الحالین و افق ابن عامر و ابن بدا و اسهل فی الوصل درجات من التنوین عاصم و حمزة و علی و خلف و یعقوب لو قوف الطهنة للابتداء بان مع اتحاد مبین الموقنین رای کوکبا لان جواب لما قوله رایی مع اتحاد الکلام بلا عطف بنی لان جواب لما سطرح مع فاء التعقیب فیها الاولین هذا ربی لذلک لفظا لین هذا اکبر لذلک یشرکون المشرکین لا حتمال الواو الحال ای قد حاجه قومه هذا لک لانتهاء الاستفهام شئا علما یتذکرون سلطانا لاستفهما بالا من لان جواب ان منتظر محذوف التقدیر ان کنتم تعلمون فاجیبوا مع اتحاد الکلام تعلمون لمشارکة الاستفهام و ابتداء اخبارا و لو وصل اتصل ما قبله بما بعده یهتدون علی قومه من نشاء علیم التفسیر ترفع درجات کثیرا بالحجج علی مشرکی العرب بالموال ابرهیم صلوات الرحمن علیه لا ترفعون بالفضل و التقدم عند جمیع الطوائف و ذلک و الملک اقرب سلم قلبه للرحمن و لسانه للبرهان و بدنه للنیران و ولده للقربان و ماله للضیفان ثم ان ظاهر الایة تدل علی ان اسم والد ابرهیم هو آزر و منهم من قال ان اسمه تارخ قال الزجاج لا خلاف بین النسابین ان اسم تارخ فمن الملحدة من طعن فی هذا النسب لهذا السبب و الجواب ان اجماع النسابین لا عبرة به لان ذلک ینتهی الی آحاد لا اثنین مثل وهب و کعب و غیرهما سلمنا ان اسمه کان تارخ لکنه من المحتمل ان یکون احدهما لقبا و الاخر اسما اصلیا او یکون آزر صفة مخصوصة فی لغتهم کالمخطی و المذموم قیل ان آزر هو الشیخ الهرم بالخوارزمیة و هذا عند من یجوز اشتمال القرآن علی الفاظ قلیلة من غیر لغة العرب و قیل ان آزر اسم صنم یعبد بن سرو للزمر عنا دته فان من بالغ فی محبة واحد فقد یجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالی یوم ندعو کل اناس بامامهم و قال الشاعر اذا نحن سمینا مولدا کان اسمه احیحة بعض سمائی او ابد عابدا و نحذف المضاف الیه مقامه و قیل ان والد ابرهیم کان تارخ و کان آزر عمه و العم قد یطلق علیه اسم الاب بدلیل قوله بعبد الهک و اله اباک ابرهیم و اسمعیل و اسحق و معلوم ان اسمعیل کان عما لیعقوب و مما یدل علی صحة ظاهر الایة ان ابراهیم و المشرکین کانوا خالصتهم لکن علی تکذیب الرسول و اظهار نقصه فلو کان النسب کذبا لامتنع فی العادة سکوتهم عن تکذیبه و حیث لم یکذبوه علمنا ان النسب صحیح قالت المعتزلة من بحقه ابراهیم ان احدا من اباء الرسول صلی الله علیه و اله ما کان کافرا و ضعفوا قوله و تقلبک فی الساجدین بانتقاله من ساجد الی ساجد اکدوه بما روی انه صلی الله علیه و اله قال لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرین الی ارحام الطاهرات و ان ارکان عم ابرهیم و ما کان والدا لان ابرهیم شافهه بالغلظة و الجفاء فی قوله انی اراک و قومک فی ضلال مبین و قد قال تعالی و لا تقل لهما اف و لا تنهرهما و لانه ناداه بالاسم فی قراءة من قرا آزر بالضم و النداء بالاسم دلیل الاستخفاف و هذا لم یقرا بالضم لانه قوله و قال موسی لاخیه هرون اخلفنی و اجیب بان قوله و تقلبک فی الساجدین یحتمل وجوها اخر سوی ما ذکرها و بان قوله لم ازل انتقل محمول علی اقرار یقع فی نسبه ما کان سفاحا و التغلیظ من ابرهیم انما کان لاجل اصراره علی الکفر کما قال فلما تبین له انه عدو لله تبرا منه لا لاجل التسفه و الجفاء لقوله ان ابرهیم لحلیم اواه منیب ثم ان ابرهیم احتج علی قومه ان اعتقاد عبدة الاصنام بقوله منکرا علی ازر و قومه اتتخذ اصناما الهة اراک معبودین و ذلک ان الاصنام لو کان لها قدرة علی الخیر و الشر لکان الصنم الواحد کافیا فلما لم یکن الواحد کافیا دل ذلک علی عجزها و ان کثرت احتج بعضهم بالایة علی وجوب معرفة الله تعالی و علی ان وجوب الاشتغال بشکر معلوم بالعقل لا بالسمع لان ابرهیم حکم علیهم بالضلال من حیث النظر و الاستدلال و اجیب بانه لعله عرف ضلالهم بحکم شرع الانبیاء المتقدمین علیه و کذا ای مثل ما اریناه من قبح عبادة الاصنام و الاشتغال بغیر الله نری ملکوت السموات و الارض و الکاف زید للتاکید فیه ان التخلی عن غیر الله یوجب رفع الحجاب بقدر ذلک یکون حصول التجلی و التحلی بالله و انما لم یقل اریناه بلفظ الماضی لاقتراد الحکایة کانه قیل کیف بلغ ابرهیم هذا المبلغ فی قوة الدین و الدب عنه فاجیب انا کنا نریه الملکوت وقت طفولیته لاجل ان یصیر من الموقنین فان بلوغ المقصود بیان انتقام

فی قلبه

في معارج الكمال وازدياد وفي ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان صفات الله لا لانها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومقدوراته في ذلك المعلوم ايضا غير متناهية فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال التقديرية معلومة الله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمة قدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت وهذا قول السفر الى الله تعالى له تنتهي فاما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والناء المبالغة كالرغبوت ورهبوت من الرهبة قال بعضهم انه سبحانه اراه الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى رأى العرش والكرسي الى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى تخوم الثرى فرأى ما فيها من البدايع والعجائب عن ابن عباس انه لما اكثر ابو جهل الى السماء وما فيها وما في الارض من العجائب دعا على فاحشة فدعا عليه وعلى اخيه بالهلاك فقال الله تعالى له كف عن عبادي فانهم بين خلال ثلث اجوافهم اما ان اجعل منهم ذرية طيبة او تهتدي فاغفرلهم او النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضايعا وايضا قوله فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدلال بتغير الاجرام وامكانها فوجد وثبتها على وجود الاله الواجب الحكيم ثم قال بالاخرة وتلك تجلينا والرؤية بالعين لا يصير مجبرا على قوم وايضا الاراءة بالعين يفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في الاخرة وايضا ليقين عبارة عن تحصيل علم بالتامل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد من ابرهيم ان يستدل بها وليكون من الموقنين او ليكون من الموقنين نبيا وفعلنا ذلك ودلك ان الاراءة قد تصير سببا للحجة لا لايقان كما في حق فرعون ولقد اريناه اياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء وبتقدير البقاء يكون مشاغلة للرائي عن الله تعالى اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن محتاج الى الصانع الحق الواجب فكانما نهبها بين المقدمتين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه الرؤية باقية غير زايلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب الروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل اثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحيث يحيط بها واحد انواعها واصنافها واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا لاكابر الانبياء ولهذا قال في دعائه رب زدني علما ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك قلبه عن اخلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت تطابقت كان لكل واحد منها نوع تاثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد وبهذا التكرار يقل كل منها نورية واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث اتيح لها من الارتقاء والتصاعد وذلك قوله فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابرهيم وقوله وكذلك نري ابرهيم وقوله وكذلك زين جملة وقعت اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه يعني جن عليه الليل واجنه الليل والتركيب يدور على الستر منه الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليه الليل اي اظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى اظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك الزمان راى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابرهيم به واظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف جبل ووضعت ابرهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام فوضع اصبعه في فيه فخرج منه رزق وكان يتعهد جبريل عليه السلام وكانت الام تاتيه احيانا وتضعه وتبقى في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسال الام فقال لها من ربي فقالت انا ربك فقالت بوك فقال لا بد من ربك فقال ملك البلد فعرف ابرهيم جهلها بربها فظن من باب ذلك الغار ربا يستدل به على وجود الرب على سبيل الجزم فرأى النجم الذي كان اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى آخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بنبوة النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابرهيم كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق وامره بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الايات وفي هذا الموضع دعاه الى التوحيد بالكلام المخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت السموات والارض بدليل قوله في التعقيب فلما جن ومنها انه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل اي من اول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا قوم اني بريء مما تشركون مع انهما كانا في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انهما اشتغلا بالنظر في الكواكب بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا احب الآفلين رد عليهم وتنبيها على فساد قولهم وبهذا قوله وكيف اخاف ما اشركتم لا تمييز على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول لك الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ومنها ان تلك الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل اولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم والحامهم ولا ابتداء بافول الكوكب لانه انفق كما لمتوسم القوم حال طلوع ذلك النجم ثم امتدت

المناظر قال ان طلعت الشمس ثم هي هنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظ حتى يرجع اليه فيبطله وقال ان يقول المناظر من زعم قدم الجسم القديم فان كان كذلك فلم تشاهده وراء متحركا متغيرا فقول الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لا لزام الحجة عليه او المراد هذا ربي في زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم لا اله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال تعم وبوم بها دينهم فيقول ابن شركائي والذين كنتم تزعمون الكوكب اي عند نفسك وكان ثم يقول بالاله الا الله في زعمهم والمراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا ترى استقط حرف الاستفهام لدلالة الكلام او اضمر القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير وإذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا وذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء او انه قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا فوله فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان ابرهيم كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المامور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود الى شخص واحد كقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلا يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدي كان اولى قال بعض العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر وقت القتال مع الكفار وعلم انه اشتغل بالصلوة اهزم عسكر الاسلام فيهنا يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال ثم ران من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث المستقبلة فوافقهم ابرهيم على هذا الظن في الظاهر مع ان كان يريد عنه في الباطن ان يتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يجب على الله تعالى اظهار خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلو لم يرجح التلبيس ولكنه لا يجوز اظهاره على يد من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يرجح حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج لهم لقبول الدليل فكان جائزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى النجم فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين ثم ان الله تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر ففال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة التي ذكرناها من ان ابرهيم ولد في الغار وتركناه وكان جبريل ربيته محتملة في الجملة لان الاخبار ما وقفت هو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز عندنا ولم يجوزه القاضي الا اذا حضر في ذلك الوقت من رسول من الله تعالى ليكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال الكشاف فان قلت احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لان الاختفاء مع خفاء واحتجاب وانا اقول الاحتجاج بالبزوغ في الاية لا يصح لانه تعم بين ان نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا محسن بزوغه لبلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس دليله انه لو لم يقبل راى القمر بزوغ بل بان تما ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تاثيرات في احوال العالم السفلي ولكن تلك التاثيرات لما لم تكن لها بد انها لا بد لها من استناد الكل الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم والبشر فيجب ان يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبيرهم السفلية بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدا بالكلية ويعلم من قوله لا احب الآفلين انه تعم ليس بجسم والا كان تعالى عنا فكان افلا وانه لا يصح الجمع بين الالهية والذي هو مذهب الحكماء والمتكلمين والذي يدل عليه ان الافول والبزوغ من صفات الاجسام والاجسام محدثة وانه لا يصح الاستدلال بالحادث على القديم ول

انى فاجابهم بقوله الخ اجوبتى فى الله وقد هدان اى لما ثبت بالدليل الموجب للهداية وجب التوكل عليه فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر لا ان يشاء الا وقت مشيته ربى شيئا يخاف فحذف المضاف اى الا ان انذر بمشيئة ربى ان العقوبة تنزل والا لان يريد ابتلائى بمحنة والا لان يكن بعض تلك الاصنام من ضرعه مثل ان يوحى بكوكب وكان قادرا على فهاطلسم فيصيبنى مكروه من جهته باذن الله تعالى وقائدة الاستثناء اقرار بوحدة شئ من المكاره الا ايام المستقبلة لعلم الحق والجهل على قدرة الاصنام وسع ربى كل شئ علما فلا يفعل الا الخير والصلاح افلا تتذكرون ان نفى الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب ونزول العذاب وان الصحيح لا يساوى الفاسد والعاجز لا يساوى القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا اى لا سلطان فيترك وقبل انه لا يمتنع عقلا ان يؤمن باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه لم يؤمر به والمعنى انكم تتركون على الامن فى موضع الامن ولا تتركون على انفسكم الامن فى موضع الخوف ثم قال فاى الفريقين يعنى فريقى المشركين والموحدين ولم يقل فانا احق بالامن فانا ام انتم اجتنابا عن تزكية نفسه والغرض ان احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استانف الجواب عن السؤال بقوله الذين آمنوا الاية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستحقون لكمال القوة النظرية بسبب الايمان ولكمال القوة العملية وهو وضع الاشياء فى موضعها وانما لاشارة بقوله ولم يلبسوا الى ما يخالطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط فى الايمان الموجب للامن عدم الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا فى الايمان لم يكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط فى حصول الامن من حصول الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا واجيب بان الظلم ههنا الشرك لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماع مع الاقرار بالصانع ممكن وحينئذ يصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين امنوا بالله ولم يثبتوا له شريكا فى المعبودية وبوبوبيته ان القصة وردت فى نفى الاضداد والانداد وانهم لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب الابدى واعلم ان المحاجة من الله تارة يكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابرهيم وتارة يكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابرهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى ههنا والهها الاشارة بقوله وتلك حجتنا اتينا ها ابرهيم نرفع درجات من نشاء قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فبكون كقوله ورفع بعضهم درجات وقد تقدم فى البقرة واختلف فى تلك الدرجات فقيل اعمالهم فى الاخرة وقيل تلك الدرجات رفيعة لانها نعم ارتفاع الروح من حضيض الهاوية الى اعلى العالم الروحانى وقيل نرفع من نشاء فى الدنيا بالنبوة الحكمة وفى الاخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا لموجب التشهى والجزاف التاويل راى ابرهيم ملكوت الاشياء اى بواطنها ليكون من الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال الموضع فى الدرو قومه فلما جن عليه ظلمة الليل البشرية مطر سحاب العناية غيث الهداية على ارض قلبه فانبت بذر الخلة الموضوع فى ملكوت قلبه فرأى نور الرشد فى صورة الكوكب طالعا من افق سماء روحانيته فقال هذا ربى اراد به سره المكوكب لان الكوكب ان لم يشعر به نفسه كما قيل هوى تواريه وكم يعلم بريد فالجسم فى غربة والروح فى وطن فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب هذا ربى ما كذب الفؤاد فيما راى من الكوكب فقال هذا ربى فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخليفة عند رجوعه الى وصفه ورافقه كوكب السماء بالغروب قال سره لا احب الافلين فلما اشرع انفتاح رويدة القلب الى الملكوت بقدر الفرجة له نور الربوبية فى مرآة العقل قال هذا ربى فلما افل عند رجوعه الى وصفه فان داء الشوق قال ان لم يهدنى ربى برفع حجب الاوصاف ويبقينى على وجود الخليفة لاكونن من القوم الضالين عن الحق كاذر وقومه فلما اخرق عجب الاوصاف وخوجب شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربى فلما افلت شمس الهداية تعززا وتعظما لغرب ابرهيم عليه عن شرك الانانية ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب تبرا عن الاضداد والانداد ونزعه عنه الخلة عن الجهات وخلصه تجلى صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم انى برئ مما تشركون وقد بدا لى فى الخلة ان ابرهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشهوة فنظر ولا فى عالم الاجسام فرجعها افلة فى افق الغير فلم يرها اهلا لمحل الخلة فارتقى منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها افلة فى افق الاستكمال فكان حكمها حكم مادونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فضاد فيها افلة فى افق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المدركة الثلثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم اظهر لها مستولى عليها وحاجة قومه ليسلبوا استيلاء شبههم على نفوس عرفانه وقد هدانى اليه بالعيان بعد ما الى البرهان الا ان يشاء ربى شيئا من الخذلان وهذا محال لان وسع ربى كل شئ علما افلا تتذكرون وباصحاب الخذلان ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شرك الانانية الذى عزم من الاكوان حتى قال لجبرئيل اما اليك فلا وتلك يعنى ارادة الملكوت وشواهد الربوبية فى مرآة الكواكب وصدق التوجه الى الحق والتبرى عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقى بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم الى الذات تبينا ابرهيم بدأنا من بعد سطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بحذاء ذات الالوهية عن حضيض الانانية الله حكم وقد هبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمن وايوب ويوسف وموسى

وَهٰرُوْنَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِيْنَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيٰى وَعِيْسٰى وَاِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِيْنَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَالْيَسَعَ وَيُوْنُسَ وَ

وہارون و ہمچنین پاداش میدہیم نیکوکاران را وزکریا و یحیی و عیسی و الیاس ہر یکے از شایستگان و اسمعیل و الیسع و یونس و

لُوْطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعٰلَمِيْنَ وَمِنْ اٰبَآئِهِمْ وَذُرِّيّٰتِهِمْ وَاِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنٰهُمْ وَهَدَيْنٰهُمْ اِلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ

لوط را و ہر یکے را زیادت دادیم بر جہانیان و از پدران ایشان و فرزندان ایشان و برادران ایشان و برگزیدیم ایشانرا و ہدایت کردیم ایشانرا براہ راست

ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِيْ بِهٖ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ وَلَوْ اَشْرَكُوْا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اٰتَيْنٰهُمُ

این ہست راہ خدا کہ ہدایت کند بان ازا کہ خواہد از بندگانش و اگر شرک آرند ہرآینہ باطل گردد از ایشان آنچہ کردہ بودند اکنون ایشانرا

الْكِتٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَاِنْ يَّكْفُرْ بِهَا هٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوْا بِهَا بِكٰفِرِيْنَ اُولٰٓئِكَ

کتاب و داوری و پیغمبری پس اگر کافر شوند بان اینکردہ پس ہرآینہ بگماریم بان گروہیرا کہ نیستند بان کافران اکنون

الَّذِيْنَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰىهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَّآ اَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ اَجْرًا اِنْ هُوَ اِلَّا ذِكْرٰى لِلْعٰلَمِيْنَ القراءة

انانند کہ ہدایت کرد خدای ایشان پس بہدایت ایشان اقتدا کن بگو نمیخواہم از شما بازاء آن مزدی را نیست آن مگر آگاہی از برای جہانیان

والیسع بتشدید اللام حمزة وعلی وخلف الباقون بالتخفیف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلوانی عن الهشام مختلسة وبجذف الهاء فی الوصل سهل یعقوب وحمزة وعلی وخلف الباقون بسکون هاء السکت علی الاصل الوقوف ویقوطب کلا هدینا الان ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل النصب بانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتین وهرون ویحیی وعیسی وایاس من الصالحین للعطف ولوطا العالمین للعطف واخوانهم ایضا ان قوله واجتبیناهم یعقوب الی قوله کلا هدینا کقوله ومن هدینا واجتبینا ولاحتمال الواو الحال ای وقد اجتبیناهم وذکر هدینا هم بعد مستقیم من عباده بعلوث والنبوة بکافرین اقتده اجرا للعالمین التفسیر لما ذکر حجج ابرهیم صلوات الرحمن علیه فی التوحید والذب عن الدین الحنیفی عدد وجوه نعمة احتج علیه بعد نعمة ابتداء الجزء ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال علی العظمة کما یقوله عظماء الملوک لیدل بذلک علی عظم العطیة وذلک انه جعل اشرف الناس وهم الانبیاء ارسل من نسله وعقبه قبل واتمادین کل اسمعیل مع اسحق وان کان هو ایضا لصلبه لان المقصود بالذکر ههنا انبیاء بنی اسرائیل وهم بأسرهم اولاد اسحق ویعقوب اما اسمعیل فانه خارج من صلبه احد من الانبیاء الا محمد صلی الله علیه وآله ولا یجوز ذکر محمد صلی الله علیه وآله فی هذا المقام لانه امر محمدا ان یحتج علی العرب بان ابرهیم لما ترک الشرک واصر علی التوحید شرفه الله بالنعم الجسام فی الدین والدنیا ومن جملة ذلک ان اتاه اولادا کاملوکا وانبیاء فاذا کان المحتج بهذه الحجة هو محمد امتنع ان یذکر نفسه فی هذا المعرض فلهذا السبب یذکر اسمعیل مع اسحق اما قوله ونوحا هدینا من قبل فالمقصود منه بیان کرامة ابرهیم بحسب الاباء ایضا مثل نوح وادریس شبث واما الضمیر فی قوله ومن ذریته فقد قیل انه یعود الی نوح لانه اقرب ولانه تعالی ذکر فی جملتهم لوطا وهو کان ابن اخی ابرهیم وما کان من ذریته بل کان من ذریة نوح ولان ولد الانسان لا یقال انه من ذریة فلعل هذا اسمعیل ما کان من ذریة ابرهیم وکان من ذریة نوح ولکان یونس ایضا لم یکن من ذریة ابرهیم علی قول بعضهم وقیل الضمیر عائد الی ابرهیم لانه المقصود بالذکر فی هذا المقام واعلم ان الله تعالی ذکر اربعة عشر من الانبیاء وهم نوح وابرهیم واسحق ویعقوب ثم ذکر من ذریتهم اربعة عشر نبیا داود وسلیمان وایوب ویوسف وموسی وهرون وذکریا ویحیی وعیسی والیاس واسمعیل والیسع ویونس ولوطا فالمجموع ثمانیة عشر وانما لم یراع الترتیب بینهم فی الانبیاء بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلک علی ان الواو لا تفید الترتیب وقال فی التفسیر الکبیر ان وجه الترتیب انه تعالی خص کل طائفة من طوائف الانبیاء بنوع من الکرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملک والسلطنة وقد اعطی داود وسلیمان من ذلک نصیبا عظیما والتی الثانیة البلاء والمحنة وقد خص ایوب بذلک والثالثة استجماع الحالتین وذلک حق یوسف فانه ابتلی اولا ثم اوتی الملک ثانیا الرابعة قوة النجدة وکثرة البراهین والبینات وذلک حال موسی وهرون الخامسة الزهد الکامل کما فی حق زکریا ویحیی وعیسی والیاس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحین السادسة الانبیاء الذین لیس لهم فی الخلق اتباع ولا اشیاع وهم اسمعیل والیسع ویونس ولوط واما المراد بقوله کلا هدینا ونوحا هدینا قبل المراد الهدایة الی طریق الجنة بدلیل قوله وکذلک نجزی المحسنین فان جزاء المحسن علی احسانه لا یکون الا الثواب قبل لا بعد ان یقال المراد الهدایة الی الدین والمعرفة لانهم اجتهدوا فی طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول کما قال والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وقیل انها الارشاد الی النبوة والرسالة لان الهدایة المخصوصة بالانبیاء لیست الا لذلک وهذا انما یصح عند من جوز ان یکون الرسالة لجزاء علی عمل واستدل بعضهم بقوله وکلا فضلنا علی العالمین علی ان الانبیاء افضل من الملائکة وذلک ان العالم اسم لکل موجود سوی الله تعالی فیدخل فیه الملائکة وکذا الاولیاء وقیل فضلناهم علی عالمی زمانهم فلا یتم الاستدلال القاضی ویمکن ان یقال المراد وکل من الانبیاء یفضلون علی کل من سواهم من العالمین ثم الکلام فی ان ای الانبیاء افضل من بعض کلام اخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن آبائهم وذریاتهم واخوانهم واثر معطوف علی کلا ای فضلنا بعض آبائهم فالاباء هم الاصول والذریات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفیه دلیل علی انه تعالی خص کل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والکرامة ثم ان قلنا المراد من الهدایة الهدایة الی الثواب الجنة فقوله من آبائهم وکلمة من للتبعیض یدل علی ان قد کان من آباء هؤلاء الانبیاء

من كان غير مؤمن ولا اصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اي
اصطفيناهم من بين الناس في الحوض وجوبته اي جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معنى التوحيد والتنزيه بدليل قوله لو اشركوا الخ وفيه
دليل على ان الهداية من الله تعالى للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك
يعني الاربعة عشر الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لابد بحكم العطف من تغاير الامور الثلثة وجهة ان الحكام على الخلق تلك الجهة
الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين الجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلثة اشارة الى هذه الاصناف
الثلثة وسمي انبياء الكتاب الفهم التام بما في هذا الجنس والعلم المحيط بحقايقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحي التنزيل كصحف ابراهيم
وتوراة موسى وانجيل عيسى لشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اي بالامور الثلثة او بالنبوة
هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي ليسوا كافرين بها ومن توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها
كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم المهاجرون وقال الحسن هم
الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج ولفوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعني الملائكة وضعف بان اسم
القوم قلما يقع على غير بني ادم وفي الآية دلالة على ان الله تعالى سمى نبيه وبظاهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد وكان اخبارا بالغيب
فصح اعجاز القرآن وفيها استدلال للاشاعرة على ان الله تعالى خلق فيهم الايمان ولو كان خلق كل الكل الايمان وابيا والتمكين وفعل الالطاف مشتركا
بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بان زيادة المؤمنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله ويتفاوتون ان يستوي فاذا لم ينتفع بها الكافر صح
الظاهر ان بقي انه لم يحصل له تلك الالطاف وردبان الالطاف الداعية الى الايمان مشتركة بينهما بين الكافر والمؤمن وبان الوالد لما سوى
بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول احد ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من
حذف الهاء في الوصل وعن ابن كثير في الوصل كما في الوقف اراد موافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط في الحالين واما قراءة ابن
عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليست بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم
اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في ان لمحمد صلى الله عليه وآله ان يجتهد بالاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تعيين
من الناس من قال الذي جمعوا عليه هو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال اخرون المراد
بالاقتداء بهم في شرايعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزم ان يكون شرعا لمن قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل
وقال الفخر هذا بعيد لان شرايعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس
العمل ودليل ثبات شرعهم كان حاصلا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه وانه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب تخصيصه
في الصورة المناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل فصل في ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا
لوجوب الفعل على الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه جل من منصبهم لانه سبحانه جمع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في
داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون وبالجملة
قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما امر بالاقتداء بالانبياء وكان من جملتهم لم يكن يطلبوا الا جواب المال والجعل في ايصال الناس الى
ابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسئلكم عليها اجرا ان هو يعني القرآن الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاج اليه الخلق
في المعاش والمعاد وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم لان ما ذكر فيه من اخبار ابراهيم واسمعيل
وهبنا له اسحق ويعقوب ولعله افرد ذكر اسمعيل لكون محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره بتعاطيهم ابراهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله
عليه وآله واجتبيناهم في الازل لهذا الشان وهديناهم الى الابد لو اشركوا بان لاحظوا غيرنا فانتفوا شيئا من دوننا ونسوا شيئا من الحوائج
الى غير قدرتنا اولم يعبدوا انا بتنا لهم في هوى بتنا لحبط عنهم لتلاشي عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهداهم اقتده لانهم سلكوا حتى اخص
مسير كل منهم الى ما قدره له ادم في اسماء الانبياء ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في
السادسة وابراهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى وانت محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسئلكم ايها الانبياء
على الاقتداء اجرا ان هو اي ذكر العالمين لعلهم ان الطرق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء او لا اسئلكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين
وهو الاستعداد لما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا

ونشنا فتند خدايرا سزاى شناختنش چون گفتند كه نفرستاده ست خدا بر هيچ بشرى گوى كه نرو نرستاده كرد باكه آورد وازا موسى روشنى

وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون

وبرسته از براى مردم كه قرار داده ايد اورا كاغذ اى پراكنده كه مينماييد بسيارى از او ومخفى ميداريد بسيارى از آنچه نميدانستيد شما ونه پدران شما بگو كه خدا پس واگذار ايشان را در فرو رفتن

الجزء الثامن

بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه
باطل میکردند بآن وایشان بر نگاهداشتن نمازها محافظت میکنند وکیست ستمکارتر از کسی که دروغ بندد بر خدا در وعده یا گفت که وحی شده باو باشد
شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا
چیزی و هر که گفت زود باشد که فرو فرستم مانند آنچه فرو فرستاد خدا و اگر ببینی وقتی را که ستمکاران در سکرات مرگ اند و فرشتگان پیش کشنده اند دستهای خود را که بیرون آرید
أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد
جان زن خود را امروز داده شوید عذاب خواری را بآنچه بودید که میگفتید بر خدا ناحق وبودید از آیات او کردن کش کردید و هر آینه
جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم
بیائید مارا تنها چنانکه آفریدیم شما را اول مرتبه و واگذارید آنچه عطا کردیم شما را در عقب سرهای خود و نمی بینیم با شما
الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون إن الله فالق الحب والنوى ع ۱۶
آنانرا که گمان بردید که ایشان در باره شما انبازانند بتحقیق که جدائی شد میان شما و گم شد از شما آنچه بودید که گمان میکردید بدرستی که خدا شکافنده دانه و هسته خرما
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون فالق الإصباح وجعل الليل سكنا
بیرون آرنده زنده را از مرده و بیرون آرنده مرده است از زنده آنست خدای شما پس کجا گردانیده میشوید شکافنده صبح
والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا
و آفتاب و ماه را بحسب حساب است تقدیر خدای غالب دانا و اوست آنکه قرار داد برای شما ستارها تا راه یابید بآنها در تاریکیهای بیابان و دریا هر آینه مفصل گردانیدیم
الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم
آیات را برای گروهی که دانند و اوست آنکه آفرید شما را از شخص واحدی پس هست قرار گاهی و وداع گاهی هر آینه مفصل گردانیدیم آیات را برای گروهی
يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا
که فهم کنند و اوست آنکه فرو فرستاد از آسمان آب پس بیرون آوردیم بآن رستنی هر چیزی را پس بیرون آوردیم از آن سبزه را
نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان
بیرون آوریم از آن دانهای بسیار بهم در آورده و از شکوفه خرما از نزدیک او خوشه‌ها نزدیک بهم و بوستانها از انگور و زیتون و نار را
مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون و
مانند یکدیگر و غیر مانند نگر بسوی میوه آن چون ثمر آورد وقت رسیدگان بدرستی که در این هر آینه نشانها است مر گروهی را که ایمان آرند
جعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون
قرار دادند برای خدا انباز پریان را و آفریده بآفریدند هم او را و دروغ بافتند برای او پسران و دختران بدون دانشی منزهست او و برتر است از آنچه وصف کنند

القراء يجعلون بعد ونها ويخفون بها آت العبنا بو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولهند ربنا التغيبة ابو بكر وحماد الباقون بناء الخطاب بفتح
النون ابو جعفر ونافع وعلي وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ المضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون وجاعلوا الليل
على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والرحمى الباقون بالنصب فستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح
ثمره بضمتين حمزة وعلي وخلف كلن في الحرف السورة وهن الباقون بضمتين وخففوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف الوقوف من شيء كثير لمن قرأ
يجعلونه بياء الغيبة ومن قرأ بالتاء فوقف جائز لانتهاء الاستفهام مع انفراق الخطاب على تقدير وقد علمتم بأنكم قل الله لا ان قوله ثم ذرهم معطوف على
قل بمعنى ومن حولهما يحافظون انزل الله ايدهم لاتساق الكلام مضمر تقديره بحذف اي يقولون اخرجوا انفسكم لان المراد من ابو بوا الغيبة تستكبرون
ظهورا كرر لاختلاف القول والوقف وقف لانقطاع النظم وانقطاع النظم شركاء تزعمون والنوى من الحي تؤفكون فالق الاصباح كثير لمن قرأ وجعل لانقطاع
النظم واتصال المعنى على تقدير فالق وجعل احد وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل فالق حسبانا العليم والبحر يعلمون ويستودع يفقهون غاية للعدد
مع اتحاد المفضوض قنوانا كائنا من قنوان بالرفع فلعطف على قنوان لفظا فيلزم وقف على دانية والا فلعطف بمعنى ان جنات من جملة النخل ومن
خفض فوقف على قنوانا جائز للعطف على قنوان اخضر امع وتجمع العارض وغير متشابه ينعه يؤمنون بغير علم يصفون التفسير اعلم ان مدار القرآن
على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد بعد ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن
عباس لم يعظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ابن قتيبة في رواية ما امنوا بان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوه
حق صفته حين قالوا لا يرسل الله رسولا وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي في اللطف بأوليائه وفي القهر لاعدائه وقال المبرد ما قدروا الشيء بمبلغ قدرته الحق بمبلغه وقدرت الشيء
أقدره وأقدره قدرا من التقدير ومن الحزن ومقداره ثم بين عظيم عرفانهم بقوله إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء وانما كان منكر البعثة
الرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اذا ان بلغ عن الله تعالى ما كلف احدا من الخلق بل تكلفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب الكفران والقبائح بأسرها واما ان

يسلم انه تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ينقض حصل فان قيل لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المحرمات فالجواب ان الامر كذلك الا انه لا يمتنع تاكيد التكليف العقلي بل يجب تفصيل تلك المجملات بالتعريفات الشرعية على السنة الرسل لان اكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا عضد من نور من خارج كنور الشمس او السراج وايضا نفوض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الاراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطأ في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون المعين من الله سبحانه بكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونفى القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الانبياء بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش او البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يمكن اثباتها لهم وقد قال من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان قوله تجعلونه قراطيس تبدونها الخطاب انما يليق باليهود ان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله تعالى على بشر من شيء بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى ايضا الاكثرون اتفقوا على ان التوراة مكية وانها انزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت بالمدينة فكيف يمكن حمل الآية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على موسى كالعصا وفلق البحر وانظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب علمهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش ولاهل الكتاب اخذا ما ان كانوا اهل الكتاب هو اشهر عند الجمهور فالقول ما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال اذا غضبت ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما نادى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانما انزل عليه من شيء البتة فاما ان يقول في جواب من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي لما سلمنا ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكننا ان نقطع بانه ما انزل على شيئا غايته ما في الباب ان تطالبني بالمعجز والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله ثم قالوا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا لكنه الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء انه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا اراد الرجل ان تخرج من الدار فغضب لزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا للكلام الخصم اما قوله ان التوراة مكية والمناظرات مدنية فاجيب عنه بان التوراة نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة من الآية ان قوله ما قدروا الله حق قدره يقبل ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع اخر ما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم تكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لكان قوله من انزل الكتاب وعلم منه ان قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الآية فان للخصم ان يقول معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم بنوتك ومنها ان العقل لا يدرك حسنا ولا قبحا خلافا للمعتزلة لان الله تعالى لما انزل على البشر ما انزل فانه يحسن توبيخهم عليه وذلك يدل على ان العقل لا يدرك حسنا ولا قبحا ومنها ان العقل لا يوجب شيئا ولا يحرمه خلافا للبراهمة لان الله تعالى لما انزل على البشر ما انزل فانه يحسن توبيخهم عليه وذلك يدل على ان العقل لا يوجب شيئا ولا يحرمه ومنها ان الاجماع حجة خلافا للنظام لان الله تعالى لما انزل على البشر ما انزل فانه يحسن توبيخهم عليه وذلك يدل على ان الاجماع حجة ومنها ان القياس حجة خلافا لابي مسلم لان الله تعالى لما انزل على البشر ما انزل فانه يحسن توبيخهم عليه وذلك يدل على ان القياس حجة ومنها ان الاجماع حجة خلافا لابي مسلم

السليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف الموجد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قال له شئ اكبر شهادة قال الله تعالى المقصود انه بلغ هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فضلا ان يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ضمير هم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم والمعنى انك اذا قمت بالحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك فدعهم على ما هم عليه فليس عليك الا البلاغ فصار منسوخا بآية السيف غير ناظر لا تر ملكوا لاجل التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا للشئ من مدلولات هذا الامر ثم لما ذكر حال النوع من اعتقاد بعض الكفار في القرآن فقال وهذا كتاب انزلناه وفايدة هذا الوصف قد كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القرآن على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي انزل اليه بالوحي على لسان جبريل ثم مبارك كثير خيره دايم نفعه باعث على الخير لما زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بخيري الدنيا وسعادة في الاخرة وقد جرب فوجد كذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه بحسب الامر ونهي واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه واله وبحصل منه ان التكاليف الموجودة هنا انما تبقى الاوقت ظهوره ثم بصير منسوخة ولتنذر ومن قرا بناء الخطاب فظاهر ومن قرا على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذر به الله وهو معطوف على ما دل عليه سابق الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة وتصديق ما تقدمه من الكتب ولانذار قال ابن عباس يعني مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس مجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي اهل ام القرى ومن حولها قيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل البهود بذلك على ان محمدا مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لا سيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعو الى الله ورسوله الى العالمين ويحتمل ان يقال ما حولها مكة بتمامها وقيل جميع البلاد والاول اولى والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خاف الله لزمه الخوف حتى يؤمن وليس لاحد ان لا ينبه مبالغة في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه واله وفيه ان كفار مكة بعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر ويحافظون على صلواتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي والكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كاد المحافظة عليها ان يأتي باخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على بعده من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرتبه وامره فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الخنفي والاسود العنسي عن النبي صلى الله عليه واله انه كان يقول في اذانه اشهد ان مسيلمة رسول الله وكذا بعض علماء الاسود العنسي واوحي الي ولم يوح اليه شئ كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه واله رسول الله في بني قريش وانا رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو برئ منه اما في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القرآن وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه واله وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه واله فلما وصل الى قوله انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه واله اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد اوحي اليه كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه واله مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه واله فاستامن له ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو ترى اذ الظالمون جواب لو محذوف اي لرايت امرا عظيما او اذ الظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمستهزئة او الكلام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس فيندرج هؤلاء فيهم وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا قبل انفسكم اي قابضوها يقال بسط يده بالعطية وبسط يده بالضرب والمعنى يقولون لهم اخرجوا انفسكم من اجسادكم فانا لا نفارقها الا بالقهر والعنف والتشديد في هذا الخطاب واجب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت في الاخرة اذ دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع العذاب والنكال والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد الذي قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في زماننا الروح من غير تنفيس وامهال وانتم يفعلون بهم فعل الغريم الملاح الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي ما لي عليك والا ارهقتك ومنها انه لما بين امرهم انتم هو وعيد وتقريع كقول القائل امض الان لشرك ما كمل بك الخبيث ان نفس المؤمن حال النزع يبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر يكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعالي لا

نضم الى العذاب والمهانة الاشارة فى الحديث من احب لقاء الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهولاء الكفار بكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى فراق المالوف فى الابتداء لان على ان النفس الانسانية شئ غير هذا الهيكل المحسوس لان الخروج يجب ان يكون مغايرا للخرج منه اليوم يريد فى وقت الاهانة او الوقت الممتد الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشئ ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان عليه الشئ اى قل اهتمامه به والاسم الهون بالضم والهوان والهانة والحاصل انه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله غير الحق وعن ايات الله تستكبرون يعنى ان هذا العذاب الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على ايات الله وهو عدم الايمان لها قال الواحدى وكنتم عن اياته تستكبرون اى لا تصلون له لقولهم من يجد الله بجده واحدة بينة صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا بحمل ان يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا انه تكلم مع الكفار فرادى جمع بنون ولا بنون واحد قبل فرد على غير قياس وقيل فرادى كسكارى وسكرا قاله ابو قتيبة وقيل فرد فريد كرديف ورداف وفى وهم الحداة والاعوان لانه اذا اهيى احدهم خلفه الاخر كما خلفنا كم اى على الحالة التى ولدتم عليها فى الانفراد وبحيث اشاخلفنا كم اول خلق نعيدكم والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم فى الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثانى انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فهم فعلوا الفضيحة وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة لها فى اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى اى منفردين عما يجب الاعمال والعقايد ثم انهما مع ذلك كسبتا شيأ قد تعلق الرجاء بها لانها فى العرف تحصيلها وانها ليست مما يبقى معها فالاجود استحقاق التقريع لقوله وتركتم ما خولناكم اى اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعنى انها كالشئ الذى يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقى موجع الرأس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اى ليشفعوا معكم حتى تروا انهم معكم بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الا بالرفع من قرأ بالنصب على الظرف معناه وقع التقطع كقوله وتقطعنا بهم الاسباب بقى جمع بين الشيئين اى وقع الجمع بينهما على اسنادها الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان خلافا بين اذا كان الرجاء والبلاء خلافا تنبيه فاضمر له لانه الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما يقول قوتل خلفكم وامامكم اولان المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله فى معنى الوصلة مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل فى الشيئين اللذين بينهما مشاركة موا صلة من بعض الوجوه كقولهم بينى وبينه مشاركة وبينى وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم فلك ان تحمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد جده فاذن الفاعل من يكسب الى دلهوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال فى وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما انفقوا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرتهم يوم ينقطع بين النفس والجسد وصلة ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير امر التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لعلم ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اى بالنبات والشجر وعن مجاهد ارادالشق الذى يرى بالخطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجهه بان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها ولا انشقاق فاخراج الشئ من العدم الى الوجود شق لذلك العدم فلوحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة فى الارض الرطبة ثم مر بها قدر من الماء انتفخ فى اعلاها شقا وفى اسفلها شقا اما العالى فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الهابطة فى الارض وهى المسماة بعرق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة ان كانت تقتضى الهبوط فى الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء وبالعكس فانتقال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص فى جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار واثمار وللثمرة قشر اعلى وقشر اسفل وفيه اللب فى اللب الدهن الذى هو المقصود الاصلى فتولد هذه الاجرام المختلفة فى طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع ان تاثيرات النجوم والطبايع فى المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها ان بحسب الطبايع الاربع حاصلة فى الفاكهة الواحدة فالاترج قشره حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس وكذلك العنب قشره ممسك بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب منها انك تجد اصول الفواكه مختلفة فبعضها يكون لبه فى الداخل وقشره فى الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة فى الخارج والخشب فى الداخل كالخوخ والمشمش وبعضها يكون نواها حبا كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يتكون مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المؤتلفة تتضمن حكما وفوايد لا يعلمها الا مبدعها ومنها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجرة وجدت فى وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه الشعاع فى بدء الامر ولا يزال يشتد حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق اصغر من الاول فكانه سبحانه اوجد ذلك الخط الموصوف بهذه الصفة الذى هو كالمادة لتلك الخطوط الدقاق

السليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف لو بدل قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اي شئ اكبر شهادة قل الله ما المقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يعجز عنها كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم بها او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يا لعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة له او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ فقيل انها منسوخة بآية السيف فيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول آية القتال رافعا للشئ من هذا لان هذا ذكر حال المؤمنين اذا عقبه بذكر القرآن فقال وهذا كتاب انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القرآن على هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي اوحى على لسان جبريل انزل اليك كتابا جزيل الخير دائم النفع باعث على الخير زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى ان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بحظ الدنيا وسعادة في الاخرة وقد جرب فوجد كذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه لم يقع التفاوت فيه بحيث لا يعرف منه وجه المناسبة واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وآله وبحصول منار التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الا وقت ظهوره ثم بصيرة منسوخة ولتنذر ومن قرأ بتاء الخطاب فظاهر ومن قرأ على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذر به الوحي وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة وتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس يعني مكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فحياتها كحياة الاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس مجتمعون اليها للحج والتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف اي اهل ام القرى ومن حولها قيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على ان محمدا مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لا سيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى العالمين ويحتمل ان يقال ما حولها مكة بتمامها وقيل جميع البلاد لان الدحو من مكة والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خاف ربه بالخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه ان كفار مكة بعد هم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر والهم على صلواتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي بالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كان المحافظة عليها ان يأتي باخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على بعد من ادعى النبوة وانزال الكتاب عليه فرتبه وامزله فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الخنفي والاسود العنسي عن النبي صلى الله عليه وآله فانهما كانا يدعيان النبوة فمسيلمة كان في بدء امره اظهر الاسلام وقدم المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسمع منه فلما رجع الى اليمامة ارتد وكذب بصنعاء الاسود العنسي واظهر المعجزات وقال اوحي الي وقلما يوحى الي شئ كان مسيلمة يقول يوحى الي محمد صلى الله عليه وآله كما يوحى الي رسول الله في بني قريش وانا رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو برئ منه اما في الذات واما في الصفات واما في الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القرآن وهو قوله لو نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح الفرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما وصل الى قوله انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وآله اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال ولئن كان محمد صادقا لقد اوحي اليه كما اوحي الي ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مكة قرأ لعثمان وكان اخاه من الرضاعة فغبطه عند ذلك حتى اطمأن اهل مكة ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وآله فاسلم فقال له ثم فصل ما اجمل من الوحي عند فقال ولو ترى ايها الرائي او يا محمد وفي ايراد يا محمد وفي ايراد يا ايها الظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فالكلام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس فيندرج هؤلاء فيهم وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدائد الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسادهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات الموت في الاخرة اذا دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع العذاب والنكال والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذا الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا والملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاؤم اقرؤا كتابيه اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في زهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانما يفعلون بهم فعل الغريم الملح الذي يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي ما علي عاجلا ولا اريد مكاثاة حتى انزعه من احداقك ومنها انه لما بين باسرها امتاهو وعيد وتقريع كقول القائل امض الان لرأيك ما اجمل بك التخيير ان نفس المؤمن عند التوفي تبشر بالفوز والرضوان فتسر وتنشط للخروج الى لقاء ربها ونفس الكافر بخلافه فيشق عليها الخروج وتقطع التعلق لا محالة

تضمن الى العذاب والبه الاشارة فى الحديث من احب لقاء الله لقائه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار بكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى
فراق المالوف وفى الاية دلالة على ان النفس الانسانية شئ غير هذا الهيكل المحسوس لان الخروج يجب ان يكون مغايرا للخرج منه اليوم يريد فى وقت الاماتة
او الوقت الممتد الذى يلحقهم فيه العذاب بعد البرزخ والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقترنة
بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على فلذ المبالاة بالشئ ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان
عليه الشئ اى سكن عنده والاسم الهون بالضم والهوان والاهانة والحاصل ان جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله
غير الحق وعن اياته تستكبرون يعنى ان هذا العذاب الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على اثبات الله وهو عدم الايمان
لما قال او احد وكنتم عن اياته تستكبرون اى لا تصلون له لقوله ما من احد الا وله صديقة واحدة بينه صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا بحتمل ان
يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم
ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ان جوز انه تكلم مع الكفار فرادى جمع بنون ولا بنون واحده قبل فرد على غير قياس وقيل فرد كسكارى وسكرى
قاله ابو قتيبة وقيل فريد كريف ورداف فى وهم الحداة والاعوان لانه اذا اهمى احدهم خلفه الاخر كما خلفنا كم اى على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد
او مجيئا مثل خلقنا كم اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم فى الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثانى
انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء الله فهم تعلقوا القشرة وتركوا الحقيقة وذلك لان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة
لها فى اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ
بقوله ولقد جئتمونا فرادى اى منفردين عما يجب الاعمال والعقايد ثم انها مع ذلك اكتسبت اشياء قد صانت الرجاء بها لانها فنى العمر تحصيلها
وانها ليست مما يبقى معها فالاجوم استحق التقريع لقوله وتركتم ما خولناكم اى اعطينا وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعنى انها كالشئ الذى
يبقى وراء ظهر الانسان فلن يمكنه الانتفاع به وربما بقى معوجا الآن بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اى ليشفعوا معكم حتى تروا انهم معكم
بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الا بمن قرأ بالنصب على الظرف معناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب
بقى جمع بين الشيئين اى وقع الجمع بينهما على استناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان خلافا بين اى
كان الرتجا والبلاء دعا فاتنى فاضمر له لانه الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما يقول قوتل خلفكم وامامكم اولان
المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله فى معنى الوصل مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل فى الشيئين اللذين بينهما مشاركة مواصلة من بعض
الوجوه كقولهم بينى وبينه مشاركة وبينى وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم فلت يحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد
جده فاذن العاقل من يكسب الى الهوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال فى وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من ذخره وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرتهم يوم يقطع
بين النفس والجسد وصلة ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم
ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشق
الذى يرى بالحفظة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفلق هو الخلق ووجهه بان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها
ولا انشقاق فاخراج الشئ من العدم الى الوجود شق لذلك العدم فلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة فى الارض الطيبة فتح
مرتها قدرة الله الظاهرة فى علاها شقا ومن اسفلها شقا اما العالى فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الطالبة
فى الارض وهى المتماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان لطيفة الشجرة ان كانت تقتضى الهوى فى الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء
وبالعكس فانفصال الشجرتين على التبادل ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه
المسلة ولا التكبير ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص فى جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجزء
الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار واثمار وللثمرة قشر اعلى وقشر اسفل
وفيه اللب فى اللب الدهن الذى هو المقصود الاصلى فتولد هذه الاجرام المختلفة فى طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع تشابه
تاثيرات النجوم والطبايع فى المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها قد تجد الطبايع الاربع حاصلة فى الفاكهة الواحدة فالاترج قشره
حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس كذلك العنب قشره ومجمره بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها انك تجد احوال الفواكه
مختلفة فبعضها يكون لينة الداخل وقشره الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة فى الخارج والخشبة فى الداخل كالخوخ والمشمش
وبعضها يكون النواة احب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يتكون مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المختلفة يتضمن حكما
وفوايد لا يعلمها الا مبدعها ومنها انك اذا اخذت وزنة واحدة من ماء واى التجزية وجدت فى وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه الشعاع فى بدء الامر
ولا يزال يشتد حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق اصغر من الاول فكانه سبحانه اوجد ذلك ليقوم به الجاذبة المذكورة فى

جرم تلك النواة على جانب الاجزاء اللطيفة الارضية تلك المجاري الضيقة فاذا وقفت على عنابة الخالق في ايجاد تلك النواة الواحدة علمت ان عنايته في ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت عنايته بتخالف الحيوان الذي خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذي خلق لاجله النبات والحيوان وبصيرتك مرقاة لك الى وجود الصانع الحبر الحكيم العليم ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحي من الميت لان فالق الحب والنوى بالنبات والفجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان وهذا قال يحيي الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله ومخرج الميت من الحي قال ابن عباس رضي الله عنهما النطفة فيخرج الحي منها وهو الانسان ويخرج من البشر الحي نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابرهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه او المطيع من العاصي والعاصي من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا استوى الانبون في الشراب بموت فلما انا واراد ان القوم المرسوم نزفوه وجعلوه في بيت مظلم فلما فتح عنه وصاح تلك الليلة عن قوة حواسه سببا لدفع ضرر بود الانبون ونقل عن عبد القاهر الجرجاني رحمه الله ان قوله ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اقتناء الفاعل بذكر الفعل في كل وقت بخلاف لفظ الاسم وهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقهم حالا فحالا واوساعة فساعة اذا ثبت هذا فقول الحي اشرف من الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحي من الميت اكثر من العكس ولكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحي المميت فالق فكونوا فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تبعدون بعث النشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال بما فوقها وهي الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمي به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش في اخر الليل وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان بعث فيه جدولا من النور فالمحق فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد فالق الاصباح بانهاض النهار واصفاره ومنه قولهم الشق عمود الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فالق الظلمة فذكر التسبب واراد المسبب او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح في البقرة في تفسير قوله عز من قائل ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط الارض بجانب الشرق لا ينافي كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافي ذلك والامام فخر الدين الرازي اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار والنوع الثاني من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا يجوز من قرأ باسم فاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل ومجوز من قرأ بصيغة الفعل ان قوله بعد ذلك في الشمس والقمر منصوبا ولا بد من عامل وما ذلك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المونسة لانها تؤنس بها والليل يطمئن اليه التعب النهار كالاستراحة فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل الليل سكونا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله نعم وايتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله والشمس والقمر حسبانا اي سببي حسبان لارتحاب الاوقات يعلم بسيرهما وعودهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كالغفران من غفر والحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر وقيل ترجمة حسبانا مثل شهابا فان في الكتاب الشمس والقمر قمرانا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار تولى عليه جاعل الليل او بعطفان على محل الليل لان اسم الفاعل اريد به ههنا الاستمرار كما تقول الله عالما قادرا فلا تفصل زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل قلت وهذا مناقض لما ذكره في مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه الجر فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوف الخبر اي والشمس والقمر محسوبان او محسوبا حسبانا وذلك الجعل تقدير العزيز الذي قهرهما العليم الذي دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيئاتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا بقدر شامل لجميع الامكنة وعلم نافذ في الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذي جعل لكم النجوم عد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك في ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير في ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات البر خاصة لتعطيل البحر التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحال وصفة اخرى مع تشاركها في الجنسية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاء والابعاض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه عن هذه السمات وهذا قال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الغائب ثم عدد من الآيات الافاقية الى ايات الانفس فقال وهو الذي انشأكم اي خلقكم بطريق النشو والنماء من نفس واحدة هي ادم وحوا مخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ وهي من ادم فمستقر من قرأ بكسر القاف فالتقدير ولكم منكم مستقر في الارحام ومستودع في الاصلاب فالاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول ومن قرأ بفتح القاف فالتقدير فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسم مكان او مصدرا وذلك ان استقرار الام فلا يخفى منه المقصود بل الواسطة فينبغي تفسير مستودع ايضا بما يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع المطلب المستقر الرحم لقوله ونقر في الارحام ما نشاء ولان اللبث في الرحم اكثر فيكون لفظ القرار بذلك انسب بخلاف المستودع فانه في معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان المرء في الاصلاب فانه يصدد الارتحال في كل حين واذا ان فعلى المستقر صلب

الانعام

الاب المستودع الرحم لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب يناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حالة بعد الموت لان سعادته وشقاوته تستقر على حالة واحدة والمستودع حالة قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذاهب قال الاصم المستقر الذي خلق من النطفة الاولى وصار في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من في قرار الدنيا والمستودع من في اصلاب الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس ابن مسلم الاصفهاني المستقر الذي كان النطفة انما استقر في صلبه والمستودع الذي ائتمنها استودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه يتقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال والبرهان على هذا بمقتضى الطبع والخاصية والانشاء والكل في الاخبار فانه لا مرجح فلذلك اذن بتدبير فاعل قادر مختار خبير وبهذا قال قد فصلنا الآيات ميزنا بعضها عن بعض لقوم يفقهون لان الفائدة تعود اليهم وكان الاشتغال بها اولى من الاشتغال بما لا يعود نفعه الا الى الغير ثم ان الآيات اقرب الى الاعتبار واهون لدخول الاستبصار فختم الآية بالفقه وخصص خاتمة الآية الاولى بالعلم لعلم ان الغافل عن هذه الاشياء لا يخطر له ولا ذكاء حاصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة اعظم فيه من كونه نقمة فقال وهو الذي انزل من السماء ماء قيل انه من حباب السماء وقيل انه من السحاب لان العرب تسمي كل ما فوقك سماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر انه من السماء نفسها لانه تعالى ذاهب قادر على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفاء السببية يحاول ذلك على الطبيعة الحالة ههنا الموجبة للنزول الى مركزها فاخرجنا به اي بواسطة ذلك الماء وذلك بموجب الطبع والمتكلمون ينكرون هذه الاسباب ويقولون كل شيء يحدث فانما يحدث بقدرة الله تعالى قال الفراء اي نبات كل شيء له بنات فيخصص بنبات كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عداه ذلك في كلا هذين القولين الاولين من الحكاية الى الغيبة ثم قال ومن الناس من يقول ان من الحكايات ما يجوز ان ينقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو دأب الملوك ثم المراد من النبات هو الماء الواحد والمسبب اصناف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسبما ذكرنا في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال فاخرجنا منه اي من النبات خضرا طريا وهو ما شعبت اصل البنات الخارج من الحبة تخرج منه اي من ذلك الخضر حبا متراكبا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو الغوالا خضر ويكون السنبلة واكبة عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة اجساد تشبه حادة كالابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب بعد ذكر ما ينبت من النوى فقال من النخل وهو جار قوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرج منه من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنو وصنوان وقنو والقنوان العذق وهو من النمر بمنزلة العنقود من العنب الطلع اول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد الفحل والاناث التي قد تدلت من الطلع وانثنت من تحتها وعنه ايضا انه اراد بعذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل منها قنوان بعيدة لان احد القسمين يغني عن الآخر كما قال سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان التعمق في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة يناله القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وجنات من اعناب بالنصب عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب من قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوزه في الكشاف اذ يصير المعنى وحاصلة او مخرج من النخلة من طلعها جنات حصلت من اعناب فما قوله والزيتون والرمان بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها او للاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار فواكهكم والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان الثمر يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن فضائلها ان الحكماء يقولون ان بدنه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لكثرة انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الى اخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاعضاء وللرمد من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تخفى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واختلفوا في العنب عجمه والاطباء يتحذرون منه جوارشانات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يكتفى بتناوله كما هو بخلاف سائر الفواكه ويفصل منه الزيت الذي يعظم غناؤه واما الرمان فحامله عجيبة جدا لانه قشره وعجمه وماؤه والثالثة الاول باردة يابسة اربعة كيفة قابضة وامامائه الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه الى الاشربة والطفاوة اقرب منها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف هو غذاء من وجه ودواء من وجه وكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القادر والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع البنات اكثر من ان يفي شرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مشتبها وغير متشابه ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه يكون متشابهة في اللون والشكل مع انها يكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد يكون متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم انها يكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما بينها من التشابه والتباعد في الطعم والخاصية واما ما بينها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض جنات العنقود متشابهة وذلك لان قد تأخذ العنقود في جميع حباته مدة كونه نضيجا حلوة طيبة الا حبات محصوصة منها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة

لا تزال ما دمنا نذكر الكرام

والعنقوصة ومعنى اشتبه وقشابه واحد بقي اشتبه الشبّان وقشابها كقولك استووا وشاوها وتماثل مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان ايضا كذلك كقوله رملن يانرت كنت منه ووالدي بريئا ومن جبل الطوي رماني بامر انظروا الى ثمره من قرأ بضمتين فلانه جمع ثمر مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة او على ان ثمرة جمع على ثمار ثم جمع ثمار على اثمر اذا اخرج ثمره وبعضهم يقول بعت الثمرة بثمنا وبعتا بالفتح والضم اذا ادرك ونضج امروا بالنظر في حال ثمرهم اول حدوثها واخراجها فانها قد تكون موصوفة بالحضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت اول الامر بادرة بحسب الطبيعة ثم يضر بها الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤول الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الاحوال والتغيرات لا بد له من سبب مستقل غير سوق الطبايع والفصول والافلاك والنجوم وهذا ذلك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الآية بقوله ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون قال القاضي المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه لا يتأثر الا من امن ولمن لم يؤمن ويحتمل ان يتوخص المؤمنين لانهم المنتفعون بها المدركون غيرهم او المراد ان هذه الادلة على قوتها وظهورها قاصرة لا تكاد تفيد الا من سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا لله شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان فالله خالق الناس والدواب والانعام وابليس خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس فانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يقولون بالزنادقة لان الكتاب الذي نعم زرادشت انزل عليه من عند الله بستي بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق جمع فقيل زنادقة ثم انهم قالوا كل ما في هذا العالم من الخير ان فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشر ورنهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على ان اهرمن محدث ثم لم يفهد حدوثه اقول العجب كقولهم انه تعالى فكر في مملكته نفسه استعظمها ففعل نوعا من التعجب فتولد الشيطان من ذلك التعجب كقولهم شك في فكرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة وعسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة ثم الارواح الشريرة الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يفوق الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره محارب مع ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع ان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان الشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانيه ويكون التقدير فالغوا وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجن على الاضافة الى المبين وقيل ان الاية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحين اطلق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعنى لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن طائفة من المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع على ابطال الشرك والضمير فيها ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الابة نزلت في المجوس فتقريره ان الاكثرين منهم معترفون بان ابليس محدث ولو لم يعترفوا بذلك فالبرهان العقلي قائم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فثبت ان كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وح يلزم نقض قولهم لانه تثبت ان اله الخير قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو مادة كل شر وان قلنا انها في كفار العرب القائلين بان الملائكة بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم قولوا لله ولد من الوالد وان عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالفهم دون الجن كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يهتدوا علم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال اي وقد خلقهم وقدرهم وخلقهم بسكون اللام اي اختلاقهم للافك يعني جعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم اخرين نوعا اخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة بقي خرق الافك في خلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة قال قد خرقها فلان لقوم يقول له بعضهم قد خرقتها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شققه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فكالتنبيه على بطلان قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالاخر تعلق الفرع عن الفاء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد فمن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم ان نفسه عما لا يليق به فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى تعاليا بليغا وهذا له في نفسه سواء سبح مسبح او لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة بدليل قوله عما يصفون التأويل وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب البعثة على انهم لو عرفوا ذلك لعرفوا بذلك ايضا بعض حقوق معرفته لان الخاط لا يحيط بالمحيط نعم من زاد معرفته بازدياد معرفته اوصافه يحاولونه قرأ الحسن وما قدروا في الفرائض وما يجعلونه في قلوبكم بالتخفيف والخلاف وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه آله ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سر الله

يكون تعليمه بسر المتابعة سرا بسرّ باضمار والذى علم النبى هو الله فى خلقه ما سوى الله وهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شقا لما فى القلوب بصدق الله يهدى بين يديه لانه يصدق حقا فى جميع ما فى الكتب لشدة رام القرى وهى الذرة المودعة فى القلب التى هى المخاطبة فى الميثاق وقد دحيت جميع ارض القلب تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر الفواد والصفات والاخلاق بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره وتخلقوا والذين يؤمنون بالاخرة يستعملون الادوات والالات فى امور الدنيا والاخرة لانى لدنيا الفانية وشهوات النفس هواها يؤمنون بالقرآن وهم على صلوتهم بالترنم مرصفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن بداومون ان الصلوة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجد والحالات دبادر مرآء من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحى الى الاشارات ولم يلهم نفسه شيئا منها ومن قال تشدقا ومنفهقا ساتكلم بمثل كلام الله من الحقايق والاسرار فيظهر مضرة ظاهرا وافرا ثر عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها تعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والطوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها وفرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم اول مرة فى اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب تركتم بالتجريد عن الدنيا والاخرة فاخوتنا كذلك عن تعلق الكونين وراء ظهوركم وفارقتم معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها بوصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سركم كما انتهى سر جبريل عند سدرة المنتهى ولا يصل الى الوحدة الا بجذبة من جذبات ربك ولو بدركه الجذبة المسندة الى العناية لانقطع عن السير الى الله بالله وبقى السدرة وهو بقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله فارق جنة الذرة التى اخذ منها الميثاق المودعة فى جنة القلب عن نبات المحبة وفارق النوى ذكر لا اله الا الله فى ارض القلب شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة تخرج بنات المحبة التى هى من صفا الحى القيوم من الذرة والمنة الانسانية وتخرج الافعال الطيبة التى هى من صفات الكفار الموتى من المؤمن الحق فى الدارين وايضا تخرج نخل الايمان الحق من نوى الحرف الميتة فى كلمة لا اله الا الله وتخرج بيت النفاق من الكلمة الخبيثة وهى لا اله الا الله فارق الاصباح فارق ظلمة الجهاد بصباح العقل والجنون وارشاد وفارق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك وفارق ظلمات العالم الجسمانية بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفارق ظلمات الاشتغال بعالم المكان بصباح نور الاستغراق فى معرفة الحدثيات والممكنات وبالجملة فارق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس للفرح حسبانا يعنى يجلى شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحسبان لا بفساد امر القالب الفانى ايضا شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحسبان لا بفساد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شمس المعارف والشهود انانا الحق وسبحانى وتفرطهما فاذا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذى لا يهتدى اليه الا بعلم من يستحق الاهتداء اليه وهو الذى جعل لكم نجوم انوار الغيوب فى سموات القلوب لتهتدوا بها فى ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذى انشأ ركم من روح واحد هو روح محمد صلى الله عليه اله اول ما خلق الله روحى كما خلق اجسامكم من جسد آدم ابى البشر فى الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر ما هو بعد مستودع فى عالم الارواح وايضا من الارواح ما هو مستقر منه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر فى انانية مع علو وتبنيه بالبقاء وما هو مستودع فى بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذى انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شئ من انواع المعارف فاخرجنا منه خضرا نوتا من التعلق والاسرار يخرج به من الحقايق تراكب بعضها بعضا فترتب على بعض ومن النخل يعنى صحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدان للطالبين منهم من يكون مرتبها فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يخيل العزلة والانقطاع عن المريدين وحبا بريدا ان يكون الزهد والتقوى والفتوى للذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد وزيتون الاصول ورمان الفروع مشبها اى متفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه اى مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وتبصروا الكامل منها ان فى ذلكم لايات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم وجعلوا لله اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب كل انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس كل اصناف انواع الضلالات

بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنّٰى يَكُوْنُ وَلَمْ تَكُنْ لَّهٗ صَاحِبَةٌ وَّخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَّهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوْهُ

(او ست ابدیدهٔ هستها و زمین از کجا بیشه مراد و افرینندهٔ وقت اورا نرسد و او را با هیچ چیز راست نیاید خدایی او را درکار نباشد بیمانند هیچ چیز پس بپرستید

وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ

او ست بر هر چیزی کارگذار دریابد او را دیدها و او دریابد دیدها او ست نادیدنی آگاه هر آینه آمد شما را بینایها از پروردگار شما

فَمَنْ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهٖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ اَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍ وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ وَلِيَقُوْلُوْا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهٗ

پس هر که بدید پس از خود دید است و هر که چشم پوشید پس بر خود چشم پوشیده است من بر شما نگهبان نیستم و اینچنین مکرر کردانیم ایات را و تا گویند که تو درس کرده و تا بیان کنیم ایشان را

لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ اِتَّبِعْ مَآ اُوْحِيَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ لَآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ مَآ اَشْرَكُوْا وَمَا جَعَلْنٰكَ

از براى گروهى كه بدانند پيروى كن آنچه وحى شد بسوى تو از پروردگارت نيست خدائى مگر او و روى گردان از مشركان و اگر خدا خواستى شرك نياوردند و قرار نداديم

الجزء الرابع

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ
برانها نگهبان ومبيني تو بر ايشان كارگذار ودشنام مدهيد انهارا كه ميخوانند از غير خدا پس دشنام دهند خدارا از روي دشمني وبي دانشي همچنين
زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ
آراستيم از براى هر طائفه كردار ايشان پس بسوى پروردگار بازگشت ايشان است پس خبر دهد ايشانرا بآنچه ميكردند وسوگند ياد كردند بخدا غايت سوگندى كه اگر بيايد بايشان
لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ
نشانى هر آينه بگرويدند بان بگو كه نشانها نزد خداست وچه آگاه كرده شمارا كه آن نشانها چون بيايند نگروند وبرگردانيم دلهاشان را از پذيرفتن همچنانكه نگرويدند بار اول وبگذاريم ايشانرا در سركشى شان

القراءة ولم يكن بيانا للغيبة فنبه درست بناء التاء لان عاصم وسهل ويعقوب حاءت بناء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بناء الغيبة درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقنبل وبصري وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بناء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة الوقوف والارض صاحبه كل شيء لاحتمال الواو والحال و الاستيناف عليهم ربكم لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الاهوان قوله خالق وبدل الضمير المستتر في جبر ضمير محمد وفاعبده لاحتمال الواو والحال والاستيناف وكيل لا تدركه الابصار لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود بدرك الابصار لطيف خبير الخبر من ربكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه لذلك مع الواو فعلها يحفظ يعلمون من ربك لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة الا هو للعطف مع العارض المشركين ما اشركوا حفيظا للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل بغير علم يؤمنون لهم من قرأ انها بكسر الفاء فهو على الاستيناف والحال لا يعلمون بغير علم على الدليل الذي على ابطال من خرق له بنين وبنات فضلا عن قوله بديع

الانفطار ١ يؤمنون بمعنى التفسير لما به اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الذي على ابطال من خرق له بنين وبنات فضلا عن قوله بديع السموات والارض والمراد هو بديع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اقاتان تريد وا يكون عيسى ولدا له انه احدث على سبيل الابداع من غير تقديم نطفة ولا اب وهذا لا يلزمكم القول بانه ولد السموات والارض بكون مبدعا لها فهذا هذا باطل بالاتفاق واما ان تريد وا بالولادة كما هو المألوف في الحيوانات وهذا ايضا محال لان تلك الولادة لا تقتضي الا ان يكون له صاحبة من جنسه وينفصل منه جزء يتحد بمن في رحمها وهذه الاحوال انما ثبتت في حق الجسم الذي يحق عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحدة النهاية والشهوة والالذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق انما تصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل والى هذا اشار بقوله خلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون انيا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فحينئذ ان يكون حادثا فيقول انه تعالى عالم بكل المعلومات الكلية والجزئية وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة لتعلقت ارادته بايجاده في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد ان لما علق تقديره كونه حادثا هذا خلف فثبت ان اله العالم فرد واحد صمد منزه عن الشريك والنظير والاضداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده اخبار وتراد فنزاى لكم الموصوف الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء ولم يقل المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا ذكر بعد الشرك والبنين والبنات فكان رفع الشركاء هم ههنا لذكر مع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو متوب عن مضمون الجملة المتقدمة يعني اذا من استجمع له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة وهو مع ذلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظ ويرقبه قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم تنقطرق من اثبت له شريكا وهذا لا يوجب التوحيد لكن المعلما في اثبات التوحيد طرق ضما ان الدليل قد دل على وجود صانع واحد والزايد على الواحد يحتاج الى دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد آخر فبطل الطرفان فهذا يبقى الطرف الثالث وهو القول بعدد معين بل ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله احدهما اما ان يكون نافعا لذلك الفاعل او لا يكون فان كان نافعا للاخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد منهما عاجزا عن تحصيل مقدوره وهو محال وان كان احدهما عاجزا ونقصا يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الهين اثنين لكان يجب ان يكون كل واحد منهما موصوفا بجميع صفات الكمال الاخر وهو محال وان كان احدهما عاجزا ونقصا لا يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الهين اثنين لكان يجب ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال اذ لو كان الاول لا يشارك الثاني في بعض صفات الكمال فذلك البعض ان كان من صفات الكمال مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فالموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت ان توحيد لا يثبت الا مع ان الدليل الفلاني في التوحيد كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد قالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا يتم ح بخلق الزنى والكفر واللواط وسوء رض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا الحجج كثيرة من المعتزلة بعضها على نفي الصفات وبعضها ان القرآن مخلوق اما القائلون فلان القرآن شيء فيدخل تحت العموم واما الاولون فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون هذا العام بحجة لزمتكم ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه بحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصص بحجج الصفات وبحجج القرآن واما الفرق بين قوله وخالق كل شيء وقوله خالق كل شيء فذلك لان الاول تعالى بالزمان الماضي والثاني بهما والاتقان كلها على سبيل الاستمرار ثم بين ان شيئا

لما لم يوجد

لاحتمال الواو والاستيناف والحال ويعمهون الاصنام

ويكون جميع صفات الكمال

من النوى الممدركة لا يحيط بجميعه وان عقلا من العقول الا يقف على كنه صفته فقال لا تدركه الابصار هذه الآية من مشهورات استدلالات المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري وما رأيته مناقضان ثم ان قوله لا تدركه الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا اتى بذكر الابصار في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا وكمالا يكون ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيدنا بما لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يمدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موضوع للوصول والتحقق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي المحققون وقوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا انضجت واذا قد ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر رؤية مع الاحاطة ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فان ذلك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما يحمل على الاستغراق فقد يحمل على المجموع الثاني ايضا فقوله لا تدركه الابصار لا يفيد انها لا تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الاخرة او نقول قول القائل لا يدرك جميع الابصار يفيد سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار سلمنا ان محمدا ما من بركل الناس فانه يفيد انه ما من بعض الناس سلمنا ان الابصار لا تدركه البتة فلم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيمة كما هو مذهب ضرار بن عمرو الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الاية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى جاعل الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار وانما يحصل المدح لو كان يجب بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله وبهائه بحالة والتحقيق فيه ان النفي المحض لا لعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم بهذا ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة من صفات المدح قبل ان ذلك النفي يوجب المدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا تأخذه سنة ولا نوم لاجل هذا النفي وحتى يتم هذا التقسيم دل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمنع ان يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك فاقلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية علينا لا لنا لانها افادت انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان القائل اما ان قال يجوز ان لا يرونه مع ان المؤمنين يرونه وهو قول لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال لطيف ثم ان القاضي استدل بهذه الاية على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفصيل ثقة بالاصول فاولها ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب لقريب والبعد لبعيد وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية ولا يجوز ان يكون بحضرتنا بوفاق وطويل ونحن لا نسمعها ولا نراها وهذا يوجب التفصيلة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي لحصول تلك الرؤية سليمة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته وحيث لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه وثانيها لو صحت رؤيته لاراه اهل الجنة لاراه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لا يجوز ان يخالف الله تعالى الرؤية في عيون اهل الجنة ولا يخالفها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بمنع الكلية وبالنقض بالاعادة لعين الذهبي لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة يلزم ان يروه في كل حال حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك لا يليق بحال اهل الجنة واجيب بانهم لعلمهم بتنعمهم الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمناضع في تعدد بذلك فوجود الذاهلة على جواز الرؤية منها هذه الاية كما بينا ومنها هذه الاية كما بيناه ومنها ان موسى عليه السلام طلب الرؤية فدل على ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة قال اكثر الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية ومنها قوله تعالى ووجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين عنه ومنها قوله فيهما ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وذلك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله تعالى اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فمن قرأ بفتح الهاء وكسر الراء وألف الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضهم

في الدنيا وانما ندركه

السبب فى ذلك انهم كانوا يجهون على امكان الرؤية اما قوله تعالى وهو يدرك الابصار فيدل على انه يستحيل ان يصير مبصرا لكل مرئى لان المرئيات مطلقا
على ما بينا انها عليه بعوارض ذكرنا انها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان من ذلك من صفات الاجسام
بل المراد لطف صنعه فى تركيب بدن الحيوان من الاجزاء الرقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التى لا يعلمها الا هو عيانا او المراد انه لطيف
الانعام والرحمة لاياديهم فوق طاقتهم ونعم عليهم فوق استحقاقهم او المعرض انه يثيب على طاعتهم ويعفو او احسانا عن معصيتهم او المراد انه يلطف عن ان يدركه الابصار
الخبير بكل لطيف لا يلطف شئ عن ادراكه ثم عاد الى تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصائر من ربكم موجبا انها ابصار للقلب بمنزلة البصر للعين
فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمى عنه فعلى نفسه عمى واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد يتمكن من الامرين الفعل والترك
وعورض بالعلم والداعى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر ورسالته هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبه المنكرين بقوله وكذلك
اى مثل ذلك التقرير البليغ نصرف الايات نأتى بها متواترة حالا بعد حال ليقولوا عطف على محذوف اى لئلا يقولوا او ليقولوا درست قصصها
ومعنى درست قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ دارست اى قرأت على اليهود وقرأوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة واما قراءة
ابن عامر درست فنى من الدروس بمعنى ان هذه الايات قد مضت وعفت فلا هذه الاخبار التى تلوتها علينا من جملة اساطير القرون الخالية قال العلماء
التركيب يدل على التذليل والتسهيل لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق دريس لانه قد لان فكانه تعالى ذكر لاجله وجهين
الذى لاجله صرف الايات وهو امران احدهما دارست والثانى قوله ولنبينه اما الثانى فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة فى هذا التصريف ان
يظهر منه البث او العلم والضمير فى لنبينه للايات لانها فى معنى القرآن او يعود الى القرآن وان لم يجر له ذكر للعلم بانه المراد والتبيين الذى هو مصدر الفعل
نحو ضربته ضربا يدل واما الاول فقد اورد آن قولهم للرسول دارست كفرهم بالقرآن والرسول وعلى هذا فيعود مسئلة الجبر والقدر اما الآخرون
فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفرهم وتنبيه بعضهم فيزدادوا
ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائى منهم والقاضى ان هذا الاثبات محمول على النفى والتقدير وكذلك
الايات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اى لئلا تضلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفى هو تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب
يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان ازال الايات بخلافها هو الذى اوقع الشبهة للقوم فى ان محمدا انما اتى بالقرآن على
سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب الذى ذكرناه انما يصح لو كان التقريب
علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجبه فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم لما حكى عن الكفار
انهم نسبوه فى شأن القرآن الى الافتراء والى انه تدارس اقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا واداها الى انه نزل عليه من الله ابتعد قول
اتبع ما اوحى اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره فى تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذى يتعرى
بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة والحال المؤكدة وهى قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما كان واحدا فى الالهية فانه يجب طاعته ولا
يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين ثم ختم الآية بقوله واعرض عن المشركين ثم ختم الآية بقوله واعرض عن المشركين وحملهم على انهم منسوخة بآية القتال
وضعف بان المراد وترك مقابلتهم فيما يتوفر من سفه وان يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذى يكون اقرب الى القبول وابعد عن التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا من هب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر اجيب بعد المعارضة بالعلم
والداعى بان الايمان الاختيارى هو النافع والفاضل من الايمان الظهرى الا ترى انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب فى حكمته ان
يخلق الله فيه الايمان الظهرى كى يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص فى
البحر ولا تطلب الدرة فانك لا تجدها واكف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يأمره بالغوص فى البحر مع اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك
فان ذلك من اقبح انواع التنفير ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك انه تعالى قد رد ما جعل اليه فقد كرر ما جعله
اليه فلذكر انه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول الى ان مع القرآن بطريق المدارسة وكان
ممكنا لا بعد ان يغضب له المسلمون تسببت لذلك فنسبوا الهتهم نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك
ان المسلمين اذا شتموا الهتهم قرباعة بنهوا وذكروا الله بما لا ينبغى من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة فلا يجز لك
ان تقدم على مشافهته بما يجرى مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب الهتنا ويبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدى لما حضر ابا طالب الوفاة قالت
له قريش انظلموا فلنمد خل على هذا الرجل فلنأمرنه ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيى ان نقتله بعد موته فيقول العرب كان يمنعه فلما مات قالوا
فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث شعاعيته ولجى ابنا خلف وعقبة بن ابى معيط وعمرو بن العاص والاسود بن المطلب الى ابى طالب
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبى صلى الله عليه وآله
فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال وما تريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال ابو طالب

قد نفسد

قال نصفك قومك ويتوعدك بالقتال رسول الله ص الا بهم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطي كلمة ان تكلمتم بها ملكتم العرب وادانت لكم بها العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشرا مثلها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمأزوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فانك قومك قد فزعوا منها فقال ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك او لنشتمنك ومن يأمرك فانزل الله تعالى هذه الآية قال العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا بالدهر نافيا للصانع فكان يبالي هذا النوع من التفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه وآله فاجرى الله تعالى شتمهم مجرى شتم الله كما في قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان الشيطان يحمله على افشاء الرسالة انهم سموا ذلك الشيطان باسم اله محمد صلى الله عليه وآله وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب التفاهة وتقبيح تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام اليقين في هذا الباب فيه تأديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتساهل بما لا ينبغي في المطلوب فان وصف الاوثان بانها جماد لا ينفع ولا يضر يكفي في القدح في الهتها فالمبالغة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان على عدوه وعدا وانا وعداء اذا ظلم ظلما يجاوز القدر قال الزجاج عدا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد اي في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على ان الله تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن الايمان وللعاصي المعصية وتمسك الكعبي بقوله تعالى وزين لكم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذا اراد الله تعالى ان يزين لهم ما ينبغي لهم ان يعملوا وهم لا يفهمون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار علمهم اي خليناهم وشانهم وامهلناهم حتى عملوهم سوء علمهم وامهلنا الشيطان حتى زين لهم او زينا في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بها وزينا فضعف بعد المعارضة بالعلم وضعف الزاعم بما تولد تعالى كذلك زينا بعمرو فسبوا الله مشعرات اقدامهم على ذلك لمنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا وجهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختار ما اعتقد كونه مرغوبا فيه ظانا او علما او حقا وصدقا ولو سلمنا ان الجهل لا اول له والا لما انحصر الجهل الثاني ولا يذهب الجهال الى غير النهاية فالاية ان ينتهي الى جهل لا يخلق الله تعالى فيه وهو سبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا او الجهل علما قال واقسموا بالله جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القرآن كيف كان امرا قليلا من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة ملجئة قاهرة لامنا بك ولكنا وجدنا هذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي اتمام قسم اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر الحلف عند انفساد الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب بمعنى الاقسام ازالة الفسحة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف باليمين عن محمد ان كنت رسول الله صلى الله عليه وآله قربت فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى كان يحيي الموتى وان ثمود كانت له ناقة فاتنا بمثل تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ص اي شيء تحبون ان اتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا قال فان فعلت مقصد قوني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله ص يدعو فجاء جبرئيل ع فقال ان شئت اصبح الصفا ذهبا ولكن ان ارسلنا بها فلم يصدق بها أنزلنا العذاب وان شئت تركناهم حتى نتوب تائبهم فقال بل تتركهم حتى يتوب تائبهم فانزل الله الآيات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معنى بالغوا في الايمان والمراد بقوله ان جاءتهم اية ما روينا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قولهم وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين المكذبين فالمشركون طلبوا مثلها فقال انما الآيات عند الله اي هو مختص بالقدرة على امثال هذه الآيات لان المعجزات لا يحصل الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعند به هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احدثها وليس لكم ان تحكموا في طلبها كقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وما يشعركم استفهام والجملة خبر ثم من قراءتها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما يكون منهم ثم ابتداء فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الاية انها اذا جاءت امنوا وذلك يوجب مجيء هذه الايات ويصير هذا الكلام عذرا لهم في طلبها لكن القراء لما كانت متواترة فالرجوع في ذلك الى العلماء فيه وجوها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول العرب ايت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك وهذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان يجعل لا صلة كما في قوله فما منعك ان لا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون وثالثها ان لو سبق ان كانوا يطيعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الايات وهذا يدريكم انها فقال الله وما يدريكم انها لو جاءت لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرأ لا تؤمنون بناء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار ان الآيات التي تقترحونها اذا جاءت لا تفعلون الايمان فحينئذ يعاقبكم الله تعالى بان يفعل كل ما اقدر وهو من الالطاف او كان في المعلوم لطف لهؤلاء عند نزول الآيات لكن لفعلهم ذلك لم يكن لفعلهم ترك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجب ايضا لو كان الايمان

الهتنا او لنشتمنك

فوائد لطف

بخلق الله تعالى ولكن لفعل الالطاف التي حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات فوائد جمة لان عندهم مبنى على وجوب اللطف
يلزم الدور وباقي الآية الذي بعده هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم تدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة
والابصار هو انهم اذا جاءتهم الآيات لقاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا انهم اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه
الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الآيات والتقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه وآله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي
على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب تارة من داعي الخير الى داعي الشر وبالعكس ايما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي
والصوارف هو القلب فما حصلت الداعية في القلب نصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر اثنان والقلب فلهذا السبب تم الابتداء بتقليب
القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بجهنم على سبيل التعذيب بها لتعذيبهم ونقول بان قوله ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا
يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا لا نفعل لهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث خرجوا انفسهم عن
هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانا انما نستحق الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامنا على الكفر وهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف
يحسن اضافة الى الله تعالى في قوله ونقلب وقال القاضي القلب لا يقع على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب لتبدل الدلائل واعترض بان
تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الآيات
كما لم يؤمنوا بظهور الآيات اول مرة يعني اول مرة اتتهم الآيات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به اما عائدة الى القرآن او الى محمد صلى الله عليه وآله
او الى ما طلبوا من الآيات وقبل الكافر للجزاء كما لم يؤمنوا اول مرة فكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم
وبين اختيارهم ولا نمنعهم بمعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان اقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانما نوجب تأكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة
انا نقلب افئدتهم من الحق الى الباطل ومنعكم في ذلك الطغيان والضلال والعمه التأويل قد جاءكم بصائر دلالات البالغة فمن ابصرها
بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها واقبل على الله لسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنصرة الله غني عن العالمين ومن عمي فيها عكس ولا تسبوا الذين يدعون
لا يخاطبوه الا هل الضلال على مواجب طوابع النقص الطبيعية فجهلهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والالزام
الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الادلة لمن ابدى كفره
سوابق الوحدة ونقلب افئدتهم عن الاخرة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد الهوى الى مشاهد النفس الهوى كانهم لم يؤمنوا بوم المشاء انقلبت الستهم كما قالوا

بلى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء

اگر چنانچه ما فرستاديم بسوي ايشان فرشتگانرا وگفتگو كردند با ايشان مردگان وگرد آورديم بر ايشان هر چيزي را پيش پيش نبودند كه بگروند مگر آنكه بخواهد خدا

الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول

حذا ولكن بيشتر ايشان نادانند وهمچنين كرديم هر پيغمبري دشمني را از ديوان انس و پري كه وحي كنند بعضي از ايشان بسوي بعضي بسخن آراسته را

غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة وليرضوه و

از جهة فريب اگر خواست پروردگار تو نكردند اين را پس واگذار ايشان را و آنچه دروغ ميكنند و تا ميل كنند بآن دلهاي آنان كه نمي گروند بروز واپس و تا پسند اين را

ليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين اتيناهم

تا فرا گيرند آنچه ايشان فرا گيرندگانند آيا پس غير خدا را بجويم داوري و او است كه فرو فرستاد بسوي شما كتاب بيان كرده و آنان كه داديم ايشان را

الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا

كتاب ميدانند كه آن فرو آمده از پروردگار تو بحق پس مباش تو از شك آورندگان و تمام است سخن پروردگار تو از روي راستي و عدالت نيست

مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان

تغيردهنده مر كلمات او را و او است شنونده دانا و اگر پيروي بيشتر آنهارا كه در زمين هستند ببرون برند تو را از راه خدا

يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم

پيروي نكنند مگر گمان را و نيستند ايشان مگر گروه دروغ ميگويند بدرستي كه پروردگار تو او داناتر است از آنكه بيرون راه كرده است

بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله

براه يافتگان پس بخوريد از آنچه ذكر شد نام خدا بر او اگر هستيد بآيات او گروندگان و چيست مر شما را كه نخوريد از آنچه

عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك

بر او وحال آنكه بتحقيق شرح كرد براي شما آنچه را كه حرام كرد بر شما مگر آنچه را كه ناچار شويد بسوي آن و بدرستي كه بسياري هر آينه گمراه ميكنند بهواهاي خود بدون دانش بدرستي كه پروردگار تو

هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما

او داناتر است باهل تعدي و بگذاريد گناه آشكار را و گناه پنهان را بدرستي كه آنان كه بدست ميآرند گناه را بزودي جزا داده شوند بآنچه بودند كه بدست ميآوردند و نخوريد از آنچه

لَمُشْرِكُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ

یاد کردہ نشدہ است نام خدا بر آنہ و بدرستیکہ آن ہر آینہ فسق است و بدرستی کہ دیوان ہر آینہ وحی کنند بسوی دوستان خود تا مخاصمہ کنند شما را و اگر پیروی کردید ایشان را ہر آینہ شما مشرک باشید

القراءة قبل بكسر الفاء وفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفصل كله رتبات عاصم وحمزة على خلف وخلاد وسهل ويعقوب الباقون كلمات من بفصل من الاضلال الاصبهاني عن نصير وصل على البناء للفاعل وقرأ على البناء للمفعول حمزة وخلف غير حفص المفصل وقرأ ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيما يفتلون بفتح الياء عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالضم الوقوف الجزاء الثامن تجادلوكم غرة مفترون مفصلا المرين وعلا لكلمانه لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو الحال اي لانه لكلمانه وهو لبيع وبعلم العليم عن سبيل الله يخرصون عن سبيله بالمهتدين مؤمنين البته بغير علم بالمعتدين وبالضم يفترون لفسق ليجادلوكم المشركون التفسير هذا شروع في مجمله قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد المغيرة المخزومي والعاص من وائل السهمي والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب الحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وآله في هط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة تشهد لك بانك رسول الله ام ابعث لنا بعض موتانا نحدثنا فنعلم احق انت ام باطل وانتنا بالله والملائكة قبيلا اي كفيلا على ما تدعيه فنفي الله تعالى عنهم الايمان وان اتوا بهذه المقترحات قال ابو زيد بتي لقيت قبلا ما قبلا ومقابلة كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدي والفراء والزجاج قبلا بكسر القاف معناه معاينة روي عن ابي ذر قال قلت للنبي صلى الله عليه وآله كان ادم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا او قابلا بعضهم تقبل اذ جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش في تفسيره اي قبيلا او معناه الكفيل والعريف من قبل به يقبل ويقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شئ كفلوا بصحة ما يقول ما امنوا وموضع الايجاز فيه ان الاشياء المحشورة منها ما ينطق ومنها ما لا ينطق ومنها ما يموت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طباعها مجتمعة في موقف حديثهم انطقها واطبقوا على قبول هذه الكفالة كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فالمراد بقوله ما يؤمنوا دليل على ان الله تعالى ما شاء ايمانهم وقالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وهب عليهم الايمان كما لو لم يأمرهم به لم يجب لو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر في كفره مطيعا لله لانه لا معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يأمر بالكفر ويكلف به فالمراد من الآية ما شاء قسرهم على الكل الايمان القهري والمعنى ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار نحو يؤمنون وذهب بانا الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفي الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكانه لا اختيار قال المجيب قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهي الشرط لزم من حصولها حصول المشروط واجيب بانها قد يتم الا ان تعلقها بامر حادث في الحال اضافة حادثة لم تخرجها الا بقولك ولكن اكثرهم يجهلون قال الاشاعرة اي لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يموتون كفارا عند ظهور الآيات التي طلبوها والمعجزات التي اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم من حال قلوبهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الآن يضطرهم فيطمعون في ايمانهم الاختياري بمجيء الآيات المقترحات ثم قال وكذلك قبله انه منسوق على قوله وكذلك زينا لكل امة عملهم وجعلنا وقبل ان المشار اليه محذوف اي وكما قلنا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم تمنعهم من العداوة ما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب في الاجر قال الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شرا لانه يدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية والايمان والكفر هو الله قال المجيب المراد بهذا الجعل الترك وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال الكعبي امر الانبياء بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبياء لان العداوة يكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم بما ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة او لبغضائه فهذا هو المراد بجعلهم اعداء له وذهب ان الافعال مستندة الى الدواعي وهي من الله تعالى وبان العداوة والمحبة متعلق بالطبع لا بالارادة والتكليف فلا يقبح عندها الا الله تعالى وانتصاب شياطين على البدل من قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانباري عدوا في معنى الجمع ولقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء اعداء كثيرا من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن من الجن شياطين ومن الانس شياطين الجن اذا اغواه الانس والانس اذا اغواه الجن وهو شيطان الانس واغراؤه اياهم بالمعاصي بعينه روي انا النبي صلى الله عليه وآله قال لابي ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت هل للانس من شياطين قال نعم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد ابليس لانه ان الذي يوسوس الانس يسمى شيطان الانس والذي يوسوس الجن يسمى شيطان الجن وذهب بانا المعصوم من الانبياء الكبائر من سفاهة الكفار الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا ومعنى الايحاء الايماء او القول السريع اي يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض الانس الى بعض وكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتخييل وبخلق الصوت ثم ابن بتنه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي والتحقيق فيه ان الانسان ما لم يعتقد في الامر من الامور فيها ونفعا لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق

الايمان الاختياري وما شاء الايمان ح

اي وكما زينا لهم

واحدا الى نفس يحب ان تفضل لكل واحد من الانبياء ح

والاطهام وكان صادرا من الملك والا كان منزعفا اى يكون باضمحلاله فاسدا وظاهره منزعفا قال الواحدى يقال نزعف ينصب على المصدر وكان ابتداء الزجر من الفوات في الغيد الغرر وقوله ذلك فاعلموا استدلال الاشاعرة بظاهره المعتزلة يجعلونه على شبهة الالجاء فانذرهم وما يغنى النذر منصوب على انه مفعول به اى وما يغنى انذارهم وما نفى دخل ابن عباس بن يدى ان تنفى لهم ابليس وغرهم به ومنعهم من الكفر وترغيبهم في الايمان وتسلية رسول الله صلى الله عليه واله وتنبيه لهم على ما اعد للكفرة من العقاب له من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفهم بهم الصغو في اللغة الميل يقال المسمع انه مصغ اذا مال بخاسته الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للقراء اذا مال الى الغرب صغى واصغى قال الجوهري صغا يصغو وبصغى صغوا اى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا والام في لنصغى لابد له من متعلق فقال الاشاعرة التقدير واتما جعلناه مثل ذلك التخصيص عدوا للنبي لتميل اليه اولا قوله المزخرف افتدة الكفار فيعدلوا بذلك التسبب عن قبول دعوة النبي وليرضوه ويختاروه على انفسهم وليقترفوا وليكتسبوا من الاثام ما هم مقترفون وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كي على لام الامر تحريف وقال الكعبي هي لام العاقبة تقديره وتميل اليه افئدة الكفار عاقبة وضع الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في الايمان هو القلب لاجله الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق الحي والعالم هو الجملة لان ذلك الجزء جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابي مسلم انها معطوفة على موضع عدوا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا بذلك وتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب الى الاداء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشئ على نفسه وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحي فالحي هو الجزء الذي قامت الحياة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالت المعتزلة الحي والعالم هو الجملة لان ذلك الجزء جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابي مسلم انها معطوفة على موضع عدوا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول اغترارا الاول للمفعول له والقلب لا يجوز في مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الايات التي اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغي حكما الاية ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزايد على ذلك لا يجب لا لتفات اليه وانما قلنا ان الدليل على نبوته قد حصل لوجهين الاول ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا الوجه بقوله افغير الله ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يعلم ان ذلك غير جايز من الوجه الثاني اشتمال التوراة والانجيل على ان محمدا رسول الله صلى الله عليه واله حقا وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله واشار اليه بقوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اى اذا ظهر لك ولكل العاقل ان القرآن منزل من عند الله بالحق فلا تكونن من الممترين والخطاب للرسول في الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالهاب كقوله ولا تكونن من المشركين والمراد فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يوهمك جحود اكثرهم قال الواحدي الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التاويل الحكم اكمل من الحاكم لان كل من يحكم والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم بين ان القرآن معجز قال وتمت كلمة ربك اى القرآن وقوله صدقا وعدلا مصدران ينتصبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة دالة على صدق محمل او كافية في بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيام علما وعملا والمراد بالتمام انها لا يلحقها بعد ذلك شئ واعلم ان كل ما حصل في القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وخصوص صفاته اعني كونه تعالى قادرا سميعا بصيرا يدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تاخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله تعالى وكيفية تدبيره لملكوت السموات والارض في عالم الارواح والاجساد ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال النشر والقيامة وصفات اهل الجنة والنار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهي توجه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او بشرا او شيطانا وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرايع الانبياء المتقدمين او في مراسم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما وراء ذلك مما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمة ربك صدقا انكان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن وقبل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب عقاب فهو صدق لا نه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لان اخباره تنزه عن ان يكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبه في كون القرآن لا يحصل صدقا محالا لان تلك الشبهات لا تاثير لها في هذه الدلالة البتة بل جاء الدلالة ووضوحها والمراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون او المعنى انها براء عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا والمعنى ان احكام الله تعالى لا تتغير ولا تتبدل لانها ان تبدلت اما ان تبدل الى الاحسن او الى الاسوء وهذا الوجه احد الاصول القوية في اثبات الجبر لان يلزم منه ان لا يمكن تبديل كلام الله تعالى البتة فلم يكن شفيعا ولا مقبولا ثم اجاب عن شبه الكفار بين ان عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله والمضل لا بد ان يكون ضالا او يعني بهم الذين ينازعون النبي في الدين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن

وان هم الا يخرصون يقدرون انهم على شئ او يكذبون في ان الله احل كذا وحرم كذا واصل الخرص حرز ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاته
الفيا من تمسك بالاية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقليد اسلافهم
فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين والمراد
انك بعد ما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكترث بقيدهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المتمسك من هو والضال من هو فيجازي
كلا منهما بما يليق بحاله والمراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع
على تحيرهم في ورطة الجهالة وتيه الضلال قال النحويون ان افعل التفضيل لا يعمل فمظهر فيه الكلام محذوف اي يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر
محذوف قوي بالباء كما في القرآن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهذا هو الاصل وانما حسن هذه الدورة بالحذف هو الفظ
لقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وعدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاطماع لان افعل اكثر ما يستعمل فعل ما يستعمل مع الماضي نحو اعلم من ذهب
ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل لتوهم ان الله تعالى عالم بذلك وجوز بعضهم ان يكون من
للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى ثم قال كلوا والفاء مسببة عن نكاد اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم
كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله حقا فاقتلوه ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يذبحون ما يذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع في اكل الميتة فانهم كانوا
يحبونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون اكل المذكاة و
يبيحون اكل الميتة وزد الله تعالى علمهم في الامرين بقوله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه او نقول اراد اجعلوا الكلام مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا
فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم اما قوله وقد فصل لكم فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في اول المائدة من قوله حرمت عليكم الميتة
الى اخر الاية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من اخر ما نزل بالمدينة والاية تقتضي ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى
ان يقال المراد بقوله تعالى بعد هذه الاية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الى اخره فان هذا القدر من الناسخ غير ضائر وقوله الا ما اضطررتم
اي دعتكم الضرورة الى اكله وشبثة الجاعة وان كثيرا ليضلون المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال
غير مضل قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب اكل الميتة وقوله بما هو اعلم بغير علم
يريد ان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة القرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها ويحتجون
عليها بقولهم اذا مات بجوز ان نتم فلان يحل ما يريد الله تعالى اولى وكذلك كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وآله
وفي الاية دلالة على ان النزاع في الدين بمجرد التقليد حرام ان ربك هو اعلم بالمعتدين فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر ما يتعلق
فقال وذروا ظاهر الاثم وباطنه فيدخل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه العقد بقلبه في السر قال الفقهاء كان اهل الجاهلية يرون الزنى في محال
ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما علمتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم
من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع جميع
انواعه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثقة قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي الى ترك ذلك
الا تم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل
فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على افعال الجوارح ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب فانه يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل ان الذين
يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون اي يكتسبون من الاثام الاقتراف بمعنى الاكتساب ومنه قولهم فلان قارف ذنبا اذا اتى ذنبا وظاهر النص يدل
على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب واهل السنة على انه انما يجب احتمال العفو ولا فاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام تمسكا بعموم الاية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم
بالذبح ثم اختلفوا فما لك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين واحد قولي الشافعي
ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا وسهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وانه لفسق والفسق عنده
الى الاكل الذي يعد عليه الفعل اولا الموصول على انه في نفسه فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اي وان اكله لفسق وقد اجمع
المسلمون على انه لا يفسق باكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وهذا مناظرة كانت
في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت حتف انفها فقال الله تعالى قل لهم ان ما قتلتم انتم واصحابكم حلال وما
قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الاية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا
محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة وان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس
من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع في انفس ناس من المشركين

شیء فزلت الابنة قال وان اطعتموهم یعنی فی استحلال المیتة انکم لمشرکون قال الزجاج وفیه دلیل علی ان کل من احل شیئا مما حرم الله تعالی او حرم شیئا مما احل الله فهو مشرک لانه اثبت حاکما سوی الله تعالی قال الشافعی الفسق فی الاصل الخروج وهو قوله قل لا اجد فیما اوحی الی محرما الی قوله او فسقا اهل لغیر الله به مفسرا بما اهل لغیر الله فعلمنا ان الفسق فی هذا الباب ایضا مفسر لنا عن هذا المقام وهو التمسک بالمخصصات فلم قلتم انه لم یوجد ذکر الله ههنا الا روی انه صلی الله علیه والله قال ذکر الله مع المسلم سواء قال اولم یقل فحمل هذا الذکر علی ذکر القلب ونقول هذا الدلیل یوجب الحرمة الا ان معنا ما یدل علی الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل فی الاشیاء الاباحة وللعمومات الدالة علی الحل کقوله خلق لکم ما فی الارض جمیعا کلوا واشربوا ولانه مستطاب وقد قال احل لکم الطیبات ولان الطبع یمیل الیه وقد نهی عن اضاعة المال هذا نفر یر مذهب الشافعی ومع ذلک فالاولی للمسلم ان یحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الکعبی فی الایة دلالة علی ان الایمان اسم لجمیع الطاعات لانه تعالی سماهم مخالفته شرکا واوجب علیهم التوبة لا یقال یجوز ان یراد بالشرک ههنا اعتقاد ان لله شریکا فی الحکم الثانی بل وکلمتهم الموتی ای قلوبهم المیتة وحشرنا ای ربنا هم جمیع الایات الموجودة فی المکونات الا ان یشاء الله فان المشیة تغیر النتیجة والغنا الازلیة کفایة الابد ثم ولکن اکثرهم یجهلون ان الحد لیس بالمذموم انما یشبه الموصوف انتم اخیر ان البلا بالسائرین الی الله هی البلایا فقال وکذلک جعلنا لکل نبی عدوا شیاطین الانس هی النفس الامارة التی هی اعدی الاعداء والذین اتیناهم الکتاب هدیناهم بنور الکتاب لحضرة الجلال فلا تکون نهی التکوین الان وتمت کلمة ربک کلامه وقضاؤه فی الازل صدقا فی اخباره وعدلا فیما حکم به الوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخیر والشر والحسن والقبح والایمان والکفر احسن شیء خلقه هو الانسان لقد خلقنا الانسان فی احسن تقویم وکان شر شیء هو الانسان عند فقد استعداده ثم رددناه اسفل سافلین ولاهل الکمال ترق فی کمال الحسن الی الابد ولاهل النقصان تسفل فی القبح الی الابد ایضا اظهار القدرة الکاملة غیر المتناهیة وهو التبیع لحاجة کل ذی حاجة العلیم بما یستاهله کل موجود وان تطع اکثر من فی الارض وهم اهل الاهواء واقلهم اهل الحق وان هم الا یخرصون فی دعوی طلب الحق فان سبیل الحق لا تسلک بالهوی انما تسلک بالصدق والهدی فکلوا مما ذکر اسم الله علیه فی امارات الایمان ان یاکلوا الطعام بحکم الشرع لا علی وفق الطبع وبین یبوه بذکر الله کما قال صلی الله علیه واله اذبحوا واطعموا بذکر الله فالاکل علی الغفلة والنسیان والاستعانة به علی العصیان یورث الحجاب والحرمان عن الجنان وقد فصل لکم ما اهل الله علیه وحرم علیکم وهو الدنیا وما فیها والاثم ونعیمها الا ما اضطررتم الیه من ضرورات البشریة الدارین بامر المولی لا بالطبع والهوی ان ربک هو اعلم بالمعتدین الذین جاوزوا الحق وترکوا الی الدنیا والعقبی وذروا ظاهر الاثم یعنی الاعمال الطبیعیة وباطنه یعنی الاخلاق الذمیمة الوثیقة یجزون بما کانوا یقترفون لان الاخلاق الظلمانیة یوجب صلاء مرارات القلب بنیرانها ربنا الی ان یصیر حجابا بین العبد وبین الله تعالی ولا تاکلوا مما لم یذکر اسم الله علیه وانه لفسق وان طلب الله لیلتذ مع نور الذکر کظلمة الطعام وشهوته وانه یعنی ظلام الطعام یؤدی الی الفسق الذی هو الخروج من النور الی الظلمة النفسانیة وان الشیاطین لیوحون الی اولیائهم مجادلة مع القلوب لیدعوها الی متابعة الهوی والله حسبی

لیوحون فان للشیاطین ع

أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ

بود مرده پس زنده کردانیدیم او را و قرار دادیم از برای او روشنی که راه رود بآن در میان مردمان چون کسی است که در تاریکیهاست بیرون آینده ازان آنچنین بیاراسته شد

لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ

از برای کافران آنچه کردند وهمچنین قرار دادیم در هر دهی بزرگان گناهکاران تا مکر کنند در آن ومکر نمیکنند مکر بنفسهای خود

وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ

ودر نمیکنند وچون آید بایشان نشانی گفتند نمیگرویم تا بیابیم مانند آنچه داده شد پیغمبران خدا خدا داناتر است که کجا قرار دهد رسالت خود را

سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

زود باشد که برسد بآنان که گناه کردند خواری در نزد خدا وعذابی سخت بسبب آنکه بودند که مکر میکردند پس هر که را خدا خواهد که هدایت کند او را شرح کند

لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ

از برای اسلام وهر که خواهد خدا که گمراه کند او را گرداند سینه او را تنگ کوبا که بالا میشود در آسمان آنچنین گرداند خدای لعنت بر آنانکه

لَا يُؤْمِنُونَ وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ

نگروند وراست راه پروردگار تو درست هرآینه بیان کردیم آیات را از برای گروهی که پند گیرند مر ایشانراست بهشت در نزد پروردگار ایشان او

وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ

کارگزار ایشان بآنچه بودند که میکردند وروزی که گرد آریم ایشانرا همه را ای جماعت پریان مهاینه بسیار شدید از آدمیان وگویند دوستان ایشان از آدمیان

رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ

پروردگارا بهره برد بعضی از ما بعضی قرار دادی برای ما کفن که تزیین جایگاه مشقت جاودان دوران بجز آنچه خواهد خدا هر آینه پروردگار

حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون
وادريست وانا وبجنين بكارم لبعضها از ستمكاران را بر بعض باكيه بودند كسب ميكردند اى طائفه پرى وآدمى آيا نيايد شما را پيغمبران از جنس شما كه حكايت ميكردند
عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
برشما آيات من وتهديد كنند شما را از ديدن آنچنين روزى گفتند گواهيم بر نفسهاى خود وفريب داد ايشان را زندگانى دنيا وگواهى دهند بر نفسهاى خود كه ايشان بودند كافران

القراءة بيتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب سالنه بالنصب التوجيه ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسلا نه على الجمع وبالكسر موضع النصب تخفيفا وبابره بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصعد احد من التصعد بادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصعد بالادغام من التصعد يشعرون بياء الغيبة حفص الاخرون بالتون الوقوف بخارج منها يعلمون فيها وما يشعرون رسل الله رسلا لا تشركون للاسلام لابتداء شرط اخوه بالعطف في السماء لا يؤمنون مستفهما تذكرون يعلمون جمعا للحذف اى بحيث هم ويقول لجمع اتحاد المقصوم من الاول ليبدل الغائل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا قال النار بغلظ الصوت على النار واشارة الى النار مبتدا بعد القول ويبست فاعله بشاء الله عليم يكسبون يا معشر هذا كافرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر ان المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزله من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون محيرا على الدوام وهل فيها خاصا او عاما فيه قولان الاول قال ابن عباس ريد حمزة بن عبد المطلب اباجهل وذلك ان اباجهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله بفرث ودم حمزة ارمى من بعد فاخبر حمزة بما فعل ابوجهل وهو راجع من قصته ببدر وقوس قابل غضبا حتى علا اباجهل بالقوس وهو يشتمه ويقول يا بايعلا اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عبادة الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله تعالى وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وابي جهل وذلك انه قال ازجرنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل والقول الثاني اقعا عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل واتما حمل الكفر على الانتر جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة وهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا ليتناسب الا يهتدي الى شيء وكيف الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء قوله أو من كان ميتا اشارة الى اول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فأحييناه اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى الثالثة المراتب هي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل يكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل الى الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى الرابعة المراتب هي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت لها المعارف القدسية والجلايا الروحانية المنصرة حاضرة بالفعل وصار جوهرها الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يبقى الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن في الظلمات الذين لا يخرج منها وفيه بيان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فبقي متحيرا خائفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة وهذا المثل وهمنا الصفة الغريبة اى كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون والذي زين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة او المجاز ولي بدليل قوله وكذلك جعلنا اى كما جعلنا في مكة صناديدها يمكرون فيها كان جعلنا او وكما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها وهي جمع الاكبر فحذف منها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل المفعول الثاني مجرميها والاكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لجرأتهم وقوة رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يجعل الناس على المبالغة في حفظها وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والتجر والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه والالم في ليمكروا وعلى ما صاله عند الاشاعرة واستدلوا على ان التسبب ارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال ومعرض للتهديد وما يمكرون الا بأنفسهم لان وبال ذلك يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم المسند اليه للقصر ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه من بني عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك سنا واكثر منك مالا فقال واذا جاءتهم آية اى معجزة قاهرة او وحي قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة والمفسرون في مقترحهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي وان يكونوا المتبوعين لا تابعين و

ومخلد وهبن الاخادمين وثابتهما عن ابن عباس والحسن ان المعنى واذا جاءتهم اية من القرآن يامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله قالوا لن نؤمن حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرأه من الله تعالى الى جعل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا ايات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله اعلم حيث يرسالته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجه ان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات على وفق اغراضهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون بعض تشريف من الله تعالى احسانا وتفضلا وقال الخرون بل النفوس مختلفة في جواهرها ذاتا وماهية فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة بالانوار الالهية مستعلية موثرة وبعضها خبيثة مكدرة محجبة بالجسمانيات فالنفس الاول لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب الرسل مختلفة فيهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن برجم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان مداراته على التغليظ والتشديد وفي الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لا بد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد فيهم فيكيف يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب احوالهم واحوالهم هذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وهوان عند الله في الاخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الامر بالقتل والمراد من عند الله ههنا وقوله عند الله مستانف اي معد لهم ذلك واعلم ان كمال العقاب لا بد فيه من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد بجميع ذلك بسبب مكرهم وتكبرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الا ثر ولا شك ان توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنا وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زايد وخيره راجح مال طبعه اليه وقوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد لتحصيله فحينئذ هذه الحالة تسمى انشراح الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن يكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زايد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فتلك الحالة تسمى ضيق الصدر لان المكان اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى الله عليه وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وآله الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لا بد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة والخوف ايد النفع والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زايد الضرر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله ينتج مجموع الامرين الزهد في الدنيا والرغبة في الاخرة اما قوله حرجا فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج في اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا يناله الراعية حكى الواحدي باسناده عن ابن عباس انه قرأ هذه الاية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار المتمسك الذي لا طريق فيه فقال كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع وبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك يجعل اي كما جعل ضيق الصدر فلانهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس الاخير منه وعن عطاء الرجس هو العذاب قال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قال الاشاعرة في الاية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى بمعنى انه تعالى قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح الا لداعية ولا معنى للداعية الا علمه او اعتقاده او ظنه بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زايدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقاد ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح الصدر زال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقاد ان الايمان مجمد سبب المفسدة الدنيوية والدينية بتبعه عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية ان من اراد الله منه الايمان قوى داعيته اليه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه تعالى لا اغراء في الاية على قولكم لانه ليس فيها اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل بحيث يكون منها انه اراد ذلك ولم يرد نظيره قوله تعالى ولو اردنا ان نتخذ طربا لاتخذناه من لدنا فبين انه كيف يفعل للهو لو اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم انه اراد ومن يرد ان يضله على الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه يوم القيامة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو ان يفعل به الطاف يدعوه الى البقاء على الايمان والثبات عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلطف في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه خصوصا عند ظهور بغتة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وايضا لا يجوز ان يقال المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام

في ذلك الوقت الذي يعد به فيها الجنة لما رأى من فوائد الايمان وشاهد من الدرجات العالية والمراتب السنية فيزداد رغبة فيه ومن يرد ان يضله يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره الحرج الشديد الذي كاد له عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف من يرد الله ان يهديه يلطف به ويريد ان يلطف الايمن له لطف يشرح صدره للاسلام ويمكن ايراد نفس هذا السؤال بعينه في الايمان ومن يرد ان يضله يجعل له لطفه ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه ويتنبو عن قبول الحق ويفسد فلا يدخله الايمان واجيب عن قولهم ليس في الآية اذا اراد ذلك اراد بل قوله اخوا لا يتركذلك يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل به ذلك لاضلال الكافر للتشبيه والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك يجعل فيه ايضا لانه على ان المراد من قوله ومن يرد ان يضله عن الدين وتصير الضيق والحرج باستيلاء الغم والحزن على قلبه لكافر يعبد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن وهذا قال صلى الله عليه واله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالاخوف كان من ايضاح الواضحات فمن المعلوم لكل احد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت والجواب على قول صاحب الكشاف مما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان تحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى وكذا القول في جانب الكفر فان سمي الداعية من احدا باللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه قال تذاكرنا امر القدر عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد وقد جمع الناس يجثو لسمع الكل ابن خصماء الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى انهم الذين ينسبوا فعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاي ذنب لنا حتى تعاقبنا انا الذي خلقتم فينا وارد تموها وقضيت علينا ولم تخلقنا الا له ولا يسر لنا غيره فهؤلاء لا بد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا ان الله تعالى مكن وازاح العلة والتمكن العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل به من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصمائه هذا كلام القاضي وتعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يكون عليه وجوب الثواب والعوض يقول لو لم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من اطلق على الكفر سبعين سنة ثم انه في آخر وقت يتوب قال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين اعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة ثم انه لو ترك تلك اللحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاذه ابي علي الجبائي وترك مذهبه كثر اعتراضه عن افواه بلده عظم لوحشة بينهما فاتفق ان اباعلي عقد مجلس المذكرة وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ ابو الحسن الى ذلك المجلس مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من البحاثين اعلك مسئلة فاذكر بها هذا الشيخ قوله له كان لي ثلثة من البنين واحد في غاية الزهد واجتهد في غاية التقشف والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبر اباها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات الجنة واما الكافر ففي دركات النار واما الصبي فمن اهل السلامة فقال قولي له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل فيها اخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول انما الخلود حصل الى تلك الدرجات لانه تعب نفسه في العلم والعمل وابنك ليس معك ذلك فقال ابو الحسن قوله له لو ان الصبي يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو ابلغتني فربما ازددت على الزاهد في الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال له ابو الحسن قولي له لو ان الاخ الكافر الفاسق رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين ويا ارحم الراحمين اراعيت حال الاخ الصغير وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا الحسن فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسن ابصره جاء بعد اوارد واكثر مجيبا عن الجبائي فانا لا نحن لا نرضى بهذا الجواب انما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العباد ام لا فقال ابصر يجوز ان نقول انه غير واجب لكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب على الاول لله تعالى ان يقول للذاهب الصبي انك طولت عمر الاخ الزاهد وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كون متفضلا على احد شئ ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطلت عمر اخيك وتوجه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا يجوز نعله اما اطالة عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك فلهذا ما فعلته وظهر الفرق وارد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فما لامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص من ملكه شئ والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر في مرآة المنصوبة على الجدار لغامة الناس فان كان حكم العقل في الحسن القبيح مقبولا فليكن ههنا ايضا مقبولا والا فلا يقبل في شئ من الصور وبطل كلية مذهبكم وارد على الشق الثاني ان قولنا تكليف يتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فعنه ما ذكرتم انما نذا كلف هذا الشخص فان اصلحنا اخر مختارا من قبل نفسه فعلا يجب ان افضي هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه وهو ان يقبح تكليف كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتدبر ثم قال وهذا صريح في ان الشارح اليه وجهوه منها ان المذكور في الآية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وحصول تلك الداعية

بلطف يجعل في الايمان

هو انه يجعل

معنى قوله يجعل عنه ان ذات التكليف شئ من

من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد ذلك الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة والمراد هذا الذي قررناه بقضية الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستفيما عاد لامطرا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او هو محذوف اى احفظه وعن ابن عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد وعن ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالاخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى بهذا القول بالفضا والقدر آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرير عقل كل واحد طرفي الممكن لا يترجح عن الآخر الا المرجح فكانه يقول للعاقل تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا المرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن الفاعل دون ان يتوقف على الداعي مع دناوي طائفة ويجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وح يلزم نفي الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتاثير والمؤثر قرأ ابن عامر عظم بفتح الضاد والميم والباقون بالكسر والتخفيف وهما لغتان كالضعف والضعف والصراط المستقيم بين ما اعد وهيئ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اى دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله او دار السلامة من كل آفة وكدر والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والوضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عندهم في ضمانهم كما يقال فلان عنده حق لا ينسى وذلك نهاية في بيان وصولهم اليها وكونهم على قصد الوصول وهو وليهم اى قريب منهم بالرحمة والرضوان ومواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل بجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اى بسبب اعمالهم او متولي جزاء اعمالهم ما كانوا يعملون لئلا يقطع العمل ولا يتكاسلوا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيئات النفسانية قد تؤثر في البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس فلابد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم اردفه بذكر من تعلق بضده فقال ويوم نحشرهم والمراد واذكر يوم كذا او يوم نحشرهم قلنا او متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان حالا او وصف لفظا عنه والضمير ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علموا ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير محذوف لقول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمرنوا في الدنيا انهى حالهم في الاخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه بعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اى الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما بقي استكثر الامير من الجنود اما قوله وقال اولياؤهم من الانس فالمراد قال اولياؤهم من الانس فيه حذف فاكتفى للجن بتبكيتا ناس يقولون للانس انتم مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فاكتفى للجن بتبكيتا ناس يقولون للانس انتم مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول ولما بكت الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتاع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فاسمى بارض مقفرا وخاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت امنا في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانس اذا عاذ بالجن كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجن يقول قد سدت الجن والانس كان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج وبعضهم قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثانيها ان الانس كانوا ينفادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع الجن بالانس فهو ان دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي ابتغوا بتبعيتهم وهذا اختيار الزجاج والقول الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استماع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اى ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود وهو مجاوزات الحشر والنداء من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قبل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفهم المقتول وغير المقتول وقبل هو وقت التخلية والتمكين وقبل وقت المحاسبة في القيمة قال الله تعالى في جوابهم النار مثواكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان ثوى ثويا اذا اقام بها قال بعض العلماء سمي المقصد دون المكان كان قوله تعالى خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها مدة بقائكم في المحشر وقال ابن عباس استثنى الله تعالى قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم ان يكون ما يمحى من قبيل خلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيامة الذين يحشرون فيه وقبل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وهي انهم يدخلون وادي ايهاب برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انينا بردا وقد طلب اليه ان ينفس عن خناق اهلكه الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت كقوله الا اذا اخذت من شدة الوعيد مع

الانعام

هلكم لانه اطماع محض ويأس كلي وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى المحاول وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذي جعلته لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الاجال الاخترامية ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب سائر وجوه الجزاء عليم بما يستاهل كل طائفة فكانه تعالى قال حكمت لهؤلاء بالابد لعلمي انهم يستحقون ذلك ثم الحاكي عن الجن ان بعضهم يبين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح احد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله قطعا للتسلسل وايضا لما بين ان سبحانه وتعالى اهلك قبولهم وايمانهم ذكر ان اولياء اهل النار من بني آدم في الظلم والخزي والنكال وانما اليه بقوله بما كانوا يكسبون اي بسبب كون ذلك البعض يكسب الظلم وهذا مناسبة في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الآية دلالة على ان الوعيد متى كانوا ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان اراد الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء في بعض الكتب السماوية انا الله مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليهم رحمة ومن عصاني جعلتهم عليهم نقمة فلا تشتغلوا بسب الملوك لكن توبوا الي اعطفهم عليكم ثم بين ان كفار الثقلين لا يكون لهم الى الخلاص يوم القيمة سبيل وانهم لا بد معذبون الا بالتجاوز فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة يمكن ان يحيط امير واحد بالكل الم يأتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا يوم استدل الضحاك بالآية بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان الجن رسلا كالانس ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل وهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولالتبسنا عليهم ما يلتبسون على انفسهم ما كانت الرسل من بني ادم وعموما ان ذلك مجمع عليه وورد بانه كيف يعقل الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم بقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الآية تقتضي ان رسل الجن والانس بعضا يكون من بعض هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا الا بعد ان نبين ان الرسل كانوا من الانس ثم كان من الجن نفر يستمعون من رسول الانس ويبلغون قومهم بذلك قال اذ صرفنا اليك نفرا من الجن الآية وقد مضى رسول الرسول رسولا كما ان الله تعالى سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه يكون قد بكت كفار الثقلين بهذه الآية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب انه ارسل الرسل الى من ارسل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة فلا بد ان تؤدي الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدي اراد رسل من احد كم وهو الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي احدهما وهو الملح البسبب عن الكلبي كانت الرسل قبل ان بعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه اله بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم آياتي فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتأويل وبالتلاوة وينذرونكم لقاء يومكم هذا نجوفوكم عذاب هذا اليوم فلم يجحدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب انهم اقروا في هذه الآية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين هو انهم مختلفو الاحوال في يوم القيمة مضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم في الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم في الآخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم في القيمة زجر امثالهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالآية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لما كان لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة التأويل او من كان يتأتى في حالة العدم فاجيبوا بالحيوة الحقيقية اي بالحي الذي لا يموت وجعلنا له نورا لوجود الحيوي الذي يمشي به في الناس ويتبين به ويبصر كمن هو مجموس في ظلمات الطبيعة كذلك جعلنا في كل قرية اي كل قالب اكابر مجرميها من التفرد بالهوى والتسلط لهكروا فيها بما لا تحل في الشرع وموافقات الطبع او في رسل الله من القلب السر والروح يشرح صدره اي بنظر الى قلبه بنظر العناية بما يحيه بنور يبصر به حاله وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع في القلب هذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور بقبل الزيادة والاشتداد الى ان يصير الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان صافيا لزام ظلمات صفات البشرية موجبا لتغلغله في الدنيا وشهواتها كما تميل النساء لانه سفلي بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر هذا الذي يلقى من الهداية واصلا لزم صراط ربك بالتلطف والقهر فيجد بالتلطف يهدي التصعيد وبسطوات القهر يفصل لهم دار السلام اي السلامة عن الغطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم يحشرهم في موقف الغالب البشر بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اي غلبتم على الصفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو استعباد صفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان بحواء على اغواء ادم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بقضية قضائك وقدرك فاجابهم بان النوى النار مثواكم خالدين فيها بقضاء الله الا ان يشاء الله فنبه على ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليهم باهل الجنة وباهل النار وكما جعلنا امر الجن والانس بعضهم اولياء بعض لكذلك نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري اي انا نكرر مثل هذا الاطلاق ان ينابذ وشهدوا على انفسهم اقروا عند الحرمان عن السعادة العظمى انهم بدلوا تمام امر تلويهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وهما التوفيق الامنا لك ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك

على المطلوب

بتولي بعضا

این از تحفه است که بنده بت پرور و کافرت هلاک کننده و اهل شهر را مشئوم خبر باشند و هر بیت از آن که کرده و نه دانسته و ورد کافرت تحفه از آن میکنند و ورد کافرت

الجزء السابع

الغنى ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم اخرين ان ما توعدون لآت
مالدار صاحب مهربانى ست اگر بخواهد ببرد شمارا و جانشين سازد پس از شما آنچه را كه خواهد چنانچه آفريد شمارا از فرزندان گروهى ديگران هرآينه هست آنچه وعده كرده شما را البته
وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه
ونيستيد شما عاجز كننده كان بگواى قوم من كار كنيد بر خوى خويش بدرستى كه من كار كنم پس زود باشد كه بدانيد كيست كه مر اورا ست عاقبت سراى بدرستى كه
لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان
رستگار نگردند ستمكاران وقرار دادند براى خدا از آنچه پيدا آفريد از كشت وچهارپايان بهره پس گفتند كه اين مر خداى را ست بگمان ايشان واين مر انبازان خداى ما ست پس آنچه
لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من
مر شركاء ايشان را پس نمى رسد بسوى خدا و آنچه مر خدا را پس آن ميرسد بشركاء ايشان بد است آنچه حكم ميكنند و همچنين جلوه داد از براى بسيارى از
المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون
مشركان كشتن فرزندان ايشان را انبازان ايشان تا كه بيفكنند ايشان را در هلاك و تا بپوشانند بر ايشان دين ايشان را و اگر ميخواست خدا نميكردند ايشان اين را پس واگذار ايشان را و آنچه دروغ
وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون
وگفتند كه اين چهارپايان و كشت ممنوعند كه نخورد آنها را مگر كسى كه ميخواهيم ما بگمان ايشان و چهارپايانى اند كه حرام ا ست پشتهاى ايشان و چهارپايانى اند كه ياد نكنند
اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
نام خداى را بران از روى دروغ بر او زود است كه باداش دهد ايشان را بآنچه بودند كه دروغ ميگفتند وگفتند كه آنچه در شكمهاى اين چهارپايانست مخصوص
لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر
مر نرهاى ما وحرام ا ست بر زنهاى ما واگر بچه باشد مرده پس ايشان در ان انبازند زود است كه باداش دهد ايشان را صفت ايشان بدرستى كه او درست كار داناست بزيان كرد
الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين الفراء عما
آنان كه كشتند فرزندان خود را از بيخردى وبى دانشى وحرام كردند آنچه را كه روزى كرده بود ايشان را خدا از روى دروغ بخدا آنها گمراه شدند و نبودند راه يافتگان

تعلمون بتاء الخطاب ابن عامر مكانا تكم بالجمع كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء الخمسة حمزة وعلى وخلف الباقون بتاء التانيث
ويجعلهم بضم الزاء على ما لم يسم فاعله وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل بالرفع اولادهم بالجر ابن عامر الاخوين زين على البناء للفاعل
قتل بالنصب اولادهم بالجر شركائهم بالرفع وان تكن بتاء التانيث ابن عامر بن يد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر وبن يد وقنبل بن يد
ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف الوقوف عالمون مما عملوا يعملون ذوا الرحمة اخرين لان لان الواو بعد اللام بجزين عامل
لابتداء النفي بعد ون لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهما مبتدا وموصولة عاقبة الدار الظالمون لشركائنا للشرط مع الفاء الى
الله للفصل بين المتضادين بعضهم مع الانفاق ظلما شركائهم يحكمون دينهم يفترون افتراء عليه يفترون از واجنا للشرط مع العطف شركاء وصفهم علم مهتدين
الله محمد بن التفسير لك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف اى الامر ذلك ويحتمل ان يكون
مبتدا خبره ان لم يكن وهو للتعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك ذلك الذي ذكرنا لانتفاء كون ربك مهلك القرى وان هي التاصبة للافعال
او مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان والحديث كذا ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء
مقطوع ومعنى قوله بظلم اى بسبب ظلم اقدموا عليه وهذا اليق باصول الاشاعرة او المراد ظلمانا كم فيكون من فعل الله وهذا اليق باصول المعتزلة
ومعناه انتفاء اهلاكهم قبل بعثة الرسل لم يتهوا بوسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن
منه الظلم اطلاق الظالم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد في شيء من افعاله واقواله واهلها غافلون
فليس المراد ان هذه الغفلة ان يتغافل المرء عما يوعظ وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وان لا بد من بلد من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر
على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان الفعل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب احدا على امر من الامور قبل بعثة
الرسل لكن بعدها فالمعتزلة قالوا انها تدل من وجه اخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لانه لو ظلم ان كان عابدا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر
منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بحسن العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر
كلا اى كلا منهما فعال ولكل درجات اى لكل عامل عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر ومعنى مما عملوا اى من
جزاء اعمالهم وقيل ان اول الاية مختصة باهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية يكون الدركات والبه الاشارة بقوله
وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة في الاية دليل على مسئلة الجبر القديم فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبحسب
فعل معين واثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملئكة وخالف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين انه ليس محتاجا طاعة المطيعين
ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغني ذو الرحمة اقام الربوبية في ذاته وصفاته دليلا على انفراده في افعاله وفي احكامه عن كل ما سواه ممكن لذاته

مفتقر

مفتقرة في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فالنعمة الالهية والرحمة فان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وباجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالنعمة والشبع والسمع والبصر وما ذلك الا رحمة الكاملة والرافة الشاملة والتي يختصون برحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك باجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فيمكن الشخص من الانتفاع بها الا منع فقال ومن هذا شأنه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف المكلفين ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف نفسه بالتفرد والرحمة كاد الظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله ثم ان يشأ يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة في هذا الخلق وقادر على ان يخلق قوما اخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب لا هلاك وان لا يبلغهم مبلغ التكليف يتخلفون من بعد ذكراي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء اي خلقا ثالثا ورابعا ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا اخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا غير الثقلين ليكون اقوى في دلالة القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشأكم من ذرية قوم اخرين لان من قدر تصوير الظفر المتشابه الاجزاء بهذه الصورة المخصوصة قدر على تصويرها بصورة اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشأكم من اولاد قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح ثم ذكر حال المعاد فقال انما توعدون لآت وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى ان ما توعدون لآت لا محالة اي ما يتعلق بالوعد والثواب فهو لآت لا محالة

او بالظرف ثم ان وجد القراءة الاكثرية ظاهرة ليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشذوذ الاعتناء به واما قراءة ابن عامر فخطأها الزمخشري من جهة الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك قد جوز بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج القلوص ابي مزاده وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القرآن حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراءة ان السبع كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القرآن المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى ما قبل ورد له نظير في اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد ذلك فقد وجد بعض الفصلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله بنين زهير ثم ذكر في وجهة الآخر المضاف مضمر مع الثاني كقراءة من قرأ والله يريد الآخرة بالجر على تقدير ثم في الآخرة فتقدير الآية قتل شركائهم اولادهم ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من الشيطان او على حقيقة التعليل ان كان من الله تعالى وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم حتى يشتبه عليهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اتاهم بعد الاوضاع الفاسدة التي دانوا بها من عند انفسهم وبين ذلك الدين الحق وقبل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقبل ولو توعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله ما فعلوه كما فعل المشركون مازين لهم واما فعل الشياطين والمزينين الاولاد او اللبس وجميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة والمعنى لتحملوا هذه المشية على مشية الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على الله فانون قوله واعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التعجيل على المامور بانه لا ياتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذا الا بشر ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه وقع عقيب ايات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الايات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم قسما فاوقعوها ان قالوا هذه انعام وحرث حجر وحرج فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي فيه الوصف بالمذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل الحجر المنع ومنه سمي الحجر لمنعه من القبائح وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا عنوا شيئا من حرثهم وانعامهم لاصنامهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدام الاوثان والرجال دون النساء وثانيها ان قالوا هذه انعام وحرث ظهورها هي الجائر والسوائب الحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل انعام لا يحجون عليها ولا يلتزمون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع منه بل افتراء عليه وانتصاب على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك بمعنى افتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة ان قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ويحرم على ازواجنا ان ولدت حيا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء طرح الشرك فيه للذكور والاناث من قراءة بنصب ميتة فتقديره وان لم يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى ان كان تامة اي وان تقدير وان لم يكن لهم او هناك ميتة طما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي والانعام لكل ميت ذكر وانثى فكانه قيل ميت وطهر اجاز عود الضمير اليه هكذا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي على الله الكذب في التحليل والتحريم انه حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف نسق خالصة وذكورنا على محرم قلنا الاول حمل على المعنى لان ما في بطون الانعام في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجهان واخوان ان يكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية اي ذو خالصة ثم انه سبحانه رجع قبائح احكامهم وافعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير الا بتوهم ان الولد نعمة عظيمة من الله يبقى ذكرا وذرية فالتسبب في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر ونحوه لفائدة موهومة هي القربى الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب اكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم انواعا بالضلال ثم بعدم الاهتداء لتحصيل كلا الامرين لهم بالمطابقة كما حصل بالتضمن والله اعلم الثاني وبل مهملات الفرق اي قرع اشخاص الانسان بظلم وهو صرف استعداد الفطرة في استيفاء اللذات الفانية وآثارها غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وتبات الغفر عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة وانما خلقهم ليرجعوا عليه لا ليرجع عليه اعلموا علما يمكنكم ان تعملوا عليه اني عاملت عليا عاملا على ما جبلت عليه قتل اولادهم شركائهم من الشياطين والنفس والهوى الدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون ذهبوا من الطبع الامر هب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لان يكون له نور انا لم يكن لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم لان ذلك منتج انتزاع الرحمة عن قلوبهم ومحو امارة رقم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد خصوصي مراتب اهل القرب وما كانوا مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات اليقين حقا يقع كثيرا العيال على بساط التوكل

وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها

وادبت اكله لذيذ بستانهاى بسته ودرخت خرما وكشت اكر كوناكون ميوه باشد وزيتون را وانارا كه مانند اند بهم

وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة

وبعضرا نيز بخوريد از ميوه اش چون ميوه آورد وبدهيد حق او را در روز دروديش وزياده مكنيد كه خدا دوست ندارد زيادي را وازجمله چهارپايان

وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين

وشتران خورد وبخوريد از بخشيدن روزي كرد شما را خدا وپيروي مكنيد گامهاي شيطان را كه او دشمن شما است هشت جفت از ميش و

وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
ع قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ
لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا
عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ
بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ
الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا
بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ
اللَّهُ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ الْقُرَّاءُ

حفص بفتح الخاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب الباقون بالكسر وكلاهما مصدر من الضأن بفتح همزة ابو عمرو وغير شجاع وافيه والاعشى واللا
عن ورش وبزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف ونافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس عنه
ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر وبزيد وحمزة وعباس من طريق ابن دومي عنه مثله
بالتخفيف الزعفراني ابن عامر وزاد وبزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحواباها على وحمزة وخلف فعل ذكم وبابه مظهرا الحلواني عن قالون
والبرجمي لوقوف متشابه ولا تشربوا المسرفين لان قوله حولا منصوبا انشاء وفرشا الشيطان مبين لان ثمانية منصوبا انشا حبا ازواج لانقطاع النظم
مع اتحاد المعنى المعز اثنين ارحام الانثيين لانتهاء الاستفهام صادقين لان اثنين منصوبا انشا ايضا ومن البقر اثنين ارحام الانثيين لان ام في قوله
ام كنتم بمعنى الف استفهام توبيخ بهذا الاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم الظالمين لغير الله رحيم ظفرا لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى
بعظم بيغيهم للابتداء بان واثبات وصفا لتعدي مطر والوصل وجها لان المعنى وانا الصادقون فما اخبرنا عن الخبر بهم بيغيهم واسعة لاختلاف الجملتين الخبرية
من شئ باسنا لنا تخرصون البالغة للشرط مع الفاء اجمعين حرم هذا لذلك معهم لنا هو جزاء الشرط مع العطف بعد لون التغيير انه سبحانه جعل هذا
هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء و
الاشقياء ثم انتقل منه الى تحجير ما لم يقم عليه منكرو البعث والقيامة ثم اتبعه حكايات اقوال امم لم يكد تنبيها على ضعف عقولهم فلما تمم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود
الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات الله وعلى وجوب توحيده فقال وهو الذي انشأ الايه انشأ الشئ ينشأ فنشأ اذا ظهر او ارتفع وانشاه الله ينشئ انشاء
اظهره ورفعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرش وعرش كالكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعضها لا
تعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ قيل المعروشات ما يحتاج الى ان تتخذ له عروش يجعل عليها فتسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير
معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستواء قوته ساقه من التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا بامر فرشه
وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فينتفع غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله والاكل
كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شئ منهما

طعما غير طعم الآخر ومختلفا حاله مقدرة اى انشاه مقدرا اختلافه كله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابها وغير متشابه في القدر واللون والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الآية المتقدمة انظروا الى ثمره نبه بها على ان الامر للاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر اباحة الاكل على الوجه الحق كما لا يظن انه يحرم على المالك تناوله لكان شركة المشاركين فيه وفيه الاشارة الى ان خلق هذه الثمار اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل مخالفا على الاباحة او الوجوب لا بصار اليه الا بدليل منفصل فاذا قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا اثمر فكل منه هي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الثمر لا بلوغه اثمرا بالحا الا اذا ادرك وانبع ما قوله واتوا حقه يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الآية مدنية والحق هو الزكوة المفروضة وعلى هذا فكيف يؤدى الزكوة يوم الحصاد والجواب في السبل والجواب ان المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكوة وكان يقول اذا حصدت فخرج المساكين فاطرح لهم منه واذا داسه وذريته فخرج كيله فاعزل زكوته وتصدق بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكوة وبان قوله واتوا حقه انما يحسن ذكره لو كان ذلك الحق معلوما قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكوة فلما فرض العشر ونصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكوة في الثمار لانه قال واتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهي النخل والزرع والزيتون والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو ايضا بها على ان القشر واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب ان بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن ابن الاعرابي السرف بجاوزة ما حد لك فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول وروى ان ثابت بن قيس شماس عمد الى جملة نخلة فاخذ ها نقسمها في يوم واحد الى من لا شيء فمن لك لا يتناول فاسرفوا اى لا تعطوا كلها واذا منع الصدقة فقد اسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال عمر ما ذهب من مالك في غير منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري ولا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو قبيس هبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا تبق شيئا للسرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المسرفين لان المقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من اهل النار لان محبة الله تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه وقوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اى انشاء من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي لا تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قال المعتزلة اى مما احللها لكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة وانتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا ويجوز ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين اى زوجين اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضأن خلاف المعز هذا هو الماعز والجمع يعني اسم الجمع الضان والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر وضأن ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف انه قرئ بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل الذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيما بعده ولا يعمل فيه ما قبله ويرد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس والانثيين الانثى من الضأن وهي النعجة والانثى من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي كورها وانثاها ولا تما يشتمل عليه ارحام الانثيين اى تما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منها الناقة والبقرة وما يحمل اناثها وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف ما كانت ذكورا او اناثا او من خلط تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فضل ايها تكم لا نقدر ان نبتوه بنى ولا شرع غير شارع فكيف تحكمون بان هذا محلل وهذا محرم والكذب ذلك بقوله نبئوني بعلم اخبرني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده باشاء الازواج الثمانية من الانعام لمنافعهم واباحتها لهم الا انه فصل بين بعض العدد وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هو جملة معترضة جيء

بها تاكيدا وتشديدا للتحليل مما الاعتراض في الكلام لافاده الا للتوكيد اما قولهم كنتم شهداء فام منقطعة اى بل اكنتم شهداء ومعناه الانكار ونحوه اعرفتم الوصية بمشاهدتين لانكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون ان الله حرم هذا فلم يبق الا المشاهدة فهكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى امثالهم بالظلم بقوله فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون بويد عمرو بن لحى ابن قمعة الذى غير شريعة اسمعيل ص وبحر البحائر وسيب السوائب الاقرب ان اللفظ عام فيتناول كل مفتر واذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب بتحريم مباح فكيف اذا كذب على الله تعالى فى مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة والنبوات والمعاد قال القاضى الابتداء لا ينافى ان الاضلال عن الدين مذموم فلا يجوزان ينسب الى الله تعالى واجيب بانه ليس كل ما كان مذموما من الله تعالى فانه تمكين العبد من اسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا دونه انَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قال القاضى لا يهديهم الى ثواب والى زيادات الهدى التى يختص المهتدى بها وقد بين الاشاعرة معناه انه لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر الى نور الايمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم تبعه ايا ها فيما يحرم فقال قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا اى طعاما محرما على طاعم يطعمه على اكل ما كل الا ان يكون ذلك المأكول او الموجود او الطعام ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير ما سنذكر ان شاء الله تعالى قال ابن عباس رضى الله عنهما ما خرج من الانعام وهى احياء وما خرج من الاوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما والدم من الدم فانه غير سائل وسئل ابو مجاز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التى تروى بها حمرة الدم فقال لا بأس بها انما نهى عن الدم المسفوح وبقى الآية ظاهرها مما سلف فى امثالها وانتصاب منصفا على انه معطوف على المنصوب قبله واهل صفة له منصوب المحل بما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ منصوب الفعل فى باب الفضلة كما بقى فلان كرم وجود وجوز ان يكون فسقا مفعولا له من اهل وعلى هذا فقد عطف اهل على يكون والضمير فى به يعود الى ما ارجع اليه المستكن فى يكون قال العلماء ان هذه السورة مكية وقد بين فى الآية انه لم يجد فيما اوحى اليه قرآنا وغيره محرما سوى هذه الاربعة وقد اكد هذا بما فى النحل فى البقر مصدقة بكلمة انما الدالة على الحصر فصارت المدينة مطابقة للمكية طالذى جاء فى المائدة حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ الى قوله وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ الا ما ذكيتم من اقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لانهم كانوا يحكمون على تلك الاشياء بالتحليل فثبت ان التحريم من اولها الى آخرها كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقى الكلام فى الخمر وفى سائر النجاسات والمستقذرات فنقول اما سبحانه قد وصف الخمر بانها رجس وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا ان النجاسة علة لتحريم الاكل وكل جزء فانه يحرم اكله بهذا اجماع الامة على تحريم النجاسات طما وان جوز فالتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روى انه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذى ناب من السباع وذى مخلب من الطير فلا اشكال وقيل المراد ان وقت نزول هذه الآية لم يكن محرما غير هذه الاربعة وقيل بل هو محرم شيء خامس فنخ والاصل عدمه ثم هب سبحانه انه حرم على اليهود اشياء اخر سوى هذه الاربعة فقال وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا وذلك انهم كانوا قد حرم عليهم كل ذى ظفر وفسر لغات ضم الفاء والعين وهى القصحى وكسرهما وهى قراءة ابن السماك والضم مع التسكين والكسر مع التسكين وهى قراءة الحسن واختلف فى الظفر فعن ابن عباس فى رواية عطاء انه الابل فقط وعنه فى رواية اخرى وهو قول مجاهد انه الابل والنعام وقيل كل ذى مخلب من الطير وكل ذى حافر من الدواب وسمى الحافر ظفرا على الاستعارة ودين بان الحافر لا يكاد يتهيأ ظفرا وبان البقر والغنم مباحان لهم كما يجئ مع ان لهما حافرا فاذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن من الجوارح والسباع بل على كل ما له اصبع من طير وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فعوقبوا بتحريم خاص بهم وهذا قد يجاب فى قوله وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر مبينا للابتداء لفظا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثانى قوله وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا قال فى الكشاف هو كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة ويعنى اضافة الاخذ الى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم من كل ذى ظفر كليهما ومن البقر والغنم بعضهما وذلك شحومهما فقط وهذا ايضا ليس على الاطلاق لقوله الا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس الا ما علق من الشحم فالذى لزم حرمته وقال قتادة الا ما علق بالظهر والجنب داخل بطونهما وقيل الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من الشحمة وهى الشحمة التى على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين الى الورکين وهى بالحقيقة لحم سمين لا تدرج عند الهزال ولهذا لو حلف لا ياكل الشحم فاكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الاصح والاستثناء الثانى قوله أَوِ الْحَوَايَا قال الجوهرى الحوايا الامعاء احدها حوية ومعناها خاوية البطن وخاوية البطن وقال الواحدى هى المباعر والمضارب وهى الغوى او ما اشتمل على الامعاء يعنى ان الشحوم المنصفة بالمباعر المضارين غير محرمة والاستثناء الثالث وَمَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ الا ما حملت ظهورهما الآية والمعنى كل شحم ليس بمحرم فانه غير محرم ودخول كلمة او كدخولها فى قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا والمعنى كل هؤلاء اهل ان يعصى واعصم هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم بِبَغْيِهِمْ بسبب قتلهم الانبياء واخذهم الربوا واستحلالهم اموال الناس بالباطل وغيرذلك من قبائح افعالهم وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فى هذا الاخبار وفيما يوعد به عند بعض العصاة قال الفاضى نفس التحريم لا يجوز ان يكون عقوبة على جرم صدر منهم لان التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب احسان واجيب بان المنع

من الانتفاع يمكن ان يكون لمن يهمل الثواب ويمكن ان يكون بشوم الجرم المتقدم فان كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة او في تبليغ الاحكام وعلى المعتزلة فان كذبوك في انجاز ابعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جوادا وكريما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد بأسه اذا جاء وقت عذابه عن القوم المجرمين يعني المكذبين على اصولهم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد بأسه مع ذلك عن الذين ان تكبروا الكبائر فاقبل التوبة ثم حكى اعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد بالمنفصل لكان الفصل بغير حرف العطف بلاء الزائدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى بما سوف يقولون ونظيره قالوه قال في سورة النحل وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ونظيرهما قال في سورة النمل بل نحن قوم مسحورون كان الاشراك مستنكرا مطلقا فلفظ الاشراك يدل على اتيان شريك لا يجوز اتيانه وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه لما حذف من الابتداء لفظة من دونه مرتين حذف في بعض نحن بطرق الابتداء في حكم التخفيف اما تفسيرا لابتداء فزعم بعض النحاة انها يدل على قولهم في مسئلة اراءة الكائنات من سبعة اوجه الاول ان الذي حكى عن الكفار في معرض الذم والتقبيح وذلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشركه صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك كذب الذين من قبلهم فلم يذكروا المكذب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وعلا ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبرائته من مشيئة القبائح واراداتها وارسل اخبارا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله واراداته فقد كذب كله وهو تكذيب لله ورسله وكتبه وبديهة العقل وما ظهر والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب الانبياء ودفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشيئة الله تعالى قالت قولا حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانما استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لكم ولا علم لاحد من القائلين ولا حجة لكم اصلا ان يتبعون الا الظن السادس ان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو اذنا بعمل على خلاف مشيئة الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل الالجاء ١٠ الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف هذا هو المراد من قوله فلو شاء لهداكم اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعتم ان ما انتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تكونوا مدحورين من الله يخالفكم ايضا بمشيئته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت الاشارة بانا قد بينا بالدلائل القاطعة من اول القرآن الى هنا صحة مذهبنا فوجب تاويل هذه الآية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشيئة الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله تعالى ان ذلك من تلقاء انفسهم وانه كاذب فيهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه اله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع وقد يقيد ذلك ما روي عن ابن عباس اول ما خلق الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وآله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة فهذا ظاهر لا يزيد معنا وهو قوله فلو شاء لهداكم اجمعين وحمل المشيئة على مشيئة الالجاء والقسر بعيد والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم شهداءكم اذا كان لازما قبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله هالم ثم حذفت الفها لكثرة الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلمي هلموا هلممن والاول افصح وقد يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا بها حرف الاستفهام ومعناه اقصدوا قبلنا ان اصل استعماله ان قالوا هل لك في الطعام اي اقصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم على تحريم ما حرموه وانما لم يقل شهداءكم يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس فيشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهامة والمعرفة فمن بصره من هذيانهم وهلمجرا فان شهد واي فان وقعت شهادتهم كلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تجهيلا لعلمهم بالتكذيب لبراءة عليه باقي الآية فعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة لتاويل وهو الذي اشتاجت في القلوب معروفة من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغيرها وشائج هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة والفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ومخايل الايمان وذرع الاعمال الصالحة وفنون الاخلاق الحميدة وسائر الاخلاق متشابهها اعلاها وغير متشابهها احوالها كالوا من ثمرا انفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال الا بالدعاوى والقيل والقال وانواعه حقه دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ويوم حصاد اوان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا اشرف لها الشروع في الكلام في غيره وقدمه والحرص على الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي من الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد

الانعام ۶

للاكل والشرب لصلاح الغالب قيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق الغالب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المجذبة بصدق التحرز
على الكون ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيانا فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي لئلا تكم حدوده بين يخرجكم بالتفريط والافراط
الى ضد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها مذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محالها وبمقدار
ما ينبغي من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والضأن والمعز جنس لفرشيته كما ان الابل والبقر من جنس الحولية والذكر من الضأن والمعز هما تابعا
شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حس الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية
والجهولية وانثاها الجهولية ولا استسلام للاستمتاع بهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها
وبين ايضا حملة عرش القلب الى فهم وقد احل الله تعالى استعمالها استعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وفصلها بالكلية فقد افترى لو شاء الله اشركنا الكلام في تفسير خصوص قصد الانعام لما ذكرنا ومن معرض الاتراد فعالا ذنبه ولا لام كذبوا بما قالوا والله سبحانه اعلم بالصواب

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم ع

بگو كه بياييد تا بخوانم بخوانم آنچه حرام كرد پروردگار شما بر شما كه شريك قرار ندهيد چيزرا و بپدر و مادر خوبي و نكشيد فرزندان خودرا از بيچيزي ما روزي ميدهيم شما را

وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصيكم به لعلكم تعقلون

و بپرهيزيد زنا را هرچه پيدا است ازان و هرچه پنهان است و نكشيد نفس آنجانرا كه حرام كرده است خدا مگر بر راستي اين است كه فرمود شما را بان شايد كه شما بخرد ورزيد

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا

و نزديك مشويد مال يتيم را مگر بانطوري كه آن بهتر است تا برسد بقوت و تمام خود پيمانه و ترازو را براستي تكليف نميكنيم نفسي را مگر باندازه وچون

قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصيكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيما

گفتيد پس راست گوئيد و هرچند بصاحب خويش و پيمان خدا وفا كنيد اين است كه فرمود شما را بان شايد كه شما پند گيريد و آنكه اين راه من است كه راست است

فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصيكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما

پس متابعت كنيد او را و متابعت نكنيد راهها را پس پراكنده سازد شما را از راه او اين است كه فرمود شما را بان شايد كه شما پرهيزيد پس داديم موسي را كتاب

على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب أنزلناه مبارك

بر طريق كه آن بهتر است و بيان از براي هرچيزي و راستي و رحمتي شايد كه ايشان بديدار پروردگارشان گروند و اين كتابي است كه فرو فرستاديم ازرا بابركت

فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ع

پس متابعت كنيد ازرا و بپرهيزيد شايد كه شما رحمت كرده شويد تا مگوئيد جز اين نيست كه فرو فرستاده شد كتاب بر دو طائفه از پيش

أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب

و گوئيد اگر ما فرو آورده بوديم بر ما كتاب هرآينه بوديم بانبوه تر از ايشان پس بتحقيكه آمد شما را حجتي از پروردگارتان و راستي و رحمت پس كيست ستمكار تر از آنكه تكذيب

بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون

بآيات خدا و برگشت ازان زود است كه بپاداش دهيم آنانرا كه باز گردند از آيات ما بدتر عذابي بسبب آنكه باز گردند از باز گردند گان

إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها

مگر اينكه آيد ايشانرا فرشتگان يا بيايد فرمان پروردگار تو يا بيايد پاره از آيات پروردگار تو روزيكه بيايد بعض آيات پروردگار تو سود نخشد نفسي را ايمانش

لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا

كه نبود گرويده پيش ازين يا فرا گرفته باشد در ايمانش خيري بگو منتظر باشيد شما ما را كه ما منتظريم بدرستي كه ايشان كه پراكنده كردند دين را و گشتند طائفها

لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة

نيستي تو از ايشان در چيزي جز اين نيست كه كار ايشان بسوي خدا است پس خبر دهد ايشانرا بآنچه بودند كه ميكردند هر كه آورد نيكي پس مر او راست ده مانندان و هر كه آورد بدي

فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين

پس مزد داده نشود مگر مانندان و ايشان ستم كرده نشوند بگو كه من راه نمود مرا پروردگارم بسوي راه راست دينيست راست ملت ابراهيم كه بود از باطل و نبود است از شركيان

قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين قل

بگو بدرستي كه نماز من و طاعتهاي من و زندگاني من و مردن من خدا يرا است كه پروردگار عالميان است نيست شريك مر او را و باين فرمانداده شدم و منم نخست تسليم كنندگان بگو

أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى

آيا براي خدا را بجويم پروردگار و او است پروردگار هر چيز و نيندوزد هيچ تني بجز آنچه را كه بر او است و برندارد برداردهنده بار ديگري را

ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع

پس بسوي پروردگار شما است بازگشتتان پس خبر دهد شما را بآنچه كه بوديد در آن اختلاف ميكرديد و او است آنكه گردانيد شما را جانشينان در زمين و بالا برد

بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيْ مَآ اٰتٰىكُمْ اِنَّ رَبَّكَ سَرِيْعُ الْعِقَابِ وَاِنَّهٗ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ القراءة

بعضی از شما را بالای بعضے در مرتبہ تا آنکہ بیازماید شما را در آنچہ داد شما را بدرستیکہ پروردگار تو زود عقوبت ست و بدرستی کہ او آمرزندہ مہربان ست

تذکرون بتخفیف الذال حیث کان حمزۃ وعلی وخلف وعاصم غیر ابی بکر وحماد فحذفوا احدی التاءین الباقون بالتشدید لادغام تاء التفعل فی الذال وان ھذا بسکون النون ابن عامر ویعقوب وان ھذا بکسر الھمزۃ وتشدید النون حمزۃ وعلی وخلف الباقون وان بالفتح والتشدید بشرط بفتح الیاء ابن عامر والاعشی والبرجمی فتفرق بتشدید التاء البزی وابن فلیح ان یاتیھم بالیاء التحتانیۃ وکذلک فی النحل علی وحمزۃ وخلف الباقون بالتاء الفوقانیۃ فارقوا وکذلک الروم حمزۃ وعلی الباقون فرقوا بالتشدید عشریا لنون اشاھا بالرفع یعقوب الباقون بالاضافۃ رتبی الی بفتح یاء المتکلم ابو عمرو ابو جعفر ونافع قیما بکسر القاف وفتح الیاء ابن عامر وحمزۃ وعلی وخلف وعاصم غیر المفضل الباقون بالعکس مع تشدید الیا محیای بالسکون ممانی بالفتح ابو جعفر ونافع الیاء الباقون بالعکس وانا اول بالمد نافع وابو جعفر الوقوف شبا لحذف فی احسنوا بالوالدین احسانا لابتداء النھی مع احتمال العطف ای وان لا تصلوا من املاق وایاکم لعطف ما بطن للفضل بن الحکمین المعظمین مع اتفاق الجملتین بالحق لانھا بیان الاحکام الی توکید لا بضا للاحکام تعقلون اشد للفضل بن الحکمین بالقسط لاحتمال ما بعد الحال او الاستیناف ذا قربی لنا ھی جواب اذا وتقدم مفعول اوفوا لذکر ون لن قراء وان ھذا بالکسر فاتبعوہ للفضل بن الفیضین معنی مع الاتفاق نظما عن سبیلہ تتقون یومنون نرھونۃ لان التقدیر فاتبعوہ لئلا یقولوا من قبلنا فاء لئلا للعطف ھدی منھم للفاء مع ان قد لتوکید الابتداء ورحمۃ للاستفھام مع الفاء وصدق عنھا یصدفون بعض ابائ ربک خبر منتظرون فی شی یفعلون امثالھا لابتداء شرطا وجوابہ لا یظلمون مستقیما لاحتمال ان دینا نصب علی البدل من محل الصراط او علی الاغراء ای الزموا حنیفا لابتداء النفی مع اتحاد المعنی المشرکین العالمین لا شریک لہ المسلمین کل شی لانتھاء الاستفھام الی الانکار الاحلھا التفصیل الامر بن علی التھویل مع اتفاق الجملتین اخری لان ثم لترتیب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون ایتکم العقاب للتفصیل بین تقدیر وتغییر او لوصل للعطف وضع رحیم التفسیر لما بین فساد ما یقولہ الکفار فی باب التحلیل والتحریم اتبعہ البیان الثانی فی الباب فقال قل تعالوا وھو لغۃ اھل الحجاز صاعا مالا ان اصلیان بقولہ من کان فی مکان عال طن ھو اسفل منہ وما فی قولہ ما حرم اما منصوب بفعل التلاوۃ ای اتل الذی حرمہ ربکم فالعائد محذوف وقولہ علیکم یکون متعلقا بانل او بحرم واما منصوب بحرم علی ان ما استفھامیۃ فلا راجع والمعنی اتل ای شی حرم لان التلاوۃ نوع من القول وتقدیم المفعول المخصص فان قیل قولہ ان لا تشرکوا بہ شیئا وبالوالدین احسانا کالتفصیل لما اجملہ فی قولہ ما حرم فلزم ان یکون ترک الشرک والاحسان الی الوالدین محرما فالجواب ان المراد من التحریم البیان المضبوط والکلام ثم عند قولہ ما حرم ربکم ثم ابتداء فقال علیکم ان لا تشرکوا او المفسر ای ذلک التحریم ھو قولہ لا تشرکوا وھذا فی النواھی واضح واما الاوامر فیعلم بالقرینۃ ان التحریم راجع الی اضدادھا وھی الاساء الی الوالدین وبخس الکیل والمیزان وترک العدل فی القول ونکث عھد اللہ ولا یجوز ان یجعل ان ناصبۃ والا لزم عطف الطلب علی الامر علی الخبر واعلم انہ سبحانہ بین فرق المشرکین فی ھذہ السورۃ احسن بیان وذلک ان منھم من یجعل الاصنام شرکاء للہ تعالی فاشار الیھم بقولہ واذا قال ابو ھیم لابیہ ازر اتتخذ اصناما الھۃ ومنھم عبدۃ الکواکب الذین ابطل اقوالھم بقولہ لا احب الافلین ومنھم القائلون بزدان واھرمن ومنھم الذین یقولون الملائکۃ بنات اللہ والمسیح ابن اللہ وزنیف معتقدھم بقولہ وجعلوا للہ شرکاء الجن وخلقھم وخرقوا لہ بنین وبنات بغیر علم ثم عمم النھی بقولہ لا تشرکوا بہ شیئا ثم حث علی احسان الوالدین وکفی بہ حصلۃ شرفھا ان جعلہ تالیا للتوحید ثم اوجب رعایۃ حقوق الاولاد بعد رعایۃ حقوق الوالدین ومعنی من املاق ای من خوف الفقر کما صرح بذلک بقولہ الایۃ الاخری ولا تقتلوا اولادکم خشیۃ املاق کانوا یدفنون البنات احیا بعضھم للغیرۃ وبعضھم لخوف الاملاق وھو اسبب الغالب فلذلک ان بل ذلک لوھم بقولہ نحن نرزقکم وایاھم فکما یجب علی الوالد الاتکال فی رزق نفسہ علی اللہ فکذا القول فی حال الولد قال ثم املاق الرجل اذا افتقر املاق الدھر ما عنده اذا افسده وانما قال ھھنا نحن نرزقکم وایاھم وقال فی سبحان بالعکس لان التقدیم فی الایۃ من املاق بکم نحن نرزقکم وایاھم وھنالک ترید الخشیۃ التی تتعلق بالمستقبل فالتقدیر خشیۃ املاق یقع بھم نحن نرزقھم وایاکم ثم نھی عن قربان الفواحش کلھا ومعنی ما ظھر منھا وما بطن کما مر فی قولہ وذروا ظاھر الاثم وباطنہ وھو ان الانسان اذا احترز عن المعصیۃ فی الظاھر لم یحترز منھا فی الباطن دل علی ان احترازہ عنھا لیس لاجل عبودیۃ اللہ تعالی وامتثال امرہ ولکن لاجل الخوف من مذمۃ الناس ثم افرد من جملۃ الفواحش قتل النفس المحرمۃ تنبیھا علی خطرھا ولما یتعلق بھا من الاستثناء وھو قولہ الا بالحق وذلک ان قتل النفس المحرمۃ قد یکون حقا لجرم صدر عنھا کما جاء فی الحدیث لا یحل دم امرء مسلم الا لاحدی ثلث کفر بعد ایمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغیر حق وبشرط فی سلک جزاء قاطع الطریق والحاصل ان الاصل فی قتل النفس ھو الحرمۃ وحملہ لا یثبت الا لامر منفصل ثم لما بین النواھی الخمسۃ اتبعہ الکلام الذی یقرب الی القلوب لقبول فقال ذلکم وصیکم لما فی لفظ التوصیۃ من الرفق والاستعطاف ومعنی لعلکم تعقلون لکی تعقلوا فوائد ھذہ التکالیف ومنافعھا فی الدین والدنیا ثم ذکر ابعض انواع اخر من التکالیف وذلک قولہ ولا تقربوا مال الیتیم الا بالتی ای بالخصلۃ او الطریقۃ التی ھی احسن السعی فی تثمیرہ وانمائہ ورعایۃ وجوہ الغبطۃ لاجل کما مر فی اول سورۃ النساء حتی یبلغ اشدہ ای احفظوا مالہ الی ھذہ الغایۃ ای اوان الاحتلام ولکن بشرط ان یونس منہ الرشد قال القراء واحد الاشد شد فی القیاس ورشد ولم یسمع وقال ابو الھیثم الواحد شدۃ کنعمۃ فی نعمۃ والشدۃ القوۃ

املاق لازم و متعد

ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كانك وعناظيرها واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل والتسوية وايفاء الكيل
اتمامه خلاف البخس قوله والميزان اى الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطي بايتاء
ذي الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال لا نكلف نفسا الا وسعها ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة
والتسوية لا التحقيق المؤدي الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة بهذا ان هذا القدر من التضييق حرج لا يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع
انه لا قدرة له عليه او يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم يبناه عنه وعورض بالعلم والداعي كما تقدم مرارا واذا قلتم فاعدلوا ولو
كان المقول له او عليه ذا قربى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهي والاولى ان يحمل على الاقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل في
الى الدين وتقريرا لدلائل عليه بان يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرءا عن النقض ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهي
كذا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يحوي فيه بين القريب البعيد ولا ينظر الا رضاء الله
وختم الاوامر بقوله ووبعهد الله اوفوا كما قال اوفوا بالعقود وبهذا يجري في هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة وان هذا صراطي من قرأ
بالفتح والتخفيف فاعماله في ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم وائل انه هذا صراطي وكذا من قرأ بالتشديد وبالفتح لان ضمير الشان
لا يقدر وان شئت جعلتها مخففة متعلقا بما قبلها اى ذلكم وصيكم به وبان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ومن كسر فلان
الثلاثة في معنى القول وعلى الاستيناف والمعنى اتبعوا صراطي انه مستقيم ولا تتبعوا السبل المختلفة الذين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فتفرق بكم اباء التعديه اى فيفرقكم ذلك الاتباع عن سبيله المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وآله انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو
اليه ثم تلا هذه الاية هذه الاية بالحقيقة اجمال لما في الايتين المتقدمتين وهذا ختمها بالتقوى التي هي ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله
لعلكم تعقلون لانها امور ظاهرة جلية يكفي في تعلقها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لعلكم تذكرون لان المذكورة فيها امور
خفية يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او نقول الامور الخمسة المذكورة في الاية الاولى كلها عظام جسام وكانت
الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بها في الانسان من اشرف السجايا وهو العقل الذي متاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة
في الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجري مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تذكرون اى تتعظون بمواعظ الله تعالى
قوله ثم اتينا موسى الكتاب معطوف على وصيكم فسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف
التسعة المذكورة تكاليف لا يختلف بحسب اختلاف الشرايع كما روي عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل
انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفسي بيده ان هذه الايات لاول شئ في التوراة
مخصصة بها فهي اما حادثة بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسى
الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان في الاية حذفا تقديره ثم قلنا محمد صلى الله عليه وآله انا اتينا والمعنى انا نتلوها او نوحي اليك ثم
اتل عليهم خبر انا اتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله وجعلوا له اسحق ويعقوب وقوله تماما على الذي احسن
مفعول له اى اتممنا نعمنا على الذي احسن اى على من كان محسنا صالحا او المراد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ
وكل ما امر به او تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشئ اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه وقرئ احسن بالرفع على الذي
الذي هو احسن دين وارضاه وتفصيلا لكل شئ يدخل في ذلك بيان بتوفيق رسولنا صلى الله عليه وآله وصحبه ذبه وشرعه وهدى
ودلالة ورحمة لكي تؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم به من ثواب وعقاب وهذا كتاب انزلناه لا شك انه القرآن مبارك كثير الخير والنفع او ثابت
لا ينطرق اليه النسخ كما في الكتابين فاتبعوه واتقوا لكي ترحموا الان العرض من التقوى رحمة الله تعالى اتقوا لترحموا واجعلوا التقوى واتقوا مخالفته
على رجاء الرحمة قال الفراء قوله ان تقولوا مفعول وانقوا وقال الكسائي التقدير واتانا انزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا انزلناه كراهة
ان تقولوا والخطاب لاهل مكة انما انزل الكتاب اى التوراة والانجيل على طائفتين من قبلنا اليهود والنصارى وان كنا هي المخففة من الثقيلة
واللام في لغافلين هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم
وكثرة حفظهم لايام العرب وقايعها وخطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال فقد جاءكم
اى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو انزل عليكم الكتاب لكنتم اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم فيما يعلم سمعا
وهدى فيما يعلم سمعا وعقلا ورحمة من الله في صالح المعاش والمعاد فمن اظلم بعد هذه الحجج والبينات ممن كذب بايات الله وصد
عنها اى منع غيره منها لان الاول ضلال والثاني اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة
العذر لا يؤمنون البتة وشرح احوالا يوجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هل ينظرون اى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفي و
تقدير الاية انهم لا يؤمنون بان لا عند مجئ احد هذه الامور مجئ الملائكة او مجئ الرب وبعض بعذابه وباشراط كما سلف في البقرة او مجئ

وما التوفيق الا من عند الله

يجوز ان الملائكة قال ابن الكمال الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب فيجمع ترتيب يجمع كل ابنة ثم يوم يأتي بعض ايات ربك واجمعوا على ان المراد بها الآيات
علامات القيمة عن ابن عباس قال كانت اذا كان امر الساعة اذا شرف النبي صلى الله عليه وآله فقال اشد اكرمن الساعة انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر
ايات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونار تخرج من عدن والمراد انها اذا بدت اشراط الساعة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا ايمانها ولا
نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم او عدهم بقوله قل انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله ان الذين فارقوا دينهم وفرقوا ومعنى
الفراقين في الحقيقة واحد لان الذي فرق دينه بعضا نه اقر ببعض وكفر ببعض فقد فارق ما تركه قال ابن عباس يريد اهل الشرك بعضهم بعبادة
الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم بعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا اي فرقا واختلفوا في الضلالة
والشعبة كل فرقة تشيع اماما لها وقال مجاهد ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الطاوية الا واحدة وهي التي نجت وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الطاوية وتفترق امتي على ثلث وسبعين
كلها في الطاوية الا واحدة لست منهم في شيء اي انك بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على ذلك لا بالحمل مقصور عليهم لا يتعداهم اليك
وقال السدي معناه لم تؤمر بقتالهم فلما امرت بقتالهم نسخ ويحتمل ان يكون النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر في وقت اخر فلا نسخ انما امرهم الله بالاستيصال
والاهلاك ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي الاية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة ليستأصلوا الخوارج بل كافة
من جاء بالحسنة فله الا الله والسيئة الشرك والاول حملها على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها بالرفع والتنوين قبل هذا اقل الموعود وقد وعد سبع مائة وبغير حساب قيل لبس المراد التحديد بل اراد الاضعاف مطلقا قول القائل لو اسلمت
الي معروفا لكافيتك بعشرة امثاله وفي الموعد لمن كافئ واحدة لا كلمنك عشرا وروى ابو ذر ان النبي صلى الله عليه وآله قال عز الله تعالى الحسنة عشر او ازيد
والسيئة واحدة او اغفر فالرب لمن غلبت احاده اعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها
فان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم سئل بعضهم ما الحكمة في الاضعاف اجابه كان اللائم اعمار طويلة وطاعات
كثيرة فوضع الله هذه الامة ليلة القدر خير من الف شهر اضعف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة ايتها الصابرون اجرهم بغير حساب اوتوا اجورهم مرتين لايمانهم بالانبياء الماضين وايمانهم بالنبي المبعوث فيهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الى الجنة بقي الاضعاف اضافة
الله من فضله هو من رحمتي فلا انقبض منهم ابدا ان خوفي يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب
الابد بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم الذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فالجزم يكون عقوبته منقطعة وانهم الذي جعله الكافر وهو ذات
القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جعله لا نهائيا فكذا عقابه اخراق الرقبة اولحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في
غاية الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام قلائل اخر احدث في راس انسان موضحتين فوجب ثمانية فان عاد ورفع الحاجز بينهما صارا لواجب ثلثين موضحة
واحدة فههنا ازدادت الجناية وقل العقاب اخر قد يجتمع بسبب طرف تبان ولطائف قتل ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد يقتص
الى نيف وعشرين الاذنان او ابطال حسهما العينان او البصر الاجفان المأقرين الشفتان اللسان والنطق الاسنان اليدان الذكر او
الانثيان او الجلتان الحملان والشعران والاليتان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال
لذة الطعام الافضاء البطش المشي وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجاج فان عاد الجاني قبل الاندمال وجب الوقبة او قال
بصفير يجب الدية النفس وكل ذلك يدل على ان غاية الثلثة وغير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسئلة الثلثة ان هذه الامور من تعبدات
الشرع المطهر تحكمانه فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف لما لم يتقدر بالاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط
تلك الجراحات الحقيقة موكول الى يوم الجزاء والله اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب
والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا يكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب
فيما اذا كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال اخرون لا بعد ان يكون
الواحد ثوابا الا ان يكون اعلى شانا من التسعة الباقية ثم لما علم رسول الله صلى الله عليه وآله انواع الدلائل والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات
القضاء والقدر رد على اهل الجاهلية اذا طيلهم امر بان يقول لنبي هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل تبعا لمن قام مستقيما
من ساد ومن قام قياما فعلى انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابراهيم عطف بيان وحنيفا من ابرهيم او من الملة والمعنى هداني
وعرفني ملة ابرهيم كونه او كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابرهيم وما كان من المشركين رد دعلى من زعم عليه شيئا من ذلك ثم ذكر الدين القويم
والطريق المستقيم علم كيف يصنع بربوبيته فقال قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي وتفرغي اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك
سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل المتعبد فاسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك
ههنا الذبائح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي فعلى هذا من مناسك الحج ومحياي وحياتي وما لي اي جعلوني وموتي مصدر

الايقاظ

امرتم بما امر به المرسلين

ميتا وقال في الكشاف المراد وما انيته وحبوني واموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يؤتى بها كيف كانت بل لا بد ان يكون بجميع وكمالها مزيدا وسكانه لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته وقال في الفسر الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها والغرض بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه فذلك ان الحياة والممات بخلق الله فكذا الصلوة والنسك وبذلك من التوحيد المخلص امر ان يذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل اغير الله ابغي ربا وتقديره ان طوائف المشركين من عبدة الاصنام والكواكب من اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا على المشركين اتطلب ربا مع ان هؤلاء الذين اتخذوا من دونه اربابا مقرون بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب والمولى وبوجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد الواجب لذاته فهو ان رب كل شئ وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غير ثم لما بين الدليل القاطع على التوحيد وكونه لا يرجع اليه عن كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تؤخذ نفس اثم نفس باثم هذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء المشركين الى موضع لا حاكم هناك الى الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدا والوسط والمعاد على سبيل الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قبل الخطاب لبني ادم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لانه جعل محمد صلى الله عليه وآله لانه خاتم النبيين يخلف من سبقه من سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتميز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدالة والتدبير والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايفاء العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم فادخل اللام في قرينة الترغيب واسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تقبض عنه بالذات والقهر والتعذيب يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضرورات الملك وهذا دليل سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات قريب وانما اسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك تقدير وعقيب كرامتهم فناسب التاكيد باللام وانما اخر قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون اول كمال راقد وفوا نشأ التاويل من املاق فيه ترك التوكل على الله وعدم التثقة بالله واوفوا الكيل اوفوا بالكيل وبالميزان الشرع حقوق توبيته واستوفوا بكمال الاجتهاد وبالميزان الاقتصاد محفوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله اوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا ترجوا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله عليه وآله وسلم وطريقته على الذي احسن اي على من احسن من امثال اسلامه وفهمان الكتب المنزلة كلها وشرايع الانبيا كانت تمهيدا للدين الحنيفي الذي هو الاسلام وهذا امر برهاني يقتدي بالانبيا يجمع بين هداه وهداهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وبركاته انزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة من ربكم طريق السير الى الله وهدى ما يهدي بكم الى الله تام وكامل مما جاء في الكتابين فلا ترتب ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة عيانا وبسوقهم الى الله قهرا والجاء او ياتي ربك اذلة يا تو اليسير في متابعتك قل انتظروا للمستهزئين انا منتظرون للبغاة في المعاد ان الذين فارقوا الدين الحنيفي الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرحا مختلفة من المتقدمين والمتاخرة ومن المزينة دياء وسمعة وعملا التزوير والحدة المتفلسفة لست منهم في شئ لا تلك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما امرهم الى الله في بدل الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزاء بما استحقه كل منهم من جا بالحسنة فله عشر امثالها قبل ذلك حتى يقدر على الانيان بتلك الحسنة ومن حسنة الابجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل وحسنة انزال الكتب وحسنة تهيئة للحسنات من التمكن وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بدن وعي في ارض النفس والنقص حيث لانها امارة بالسوء والحسنة بدن وعي في ارض القلب القلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات والمات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان اربع مراتب النفس القلب الروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس اي اذا صدر عن عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائتين وفي مرتبة السر يكون بالف الى اضعاف كثيرة بقدر صفا السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء في القرآن والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل اني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية وسلكني في سرعلى منهاج الصلوة معراج المؤمن ومحياي اي حيوتي قلبي وروحي ومماتي اي موتي نفسي لطالب العالمين والوصول اليه وانا اول المستسلمين عند الايجاد لامركن كما قال ما خلق الله نورى قل اغير الله كيف اطلب غير الله وهو حبيبي والمحب لا يطلب الا الحبيب وانا هو رب كل شئ فيكون ماله الى وان طلبت غيره ودونه يكون ذلك الغير علة

لالى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها الا ما رحم ربك ولا تزر وازرة وزر اخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا يتأثر بعذابها وانما يكون النفس فقط مأخوذة بوزرها معاقبة بما هي اهله وان كان القلب منقلب الحال وازاغه الله تعالى باصبع القهر الى محاذات النفس فيصدأ مرآة القلب لصفات النفس واخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزل عنه الصفاء والطهارة والسلامة والتذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظايف العبودية فيكون مأخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو الذي جعل كل واحد من بني آدم وقته وخليفة ربه في الارض وسترا لخلافته ان صوره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المتخلق باخلاقه منكم القائم بحدوده في العبادات والبلاد من الذي رجع القهقرى الى صفات البهائم وابطل الاستعداد للخلافة بالتخلق بالطبع والحبس في سجين الطبيعة غفورا رحيما لمن رفع نفسه عما دونها ورفع درجاته الله هب سورة الاعراف مكية الا خمس آيات وستمائة وست وستون آية ٦٦٥ ثلثمائة واثنتان وثلاثون حرفا ٣٣٢ واثنتا عشرة كلمة ١٢ واحدى واربعون آية ٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا

كتابى است كه فرود آمد بسوى تو پس نباشد در سينه تو تنگى زان تا بترسانى بان و پندى است از براى مؤمنان پيروى كنيد آنچه فرستاده شده است بسوى شما از پروردگار شما و

تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم

مشابعت مكنيد از غير او دوستانرا چه بسيار كم پند گيريد و چه قدر از دهها كه هلاك كرديم از پس آمد او را عذاب ما در شب يا كه ايشان در خفته بودند پس بود عوان ايشان

اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم

چون كه آمد ايشرا عذاب ما مگر كه گفتند كه ما بوديم ستمكاران پس هر آينه سؤال كنيم پيغمبرانرا و هر آينه سؤال كنيم پيغمبرانرا پس هر آينه حكايت كنيم بر ايشان

بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك

بعلم خود و نبوديم از ايشان و ترازو در آن روز حقست پس آنكه سنگين شد ترازوى پس آنگروه ايشانند رستگاران و هر كه سبك شد ترازوى پس آنگروه

الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون

ايشانند كه زيان كردند تنهاى خود را بآنچه بودند بآيات ما ستم ميكردند و هر آينه جاى داديم شما را در زمين و قرار داديم شما را در آن كوشكها و كامرانيها اندران كه سپاس گذاريد

القراء يبتدئ بنبأ الغيبة ثم التفعل ابن عامر والباقون كما مر في الانعام الوقوف المص كوفي للمؤمنين وليتذكروا تامة قالون نصف الجزء والربع الثاني من القرآن ظالمين المرسلين للعطف غائبين الحق للابتداء الشرط مع فاء التعقيب المفلحون يظلمون معايش تشكرون التفسير قد تقدم في اول الكتاب مبلغ هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافضل وقال السدي معناه انا الصادق وقيل معناه

الم تشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد في الرعد راء لقوله بعد رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتداء وكتاب بمعنى السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز ان يكون المص خبر مبتداء محذوف وكذا كتاب اي هذا المص هو كتاب انزل عليك والدليل على انه منزل من الله تعالى هو انه مع انه لم يتعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك اربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والآخرين فان بقي شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي الى غير القرآن فنقول ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجب بان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كان المتيقن منفسح الصدر منشرح ومعنى اي من شان الكتاب ان لا شك انه منزل من عند الله او من تبليغ اي لا يضيق صدرك من الاداء وتوجيه النهي الى الحرج كقولهم لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب وبنده ومثل قوله تعالى ولا يجدوا فيكم غلظة ظاهره امر للكافرين وانه في الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على الكافرين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتاخير اي انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتاخير ان الاقدام على الانذار وتبليغ الدين لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي اي لا يكن في صدرك شك كي تقدر على انذار غيرك لانك اذا لم تنذرهم انذروهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لوثوقه كله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم اي يريد ان يبين ويهديكم ويتوب عليكم ولا تضعف عن ان تنذر به وقيل ان تقدروا الكلام هذا الكتاب انزل الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان ما اتاك الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالابلاغ

والانذار

والانذار اشتغال الرجال الابطال والابناء باحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ القصص قبل وقيل الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكر وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وتذكر ذكرى والرفع عطفا على كتاب وباقية خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اى للانذار وللذكرى وانما نزل على محل لتنذر لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر الذات الجسمانية فتحتاج الى زاجر قوى ومنها مشرقة بالانوار الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها الغواشي من عالم الجسم فعرضت لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى تذكروا معادهم وانتباهوا الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلا يحتاجون الا الى تذكرة وتنبيه ثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا حق النفوس وذكرى في شان طائفة ثم كما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوى وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون بذلك مكلفون به والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقرآن والسنة جميعا عن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وما انزل الله على تخصيص عموم القرآن بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل واجبة فلو عمل بالقياس لكونه مستفادا من القرآن وهو قوله فاعتبروا يا اولى الابصار لزم ايضا فلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتلاء ومن العمل بالمنزل بواسطة العمل بالامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اى لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه للمنزل اى لا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء احتج نفاة القياس بان لا يدل على انه لا يجوز متابعة غير المنزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير المنزل فلا يجوز لانا نقول العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله فاعتبروا ولانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد تمسك الامة على عدم تكفير اصحاب مثبتوا القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم لهل مظنون فلا يعارض القاطع ورد بانكم ابتعتم ان الاجماع حجة بقوله وبتبع غير سبيل المؤمنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع امتي على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الايات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوى الظن وحصل الترجيح ومن انكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل العقلية فكيف تنكر ثم ختم الحادثة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما نزل المنتقم من الوعيد فقال وكم من قرية فوضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اى كثير من القرى اهلكناها مثل زيد ضربته وتقدير النصب بضاعفت جيدا في الاية حذف لان القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكنه يقال التقدير وكم من اهل قرية لقوله فجاءها باسنا والباس بالاهلاك انسب لقوله او هم قائلون ولان الرجوع والتحذير لا يقع للمكلفين الا بهلاكهم وكل معنى البيات والقيلولة لا يصح الا بهم وانما قال فجاءها ردا بالكلام على اللفظ او كما يقال الرجال فعلت وهنا سؤال وهو انه قوله فجاءها باسنا يقتضي ان يكون مقدما على مجيء الباس ولكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها واردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء الباس واحد فكانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاء هم اهلاكنا وهذا كلام صحيح فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء الباس جار مجرى التفسير للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يكون الباس والاهلاك يقعان معا كما تقول اعطيتني فاحسنت الي كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف اي فاهلكناهم فجاءها باسنا فحكم مجيء الباس كان الاهلاك امارة للحكم بوصول مجيء الباس ومنها انه من باب القلب الذي يشتمل عليه من الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض وقوله بيانا فان الجوهر بيت العدد والجمع بيوت والكناف انه مصدر بان الرجل بيانا حسنا وعلى القولين فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين او مبيتين ثم قال او هم قائلون والجملة حال معطوفة على بيانا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بائتين وانما حسن ترك الواو وههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا الاتيان بالواو والحال قريب من الصفة والعطف لا سيما استغنى منها للوصل فالجمع بين حرفي العطف وبينه جمع بين المثلين مستقبح فقول جار الله زيد راجل او هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نوم الظهيرة وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم اقول تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والفراغ والامن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق امارة فربما قد

لزم التناقض في قبول العمل بالقياس ص

بان كون القياس ص

ان فعلها ص

الليل مسرورا بأول الحوادث قد بطرتهم أسحارا فقوم لوط هلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت الضحى ولذلك قدم زمانهم عند مجئ الناس فقال فما كان جواب قومه أي ما كانوا يدعون من قبل دينهم ويتخلون عن مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفشأ والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرارهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم لقوم مقام الدعاء حكى سيبويه اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم بعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم فلا بد من ذم انفسهم وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا بجوز ان يكون نصبا او رفعا كما سبق في اعراب نحو ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيدا اجمالا فقال ولنسئلن الذين ارسل اليهم سئال المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم ينادهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فلنقصن عليهم اي على الرسل والمرسل اليهم اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غائبين عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة في سئوال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم والتقصير تقريعا وتوبيخا فان قيل ما الفائدة في سئوال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا بلى لكل تقصير بالامر فيضاعف اكرام الله تعالى حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير ويتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنقصن وبين قوله يومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها ولكنهم يسئلون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها او المراد نفي سئوال الاستفادة والاسترشاد واثبات التوبيخ والاهانة فلا تناقض في الآيتين بطل قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شئ في الارض ولا في السموات فالاطيبة لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشئ من الاحياز والجهات والا كان غائبا عن غيره ثم بين ان من جملة احوال يوم القيمة وزن الاعمال فقال والوزن هو مبتدأ خبره يومئذ وقوله الحق صفة المبتدأ اي الوزن العدل يوم يسئل الله الامم ورسلهم وقبل لا يجوز الاخبار عن شئ وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبرا ويومئذ ظرفا للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفي كيفية الميزان قولان الاول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزانا له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان احدهما ان المؤمن يتصور اعماله بصور حسنة واعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور وذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التي يكون فيها اعمال العباد روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب العالمين ينصب بين الجن والانس فيقبل به العرش احد كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احداهما لوسعتهن وجبرئيل اخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله يؤتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين سجلا مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فيوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله فيوضع في الاخرى فرجح قال القاضي يجب ان يحمل هذا على انه ربما ان بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اعزاء على المعصية وردها خلاف الظاهر وبالجملة لا بعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة اوفى واوفر من سائر الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف العقائد والاعمال روى الواحدي في البسيط انه اذا اخذ حساب المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من جهنم بطاقة كالانملة فيها فيها في كفة الميزان التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وآله بابي انت وامي ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبتك وهذا صلواتك التي كنت تصلها علي قد وافتك اليوم ما تكون ايها القول الثاني قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتاخرين ان المراد من الميزان العدل لان العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا بعد جعل الوزن مجازا عن العدل وما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قلما تبقى وبعد من وزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها واما قولهم الموزون صحائف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقاديرها فقول المكلف يوم القيمة اما ان يكون مقرا بانه تعالى عادل حكيم وح يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بانه عدل وصواب واما ان لا يكون مقرا فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان اجاب الاولون بان جميع المكلفين يعترفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور لكن الفائدة في وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر واختلف العلماء ايضا في كيفية الرجحان فقال بعضهم يظهر هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وقال اخرون بل يظهر الرجحان في الكفة واختلف ايضا في الموازين فقيل انها جمع موزون واراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين بهذه الصفة فالموجب لترك الظاهر والمصير الى التاويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وايضا لا يبعد ان يكون لافعال القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان وما يتعلق بالقول ميزان اخر ثم المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر اهل الموقف في قسمين منهم من يدخل حسنات ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم اهل الكفر لانه حكم عليهم بانهم الذين خسروا

انفسهم بسبب الظلم بایات الله ای لکذبهم بها وهذا لایلیق الا بالکافر ولئن سلم ان العاصی معاقب لکنه یعاقب تأدیبا ثم یعفی عنه ویتخلص الی رحمة الله تعالی فهو بالحقیقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ولا یلزم من خسران الدارین خسران احدهما ولا انقطاع قبل الابد بل الانقطاع الذی یکون حسنا هو انقطاع مستعد لتبین متناسبین فهو موجود والله اعلم ثم لما فرغ من التخویف بالعذاب الحال بنی فی قبول دعوة الانبیاء بطریق اخر وهو تذکر النعم فان ذلک یوجب الطاعة فقال ولقد مکناکم فی الارض اقدرناکم علی التصرف فیها وجعلنا لکم فیها معایش هی جمع معیشة وهی ما یعاش به من المطاعم والمشارب وغیرها او ما یتوصل به الی ذلک والجملة وجوه المنافع التی یحصل بتخلیق الله تعالی ابتداء کالاثمار او بواسطة کالاکتساب الوجودی معایش تصریح الیاء لانها اصلیة لازیادة کصحایف بالهمز فی صحیفة وعن ابن عامر انه قرأ فی بعض الروایات الهمز تشبیها بصحایف واستبعد النحویون البصریون ثم عاتب المکلفین بانهم لا یقومون بشکر نعمه کما ینبغی فقال قلیلا ما تشکرون وفیه اشارة الی انهم یجب ان یشکروا وقلیل من عبادی الشکور والمتأول المعترف بانه من لطف الله فرد عباده للتجهد والمعترف بانعم علیهم بالتصدق والصابر لقبول الهبوی کالذی المعرفة والمحبة بواسطة کتاب انزل علی قلبک فانفسح له صدرک وانشرح فلم یبق فیه ضیق وحرج بخلاف ما انزل من الکتب الی الالواح والتحف فقد عرض لبعضهم ضیق عظیم فالقی الالواح وکاشرف بنبیه بالکتاب المنزل علی قلبه حتی صار خلقه القرآن اشرف امته بان امرهم باتباع ما انزل الیهم لیتخلقوا باخلاق الله وکم من قریة قلبنا فسدنا استعدادها فجاءهم باسنا ای اخذناهم بأصبع القهر بغتة وهم نائمون علی فراش الحسبان نائمون فی نهار الخذلان فما کان دعاءهم الا ان قالوا انا کنا ظالمین بل کانوا ظالمین فنسبوا التصرف الی انفسهم ولم یعلموا ان الله نعم مقلب افئدتهم وابصارهم فلنسئلن الذین ارسل الیهم وهم عامة الحلایق هل قبلتم الدعوة وعلمتم بما امرتم لا ینکون السؤال سؤال تعنیف وتعذیب وهم الذین قبلوا الدعوة فیکون السؤال سؤال تشریف وتقریب ولنسألن المرسلین سؤال انعام واکرام هل بلغتم وهل وجدتم اما قابل الدعوة فلنقصن علیهم بعلم فلنعلمن انا ارسلنا الرسل الیهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظیم وخطب جسیم وما کنا غائبین عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل الیهم بالتوفیق والعنایة والوزن یومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا یقیم لهم یوم القیمة وزنا وروی انه یؤتی بالرجل العظیم الطویل الاکول الشروب فلا یزن جناح بعوضة وقیل هو ان یؤتی بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الکاملة فاولئک هم المفلحون ومن مزانینه ثم وانما جمع الموازین لان لبدن کل مکلف میزانا یوزن به اعماله ولنفسه میزانا یوزن به صفاتها ولقلبه میزانا یوزن به اوصافه ولروحه میزانا یوزن به نعوته ولسره میزانا یوزن به احواله ولخفیه میزانا یوزن به اخلاقه والخفی الطیفة الروحانیة قابلة لفیض الاخلاق الربانیة وهذا قال صلی الله علیه وآله ما وضع فی المیزان شیء اثقل من حسن الخلق وذلک لان الهیئة من نعوت الخلوقین وانما هو خلوق رب العالمین والعباد مامورون بالتخلق باخلاق الله فخسروا انفسهم افسدوا استعدادها ولقد مکناکم فی الارض ایها الثقلان ما لکم خلافة الارض دون غیرکم من الحیوانات والملک وجعلنا لکم خاصة معایش لکل صنف منا الملک والحیوانات معیشة واحدة وذلک ان الانسان مجموع من الملکیة والحیوانیة والشیطانیة والانسانیة فمعیشة الملک هی معیشة روحه ومعیشة الحیوان هی معیشة بدنه ومعیشة الشیطان هی معیشة نفسه الامارة بالسوء وقد حصل الانسان بهذا الترکیب ما لم یحصل لغیره من الاشیاء ولکن لکل واحد من الملک والحیوان والشیطان والقلب السر والخفی فمعیشة قلبه هی معیشة سره هی الکشوف ومعیشة خفیه هی الوصال والوصول

ع

ولقد خلقناکم ثم صورناکم ثم قلنا للملائکة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابلیس لم یکن من الساجدین قال ما منعک

و هر آینه آفریدیم شما را پس صورت بستیم شما را پس گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید مر آدم را پس سجده کردند بجز ابلیس که نبود از

الا تسجد اذ امرتک قال انا خیر منه خلقتنی من نار وخلقته من طین قال فاهبط منها فما یکون لک ان تتکبر

سجده کنندگان گفت که چه واداشت ترا

که سجده نکردی چون بفرمودم ترا گفت که من بهترم از ان آفریدی مرا از آتش وآفریدی ورا از گل گفت پس فرود شو از جنت پس نیست ترا که

فیها فاخرج انک من الصاغرین قال انظرنی الی یوم یبعثون قال انک من المنظرین قال فبما اغویتنی

درآن پس بیرون رو که تو از زبونانی گفت که باز دار مرا تا روزی که مردمان زنده شوند گفت که تو از مهلت داده شدگانی گفت که پس بسبب گمراه کردن مرا

لاقعدن لهم صراطک المستقیم ثم لآتینهم من بین ایدیهم ومن خلفهم وعن ایمانهم وعن شمائلهم ولا تجد

هر آینه بنشینم مر ایشان را براه تو که راست است پس هر آینه بیایم ایشان را از پیش روی ایشان واز پشت ایشان واز طرف راست ایشان واز طرف چپ ایشان وبنیاد

اکثرهم شاکرین قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعک منهم لاملئن جهنم منکم اجمعین ویا ادم

بیشتر ایشان را سپاسگزاران گفت که بیرون رو ازان نکوهیده ورانده هر آینه هر که پیروی کند ترا از ایشان هر آینه پر کنم دوزخ را از شما همه

اسکن انت وزوجک الجنة فکلا من حیث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتکونا من الظالمین فوسوس

وای ادم ساکن شو تو وزن تو بهشت پس بخورید از هر جا که خواستید ونزدیک مشوید این درخت را پس بعهد شوید از ستمکاران پس وسوسه کرد

لهما الشیطان لیبدی لهما ما وری عنهما من سوءاتهما وقال ما نهیکما ربکما عن هذه الشجرة الا ان تکونا ملکین

مران را شیطان تا ظاهر کند مران را انچه پوشیده بود ازانها از عورتهای ایشان وگفت که نهی نکرد شما را پروردگار شما ازین درخت مگر بدانکه

او تکونا من الخالدین وقاسمهما انی لکما لمن الناصحین فدلیهما بغرور فلما ذاقا الشجرة

یا بشوید از جاویدان وسوگند خورد بایشان که من مر شما را هر اینه از پندهندگانم پس فرود کرد ایشان را بفریب پس چون چشیدند از درخت

بَدَتْ لَهُمَا سَوْاٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادٰىهُمَا رَبُّهُمَا اَلَمْ اَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ

وَاَقُلْ لَّكُمَا اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ اَنْفُسَنَا وَاِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ

الْخٰسِرِيْنَ قَالَ اهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَّمَتَاعٌ اِلٰى حِيْنٍ قَالَ فِيْهَا تَحْيَوْنَ وَفِيْهَا تَمُوْتُوْنَ وَمِنْهَا تُخْرَجُوْنَ

القراءة لامالان بتليين الهمزة الثانية حيث كان الا حمزة وشد حمزة في الوقف يخرجون ما الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله اعلم الوقوف الا ابليس لا تعمه فلا يصح ايهامه صفته له الساجدين اذ امرتك منه لانقطاع النظم من اتحاد المقول طيبة الصاغرين يبعثون المنظرين المستقيم للعطف شئتما لا تشاكون مدحورا لان ما بعده ابتداء قسم محمد وفي اجمعين الظالمين الخالدون الناصحين يغرونكما لان جواب لما منتظر مع الفاء وقد الجنة لان الواو للاستيناف مهين انفسنا للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين عدو لعطف المختلفين الى تخرجون التغيير من جملة نعم الله تعالى علينا ان خلق ابانا ادم مجعله مسجودا للملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تلك النعم ونظير هذه الايات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعم على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل ادم خليفة في الارض مسجودا للملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بالعباد هذه النعم الجسام وقصة ادم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله في سبعة مواضع في البقرة وههنا وفي الحجر وسبحان وفي الكهف وفي طه وفي ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي ان امر الملائكة بالسجود لادم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اي خلقنا اباكم ادم ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم ومنها حسن هذه الكناية لان ادم عليه السلام اصل البشر نظيره قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقال لهم انتم يا اخا صد قتلتم هذا القبيل وانما قتله احدهم ومنها ان المراد خلقناكم من ادم ثم صورناكم اي صورنا ذرية ادم في ظهره صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق في اللغة التقدير والله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء مختصة بتخصيص كل شئ بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما انه اثبت صور كل كائن كما جاء في الخبر كتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى ادم وامر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رح وهذا التاويل عندي اقرب الوجوه وتاويل هذا السجود وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا قد تقدم في اوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك ان لا تسجد فظاهره يقتضي انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين رح اقوال اوفقها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما في لا اقسم وكما في قوله وليلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادة لا توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب فيما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك تلك لعلمك اراد ان زيادة لا اشارة الى ان المذكور ليلزم منه تحقق المذكور وقيل انما يكون متعلقه محذوفا اي ما منعك من السجود وليس الامر كذلك وان الاستفهام للانكار اي لم يمنعك من ترك السجود شئ كقول القائل لمن ضربه ظلما الذي منعك من ضربي اذ بنا ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه الامور فما امتنعت من ضربي قالت الفلاسفة ان الله تعالى اراد الداعي وكانه قال عاد عالمك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسئل عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشئ مضطر الى خلافه فما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد واقول يمكن ان لا يعلق قوله لان لا تسجد بقوله ما منعك فانما يكون متعلقه محذوفا التقدير وما منعك من السجود ان لا تسجد اي لاجل توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ امرتك امر ايجاب فائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء نقائصه وعجوزه واستدل العلماء بهذه الآية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب لان الذم عليه وان الامر يقتضي الفور والا لما استوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استانف لعين قصة اخر فيها عن نفسه بالفضل على ادم ذكر فيها امورا مبنية على ان هويها امر هو تلك الخيرية هي التي منعته عن السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس محارب لجواهر السموات محارق لطبعها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد رطب بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوية التاثير والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهي مادة الحيوة والتعيش واما الارضية فللبرد واليبس مناسب الموت والحيوة اشرف من الموت وايضا سنى النيرين والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان وبخلافه وقت الشيخوخة فلغلبة البرد واليبس المناسب للارضية و

والمخلوق من الافضل الفضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بجلد من الادون فما قد تقرر في العقول فضلا
شبهة ابليس المقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوايد ليست لغيره وكل منها
ضروري في الوجود في التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه
الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن الطاعن مردود جدا ولو لم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار
والترفع في الارض الوقار المورثة للحلم والوقار والتواضع لكفى به رد الكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة
عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ومن حصل الدخان والتكليف تناول الحي بعد انتهائه
الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال ﷺ يوتى باعمالكم لا اتوتى باسابكم ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء
العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل المفضول تواضعا
واسقاطا لحق النفس ثم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال وتشريف المفضول بالرفع من مقداره وقال العلماء ههنا ان قوله تعالى الا ابليس انكر
اسجدوا لآدم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس اخرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف الدخول في جملة المتكبرين
على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس وبهذا ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة بابليس ولي من القياس
فعصى وقاس اول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين شيء من رايه قرنها الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه
كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار لم يجز كان مخلوقا من النور المحض فيجوز من هو مخلوق من الارض
اولا ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان الشريف اذا رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه وح لا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا
نص ولا قياس واقل من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين شيء من رايه قرنها الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه
كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار لم يجز كان مخلوقا من النور المحض فيجوز من هو مخلوق من الارض
التنصيص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف اوقال على لسان بعض الملائكة فاهبط يعني اذ لم تمتثل امري
فاهبط منها قال ابن عباس بن هبط من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المعتزلة امر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون ينبغي لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان يقول الرجل قم صاغرا اذا اهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار
قال النبي صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى وقت المبعث
هو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعم ذلك بل قال فانك من المنظرين
الى وقت النفخة الاولى الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال
قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال
اخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل عليه ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه
يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله تعالى من
حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء وعلى الكفر والمعاصي كابليس ان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا ينفارق حاله
بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنحوى الفصيل اذا تم والبشم فساد يعرض في جوفه
من كثرة شرب اللبن ولا يكاد يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تلزمك لا يقال والله بن بد لامرن لان حكم القسم وما يتاو مع همزة الاستفهام
وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولاتها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف
وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي بسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء
بالاغواء انه من جملة اثار القدرة اي بقدرتك على ونفاذ سلطانك لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف
والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكانه جعل ابا سبب اصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف
بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعد بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف
بضده فيقول رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب لم يغضب قال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن ويورد على
هذا القول ان اثبات الالف اذا ادخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم
اضاف الاغواء الى نفسه الاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان مجبورا في هذه المسئلة اجاب المعتزلة عن قوله فبما
اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لادم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى اضاف الغواية الى الله وقد يقول لا
تفعل ما اغريتك عند ضربك عبدك او المراد بالاغراء الاهلاك واللعن قالت الاشاعرة نحن لا ننكر ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لكن حاصله كيف
ما كان يرجع على حكاية قول ابليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لا بد له من مغو وليس لك نفس من النفوس الغافلة ان يختار الغواية مع العلم بكونها
غواية والدور والتسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود ما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله لاقعدن

الارض لكان فيها مكان مخلوق قاس مع

الفعل لا من حيث

اي لا تفعل ما اغريتك

يهز الكف يغسل متنه به كما غسل الطريق الغلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيدا الظهر والبطن اى على الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم
لبني آدم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض لمن يقعد على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه تواعد
على الافساد بالوسوسة عوا طبيعا لا يفتر عنه ولهذا ذكر المضارع الدال على التجدد والاستمرار قال في الكشاف ولما اراد المبالغة في تكميل امر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود
واعلم ان العلماء اختلفوا انه ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن
قائل بالثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده
ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكارا للسان لا للقلب هذا معنى كفر العناد ويمكن ان يجاب
بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قال الاشاعرة في الآية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه والا لما امهل ابليس حين
استمهله مع علمه بالمفاسد والقبائح المترتبة على ذلك وتمام تقرير ذلك تقدم لانبياء دعاة الخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى
الكفر والضلال ثم اماته الى ان بعث محمد وابقاه الى يوم القيامة ليدعو الخلق الى الباطل ويضلهم ومن كان هذا مبدأ امره ومنتهاه لا يجب على الله
رعاية مصالحه في شيء من الاشياء وقال المعتزلة ان ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يخلو
الحال بسببه من وجوده وعدمه ولا يجوز ان يقول بقوله احدهما انما يفضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يفضل ايضا بدليل قوله تعالى ثم انكم وما تعبدون ما انتم
عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو فضل بواحد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يفضل به قوم ويكون خلقه جاريا
مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة يوجب الزيادة في الثواب ضعف قول ابي الجبائي فانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا جلس عند
جليسه السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا
الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار والفساق وزينه قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة بمنزلة خلق الشهوة في المصلحة وتقريره الحجة ان خلق تلك الزيادة يوقع في الكفر وعقاب الابد ولو اخر عن تلك الشهوة لغاية ان يزاد ثوابه وحصول هذه الزيادة
شيء لا حاجة اليه والاهم رفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان اله العالم راعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التي لا ضرورة
اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه احدها من بين ايديهم اى شكهم في صحة البعث القيمة ومن خلفهم الى اليهم ان الدنيا فيذهلهم ازلتها
وثانيها من بين ايديهم انفرهم عن الرغبة في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوى رغبتهم في لذات الدنيا وطيباتها فالاخرة بين ايديهم لانهم يرون
اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان والاخرة خلفه
ومن خلفهم الاخرة لانها تاتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر البدعة وعن شمائلهم في انواع
المعاصي وقيل عن ايمانهم في الصرف عن الحق وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم فترهم عن الحسنات وعن شمائلهم اقوى دواعيهم
الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك اى من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اى من المؤخرين وعن
الاصمعي هو عندنا بالعكس بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس وقال حكماء الاسلام ان في البدن قوى ربعا هي الموجبة لقوات السعادات الروحانية
احدها القوة الخيالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة
الوهمية التي يحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد
التي عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة لما لم تشعر بشيء من هذه القوى الاربع لم
يقدر على الفاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبهة المجسمة واما في الافعال
كشبهة المعتزلة في التعديل والتجويز والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فمن بين يديه محضور فيعتقد ان الغائب مثل
الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات
وعن شقيق ما من صباح الا وياتيه الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يديه فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرا وانى لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا واما من خلفه فيخوفه من وقوع اولاده في الفقر فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من يمينه فياتيه من قبل الشهوات
فاقرا والعاقبة للمتقين واما من شماله فياتيه من قبل الشبهات فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه
فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك فعصاه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال له تدع عرض بلادك وتغرب فعصاه فهاجر
فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فتقسم مالك وتنكح زوجتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والرصد من الجهات مثل
لوسوسته اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث
وهو انه كيف قال من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد يختلف حروف الظروف
كما يختلف حروف التعدية على حسب المقامات يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فعن على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى على
انه جلس متجافيا عن شق اليمين مخرفا عنه مائلا صوب له ثم كثر حتى استعمل في المجازي وغيره ونظر في المفعول به وهيئة التهام عن القوس وعلى القوس
لان التهام يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي وبينه وبين الرامي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فكما تهاظر فان للفعل من

ومن القوس

بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئت من الليل يريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص الجهتين والشمال بكلامه عن لانها تعدمان البعد والمنال وعلى جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لابد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك الملاك القدام والخلف قال الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم الشهوة والغضب الناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انهما في اللزوم والاتصال دون القسم الاول واتما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق والتحت لان القوى التي منها تتولد ما يوجب تنويب التعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف تخلق الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهة الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض بطريق الخشوع غفرت له سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه ان يدخل في بدن ابن ادم ويخالطه انى لو امكنه ذلك لكان بان يدخل في باب المبالغة احق قلت هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ادم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد راه في اللوح المحفوظ فقال على القطع واليقين وقال اخرون انه قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدق الله تعالى في ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة والباطنة والشهوة والغضب والقوى التسع البنائية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو النفس الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة لا سيما وهي في اول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قويتها يسير جدا ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين قال الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عزمك فاخرج منها مذءوما مدحورا لام العيب والذام يعم الابعد والادنى والطرد والابعاد في المثل لا تعدم الحسناء ذاما والسلام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم فغلبت ضمائر المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم وانتم على هذا فقوله لاملان في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كان الكافر يتبعه وكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار وجب بشرط عدم العفو قوله ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة لا بد فيهما من المسائل ان يقول اسكن امر تعبد او امر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه فلا يتعلق به التكليف فان زوج ادم وهي حواء وان تلك الجنة كانت جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنان الارض وان قوله وكلا امر اباحة لا امر تكليف وان قوله لا تقربا نهي تحريم وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت وان ذلك الذنب كان صغيرا او كبيرا وان الظلم في قوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة ادم او بعدها وقد قضينا الوطر عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة احديث النفس وهو فعل غير متعد كولوك الرجل ووعوعة الذئب والمصدر الوسواس بالضم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى نحو وسوس له فعل الوسوسة جملة وسوس اليه النفس اي كلمه كلاما خفيا يكرر ليسمعه ما ووري عنهما من سوآتهما قبل اللام لام العاقبة لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما آل امرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدت العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان عرضا ولعله راى في اللوح المحفوظ او سمع من الملائكة انه اذا اكل من الشجرة بدت عورته وذلك سقوط حشمته وقوله وورى اي ستر والسوءة فرج الرجل والمراة بين وسكون وبكاء

ابليس انما قال ما نهاكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الاكراهة ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع ابليس ان ادم يجوز ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وقبل سجود الملائكة له ان هذا احد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لادم هم ملائكة الارض اما ملائكة السموات او ملائكة العرش والكرسي والملائكة المقربون فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التلبيس فاسدا وتمام تحقيقه ما قررناه في تفسير مثل الملك في البقاء والدوام وتنبيه يلزم التكرار من قوله اونكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرأ ملكين بكسر اللام كان الملعون اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان ادم لعله رغب في ان يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يجوهر ابوابنا مقره العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان آدم وحواء هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن ان تصديقهما للخلود يوجب انكارا لبعث القيمة وانكار البعث كفر ويمكن ان يقال اراد بالخلود طول المكث لان لزوم التكفير ولو سلم ان الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من آدم يوجب الكفر لان العلم بالموت ثم البعث موقوف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى آدم وقد تقدم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من آدم

لا تطعما ولا تأكلا قدما على الاكل لغلبة الشهوة كما يجد من نفسه عند الشهوة ان تقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما تشتهيه وان لم تفعله
ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير بين المتباينين
فكيف تصور التقاسم بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقال له اقسم بالله انك ناصح واقسم لهما بالفتح واقسم له بضمها
او الوجه قسم ابليس على ترك المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدلتهما بغرور اي اوقعه بهما اراد من تغريره واصله ان الرجل العطشان يدلي
رجليه في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت للتدلية موضع الطمع فيها لافادته فيه قيل اي جرأتهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدل
على قرنه في الحرب كالطمأنينة بدل على صيده قال ابن عباس رضي الله عنهما بالله ان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابي عمر انه كان اذا رأى
من بعض عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
به فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما فصدا الى معرفة طعمه ولولا انه مذكور لاجل ما يترتب عليه فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من
غير اكل بدت لهما سوآتهما ظهرت عوراتهما اي عوراتهما مثل صغت قلوبكما كان قلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف
ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليستر بهما فيخصف لتعلق طفقا على طفقا فزوتوثق بالسيور والورق وورق
التين وفيه دليل ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة ألم أنهكما
عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسر في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملئكة فجعلت حواء
تدور حولهم فقال لها خلي ملئكة ربي فانما اصابني بسببك فلما توفي غسلته الملئكة بماء وسدر وترا وحنطوه وكفنوه في وتر
من الثياب واحضروا له لحدا ودفنوه وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير اسرار المتشابهات
الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لذكرها قوله ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك في الحجر ابليس مالك حذف المنادى في هذه السورة لان
ذكره هنا اقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السورتين
لانه لما حذف النداء زاد لفظة لان زيادة في النفي واعلما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورتين بين ما في ص وما في الحجر فقال
منعك ان تسجد مالك ان لا تسجد وحذف ان لتسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك ان لا تسجد قوله
انا خير منه الاية في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهر الا ترى انه زاد في الحجر لفظ ان يكون فقال لم اكن لاسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث
قيل مالك لا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر انظرني فانظرني لانه لما اقتضى السؤال على الخطاب دون صريح
الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين وما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فان داعية
الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا وانادي نحو قوله ربنا فاغفر لنا وادعوك فاعرض فلما حذف النداء في هذه السورة ترك الفاء وكذلك قوله
من المنظرين لمطابقة الجواب للسؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر رب بما اغويتني زيادة النداء لموافق ما قبله وزاد في هذه الفاء وكذا في ص
فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال قال اخرج منها مذءوما مدحورا لام في
لمن تبعك

لاقعدن ثم لاتينهم من البحات التي فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من قبل سوء الظن في الاكابر والاقدمين والتسلف لصالحين وعن ايمانهم من قبل افتضاء ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم من جهة ترك التفحص مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل التسلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الاقتراء على انفسهم مالبس فيها من الكشوف والاحوال او من بين ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اثور عليهم اهاليهم واولادهم لمنعهم عن طلب الحق ومن خلفهم اثور عليهم اباءهم وامهاتهم وعن ايمانهم اثور عليهم احبابهم وعن شمائلهم اثور عليهم اعدائهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعني شجرة الحبة فان الحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين على انفسكما ان الحبة نار او نور لكن هو نارها يحد نورها او نورها يحد نارها احترقت انانيته فبقي الا هو نور به فيه بها يحد نور الحبة ويتنور به كقوله عجبهم ويحبونه فشجرة الحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل آدم كما خمر طينته آدم لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريمها له على شاكلتها فان الاشياء حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم واولاده الا ان تكونا ملكين اي من اهل التسلو كالملكين في ذواتهما الجنة او تكونا من الخالدين في الجنة كالحور والولدان فسقاهما ابليس في كاس القسم شراب الحبيب فاسهما فلما غرقا في لجة المحنة بدت لهما سوءاتهما نار الحبة قبل نورها وهي نار فرقة الاحبة وفي البداية عطفها لاشتغال نار المحبة بجعلان كل نعيم الجنة على ناريهما فلما التهبتا احترقت بلظاها اداجة الواصلة ونعيق غراب البين بالفرقة فبينما نحن في طهور وطرب بدا سحاب فراق صوبه هطال وان كنت مشعوفا بطلعته مفتي وافقر منه الرسم والطلل فالصبر مرتحل والوجد متصل والوقع سهل والقلب مشتغل وناديهما نداء العزة والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها منازل العزيزين وتنزيل المنعمين وتذهب الطرب وتورث التعب والنصب ان الشيطان الكما عدو مبين ولكن في عداوته صداقة تحققية تظهر بعد حين وانجلتا من وقوفهما بباب دارهم لو اخر قبل مغضبا من تنادي رجل فانغسل بماء الخجل منها دعونات الشريفة ولوث العجب لانها نبذة فرجعا تمطاطيه ووقفا وبرد عليهما ان لا تجاوزا ولا تطاولا فان الاشياء اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها في شبكة المحبة تغنينا ولا المحنة تغنينا بالزوال والدوان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو والنفس عدو القلب والروح والقلب عدو لها سوى الله ولكم النفس والقلب والروح في ارض البدن مقام وتمتع في الشريعة باستعمال الطريقة للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة مستحقة لخطاب ارجعي من الهبوط وارتفعي بعد السقوط ان الامور اذا اشتدت منا لكما فالصبر يفتح منها كل ما ارتتاج لا تيأسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلوا بالصبر ان تخطى لحاجة وتدين القرع للابواب ان تلجا فان في اي الحبة تحبو بصدق لطمة وقوع باب العز تهمو وفيها تهتون بعطب لحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة وصها تخرجون الى العالم الحقيقة

ع ۱۰ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ

اي فرزندان آدم بتحقيق كه فرستاديم بر شما پوششي را كه پنهان كند عورت شما را وجامه نيكو و لباس بر هيزكاري اين بهتر است اين از آيات خداست شايد كه ايشان

يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا

پند گيرند اي فرزندان آدم فريب ندهد شما را شيطان چنانچه بيرون كرد پدر و مادر شما را از بهشت ميكند از ايشان لباس ايشان تا بنمايد ايشان

سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

عورت ايشان را بدرستي كه او مي بيند شما را او و لشكر او از جايي كه نمي بينيد شما را ايشان را بدرستي كه گردانيديم ديوان را

وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا

و چون كردند بيشايسته را گفتند كه يافتيم بران فاحشه پدران خود را و خدا فرمود ما را بان بگو بدرستي كه خدا نفرمايد بناشايسته اي ميگوييد بر خدا آنچه را

لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ

نميدانيد بگو كه فرمان داد پروردگار من بدرستي و راست كه راست داريد روي خود را در نزد هر مسجدي و بخوانيد او را خالص گردانندگان از براي او دين را چنانچه بخت آفريد شما را

فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ

گروهي را راه نمود و گروهي را ثابت گرديد بر ايشان گمراهي بدرستي ايشان فراگرفتند ديوان را دوستان از غير خدا و ميپندارند

ع ۱۱ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ

كه ايشان هدايت كرده شده اند اي بني آدم فراگيريد زينت خود را در نزد هر مسجدي و بخوريد و بياشاميد و اسراف كنيد بدرستيكه او دوست ندارد اسراف كنندگان را

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

بگو كيست حرام كرده زينت خدا را كه بيرون آورد براي بندگان او و پاكيزه اي از روزي بگو كه ان از براي آنان كه گرويده اند در زندگاني دنيا

خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ

خالص روز قيامت همچنين بيان ميكنيم آيات را از براي گروهيكه ميدانند بگو حرام كرده است پروردگار من زشتيها را كه ظاهر شده

الجزء الثامن

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْاِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَاَنْ تُشْرِكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهٖ سُلْطٰنًا وَّاَنْ تَقُوْلُوْا

ازاو واشکم پنهانست وکناه واز حد گذشتن راسزاوار نیست واشرک اوردن کسرا که نرسیده ست بان حجتی واکفر کردن

عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ وَلِكُلِّ اُمَّةٍ اَجَلٌ فَاِذَا جَآءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَاْخِرُوْنَ سَاعَةً وَّلَا يَسْتَقْدِمُوْنَ

برخدای واشکم که نمیدانید وهر گروهرا مدتیست پس چون آمد وقتشان پس نمیشوند ساعتی وپیش نمیافتند

القراءة وبشا بون بدعن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلى الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الاخرون بالنصب

ربي الفواحش مرسلة الباء حمزة الوقوف وريشا الحسن قرا ولباس مرفوعا ومن قرا بالنصب وقف على التقوى خبرا تذكرون سواتهما لا يؤمنون

امرنا بها قاطبة ما لا تعلمون الذين تعودون على جواز الوصل لزوال النهاية الى البداية الضالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الها فيها ولا في

يستقدمون التفسير المذكور ان الارض مستقر لبني ادم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني ادم قد انزلنا وايضا لما ذكر لبني

ادم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليها ابتعد ذكر اللباس لستر العورة اظهارا للمنة واشعارا بان التشريف من ابواب التقوى ومعنى انزال

اللباس انزل فقضى ثم وكبا انزل حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد وريشا لباس الزينة

استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا لزينتكم غرض صحيح كما قال لتركبوها

وزينة ولكم فيها جمال ومن قرا رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر

ويقال الريش والرياش للمال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان وتقول لهم ريشت فلانا اصلحت حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص

بالشباب والاثاث والريش قد يطلق على ما يعم الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قراءة بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء

وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كما مر قبل ولباس التقوى هو خبر لان امتنا الاشارة كالقلائد وصلوح العود بسببها واما المفرد خير ذلك بدل

او عطف بيان او صفة بتاويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما لتعظيم لباس التقوى واما ان يكون للاول بلباس

التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس الذي انزله الله تعالى لبواري سواة هو لباس

التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفت الصدق

في ابواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد بها والمراد به ما لبس من الدروع والجواشن في المغازي وغيرها من الحروب او يراد الملبوس

المعدة لاجل اقامة الصلوة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح

وقيل هو الحسن الجميل وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال مكشوفة

وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما اظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فعند الاية

ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ بدوقر به الى الله تعم مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الى التقوى كاضافة

الى الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اليه من ايات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفون

عظيم النعمة فيه ثم حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني

ادم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب في النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق ورد في تفسير

اى فضحة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان ربه فهو على ابنائه

على ان لا يدخل الجنة اقدر وحل كما اخرج نصب على المصدر اى فتنة مثل اخراج ابويكم لان هذا اخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل يترع

عنهما لباسهما حال اى اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام لبيان من فعل سوآتهما لام العاقبة لان الغرض كما تقدم في قوله

ليبدي لهما قال ابن عباس رض ادم سواة حواء وبنو حواء سواة ادم وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الاخر وعن عائشة رضها ما رايت قط

ولا ازى فخذي من حمل العلماء على الكراهة لا على التحريم واختلفوا في لباس نزع عنها فقيل الثوب الحائل بينها وبين النظر وعن سعيد جبير كان لباسها

من جنس الاظفار وقيل اللباس الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الاية دلالة على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان واجب

بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النزع واكد التحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اى جماعة الثلثة

فصاعدا والقبيل بنواب واحد وقال ابن قتيبة اى اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله وجماعة من حيث لا ترونهم اى يكيدون

ويغالبون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن فقد اجسام الجن ولطافتها الوجه في

الجن لا انس كانه اجسا الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيها ولو زاد الله في قوة ابصارنا لرايناهم كما

يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كشف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لرايناهم وقال اهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق في

عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم بتناولا وقال الاستقبال

من غير تخصيص فيفيد ابدا على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم لبعض من استطاعهم والله اعلم بحقيقة ذلك وحقائق

وقف

ومخرقة ولو قدر الجن على تغيير صورة انفسهم باى صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على الخبط
التلبس وازالة العقل عنهم لكان اولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين هؤلاء اشد وعن مجاهد قال
ابليس اعطينا اربع خصال نحن ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ونعود شيخا فانيا والضمير في انه للشان وهو كيد لتبع العطف على المرفوع المتصل
ثم قال انا جعلنا الشياطين الآية واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذى سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم واغواهم وبتاكد هذا النقل قوله
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اعتذر القاضي بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولى لمن لا يؤمن او المراد التخلية بينهم و
بينهم كمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل واجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم فلم لا يكون
حكم الله وبيان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحائر والسوائب
وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزايدة في القبح اعني الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هي في انفسها
فواحش ويعتقدون انها طاعات فيحيجون اعلى ذلك لبنهوا عنها ثم اتحكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يكن جوابها الظهور بطلانها عند
كل عاقل والثانية ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء فالمعتزلة لما ان يحتجوا به على ان الشئ انما يقبح
لوجه عائد اليه واما كونه نهيا عن الفحشاء فانما يتعلق الامر والنهى بالمعنى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب
ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء ومشيتها وبحن ندعي الا انه تعالى مريد لجميع الكاينات وان شيأ منها لا يخرج عن حكمه والله
وتعلمون مع انه لا يامر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربي بالقسط قال عطاء والسدى اى بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا
وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله وبندرج فيه معرفة الله تعالى بانه واضع الاحكام اما قوله واقيموا فالبس من باب عطف الطلب
على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم اى استقبلوا واخلصوا عند كل مسجد في كل وقت سجود كان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما
كنتم في الصلوة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم لا اصلي الا في مسجد
قومي ثم امر بالتوجه الى القبلة امر بعد بالدعاء والاظهر ان المراد بهذا اعمال الصلوة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلوة هو الدعاء
الذكر ويمكن ان يبقى الدعا بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم بين على المعاد ليتحقق الجزاء
فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدا خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيأ كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدا خلقكم
مؤمنا وكافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله ثم في اول الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته
ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة وبؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره ما بعده اى خذل واضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت
به قال القاضي المعنى فريقا حق عليهم الضلالة اى العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذى
يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يامر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم بافامة الحدود
المستحقة واجيب بان قوله هدى وحق عليه في المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة او الضلال عنها لا بد ان يكون محكوما في الازل وغلا
حكم محال ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة اعني السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوة الرسل وحسبوا في التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم
مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملة امر اللباس والماكول
والمشروب وايضا امر بافامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال يا بني آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب
يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المراة تطوف بالبيت وهي عريانة فتجعل على سفلها سيورا مثل هذه السيور التي يكون على وجه الحمر من الذبا
وهي تقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وعن طاوس ولم يامرهم بالحرير الديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا او يدع ثيابه
وراء المسجد ان طاف وهي عليهم وضرب ان تحت ضه لا في لوا لا نعبد ما الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا لبعدهم
من الذنوب كما يعبر من الثياب وقال الكلبي كان اهل الجاهلية لا ياكلون من الطعام الا قوتا ولا ياكلون دسما في ايام حجهم فقال المسلمون يا رسول
الله نحن احق بذلك فانزل الله الآية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم يعني الثياب وايضا الزينة
لا تحصل الا باستر التام للعورات ولانها سبب ما تقدم من ذكر اللباس والتاثر لان ظاهر الامر للوجوب وكل ما سوى المكتوب غير واجب فوجب
حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فلا يتم تقضيه وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل بما في القدر الذى لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقي انا في داخل الخبر
اللفظ فان ستر العورة واجب للصلوة والا فسدت صلوة قال اصحابنا ابي حنيفة لبس الثوب النجس او المغصوب بناء الورد على اقصى وجوه النظافة اخذ الزينة
في صحة الصلوة واجيب بان اللام في قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله فلم تلم انه صلى في الثوب المغصول بناء

الجزء الثامن

الورد اما قوله وكلوا اى اللحم الذسم واشربوا فقد قيل انهما امر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين ايضا في الجملة وهما يشملان جميع المطعومات والمشروبات وبتناولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل انه مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا تسرفوا وجهان الاول انه يأكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا بضره ولا يحتاج اليه المتأخر وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم الحجرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم في وقت الحج ما احلها الله لهم تعالى قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي ولد من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاءتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم ابدان وعلم اديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلعم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا قيل كانوا اذا لحموا حموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس واكثر المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال اخرون انها يتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمراكب والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلعم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني مرة بالترهب فقال ان ترهب متى القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال يحدثني نفسي بالسياحة متى السياحة الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الا ولا ان تكفف نفسك وعيالك وان ترحم المسكين واليتيم وتطعمه افضل من ذلك فقال نفسي تحدثني ان اطلق حولة فقال ان الحجرة في اقتحمها حرم الله تعالى فان نفسي تحدثني ان لا اغشاها فقال ان المسلم اذا غشي اهله وعياله كان يمينه فان لم يصب وتعته تلك ولدا كان له وصيفا في الجنة وان كان له ولد مات قبله وبعده كان له فرط عين وفوج يوم القيمة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي تحدثني ان لا آكل اللحم قال مهلا فان جبريل يأتي بالطيب وقال لا تحرم يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فانه من رغب عن سنتي مات فلبس مني وولوجات قبل ان تهوب ضوب الملائكة وجهه عن خوضي اعلم ان كل واقعة نقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او يتساوى ضررها ونفعها فوجب الحكم في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا او كان تركه خالص النفع فليحكم بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر مرجوحا نقابل المثل بالمثل ويبقى القدر الزايد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا يبقى القدر الزايد ضررا خالصا وكان تركه نفعا خالصا فبهذا الطريق صارت هذه الآية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحلال والحرمة الا ان تجد نصا خاصا في الواقعة فتقضي به تقديما للخاص على العام على قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا النص مستقل بره وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فاذن القرآن واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت لهذه الحيوة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة بالتبعية كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا واما في الاخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة من قرأ بالرفع فالآية خبر قال ابو علي وعلى الجر للذين امنوا متعلق بما تعلق به النفقة هي خالصة الذين امنوا في الحيوة يوم القيمة وعلى هذا يكون في الحيوة الدنيا ظرفا لخالصة ففهم من ذلك انها في غير يوم القيمة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بنوع من الكفار وعلى الاقل يكون في الحيوة ظرفا لمحذوف اي هي للذين امنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال وباقي التقدير كما ذكرنا نفصل الآيات لقوم يعلمون اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا بها الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين ان اصول الافعال المحرمة منحصرة في ستة انواع لان الخيانة اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون على العقول وهي شرب الخمر اليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كأنه خصص ثم عمم واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليها الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقدموا على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فيخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لا سلطانا حتى ينزل واما بالافتراء على الله وذلك قوله ان تقولوا على الله ما لا تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الآية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم سد الله التكاليف فلا يحل الحد ولا انفاس المعدودة فقال لكل امة اجل عن ابن عباس والحسن مفاده انه تعالى امهل كل امة مكذبة بتسويطها الى وقت معين لا يعدوه بما

قال جعفر

وجب الاطلاق والامكان الامر خالصا

اللتيا

قبل ذلك ولا يؤخر عنها والمقصود عباد اهل مكة وقيل معناه ان اجل الخلق لا يتقدم ولا يتأخر سواء الطائع والعاصي وقيل معناه ان اجل الامم لا يتقدم ولا يتأخر وبناء على القول الاول انه لكل امة من الامم وقت معين لا يعدونه في نزول عذاب الاستئصال وعلى الثاني ان كان ينبغي ان يقال ولكل انسان واحد اجل ويمكن ان يقال ان الاشهر الجماعة في كل زمان والمعلوم من مجاري العادات التفاوت في الاجال فزال السؤال والمراد انه تعالى لا يقدر على تبقيته احد من ذلك ولا انفع ولا يقدر على ان يميته الا في ذلك الوقت لان هذا يقتضي خروجه سبحانه وتعالى عن كونه قادرا مختارا او صيرورته كالموجب لذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا والاستاذ الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما يستعمل في تقليل الاوقات عرفا والساعة في اصطلاح اهل التنجيم جزء من اثني عشر وعشرين جزءا من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمنع عقلا وقوع ذلك الاجل في وقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون واجيب بان مجيء الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته ومع مقاربته الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت قيل والتأخر عنه اخرى التأويل قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس التقوى يواري سوآتكم الاعمال القبيحة في الظاهر وسوآت الصفات الذميمة والنقائص والحيوانية باداب الظاهر وفي الباطن وهما الى الظاهر والباطن لباس التقوى وهو هو لباس القلب الروح والسر والخفي فلباس القلب من التقوى هو الصدق في طلب المولى بانواره بسوآت الطمع في الدنيا وما فيها ولباس الروح من التقوى هو محبة المولى تواري بسوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى تواري بها رؤية غير المولى ولباس الخفي من التقوى بقاؤه بهوية المولى فتواري بها هو رؤية غير المولى ذلك خير كان لباس البدن بالتقوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ولباس لمن ايات الله اي نزل الشريعة والحقيقة فما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها ولا بتابعة الهوى فيخرجكم عن جنة القدس في طلب الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق بنزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك بهما عن شجرة المحبة لهما سوآتهما من مخالفة الخفي وما عملا الا في هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كمال ونقصان وكان مستورا بهما فاراهما بعد تناول الشجرة انهما عريانان فقبيلة يعني من اوصافهما الذميمة لا صورة لهما في الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحاني من الانسان بعض الافعال التي تتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا في ادم وقالوا اتجعل فيها من يفسد فيها من حيث لا يرونهم اي انما يرونكم من حيث البشرية التي منشاها الصفات الحيوانية فانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم لا من حيث الروحانية التي هي منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم في هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحاني بل بالنور انا جعلنا الشياطين اولياء للذين لا يؤمنون خلفنا مستعدين لقوله امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هي طلب الدنيا وجدنا عليها اباءنا على الحمد الدنيا وشهواتها والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يامر بالفحشاء انما امرنا بالكسب لحاجة بقدر الحاجة الضرورية لقوام الفاني بالقوت واللباس ليقوم باداء حق العبودية وذلك قوله قل امر ربي بالقسط كما بدأكم تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين حقت عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسجدون في النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين اثار التجلي وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا في مقام العبد ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط في حفظ القوة بحيث يضيع حقوق العبودية زينة الله في زينة الابدان بالشرائع واثارها وزينة النفوس بالاداب فلادها وزينة القلوب بالشواهد وانوارها وزينة الارواح بالمعارف واسرارها وزينة الاسرار بالطوالع واثارها فمن يقتدي بطالب هذه المقامات وهي مباحة له من غير تاخير وتصور وخطر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بالحظوظ النفسية فهذه الكرامات والمقامات لطبقة السادة في الدنيا مشوبة بشهوات هذه الافات النفسانية وكدوراتها الصفات الحيوانية خالصة يوم القيمة من هذه الافات والكدورات كما قال ونزعنا ما في صدورهم من غل الفواحش ما يقطع على العبد طريق السلوك الى الرب فهو فاحشة العوام ما ظهر منها وما بطن هو ما يحول بينك وبين حظوظها بالمال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع حالا فحالا نفسك بضد نفسه ولو ذرة وما بطن الصبر على المحبوب لو بلحظة ذرة فاحشة لا تخص ظاهرها ترك ادب من الاداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الروح الى شيء من الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاعراض عن الله ولو ذرة عين الجفا وهو حجب غير الله فانه وضع في غير موضوعه وان يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان يقولوا على الله ما لا يعلمون حقيقتها او تقولوا في معرفة الله وذاته ما لا تعلمون ما لم يسلم به عارفو كل اتيهم من الشاهد الى الغيبة مضرة بذرة الاول وفيه وعد للاولياء واستمالة للقلوب بهم ووعيد للاعداء وبئسما لتسويلهم

يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين

اي فرزندان ادم اگر بيايند شما را رسولان از شما كه بيان كنند بر شما ايات مرا پس هر كه بپرهيزد از بدي و بشايستگي فرمان برد پس نيست بر ايشان اندوهگين شوند و ايشان

كذبوا بايتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او

دروغ گيرند ايات ما را و سرباز زنند از گرويدن بدان ايشان ياران آتشند ايشان در آن جاويدان پس كيست ستمكارتر از آنكه دروغ بندد بر خدا دروغي

كذب بايته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون

يا تكذيب كرد ايات او را آنگروه بهره ايشان از آنچه نوشته است ايشان تا چون بيايند بايشان فرستادگان ما كه بميرانند ايشان را گويند كجايند آنچه

طبعي

مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ۝ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ
از غیر خدا گویند گم شدند از ما گواهی دهند بر حق خودشان که آنها بودند کافران گوید در آیید در طائفه که گذشته بود از پیش شما
الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ
در جن و آدمی در آتش هر چند داخل شد گروهی لعنت کرد خواهرش را تا آنکه چون بیکدیگر میرسند در آتش همه گویند طائفه اخری مر اولی را که پیروان گمراهان
أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ۝ وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا
ازراه بردند ما را پس بده بایشان عذاب دوچندان از آتش گوید مر هر یک را عذاب دوچند است لیکن نمیدانید گوید طائفه اولی مر اخری را پس نیست شما را
مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ
ع از زیادتی پس بچشید عذاب را بآنچه بودید که اکتساب میکردید بدرستی آنان که تکذیب کردند آیات ما را و سرکشی نمودند
السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ۝ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ
از آن نیاید و داخل نشوند بهشت را تا نرود ریسمانهای پشت در سوزنها و همچنین مزد میدهیم
غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۝ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ
بپوشش و همچنین مزد میدهیم ستمکاران را و آنان که گرویدند و کردند شایستها نفرمائیم تکلیف
أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ
بهشتیان و همچنین پاداش میدهیم هر چیزی را که در حد طاقت آنان است
الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا
بهشتیان و دران جاویدان و برکشیم آنچه در سینهایشان بود از کینه رودبارها از زیر ایشان جاری
بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ
بآنچه و ندا کنند بهشتیان دوزخیان که یافتیم آنچه وعده کرد ما را پروردگار ما راست آیا یافتید آنچه وعده کرد پروردگار شما راست گویند آری
فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۝
پس آواز دهنده میان ایشان که لعنت خدا بر ستمکاران که باز میدارند از راه خدا و میخواهند آن را کج و ایشان بآخرت کافرند
وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝
و میان هر دو پرده است و بر اعراف مردمانند که میشناسند هر گروهی را بنشانهایشان و ندا کنند بهشتیان که سلام بر شما نرفتند آنان بهشت را و ایشان امیدوار
وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا
و چون گردانیده شود چشمهای ایشان بجانب دوزخیان گویند پروردگار ما مگردان ما را با گروه ستمکاران و ندا کنند اصحاب اعراف مردمانی را
يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ
که میشناسند ایشان را بنشانهایشان گویند نیست بی نیاز کرد از شما جمع کردن شما و کبر ورزیدن شما آیا اینان که سوگند خوردید که نمیرسد ایشان را خدا برحمت
ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا
 گفته شد در آیید بهشت را نیست بیمی بر شما و نه شما اندوهگین خواهید شد و ندا کنند دوزخیان بهشتیان را که فرو ریزید بر ما از آب یا از آنچه
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ
روزی داده است شما را گویند بدرستی خدا حرام کرده است آن دو را بر کافران که گرفتند دین خود را بازیچه و سرگرمی و فریفته بود ایشان را زندگانی دنیا پس امروز
نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
فراموش میکنیم ایشان را چنانکه فراموش کردند دیدار روز خود را این و بودند آیات ما را انکار کنند و بتحقیق آوردیم ایشان را بکتابی که شرح دادیم آن را بر دانستن راهنمائی و رحمت
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ
 گروهی را که گروند آیا انتظار میکنند مگر عاقبت آن را روزی که آید عاقبت آن گویند آنان که فراموش کردند آن را پیش بتحقیق آمدند فرستادگان پروردگار ما براستی
فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝
پس آیا مر ما را از شفاعت کنندگان تا شفاعت کنند برای ما یا باز گردانیده شویم تا کنیم غیر آنچه بودیم که میکردیم بتحقیق زیان کردند بر نفسهای خود و گم شد از ایشان آنچه بودند که دروغ میبستند

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
بدرستی پروردگار شما خدا است که آفرید آسمانها و زمین در شش روز پس قرار گرفت بر عرش میپوشاند شب را روز میطلبد آن را بشتاب
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
و آفتاب و ماه و ستارگان رام کرده شده بفرمان او آگاه باشید مر او را آفرینش و فرمان بزرگوار است خدا پروردگار جهانیان بخوانید پروردگار خود را بزاری و پنهانی
إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۝
بدرستی او دوست نمیدارد از حد گذرندگان را و فساد مکنید در زمین بعد اصلاح آن و بخوانید او را از ترس و امید بدرستی رحمت خدا نزدیک است از نیکوکاران

وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ
و او آنست که میفرستد بادها مژده دهنده پیش رحمت او تا چون برگیرند ابرهای گرانبار میرانیم آن را بسوی شهر مرده پس فرو فرستیم بآن آب پس بیرون آریم بآن
مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا
از همه میوه ها همچنین بیرون آریم مردگان را شاید شما پند گیرید و شهر پاکیزه بیرون میآید گیاه آن بفرمان پروردگار آن و آن که بد شد بیرون نمیآید مگر کم
كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ۝ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ
همچنین گردانیم آیات را برای گروهی که شکر میکنند بتحقیق فرستادیم نوح را بسوی قوم او پس گفت ای قوم من بپرستید خدا را نیست شما را هیچ خدائی غیر او
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ
بدرستی من میترسم بر شما از عذاب روز بزرگ گفت سران از قوم او بدرستی ما میبینیم ترا در گمراهی آشکار گفت ای قوم من نیست در من هیچ گمراهی

حاشیه: الجزء السابع

الاعراف

الكشاف وقعت موصولة بابن بخط المصحف قلت وانى رأيت النقل على العكس كما ذكرته فى المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب ومعنى الآيتين
الاولتين تدعونك تعبدونهم وتدعونهم فى الشدائد وقالوا على سبيل الاعتراف والعود الى الانتصاب اولئك اى غابوا وذهبوا ولم ينفع بهم شهادة
على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين تقدم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اى الله وقيل
هو من كلام خازن النار وهذا مبنى على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سخط ادخلوا فى امم قبل اى ادخلوا فى النار مع امم والاولى ان لا يلتزم
الاضمار والمجاز وادخلوا كائنين فى جملة امم تقدم زمانهم زمانكم فى النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن
فيهم سابق ومسبوق وكلما دخلت امة لعنت اختها فى الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك اليهودى اليهودى والنصرانى النصرانى وكذا المجوس وسائر
اديان الضلالة نظيرها فلان يلعن غيرها او حتى اذا ادارکوا بمعنى تداخلوا واجتمعوا فى النار وادرك بعضهم بعضا واستقر بعد قالت اخراهم دخولا فى
النار اولاهم دخولا فيها اتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندى لان المضل لا بد ان يكون مقلدا على الضلال فى وجوب
النار واللام بمعنى لاجل اولاهم وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم الفاء للجزاء عذابا ضعفا اى مضاعفا وذلك عذاب الضلال وفى
وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه فى اعينهم والسعى فى اخفاء الحق قال ابو عبيدة الضعف مثل الشئ مرة واحدة وهو قول الشاعر
فى رجل اوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ابنى بعطى مثل نصيب ابنى مرتين وقال الزجاج العرب يريد بالضعف المثل الحمادى وليس بمقصود على
المثلين بل لعل قوله عز من قائل فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وقال ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وانما الثانى فوق الاول لا
ذلك متفق ومأفوق مشكوك قال الله وخازن النار لكل من القادة والاتباع ضعفا للقادة فلما تلنا واما الاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم
ويجوز ان يريد بالضعف ههنا ان تضعف العذاب الذى يستحقه الشخص ظلم واجيب فى التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فلكل لا يحصل فائدة بعقد حصول
الزيادة غير انها يزيد قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب
التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زائد على مقدار ما يستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من حيثية ان الاسم الظاهر هو المضمر اليه على الغيبة ومن
قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب او لا تعلمون ايها الداخلون ما مقدار ذلك وقالت اولاهم لاخراهم اذ قد
حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان اى فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مواخذون بالاتباع كما نحن مواخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال فى التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان
الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار
يوم القيمة والكذب عليهم جائز عندنا لقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا انه هذا
الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم فى النار فقال ان الذين كذبوا
بآياتنا وهى الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اى رفعوا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن
عباس لا يصعد لهم عمل ولا دعاء ولا شئ مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن
قوله ان كتاب الابرار لفى عليين وقال السدى وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التى هى موضع بهجة الارواح واما كون سعادتها كما جاء
فى الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التى كانت فى الجسد الطيب يقال لها ذلك حتى ينتهى
الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعى مذمومة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة فى السماء معناه ولا يؤذن
لهم فى الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل اى لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال ذوج النافة استجهالا للسائل واشارة
الى ان طلب معنى اخر تكلف والسم بالحركات الثلث وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب فى البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه
فى مسام البدن حتى يصل الى القلب الخياط ما يخاط به قال الفراء خيطا ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل
اعظم الاجسام المشهودة عند العرب كما قال لا عيب بالقوم من طول ومن عظم جسم الجمال واحلامهم العصافير وكان سم الابرة مثلا لاضيق
المسلك حتى قيل اضيق من خرت الابرة قالوا والدليل لما هو حق لا هذا ثم فى المضايق المشبهة بخرت الابرة وقف الله تعالى دخولهم الجنة
على حصول هذا الشرط المحال ليلزم ياسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قولك العرب لا افعل كذا حتى يشيب
الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل وزن القمل وكذا الجمل بوزن الجمل وبمعناه لانه الفالس وانما الجمل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة
والبعير لا يناسبه واهل الناسخ اولوا الاية بان الارواح كانت فى الابدان البشرية لما عصت واذنبت فانها بعد موت الابدان ترد
من بدن الى بدن ولا تزال تبقى فى التعذيب حتى تنتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فتنفذ فى سم الخياط وح يصير مطهرة عن تلك
الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء القطيع نجزى المجرمين قبل هم الكافرون المكذبون المستكبرون
المانعون كرهم وقيل يدخل فيه الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم

يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهادا اى فراش ومن فوقهم غواش هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك اى يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثلها فى جواريها اى انها للتمكن عند بعض لا تزيد حذف باثره يبقى على تنزه مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء او عن اسكان الياء وكذلك نجزى الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات الاية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره فى اخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدا وخبره وليس باجنبى والا لم يحسن فيه تنبيه المقصر على ان الجنة مع عظم قدرها يحصل بالعمل السهل من غير مشقة وصعوبة فبعد لمن فاتته ومحقا ومن جعله خبرا فالعائد محذوف اى لا يكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما فى صدورهم من غل نزع الشئ قلعه من مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى ان يغل والاية تفسير ان الاولى ازلنا الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوسواس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان والزبير منهم الذين فى قوله تعالى تجرى من تحتهم الانهار وهذا من جملة اسباب التنزه والتمرن اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات التى تنيل هذا المقام بركة اولئك الكرام تجرى من تحتهم الانهار وهذا من جملة اسباب التنزه والتمرن اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات التى تنيل هذا المقام بركة اولئك الكرام ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم المقيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف او بان اعطى العقل ونصب الادلة وازاح العلل وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرا واو العطف فظاهر ومن حذف الواو فلان الجملة جاءت بقرب معناها من معنى الاولى وكانها بتفسيرها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فجعل واسطة لهدايتنا او لطفا وتنبيها بقولون ذلك فيما بينهم سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم بما لا تقرب او تعبدا فان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم بانتم الجنة والضمير للشان والحديث ويجوز كونه بمعنى اى لان النداء فى معنى القول واما قبل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون التقييد للتعظيم وبمعنى اورثتموها صارت اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى الهله قد يستعمل الارث والاباء دبر زوال الملك عن المبت الى الحى كما بقى هذا الفعل بورثك الشرف او العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فضاهى ايتاءها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ليس من مومن ولا كافر الا وله فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار نعت لجنة لاهل النار نظروا الى منازلهم فيها فضل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم بقى يا اهل الجنة نرثهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك والله تعالى اعلم النار ويل يا بنى آدم اما ياتينكم رسل منكم الطامات من انفسكم من طرق قلوبكم واسراركم وفيها ان بنى آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والطامة ما فوق الداهية اقرار على انفسهم بالكفر والفساد او كذب بمقامات اعطاها بعض اوليائه اولئك بهتانا لهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الطامات الاطيشة الواردات الربانية بعد ان كان هائما فى تيه البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الاطيشة عن الاوصاف البشرية قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا انها هباء الجرمون المحرومون انهم كانوا اسارى بين الحق بالباطل فحداهم الله تعالى ثم قال لاهل الحذلان ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله تعالى خلقهم اولا بنى الجان منهم مومن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث الله لهم جندا من الملائكة وقبل رئيسهم ابليس فاستاصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مومن ومنهم كافر كلما دخلت امة فى اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سبقوها حتى اذا ادارك المكلف الاعمال الموجبة النار عذابا ضعفا لان من سن سنة فلها ووزرها ووزر من عمل بها الكل ضعف لان المتاخر ايضا متقدم الذى يتلوه وبهتدى بسنته ولكن لا يعلمون انكم متقدمون لمتاخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتاخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب لحضرة لا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل الجمل فى سم الخياط لتكبرهم واستنكافهم عن احكام الشريعة واداب الطريقة وحتى تصير البهيمية فى ذاتهم الصفات الذميمة وقطع تعلقات ماسوى الله صفاتا من الشعر الف قرن فى تم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين صارت انفسهم فى جهل الاولى كالجمل فهم من جهنم الجاهلية والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس مع الهوى لحاف فمذهبهم وتحرقهم انانيتهم لا تكلفهم الا وسعها فيرفع عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعلم حتى يتمشى عليهم العبودية بحسن التوفيق ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم

فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالاخرة كافرون
پس بلند آواز دهنده‌ای در میان ایشان که لعنت خدا بر ستمکاران آنان که باز دارند از راه خدا و بجویند راه را از روی کجی و ایشان بآن راه کافرانند
وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها
و در میان این دو گروه پرده‌ایست و بر اعراف مردانند که میشناسند هر گروه را بنشان ایشان و آواز دهند یاران بهشت را که درود بر شما نرفته باشند بآنجا
وهم يطمعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين و
و ایشان طمع دارند و چون برگردد دیده‌هاشان بجانب یاران آتش گویند که پروردگارا مگردان ما را با گروه ستمکاران
نادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين
صدا زنند یاران اعراف مردانی را که میشناسند بنشانهاشان گویند که بسیار نیاز خلق را بحضرت ما و آنچه بودید که زنگنه میکردید آیا اینانند
اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى اصحاب النار اصحاب
که سوگند یاد کردید که نرسد بایشان رحمت خدا درآیند در بهشت ترسی نیست بر شما و نه شما اندوهناک شوید و بگویند یاران آتش
الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم
یاران بهشت که بریزید بر ما از آب یا از آنچه روزی کرده است شما را خدا گویند که بدرستی که خدا حرام کرده آنها را بر کافران
لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننسيهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بايتنا يجحدون
آنان که فراگرفتند دین خود را لغو و بازیچه و فریبنده‌اش زندگانی دنیا پس امروز فراموش کنیم ایشان را چنانکه فراموش کردند دیدار روز خود را و آنچه بودند بآیات ما انکار میکردند
ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله
و بدرستیکه آوردیم ایشان را بکتابی که بیان کردیم آنرا بر دانشی خود راه نمودنی و رحمتی برای گروهیکه بگروند
يوم يات تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
روزیکه بیاید تاویل او گویند آنانی که فراموش کردند او را از پیش بحقیقت آورده‌اند پیغمبران پروردگار ما براستی پس آیا برای ما هست شفیعانی تا شفاعت کنند
لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون
ما را یا باز گردانده شویم پس بجای آریم غیر آنچه را که بودیم میکردیم هر آینه زیان کردند نفسهای خود را و گم شد از ایشان آنچه بودند دروغ افترا می‌بستند

قراءة نعم بكسر العين يتكان على الباقون بالفتح موذن بعبر الجاري عن ورش بن يعد والتموت وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو
عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة وبالنصب لوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف
مع الابتداء بالتاذين على المعظم الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستيناف والحال كافرون لان ما بعد لم يدخل في التاذين
ولم يجز ان يكون حالا لشيء حال القسمين لاتفاق الجملتين بينما هم يطمعون اصحاب النار لان بعده جواب فاظالمين تستكبرون بزحفة لشيء
الاستفهام والاقسام يحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هذا وما مصدرية كما نسوا والتقدير بتناسهم
نسيانهم وجحودهم يجحدون يؤمنون الا تاويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كما نعمل يفترون التقرير لما شرح وعيد الكفار و
ثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال ونادى وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يجزم الله تعم عنه موجب لتحقق
وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها قبل الجنة
في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب القريب عند
ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم نسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار
يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان بعرفهم من الكفار وان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة
كما في قوله ان تلكم الجنة وكذا قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب حقا صحيحا
مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في طلب العلم وهو
في هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في سائر الاخبار وانما حذف المفعول في وعد ربكم للدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين
من قبل الله تعم بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث
والحساب والثواب والعقاب سائر احوال القيمة قالوا نعم قال مؤذن نعم عدة وتصديقا اي ليستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا فقلت
نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او ما قام زيد فيقول نعم كان
معناه نعم قام زيد او لم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن العباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا
هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل ليس لك علي درهم فقلت نعم لزمتك الدراهم بناء على العرف الطارئ

بعد الوضع وكانت تكسر لهين من نعم وروى عن عمر انه سئل قوما عن شئ فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيد قال ابن عباس هو الملك صاحب صور باسرافيل فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى النادين بالنداء والتصويت للاعلام بالتلاوة مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب صور باسرافيل فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى النادين بالنداء والتصويت للاعلام بالتلاوة ويوقنها والظالمون الا بنفسهم عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اي عن قبول الدين الحق بالفعل وبالجملة الفاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بتبغونها عوجا وقد مر في ال عمران والكهف الاخرة كلها من اوصاف الكفر وانما قدم بالاخرة تصحيحا لفواصل الاي لم يرد لفظهم هنا على القياس اما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك لتبين انهم هم اعنى هم فكرر لتعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار ففال وبينهما اي بين الجنة والنار اي بين الفريقين حجاب هو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قبل له حاجز الى ضرب هذا السور والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب بان بعد احدهما عن الاخر لا يمنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف في الاية بقتضى المكان فارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعلى عالي السور المضروب بين الجنة والنار وروى عن ابن عباس وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا من الثواب ثانيهما انهم في الدرجة الثالثة وعلى الاول فهم وجوه وقال ابو مجلز هم ملئكة بعرفون اهل الجنة واهل النار فضل له بقول الله تعالى وعلى الاعراف رجال وانث تقول انهم ملئكة فقال الملئكة ذكور لا اناث ورد عليه ان الرجل انما يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل يطلق على الذكر من بني ادم وقيل انهم لانبيا عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني وقيل انهم قوم حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله على هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يؤول عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قال الحسن بن مسعود واختاره الفراء وخصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فساوت معصيتهم طاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن الحرث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين ذكروا بغير المكان وهو قول الحسن بن الحجاج فقد قالوا ان المغفرة وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجاء يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا ادري اي قول بعضهم الامعناه وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة مستبشرة ومبيضة واهل النار بسواد وجوههم وزرقتها وهم بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الاعراف لم تنفعهم امنين وقال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشر والكفر والافتراء وهم كانوا في الدنيا يشهد الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل يشهدون على كل احد بما يليق به ثم قال ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر عنهم على سبيل الاستيناف ان اهل الاعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون كان سائلا سال عن حالهم او على انه صفة اخرى لرجال فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى اخر دخولهم الجنة ليطمعوا على احوال الجنة والنار ثم اقر بعينهم الى الدرجات العلى في الجنة كما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابرهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذا القول من حسن الادب وان قلنا اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل الله واحسانه ان ينقلهم من فلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا ولهذا فسر المصدر على تفعال بالكسر لان تبيان وتلقاء وانثى الاسم كثير كتمثال وتفصال والمعنى انه كلما وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى انه لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هي ان صانا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا وبوتجوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم بما لا يليق لا بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض سمي به ل

فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نزيرهم ونكلمهم فاما الله بالجنة فزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وهم فيه من النعيم فعرفوهم فنظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقانا فنودي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم وقالوا ان افيضوا علينا من الماء طلبوا الماء او الما في بواطنهم من الاحتراق الشديد وفي الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة اعلى مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سئلوا ذلك مع جوان الحصول وقال الاخرون بل مع اليأس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الابس من الشيء قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغيثه قوله او مما رزقكم الله قيل اي ساير الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل اي من الثمار والطعام والمراد والقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله علفتها تبنا وماء باردا فيكون في الابرد دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم ثم كان لسائل ان يسئل فيما ذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمها على الكافرين اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما تمنع الملكف ما يحرم عليه وهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم الذين اتخذوا لهوا ولعبا وغرتهم الحيوة وقد مر تفسير اللهو واللعب في اوسط سورة الانعام وقال ابن عباس رضي الله عنهما المستهزئين المقتسمين وجملة الامر ان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين عريقا في حب الدنيا ومشتهياتها ثم ذكروا فهم يوم القيمة على سبيل الحكاية فقال فاليوم ننسيهم اي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا قال الحسن مجاهد والسدي والاكثرون قبل اي نعاملهم معاملة من نسيهم تركهم في النار كما فعلوهم في الاعراض عن اثباتها فسمي جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحاصل انه لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم عن ابي الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما في هذه الاية فيقول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين ويقولون للمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون فعند ذلك يبئسون من كل خير ويأخذون في زفير شهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يرون الله عز وجل في كل جمعة وبمنزل كل واحد منهم الف باب فاذا راوا الله تعالى دخل من كل باب ملك معه الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والبن من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه صفة الفريقين من القرآن والحديث فنا هب لا يتماشئت والله الموفق ولما شرح الله تعالى احوال الطائفتين واطرائف الجاري بينهم لتكون حاملا للمكلف على الحذر من مواجب النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال جئناهم بكتاب فصلناه ميزنا بعضه عن بعض تمييزا بهدى الى الرشاد ورحمة من الغلط والخطاط وانما فعلنا ذلك لا كيف نتفضل على علم بما في كل فصل من تلك الفصول من الفوائد الكثيرة والمنافع الغزيرة حتى جاء بيانا من كل خلل مقدح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هدى ورحمة حالان من منصوب فصلناه كما ان على علم حال مرفوعه ويجوز ان يكونا مفعولا لهما لقوم يؤمنون لان فائدة تعود اليهم ثم لما بين ان اخذ العلة يسبب انزال هذا الكتاب المفصل الموجب للهدى والرحمة بين بعده حال من كذب فقال هل ينظرون الا تاويله والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعل بهم افواما تشككوا وتوقفوا لهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظرين من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تاويله للكتاب اي عاقبة امره وما يئول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد او ما قبله وما بعده على السنة الرسل من الثواب والعقاب والتاويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم الى الشيء يؤل اوبا اذا رجع يريد يوم القيمة وانتصابه على الظرف بقول ومعنى نسوه تركوا العمل به والايمان انهم صادوا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قد جاءت رسل ربنا بالحق اي ملتبسين بما هو الحق والباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر واحوال القيمة وهو لها اذا عاينوها هل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع او هل نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل فوحد الله تعالى بدلا عن الشرك وقطعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الاخرة لا تكليف لهم خلافا للنجار ومن يتبعه والا لم يسئلوا الرد الى دار التكليف ولم يتمنوه بل كانوا يتوبون في الحال ثم يحكم بان ذلك لتمنى لا يفيدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة قال قد خسروا انفسهم اي غبنوها بالكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون اي لا ينفعون بالاصنام التي عبدوها في الدنيا وليس تفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها التاويل نادى اهل الجنة اهل القطيعة ان قد وجدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبنى وجدنى فهل وجدتم ما وعدربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيرى لم يجدنى فاذن هو ذات العزة والعظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب الروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وما بينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة وبين اهل الجنة واهل النار اهل الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة ورسوما جمع رسم لانهم بالربوبية يتصرفون فيهما سوى الله تتصرف الرجال في الدنا ولا يتصرف فيهم شيء منه فالاعراف مرتبة فوق الجنان في حظائر القدس عند الرحمن يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم من اثار نور القلب في ظلمة ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم بعزهم هنيئا لكم ما انتم فيه من

الجنة واهلها

التنعم والحور والقصور ثم اخبر عن هذا اهل الاعراف حقال لم يدخلوها اى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غيرها لوهم يطمعون فى الوصول الى الحق سبحانه واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار ابتداء لم يعرفوا انتقامه من اهل دركه خلصهم وباقى كلامه خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما يجرى بين الاذناب الكملاء من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعنى اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل الله من الطاعات وبا اهل النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير فى حقيقة لا اله الا الله اهؤلاء الذين اقسمتم يعنى المؤمنين والعلماء بعلم الظاهر فى بعض الاوقات من يقول الدنيا جيفة واهل الجنة والمعرفة لا يناهم الله برحمة لوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قولك ادخل جنتى فى خطاب القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان الله فى خطاب القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن ابا جعفر الاجرى انه دخل على ابا طاهر المحمل فقال ابن كنت فاذ حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رايتك ثم فقال يا ابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فاذا يتنى افيضوا علينا من الماء مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا ان الذين كفروا بآياتنا وكذبوا بلقاء الآخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار كدأب ال فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله قوى شديد العقاب ان الذين كفروا سيغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل اؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا انا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن وقل للذين اوتوا الكتاب والامين ءاسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله ويعلم ما فى السموات وما فى الارض والله على كل شىء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابرهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأت عمران رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله اعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب ان الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب انى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيى الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولاحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب لم تحاجون فى ابرهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده افلا تعقلون ها انتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لا تعلمون ما كان ابرهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابرهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الامين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون السنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال ءاقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شىء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابرهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءو بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات واولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم وما تخفى صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شىء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التى اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين وكاين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم فى اخراكم فاثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله خبير بما تعملون ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شىء قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبى ان يغل ومن يغلل يات بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شىء قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع اجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيئا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءو بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم ولله ملك السموات والارض والله على كل شىء قدير ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وما للظالمين من انصار ربنا انا سمعنا منادى ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا خصت ليلة القدر بالتاسع والعشرين فالايام السنة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل كيف يعقل حصول الايام قبل الشمس التي بها تقدر لان منه بطلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض في مقدار ستة ايام كقوله وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام سواء والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا لا انه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الاخرة كل يوم الف سنة مما تعدون والاكثرون على انها ايام الدنيا لان التعريف بها نافع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار وبقول يمكن ان تحمل الايام الستة على الاطوار الستة على الاطوار الستة التي للاجسام الطبيعية والصور قبل الجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيواني والله تعالى اعلم بمراده اما قوله سبحانه ثم استوى على العرش فمحل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش دل انتهائه احاطته به من الجوانب ونفوذه في الكل لا كاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي ولا كنفوذ النور الحسي في الشرف بل على نحو آخر تعود العبارة عنه او منها انه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاط جميع الاجسام اختلاط النفاذ وذلك مستحيل والذي محل الستموات اما ان يكون عين الشيء الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالين في محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب والتحيز في ذاته تعالى واما ما كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاجزاء فهو محال بالبديهة وان حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فرد لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء الحد ود من جانب وجوانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب اخر وايضا يصح على الشق المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها صح على الباقي فيصح النهوض والذبول والزيادة والنقصان والتفرق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل ان يقول انا نعني بالجسم ما لا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستحالة الشيء للحال غير كونه نفس المحل او مفتقرا الى المحل وحديث اختلاط الفاذ وان تحيل لا اصل له عند الرجل البرهاني ومنها انه لو كان الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض ظرفا لغيره واشار اليه بالحس ذلك باطل واعترض بان ذلك ايضا يرد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب بان مكان الجسم عندنا عبارة عن السطح الظاهر من الجسم الحاوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية وهذا في حقه محال لعدم تناهيه لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة في تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من ان استحالة المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى لهما الا الفراغ المحض وكان هذا المفهوم واحدا فالاختصاص بأسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به مختصا مختارا وكل ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول ما الباعث على ان يعقل له حيز معين ولو فرض لكان انتهاء الاحياز ايضا افتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعية بعد ذلك لا تضر ومنها انه لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس فهو اما ان كان قابلا للقسمة لزم التحيز والا لكان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان يقال ان اله العالم حيز من الف حيز من دراريع ملتصقة بعضها ببعض او لقائل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس مشار اليها بالحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم وكذا الزائد عليه بمقدار الذي فضل عليه مغايرا لما سواه ولقائل ان يقول لا نسلم بين الجسم وبين نور الانوار ويستحيل هذا التفاوت ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما زعم الخصم لزم الا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد ولقائل ان يقول ان برهان تناهي الابعاد لا نسلم ولو سلم فلا بعد فيها وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من وصول جسم اخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه اخر صح عليه التغير والتمزق وان حصل بينه وبينها مخالفة عرضية لا يوجب كان مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محلا لما به المخالفة او حالا فيه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا لكان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور التي بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية وكل ما يصح على الباقي فكل ما يصح على بعض الاجسام من التفرق والتمزق والتموج والذبول والعفونة والفساد يصح عليه تعالى وان كان ما به المخالفة محلا او ذوات وما به المشاركة حالا او صفة فذلك المحل ان كان

بعضها يصح على

له ايضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل اخر لان كل ما كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا فهذا خلف فان لم يكن حالا ولا محلا كان اجنبيا منها فيكون ذات الله تعالى مساويا لتمام الاجسام في الماهية ويحتج عليها هذا المحال وعلى التقدير الثاني وهو ان ذاته تعالى لا يمنع من حصول جسم اخر في حيزه ان سيرانه في ذلك الجسم وتداخل البعدين كما في الكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى في حيز محال ولقائل ان يقول كون الباري تعالى مع الحيز مغايرا لكون الجسم في الحيز فان الاشتراك ولو سلم فلا اشتراك في اللوازم لا يوجب الاشتراك في الملزومات فان ابن هان التركيب قوله فان كان محالا لذاته لكان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور الثلثة بها حصلت المخالفة اعراض وصفات لجواز قيام العرض بالعرض كالبطوء والتسرع القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال وجود بعد مجرد بل الوجوب والكلام في سيرانه في الموجودات قد مر منا لو انه كان في حيز فان امكن التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن الحدث او لا بان يكون محدثا وان لم يمكن التحرك منه كان كالزمن المقعد العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخر مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يكن اثبات حدوث الاجسام بدليل الحركة والسكون والكلام فيها عين ما مر قوله فان قيل ان نقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى الحيز فلا يوصف بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والحيز سلمنا وجوب تصافر بعدها فلم لا يجوز ان لا يمكن التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لا تر تو غير شاء لا يصح وصفه بالتخلل ويخرج ذلك فيستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز اخر وذلك لان العالم الذي لا نهاية له ما هو منه فكيف يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم جبلا واقفا في الحيز الخالي وان كان نورا محضا جاز ان تعرض هذه الانوار التي تشرق على الجدران الهاوية ايضا ان كان لها طرف وعمق وتحركان بالجذب ظاهرا والا كان سطحا في غاية الرقة مثل قشر القوم بل ارق منه الف الف مرة قلت ان امثال هذه الكلمات لا يصدر الا عمن لا يفرق بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادي والشيء القائم بذاته والمفتقر لغيره ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد جمع من جهود العقلاء ان الاجرام الفلكية لا اطلاق عليها الصلابة واذا جاز ان يكون في انواع الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بعدد من المتقابلين لان ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف باحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيها هو اشرف من ذلك النوع شيء لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق العرش لكان مماسا للعرش ومباينا له ببعد متناه او غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له تحيز فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان متحيزا ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى ابن ثانية وبعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم ان يكون غير المتناهي محصورا بين الحاصرين ولقائل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصح عليه الاتصال والانفصال والتماس والتباين والتداخل واشباه ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت اقوى كانت الفاعلية والتاثير اضعف وبالعكس ولهذا كان تاثير الارض اقل من تاثير الماء وتاثير الماء من تاثير الهواء وتاثير الهواء من تاثير النار بالاحراق والطبخ وتاثير النار من تاثير الافلاك المؤثرة في العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة اشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريئا من الجرم والجرمية والكائنية والاثرية قلت الاستقراء نوع انه صحيح تام اولا ولكن لا نزاع في ان واجب الوجود تعالى شانه بريء عن الجرمية والكائنية وعن كل شيء يقدح في قيوميته وههنا بحث قد اوردت في سورة الانعام في تفسير قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهذا بحث عقلية نصال بها الامام فخر الدين الرازي في تفسير الكبير قد اوردنا عليها ما كانت تردد من المنع والاعتراضات لا اعتقادا للتشهير والتجسيم او تقليدا للاولئك الاقوام بل تشحيذا للذهن وتقربا الى المعارف والحقايق وحينئذ بالصبع المتامل في المضايق والمزالق فليختر المنصف ما اراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف القناع عنها غير الحيا والله اعلم بحقيقة الحال ثم قال رد واما الدلائل التي تمسكوا بها فكثيرة منها قوله تعالى قل هو الله احد والاحد هو الذي لا يتجزى ولا ينقسم لذاته ولا يقبل التجزي والانقسام لذاته وايضا المتحيز الذي له مقدار ذراع لا يشغل بالمد بضعة حيزين بل كل منهما ذراع فاذا لم يشغل ذينك الحيزين متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار يقوم في ذاته حاصلا بجميع الاشياء لا منفصلا لانفصل الخيط عن الخاط ولا متصلا بها اتصال العرض السادي في الاجسام وهذا لا يلزم بانقسامها الانقسام ومنها قوله تعالى رب العرش العظيم فوقهم ثم مدد ثم اينه ويلزم منه ان يكون حامل العرش حاملا للاله والجواب انك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغني فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان والجهة والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها ان فرعون طلب حقيقة الاله في قوله وما رب العالمين ولم يرد موسى عليه ذكر الاوصاف والاعراض فقد طلب الاله في السماء قوله فاطلع الى اله موسى فعلمنا ان التدبير بين موسى ووصفه بالمكان والحيز بين فرعون والجواب لا نزاع في ان حقيقة ذاته كما هي لا يعلمها الا هو والبسايط المحضة لا تعرف الا باوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله شخصا

هذه على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم من اله غيري ومنها هذه الآية لانها تدل على انه استقر على العرش بعد تخليقه السموات والارض وكان قبل ذلك مضطرا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذا خلق ما خلق من عالم الاجسام والاختلاط وراء نور المحض وهو قصد ابراهيم وتبرهن الاقلين فلو كان جسما كان اما في الامكنة والجواب ان نور الانوار جل من ذلك وكما يلزم من كونه مع جميع الاحياء ومع ما سواها ان يكون في مرتبة الاجساد بل النفوس والعقول ومنها ان اول الآية اعني قوله ان ربكم الله خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشى الليل والنهار الى اخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو اتفق عليه بق وبعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته بهراء الملك والملكوت حتى تظهر هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستقرار بالتفسير الذي ذكرناه اول شيء على المدح والثناء وحديث لبق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الاله دالا الا على المدح ومنها انه سبحانه حكم في ايات كثيرة بان السماوات السبع والكرسي والعرش لان السماء عبارة عن كل ما علاك وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا للمتضادات والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع فهو سماء من غير اعتبار انه نور او جسم ان ذاته سبحانه محتجبة بل منفصل كقوله الله خالق كل شيء هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الآية قولان الاول انقطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تاويل الآية وتفويض علمها الى الله والثاني الخوض في التاويل وذلك من وجوه احدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وثالثها ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك ثم استوى على سريره ملكه اذا استقام له امره واطرد في ضد خلا عرشه اي انتقض ملكه وفساد فالله تعالى دل على انه وصفه وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذي الفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقرت عظمة الله تعالى في قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شيء ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باشتغال خاصة واذا قال قادر علموا انه تمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا انه غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول في كل من صفاته واذا اخبر انه استوى على عرشه وجب على عباده ان يعتقدوا انه ليس وضعا يقصد وتمكنا لما بهم وحوائجهم كما يقصد من يبوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه لينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتعظيمه وتبجيله فهموا منه انه امرهم بتعظيم ثم علموا انه لا يفرح بذلك التعظيم والتبجيل ولا يحزن بتركه ولا يعرض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقها استولى على عرش الملك والجلال ومعنى الزائد انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان ناس افعال لا يظهر الا في القابل وقال ابو مسلم العرش لغة هو البناء والعارش البناء قال تعالى ومن الشجر وما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقها قصد الى تقريرها وتسكينها بالاشكال المواظبة لها قوله سبحانه يغشى الليل النهار قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحملهما الا لفظ جميعا وقال صاحب الفائق لما اخبر بالاستواء على العرش وان امر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيته اراهم ذلك عينا فيما يشاهدونه ليضم العيان الى الخبر وقدم ذكر الليل والنهار لما في تعاقبهما من المنافع الجليلة فيهما ثم امر الجموة ثم وصف الحركة التي بحصلان منها بالسرعة حتما لا تفاوت في مقدارها بقول واحد واحد واحد بتحريك الفاء سبعا واثنين وثلثين فرسخا من مقعر فلكه والله اعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلنا محل الاولى فسنا نظر كانه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات والارض فاجيب بغشى الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف يحتمل ان يكون هذه الجملة مبينة واما الثانية ففي محل النصب على الحال من المحو كما ان حثيثا منصوب على الحال من الطالب هو الملحق به بعينه ثم قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات من قرأها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلنا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تبني زيدا مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات اي خلقهن مسخرات بمقتضى حكمته وتدبيره وقال في الكشاف يحتمل ان يكون امرا على التشبيه كما نقول ما امور ذلك وهم من حمل هذا الامر على الكوني هو الكلام وعلى هذا لا بعد ان يكون بامره متعلقا بيجري بدلا بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب عن ثلث جنابه البتة كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تاثيرها بالتسخين والقمر تاثيره في الترطيب تولد بخاصية عجيبة وتاثير غريب يعلم بالامر لا بمدعه وخالفوا واعلم ان الاجسام ثلثة الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور الظاهر والتسخين الشديد والتاثيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوته اخرى لابد ان يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق والمغرب وسيرا اخر سريعا بسبب كرة الفلك الاعظم فقوله يغشى الليل النهار تنبيه على ان حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الاعظم المسمى بالعرش وهي في جرم قوية قاهرة قاسرة باعتبارها قوية على تحريك عادونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وايضا ان اقسام الاجسام ثلثة متحرك الى الوسط وهي العناصر الثقيلة ومتحرك عن الوسط وهي الخفيفة ومتحرك على الوسط وهي الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لاجل المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولما ذكر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس واحوال الشمس

اي استعلاء

والنجوم

والقمر والنجوم وامر بالنظر الى ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها قائلا اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض الآية وقوله تعالى افلا ينظرون الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينّاها الآية ولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات وما بينهما الا بالحق وانه من صنف كذا باشر فيها مشتملا على دقايق العلوم العقلية والتعليمية فالمتفلسفون وان شرفوا وفضلوا فريقان منهم من اعتقد كونه تعالى على الاجمال ومنهم من وقف على دقايقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث حصل له بهذا النظر اثبات الصانع اما الذي هو المعرفة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل لكن لا بد ان ينتقل من برهان الى برهان ومن دليل الى دليل فان بقيته بقي بعد بعيد تتكامل الى ان تصير عالما معقولا مضاهيا للعالم المعقول وهذا هو المقصود الاعظم من انزال هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات الموقوفة على الالتفات والاسهاب واما قوله عز من قائل الا لله الخلق فالخلق عبارة عن التقدير ويختص بكل ما هو جسم جسما لانه يختص بمقدار معين فكل ما كان بريئا عن الجسم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجد بما كون من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق للتجزي وعالم الامر غير متجزي واستدلال الرجل انما يتم على الجسمانيات بتقدير وههنا مسائل ذكرها العلماء الاولى اقتران كلام منكلم امرا محبرا مستخبرا لان قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وسائر انواع الكلام ضرورة انه لا فاصل بالفرق الثاني انه لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر لو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وحينئذ يثبت المطلوب لان انتقال المخلوق الى الخالق لا مكانه والامكان مفهوم واحد فالممكنات وان تعلقت الحاجة الى موجود معين يجمع الممكنات محتاجة الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات يحتاج اليه كل الممكنات فذلك المعين هو الذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر يصدر عن فلك او ملك وجني او انسي فخالق ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر يتفرع على هذا انه لا اله الا الله والا كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة وايضا بالقول باصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى بالقول بان العلم يوجب العلم والقدرة يوجب القادر يبطل كل باطل ذلك لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه مميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وملائكته وجبريل وميكال وعارض الكعبي بقوله ما آمنوا يا ايها الذين آمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا بعد ان يقع الامر داخلا في الخلق ولكنه من حيث هو امر يدل على نوع اخر من الكمال والجلال والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال اخرون معنى قوله الا له الخلق انه ان شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر فيلزم ضمان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لكن ذلك الامر يجب ان يتعلق بكل ما كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف واجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة ههنا الخامسة الابد لا لة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله فعل الطاعة لا يوجب الثواب فعل المعصية لا يوجب العقاب ايصال الام لا يوجب العوض لما ساق دلك الابد على ان القبيح لا يجوز ان يقع لوجه عايد اليه والا لزم الامر بما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر الذي كيف شاء واراد هذا خلف لما سبق ان الخلق والامر فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم مما فيه من العرش والكرسي والكواكب اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل الممكنات السادسة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الا مر صفة له فكذا الخلق صفة قايمة بذاته فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخالق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما وهو باطل لما مر او يكون مخلوقا فاما ان يكون حادثا فيفتقر الى خالق اخر وهلم جرا وان يكون قديما ويمكن ان يقال الصفة قد يعبر بها عن المتعلق حادث التاسعة لا امر يقتضي ان لا امر الا الله وقول النبي صلى الله عليه وآله امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان الموجب لكل امر في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة الابد لا لة على ان الله تعالى اراد نهيا على عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع كان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وانهم الكافر والفاسق لا يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا يعود الى المكلف لانه سبحانه غني فيجب ان يعود الى غيره فينحصر في تحصيل نفع او دفع ضرر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف ضرارا محضا والجواب ان اقل الابد لا على انه تعالى هو الخالق لكل العبد واذا كان خالقا لكل ما كان مالكا لهم ومتصرفا في الملك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن منه ومستحسن منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا او من كونه موجبا عوضا وثوابا والمبارك انه الامر الذي الحكمة والتكليف لكرامته يستحق الثناء والتقديس فقال تبارك الله رب العالمين والبركة تفسيران احدهما الثبات والدوام

ولا ريب انه الواجب لذاته القائم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثابتها كثرة الآثار الفاضلة ولا شك
ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد
الى التكليف الموصل الى سعادة الدارين ابتدء ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب المارب الدينية والدنيوية فقال ادعوا ربكم تضرعا
وخفية قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل يجمع التضرع والتضرع
التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم والكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف
الشيء على نفسه قوله وادعوه خوفا وطمعا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوما لوقوع او كان مرادا
في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه
من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة وروحه يشتمل على فضائل كثيرة من لوسايط والروابط
ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روى عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد من الاخلاص في الصون عن الرياء والبهما اشار بقوله تضرعا وخفية ونحن اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرايطه في سورة البقرة عند تفسير
قوله واذا سئلك عبادي عني فانه ختم الآية بقوله انه لا يحب المعتدين اتفاق على ان لبس الجبة عند الحلاقة على الله شهوة النفس وميل الطبع و
لكنها عبادة عن ايصال الثواب واعادة الايصال لكنا لا نعرف تلك المحبة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء
نظير ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مريدا ثم يقولون ان تلك الارادة ليست بالكون ولا الاجسام ولا الالوان وبعني المعتدين المجاوزين ما امروا به
فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء وبقوله انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهره
الوجوب اذا قد ثنى على ذكريا ففال اذ نادى ربه نداء خفيا وعن النبي ﷺ دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه ﷺ خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرء قوله انه لا يحب المعتدين ومن ههنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في
العبادات الاخفاء ام الاظهار فضل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقبل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء توسط الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفا وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شائبة
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب
اخفاءه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى فاقبل فكذلك لقوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخفية
فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندب ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله ولا تفسدوا في الارض فيدخل فيه جميع انواع المنع
من افشاء النفوس بالقتل ومن افشاء الاموال بقطع الطريق والسرقة وافشاء الانساب بالزنا واللواط والقذف وافشاء العقول بشرب المسكر
وافشاء الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع افرادها
ومعنى بعد اصلاحها بعد ان اصلح خلق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين او المراد اصلاح الارض بسبب ارسال
الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرايع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرايع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث
الفتن في الارض كما لا يخفى على العاقل ثم انه تعالى لما نهى عن الافساد في الارض على الاطلاق دل على ان الاصل في المضار والآلام الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق بانها كانت تدل على ان الاصل
في المنافع والاذات الاباحة والحل فكل واحد من الآيتين مطابقة وموكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء
وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه المحمودة كرر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض
عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية لا ترى كونه الها لنا وكوننا عبيدا له اقتضى ان يحسن منه ان يامر عبيده
بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها لخوف
من العقاب او الطمع في الثواب لم يات بها لوجه وجوبها فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الامر ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض
الشرايط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرايط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا اعمالكم وان اجتهدتم انكم ادتهم حق ربكم كقوله والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة والجواب الصحيح عندي ان غاية
التكليف من الامر غير غايته من المامور به فان الغاية الاولى هي المصلحة الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من
العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله ان رحمة الله قريب من المحسنين ظاهره ان بين قربه وذكر الى حذف علامة التانيث

بالقضاء تم

وللمسلمين م

وجوها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد ولان المراد بالرحمة الترحم والرحم وقيل انه صفة موصوف محذوف اى شيء قريب وشبه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء وقيل لانه مرتجل بهذا المعنى كالنقيض صوت العقبان او الزجاجة والصعيف صوت الارنب قيل المراد ذات مكان قريب كالبين وتامر وروى الواحدي باسناده عن ابن السكيت يقول العرب هو قريب مني وهما قريب مني وهي قريبة تنبي تاويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الاذان بن داد بعد اعن الناس وقريبا من المستقبل اى الاخرة التي هي مقام رحمة الله ويمكن ان يقال المراد بقرب الحصول سواء كان في الدنيا او الاخرة كقوله تعالى ان نصر الله قريب قال المعتزلة ان هاهنا لما كانت حسنة للمحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شيء والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من امن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع على ان الصبي اذا بلغ وقت الصحوة وامن بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على ان قوله ما هيئة تهمة نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي بعد ذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهي الاثار العلوية المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها احوال الرياح والسحاب والامطار لما اقام الدلالة في الايات الاولى على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة في هذه الاية على صحة القول بالحشر والنشر بالايتين تقدير المبداء والمعاد فقال وهو الذي يرسل الرياح الرياح هواء متحرك ومحركه ليس له اذن ولا اللوازم ذائرط لا دام بدوام الذات فهو يحتاج الى فاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح تبخير من الارض اجزاء ارضية دخانية شديدة فبسبب تلك التخوين ترتفع ويتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الذي يقترب الفلك تمنع هذه الادخنة من الصعود بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تتبعا للفلك فترجع الادخنة وتتفرق في الجوانب بسبب تفرقها تحصل الرياح وكلما كانت تلك الادخنة اكثر وكان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح وتيرة بان صعود تلك الاجزاء الارضية اتما يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المحركة لحركة الفلك سلنا انها تصعد الى الطبقة المحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك بهذه وبهذه وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا يكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت اشد وجب ان يكون حصول اجزاء الغبار بها الارضية اكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شيء من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم بامتناع الصعود استعادة محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء الرابعة فقط وليس كذلك فان الواجب اذا خرق الهواء تحرك واضطرب وتموج شبيه بما يحدث في الماء اذا القي فيه حجر وكذا الكلام في الوجه بين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب صعود كوكب معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة وزتيف بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلاني انما يوجب تحرك الهواء بتسخين او تلطيف او تكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب لك الفاعل مكانا اكثر او افل مما كان عليه فيلزم من ذلك تحرك المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يندفع الى ان يتراجع جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل في موضعه بحسب مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يسند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قدم ذكر هذه السورة بين رسل الرياح بلفظ المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله هيهنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبان المستقبل واما في الروم فلمناسبة ما قبله وعلى هذا فقد ان يرسل وقال في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي لمناسبة قبله كيف مد الظل وما قبله وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبني على اول السورة فاطر السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر وقرئ انشرا على الحال بمعنى منتشرات واما الان ارسل ونشرا مثقلا بان كانه قيل نشرها نشرا من قرا نشرا بضمتين فانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف كرسل من قرا بشرا بضم الباء الواحدة وسكون الشين فانه مخفف بشر جمع بشير بمعنى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قد لا يتقدمه رياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعملون البدين بدل قدام واما مجازا لان اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين حتى اذا قلت حملت ودفعت واشتقاقه من القدم لان الرافع الذي يقدم على حمل الثقيل يزعم ان ما بين فعل قليل سحابا جمع سحابة وهذا قول ثعلب الاعلى الجمع جمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم في سقناه على صلة اما الذي في قوله وهو الذي على طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقول نحن ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم يصير متفرقة ومنها ان تحرك الرياح يمنعه ويمنعه فيمنع الاجزاء المائية الرشيدة عن النزول فيبقى معلقا في الهواء ومنها ان يدفع السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لها فيها

حد دخانيا بخار من الهواء

الهواء

من الشق

الاعراف

من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطئة لطاكما في الحريف منها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة للحرث الشديد كالسموم والبرد الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالجملة فهبت الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كذلك وقد يصعد الريح من قعر الارض فقد شاهد غليان شديد في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وعن ابن عمر والرياح ثمان اربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن بني آدم ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن السدي انه تعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فيزر الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهي المطر ومعنى لبلد ميت اي لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامرا وغير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج وابن الانباري هاي بالبلد وجائز ان يراد بالسحاب او بالسوق فالباء السببية فاخرجنا به قال الزجاج اي بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد الماء قال الحكماء انه تم الودع في الماء قوة وطبيعة يوجد حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست متولدة من الماء وانما اجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات يخرج الموتى فالتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيى هذا البلد الميت فيه النبات وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان من يقدر على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحياة في بدن الميت قال كثير من المفسرين المراد بانزال الماء تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال مطر على الاجساد الرقيقة يروى انه يمطر على احسائها المولد فيها بين النفختين مطر كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد بمطر السماء عليهم حتى ينشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر عن سل الارواح فيعود كل روح الى جسدها قال العلماء انه هو لاء المفسرين ردوا الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء المتفرقة والممتزجة غاير التفرق والتمزق وبهذا ختم الاية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع والصيف والخريف بالانهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر شبه القرآن بالمطر وذلك ان الارض المحترة اذا انزل بها المطر حصل فيها انواع الانهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة المنقية من الاخلاق الذميمة اذا اتصل بها انوار القرآن ظهرت عليه انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس المراد من الاية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة بقبل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب نفسه في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الاخرة بالمشقة القليلة احق منها ومن تحملها اداء للطاعات كان اولى وقيل الاية دلالة على ان الاستعداد لا ينقلب شقيا والعكس لا ينقلب سعيدا والاية تدل على ان الارواح قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان يعرف الحق بدلائله والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقيقية والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا يولد فيها الاشجار ولا الانهار ولا الثمار وتمام تقوى هذا الكلام ان النفوس مزاجها مختلفة في سبيل الله منها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قوة ومنها ما تمنعها الشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف ومن الراغبة في المال من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس وتمام تقرير هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج بناته حسنا كاملا الوقوعه في الجنات والنكد الذي لا خير فيه وتقدير الاية والبلد الخبيث لا يخرج بناته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو البنات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان مجرورا بارز امن قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نردد الايات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان فائدة التصريف تعود عليهم وانما خص الاية بالمؤمن على الشكر لان الذي سيتلو ذكره هو ايات الله تعالى بارسال الرياح النافعة فجعلها سببا للمطر الذي هو سبب الملاذ والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقدرته وذكره ومن الوجه الثاني على عظيم نعمته وقدرته فوجب من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله اعلم التاويل عرف ذاته الخافي بصفات الهوية والالوهية والفاردية والخالقية والمدبرية والحكيمية والاستوائية فقال ان ربكم الله الاية وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات الارواح الانسانية عالم المكونات منها الملائكة والجن والشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة فالنفوس السماوية والارضية والاجرام البسيطة العلوية كالعرش والكرسي والسموات والجنة والنار والاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر والاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدا الاجسام اللطيفة قابلة للفيض اولا والاستواء لا يفيد استواء المخلوقين كما ان علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة الروح يتصرف في النطفة اياما الحمل فتجعلها عالما صغيرا قابلا كالارض وراسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم بفيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات

وح يعظم صوت الرياح في بحر البحرة

البلد الميت يحيى الارض بواسطة انزال الماء على تم

والبلد الخبيث لا يخرج

ستة الايام

كالعالم صغير من صفات ادم

الجزء السابع

يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا على نهار انوار القلوب بالعكس الاله الخالق بواسطة الامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب او تضرعا باداء حق العبودية وخفية بطالب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون سواه ولا تفسدوا في الارض القلوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع او خوفا من الانثنية وطمعا في الوحدة او خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال من المحسنين الذين لا يرون سواه بل هو ينشر سحاب الهداية نشرا سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فانزلنا به ماء المحبة فاخرجنا ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام معيتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي بخلق باخلاق العبد كذلك نصرف الآيات الى النفوس صفاتها الى اوصاف القلب اخلاقه

ع ١٠ لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم

بتحقيق فرستاديم نوح را بسوي قومش پس گفت كه اي قوم من پرستيد خدا را نيست شما را خداي بجز او بدرستي كه من ميترسم بر شما عذاب روز بزرگ

قال الملا من قومه انا لنريك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم

گفتند بزرگان از قوم او كه ما هر آينه ميبينيم تو را در گمراهي هويدا گفت اي قوم من نيست در من گمراهي ولكن من پيغمبري ام از پروردگار جهانيان ميرسانم شما را

رسالات ربي وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم

پيغامهاي پروردگار خود را و پند دهم شما را و ميدانم از خدا آنچه كه نميدانيد ايا تعجب كرديد كه آمد شما را پندي از پروردگارتان بر مردي از

لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه في الفلك واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا

تا بترساند شما را و تا بپرهيزيد و شايد كه شما رحم كرده شويد پس تكذيب كردند او را پس نجات داديم او را و آنانرا كه با او بودند در كشتي و غرق نموديم آنانرا كه تكذيب كردند بآيات ما بدرستي

قوما عمين واخا هم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملا الذين كفروا من

گروهي كور دلان و بسوي عاد برادرشان هود را گفت كه اي قوم من پرستيد خدا را نيست شما را خداي غير او آيا پس نميپرهيزيد گفتند بزرگان آنانكه كافر شدند از

قومه انا لنريك في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب

قوم او كه ما هر آينه ميبينيم تو را در بيخردي و بدرستي ما هر آينه گمان ميكنيم تو را از دروغ گويان گفت اي قوم من نيست مرا بيخردي و ليكن من پيغمبرم از پروردگار

العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم

جهانيان كه ميرسانم بشما پيغامهاي پروردگارم را و من شما را پند دهنده ام ايا تعجب ميكنيد شما كه بيايد شما را پندي از پروردگارتان بر مردي از شما تا بترساند شما را

واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا

و ياد كنيد وقتي را كه گردانيد شما را جانشينان از بعد قوم نوح و افزود شما را در آفرينش درشتي جثه پس ياد آوريد نعمتهاي خداي را شايد كه رستگار شويد گفتند

اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم

آمدي ما را تا بپرستيم خدا را تنها و واگذاريم آنچه را ميپرستيدند پدران ما پس بيار ما را بآنچه وعده ميكردي ما را اگر هستي از راستگويان گفت كه افكنده شد بر شما

من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم

از پروردگارتان پليدي و خشم ايا بحضوت ميكنيد مرا در نامهائي كه خود نهاده ايد شما و پدران شما فرستاده است خداي از آنها هيچ پس منتظر باشيد كه من منتظرم با شما

من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين

از منتظرانم پس رهانيديم او را و آنانرا كه با او بودند بمهربانيء خود و بريديم و صل آنانرا كه تكذيب كردند آيات ما را و نبودند مؤمنان

القراءة الا غيره بالجر على الوصف حيث كان بن يزيد وعلى الباقون بالرفع حملا على محل من اله الا اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير الباقون بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بسطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد والبي عون عن قنبل وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخيرا الوقوف غير هاظم مبين العالمين لا يعلمون تعوون بايا ط عمين هود ط غير ط تتقون الكاذبين العالمين امين لنذركم ط تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون ابا فنا للعدول مع فاء التعقيب الصادقين وغضب سلطان لانتهاء الاستفهام الى امر المهدد المنتظرين مؤمنين التفسير لما ذكر تقدير المبدء والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الحق لا لنا عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله ﷺ ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على آيات الله سبحانه لا بهل المبطلين وان كان يعلمها ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد ﷺ من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة من القصص اولاها قصة آدم قد مرت في اول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسمه ادريس قبل كان اسمه بشكر فسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا فاندم او حين راجع ربه في شان ابنه او حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ

يا قبيح ضوتب على ذلك قال الله اعتبنى فخلفنه ام عتب الكلب هذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة فى المسمى والصحيح انه اسم اعجمى
قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال اخرون معناه انه تعالى حمل رسالته ونبوته بها فالرسالة على هذا التقدير يكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع
لانه اصل ومن الناس من فسر هذا البعث مبنى على مسئلة اصولية وهى ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض
من بعثه مجرد تاكيده فى العقول وهذا الاختلاف يتفاريع المعتزلة البنى امرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم
هو القيامة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى لقائل ان يقول بعد ظهور المعجزة جاز ولعله قد ذكر الحجج واحكامها الله تعالى انه قد علم
من القرآن ذم التقليد فى مواضع كثيرة فيعلم ان بنى الله لا يامرهم بالتقليد المحض وايضا قدم دلائل التوحيد والنبوة ومحل القرآن من اول سورة
البقرة الى هيهنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثانى كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع
والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ودفع اليه لانعام يوجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يجب منا عبادة الله تعالى قبل العلم بانه واحد
لانا اذا جوزنا التعدد امتنع من المنعم بقبح العبادة ضانعا والا لم يعنه استحق العبادة والا فهو الاول غير معبود ومعنى الخوف فى الاية قال بعضهم
الجزم واليقين فان كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا وقال اخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب ولعل
السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب على جواز ثم انه تردد فى وصف العذاب بانه فى نفس العذاب وقيل المراد من الخوف
التحذير وجملة قوله انى اخاف بيان للذى ان عبادته لانه هو المحذور وعقابه دون الاصنام فقال الملا من قومه اى الاشراف وصدور القبائل
الذين هم بعض قومه فى جواب نوح انا لنراك فى ضلال فى ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة والبصر بعد نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف بالتوحيد والنبوة والمعاد قال ياقوم ليس بى ضلالة لم يقل ضلال
ليكون ابلغ لعموم السلب كانه قال ليس بى نوع من انواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه اعيب الذى نسب اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها
فاستدرك قائلا ولكنى رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يبتنى على علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفى ذلك بيان فرط جهالتهم
وعنوهم حيث صفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذى لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان فى موضع
جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثانى تقريرها بالنصيحة فقال ابلغكم الا بر الجملة الاستيناف بها فانه
رسول من رب العالمين او صفة رسول ولما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غايب نظرا الى المعنى كقوله انا الذى سمتنى امى حيدره رسالاتى
ربى ما اوحى الى فى الاوقات المتطاولة او ما اوحى الى فى المعانى المختلفة من الاوامر النواهى وشرح مقاديره وان كان جابرا ولكن يقول نصحت
لك قال فى الكشاف وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على اخلاص النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ومعنى
الامين وانا بالنظر لكم كاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب ادعوكم الى ما دعانى الله تعالى واحب لكم ما احب لنفسى وَاَعْلَمُ مِنَ اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُوْنَ اى اعلم انكم
ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم فى الاخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من
صفاته ما لا تعلمون يكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه فى طلب تلك العلوم او عجبهم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم
وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعنى الوحى الذى جاء هو به وقال اخرون الذكر المعجزة كالعصا او غيرها كاب قبل هو الموعظة على سبيل اى على اسنا
قاله ابن قتيبة نظيره انا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وقال الفراء على يعنى مع تقول جاءنا الخبر على وجهك كلاهما جايز وقيل الميم بمعنى
منكم من بنى نوعكم كانهم استبعدوا ان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة للمبعوث اليه تعالى
ولا للعباد لتضرره فى الحال وامانى المال فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف ايضا ان العقل كاف لمعرفة الحسن القبيح والاعلم
حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه ترك جذرا عن الخطر وتقدير انه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة اولى لشدة بطشهم وقوة
عضمهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح وتقدير جواز كون النبى من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا حاله لا يصلح
للنبوة فانكر نوح عليهم كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الاهلية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخالجهم
تلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينافى حال الالجاء المنافى للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس
اسكن وقد مر فى اول الانعام ثم بين ما لاجله بعث الرسول فقال لِيُنْذِرَكُمْ ولا يخفى ان ترتيب النبوة على الانذار للتقوى و
من التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائى والكعبى فى الاية دلالة على انه تعالى لا يريد من المبعوث اليهم الا التقوى ومن التقوى الجنة دون الكفر والعذاب
وعورض بالعلم والداعى كما مر مرارا فكذبوه فى ادعاء النبوة وتبليغ التكليف اصرارا قال بعض العلماء ما فى حق العقلاء من التكذيب بغير
الباء نحو كذبوا رسلى وكذبوه وما فى حق غيرهم غالبا نحو كذبوا بايانا والتحقيق ان المراد كذبوا دلائلنا وبراهيننا فانجيناه والذين استقروا
معه فى الفلك وانجيناهم من التغريق من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا وامراة وقيل كانوا ثمانين نوحا سام وحام ويافث وستة ممن امن واتبعه
قال فى سورة هود وقيل نجيناه ومن معه فى الفلك لان التشديد للتكثير لفظة من ادل على العموم وهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والذكر
والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عميين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة تقول العرب عمى

الاعراف

بالعظم

الضر وهو

ذكر

ومع وجهلهم

ومن الانذار

الجزء الثامن

البصيرة واعمى البصر العين يدل على عمى ثابت على عمى حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا والتقدير
لقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم هودا ما كان اخاهم فى الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من ادم ومن جنسهم لا من جنس المنكنة
والجن وقيل اراد واحدا منهم قاله الكلبى وهو من قولك يا اخا العرب لواحد منهم وخص واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله فى صدقه
واما نسبه وقيل معناه صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح وهود اعطف بيان لاخاهم واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف
قال ابن اسحق والاحقاف رمل الدهناء بين عمان الى حضرموت واعلم الفاظ هذه القصة بعضها موافق الالفاظ المذكورة فى قصة نوح وبعضها مخالفها
فلنبين اسرارها الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة واما هود فما كان حده الى هذا الحد فلا جرم جاء بالتعقيب فى قصة نوح ودون قصة هود وواقعة
هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك اى لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذى اشهر خبره فى الدنيا ومنها
قال الملأ من قومه ويمكن ان يقال اضمر ارسلنا اضمار الفاء لان الذى يلى الالفاظ لفظ ارسلنا وفى الكشاف ان هذا وارد على سبيل استيناف
قصة هود قال الملأ الذين كفروا من قومه اقوال هذا ان هذا وصف ثان للملأ لا عبرة اما انه لم تكن فى اشراف قوم نوح من يؤمن وكان فى اشراف
قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنريك فى ضلال مبين وقوم
هود قالوا انا لنريك فى سفاهة اى متمكنا منها ممكن المظروف من ذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد
السفينة مدة طويلة فوصفوه بضعف الرأى البعد عن السداد واما هود فما ذكر شيأ الا ان معتقدهم فى عبدة الاصنام وطعن فيها فقابلوا
بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين فى ادعاء الرسالة قال الظن يعنى الجزم
واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه ان الشك والتجويز فى اصول الدين يوجب
الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عد العود الى تجديد تلك الدعوة فى كل يوم مرات عشرة وصيغة الفعل
دلت على التجدد والاستمرار ولهذا قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا الى اخر الايات واما هود فكانا بتا على النصح غير مجددا اياه لحظة فلحظة
كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا قال اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلا جرم امسك هود لسانه واقتصر على
وصف نفسه بكونه امينا ثقة اى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقى ان اتى بالكذب والغش او المراد تقرير الرسالة فانها تدور
على الامانة اى انا لكم ناصح فيما ادعوا اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه وفى هذين الجوابين عن مثل ذينك التشخيصين مع جلالة القدر وهما دليل
على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفاهة الا بالكلام المبنى على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لبئس ذكرتم لما مر فى قصة نوح ان فائدة الانذار
هى حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ختم الى ذلك اخر مخاطبتهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اى خلفتهم
فى الارض او جعلكم ملوكا فاستخلفكم فيها بعدهم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به باذكروا او ظرف
ذكروا وقت جعلكم وزادكم فى الخلق بسطة فالخلق التقدير وقلما يطلق الا على الشئ الذى له مقدار وجهة وطلب زيادة فى اجسامهم زيادة
خارقة للعادة والا لم تذكر فى معرض الامتنان فى الكلى كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال اخرون تلك الزيادة هو مقدار ما
يبلغه بد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة فى القوة ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة
فى القوة ومنهم من قال الخالق الخليفة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين فى القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين فاذكروا
الاء الله فى استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والاء الله نعمه واحدها الى وقناة وآناء كعنب واعناء قال ابن الجوهرى واحدها الى
بالفتح وقد يكسر ويكتب لينا ء استدل الطاعنون فى وجوب الاعمال الظاهرة بالاتيان فقالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر واجيب بان
الايات الدالة على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا الاء الله واعملوا اعمالا يليق بذلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم بنعم الله
عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا من صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شئ من النعم لانها
جماد لا قدرة له اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده الهمزة لانكار
خصائص الله وحده بالعبادة والمجئ اوجه منها ان يكون لهود معتزل يختفى فيه اى تعبدكما كان يفعل رسول الله صلعم بحرا قبل المبعث فلما اوحى
اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا ملكا فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجئ الملك ومنها ان يراد بالقصد
كما يقال ذهب يشتمنى ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا تعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اى منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التى
وقعت الابتلاء بها ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا كما يقول الموحد لا اله الا الله وقال الله وحده لان الفرض انهم مشركون ثم ان
قول هود فيما قبل فلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجل العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فاتنا بما تعدنا
فاجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحمل على معنيين متغايرين لكان العطف اما العضب حقيقة فاعادة
ايقاع السوء كما سبق مرارا واما الرجس ضد الطهر كما قال سبحانه فى صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وقال الفعال الرجس هو الاذى فى الكفر بالنبى على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص اما قوله قد

والتقدير على ان هودا

وقال هود انا لكم

والجماد

وقع ولا يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى احدث ارادة فى ذلك الوقت وقيل اراد هو
انه اخبر بنزول العذاب قيل جعل المتوقع الذى لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد انها ستكون البتة
وعن حسان ان ابنا لعبد الرحمن لسعد بن بنو وهو طفل فجاء اباه يبكى فقال له يا بنى مالك فقال لسعد طهور كان ملتف فى بردى حبرة فضربنى فى
صدره وقال يا بنة قد قلت لشعر ثم انكر عليهم قبيح فعالهم فقال اتجادلونى فى اسماء تسمونها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اى لا حجة على حقيقتها فنزل والحاصل انها اسماء بلا مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها
معدوم محال سموا واحدا بالفرية مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عز اصلا وسموا اخر منها بالات من الالهة اثر وقال انما فى هذه السورة نزل
وفى غيرها سيجئ انزل لان نزل للتكثير فيكون المبالغة وجرى ما بعده مجرى التفصيل للجملة والله اعلم ثم اتى بذكرهم وعبد الجبار قال فانجيناه و
الذين امنوا معه برحمة منا بسبب رحمة كانوا يستحقونها منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا اى استاصلناهم عن اخرهم وقدم مثله فى الانعام
وفائدة نفى الايمان عنهم فى قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بآيات ربهم ان يكون تعريضا بمن امن منهم كمرثد بن سعد ونحوه
ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل من امن منهم ومعنى وما كانوا مؤمنين فى علم الله تعالى اى لم يكونوا بحيث من الممكن ان يكونوا
يقولوا امنوا قال فى الكشاف وان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمودا والطيا فبعث الله
هودا نبيا وكان من اوسطهم واشرفهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلث سنين حتى جهدهم ذلك وكانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العالق واولاد عليق وهم بنو اسم بن نوح
وسيدهم معوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز بن ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما نزلوا
على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم انزلهم واكرمهم كانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وبغنيهم الجرادتان
فتهنان كانتا لمعوية احداهما ورده والاخرى جوادة ولما راى طول مقامهم وذهولهم بالله هو عما قد موا لاجله امرهم بذلك وقال قد هلك اخوالك
واصهارك وهؤلاء اعمامك عليه وكان يستحى ان يكلمهم فخفتان بلحوا بر ثقل مقامهم عليه فذكرى ذلك للمغنيتين فقالتا قل قولا تغيظهم به لعل الله يرحمنا
من قاله فقال معوية الا يا قيل ويحك قم فهم لعل الله يسقينا غماما وبسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلام اللهم اخفاء الكلام
فى الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعلنا سقاتيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اى لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا بهذا قالوا
ان قومكم يغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأ عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم واظهرتم اسلامكم فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
ثم ناداه منادمن السما يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوافانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادلهم يقال له المغيث فلما
فاستشرفوا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم وبخاهود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله بها حتى ماتوا الثانية
لقد ارسلنا نوحا الى قومه ببلاد الفوالج وهم القلب صفاته والنفس صفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب
النفس وصفاتها الى الله وعبوديته من صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والنجح فكذبوا يعنى النفس وصفاتها نوح الروح فا
فانجيناه والذين معه فى الفلك الشريعة واغرقنا النفس وصفاتها فى البحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه
وزاد كونه الخالق مطهرا كاوقع التفاوت بين الشخص وشخص فى يهود الى المانى اوقع التباين بين قوم فيلزم رجع الى المعانى قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اى
مقالتكم تدل على حالكم انه اصابكم سطوات العذاب فمن امارات الاعراض والعمد الى شهود الاغيار وتفريغ ايام فى بحار الظنون والاوهام والجدال

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ع ٧
وفرستاديم سوى ثمود برادرشان صالح را گفت اى قوم پرستيد خدا را نيست شما را خدا غير او هر آينه آمد شما را حجتى روشن از پروردگار شما اين ست ناقه خدا از براى شما نشانى
فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَ
پس واگذاريد او را كه بخورد در زمين خدا و ملاقات مكنيد او را بمدى پس فرا گيرد شما را عذابى دردناك و ياد آوريد وقتى را كه گردانيد شما را جانشينان از بعد قوم عاد
بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ
منزل داد شما را در زمين كه فرا ميگيريد از دشتان قصرها و ميتراشيد كوهها را از جهة خانه پس ياد كنيد نعمتهاى خدا را و حركت نكنيد در زمين
مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا
فساد كنندگان گفتند بزرگان آنان كه سركشى كردند از قوم او مر آنهائى را كه ناتوان شمرده شدند مر آنهائى را كه ايمان آورده بودند از ايشان آيا دانيد كه صالح
مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ
فرستاده است از پروردگار خويش گفتند بيگمان ما بچه فرستاده شده بآن گرويديم گفتند آنان كه بزرگ شمرده شدند بدرستيكه ما بچه گرويديد بآن كافرانيم
فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ
پس پى كردند ناقه را و سركشى كردند از فرمان پروردگار خويش و گفتند اى صالح بيار ما را بچه وعده ميدهى ما را اگر هستى از پيغمبران

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ
پس فراگرفت ایشانرا عذاب پس صبح کردند در خانها و منزلهای خود زانو زدگان پس روگردانید از ایشان و گفت ای قوم من آنینه رسانیدم شما بپیغام
رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ
پروردگار من و پند دادم شما را ولیکن دوست ندارید پندهندگانرا و لوطرا چون گفت مر قوم خود را آیا میآیید بفعل زشت که پیش گرفت شما را از این هیچ کس از عالمیان
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن
بدرستیکه شما میآیید مردانرا از غلبه شهوت از غیر زنان بلکه شما گروهی زیاده رو اید ونبود جواب قوم او مگر اینکه گفتند بیرون کنید ایشانرا
قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ
از شهر شما بدرستیکه ایشان مردمانیند پاک جوینده پس رهانیدیم او را و اهل او را مگر زن او بود او از بازماندگان و بارانیدیم بر ایشان بارانی پس بنگر که چگونه بود عاقبت گناهکاران

القراء وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص سهل انكم بهمزة بين ابن عامر وهمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص هشام يدخل بينهما مدة انكم بالمد وبالياء ابو عمرو وعبد الوارث بالهمزة والباقون بالياء ابن كثير ويعقوب غير زيد الوقوف صالحا لئلا يظن ان صالحا صفة لاعلم فاجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب غير من الاعلام العربية غيره من ربكم ايهم بيوتا لما في قصة هود بن بسطة مفسرة من ربكم مؤمنون كافرين المرسلين جاثمين ناصحين من العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم لاحتمال التعليل استهزاء لامرانه لاحتمال الاستيناف والاشبه انها حال المراة من الغابرين من مطر الحجر من التفسير القصة الوابعة قصة صالح مع قوم ثمود قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد هو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانما لا ينصرف تارة بتاويل القبيلة وينصرف اخرى بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخ جديس وطسم وقد ورد القران بالصرف وبمنعه جميعا قال تعالى الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد جاءتكم بينة ايذ ظاهرة دالة على صدقي وكانه قيل ما تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم ايذ وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه عليها ايذ ولكم بيان لمن له ايذ موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص اولئك الاقوام بها مع انها ايذ لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبق سائر المعجزات الان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى فلهذا حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطرقة ايذ من ايمانه كما يقول ايذ الله وبيت الله وبالحقيقة هي ايذ تشتمل على ايات فخروجها من الجبل ايذ وكونها الامن ذكورا ونثى ايذ وكمال خلقها من غير تدريج ومهل ايذ ان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم ايذ وكذا الكلام في قوتها الماء والمرعى غرارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تلد قط بين قط وهو دال على ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم فذروها تاكل في ارض الله اي لتنافذ ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارضها وتمام انبت منها ولا تمسوها بسوء من العقر والطرد وسائر انواع الاذى اكراما لانها ناقة الله فياخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستئصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفسيره كما في قصة هود وبوأكم في الارض انزلكم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولها الارض قصورا بما تعلمون من الاراضي السهلة لبنا واجاد وصفها وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا في حال الخياطة ويجوز ان يكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما مر في موضع اخر وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه مفعول به وقيل لمرادفتها كانوا يسكنون السهول في الشتاء والجبال في الشتاء فاذكروا الاء الله يعني الى قد ذكرت لكم بعض نعمه ربكم فاذكروا انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهي عن عقل لتنافذ الاول احمل على العموم واعم انه قد مر في اوائل سورة البقرة قال الملا الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا الى المساكين الذين استحقروهم رؤساء الكفار وقوله لمن امن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا بتكرار الجار لشدة الاتصال والضمير فيه اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض وهو دال على ان المستضعفين فريقان مؤمنون وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل وهو دال على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان يستخفهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين ولا بد دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصدق والانفياد يشأ من قلتهما اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه على سبيل التحكم والتخريج لا للاستعلام والاسترشاد قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب انما الكلام في وجوب الايمان فجزموا بانه مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا في جوابهم انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عن قوائم البعير ثم اطلقوا على الخراطلا فالاسم السببي لمسبب او سند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد بقي للقبيلة العظيمة انهم علموا كذا او لعله لم يفعله الا واحد منهم كفوله واذ قتلتم وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو العلو في الباطل فامر ربهم شانهم اي في هذه المرة امرا صحيحا

من قوله فاذروها ولا تمسوها والمخاطر بهم بتركها كان هو السبب في عقرها فان الانسان حريص على منع قومه فقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين اطلقوا الوعد واردوا ما وعدهم من العذاب لانهم استعجلوا العذاب لما كان لا جل تكذيبهم لكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرحل وكما ترجف الشجرة اذا رجفها الريح وهذا لا ينافض ما ورد في وضع اخواتهم انهم اهلكوا بالطاغية وفي اخواتهم انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والعذاب الذي لا تنفك عن الصيحة الهائلة واصبحوا في ديارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار الكل واحدا من منزله الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانت اهم من التساء فبالغ فيها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين موتى لا حراك بهم قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل يقال جثوم الطير هو وقوعها طيارا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتول عنهم الفاء للتعقيب فالظاهر انه اد بر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين قول معتم متحسر على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحدا لرسالة لتخالف عامة في قصتي نوح وهود لان المراد هناك اشياء كانا يامران بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع في اخر القصة فاراد بها مجموع ما ادى من الرسالة واراد بذلك اذا حدثت انا فقد نصحت لكم لكمال جهدي في النصح ولكن لا تحبون الناصحين حكاية الحال ماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه هو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني فحكى ما القيت بنفسك الى الهلكة والقاء في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به ولعل القائل انهم بتسلية بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وان رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على قليب تتلى ببدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف تكلم قوما هلكوا والجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب تفسير اخر وهو ان يكون توفي عنهم توفي ذاهب عنهم منكر الاصرار هم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عاد الما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فخذرهم وانذرهم فسألوا اية فقال اية ناقة تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فدعوا الهتهم فان استجيب لنا اتبعناك فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الا تستجاب فلم يجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل بقي لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي اذا كانت البطن فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة شرقاء كما وصفوا وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدت ستين ذراعا ثم نتجت فلدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من ذؤبانهم ان يؤمنوا فكنت الناقة ولدها قرب الصخرة وتشرب الماء وكانت ترعى الشجرة وتشرب الماء وكانت ترغيا كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك ان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا لهم يوما وايانا قال السكر وكان الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي لكل فكانها كانت تصبأ اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تحلب قطرة واحدة وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح بولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من ابنائهم فتمرد الولد العاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام قال لهم هل لكم في ان اعقر هذه الناقة فتشد عليها فلما ابصرت بريشدت عليه فضربت منها الى جانب صخرة فرزرتها عليه فلما مرت بريتنا وطها فعقرها فسعت فدلت قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهر الحي كفرهم وقبل ذبحت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المحتار لما اضرت الناقة بمواشيها وكانتا كثيرتي المواشي وتقسموا لحمها والجحوه فانطلق منها حتى صعد في جبل اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد عقره فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين فلما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر تكفنوا بالانطاع فاتاهم صيحة من السماء فقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان العاقل مع مشاهدة المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف ان يكون توبتهم مقبولة عن جابر ان رسول الله ﷺ لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان نبتا مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه بأسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عقرهم الناقة كان

فقال لما استعنا الروان استجبنا لنا

الكاثبة رملة

فقال الغلام هل لكم ان اعقر هذه الناقة

يوم الاربعاء ونجاهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو بكة فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروى ان رسول الله صلعم مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال يا علي انك ترى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح انك ترى من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال ومن قاتلك القصة الخامسة قوله سبحانه ولوطا اذ قال لقومه ثقدير ارسلنا او نبأنا او ذكر قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكروا لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف واتما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم احد السببين انا لتأتون الفاحشة انفعلون الخصلة المتادية في القبح ما سبقكم بها فان في الكشاف لبا للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبل اي ما عملت قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء فيه مثله في قولك كتبت بالقلم قوله تنبت بالدهن اي ما سبقكم ملتبسا بها من احد من العالمين من الاولى زائدة لتاكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله انا لتأتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال وانتم اقل من عملها وهو جواب سؤال مقدر كانه قيل له لم لا ينهاهم فقال ما سبقكم بها من احد فلا تفعلوا اما لم تسبقوا بها ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني وههنا سؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق بهذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات والمراد الاقبال بالكلية على ذلك العمل لم يوجد في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا يكونون الرجال في ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض انكم لتأتون الرجال بيان لما اجمل في قوله انا لتأتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفي الثاني اكثر ولهذا زيد فيه ان مثله في النمل تاتون الفاحشة أتأتكم لتأتون الرجال فجمع بين الوان لم وافقه اخوالقصة انا منجوك انا منزلون وانتصب شهوة على انها مفعول له اي لاجل اصل لكم على غير شيء الرجال من دون النساء لا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا بمعنى شهوة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لان تكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء ومنه هذا الابنية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الايات التي قبلها من وهي العالمين الناصبين جانبين المرسلين وفي النمل قال بل انتم قوم تجهلون اما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغاير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فلتوافق ما قبلها من الايات وكلها افعال يبصرون تنفون يعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال وتعاب النفس في وجوه المكاسب انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وحينئذ يحصل الولد شاء ام ابى بهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في السفي والغرض ابقاء النوع الانساني اللذة هو اشرف الانواع فكل لذة لا يؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بحرمتها لما فيه من ضياع البدن ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة يشبه بالبهائم وخروج عن العزيزة الانسانية وهيئات الفاعل يلتذ بذلك العمل الا انه سعي في الحاق الغار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لتنفر الطبع عن وجوده واما حصول هذا العمل بين الرجل والمراة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما في خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ومنها انه تعالى اودع في اوعية المني قوة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شيء منه في مجاريه واوعيته اما اذا وقع الذكر فانه يبقى شيء من اوراخ المني في المجاري فيعفن ويفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد بذلك القوانين الطبية قال بعضهم والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم بمقتضى حل وطي الملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله انا لتأتون الذكران من العالمين لان كلا من الاتيان اعم من الاخر من وجه لان الملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احدهما بالاخر ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل ولان الملك مطلق التصرف ولان شرع محمد ناسخ من شرع لوط واجيب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من محمد ان هذا العمل حرام قال وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفي النمل اخرجوا آل لوط فما كان وفي العنكبوت وتأتون في ناديكم المنكر فما كان صحة تعقيب الفعل الفعل الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم وفي النمل اخرجوا آل لوط ليكون ملتقى التفسير الحذف الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح في الاولى وكنى في الثانية سؤال في الكشاف يعني ما الجاب بما يكون جوابا عما كلهم به لوط عليه من انكار الفاحشة ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاءوا بكلام اخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم مجاهرة بما يسمعونه من وعظهم ونصحهم قولهم انهم اناس يتطهرون يتنزهون بهم ويتطهرهم من الفواحش وافتخارهم كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من افسقه بعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى

طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المخاطبي والاثام فانجيناه واهله اى انصاره واتباعه والذين قالوا دينه وعن ابن عباس اراد المتطهر
بسقي التشبيه بل قوله الا امرأته يقال امرأة الرجل لزوجته ولا يقال امرأة الرجل يعني زوجها لان المالكية حق الزوج كانت من الغابرين
وفي النمل قدرناها انها من الغابرين اى كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتأخر نزول الاعراف فالمعنى قدرنا
من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اى من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا او الذين كبر لتغليب الذكور وكانت كافرة
موالية لاهل سدوم روى انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال امطرنا عليهم مطرا اى ارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم قيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجارة بعين يوما حتى
قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع فانظر يا محمد صلى الله عليه وآله وكل من له اهلية الاعتبار كيف كان عاقبة المجرمين وهذه الامة وان امنت من
عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شعار المؤمن لا ينبغي ان يغفل عنه على ان عذاب الاخرة اشد وابقى ولما بوبوه بعد مسائل من هم
الشافعي ان اللواط يوجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى ان يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالاية تدل على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه
فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن
لما روى انه صلى الله عليه وآله قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد
ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب باللواط فيختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف
كالمرتد والثاني ويه قال مالك واحمد يرجم تغليظا وروى عن علي عليه السلام والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق لهبوط احدا في عذاب
قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او نحوها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة البضع لا تضمن وان كان مكلفا طائعا ففيه قولان بناء
على ان الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يجلد حد الزنى يجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امرأة في دبرها فلا ملك ولا نكاح فلا
لاظهار لواط لانه اتيان في غير المأتي ويجيء في الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل الحد زنى لانه وطي اثم فاشبه الوطي في القبل فعلى هذا حده حد
الزنى بل الخلاف في ترجم المرأة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امرأته او جاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع
الحد لانها محل استمتاع بالجملة التأويل هذه ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء بشعب السر وهو الخفي و
ناقة الله هي التي تحمل امانة معرفته ويعطي ساكن بلد القالب من القوى الحواس كل الواردات الالهية فتدروها ترتع في رياض القدس في حياض الانس
ولا تمنعوها الحاق النفس الشريرة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء مستعدين
للخلافة بوا كم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان والجنان تنحتون من جبال اطوار القلب
بيوتا وهي مقامات السائرين الا الله فاذكروا الاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتمم ترويح الظاهر والثاني يوجب علو السر فالترويح بوجوه المبارد
التلويح بنسيم الاسرار ولا تعثوا في الارض القلب بالفساد المستعد لاصلاح الفطرة الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الدنية هذا الذين استضعفوا
من اوصاف القلب الروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل نفحة الحق الى بلد القالب وساكنيه لهدايتهم من الاوصاف السفلية الظلمانية
الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا الى النفس ناقة سر القلب بسكاكين محالفات الحق فاخذتهم رجفة الهوى فاصبحوا دارا قالبهم جاثمين والله اعلم

وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وفرستاديم بسوى مدين يكى از ايشان شعيب را گفت اى قوم من پرستيد خداى را نيست شما را خداى جز او هر آينه آمد شما را حجتى روشن از پروردگار شما پس تمام كنيد پيمانه
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
وترازو را و مكنيد مردم را چيزهاى ايشان را ناقص و مكنيد در زمين پس از اصلاح آن اين بهتر است مر شما را اگر هستيد مؤمنان و منشينيد بهر
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
راهى وعده ميدهيد مردمان را باز ميداريد از راه خدا هر كرا كه گرويد بخدا و مى جوييد راه خدا را كه يدوقتى راكم بوديد كه بسيار كرد شما را و بنگريد كه چگونه بود عاقبت
الْمُفْسِدِينَ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ قَالَ
مفسدان و بود كه گروهى از شما گرويدند بآنچه فرستاده شديم بدان و گروهى نگرويدند پس تأمل كنيد تا داورى كند خدا ميان ما و او بهترين داوران گفت
الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ
بزرگان آنان كه كردند تكبر از قوم او هر آينه بيرون كنيم تو را اى شعيب و ايمان آوردند با تو از ده كه كفر بركردى در ملت ما گفت آيا اگر باشيم ما
قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ
بحقيقت بر خدا دروغ بسته ايم اگر برگرديم در ملت تو پس از آنكه نجات داد خدا ما را از آن و سزاوار نيست ما را كه برگرديم در آن مگر آنكه بخواهد خدا

ربنا وسع كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا
پروردگارا فراگرفت دانش تو هر چیز را پس توکل کردیم بر پروردگار خود پروردگارا بگشای در میان ما و میان قوم ما بحق و تو بهترین گشایندگان و گفتند بزرگان آنان که کافر شدند
ع ۲ من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان
از قوم او که اگر پیروی کردید شعیب را شما آنگاه هر آینه زیانکارانید پس فرا گرفت ایشان را مذاب پس صبح کردند در خانهای خود زانوزدگان آنان که تکذیب کردند شعیب را
لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين
گویا نمیدیدند در وی آنان که تکذیب کردند شعیب را بودند آنان زیانکاران پس روی گردانید از ایشان و گفت ای قوم من تحقیق که رسانیدم شما را پیغامهای پروردگار خود و پند دادم شما را پس چگونه اندوه خورم بر گروه

القراءة كاسرا الواو وفوق شعيبا غير أصله الهمزة ومن منع لعطف المتفقين أو لتنوع العارض وأس الآية نوع جاج لا اتفاق الجملتين مع طول الكلام وكثرة العطف
المتفقين المفسد هنا لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحاكي الجو الناسع ملتاط كارهين قيل الوقف لازم الابتداء بقوله قد افترينا قبح قلنا
اذا كان محكيا عن شعيب كان اقبح ولكن الكلام معلق بشرط يعقبه منا الله تبنا عملا تو كلنا للعدول الفاتحين الخاسرون جاثمين ان يوصل وقف
على كان لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين
بدلا عن الذين الاول وقف على شعيب يستانف بكانوا ولا يبعد من نفس الخاسرين وضعف لكم لان كيف نصب للابتداء معان فيه فاء التعقيب كأنه
والله اعلم التفسير لقصة الخاسرين قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانه شعيب بن مويب بن مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان نبي له خطيب
الانبياء الحسن لما بعثه قومه وذلك انه لما مر بهم باشيا الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرايع جميع الانبياء الثاني
متصل بقوله ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اي معجزة دالة على نبوتي ففي الآية دلالة مجملة على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدع
نبوة والا كان متنبئا غير ان معجزة لم يذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه آله فيه يحكي انه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا صارت
ثنين وايضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلدا ولادا عنقها اسود وسائرها ابيض وقد وهبها منك وكان الامر كما اخبر وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى
فقال اهل التسنن ان هذه الامور علامات نبوة موسى وهي تتراءى لها صاوقالت المعتزلة انها معجزات شعيب على ان الاراهاص عندهم غير جائز الثاني
قوله فاوفوا الكيل الآية واعلم ان للانبياء عادة ان يبدؤا في الموعظة بما يكون مقبولا عند قومه وكان قوم شعيب مشعوفين بالتطفيف والتطفيف كان
يقول البخس عبارة عن الجناية بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت الشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر
فاوفوا الكيل والميزان تمامه في الكشاف لم يقبل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل هو المكيال او سمي المكيال بالكيل كما قيل العيش
لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوهم حقوقهم اذا نقصته
اياه ومنه قيل للمكس البخس في المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال تغلب ان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة بضرب من الابعاض
بوفيه دهاء وجوز خص لانهم عمم ليشمل جميع انواع التضييع كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع بوجوه الاحتيال وبخسهم
انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهم الجباية وقالوا لها هي بوخ فقطعوها قطاعا
ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس
وكل ما يوجب مفسدة ومنوة والمعنى بعد صلاح اهلها على حذف المضاف او كقوله بل مكر الليل والنهار اي بعد الاصلاح فيها بفضل
اصلاح الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العالمين شرايعهم ذلكم الذي ذكرت من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة
البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة
على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط حقيقة ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق
والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من امن بشعيب يقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطرق او كانوا عشارين
وقيل انه مجاز وهم الذين قعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لا جل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لأقعدن لهم
صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله بقي قعد بمكان كذا اي نصب به وعلى مكان كذا اي على ذلك المكان و
فيه اذا دخل حرف الجر بتعاقب مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وتصد عطف عليه بضب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله
حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معان وحدود واحكام كثيرة كل منها نفسه سبيل
وكانوا اذا رأوا احدا يشرع فيها او عدوه وصدوه والضمير في بها راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر
موضع الضمير زيادة في التشنيع والتفظيع ومعنى وتبغونها تطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك
والشبهات قال الكشاف ويكون تهكما بهم بطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى ذكرا للنعم مما يحمل على الطاعة
ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم اي في وقت كونكم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة القدرة والشدة بعد
الضعف الدلالة قيل لما عدد بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت له في سنتها بابر كرة والنما موصارا كثر اهل العدة والعدة والشدة ثم حذرهم سوء

عاقبة

عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد بما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وعيدهم اولا ثم وعدهم
ثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الاية وفيه وعيد الكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين
الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكم خير الحاكمين ثم حكى جواب قوم المجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا
او لتعودن في ملتنا اي احد الامرين كان لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور صدوره
البتة وهب ان قول الكفار ليس بحجة لكن قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان الكلام بني على التغليب او ان شعيبا اراد عود قومه
الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق ذلك كان او امر في قال المرء يخفي من نفسه
فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله وان يكن الايام احسن مرة الى فقد
عادت لطمن ذنوب قال شعيب في جوابهم أو لو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير لا تعيدوننا في ملتكم وحال كراهتنا متصور
بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وذلك ان اصل الباب في البتو والرتبة الصدق للمتجرد والبراءة عن الكذب
العود في ملتكم بنا في ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا فسخها وفساده ونصب الاذ على بطلانها انا المراد بمجيء قومه فعلنا
والمراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر تحقيقه في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مفيد بالشرط وغيره وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فانه
معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني ان يكون متما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله
كذبا وما يكون لنا اي ما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل التسنة في الاية دلالة على ان المبقي من الكفر
هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل عليه السلام واجنبني
ونبني ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني
مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضية شرطية من شاء بعد ولبس فيه بيان انه شاء ام ابى الثاني ان هذا على طريق
التبعيد والاحالة كما يقال لا يفعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو كرهوا على العود فان اظهار الكفر عند
الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزا صح ان يكون مرادا لله تعالى كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل
الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قرية كانه قال انا خرجنا من القرية حتم علينا العود فيها الا ان يشاء الله تعالى الخامس المشيئة عند اهل السنة
لا يوجب جواز الفعل فانه تعالى قد اخبر بانه لا يكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشيئة ههنا الامر فيكون التقدير
الا ان يأمرنا الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يعيدان يأمر الله تعالى به العبد فيما مر اخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي
لا يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى لا ان يشاء الله نقلنا
بعض تلك الملة فيعيد لنا عليها ثم ان المعتزلة يستدلون بالاية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها
لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعالى وجوده كان حاصلا وهو ان كان حراما منهيا عنه لم يكن مرادا لله تعالى وان كان مباحا فقد بينا ان قوله
لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه قلت لم لا يجوز ان يلتزم ذلك اما قوله وسع ربنا كل شيء علما
فوجب تعلقه بما تقدم على قول الجبائي وهو ان التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف المصلحة في تلك
العبادات فحينئذ يكلفنا اياها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجب التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او
لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فرد ما كان في علم ربنا ثالث وهو ان يعيدنا في القرية مؤمنين ويجعلنا معذورين خاسرين وبؤكد هذا التفسير
قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اي لا على غيره وانتصابه على التمييز في قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شيء من
متعلق علمه وهو معنى جفاء الاقلام وطي الصحف لزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي وبهذا من عموم كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل
وعلم العدم انه لو كان كيف يكون وهذه اقسام اربعة يرتفع كل منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا
او معدوما فانه كيف يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس ونوع ووصف وشخص من الجواهر
ومن الاعراض صار مبلغا يحتقر دونه عقول العقلاء بل يقف دونه اول فطرة من فطرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب واوقف بطريق التوكل
الى مسببها ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس الحسن وقتادة والسدي احكم افتر وعن ابن عباس اظهر ومعناه اقض
سمعت ابنة ذي يزن تقول لزوجها تعالى الحاقطان اي احاكمك وجوز الزجاج ان يكون مطلق الاستفتاح ههنا حتى يتضح ما بيننا وبين يكشف فتحا مناط المراد ان ينزل
عليهم عذابا يهلكهم ويعلي كلمة شعيب وقومه محقين ثم انه تعالى يقول وانت خير الفاتحين كما قال وهو خير الحاكمين قالت الاشاعرة الايات تفتح
باب الخيرات وهو اشرف صفات المحدثات فلو كان موجدا لايمان العبد وكان خير الفاتحين وهو العبد طلب العبد ان يقولوا لولا الطاف الرحمة الذي وعدته لكنا من
الذين كذبوا لن يغنوا الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الذين كذبوا

شعيبا كان لم يغنوا فيها بقي عيش القوم في ديارهم اذا طال مقامهم فيها والمغاني المنازل اذا كان بها اهلها وقال الزجاج اي كان لم يعيشوا فيها مستغنين من الغنى الذي هو ضد الفقر على التصغير شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط في تلك الديار كقوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يمكه سامر قال في الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في ديارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتداء دلالة على رد مقالة الملا الاشياعهم وتسفيه رأيهم واستهزائهم بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت العرب قد تكرر التفخيم والتعظيم فيقول اخوك الذي ظلمنا اخوك الذي ظلمك هذا اعراضا وايضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفي الآية فوائد احدها ان ذلك العذاب لما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك ثوالكواكب الطبيعة والاعصال في اتباع شعيب كما حصل في حق الكفار ومنها ان ذلك الفاعل عالم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصي ومنها ان يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون قوم مع كونهم مجتمعين في بلد واحد فنقول انهم قد تقدم ان هذا القول اما ان يكون بعد قال الكلبي خرج من بينهم ولما اشتد الحر على قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزيه نفسه وقال فكيف آسى على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل لم اراد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والحذتم ما حل بكم فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصيحتي فكيف اسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك المأوى ولا تحسنوا فيه الحاسة والذائقة والحرص والظلم من الصفات التي يجب تنزيه كنه النفس عنها فان الله تعالى يحب معالي الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا في الارض الطيبة التي جبل الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون في الامور وبكثرة العدة نعمة تامة يجب ان تصرف في اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اي الروح والقلب طائفة لم يؤمنوا وهم النفس وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة في العذاب وافادة الهجران او لتعودن في ملتنا اشارة الى ان كل جنس لا يميلون الا الى شكلهم والاوحد في بابه من ابن نهج اضرابه بعد اذ نجانا الله منها في القسمة الا ان تشاء الله ربنا احكم بيننا وبينهم بالظهار حقيقة وافادة من خاتمة الجزم اظهارا فائدة من خاتمة السوء فاخذت الرجفة وصرخت صوتهم تبعا لمعناهم فانهم كانوا احياء الارواح في دنيا الاشباح كان لم يغنوا فيها الا ان الباطل زاهق لا محالة وما ارسلنا في قرية من نبي الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون او امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد او امن بسكون الواو ابو جعفر نافع غير ورش وابن عامر وقنبل ورويس بنقل حركتها الى الساكن قبلها ولم يهد بالتوحيد حيث كان يزيد عن يعقوب بالتاء دون الياء التحتانية درست بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون يكسبون فامنوا ظلمن قرأ او امن بفتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو فلا وقف لان او للعطف يلعبون مكر الله فتح للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء للتعقيب الخاسرون بدئوهم ج للفصل بين الماضي والمستقبل يتقدر بن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون من انبائها لعطف المختلفين بالبينات خ لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل الكافرين من عهد لعطف الجملتين لفاسقين التفسير لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم

وليس مقصورا عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل والفرية مجتمع القوم فتشمل المدينة ايضا وتقدم الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذبه اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض والاسقام في الابدان وقيل بالعكس لعلهم يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى ليخطوا اريكة التعزز والاستكبار ويبتغوا انابتهم ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبها الحسنة وهي ما يستحسنه الطبع العقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات والشعر ويرد منه قوله عفوا الى قالوا قد مس ابائنا الضراء والسراء اي هو داب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر في اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا بتقلب الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة ومن بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب استعادة ولهذا قال ولو ان اهل القرى اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية امنوا بما يجب به الايمان في باب المبدا والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اي لاتيناهم بالخير من كل وجه اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسر اسباب الفلاح كفولهم فتحت على القارئ اذا يسرت القراءة عليه بالتلقين لكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة وهو اتيانهم اعتراض والتفت اليهم بعد ذلك من اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا او امنوا ان ياتيهم باسنا ضحى فالهمزة عطف التانية بالواو واما قوله افامنوا مكان الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى فلهذا دخل عطف بالفاء قلت يجوز ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرا اوساكنة فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احد هذه العقوبات واما الاضراب كما تقول انا اخبرك تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات الدلالة اي لا بل ايتم ومعنى بياتا قد تقدم في اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرف الشمس مقصورة وقد ذكر الله المفرد كصرد لان ذلك كالمثل في انه يضر ولا ينفع ومكر الله تقدم في آل عمران بعد الاستدراج او سمي جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابغنة قالت له مالي اراك تنام قال بنيتي مومنة لا اوامنك تنام قال بنيتي ان ابان يخاف بيات يعني المذكورة في الاية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للمتاخرين فقال اولم يهد من قرا بالياء فعلى اولم يشا والمعنى اولم يهد الذين يخلفون اولئك المتقدمين بعد ان يهلكوا ويرثون ارضهم وديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي بعقابها كما اصبنا من قبلهم ومن قرا بالنون فعوله ان نشاء منصوب الهداية لمعنى التبيين على القراءتين على القراءة الاولى بحذوف والتقدير اولم يكشف لهم الحال والشان المذكور واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فجرى مجرى تحصيل الحاصل ولقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين فاقتران الذنوب غير الطبع لا تدل بنا ولا او بكفرهم يستمر على ذلك فيكون مطبوعا على قلبه ايضا جاز ان يراد ونشاء لو دنا في طبعهم او لا دمناه و الله سبحانه واعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين بقوله فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اي من قبل مجيء الرسل او من قبل رؤية تلك المعجزات وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الايات كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو ان يسم الكفار بسمات علامات يعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكذبين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس يعني بالعهد قوله الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله لا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة انعملت ضمير شان مقدر

عذاب

والتفخيم واللسان والحديث علما اكثرهم فاسقين خارجين من الطاعة والايمان غير راض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن ابخيتنا لنؤمنن ونكثوه بعد كشف الضر الناذل الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء الولى يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يهدهل عن الحق ولا يرجع اليه ولوان اهل القرى يعني صفات النفس امنوا بما برد الى صفات القلب والروح من لطائف الحق واتقوا مشائها النفس لفتحنا عليهم ابواب العواطف من سماء الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبناهم بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وعلى موافقات الطبع بها ثانى صورة الفهر مخفى فى صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن اهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين

پس برانگيختيم از بعد ايشان موسى را بآيات ما بسوى فرعون وبزرگان سپاه او پس ستم كردند بدان پس بنگر چگونه بود سرانجام تباه كاران

وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة

وگفت موسى اى فرعون بدرستى كه من فرستاده‌ام از پروردگار جهانيان سزاوار مرا بر آنكه نگويم بر خدا مگر حق را بحقيقت اورده‌ام شما را گواهى

من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه

از پروردگار شما پس بفرست با من بنى اسرائيل را گفت كه اگر من آمده‌ام بسوى شما معجزه پس بيار آنرا اگر هستى از راستگويان پس افكند عصاى خويش

فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم

عع

پس ناگاه آن اژدها بود هويدا ودر آورد دست خود را پس ناگاه آن سفيد بود مر نگرندگان را گفتند بزرگان از قوم فرعون كه اين هر آينه جادوى داناست

يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك

ميخواهد كه بيرون كند شما را از زمين شما پس چه مى‌فرمائيد گفتند كه باز دار او را وبرادر او را وبفرست در شهرها جارچيان تا بيايند پيش تو

بكل سحار عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين

هر جادوى دانائى را وآمدند جادوان فرعون را گفتند ايا از براى ما مزدى هست اگر ما غالبان گفت آرى ونزديكان مقربان

قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم

گفتند اى موسى يا انكه تو بيفكن واز دو يا ما بيفكنيم گفت بيفكنيد پس چون افكندند جادوئى كردند در نظر مردمان وترسانيدند ايشان را

وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون فوقع الحق وبطل ما

وآوردند جادوئى بزرگ وحى نموديم بسوى موسى كه بيفكن عصاى خود را پس ناگاه آن ببلعيد آنچه بافته‌اند پس ثابت شد حق وباطل شد

كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا امنا برب العالمين رب موسى و

بودند كه ميكردند پس مغلوب شدند آنجا وبازگشتند ذليلان وافكنده شدند جادوان سجده كنان گفتند كه ايمان آورديم بپروردگار عالميان پروردگار موسى

هرون قال فرعون امنتم به قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف

هرون گفت فرعون كه گرويديد بآن پيش از انكه دهم شما را بدرستى كه اين مكريست كه كرده‌ايد در شهر تا بيرون كنيد از آن شهر اهل آنرا پس زود

تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون و

خواهيد دانست هر آينه ببرم دستهاى شما وپاهاى شما را از خلاف يكديگر پس بدار كشم شما را همه گفتند كه بسوى پروردگار خود بازگرديم و

ما تنقم منا الا ان امنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين القراءة حقيق

انتقام نكشى از ما مگر بجهة انكه ايمان آورديم بآيات پروردگار خود چون درآمد بر ما ازو ما را صبرى بده وبازبر بخود ما را تسليم كننده

على بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف مع فتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء الضم حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر الجيم والهاء

من غير اشباع بن كثير وقالون وعلى وعباس وخلف في المفضل ادغم بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان

وهشام غير الحلواني ارجهوا بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش وعن ابن ذكوان سحار بالمبالغة

حمزة وعلى وخلف كذلك في الوقف وقرأ قتيبة ونصير والكسائي وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحر وان لنا بحذف

همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ان لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلى وخلف وابن عامر هشام بمد خل بينهما

مد وقلبا لهمزة ياء ابو عمرو ورويس بهما بين بين بالياء كلمة سهل ويعقوب غير رويس تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وابدغ

التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بن باده همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص آمنتم

بن باده همزة الاستفهام حمزة وعلى وخلف وعاصم سوى حفص امنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير

غير الطاشي وابن مجاهد وابي عون عن قبل فرعون وامنتم بالواو والخالصة الطاشي من قبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وفرعون

ارجه بالاشباع نافع غير قالون

والهمزة عن قبل الوقوف فظلموا بها فحذفت للفصل بها للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفصد بين العاملين وقف على بالتشديد على لغة من قرأ لا احقق فجاز له الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى معنى لبناء الا الحقوا بنى اسرائيل الصادقين مبين للفصل بين الجملتين والوصل اجود للجمع بين المتجانسين للناظرين علمهم الان ما بعده وصف لساحر من ارضكم لاحتمال ان بعده من تمام قول الملا لفرعون وقومه والجمع للتعظيم اوله ولعظماء حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون اى فاذا تشيرون تامرون حاشرين الان ما بعده جواب لامرهم العاجز المقرين الملقين القوى الحق للعطف عظيم عصاك نحى المحذوف لان التقدير فالقاها فاذا هى ما يأفكون وكذلك يعلمون وصاغرين لكان حروف العطف ساجدين لاحتمال كونها واحدا بإضمار قد العالمين لابدل وهرون لان لكم الابتداء مع اتحاد الفاعل اهلها لان سوف للتهديد مع العطف تعلمون اجمعين منقلبون هم للابتهم مع الفعول جاءتنا للعدول عن المجاباة الى المناجاة المسلمين التفسير القصة التامة من قصص هذه السورة قصة موسى وقد ذكرت في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قومه اعظم وانحش من جهل سائر الاقوام ولهذا كانت معجزاته متقدمة سائر من الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى رسل الامم المذكورين وفي قوله بايتنا دلالة على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من اية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها اى بتلك الايات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار موضع الاقرار وايراد الكفر بدل الايمان وضع الشيء في غير موضعه او فظلموا الناس بسببها حيث ردوها وصدوهم عنها او ذموا من امن بها فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذا اجمالية ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى يا فرعون اني رسول من رب العالمين اي اله قادر عالم حكيم وبيان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الرب بنبيه حقيق على ان لا اقول من قرأ بالتشديد لتحقيق اما بمعنى فاعل اى واجب على ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اى حق على ذلك تقول العرب انت لمحقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة حقيق على مرسلة الياء ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة وبحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تعقدوا بكل صراط اى على كل صراط وتؤكد هذا الوجه قراءة ابي حقيق بان لا اقول اى انا خليق بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكما ان ملك فخذلن شد وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا بالحق وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذي شيع عليه امر الالباس فيقول المعنى في قراءة نافع وخامسها ان يكون اعرافي في الوصف مبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اى واجب علي ان اكون انا فائدا القائم به وظاهر هذا لا يمشي الا طفابه وسادسها ان يكون على هذه التي تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقولهم نعم فطرة الله فطر الناس عليها ويقال جاءت فلان على هيئة وعلى عادته وعلى تحقيق تحققته على كذا وكذا من الصفات فمعنى الاية انا احقق لا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى الا لدى الفاذ والمختار وعلى تصديق الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اى بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل اى اطلقهم وخل سبيلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي وطنهم ومولدا باهم وذلك ان يوسف لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت بايته فات بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان احدهما لفظي وهو ان ههنا شرطين فاين جوابها والجواب انه المؤخر اللفظ مقدم في المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت بايته وقوله فات بها كلمها واحد في المعنى فكيف يعقل تعليق احدهما بالاخر وجواب المنع اذا اريد ان كنت جئت مدعيا من ارسل بايته فاحضرها لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا ان امره ظاهر لا شك انه ثعبان ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات والمراد انه بان قول المدعي الكاذب والثعبان في اللغة الحية العظيم الذكر وقيل اذا كان اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واخذه البطن يومئذ اربعمائة مرة وكان لم يزل منذ الحدث قبل ذلك وقهر الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصا والنزع في اللغة القلع والاخراج اى اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله في مواضع اخر وادخل يدك في جيبك تخرج روى انه اراه فرعون يده وقال ما هذه فقال يدي ثم ادخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية تغلب شعاع الشمس وكان موسى ادم شديد الادمة وقوله للناظرين تتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة اجتمع الناس للنظر اليها كما يجتمعون للعجائب اعلم ان القول بجواز انقلاب الجمادات عن مجاريها مقام صعب مشكل وهذا اضطرب اقوال العلماء فيه فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على ان القول بالفاعل المختار يجوز في الانسان وسائر انواع الحيوان ان يولد دفعة واحدة من غير سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا فاهرا من غير حصول بنية ومزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان يبصر في ظلمة الليل البقعة التي يكون باقصى المشرق ويسلم البصر الاخر الشمس في كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا خرق العادات في بعض

معجزات اقوى من ٢

قول موسى عن

وضاحوا وهل على الناس ٣

الجزء الثاني

الصور دون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز حدوث الاشباه ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فاقول اذا جاز ان ينقلب العصا ثعبانا جاز ان يخلق الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم زاعم ان هذه الامور يختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المختص بذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل يقع في شبه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينفض التحدي بسر هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل يوجب مزيدا لليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان عجزه موسى كانت قوية ظاهرة من حيث ان الحجة ابطلت قوال المخالفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يأفكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت باليد البيضاء كما يقال فلان يد بيضاء في الامر الفلاني اي قوة كاملة مؤثرة ظاهرة والتحقيق ان انقلاب العصا غير ذلك امور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تأويل ودفع ان السحر كان غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى لكونه اتاهم من علم السحر الى بلك الصفة وانه كان يطلب بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى الله تعالى في سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملأ منه فقالوه لغيرهم او قالوا عنه لسائر على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا ما ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والا ظهر ان قوله فاذا انت ومن معك من كلام فرعون اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى او لانه من قولهم امرنا فمن بذكاء اذا اشاروا ترفا شاورعليك برأي وهذا فان الملأ قالوا جوابا ارجه واخاه اي اخر امره وامر اخيه ولا تعجل بقضائي شأنهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجأت الامر اخرته بالهمز وبلا همز وعن الكلبي وقتادة ان المعنى احبسه وقيل بالنبطية خلاف اللغة الا ان يقع جمع من اللغات في امر واحد وان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد مشاهدة حال العصا وارسل في المدائن المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به وهذا الحبني القراء على همز مدائن لانه كصحائف وقيل انها مفعلة من دنت اي ملكت وكان هذا القائل لا يهمز مدائن وقال المبرد اصلها مدينة من دان اذا قهر وساسه فعل بها ما فعل بخو بيع في مبيوع وليس المراد مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد اثنين وسبعين جامعين باتوك بكل سحار الباء بمعنى مع والمتعد به قيل كانوا سبعين ساحرا ستون برئيسهم وقيل بضعة وثلثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين الفا وقيل كان يعلمهم محبوسا ان من اهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المحبوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى وفي الاية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان وبهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا لذلك الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على اهل من عيسى كان معجزة من جنس ذلك كما ان الكلمة والابرص احيا الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا فالوحي كانت معجزته العظمى وهي القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لما لم يقل فعالوا ابنا الكلام على سؤال مقدر كان سائلا سأل ما قالوا اذ اجاؤه فاجيب قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والذكر العظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اذا دالين لا اقصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم روي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة فقال لهم صنعتم قالوا قد علمنا سحر الا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امر من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الاية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب الاعيان والا قلبوا الجزء هبا بل قلبوا ملك فرعون الى نفسهم ولم يطلبوا منه الا جوا على الغافل ان لا يغتر باكاذيبهم ومزوقاتهم ثم ان السحرة راعوا حسن الادب فخيروا موسى ولا وقدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو دأب المناظرين والمناصبين معا ان في قولهم واما ان نكون نحن ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضمير المنفصل بالمتصل وتعريف الخبر وتوسط الفصل قال الفراء قد جمع بين اما واو في هذه الاية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل هنا في موضع امر لا اختيار اعني في موضع نصب كقول القائل اخترنا اوذاكانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الاية فان الامر لا يصلح هناك قال موسى للسحرة القوا ما انتم ملقون فيه ازدراء بشأنهم وقلة مبالاة بهم وتقدم بان الامر الالهي يغلب لن يغلبنا ان قبل ان القائهم الحبال والعصي معارضة لمعجزة السحر وذلك كفر بالكفر كفرا فالجواب من وجوه احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا كفرهم فعلمهم ان يكون حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه ودفع النزاع في التقديم والتأخير انه اذن لهم في الايتان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليبحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل ومراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لانهم اثبتت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم غلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم القوا بالحبال

بالزيت وجعلوا الزيت في دواخل العصي فلما اشتد تحمي الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واستشرهبوهم اى ارهبوهم والتهن زائدة كانهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس فيهم حتى اجمعوا عزيمة عند القاء ذلك اليهم الناس احذروا فهذا هو الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس ثم خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى فاوحى الله عز وجل اليه ان ألق عصاك وذلك عند ان اراد ان يلقاها فاذا هي تلقف ما الجوهري تلقف الشيء بالكسر لقفه وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وملقى ما يا فكون موصولة او مصدرية بمعنى ما فكونها ترى يقلبون عن الحق الى الباطل وبزورون وافكهم تمهيد للمأفوك بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصل افعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق اى ظهر مجاهد والحسن وقال الفاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يمكن في الواقع ان يصير لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق ذالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اى الذي عملوه او علموا فغلبوا هنالك اى بهذا التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من دحوض حجته روى ان تلك الحبال والعصي كانت حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى صارت عصا كما كانت قال بعض المتحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر انما هو امر الهي قال المحققون انهم لاجل كمالهم في علم السحر مرتاحوا السحر عن غيره فانتقلوا بركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل في علم التوحيد والشريعة والحكمة وفي قوله والقى السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعي والقدر وقال الاخفش من سرعة ما سجدوا صاروا كانه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم قالوا امنا برب العالمين واجيب بانه لا بعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك او انهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز بذلك واظهارا للخضوع والتذلل واقرارا بالالسنة بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اياي يعنون فلما قالوا رب موسى قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون ذالت الشبهة وعرف الكل انهم امنوا بالله السماء وكفروا بفرعون وقبل اقروا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقبل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا قال فرعون لما راى انا علم الناس بالسحر اقربنبوة موسى بمجرد هم عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقى في الحال شبهة في البين بعد ما انكر عليهم ايمانهم امنا الانكار فذلك قوله امنتم له من غير دعوى الاستفهام فعلى انه اخبار توبيخا اى فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرا بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد والانكار وفي قوله قبل ان اذن لكم دلالة على انه قضية فرعون في ادعائه الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان يأذن لهم في ان يؤمنوا بغيره وهذا من جملة الخذلان والدحوض الذي يظهر على المبطلين واما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اى هذه حيلة احتلتموها انتم وموسى وتواطاتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير عن السدي في حديث ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ان موسى لما اتى السحرة القيا فقال لهم موسى ارايتكم ان غلبتكم اتومنون بي وتشهدون ان ما جئت به حق فقال الساحر لا بد ان غلبنه ان يغلبه سحرنا فعند ذلك قال فرعون ينظر ايهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد اجمال وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فمن قائل لم يقع لانهم سلموا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع هو الاظهر وعليه الاكثرون منهم ابن عباس لا تزحكي عن الملك انهم قالوا لفرعون انذر موسى قومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك ولتلك السحرة لذكروهم ايضا وحدوه اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتاده كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء برره ثم حكى عن القوم انهم قالوا عند ذلك انا الى ربنا منقلبون اى عن قريب بالموت لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب اذا جمعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون فنايقدر ان يفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما تنقم متا قال ابن عباس ما ايتنا بذنب نعتد بنا علينا وما عيبت منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها الا الله تعالى وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم لجاؤا الى الدعاء كما هو ذلب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا سجال الثبات على متابعة الدين او على ما توعدنا به فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا وسالوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان يستدل بذلك على ان الايمان والاسلام واحد واجيب الاشاعرة بالاية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لما ربط بواو ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك على مخض الالطاف واعلم ان حبل القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا ابتدل هناك بردان يجرحكم من ارضكم بسحره وانكم اذا من المقربين قالوا ارجه واخاه وفي كل ذلك زيادة والحاقوله ههنا وارسل في المدائن

الجزء السابع

يلين الاعطاف وبرق القلوب قبل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم يمكروا هلك فى ثلثمائة وعشرين سنة ولواصابه فى تلك المدة وجع او جوع اوحى الله اليه ان يتوبه قال القاضى فى الاية دلالة على انه تعالى اراد ان يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر واجابتى يعاملهم معاملة المختبر ولا خبأ فى الخفية ولا اختيار ولا يرعوى عن الكفر والطغيان الا من شاء واراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اى الخصب والمواشى والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اى نحن مخصوصون بذلك لم نزل فى رفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليه ويقوموا بحق نعمه وان تصبهم سيئة اضداد ما ذكرنا يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم التاء فى الطاء لقرب مخرجهما وانما عرف الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وجودها كالواجب لكثرة وقوعها ما در وشكوك فيه وطلعة اقبل لقد عدت اياء البلد فهل عدت ايام الرتم الا اناطائرهم عند الله قال الازهرى يقال للشوم طائر ولخيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا اى حصل ووقع فى الذى خط وكان الذى يتشاءم به ينظر لان الفال الكلمة الحسنة والنظر عيافة الطير قال الامام فخر الدين الواجب فى ذلك ان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثانى ومعنى الاية ان كل ما يصيبهم من خير وشر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل من عند الله بمشيته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او بشومه وقد خافت اليهود بالنبى صلى الله عليه وسلم المدينة فقالوا نغلت اسعارنا وقلت مطارنا منذ اتانا قال فى الكشاف ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم انهم لجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم الى اقضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لانبيائهم مهما تاتنا به لا نؤمن بك فقولان فعن البصريين ان اصلها ما الشرطية ادغمت فى ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف الاولى هاء وعن الكسائى ان مه بمعنى كف وما للشرط كانه قيل كف عما تاتنا به ومحل مهما الوقع بمعنى اى شئ تحضرنا تاتنا به ومن ابتدائية لمهما والضمير فى بها يعود اليه شئ ما امكن العود الى لبيين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ واخرى حملا على المعنى وسموها اية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوها بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس اتت القوم لما فالوا ما فالوا وكان موسى يجلد اذا دعا عليهم فاوحى الله عز وجل اليه ان سلنى فاسقيهم فقال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فقال الله تعالى قد اجبت دعوتكما فامضيا على امرى ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فمكثا اربعين سنة يدعوانهم فلبثوا فى العذاب بعد موسى اربعين سنة ثم رفع عنهم فاتوا موسى فقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فبئس ما صنعوا فلم تلك السنون من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله ونزعوا ان هذا الذى جرى عوامنه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شئ حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت اسرائيل منها شئ ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى بها فاحتملت الجراد فالقته فى البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فوقع الجراد الى النواحى التى جاء منها ففالوا ما نحن بتاركى ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كباد القردان عن ابى عبيدة وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل بنات اجنحتها وقيل ابراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم وبدال القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه كان ياكل احدهم طعاما ممتلئا قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ فى ابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدرى وصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم ففالوا لقد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك بدا فارسل عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها اوانيهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع فى فيه وكان يمتلى منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها فى القدور وهى تغلى فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصار ماء انهارهم دما وكان يجتمع القبط والاسرائيلى على اناء واحد فيكون ما يلى القبط دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يصلى الاسرائيلى شجارا الرطبة فاذا مضغها صارت رمادا فها اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله ايات مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا تشكل على عاقل انها معجزات ادخل بين بعض بنان يتحن فيها احوالهم وينظر اهو فوا بالعهد ام ينكثون كما روى ان موسى مكث فيهم بعد اغلب العشرين سنة يريهم هذه الايات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة فى نفسها واختصاصها بالقبط دون الاسرائيلى معجز اخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز اى الانواع الخمسة المذكورة من العذاب عن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذى كان فيما فمات من القبط سبعون الفا فى يوم واحد فزعوا فجزعوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اى بعهده عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتبة فى قولك كتبت بالقلم اى ادع لنا متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق المقسم به

لان مهما لا تزاد كالزيادة فلا يعود

فاخذ عليهم

ما يلى الانسان ماء

بالفعل

بالفعل فيكون باء الاستعطاف اى اسعفنا الى ما تطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجب اخرو هو ان يكون قسما مجابا بالنون من يكون متعلقا بالاقسام اى اقسمنا بعهد الله وعند لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل اى نخليهم وشانهم نذهب بهم حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب الى مطلوبا فى جميع الوقايع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة فاجئون بنون فيما اذا هم ينكثون جواب لما اى كاشف عنهم فاجاؤا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعم عنهم بالعذاب فاغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدلله قعره وقيل هو بحر فارس ومعظم انه سمى بالهم لان المنتفعين به يهمون نهارا يقصدونه بالتهم كذبوا بايانا اى كان اعراضهم بسبب التكذيب بالتهم كانوا عنها اى عن الايات وقيل عن التعذيب لا الثانى وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا اى كانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد هلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض مصر والشام لانها هى التى كانت تحت تصرف فرعون وقيل غيرها يعنى العمالقة وبنى الخصيب سعة الارزاق ورد ذلك لانها لم تبق الا بارض الشام وقيل المراد جملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جملتها كداود وسليمان وعمت كلمة وبلى الحسنى تأنيث الاحسن صفة الكلمة قيل يريد بها الكلمة فى سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الايتين ومعنى تمت مضت واسندت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اى بسبب صبرهم وفيه ان عنوان الظفر وضمهن بالنصر والفرج ودمرنا اى اهلكنا الدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المعلن والاعيان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى انشأ جنات معروشات وقيل ما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والضمير فى قوله ثم ذكروا جرى على بنى اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر روى انه عبرهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله فاتوا على قوم لهم فروا يقوم يعكفون هو الطبون على عبادة اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم نزلوا الرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما تمثيلا يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فوجه الذم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد انه تقرب الى الله ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام وكان هذا القول لم يصدر من مشايخ اسرائيل وعظمائهم كما نسب بعض الخنازير ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم تجهلون تعجب قومه على اثر ما راوا من الايات العظام فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن على رضى الله عنه ان يهوديا قال لما اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال على ما اختلفنا عنه لانه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء عبدة تلك التماثيل متبر اى مكسر مهلك ما هم فيه من قولهم انا متبار اى كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اى يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه على يد فيصير الى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وفى تقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا على شئ البتة وان مصيرهم الى النار لا محالة قال اغير الله اى اطلب لكم الها غير الله بغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التى لو تاخرت كانت صفة كما تقول ابغيكم الها غير الله وانتصاب الها على المفعول به قال الواحدى يقال بغيته فلانا وابتغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير الله استخلى للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الظهرة الانكار والتعجب مما ارتكبوه مع كونهم مغمورين فى نعم الله فان الاله ليس شيئا يطلب بل يجعل بل الاله هو الموجود بنفسه لافادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والاثار الباقية قد مر تفسيرها فى البقرة والفائدة فى اعادتها ههنا التعجب والتعجيب من اشتغال بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون لينا سب قوله سنقتل ابناءهم والله اعلم بالتاويل وقال الملا من قوم فرعون من اطوى الغضب الكبر لفرعون النفس اندر موسى الروح وقومه من القلب والسر والعقل ليفسدوا فى الارض البشرية ويدرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعنى اعالهم الصالحة بنطلها بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم اى الصفات التى عنها تتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة وقال موسى للروح لقومه لهم القلب العقل والسر استعينوا بالله واصبروا عنها جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض يعنى ارض البشرية يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشريته الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشريته الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها والعاقبة المنفعة يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء يورثها يورث ارض بشريته السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشريته الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تاتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا نتاذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتاذى من دواعى البشرية عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى ان الواردات الروحانية لا يكفى لفناء النفس وصفاتها ولا بد من ذلك من

الهة او اعتقد انه

بخلی صفات الوهیته فاذا جاءتهم الحسنة للکفر ولاهرء فضل المنعم وکذا المسلوک اذا اراد قطیعة مل الوصال وقال کان وکانا ولکن اکثرهم
لایعلمون لان بصائرهم مسدودة عقولهم عن شهود الحق مصدودة قد سلنا علیهم الطوفان العلم الکثیر والجراد الواردات والقمل
الالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والرباضات مفصلات وقتا بعد وقت وحینا بعد حین فاستکبروا عن
قبولها وکانوا قوما مجرمین فی الاذل فلما لم یفدهم الوسایط والاسباب لما وقع علیهم الرجز وهو عذاب الطبیعة فزعوا الیم الدنیا
وشهواتها وما کانوا یعرشون ای یرفعون بالتجبر والتکبر انفسهم بتوهم عرش الطائر اذا ارتفع بجناحیه علی من تحته وجاوزنا بصفاء القلب
من بحر الدنیا وخلصناهم من فرعون النفس نوصلوا الی صفاء الروح یعکفون علی اصنام لهم من المعانی المعقولة والمعارف الروحانیة
فاستحسنوها واردوا العکوف علی عبثیة عالم الارواح قال لهم موسی الواردات الربانی عند رکونهم الی الروحانیات انکم قوم تجهلون قد الله
وعبادته فعلم ان هولاء بعض صفات الروح متبرقعا بهم فی بین الکون والعکوف علی استحلاء المعانی المعقولة وباطلا کانوا یعملون وغیر طلب الحق و
الوصول الی المعارف الربانیة وهو فضلکم علی العالمین من الجن والملک بفضیلة العبور من الجسمانیات والروحانیات والوصول الی المعارف والحقایق الالهیة
وواعدنا موسی ثلثین لیلة واتممناها بعشر فتم میقات ربه اربعین لیلة وقال موسی لاخیه هرون اخلفنی فی ع
قومی واصلح ولاتتبع سبیل المفسدین ولما جاء موسی لمیقاتنا وکلمه ربه قال رب ارنی انظر الیک قال
لن ترانی ولکن انظر الی الجبل فان استقر مکانه فسوف ترانی فلما تجلی ربه للجبل جعله دکا وخر موسی صعقا
فلما افاق قال سبحانک تبت الیک وانا اول المومنین قال یا موسی انی اصطفیتک علی الناس برسالاتی
وبکلامی فخذ ما اتیتک وکن من الشاکرین وکتبنا له فی الالواح من کل شیء موعظة وتفصیلا لکل
شیء فخذها بقوة وامر قومک یاخذوا باحسنها ساریکم دار الفاسقین ساصرف عن ایاتی الذین
یتکبرون فی الارض بغیر الحق وان یروا کل ایة لایومنوا بها وان یروا سبیل الرشد لایتخذوه سبیلا وان یروا سبیل الغی یتخذوه سبیلا ع
ذلک بانهم کذبوا بایاتنا وکانوا عنها غافلین والذین کذبوا بایاتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل
یجزون الا ما کانوا یعملون واتخذ قوم موسی من بعده من حلیهم عجلا جسدا له خوار الم یروا انه لایکلمهم
ولایهدیهم سبیلا اتخذوه وکانوا ظالمین ولما سقط فی ایدیهم ورایوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم یرحمنا ع
ربنا ویغفر لنا لنکونن من الخاسرین ولما رجع موسی الی قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتمونی
من بعدی اعجلتم امر ربکم والقی الالواح واخذ براس اخیه یجره الیه قال ابن ام ان القوم استضعفونی
وکادوا یقتلوننی فلا تشمت بی الاعداء ولاتجعلنی مع القوم الظالمین قال رب اغفر لی ولاخی وادخلنا فی رحمتک
وانت ارحم الراحمین ان الذین اتخذوا العجل سینالهم غضب من ربهم وذلة فی الحیوة الدنیا وکذلک ع
نجزی المفترین والذین عملوا السیات ثم تابوا من بعدها وامنوا ان ربک من بعدها لغفور رحیم

الأعراف ٧

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ القراءة ادغم

وچون خاموش شد از موسى خشم فراگرفت لوحها را ودر نوشتاران راستى او ورحمت ازبراى آنانكه ايشان مر پروردگار خود را بترسند بسكون الراء وفتح

الياء ابن الفليح وزمعة والخزاعي عن ابن ذكوان بكسر الراء وسكون الياء دكا بالمد حمزة وعلي وخلف ١٠ اصطفيناك بفتح الياء المتكلم ابن كثير

وابو عمرو برسالاتي على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الاخوين برسالاتي الذين برسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلي وخلف

الباقون بضم الراء وسكون اللام يعقوب جعلتم بالكسر وتشديد الياء حمزة وعلي الباقون مثله ولكن بفتح الخاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا الخطاب و

التاء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعد اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو قال ابن ام بكر

الشين من جلهم بفتح الجاء وسكون

المبهم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثلها يا ابن ام في طه الوقوف اربعين ليلة للعطف مع اختلاف

القائل المفسدين ربما الان ما بعده جواب لما اليك فسوف تراني صعقا المؤمنين الشاكرين لكل شيء للعدول مع فاء العقب باحيتها

الفاسقين ٥ بغير الحق ط بها لا لابتداء شرط اخر لبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا غافلين اعمالهم يعملون خوار سبيلا

لئلا يصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير المجعل ظالمين ضلوا لان بعده جواب الخاسرين اسفا لما مر بعدي ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد

القائل امر ربكم لان قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليطيقونني ط صلة والوصل اولى لان الفا

للجواب اي انا هم فمواثقتي فلا تشمت بي الظالمين ٥ في رحمتك ط لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين الذنباط

المفسرين وامنوا الظاهر ان الوجه الوصل لان بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم الالواح ج

لاحتمال ما بعده الحال يرهبون التفسير لما اهلك الله سبحانه اعداء بني اسرائيل سئل موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذي وعده فامر بصوم ثلثين

وهو شهر ذي القعدة فلما تم الثلثين انكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك

فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامر الله ان يزيد عليها عشرا فاتم من ذي الحجة فهذا السبب في قبول فائدة

التفضيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزل عليه التوراة في العشر وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهاني

من الجائز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه

موسى وهارون والولد الثاني خضرة

الله تعالى اخبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم الى الميقات في عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوحي الاول لخضر الخطاب

معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفد لكنه في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة لما وهم ان توهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر

وفي ثالثين الفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدارا لاوانتصب اربعين على الحال

اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح

من امور بني اسرائيل ومن دعا الى الاقتداء فالتتبعه وانما جعل خليفة مع انه شريكه في النبوة بدليل واشركه في امري والشريك اعلى حالا

من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وضاه بالاصلاح تاكيدا واطمينانا والا فالنبي

لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددناه كما يقال ايتك لعشر خلون

من شهر كذا او كلمه تنبيها للناس في كلام الله هذا هو فقيل عبارة عن هذا الحرف المؤلف المنظوم وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف و

الاصوات وعلى الاول فمحل ذلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة

وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان موسى سمع تلك الصفة الازلية لا انه كما لا يعقل رؤيته عند نا مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع

سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور لما تريت الذي سمع موسى اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف

العلماء ايضا في ان الله تعالى كلم موسى بعد ظاهر الاية او مع السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى معجزة قد تقدمت

نبوة موسى فلا بد من ظهوره لهذا المعنى لغيره قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك و

اراك عن ابن عباس اتى موسى جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا

وتوراة بخطا فلما سمع صرير القلم اعظم شوقه فقال رب ارني انظر اليك قال الاشاعرة ان موسى سئل الرؤية وانه عارف

بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سئلها قال القاضي للمحصلين من العلماء في هذا المقام اقوال احدها قول

الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان

يكون موقوفا على التمعن والتدقيق بانه يلزم ان يكون موسى دون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبانهم يدركون

العلم الضروري بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل

وهو محال وان كان حاصلا وجوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابي علي ابي هاشم ان موسى ما

سئل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسئلة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله وجهرة وذلك بانه لو كان كذلك

لقول موسى ارهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني وبانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا اطهو باتذكر الدليل القاطع في هذا المقام فرض مضيق فلم يمكن تاخيره مع الامم لو كانوا مقربين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فان لهم ان يقولوا الا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثانيها وهو اختيار ابي القاسم الكعبي انه موسى سئل ربه المعرفة الضرورية بحيث يزول عنده هاجس الخواطر والوساوس كما في معرفة اهل الاخرة وربه تعالى اراه من الايات كالعصا واليد وغيرهما ما لا غاية بعدها يليق بان يقول الظهر لي انه تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يأتي بحال موسى فلم منعه الله تعالى عن ذلك ولقائل ان يقول منعه الله الحكمة عرفها الله تعالى ولا يلزم منه المنع في الاخرة ورابعها وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد تاكيد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل امر مطلوب للعقلاء وضعف هذا القول اظهر من ان يحتاج الى الجواب عليه وخامسها ان يقول اريد بالطلب ان يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي ولقائل ان يقول هذا تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو انهم لما قالوا لن نراك دون ان تنظر الينا فانسب قوله انظر اليك والجواب لان موسى لما طلب النظر المطلق وانما طلب النظر الذي هو معه الادراك بدليل الرؤية ومن مذهبه الاشاعرة ان الله تعالى علق رؤيته على امر جائز وهو استقرار الجبل والمعلق على الجائز جائز ورد بانه علق على امر محال وهو استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه واستقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه اي ظهر وبان ومنه حلوان العروس اذا ابرزتها او ظهر للجبل اقتدار وبصدد له امر وارادة جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق اخوان ومن قرأ بالمد اراد اراضا دكاء مستوية منه ناقة دكاء للتي لا سنام لها والدكا ايضا اسم للرابية المتاثرة من الارض كالدكدك والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بقوة الله وتاييده وقالت المعتزلة الرؤية امر محال لقوله لن تراني وكلمة لن ان تفيد التابيد فالاقل من التاكيد وايضا الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه ان النظر الى محال فلا تطلبه لكن عليك بنظر الجبل لتشاهد تدكدكه اجزائه وتفرق ابعاضه من عظم التجلي واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قالت الاشاعرة ههنا لم يجعل الله تعالى في الجبل حياة وعقلا وفما ورؤية وافهما قوله فخر موسى صعقا اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء عن غيرهم ورؤي ان الملائكة مرت عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم ورؤي ان الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من الصعقة سبحانك تبت اليك هل يليق بك من جواز الرؤية عليك اني تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان الغرض صحيحا هو تنبيه لقومه على استحالة ذلك بنص من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشئ من الحواس وقالت الاشاعرة وانا اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك لا باذنك ثم لما سال الرؤية ومنعه الله اياها اخذ في تعداد وسائر نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى اني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على جواز الرؤية في نفسها والا لم يكن لهذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض انه تعالى خصه من دون الناس لمجموع امرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان الكلام بالوسط سببا للشرف وبناء على العرف الظاهر وقد جاء في الحديث ان بين من اتخذ الملك لنفسه حبيبا وقريبا وبين من يقرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب وتواب المراد بالرسالات ههنا اسفار التوراة فخذ ما اتيتك من شرف الرسالة والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بان تشتغل بالوفاء بها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطاه الله التوراة يوم النحر وذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشر الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزل من السماء وعوهبت لها كانت من صخرة صماء لينها الله تعالى لموسى قطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والاوجب السكوت عنه اذ ليس في الآية ما يدل على ذلك اما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم هذا النقل ايضا كما قلنا من كل شئ مفعول كتبنا ومن للتبعيض فخذها نائب من الدراهم وموعظة وتفصيلا بدل منه فهذه هي الموعظة كلما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد والامر بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والتقدير وكتبنا في الالواح موعظة من كل شئ وتفصيلا لكل شئ قيل انزل التوراة يوم السبت وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منها في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا انزيه ولا تعقوا الوالدين فاخذها على ارادة القول اي وكتبنا فقلنا له خذها او بدل من قوله فخذها والضمير للالواح ولكل شئ لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة بقوة بجد وعزيمة فعل الى العزم من الرسل وامر قومك يأخذوا بأحسنها سئل ههنا انما تعبد بكل ما في التوراة وجب ان يكون الكل مامورا به بمقتضى ظاهر قوله يأخذوا بأحسنها يقتضي ان فيها ما ليس بأحسن ولا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها ان تلك التكاليف منها

ما هو وجوبها ما هو احسن كالفضائل والعفو والانتصار والصبر فهو ان يأخذوا بما هو افضل في الحسن واكثر الثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وقيل الحسن يشمل الواجب والمندوب والمباح والاحسن الواجب المندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد بها خذ وابما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من الشتاء ثم خوفهم الانتهاء لوعيد والتهديد فقال سأريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في انفسكم لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة بن يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر لتعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما اصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود واقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد بالبشارة بان الله تعالى سيرزقهم ارض اعدائهم وديارهم وما في ساوثكم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما به يعامل الفاسقين المتكبرين فقال سأصرف عن آياتي الآية فاحتج الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله سأصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على وجه العقوبة على التكبر والاعتساف لا يكون العقوبة بعين المعاقب عليه فوجب تاويل الآية فقال الكعبي وابو مسلم الاصفهاني ان هذا الكلام تمام لما حكاه الله به موسى من الفترة والعصمة اي اصرفهم عن آياتي فلا يقدرون على ضعف من تبليغها كما قال في حق نبينا صلعم بلغ ما انزل اليك الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل سأصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في آياتي من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك الصرف مستلزما للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الآيات آيات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق الايمان فاذا كفروا فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بما بعد ذلك فحينئذ يصرفهم الله تعالى عنها ويوجه اخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم انه اذا شاهد تلك الآيات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسنات من الكفار من بالغ في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه طبع الله على قلبه وهي بالطبع والخذلان فالمراد بالصرف هو الاعراض عن رسول الله صلعم اذا عظمت امة الدين انزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق امّا ان يكون حالا بمعنى متكبرين غير محقين كان الكبر بالحق لله وحده اذ الكمال فوق كل فاضل اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذي لا اصل له ومنه يعلم ان للحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كالهما واحد قال الكسائي وابو عمرو فقال ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان آنستم منهم رشدا وسبيل الغي ضده ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية انما كان لامرين كونهم مكذبين بآيات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب انهم كذا وكذا ثم بين ان اولئك المتكبرين مجزيون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي جحدوا المعاد وحبط عملهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتج الاشاعرة على مذهبهم بقوله بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فقد باءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وقوله ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم وقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون وقوله ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود النار وقوله ان الذين كفروا سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

يلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاديا لها والحوان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست لان كل اله وانما يجب ان يكون متكلما هاديا او الموجبة الكلية لا ينعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقيب حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل واختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من الحال حصول المكروه في اليد تشبيها لما يحصل في القلب من النفس بما يحصل في اليد وبرى بالعين وقال الكسائي ان من شان من ندم ان يعض بعض يديه فصار سقوطها فيها لان فاه وقع بها فاصل الكلام سقط فاه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول الجار في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم وقيل كل عمل يقدم المرء عليه فذلك الاعتقاد ان ذلك العمل خير له وصواب وانه يوريه فعند وروده عليه فاذا بان ان ذلك العمل فكأنما اخطأ وسقط من علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأ ذلك منه سقط ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كأنه تدارك الحالة الاولى بما حصل النادم وكأنه قد سقط في يد نفسه من حيث انه بعد حصول الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وحكى الواحدي انه من السقيط وهو ما يشبه الارز يعني العدد الذي شبه الثلج فمن وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيد وقال بعضهم الآلة الاصلية في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدي الى صلاح وقيل ان في بعض علماي سقط على يديه من عادة النادم ان يلطم رأسه ويضع يده تحت فمه ثم قال تعالى ورأوا انهم قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم كما تبصر بعضهم بعضا قال الفاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطاء والترتيب الاصلي ولما رأوا انهم قد ضلوا وسقط في ايديهم وممكن ان يقال واو لا يفيد الترتيب اي بقي الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطأ فاسد موجب للندم وقد تكامل العلم فيظهر انه خطأ حينئذ فانهم اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكروا يوم دحوا ان لم يرحمنا ربنا لا نكونن من الخاسرين قال بعضهم ان موسى قد عرف خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو الاصح انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الحال والاسف اشد الحزن وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن ان الحزن وقال الواحدي هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره من هو دونك غضبت واذا جاءك من هو فوقك حزنت فكان موسى غضبانا على قومه اسفا من فتنة ربه بتسببهم الى خلافتهم في خاطب عبدة العجل ووجوه القوم هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف اي التقدير بئس خلافة خلفتموها من بعدي خلافكم ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد اراءتهم اياي من توحيد الله ونفي الانداد ومن بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ الله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله تخلف من بعدهم خلف اي من بعدهم وذلك الموصوفون بالصفات المحمودة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب لمخالفة السنة فانها عمل الشيء اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا انه لما مر بالعشر على راس الثلاثين ليلة فقد مات وروى ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروى انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجاعوا فهان عليهم ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وقيل الكفاف قوم عجلوا عن الامر اذا تركوه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره وبينهما معنى سبق فيعدى بعن كقوله ما اعجلك عن قومك اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين بعهده وما وصيكم به ربكم في الالواح التي فيها التوراة المحفوظة من الدهش والتحير غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله اخي موسى ما الخبر كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فلم يلق الالواح فلما عاين ذلك القى ما القى الالواح تكسرت فرفع منها سبعة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في الكشف الاكثر على ان الالواح كانت سبعة ثابتة بالقرآن فالقاؤها بحيث تكسرت فلا وانجواء عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء والقول الجزاف تحصيل الحاصل الا بالتكسر الذي لا يتعلق باختيار فكل ما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسر فاخذ برأس اخيه اي بشعر راسه تجرة اليه بذلك وانما فعل ذلك لان موسى كان شديد الغضب وكان هرون اليف منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما القاء الالواح والآخر اخذ راس اخيه جارا اليه فزعم مشبتوا عصمة الانبياء انه جر براس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى فعل ما فعل براها نة فقال يا ابن ام من كسرها فيعلل طرح ياء المتكلم ومن فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى الام واحدة على ما روي انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فانجر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيها الشدايد فذكرها حقها ان القوم استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا لي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني حين منعتهم عبادة العجل وفهمتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء العابدين العجل فانهم يجعلون هذا الذي تفعل بي من الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تشفل

الى واحد منهم ولا يخفى ما في بعض هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القول من الحادثة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح في العصمة وغايته ان يكون من قبيل ترك الاولى فلذلك قال موسى رب اغفر لي وما اقدمت عليه من الحادثة قبل جلية الحال ولا يخفى ان عسا فرطي شان الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل الها سينالهم غضب من ربهم وذلة كلاهما في الحيوة الدنيا فالغضب هو المراد بهم من قتل انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وقت نزول الاية كان القتل واقعا واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى موسى به في الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم في الغضب والذلة قلت ويجوز ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى اي ان قوله وكذلك نجزي المفترين ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما في هذا التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف في الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذوا باقوهم العجل سينالهم غضب كائن في زمن النبوة من سيناء لهم غضب من ربهم في الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بضرب الجزية وغضب ذلة كلاهما في الدنيا فالقتل والجلاء كما كان بنى قريظة والنضير والتقدير ان الذين اتخذوا العجل سينالهم الا ولادهم وكذلك نجزي المفترين اي لاكل مفتر بدين الله نجزاؤه الغضب والذلة قال مالك بن انس من ابتدع بدعة ورآها حسنة فقد زعم ان محمدا خان الرسالة لان الله تعالى يقول اليوم اكملت لكم دينكم فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ظاهر الاية يدل على ان التوبة شرط الغفران لا بد مع التوبة من تجديد الايمان نعم اصحاب شان المدنيين لكن عمومه لفظ التيبات يدل على ان من اتى بجميع المعاصي ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور وستور عليهم محاها لما صادعهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان التوبة ان جلت وعظمت لا ان عفوه وكرمه اعظم واجل ولما بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان اتى بحرف على فانون الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول الق الالواح وغير ذلك من ترك التلفظ وقطع الاعراض وحسن عكر وبذا ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقال كما بقي ان خلت الحف في رجلي وانما ادخل الرجل في الخف وقبل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ الالواح التي القاها منها على زوال غضبه لانه اوكد مما تقدم من اما ان الغضب في فسخها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتابي في مكتوبها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم تكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما القاها او قلنا انها تكسرت واخذ ما بقي منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روي عن ابن عباس انه لما القى الالواح تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله تعالى الالواح وفيها غير ما في الاولى هدى من الضلال ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام في المفعول لتقدمه فان تاخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره الرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت وبجوز ان يكون المراد للذين هم لاجل ربهم يرهبون لا رياء وسمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام صلة نحو ردف لكم التاويل قلت بل لتكلف لئلا يستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية وانما هي بعشر لخصوصية الاربعين في ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى لاخيه هرون الغلبة عند توجههم لمقام المكالمة والتجلي كن خليفتي في قومي من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على فنون الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة وهذه الخلافة هي السر الاعظم في بعثة الروح من دوحة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى ولما حصل الروح على بساط القرب وتتابع عليه كاسات الشرب اثر فيه سماع الكلام فطال لسانه بسط له فقال رب ارني انظر فقيل له انك لن تراني بعد الانانية وحجاب جبل الانانية فلن تراني بصرا بانانيتك وحق موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض بنور ربها فدكان ما كان سرا لا يوجد بر قطن خبرا ولا تسئل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلي الرب لطاش في الحال وما عاش ولو ان القلب خلية عند الفناء بالتجلي لما امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استعد بالتجلي فافهم فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلي الربوبية قال موسى بلا هوية سبحانك تبت اليك من خلقك واقتصال الخلوات فانا اول المؤمنين بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك يريك اياي ربكلا محي دون رؤيتي كن من الشاكرين فان الشك يبلغك الى ما سئلت من الرؤية لان الشكر يورث الزيادة هي الرؤية الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اي بقوة الصدق والاخلاص وبقوة واعانة منا سارية كذا في الفاسيفرجين عن طالب الله الى طلب الاخرة او الدنيا ساصرف عن اياتي فيحجاب التكبر عن رؤية الايات واتخذ قوم موسى اي سامري الهوى من بعد توجه موسى الروح مكالمة الحق اتخذ من حلي زينة الدنيا ورعونات البشرية التي استعارها بنو اسرائيل صفات القلب من قبط صفات النفس عجلا الهوى الدنيا له خوار يدعو الخلق بما له نفسه لما سقط في ايديهم عند رجوع موسى الروح الى قومهم الاتصاف الانانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عقوبة الحق والاخلاص له قالوا ان لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الانية غضبان نما عند صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لها من محبوبة الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل وانه من غير ان يامركم به ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغي ان يلتفتوا الى شيء من الدنيا في اثناء الطلب الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى ووصلوا الى الكعبة وصال الولي فيامرهم الولي ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعني الواح الروح من الواح الربانية عند تيار الغضب الطبيعي واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح بجره اليه قسرا لعدم استعداد طبيعة الروحانية قال ابن ام هما من اب واحد ابوهما الامر وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلو لان عالم الخلق تواضعوا تعبدا بالنسبة الى عالم الامر اذ القوم استضعفوني يعني ان اوصاف البشرية استذلوني

من موسى مع الغضب بين ما كان

بالغلمان عند خبثك وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء وهم الشيطان والنفس الهوى ولا تجعلني مع القوم الظالمين فهذا تصفات القلب تتغير وتتلون بلون صفات النفس وعونانها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير فاجعل عليه من محبتك والطلب وانما يعرض تغيير صفاته كما ان النفس لا يتغير من حيث هو عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمة والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت النفس الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبيعتها ربنا اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار الذين تجلى قلوبهم بالتوحيد الاصيل المنزه خالصا بالاسرار في عالم الصفاء وكذلك نجزي المفترين الذين يدعون ان الله اعطاهم قوة يضرهم عما هو الدنيا وشهواتها واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل

وبگزيد موسى از قوم خويش هفتاد مرد از براى وعده ما پس چون فرو گرفت ايشان را بعذاب گفت پروردگارا اگر خواستى اى كردى پيش از اين

وايای اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت

ومرا نيز اى هلاك كردانى مرا بآنچه كردند بيخردان از ما اين نيست مگر آزمايش تو گمراه كنى بان از اكه خواهى و هدايت كنى از اكه خواهى تو ما كارگذار ما پس بخش ما را و رحم كن ما را و تو اى

خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة انا هدنا اليك قال عذابي اصيب به من اشاء و

بهترين امرزندگان و بنويس از براى ما در اين دنيا نيكوئى و در آخرت بگشاده شديم بسوى تو گفت عذاب من ميرسانم بآنكه خواهم و

رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون

رحمت من فرو گرفت هر چيزى را پس خواهم نوشت رحمت را از براى آنان كه پرهيز كنند و ميدهند زكوة را و آنانكه بآيات ما ايمان ميآورند آنان كه پيروى ميكنند

الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل

رسول را پيغمبر امى را از كه مييابند او را نوشته نزد ايشان در توريه و انجيل بفرمايد ايشان را بمعروف و بازدارد ايشان را از منكر و حلال گرداند

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه و

از براى ايشان پاكيزها و حرام گرداند بر ايشان ناپاكها را و بنهد از ايشان بارهاى گران و بندهائى را كه بودند بر ايشان پس آنان كه گرويدند بدان و عزيز داشتند او را

نصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا

يارى كردند او را و پيروى كردند روشنى را كه فرو فرستاده شد با او آنگروه ايشانند رستگاران بگو اى مردمان بدرستى كه من پيغمبر خداييم بسوى همه شما

الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن

آنكه مر اوراست پادشاهى آسمانها و زمين نيست خداوندى بجز او زنده ميكند و ميراند پس بگرويد بخدا و رسول او پيغمبر امى آنكه ايمان آورد

بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون الفرقة عدا

بخدا و كلمات او و پيروى كنيد او را تا بيابيد راه يافته مردمان از قوم موسى گروهى اند كه راه مينمايند بحق و بآن برابر ميكنند

اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب المفضل الباقون على التوحيد الوقوف ليقال اتهلكنا لا تبدا بكلما الجزاء مع فاء التعقيب وايای منا تقصد ان الناس مع اتحاد القائل فتنتك لان ما بعده مستانف وتهدي من تشاء ما الغافرين ايلك من اشاء للفصل بين الجملتين تعظيما لشانهما مع الائتلاف في اللفظ كل شيء للسر واختلاف الجملتين والفاء لاستيناف وعد على الخصوص يؤمنون لاحتمال ما بعده النصب والرفع على المدح والجر على البدل والانجيل لان امرهم يحتمل ان يكون مبتدا محذوف اى هو امرهم وان يكون نعتا اى مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اى يجدونه امرا او يكون التقدير بالاحى الذى امرهم فيكون كالبدل من الصلة كانت عليهم انزل معه لان ما بعده خبر فالذين مبتدا والمفلحون والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن

لطول الكلام والائتلاف للجوار اى اذا كنت رسولا فامنوا الجانبين يهتدون يعدلون التفسير لاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشيء اذا اخذ خيره وخياره ومن هنا تقول به فعل المخير افعالا اختيارا وذلك ان صدور الفعل عن المخير موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار وصل الفعل فنصب الاسم بعد سقوطه ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيتعدى اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبي واستغفرت ذنبي وجوز بعضهم في الآية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا او بيانا قيل من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليختلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن تعد منكم شل اجر من خرج فعد كالب ويوشع ورد وا نهما بخبر الاستين شيخا فاوحى الله اليهما ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما دون العشرين ولم يجاوزوا الاربعين فذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء بميقات ربه والمفسرين خلاف فان هذا الميقات حين ميقات الكلام والرؤية لم يذكر غير الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امر بني اسرائيل بالتبرز سبعين من بني اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهي الرجفة في هذه الآية والذاهبون الى الثاني حملوا الفصل على ما مر في البقرة في تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هناك ان منهم من قال

هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه
تعالى ذكر قصة مبتدأ الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة
لتلك القصة والاخرم المناسب على هذا ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل
هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى بدعائه فقالوا لقد كنت عندنا بحال كنت موتاورقبل اخذتهم الرجفة هنالك قبل كانت موتا وقبل اخذتهم الرجفة
حتى كادت تبين مفاصلهم وتنفصل ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت اهلكتهم قبل هذا الوقت اهلكتني جميعا يعني بسفاهة نفسه اياهم بما فعل
السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن بموسى ان الله تعالى اهلك قومه بما ذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى التمني اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول
اتهنئني من غدائك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انما استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قبل لو كان تسفيههم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
ناسب ان يقال كما بأفاله السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل وغيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك
الضمير يعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند وقال الواحدي ولعله يعود الى مقدر دل عليه المعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لكن الا
فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك وحين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن ويهلك بها من تشاء فيثبت
على الحق قال الاشاعرة في الآية دلالة ظاهرة على ان هذا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنتك لما كانت سببا لان ضلوا و
اهتدوا فكأنك انت اضللتهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام او الضمير يعود الى الرجفة اي تضل عن الدين بسببها عدد الصبر على تلك الرجفة او لعل الايمان
بانها من عندك من تشاء وتهدي الى الجنة بها لاضداد ما قلنا من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها
عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر لا ولي لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تكرار قوله ان هي الا فتنتك مع ان عطف احدهما على الآخر
قوي في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب لنا في هذه
الدنيا حسنة وفي الآخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم
ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر اثار كرمه والهيته وايثر اشتغال العبد بالتوبة والخضوع
يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختمه بالسبب الثاني وهو قوله انا هدنا اليك العبوبة فلا يبعد وقوع الاجابة
ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين قال الله تعم في جواب موسى عذابي اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد على اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه
مفسدة وقراءة الحسن من اساء من الاساءة وورحمتي وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر
المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمه اما في الاخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله
فسأكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فالموجود الا وهو مشمول بنعمه وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وهو باب
راجح غالب قالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير والاحسان وقد خلق الله تعم الرحمة والخير اللذة وان حصل هناك الم فلا اعواض كثيرة
واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين الترك والافعال فقوله فسأكتبها للذين يتقون اشارة الى الترك والتكليف
الفعلي اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يشتمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك
اتباع النبي الامي الى اخره وصف محمدا صلعم في هذه الآية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مندرجة تحت الرسالة فلم افردها بالذكر
قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا كقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى وقد يكون نبيا ولا رسولا كاكثر من الانبياء الذين لم يكونوا
احدا لوصفين على الاطلاق فمن اجل هذا اعاد الموصوف بالوصف الاخر تنبيها على الاخر تعظيما وتشريفا لما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال
صلى الله عليه وآله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب لانه قيل انه منسوب الى الام اي انه على هيئة يوم ولدته امه لم يكتسب خطا ولا درسه وكان هذا من جملة معجزاته نبيا
ورسولا عن جوهر الاول انه كان يقرأ علوما كثيرة منظوما ومنثورا بعد اخرى من غير تبديل والخطيب العرب اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد من ان يغير
فيها وينقص فهذا المحدث من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار منها ما فانا نعلم كذب الاولين ولما اتى بهذا
القرآن العظيم المشتمل على جمل اشتمل العلوم من غير تعلم ومطالعة دل انه من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى اتاه علوم الاولين والآخرين
وما وصل اليه احد من العالمين فالجمع بينهما بين الخالقين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة التي يجدونه مكتوبا عندهم
في التوراة والانجيل الضمير في يجدونه للذين يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا
نعته في التوراة اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرائعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل
فمن المحال ان يجدونه في الانجيل قبل نزول الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى والى
الزكوة وامن بالله الا ترى ان موسى واتباعه في الزمان في شرائعه في هذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والانجيل ولا كان ذكر هذا

قبل وما كان من ضمن الكلام
هذا من ضمن الكلام
قبل ان ضمن الكلام
اللام والفعل
سقط الفعل من

الكلام من اعظم الفوادح والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب سقوط حال المدعى فلا يكون عاقلا فضلا عن ان يكون عالما على ان في نفس تلك الحكاية مستدركا آخر وذلك ان السادس مما امرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في الجزء الثالث بما فيه مقنع لمن تدبره وبجامع ذلك محصورة في قوله صلى الله عليه وآله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات الخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة وتجليل لحم الطيبات قبل ان يستطاب طبعا لان تناول ذلك يفيد لذة وقيل يعني الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة الى حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات وهو تكرار ويمكن ان يجاب بان المراد وبين لهم المحللات وفائدة العدول ان يعلم ان كل حلال استطاب طبعا وان الاصل في كل ما يستطيبه النفس وتستلذه الطبع الا لدليل منفصل وقيل معنى ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها التاسعة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس المنتنة والدم وما هو من المحرمات وقيل كل ما يستخبثه الطبع فالاصل فيه الحرمة الابدليل منفصل العاشرة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يحبس صاحبه اي يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل الحكم بنجاسة ما اصابه شيء من الامور الشاقة كالقصاص بلا من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل عن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على الساعد يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة في الايدي لانها على الاصل للقيد والمشاق الحرجة كما قال ويبعث الحنيفية السهلة السمحة وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات الاربع اكد الايمان به بقوله والذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه وقرروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يفوت به عدوه وعلى هذا لم يفرق بين قوله ونصروه وفرق كثير واتبعوا النور الذي انزل معه وهو القرآن اي انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن او يتعلق بما بعده اي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا القرآن كما اتبعه النبي صاحبي في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب والناجون عما منه يهربون فان قلت اين مكانها قلت مكانها الذين يتقون بين ان من شرط نزول الرحمة على المتقين كونهم متبعين لرسول اخوان ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم ودليل على ان محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود بقولهم انه مبعوث الى العبيد وبانباع عيسى الاصفهاني زعموا ان محمدا رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه لان الكذب عليه يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم بعض العلماء ان عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم عن الاصناف الثلاثة انما حكم عليهم بهذا الاعتبار ويدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه ويقال بعض الاكابر ان الابتر وان دلت على ان كل مبعوث الى الخلق فليس فيها دلالة على ان عمره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع من العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون وردبان مجموع هذه الامور من خواصه لكل واحد واحد وبان ادم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان ملكوا مبعوثا الى كل الناس وقتئذ ولا يخفى ضعف هذا الوجه لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده ونوح وابراهيم واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان ادم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرفت التكليف لا بواسطة ادم بدليل ولا نظر انما امر رسول الله بان يقول للناس انا رسول الله اليكم ابتدء كر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا يتم الا بتقرير اصول اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثرا وكان له مؤثر فهو بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول ببعثة الرسول ومحل الذي نصب او رفع على المدح او جر بدلا او وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد ذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الاخر وثالثها انه قادر على الخير والشر والبعث والحشر كما قال يحيي ويميت واتما بالواو لعطف هذه الجمل لان كلا منها مباينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلاثة ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان فرد امرها عن الشرائع النظر مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن الفادر على تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصاله الى الجزاء والى الذم الجزاء فان تحصيل لذة الابد بدون كونه اجوا ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي فقصر من الصفات المذكورة ههنا على الامية لانها اجل الاوصاف واد لها على حقيقته وذلك انه لم يبق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كان مكة بلدة العلماء وما غاب عنها رسول الله مدة غيبة طويلة يمكن التعلم منها ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والاخرين فليس

ذلك الا بتاييد سماوى وفيض الهى ثم وصف بقوله الذى يؤمن بالله وكلماته النبى صلى الله عليه وآله يجب ان يكون من آمن بالله وبكتبه وانما انقبل فامنوا بالله وجب بعد قوله الذى رسول الله بل عدل الى المظهر ليمكن ان يجرى عليه الصفات المذكورة وانما فى طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيره اظهار للنصفة واحترازا عن العصبية واعلم ان الكلام انما نظر به واشار اليها بقوله فامنوا واما عليه واليها الاشارة بقوله واتبعوه والاول اشارة الى التكاليف المستفادة من مقاله فان كل فعل يصدر عنه وقد وجب علينا فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجى لعلكم تهتدون قد مر فى نظائره لا سيما فى اول البقرة فى قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول وامر بمتابعته عطف عليه الخلق متابعته كون فى قوم موسى من اتبع الحق وهداه اليه فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق اى يهدون الناس بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون وهذه الامة وان حصلت فى اى زمان كانت اختلف المفسرون فى ذلك فقيل هم اليهود الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شان كما اطلق على الواحد فى قوله ان ابراهيم كان امة وقيل انهم قوم تنبتوا على الدين الحق الذى جاء به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل فى زمن تفرق بنى اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز ان يكونوا اناسا مواعلى ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا فى دينه ويجوز ان يكونوا هلكوا قبل ذلك وقال السدى وجماعة من المفسرين ان بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرا سبط منهم مما صنعوا واعتزلوا اليه وسئلوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم بقوا متمسكين بدين اليهود وبنوا الى الان بناء على ان خبرا بلغهم فهم مقيمون منهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان خبر هذه الشريعة طار فى كل افق وتغلغل فى كل نفق فقال انهم هناك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروى عن النبى صلى الله عليه وآله ان جبرئيل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبى الامى فامنوا به وقالوا يا رسول الله موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه منى السلام ثم اقراءهم عشرة ومن القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزل فرضه غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت فاعلم التاويل واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذى اختاره الله كان مثل موسى وانا اخترناك والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب للرجفة والصعقة وههنا نكتة هى ان قلب موسى لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة من المحبة مقرونا بحفظ الادب على سياط القرب بقوله رب ارنى انظر اليك فلم عزة الربوبية واظهر له العبودية وكان سؤال القوم من القلوب الساهية اللاهية فصاعقهم دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فقد موا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلى صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العز والعظمة ولما كان موسى ثابتا فى مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتشدد واختبأ لهم فقال ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة الربوبية كما كتبت لمحمد نسبكها يعنى حسنة الربوبية والاخذ للذين يتقون بالله عن غيره ويتوبون عن تضاهد المقام الزكوى الى الطالبين والذين هم بآياتنا شواهد الاباء بالتحقيق الا بالتقليد يؤمنون وهو قوله الذين يتبعون الرسول النبى الامى اشارة الى ان فى امته من يكون مستعدا لاتباعه فى هذه المقامات الثلثة ومعنى الامى انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال اول ما خلق الله روحى وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فاما اتباعه فى مقام الرسالة فبان تاخذ منه ما اتاك وتنتهى عما نهاك كما قال ما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص وفى الانتفاع من الرسالة والخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة التى فى الظاهر فتح له بصر كذلك احوال النبوة فى الباطن فيصير حينئذ الاشارة والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وتبادل حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله يصير مامورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلى الله عليه وآله علماء امتى كانبياء بنى اسرائيل واما اتباعه فى مقام امنه فذلك لاخص الخواص وذلك انه صلى الله عليه وآله يرجع بالسير من مقام بشريته الى المقام الذى فانيته الاولى ثم يجد بان الوحى انزل فى مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم انعطف بانوار الهوية عن انانيته الى ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير المتابعة من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم يجد بان النبوة انزل من مقام التوحيد ثم انعطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد خطى من مقام امنيته مكتوبا عندهم بالحقيقة هو مكتوب عنده فى جميع صدق يامرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه ويحل لهم الطيبات كل ما يقربهم الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الذى ما فيها وضع عنهم اصرهم الى العهد الذى بينهم وبين حبيبه ان لا يوصل احدا الى مقام امنيته لامته واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتى حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم شدة واغلال يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبى صلى الله عليه وآله عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته واشار الى هذا المعانى بقوله فالذين امنوا

فرد محمد على موسى السلام

به وتعزیرا وتوقیره باعتقاد اختصاص هذا المقام بدون سائر الانبیاء والرسل وعزوه بالمتابعة واتباعوا نور الوحی الذی انزل معه الی ملک السموات القلوب وارض النفوس لهذا تری فیهما غیر من قلب من یشاء من عباده بنور الوحدة ویمیت نفسه عن صفات البشریة وکلما تری ما اوحی الیه لیلة المعراج بلا واسطة ومن قوم موسی امة یهدون بالحق یعنی خواصهم الذین یرشدون الخلق بالکتاب المنزل بالحق علی موسی ویه یعدلون فی الحکم بین العوام فشتان بین امة غایتهم القصوی هو هذا الخلق وکان نبیهم محجوبا بالحجاب الانانیة عند سئوال الرؤیة فاجیب بلن ترانی وبین امة امیة یطلبون ایجادا بالواسطة وانواع المتابعة الی مقام الوحدة حتی سموا الله بما هو سمع وبصر ولسان ویبصر ویتکلم فلهذا دعا موسی اللهم اجعلنی من امة محمد صلی الله علیه وسلم قال الطاهر یرید فالهم

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَیْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَیْنَا إِلَی مُوسَی إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا

وپراکنده کردیم ایشان را دوازده فرقه گروهان ودحی فرستادیم بسوی موسی چون طلب آب کردند او را قومش که بزن بعصای خود سنگ پس روان شدند از آن دوازده

عَشْرَةَ عَیْنًا قَدْ عَلِمَ کُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَیْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَیْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَی کُلُوا مِنْ طَیِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاکُمْ وَمَا

چشمه هر اینه دانست هر آدمی آب خود را وسایبان کردیم بر ایشان ابر را وفرو فرستادیم بر ایشان من وسلوی را که بخورید از پاکیزه های آنچه روزی کردیم شما را

ظَلَمُونَا وَلَکِنْ کَانُوا أَنْفُسَهُمْ یَظْلِمُونَ وَإِذْ قِیلَ لَهُمُ اسْکُنُوا هَذِهِ الْقَرْیَةَ وَکُلُوا مِنْهَا حَیْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ

وستم کردند ما را لیکن بودند که خود بدان ستم میکردند وچون گفته شد مر ایشان را که منزل گیرید در این ده وبخورید از آن هر جا که خواهید وبگویید حطة وفرو روید در

سُجَّدًا نَغْفِرْ لَکُمْ خَطِیئَاتِکُمْ سَنَزِیدُ الْمُحْسِنِینَ فَبَدَّلَ الَّذِینَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَیْرَ الَّذِی قِیلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَیْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ

سجده کنان که بیامرزیم گناهان شما را وزود باشد که بیفزاییم خوبان را پس تغییر دادند آنها که کفر ورزیدند گفتار را بغیر آن که گفته شد مر ایشان را پس فرستادیم بر ایشان عذاب از آسمان

بِمَا کَانُوا یَظْلِمُونَ وَاسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْیَةِ الَّتِی کَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ یَعْدُونَ فِی السَّبْتِ إِذْ تَأْتِیهِمْ حِیتَانُهُمْ یَوْمَ سَبْتِهِمْ ع ۱۱

بجهة ظلم ایشان وسئوال کن ایشان را از اندیکه بود در نزدیک دریا چون از حد در گذشتند در ماهی گرفتن در شنبه چون که روز ماهی گرفتن بود ایشان را ودر روز شنبه بر روی

شُرَّعًا وَیَوْمَ لَا یَسْبِتُونَ لَا تَأْتِیهِمْ کَذَلِکَ نَبْلُوهُمْ بِمَا کَانُوا یَفْسُقُونَ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ

کنارها پیدا میگشتند روزی که شنبه نگرفتند نیامدند پیش ایشان چنین بیازمایم ایشان را بآنچه بودند تباه کاران وچون گفتند گروهی از ایشان که چرا پند میدهید گروهی را که خدا

مُهْلِکُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِیدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَی رَبِّکُمْ وَلَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُکِّرُوا بِهِ أَنْجَیْنَا الَّذِینَ

هلاک کننده ایشان است یا عذاب کننده ایشان را عذابی سخت گفتند عذر بر درگاه پروردگار شما ایشان وشاید که پرهیزند پس چون فراموش کردند آنچه پند داده شدند بآنها

یَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِینَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِیسٍ بِمَا کَانُوا یَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ کُونُوا

منع کردند از بدی وفرا گرفتیم ایشان را که ستم کردند بعذابی بد بجهة بودن ایشان تباه کاران پس چون سرکشیدند از آنچه منع کرده شدند ازان گفتیم ایشان را

قِرَدَةً خَاسِئِینَ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّکَ لَیَبْعَثَنَّ عَلَیْهِمْ إِلَی یَوْمِ الْقِیَامَةِ مَنْ یَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّکَ لَسَرِیعُ الْعِقَابِ

وباز رحمت خدا وچون صلاح دید پروردگار تو که مسلط کرداند بر ایشان تا روز قیامت انواعی که برنجانند ایشان را از بدی عذاب بد رسی که بر پرورد کار تو زود عقوبت است

وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِیمٌ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِی الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِکَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّیِّئَاتِ

وبدرستی که او امرزنده مهربانست ومتفرق کردیم ایشان را در زمین طائفه بعضی ازایشان نیکوکارانند وبعضی از ایشان غیر ازاین وبآزمودیم ایشان را بآنچه

لَعَلَّهُمْ یَرْجِعُونَ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْکِتَابَ یَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَی وَیَقُولُونَ سَیُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ

شاید که باز گردند پس بجای ماندند از پس ایشان جانشینی که بمیراث بردند کتاب را فرا گیرند مال این دنیا را وگویند که زود امرزیده شویم واگر بیاید

یَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ یَأْخُذُوهُ أَلَمْ یُؤْخَذْ عَلَیْهِمْ مِیثَاقُ الْکِتَابِ أَنْ لَا یَقُولُوا عَلَی اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِیهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ

بایشان متاع دنیا مانند آن فرا گیرند آیا گرفته نشد بر ایشان پیمان کتاب که نگویند بر خدای بجز حق ودرس کردند آنچه در آنست وخانه آخرت

خَیْرٌ لِلَّذِینَ یَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَالَّذِینَ یُمَسِّکُونَ بِالْکِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِیعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِینَ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ

بهتر است مر آنانرا که پرهیزند آیا پس درنمی یابید وآنان که دست آویزند بکتاب وبرپای دارند نماز را بدرستی که ما ضایع نکنیم مزد اصلاح کنندگان را وچون برافراشتیم کوه را بالای

کَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَیْنَاکُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْکُرُوا مَا فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ القراءة تغفر بالتاء الفوقانیة

گویا که آن سایبانست وگمان کردند که آن فرود آید بایشان بگیرید آنچه را که دادیم شما را بقوت وبیاد کنید آنچه را که در آنست شاید که پرهیزید

مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ویعقوب والمفضل الباقون بالنون وکسر الفاء خطابا مکیا مجموعا جمع التکسیر ابو عمرو خطابا مکیا مجموعا جمع السلامة ابن عامر خطابا مکیا بالرفع مجموعا جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ویعقوب والمفضل الباقون مثله ولکن بالنصب الذی یلیه وجمع سلامة المؤنث

یشتون من الاستباء ابو بکر عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل نعم ابو جعفر ونافع بیئس علی فعل بفتح العین الاعمش والبرجمی الباقون بیئس علی فعل تاذن بالتاء بین الاصفهانی عن ورش والشمونی وحمزة فی الوقف تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذکوان وسهل ویعقوب وحفص الباقون بیاء الغیبة یمسکون من الامساک ابو بکر وحماد والاخوان بالتشدید الوقوف تماما وان انفکت الجملتان لان او جنا عامل اذ استسقیه دون قطعنا فان تفرقتی الاسباط لم یکن فی زمان الاستسقاء اخل بالحذف مع اتحاد الکلام ای فضرب فانبجست عیناً فاطاع والتلاوة

بئس علی فعل کقراءة ابن عامر

مازن قنکو

ما وذقنا كم المحذوف حمل الى قلنا لهم كلوا ولا تذهبوا فاقتحموا فانقطع عنهم وواظلموا يظلمون وخطيئاتكم المحسنين يظلمون فضاحيا نفس الطالب بحقه
الذين هو نفس مجنيها او نفس معالجة عجز قلبه ونفس قلبه وشق قلبه ومعالجة هذه الاعضاء بمزيد الادراك عن بعد الا الهيا فهو كفارة له فيما فرط
من ملاحيا نفسه ومعالجة قلبه لطرفة عين ولم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها او تخبيثها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ امقام الحقوق
البحر كيلا يبصر ما بعده ظرف لقوله واسئلهم فانه محال كانا بهم لاحتمال تعلق كل بداى يوم لا يسبتون لا تاتيهم اتيانا كابتائهم يوم السبت والاضافة
كل صفة مصدر محذوف اى بتلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز ايضا يفسقون قوما لا لاق الجملة بعد صفة شديدة يتقون يفسقون خاسئين
العذاب رجيم نصف الجزء اما لاحتمال كون ما بعده صفة او مستانفا دون ذلك للعطف على قطعنا فان اجعل الجار صفة للامم كان عطفا
مع عارض يحبون سيغفر لنا ياخذه ما فيه يتقون تعقلون الصلوة على تقدير خذ ذا اى لا نضيع اجورهم اما لا نضيع اذهم المصلحون ولا
نضيع اجر المصلحين والوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اى انا لا نضيع اجر المصلحين السبع القائل واقع بهم محق المحذوف تتقون
التفسير انه سبحانه ختم قصة بني اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة للمكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من
بعض كيلا يحاسد او يتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط بمعنى الغصن بمعنى الابل فكان الاباء كالشجرة والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز احد العشرة الى التسعة وتسعين مفرد فهلا قيل اثنتي عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع قبيلة كقوله تعالى ومن حاجك فيه تعالى فقل وهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج اثنتي عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع قبيلة كقوله تعالى ومن حاجك فيه تعالى فقل وهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج
الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة
المميز كما قال الزجاج وقوله اما بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد تزيد على خلاف ما كانت عليه الامم الاخرى وباقي الآية الى قوله
بنا كانوا يظلمون قد مر تفسيره في البقرة وكذا بيان المشابهات فيذكر النوع الآخر من احوالهم قوله سبحانك واسئلهم عن القرية اى عن
اهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلوم للرسول ﷺ من قبل الله تعالى ولكن المراد تقرير ما كانوا قد اقدموا عليه
عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك وليس كفرهم بمحمد ﷺ اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا
وكذا يعرف ذلك الغير انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم به من غير اكتساب وتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا والاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اى واسئلهم عن وقت
عدوانهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر فيه نظر اذ لا معنى لكون القرية
حاضرة البحر في وقت العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تاتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت و
هو السمك شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع وكل شيء بان عن شيء فهو شارع وشارعة الطريق وبنوح شوارعا اى دنت من الجنب
فالحيتان كانت تدنو من القرية يوم السبت يكثر صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد لا يهولنك امر وابالهو
الذي ارتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على
ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى
لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خالق ابليس وسائر ابواب الشر والنوع الثالث
قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب انتهى منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا
الآخرين كانوا لا يتركون وعظهم لمعذرة الى ربكم اى اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فتكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجو ان يتقوا
بعض الاتقاء فينزجر الصيد في السبت فلما نسوا يعني اهل القرية تركوا ما ذكروهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراءات شديد من بؤس بوزن باس اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المتاخر في قوله فلما عتوا
تكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن النهي عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد المزجور
والابعاد ان هناك قولا وقيل لما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن كلوا والله اوخم اكلا اكلها اهلها اثقلها خزيا
في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاء والله لطحون احدهم قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة
والواعظة واما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها فانه قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا والاعتراض على هذا الظاهر
انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقع الجواب معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون لان المجموع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والصحيح

الجزء الثامن

اثنتا عشرة فرقة من بنى فرقة منهم واعظة قالوا للواعظين لم تعظون اما الله مهلكهم فقد هلكوا بالاثنتين واما الواعظة فقد بقوا بقى الكلام فى القائلة
فعلى هذا لم تتوقف فيهم وكان يقول لهم لعلكم تعذرون فيما فعل فيقولون وعظنا عنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرئ عليه هذا الايبكى وقال ان هؤلاء الذين
سكتوا عن النهى عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشباننا انكم هالكون فنكث ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بان الله
سيهلكهم او يعذبهم واما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم انه لا فى بحال المنهى وان النهى لا ينجع فيه سقط عنه النهى

ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس هؤلاء ولعلهم كانوا الحوص الطائفتين ولعل الامة مسئولون عن علة الوعظ سئوال المنكرين والله تعالى
اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ نتقنا ونتقنا هو تفعل من الايدان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكانه يزعزع نفسه
واجرى مجرى فعل القسم فى الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اى حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله يغشاكم عليكم
عبادا لنا اولى بأس شديد واختلف العائد فى عليهم فقيل يرجع الى المسوخين بناء على ان لهم نسلا وقبل الى اصلاب تلك الفريق فكانه مسخ المتعدين ومحو

الذل بالبعثة وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله ودعاهم الى شريعته فتمادوا على الكفر واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو
اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا فضرب عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستئصال والاهانة
قيل القتل والقتال كما وقع فى زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما فى يهود خيبر وقريظة والنظير واذ قد اخبر الله تعالى بانه يوم الذل والصغار
اياهم ونحن شاهدان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروى فى ان اتباع الدجال هم ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه
يهودا ثم تابوا بالطيلسة فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون فى وقت اتباع الدجال قاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم فى

الارض امما فرقناهم فيها لتفريقا شديدا فلا يكاد يوجد بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا فى زمن موسى يهدون بالحق وبه الذين
وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبى صلى الله عليه وآله وامنوا به ومنهم دون ذلك اى منهم ناس دون ذلك او صفة محذوفة

عنه فيجوز ان يكون فيهم بعض الصالح وان كان ادون من صالح الاولين الآن قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة
البالغة على الخير والشر ودون ذلك رفع على انه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المختبر بالحسنات الخصب والعافية
والسيئات بالجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة النعماء بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم
خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثانى مذموم فالمراد فخلف من اولئك الصلحاء خلف قال الجوهرى الخلف القرن فقال هؤلاء

خلف سوء لناس لا خير فيهم قال اكثرهم قال الاخفش وقد يجوز ان يكون منهم من خلف سوء من ابيهم والتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال ابو
ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الاجرب والخلف الردى من القول فى سكت الفاء ونطق خلفا اسد كله ثم كلم خطأ

ورثوا الكتاب التوراة بقيت فى ايديهم بعد سلفهم يقرءونها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهى ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى
اى حطام هذا الشئ الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وفى الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير و
تخسيس وارد بالذى نالوه القرب لانه عاجل اردنى الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى فى تحريف الاحكام والنصوص ويقولون

سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه ياخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
الواو للحال اى يرجون المغفرة جازمين مصرين والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا
وانهم لا يتمنعون منها ثم بين تكذيب عهدهم فقال ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى التوراة ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان

للميثاق المذكور فى التوراة هو ان لا يجترءوا الكلام عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى ولا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك
خروج عن ميثاق الكتاب افتراء على الله عليه ما ليس بحق ويجوز ان يكون لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة

ولا يقولوا بمعنى كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ على انه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرأ وما فيه
اى انهم اكلون لما اخذ عليهم لانهم قد قرأوه ودرسوه والدار الاخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال

من ترك التمسك بالتوراة اتبعها حال من تمسك بها فالذين يمسكون الابتداء والتشديد التكثير فى افراد اقامة الصلوة مع ان
التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهارا لمزيتها واشعارا بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا قال ابو عبيدة اصل النتق قلع
الشئ عن موضعه والرفع ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمى بأولادها رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله ورفعناه فوقهم كانه ظلة
هو كل ما اظلك من سقف وغمام ونحوهما وظنوا انه واقع بهم علموا وتيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوى فى نفوسهم ان يقع بهم ان خالفوا روى انهم ابوا ان يقبلوا

احكام التوبة رفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا يقع عليكم فلما نظروا الى
الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر وقيل
هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التوبة الا

اهتز وانقض لها وقد حذف واعلم ارادة القول اى قلنا لهم قولوا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه

واذكروا ما فيه من الامر والنواهي او من التعريض للثواب والمراد خذوا ما اتيناكم من الايات العظام بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا وانما ذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون بما انتم عليه من الاباء التأويل الضمير الى كلمة
حاضرة الجمع نقيض الجحود على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف فيها كصفات الروح الروح وصنف تلك صفات
النفس الامارة بالسوء وكلا تذهو اعرض صيد حيتا الدواعي البشرية في سبت معارف الله فلم يهتك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تاتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا لان الانسان هو يعرض على ما منع تهيج الدواعي في المحرمات دون الحلالات بما كانوا يفسقون اي بما كانوا من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج
عن امر الله لانها امارة بالسوء واذ قالت امة منهم صفات القلب او الصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عذابا شديدا اللذات الشهوات
او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانا خلقنا هكذا امرتنا بالمعروف
ناهين عن المنكر نقضي ما علينا ليعلم انا ما قصرنا من اوصافنا الروحانية الملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون فتصف بالملامورية والاطمئنان فانها
قابلة لذلك بعد عذاب تأديب وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليعترض عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من
يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيمة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذابه لذة الحدة للنفس والشيطان وقطعناهم فرقا الارواح
والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول دبلوناهم بالحسنات والسيئات وهي المعاصي لعلهم
يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله تم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت اوبلوناهم بالحسنات
ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها
كما كان حال ادم خلف من بعدهم الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق وصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب و
هو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها مادة لتعرض الدنيا وبه تحصل المال
والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة وسيغفر لنا اذا استغفرنا
وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب اذ نتف الجعل فيرات الانسان او كل الجعبة ونفسه لا يقبل شيئا من الامور الدينية وانما يعاند على ادبار
القبول بامر ظاهرا وباطن فيه اذن على زوال اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر التحويل فجوطم بالقدرة الى ان ياخذوا ما اتيناهم الله ثم يعود منهم لا يقوم
واراد بهم واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم ع ۱۲
وچون فرا كرفت پروردكار تو از فرزندان آدم از پشت ايشان فرزندان ايشان را وكواه كرفت ايشان را بر نفسهاى ايشان اياينستم من پروردكار شما كفتند آرى كواهيم تا مكوئيد روز روز
القيمة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
قيامت كه ما بوديم از اين بيخبران يا بكوئيد كه جز اين نيست كه شرك آوردند پدران ما از پيش و بوديم فرزندان از بعد ايشان ايا ايشان هلاك كردانى ما را بجهة كردار مبطلان
وكذلك نفصل الايات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان
وهمچنين بيان ميسازيم ايات را وشايد كه ايشان باز كردند وبخوان بر ايشان خبر آنكسرا كه داديم باو نشانهاى خود پس برون آمد از آن پس برو ربودى او را شيطان
فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه
پس كه بود از جملهٔ كمراهان واكر خواستيم هر آينه بالا بريديم او را بان ونيكو ميشد جاويد شد در زمين وپيروى كرد هواى خود را پس مانند وى مانند سك است اكر حمله برى زبان
يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين
زبان بيرون دارد يا كذارى بر او زبان بيرون دارد اين است مثل آن كروه كه تكذيب كردند بايات ما پس بيان كن حكايتها را باشد كه انديشه كنند بد است مانند شان كروه كه
كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد
تكذيب كردند بايات ما وتنهاى خود را بودند كه ستم ميكردند هركرا راه نمايد الله پس اوست راه يافته وهركرا كمراه كند پس آنكروه اند زيانكاران وهر آينه بتحقيق
ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها
آفريديم از براى جهنم بسيارى از پريان واز آدميان كه ايشان را دلهاست كه نمى فهمند بان واز براى ايشان چشمهاست كه نمى بينند بان وايشان را كوشهاست كه نمى شنوند بان
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون
ايشان چون چهارپايانند بلكه ايشان كمراه ترند ايشانند غافلان ودر خداى است نامهاى نيكو پس بخوانيد او را بان ودا كذاريد آنانرا كه راست ميروند در نامهاى او بزودى
ما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي ع ۱۳
بآنچه بودند كه ميكردند واز آنكه آفريديم كروهى كه راه مينمايند بحق وبان راه برابر ميكنند وآنان كه تكذيب كردند بايات ما نزديك است كه بكيريم ايشان را از جائى كه ندانند ومهلت ايشان را دهم بدرستى كه
متين القراءة ذرياتهم على التوحيد حمزة وخلف ابن كثير وعاصم غير حفص والمفضل الباقون على الجمع بقولوا بياء الغيبة في الحرفين ابو عمرو يلحدون
ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون
بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرانا مظهرا ابو جعفر نافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى وادغما بغير همز ابو عمرو ورش بخ

الجزء السابع

الاعشى اذ انا بغير همز ابو عمرو وبزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف الباقون بالهمز الوقوف انفسهم لان التقدير
الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم فصلا بين السؤل والجواب بلى لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فوقف على شهدنا وبعاق ان يجعل من
اى فعلنا ذلك لئلا يقولوا او يصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اى قيل للملائكة اشهدوا فقالوا اشهدنا فيكون منفصلا من جملة
ومتصلا بان يقولوا غافلين للعطف من بعدهم لابتداء الاشهاد واتحاد القائل المبطلون هم رجعون النار وهو بين لان قوله فلما مبتدأ والخبر الفاء
فيه فيه كمثل الكلب لابتدأ الشرط مع ان الجملة تفسير للمثل وتركه بلهمك يا باتا يتفكرون هم يظلمون هو المهتدى للعطف لان التفصيل من الجملة
ابلغ فى التنبيه الخاسرون هو والانس والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثير لا يفقهون بها ج لان العطف صحيح ولكن الوقف لانهما
فى صفة الاعيانا وكذا الثانية ولهذا كرر لفظهم فى اول كل جملة لا يسمعون بها اضل اولئك هم الغافلون هو فادعوه بها ص لعطف المختلفين فى اسمائه يعدلون
يعدلون لا يعلمون هو وعطف اما على سبيل التقسيم احسن من جعله مستانفا فتوقف على اما لهم مبين هو التفسير لما شرح قصة موسى على اقصى الوجوه
ذكرنا مجرى بحره تقريرا لحجة على جميع المكلفين وفى الاية للمفسرين قولان احدهما وهو مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول
الله ص فقال ص ان الله تبارك وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره
فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله ص ان الله اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله بها الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل
النار فيدخله بها النار وهذا القول هو الذى ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبى وابن عباس
اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقول فانهم ضرروا الاية بانه تعالى اخرج الذرية وهم احياء عقلاء من اصلاب ابائهم وذلك الاخراج لهم كانوا بمنزلة
فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب فى عقولهم من
دلائل وحدانيته وعجائب مخلوقاته وغرائب صنعته وكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا
بوحدانيتك وانك انت المتمثل بابا واسع فى كلام الله ورسوله وفى كلام العرب نظيره قالت لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطنى وهذا القول الثانى غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون فى نفسه انما الكلام فى صحة القول الاول
والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بنى ادم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بنى ادم وعلى هذا
فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهر ادم شيئا وبمكن ان يجاب بانه تعالى انما خص هذا القدر بالذكر لان الشخص الفلانى انما يتولد من ادم ومن فلان فلان اخر فعلى الترتيب الذى
علم دخولهم فى الوجود بخروجهم وبميز بعضهم من بعض ثبت اخراج الذرية من ظهور بنى ادم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر ادم بالخبر فوجب المصير
اليهما معا صونا للاية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذرات لو كانوا عقلاء لامكن اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا
تلك الحالة فى هذا الوقت وهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا فى ابدان اخرى وبقينا فيها
ودهورا امتنع فى مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل فى اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها ان جميع الخلق من اولاد
ادم جمع عظم وجمع عفير وصلب ادم على صفير لان يشمع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولاد
الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما فى الجثة والعقد واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا فى الحيوة والعقل
الجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم فى ذلك الوقت وفى الدنيا والاجماع منعقد
على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم اذا دون خالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل كيف يتوجه
على الذر واجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا اراد وا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا بعد ان يكون لبعض الملائكة
فى تلك الساعة الا شغبا فى وقت اخذ الميثاق لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون اولئك الذرات اناسا لا بنا فى كون الانسان مخلوقا من الماء والطين
والجواب لعله تعالى ان يخرج الله تعالى من صلب ادم ذرة من الماء ثم منها ذرة اخرى وهلم جرا الى اخر نسلها ثم يعدم الكل او يبقيها فيحصل للانسان
اربع مرات اولها وقت الميثاق وثانيها فى الدنيا وثالثها فى القبر ورابعها فى القيمة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين
واحدة لا بنا فى هذا حكاية قول الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قولهم ان تقولوا انما نحن
واشهدهم على انفسهم بكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة
وهو قوله بنى ادم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى فيه الكلام خطاب هو قوله الست بربكم
وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون فى المعنى ويقولوا بمعنى لكفار انما اشرك اباؤنا من قبل ونحن ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون
تعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله انهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل ان الله تعالى اخذ عليهم الميثاق امنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة
معناه اشهدنا عليهم كراهة ان يقولوا انما اشرك على سبيل التقليد لا سلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم فى الاعراض عنه

والاقبال

والاقبال على التقليد والاقتداء بالاباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبنو رسولهم اي الذين كانوا في عهد رسول الله من اخلافهم المقتدين بآبائهم لان الابناء السابقة يخطفهم اليهود وكذلك قوله وانزل عليهم اي على اليهود بخلاف الذين اتيناهم اياتنا اما قوله وكذلك الخ ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق وان يعرضوا عن الباطل نفصلها او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد وبعض العلماء قالوا الآية قول ثالث وهو الارواح البشرية وجدت قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم لبس مما يحتاج في تحصيله الى كسب طالب هو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلوماتها فربما يتذكر وان تذكر وائل عليهم على بني آدم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعور وذلك ان موسى قصد بلده الذي هو فيه وعز اهله وكانوا كفارا فظلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الاعظم فامتنع منه فاذا لوا بطبلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ودقع موسى وبنو اسرائيل بدعائه في البلد فقال موسى يا رب بأي ذنب تعذبني البلد فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعائي عليه ثم دعا موسى ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فصنه وبقي ايئسا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى انزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وفيه انه تعالى لا شرف عبد لمن عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله ابن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت في امية بن الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا ان يكون فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا وقيل هو من بالنبي صلعم وهو الذي قال فيه النبي صلعم ولقد كان يسلم وذلك اثر يوجد الله تعالى في شعره ويدل كذلك قوله تعالى من خلق السماء والارض واحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي صلعم بالفاسق وكان يترهد في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار والى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وآله فمات هناك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب وكانوا يعرفونه بنعته صلعم عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال رجل هو رجل اعطي ثلث دعوات يجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكانت محجبة فقالت جعل لي منها دعوة فقال لك واحدة فماذا تامرين قالت ادع الله ان يجعلني احسن امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا آخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة سائحة فذهبت فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا لبئس ما فعلت على هذا فرارقد صارت امنا كلبة سائحة بعيرا بها الناس فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة والى مسلم ومعنى قوله اتيناه ايانا عندنا الاكثرين علمناه حجج التوحيد فتعامى عنها وانسلخ منها فخرج من تحت الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم اتيناه ايانا فانسلخ منها اي تيسرت لها فلم يقبل وعرى منها وتباعد كما هو شأن كل كافر فلم يؤمن بالادلة وقام على الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان الشيء مقصودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الآية نزلت في انسان كان عارفا بدينه ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه صار قرينا له واتبعه الشيطان خطواته او كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها اي بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه قيل لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزمه الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فحصوله فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسماء ثمارها منها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى ولو شئنا لرفعناه انا امرناه ونهيناه عن التمسك بما اتاه الله من الايات ثم انا لو جاء الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه اخلد الى الارض يدل على هذا المعنى لان هذا الوصف لا يوجد اقبح مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وحال الجبائي معنا ولو شئنا لرفعناه بما عاقبناه بالنار نحرمه ونزيل التكليف عنه قبل ان الكفر حتى تسلم له الرتبة لكن رفعناه بان اديمه التكليف لمنزلة زائدة فالجأناه بتمام على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا يجوز تركنا مع اختياره وقال صاحب الكشاف ومعناه ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله تعالى رفعته تابعة للزوم الايات فلذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له وسببته عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا انه لم قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فخططناه الى بلغ خط لان تمثله بالكلب في اخس احواله وارذلها في هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال تقديره كمثل الكلب ليلا ذائم الدلالة لاهثا في الحالين وبجوز ان يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث هو هوان الكلب بخلاف اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شيء يلهث فانه يلهث من اعياء او عطش الا الكلب الا لاهث فانه

وهما لا يذكر

واعلم ان التشبيه

بلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعة الخبيثة فعنى الاية ان هذا الكلب ان شددت عليه وزجرته لهث وان تركته ايضا لاجل ان ذلك الفعل القبيح لطبيعة اصلية له عن ابن عباس ان الكلب مقطع الفؤاد بلهث ان حمل عليه قبل له دعا بالعلم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل ما وقع بجميع الكلاب دائما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب فاخس الكلاب هو اللاهث فاذا توسل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما تكون لاجل انه يرد عليهم انواع عاوسه ويظهر عندهم فضائل نفسه فتنا ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته شبيهة بحال ذلك الكلب الذي لهث لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيثة وايضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال والخسارة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شددت عليه لهث وان تركته لهث ثم ختم بالتمثيل جميع المكذبين بالقالبين فقال ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هادها يهدي هم وداعيا يدعوهم الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه وديانته كذبوه وقيل هم اليهود قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المجموع فيه وبشروا الناس بانه مبعوث وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقتصر على قصص من بعد قصص المكذبين وقصص بلعم الذي هو منحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون ويتعجبون مثل عاقبته اذ سار وانحو سيرته ثم ذكر تاكيدا اخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا بد من تقدير ومضاف ليناسب الخبر المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم واسناء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم باياتي الله واعراضهم عنها حتى صار والى ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وانفسهم كانوا يظلمون فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة يعني الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلمونا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعد الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال بتقديره فقال من يهد الله فهو المهتد وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان اهتدى مطاوع هدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون وانه محمول على المعنى لان من معناه ههنا الجمع وكان الجنس مطاوع الاضلال لان الضلال مطاوع له والحس لا يدخل ان ظاهر الاية موافق للمعتزلة لانه شاهد ان الهداية والضلال بجميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهد الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلل عن طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده الله فقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر بعد قبول من يهده الله بالالطاف وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلل عن ذلك بما تقدم منه وبئس اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان يثمر فيه فهو الخاسر وقيل العلم والداعي وبان الاخلال بعدم الاضرار وبان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالاية بعدها وهي قوله ولقد ذرانا الى اخره وذلك ان ربنا خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك لانه لا ازل وخلاف معلومه محال وايضا العاقل لا يريد الكفر فالجهل الموجب لدخول النار فحصل ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب لا محالة لا يقع العبد الا بما يسعى في تحصيل ذلك لاعتقاد الباطل لانه اشبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حاصل بابتداء خلق الله تعالى لانه قال الذرء على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة والعبادة والخير فقط كثير كقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى اخره ولو كانوا مخلوقين للنار غير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له نفع على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب العذاب الدائم لكن القرآن مملوء من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم ايضا لانه يتركه الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد بنفسه الا اذا قدر ولقد ذرانا لهم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فنجيب بانا نحمله على قولنا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون لان ظاهر بعض من غير حذف وعلى هذا وجب بالاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا ان قيل انه جعلهم لاجل انهم في الكفر شدة شكاية منهم كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان عريقا في بعض الامور واجيب بما لا يابه لا يسئل عما يفعل وتفصيلا بان النعم وان قلت فهي في نفسها نعم وبان الوسايط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة يجوز لا يصار اليه الا لضرورة في تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كايات كثيرة على ان الكل من الله فوجب المصير الى ظاهر الجبر لا سيما فان ما قبل هذه الاية وهو قوله من يهد الله فهو المهتد وما بعدها وهو قوله والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم يدل على ما قلنا وايضا لا ريب ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفهمون بها مصالح الدنيا وكذا اعين مبصرة واذان سامعة لمراداتهم كانوا يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدنيا ثم انه تعالى كفاهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف ان الكفار بلغوا في عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يكتنه كنهه والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان

بل هو حالة حاصلة فى القلب كو الانسان اوارادوح بثبت لقول بالجزء وروى الشيخ احمد البيهقى فى كتاب مناقب الشافعى ان على بن ابى طالب عليه السلام خطب الناس فقال واعجبا لابن آدم قلبه فيه سواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد بالرضى نسى التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن وان اصابه الفرح بطر وان ناله الجزع فضحه وان غضه الفقر شغله البلاء وان اجهده الجوع قصد به الضعف فكل تقصيره به مضر وكل فرحاله مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلب فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالى فى الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اجد من نفسى انى شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلى حاصلا بى لا بغيرى اجبنا وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل يجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شئت وان شئت ان لا تشاء لم تشأ ما اظنك تقول ذلك الا لذهابك الى مرفيرى الى ما لا نهاية له فلا تشتبك بذلك ولا تحصل فعلك بعد حصول مشيتك بك وانما انت مضطر فى صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم فى معرض الذم وهذا يدل على ان محل الفقه هو القلب واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم المصنوبرى بل اللطيفة الربانية التى بها يكون الانسان انسانا وقد عبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح اما قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشارك سائر الحيوان فى القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفى منافع الحواس الخمس الظاهرة فى احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التى بها يدرك معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا لم تحصل هذه الغاية للانسان صار فى درجة الانعام بل اضل وادون لان الذى اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث النوع كان اخس حالا ممن لم يكن مهيأ لها عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع فقال مقاتل الانعام تعرف ربها وتبصر منافعها ومضارها فتسعى فى تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر يدا الى ربها ومن يقوم بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل لقمان لابنه لان كان معك مرشد والكافر يقتل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب اولئك هم الغافلون الكاملون فى الغفلة وقال علماء اتيم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول جهنم هو الغفلة عن ذكر سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ادنى وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على الدنيا وقع فى نار الحرص وفى مهاوى الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب من ظلمة الى ظلمة فاذا افتح على قلبه باب الذكر خلص من هذه الافات وخسران الحسرات الى معدن رب الارض السموات وهذا اللفظ مذكور فى ثلثة مواضع اخر بنى اسرائيل وفى طه وفى اخر الحشر ومعنى حسن الاسماء حسن معانيها وفهم دلالتها لانها اسماء دالة على معانى الكمال ونعوت الجلال وهى محصورة فى نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار غيره اليه وقد عرفت فى تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمه فى مخلوقاته اكثر كان علمه باسماء الله الحسنى اكثر والاولى ان نقول ان من تفسيرها اسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله انواع منها ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها فى حق الله مغايرا لمعناها فى حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثانى مثل ارحم الراحمين وياخير الراحمين وياخالق السموات والارضين ومنها ان يتق من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حى يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا يا مبدئ ويا ضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب ان يقال يا حى يا مبدئ يا ضار يا نافع ومنها ان يتق اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على الوجود بوجوب او على سبيل الصحة والاول بالحال والاول دوام العالم بدوامه والثانى هو المختار بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكونه محدثا متقنا على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع ان لا يكون حيا فظهران العلم بصفاته تعالى وباسمائه لابد وان يتعاقب على درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين ان الاسماء الحسنى لا يكون الا لله تعالى لان كل اسم يدل على نعت من نعوت الجلال لا يستلزم وجوب الوجود وكل نقص فانه يستلزم افتقار الممكن وكل اسم لا يفيد فى المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف اهل الحق فى ان اسم الشئ هل يطلق على اسم الشئ ام لا وقد مر تحقيق ذلك فى تفسير البسملة ومن الانعام فى قوله قل اى شئ اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه بها ففيه وجوه دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لاسرار عزة الربوبية وذلة العبودية ثم كانه فى قوله عند التحريم الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون فى اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال الحد الرجل والحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول عن الاستقامة والاخراف عنها ومنه اللحد لانه يحفر فى جانب القبر خلافا لواحد الاجود قراءة العامة ولا يكاد يسمع الا حد بمعنى لحد والالحاد فى اسماء الله تعالى يقع على ثلثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من

واكبر من ان تقوله اكبر من قدر الانسان

الجزء الثامن

المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن فقالت ان يحمد بما لا يحمد عليه كما سمع عن البعض وقالوا بجهلهم بالاباء الكارم بالبعض الوجه بالجيم بناء على ان اللغة مدح الثالث الذي يأتي تسميته بعض اسماء الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء ان ورود الاذن في بعض الاشياء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم الاسماء وكذا في خلق لانبيا لا يجوز ان يقال ان آدم خاص اوغاو وان ورد وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه الاسماء بقوله سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ثم اخبر ان كثيرا من المتقين مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وقد مر مثل هذه الآية في قصة موسى عن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد بالآية امة محمد صلى الله عليه آله وروى الربيع ان النبي كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطى القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس النبي قرأ هذه الآية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين امنوا من هذا الكتاب وقال الخبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم اعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا بآياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرج وهو درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الآية سنقربهم الى ما اهلكهم وبضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك كلما افتتحوا على نبي فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فرحوا دون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم اغفل ما يكونون وانما لهم الجبل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي في متن مثانه واحتج الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد بمسئلة القضاء وقد قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا فوجب حمله المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الآخرة ويتفاوتان هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد بالخبر الامانة قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعايته للاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه في ورطة التكليف وامهله ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيد الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا لكي يخلقه لا لما ذكرتم

الاعراف ٧

يَخْلُقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

آفریده شده و نوانا هستند از برای ایشان یاری بر ایشان و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانی ایشان را بسوی راستی نمی متابعت کنند شما را یکسان است بر شما چه بخوانید ایشان را

صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ

خاموش شوید پرستی که آنانرا می را که بخوانید از غیر خدا بنده گانند مانند شما پس بخوانید ایشان را پس باید که اجابت کنند شما را اگر هستید شما راستگویان ایا مر ایشانرا

يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا

راه روند بایشان یا مر ایشانرا دستها که بگیرند بایشان یا مر ایشانرا چشمها که ببینند بایشان یا مر ایشانرا گوشها که بشنوند بآن بگو که بخوانید شریکان خود را پس مکر کنید مرا پس نه

تُنْظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

زمان دهید مرا بدرستی که صاحب من آنخدائی است که فرو فرستاد کتاب را یاری دهد نیکوکاران را. و آنانکه میخوانید بجز او

نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

یاری شما را و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانید آنها را بسوی راستی نشنوند و می بینی که نگرند بسوی تو و ایشان نمی بینند

القراءة فبای بتلیین الهمزة حیث کان الاصبهانی عن ورش وحمزة فی الوقف وبدرهم بالباء مرفوعا ابو عمرو وسهل ویعقوب وعاصم غیر عباد والمفضل وبدرهم بالباء مجرورا عباس وحمزة وعلی وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان الآیة المدنیة نشطة شرکا بکسر الشین وسکون الراء ابو جعفر ونافع وابو بکر وحمال الاخرون شرکاء علی الجمع یتبعوکم مخففا نافع الباقون بالتشدید یبطشون بضم الطاء یزید قل ادعوا بکسر اللام الساکنین وکذا بابه حمزة وعاصم وسهل ویعقوب وعباس الاخرون بالضم للاتباع کیدونی بالیاء فی الحالین سهل ویعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وفی ابو عمرو ویزید اسمعیل والحلوانی عن هشام فی الوصل ینظرون بالیاء فی الحالین یعقوب فی سهل وعباس فی الوصل ان ولی الله بیاء واحدة مشددة ابو زید عن المفضل وشجاع وعباس اذا قرأ بالادغام الکبیر ولیتی بثلث یاءات وکسر الیاء الباقون بیاءین اولاهما مشددة مکسورة والثانیة مفتوحة تراءی الجمعان من خبت مبین ومن شئ لان التقدیر وفی ان عسی اجلهم لابتدا الاستفهام مع الفاء یؤمنون هاء له للمن قراءة وبدرهم بالرفع علی الاستیناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف علی موضع فلا هادی له یغمهون مریهما طعندیق لاختلاف الجملتین الاهوط والارض بغنتهما لا یجلونه ما شاء الله من الخرج لاحتمال ان یفسر السوء بالجوع فیکون معطوفا علی جواب لو واحتمال یفسر بالجنون الذی نسبوا الیه فیکون ابتداء نفی یؤمنون والهاج لاجل الفاء فرق برج لذلک الفاکرین وفیها یتهاج لابتدا التنزیه والوصل یجعل التنزیه یشرکون وهم یخلقون والوصل اولی للعطف ینصرون لا یتبعوکم صامتین صادقین یمشون بها لان ام عاطفة مع اتهانی معنی ابتدا الاستفهام للانکار والثانیة والثالثة کذلک یسمعون بها ینظرون والکاف والوصل اولی لیکون الواو عاطفة الصالحین ینصرون لا یسمعوا لا یبصرون والقصر ینعالی لما بالغ فی هذیدا المحذرین المعرضین عن ائتمار الغافلین عن التامل فی بینات عادوا الی الجواب عن شبهاتهم فقال اولم یتفکروا اذا علم ان الروئیة بالبصر لما مخصوصة بالانکشاف والجلاء ولما معقدها هی تقلیب الحدقة الی جهة المرئی کذلک البصیرة وهی المشابالعلم والیقین متعینة بالوضوح والانارة ولما معقدها هی تقلیب جذوة القلب الی الجانب طلبا لذلک وهذه الحالة تقتضی تنظر العقل وفکرته وفی اللفظ محذوف والتقدیر اولم یتفکروا فیعلموا ما بصاحبهم من جنة وهی حالة من الجنون کالمجلسة کان بهما اهل مکة ینسبونه الی الجنون لوجهین احدهما انه کان یتعاطاه کان بعثاء حالة عجیبة عند الوحی شبیهة بالغشی یتربد وجهه ویتغیر لونه والثانی ان عقله وهو لا اعراض عن الدنیا والاقبال علی الاخرة والدعاء الی الله تعالی کان مخالفا لعقلهم عن الحسن وقتادة ان النبی صلعم قام لیلا علی الصفا یدعو فخذ الخذا من قوم یا بنی فلان یا بنی فلان یحذرهم باس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبکم هذا لمجنون واطبق علی الصیاح فامرهم الله تعالی بالتفکر والتدبر فی امره وذلک انه صلعم کان یدعوهم الی عبادة الله وحده ویقیم علیهم الدلائل الظاهرة بالفاظ فصیحة عجز الاولون والاخرون عن معارضتها وکان حسن الاخلاق طیب السیرة مرضی السیرة مواظبا علی اعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء العالمین ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا یمکن وصفه بالجنون وانما هو نذیر مبین ارسله رب العالمین لترهیب الکافرین وترغیب المؤمنین ولما کان النظر فی امر النبوة مفزعا علی کل عاقل التوجه قال اولم ینظروا فی ملکوت السموات والارض ای فی مدلولاتها والملکوت الملک العظیم وفی عدم النظر دلالة علی وجوب الاستدلال فیما للعقل الیه سبیل وقد تظافرت فی هذا الکتاب کهیئة دلالة السموات والارض علی وجود الصانع ولا سیما فی سورة البقرة عند قوله ان فی خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شئ ای کما یقع علیه اسم الشئ عن اجناس غیر محصورة والغرض التنبیه علی ان الدلالة علی التوحید لیست مقصورة علی السموات والارض بل کل ذرة من ذرات هذا العالم فیها برهان باهر ودلیل قاهر علی الوحدانیة لانها مختصة بحیز معین من الاحیاز المتناهیة وبقدر معین من المقادیر الموجودة معین من الاوضاع وکذا الکلام فی لونها وشکلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها وکل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الی واجب واحد فی ذاته وفی جمیع اعتباراته وان عسی هی مخففة من الثقیلة والاصل وانه عسی علی ان الضمیر للشان وفی ان یکون ضمیر الشان ابعد والمعنی ولم ینظروا فی ان الشان والحدیث عسی ان یکون الشان قد اقترب اجلهم الموت والجملة واذا کانا احتمالین

الاحتمالين فما وجب على العاقل المتأهب الى هذا الفكر والنظر سعيا في تحصيل النصر من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فبأي حديث بعده لا يؤمنون فتعلق بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم فبأي حديث بعد القرآن يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وبما دون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأي حديث يؤمنون ان لم يؤمنوا به ولا شك في ان لفظ الحديث ما يراد في الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع في حدوثها قوله من يضلل الله فلا هادي له تقدم تفسيره مثله ثم لما تكلم في النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام في المعاد فقال يسئلونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة وداء الفرائض ومن المسائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال في الكشاف السائل عن الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت لفتهة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها كما بقي للحبتي ابو البيضاء او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مرساها وايان يوم الدين ولا يقع ايان بمعنى كم خلافا لبعضهم وعن ابن جني ان اشتقاقه من اي فعلان من اوت اليه لان البعض يأوي الى الكل وانكر ان يكون اشتقاقه من ابن لانه للزمان وابن للمكان ولقلة فعلان في الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسي اصله اي اوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقي اي بعد القلب قيل اصله ايمان بمعنى اي حين فخفف بحذف الطرفين فاتصلت الالف والنون بأي ورد بان ايا لا يستعمل الا بلام التعريف ولم يرد بمعنى الارسال والاثبات والسؤال والتبيان والاستفهام ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارست السفينة ولا ثقل من الساعة على الخلائق قل تأملها اي علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربي قد استأثر به لم يخبر احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل بل اخفاها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كاخفاء وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها الا للخبر عن وقتها قيل معناها احد الامور والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو تقلت في السموات والارض قال الحسن اي تثقل مجيئها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكور الشمس وانتشار النجوم وعلى اهل الارض لان في ذلك اليوم فناؤهم وهلاكهم او تثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والاهوال او تثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اي شكل واستبهم حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا اتجاءة على حين غفلة منكم وهذا الجملة مؤكدات ومبينات لما تقدمها وهذا فقال لعاطف عن النبي ان الساعة تهجم بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروي الحسن عن النبي انه قال والذي نفس محمد بيده ليقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى يجول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسئلونك ليتأكد ولما بين من زيادة قوله كأنك حفي عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثاني عن كنه ثقلها وشدتها وهذا اخص باسم الله في قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة هو الله والرب فيدل على الرب يبلغ الوجد ون الطيبة والعزة دون الخفي وجوه فقيل انه البارئ اللطيف وعن بعض الباء اي كأنك بارئهم اللطيف العشرة بعلمهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدي والضمير عائد الى قريش لما ادعت الفرابنة وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى انك لا تكون حفيا بهم مادموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبالغا في التقريب الى البعيد من غير تخصيص كنائها او على انك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسئلونك اي يسئلونك عنها كأنك حفي اي عالم بها فحذف قوله بها لطول الكلام او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفي فعيل من حفي فلان بالمسئلة اي استقصر والمعنى كأنك بليغ في السؤال عنها لان من اكثر السؤال علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب في المسئلة اذا الحف وقيل المراد كأنك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استأثر الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان الفهم حق وانما يقولون ان هي الا حيوتنا الدنيا او لا يعلمون السبب الذي لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم امر نبيه باظهار ذلة العبودية حتى لا يتسبب له نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط لله تعالى واجتث الاشاعرة بالآية في مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصلا الا بمشيئة الله تعالى واجاب المعتزلة بان المراد لا املك لنفسي من النفع والضر الا قدر ما شاء الله ان يقدرني عليه ويمكنني منه وظاهر الآية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبي ان اهل مكة قالوا يا محمد اخبرنا بخبر ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو افتشتري فنربح بالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل عنها الى ما قد اخصب فنزل الله هذه الآية فالمراد بالخير قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وجلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والارباح وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعني لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر في هذا ولا تؤثر في ذلك لكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع من غزوة بني المصطلق جاء في الظهيرة ريح نفرت منها فاخبر ان موت رفاعة كان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا ابن فاقد فقال عبد الله بن ابي لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا

يعرف ابن ناوية فقال صلى الله عليه آله ان ناسا من المنافقين تعالوا كيت وكيت فانتفى من هذا الشعب فتعالوا بنا نجوده ونحاربه على ما قال فترك
اما قوله وما مسنى السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من الغلو بنحو بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير
ان انا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأن اعلم الغيب قوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر
كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظ الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد
معبوده خوفا من ضره اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا بوحيه قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث ما تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة
لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل ويقدم الخير
على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم
قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد
وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها عن نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في اوائل سورة النساء
قال مجاهد كان لا يعيش لآدم ولد فاتاه الشيطان اذا ولد لك ولد فسميا عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذلك
قوله فلما اتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعني آدم وحواله شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد ذهبنا النقاد لوجوه منها انه تعالى
قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله أيشركون ما لا يخلق شيئا الى اخر الآيات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام
ولو كان المراد ابليس لكان اشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان آدم عم كان عالما بجميع الاسماء فكيف خفيت عليه اسماء ام كيف لم
يعرف ان اسم ابليس كان حارثا ام كيف لم يتنبه لعند ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها انه اراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستقيم
محمد ولان اسماء الاعلام لا يفيد في المسمى فائدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك
ذكر العلماء في تاويله وجوها احدها ان هذا مثل فكانه تعم يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها
انسانا ايسا وبهذا الانسان يكمن اي تلك النفس فذكر بعده ما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يكمن الى الانثى ويطمئن اليها فكان الذكر
احسن بيانا في المعنى فلما تغشاها اي جامعها الانثى اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او
على راس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر وعلى الدابة قرئ بهما استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير انكاره ولا قبل فقامت وقعدت بمن
غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب الاذى فلما اثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها
دعوا الزوج والزوجة ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لان اتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه وولد
ذكرا لان الذكور من الصالح والجودة لكونهن من الشاكرين لنعائك فلما اتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركاء فعلى حذف
المضاف اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا والمراد احد شائع اشركا في الولد لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبايع وتارة الى الكواكب تارة
الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم ارادوا بقولهم الذي خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجته فرشية فلما اتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار
والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين افتدوا بهما في الشرك وثالثها سلمنا ان الاية وردت في قصة آدم الا انه لا يجوز ان يكون قوله
جعلا واردا بصيغة الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون
بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم عم كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل هو في
كثيرة من الانعام ثم يقول لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم عند ذلك حقق فلان كذا او
احسن اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة اتبرئ من ذلك فغرضه من قوله اتقابلني بالشر الا اساءة اتبرئ من ذلك فغرضه
من قوله اتقابلني بالشر النفي والتبعيد ونقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا له على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركا وكذا قولهما
انا هما اتينا اولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مع انهم صنفين او نوعين ذكورا واناثا وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون سلمنا
ان الضمير في جعلا لاولاد آدم وحواء الا انهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما فكانا ينتفعان به في مصالح
الدنيا فاريد بالشرك هذا فانهما قالا تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين ونقول انما سميا عبد الحرث اعتقادا منهما
انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشراك في لفظ العبد سما
معابتين بذلك والله تعالى اعلم ثم اقسام المجد على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر
اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واجتمع الاشارة بها في مسئلة خلق الاعمال
فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون

الغزي وعبد هم

القدر وعط هذا

عليه عبد المنعم

لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا انفسهم ينصرون ولا يدفعون عن انفسهم مكروها فان من اراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل
ان الاصنام لا ينصر من اطاعها ولا يقتصر ممن عصاها بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا ينفع ولا يضر فكذلك الاصل
لما بينهم من الاشياء وانها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا يتفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى
الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد ان يطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبكم كما يجيبكم الله بدليل
قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم تقوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في اول
سورة البقرة في قوله سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا وقعوا في مهم ومعضلة
تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكنين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم
ثم اكد بيان انها لا تصلح للالهية بقوله ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم فسل انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد
واجب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء وفيه ايضا نوع من الاستهزاء اي قصارى امرهم ان
ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت لك فهم عبادا مثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها الهة لكم وارباما ثم بين عدم التفاضل بقوله
فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في انها الهة ولام الامر للتعجيز فانه اظهر لكل عاقل انها لا تفقد على الاجابة ظهر انها لا تصلح للعبودية
وانها والعبا سواء بل هم اختر وادون بدليل قوله الهم ارجل يمشون بها الاية وذلك ان كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء و
الالات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف عبادة
المفضول الخسيس الدني وانما قلنا كل ما من شانه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جعل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدم هذه
الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان الفاقد للشاهد من غيره فقال الهة وعدة كان اشرف ممن ينقرض في افعاله الى الالات فضلا عمن لا
فعل له البتة فلا يرد اعتراض بعض اغمار المشبهة ان الله تعالى لو لم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الهيته ثم انهم كانوا يخوفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون امر
من الكيد الكمل فلا تنظرون نهي من الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله ان لا يبالي بغير الله
كائنا من كان ثم لما امرهم بالتبرء حقه على التولي فقال ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الاية وفيه بيان الواجب على كل عامل عبادة الذي يتولى
تحصيل منافع الدارين اما الدنيا فلان الكتاب المشتمل على العلوم الخمسة واما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين
الصالحين اي من عباده فان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك تاس للمشركين ان يضره كيدهم بحكاية ان عمر بن العبد العزيز
كان لا يدع نحو لاولاده شيئا فقيل له في ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له الى مالي واما ان يكون من
المجرمين وقد قال تعالى فلن اكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهماته اقول وفي التعريب بالاية الثانية نظر لانها
حكاية كلام موسى اللهم الا ان يبنى التعريب على النظر ثم اعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه
الاية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الالهة المعبود
يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الاسماع سمع
ولا اسماع اجابة وقبول بحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر
اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئي وقبل الضمير في قوله وان تدعوهم الى اخر الاية يعود الى المشركين المذكورهم في قوله قل ادعوا شركاءكم
بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت انواع الحجج والبراهين لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم في التأثر اليك ينظرون ولكنهم لشدة
اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكانهم عمي بصيرته في قوله في موضع اخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والتأويل
اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب للوقوف والكشف لحصول الايقان والعيان
وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي ابدع من غير شيء وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم يعني اجل
فانهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا لانبائي حديث بعد اي بعد النظر يؤمنون يسئلونك عن الساعة التي يظهر الله تعالى
فيها اثار وصفة القهارية لاشتباه عالم الصورة فلا يبقى منازع ولا مجيب هو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستئثاره من الخوف والجوع
الا بايراد دفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هي الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بما صبغ من اصابع
الرحمن فكان الروح بنتم من القلب فنسائم نفحات الطاف الحق جعلت حملا خفيفا في المدة بظهور ادنى اثر من اثار الصفات البشرية في القلب الروح فاذا
فلما اثقلت كثرت اثار الصفات خاف الروح والقلب على انفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية
الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن اتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما اتاهما صالحا جعلا له الروح
والقلب لها شركاء اي جعلا وجه النفس الى الدنيا وغيهما فصارت عبدا لبطن وعبدا لخصة وعبدا للدرهم والدينار ولا يستطيع

لهم نصرا الى لا يستطيع الدنيا ومن فيها الروح والقلب النفس تقوية وتوفيقا الا بالله ولا انفسهم ينصرون للبقاء والدوام
خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم
بگیر درگذشتن را و بفرمای بنیکوئی و روگردان از نادانان و اگر برسد تو را از دیو وسوسه پس پناه بر بخدا که او هست شنونده دانا
ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون
بپرهیزگار شدند هرگاه برسد ایشان را وسوسه از شیطان یاد کردند خدای را پس آنگاه ایشان بینا شدند و برادران شیطان ایشان را در گمراهی میکشند پس کوتاهی نمیکنند
واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم
وچون نیاوری ایشان را بآیتی گفتند چرا نه برگزیدی آنرا از خود بگو که من پیروی نمیکنم مگر آنرا که وحی کرده شود بسوی من از پروردگار من این قرآن بینشها است از پروردگار شما و رهبری و رحمتی مر گروهی را
يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة
که ایمان میآرند و چون خوانده شود قرآن پس گوش دهید او را و ساکت شوید شاید که شما رحم کرده شوید و یاد کن پروردگار خود را در نفس خود زاری کنان و ترسان
ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون
و بیرون از بلند گفتار در بامدادان و شبانگاه و مباش از بیخبران بدرستی کسانی که نزد پروردگار تو اند سرکشی نمیکنند از پرستش او و تسبیح میکنند او را و مر او را سجده میکنند

القراء بالخلف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو ورويس وبعقوب على الباقون طائف على وزن فاعل بمدة بعدها من الامداد ابو جعفر ونافع الاخرون بفتح الياء وضم الهمز من المدّ العفو وامر مدغما ابو عمرو وقنبل بغير همز حيث كان بن بدا والشموني وحمزة في الوقف لوقوف الجاهلين بالله عليم مبصرون بلا ياء لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان اختلاف حالي الفريقين لا يقصرون اجتبيتها من ربي لاختلاف الجملتين بالعطف مع اتحاد المقول يؤمنون ترحمون من الغافلين يجدون سجدة النفس لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم ارشد الى مكارم الاخلاق العفو الفضل وكل ما ينبغي من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي يستوفي من الناس اما ان يجوز ادخال المسامحة فيها او هو المراد بقوله خذ العفو بدخل فيه التخاوم مع الناس بالتي هي احسن ترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال لحق نبيه ص فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وامر بالعرف وهو المعروف فالعاقل قد انكل امر عرف انه لا بد من الاتيان به ويكون وجوده خيرا من عدمه فلو انتصر في هذا القسم على الاخذ ولم يبذل في ذلك سعة كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الاية قال رسول الله ص ما جبرئيل ما هذا فقال لا ادري حتى اسئل ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال اهل التفسير جبرئيل مطابق للفظ الاية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا اعطيت من حرمك فقد امرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد اعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق عليه السلام ليس في القرآن اعزّ من هذه الاية وبعض المفسرين ذهبوا في تفسير الاية طريقا قالوا اخذ العفو اخذ ما اتوك به عفوا فخذه ولا تسئل ما وراء ذلك فنسخت بآية الزكوة والحق ان تخصيص اخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكوة بالمفاد بالمخصص لا ينافي ذلك لان اخذ الزكوة مامور بان لا ياخذ كرائم اموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وايضا لا يمتنع ان يؤمر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقابلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال ابو مسلم لما نزل قوله واعرض عن الجاهلين قال رسول الله ص كيف يا رب والغضب فنزل وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ اي عرز وعنخس النزغ نازغا كما قيل جد مخالي زيد نزغت حاليين قوم اي افسدت بينهم واصله الاغراء بالحركة الى الشر والكثرة ما يكون ذلك عند الغضب نزغ الشيطان وسوسته القلب بسوء الملائمة مراعاة لمعاشه ومعاده ودفعا تارة يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص من حول الشيطان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على وامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي ص حتى عرف الغضب في وجه احدهما فقال النبي ص اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لم يجز على النبي الاتيان على وسوسة الشيطان لم يؤمر بالاستعاذة والجواب ان كلمة ان لا يفيد وقوع الشرط ولو سلم من اين علم الله قبل ذلك لو وسوسته نفسه ولو سلم فحمول على ترك الاولى ثم ختم الاية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكانه تعالى قال لذكر لفظ الاستعاذة بلساني فاني سميع واحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني عليم ثم بين ان حال المتقين قد تزيد على حال النبي ص في باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون له الا النزغ الذي هو كالابتداء الوسوسة واما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف كالخاطر وجوز بعضهم ان يكون مصدرا كالعافية ولكنه بالتاء والاصح انه اسم فاعل من طاف يطوف ومن طاف برأسي الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيفا فهو اما مصدر اي لمسة ومن الشيطان واما مخفف طيف فعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين قال الكشاف

الجزء الثاني

وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المنعمين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان و
الامر بوسوسة ومفعول تذكر محذوف اى تذكروا امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استفيض من
المغضوب عليه علا من الاعمال ثم اعتقد وتفسر كونه قادرا على المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقعا على ظلمات الاجسام فيغر بظواهر
الامور واذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما اقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه
تلك الحالة في الازل وحتى كان ذلك فلا سبيل له الى تركها فيفرغ غضبه كما قال ثم من عرف سر القدر هانت عليه المصائب ايضا اتركوا انا
في العمل فقد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه منا فاذا امضى الغضب كان شريكا للشيطان الموبد واذا اظفر العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء
مستاهلا للثواب الجزيل وانما قلل لضعيف قوتا وبالجملة فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات اما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشياطين وجمع لان المراد بالجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت والضمير المرفوع في يمدونهم يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين
الذين لبسوا بتفسيرين فان الشياطين يمدونهم اى يكونون مددا لهم في الغي وجوزان يراد بالاخوان الغياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول اوقع لان اخوانهم في مقابلة المتقين اتقوا قال اولا وهذه عامة ما جاء في التنزيل ثم امجد
ويستحب امدد دون على افعل كقوله امتمدهم ببنين من مال وامددناهم بفاكهة تمدون بمال وما كان بخلا فر فانه يحتج على مدد دون قال ومنه هم في
طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه التي الاستهزاء والتهكم بخوفبشرهم بعذاب اليم اما قوله ثم لا ينصرون فالانصار الكف عن الشر
قال ابن عباس لا يمسك عنه شر بها الا ان تهادى فيه وبهمال وطالما قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال
واذا لم تاتهم بآية قرئ لولا اجتبيتها وقرئ لو لا اجتبيتها بالتشديد لتفعلت من جمعت جبايته فاجتبأه اى اخذه والمعنى هلا
افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا يسمون الوحي والمراد هلا اخذتها واقترحتها على
الله ومعلوم ان كنت صادقا في ان الله يجيب دعاك ويسعف باقتراحك عند هذا امر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي
ولست بمقترح الآيات اولست بمقترح طامتم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على
وفق دعواه معجزة باهرة قاصرة كافية في تبكيت المتعنت فقال هذا يعني القرآن بصائر اطلق اسم المسبب وذلك
ان فيها حجا بينة تفيد للقلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر للاصحاء
عن البلهم في الهدى لارباب علم البلهم والرحمة بغيرهم من الصالحين المقلدين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شان القرآن بتلك الاوصاف
على الكافرين ادب احسانى بآبه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا وانصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه
ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن اهل الظاهر وعن ابي هريرة كانوا يتكلمون في
الصلوة فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتي وهم في الصلوة فيسلم كصلاتكم كم يتوخى وكانوا يتكلمون في الصلوة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة
في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روى عن ابن عباس ان رسول
الله ص قرأ في الصلوة المكتوبة وقرأ اصحابه راءين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار
وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة ودليلهم ان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن في الخطبة نقضها بناء على انها نزلت
قرآنا لا شتم لها عليه واجيب بان كلمة اذا لا يفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرتين بدخول
الدار مرتين اخريين وبدليل ان الشافعي يوجب على المأموم ان يقرأ الفاتحة وردوا بان المأموم انما يقرأ الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال
ابو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة فيهما شتت بعد سكتة بين التكبير الى ان يقرأ واخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت
الامام واجب لان الاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وح يلزم ان يحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك
الاستماع وايضا فهذا السكوت ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار
سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام في هذا السكوت يصير كالنائب المأموم وذلك غير جائز قال الواحدي الانصات هو
ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ في نفسه اذا لم يسمع احد وارد عليه ان غاية توجيهه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان
حصول الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل والانصات ان الاستماع على تقدير الانصات ان المفسر
ممكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك
ههنا قوله صلى الله عليه وآله لا صلوة الا بفاتحة الكتاب ذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعي انه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة

فالصلوة

قوله الخبر جاريا على من هو له وهو الضمير المجرور في اخوانهم

قوله مع قراءة الامام فان الانصات ع م

في الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب عليه القراءة في الصلوات السرية لان الاية لا دلالة لها على هذه الحالة وفي الاية تفسير اخر وهو ان الخطاب في الاية مع الكفار وذلك ان كون القرآن بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي اذا قرء عليهم القرآن عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات وتمام تحقيق هذا التفسير قوله في اخر الاية لعلكم ترحمون والترجي انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما في قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القرآن العمل بما فيه ثم امر بتبعيته وامتثال اوامره بالذكر العام قرانا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القرآن كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك في الاية قبل الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام ويدل على الطمع والرجاء والتذلل ذكر الزلفى في النفس ليكون ادخل في الاخلاص بعد عن الرياء وقبل ذكره في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني الاسماء التي يذكرها بلسانه قال بعض المتكلمين الذكر النفساني هو الكلام النفسي الذي يدل عليه الاشارة الثالث الرابع قوله تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف العقاب وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة فلا يخلو السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو ان يذكر بحيث يسمع نفسه انما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتأثر من الذكر اكثر مما يتأثر به القلب فوجب قوة في النفس ولا يزال يترايد ذلك الى ان يجري الذكر على اللسان بل يسري في جميع اعضائه وجوارحه واركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريا من النعسف السادس قوله بالغدو والاصال والغدو مصدر غدا يغدو اذا رجع والمراد وقت الغدو كما يقال اتيته صباح الى وقته وقيل ترجمة غدوة وطما الاصال فانها جمع الاصيل وهو الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اصيلة من الاصل والايوم بليلته اما ابتداء في الشرع من اول الليل فسمي اخرانها اصيلا لكونه ملاصقا لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندها ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة التي هي كالحياة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية والاصال لامر بالضد وهذان النوعان من التغير العجيب ليلا ان قاهرا باهرا على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والحضور ويمكن ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر العلمي يجب ان يدوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبريائه بحسب الطاقة البشرية لتنور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية فيضاهي سكان خطائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى دنو الشرف والقرب من عنايته والطافه لا تكبرون عن عبادته فيغرهم من ذلك ويشبحونه بل يسبحونه ويسجدون عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون بحضرته بغاية الخضوع والاستكانة وهذا يعود الى اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب ليل على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب وتتفرع عليه اعمال الجوارح والمقصود من الاية ان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى بان يلازم على ذكر معبوده ويجتذب بما امكن الى العالم العقلي ومقر الاصلي ويتصفح مرآة قلبه عن اصداء الرجاس ويتنفض بالكلية عن الحظوظ القدسية والمعارف الحقيقية والله ولي التوفيق التاسع قل امر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله من الشيطان نزغ في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوى من شان القلب كما قال التقوى ههنا واشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطاني براه القلب بنور التقوى ويعرفه كرة اثر يفسد ويكدر صفاءه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا مسهم اي لمسات القلوب بانوار من الله ليجر التقوس عن تكدرها فاذا لواى النفوس للقلب لولا اختلفتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قال انما اتبع الهام الحق فالهام قد يعلى تزكية النفوس الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا باذانكم الظاهرة وانصتوا بالسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاسماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له سمعا وبصرا فمن سمع القرآن من باريه فقد سمع من قاريه وهذا سر الرحمن علم القرآن فهو المستعد لخطاب واذكر ربك في نفسك بان تبدل اخلاقها باخلاق الله تضرعا في البداية وهو من باب التكلف خيفة في الوسط ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء فاذا فنيت سر الربوبية كفرت في غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله وهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم ومن هنا قال يوسف الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله ولا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا الخلائق في اخلاقهم يسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتحاد والانضمام والاتحاد وله يسجدون في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه البداء واليه المنتهى الله حسبي

سورة الانفال مدنية الا آيات قوله واذ يمكر بك الخ وهي ثنتان وسبعون ومائتا آية وخمس وعشرون كلمة وخمسة آلاف وثلاثمائة وثلاثة وعشرون حرفا

اما خوفهم

الجزء العاشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ

سؤال كنند تورا از حال غنيمتها كو كرد غنيمتها از براى خدا و پيغمبر پس بپرهيزيد خدارا و باصلاح آريد كار ميان خود را و پيروى كنيد خدا و رسول او را اگر باشيد

مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

كردندگان جز اين نيست كه مؤمنان آنانند كه چون ياد كرده شود خدا بترسد دلهاشان و چون خوانده شود بر ايشان آيات او بيفزايند ايشان را ايمان و بر پروردگار خويش توكل كنند

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

آنان كه برپادارند نماز را و از آنچه روزى كرديم ايشانرا ميدهند آنگروه ايشانند مؤمنان برستى مر ايشانرا پايگاهها نزد پروردگارشان و آمرزش

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ

و روزى فراوان چنانكه برون آورد تورا پروردگار تو از خانه ات بحق و ديد برستى كه طائفه از مؤمنان هرآينه ناخوش دارند خصومت كنند تورا در حق

بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ

پس از آنكه ظاهر شد گويا بكشانند شان بسوى مرگ و ايشان مينگرند و چون وعده داد شما را خدا يكى از دو طائفه را كه از براى شماست و دوست ميداشتيد

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ

كه صاحبان حصار نباشيد بوده باشد از براى شما و ميخواهد خدا كه ثابت كند حق را بسخنان خود و ببرد دنباله كافرانرا تا پديد آيد حق و برطرف شود

الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ

باطل و هرچند نخوشند بدكاران ياد كنيد چون فرياد ميخواستيد پروردگار خود را پس مستجاب كرد مر شما را كه من يارى كنم شما را بهزار از فرشتگان ازپى هم آيندگان و نكرد اين را خدا

إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ القراءة مردفين بفتح الدال ابو

مگر مژده و تا آرام گيرد دلهاى شما و نيست يارى مگر از نزد خدا بدرستى كه خداغالب و داراست جعفر و سهل و يعقوب و ابن مجاهد

وابو عون عن قنبل الباقون بالكسر الوقوف عن الانفال ط والرسول ه لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم مؤمنين بتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتدا والاصل اولئك فيكون الوقف على يخفضون ويكون الثناء بخفض الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا كريم ه لما يجئ في التفسير بالحق لطول الكلام لكارهون لا ينظرون الكافرين ج لاحتمال كون ما متعلقا بمحذوف اى فعلوا ذلك كما اخرجك ربك او بالحق ثم ابتدا بقوله وان فريقا مع احتمال الحال عند الله ط حكيم التفسير روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا لكم فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة فقتلوا احدق طائفة برسول الله ﷺ واستولت طائفة على العسكر والنهب فلما نفى الله العدو وجمع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو ونفانا فهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله ﷺ والله ما انتم باحق به منا لعد نا برسول الله لا ينال العدو ومنه حز وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن حزنا واستولينا عليه فهو لنا فنزل لا يدفعهما رسول الله ﷺ بينهم بالسواء وعن سعد ابى وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص فاخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله ﷺ فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض اطرحه فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله ﷺ وقد انزل الله سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الان قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمع الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل الغنائم ﴿ يصلوا التطوع نافلة لزيادته على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اى زيادة على ما سأل والضمير في يسئلونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على انهم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سألوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الابتداء انما يكون على انها مسوغة للتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اى يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام نحرضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه وقال لسرية انا نمكث هنا لكم اربعة اخماس الغنيمة فلكم نصفها او ربعها بعد الخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير منسوب الى سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي ﷺ يضعه حيث

بنداد

يشاء وعن مجاهد ان الانفال الخمس التي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سئلوا عن الخمس فنزلت الاية ثم امر الشرع في الجواب
فقال قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما يقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في
قسمتها مفوضا الى رأي احد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا ان ما غنمتم الاية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا
للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة
فقال فاتقوا الله اي عقابه فكفوا عما انتم عليه من معصيته واتركوا المنازعة والخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اي الحالة التي هي بينكم
من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال واقعة في البين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور
سميت الاية بقوله ان كنتم مؤمنين اي كاملي الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين
فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وخوفا من اليم عقابه وقد تطمئن القلب بعد ذلك
اذا تذكر كمال رافته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيقلع
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا قال العلماء زيادة الايمان يكون على احد ثلثة انحاء الاول بقوة الدليل بكثرة فان كان دليل فهو مركب
لا محالة من مقدمات ولا شك ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزم بالمقدمات
اكثر وادوم كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من سنح له على المطلوب ليلان كان علمه اتم ممن لا يجده على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد
العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ويقال في كل شيء له ايتان تدل على الله واحد الثاني بتعدد التصديق وتجدده فان المعلوم
ان من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه بقرائن يجدد من تصديقه في شيء واحد بعينه لا يقال انهم كلما سمعوا اية متجددة اتوا
باقرار جديد الثالث ان بقي الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الاية لانها ذكرت الامور الخمسة قال وان
هم المؤمنون فدل ذلك على ان كل الخصال داخلة في مسمى الايمان وبهذه ما رواه ابو هريرة ان النبي ﷺ قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلثة
فبسبب التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان وان لم يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متصورا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون ففيه
الحصر اي لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فان الاول الفرع من عقاب الله والثاني الانقياد لتكاليفه
والثالث الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها اسماها
وسنامها وهي الصلوة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون حقا وفي اولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من
المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبر كريما ذلك اخبارا حقا وقيل
النصب بما بعده اي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز
لان التصديق والاقرار كل منهما محقق والثاني مذهب اصحاب الشافعي واجابوا عن الاية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة
مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل هل هو موصوف بتلك الصفات جزما او اما حديث الشك فنحن قائلون على ان الايمان عبارة عن الاركان
الثلثة ولا ريب ان كون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فان
النزاع لفظي على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وانما هو لوال التجنب لعدم القطع بحسن الخاتمة ولنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله
وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وانت تعلم قطعا من الشك والريب عن الحسن ان رجلا سئله أمؤمن انت قال الايمان ايمان
فان كنت تسئلني عن الايمان بالله وملئكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسئلني عن قوله
انما المؤمنون فوالله لا ادري انهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا
ويحكى عن ابي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني ايمانك فقال اتباعا لابرهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال هلا افديت
بسي في قوله اولم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبي وفيه ما فيه ثم اخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم
اي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع ولكن استغرقت كل واحدة في سعادة الخاصة بها ومنعت عن النازل من حال من فوقه كما قال
سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعم الجنة المقرون بالدوام والمعظم والاكرم اسم جامع
لكل ما يحمد ويستحسن في بابه نظير الواحدي عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان
كل شيء وقال اني القي الي كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال
بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما اخرجك ربك بالحق وان فريقا من المؤمنين
وجوها الاول ان الشبيه بمثل المحذوف تقديره هذا الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم
في كراهة خروجك للحرب وذلك انه تعالى اراك كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا

ترغبا لهم فى القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سميتهم بقى خلق كثير يغير شئ فنزلت الانفال
لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب فى انفس بعضهم شئ من الكراهة الثانى ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر والفعل
المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى ثبت الحكم واستقر بارا الانفال له وان كرهوا بتاتا اخراج مثل ربك اياك الى القتال وان كرهوا وتعقيب
هذا المشبه به بالذكر من بين ما ذكر من احكام الله ان القصة واحدة وجه جعل الاخراج مشبها به كونه اقوى فى وجه الشبه لان مدار القصة عليه وقبل
النقدير هو ان الحكم بكونهم مؤمنين حقا كان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائى الكاف متعلق بما بعده وهو
قوله يجادلونك فى الحق كما اخرجك ربك من بيتك على كره فريقا من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيثرب
صلى الله عليه وآله بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اخراجا ملتبسا
بالحكمة والصواب وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك وهم
ان يكون الجملة بدلا او خبرا بعد خبر روى ان عيرا قبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله ص فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر عزمهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وآله لم تفلحوا بعدها ابدا
وقد رات اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رايت عجبا رات ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيت
من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما رضى رجالهم حتى تنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم
النفير على ما قيل فى المثل السائر كالعير والنفير فقيل لدان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله
لا يكون ذلك ابدا حتى نحضر الجزور ونشرب الخمور وتقيم القينات والمعازف ببدر فتسامع جميع العرب بخروجنا وان محمدا لم يصب العير
فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى ص اصحابه وقال ما تقولون
ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله ص ثم رد
عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله ص عليك بالعير ودع العدو فقام عند ذلك غضب
النبى ص ابو بكر وعمر فاحسنا فى الكلام ثم قام سعد بن عباده فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك احد من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فتهلل رسول
الله ص ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا
وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى ص يخاف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على
عدو هم بالمدينة فقام سعد فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل
الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله ص وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله
قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم وارجع الى التفسير قوله فى الحق اى فى تلقى النفير بعد ما تبين له امر
اعلام النبى ص بانهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير فهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب لذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون
الى الموت المنقر لشاهده اسباب من قلة العدد والعدد والعير النفير تودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اى تتمنون ان يكون لكم
العير لانها الطائفة التى لا حد لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويريد بها الشان يحق الحق بيثبته ويعليه بكلماته بايانه المترتب
فى محاربة ذات الشوكة من انزال الملئكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر ويقطع دابر الكافرين اى يستاصلهم والدابر الاخر يعنى
انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقويم الدين وشتان ما بين المرادين وقوله ليحق الحق متعلق
بمحذوف اى لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل مما قد والحذف متاخرا البتة مفيد معنى الاختصاص اى ما فعل ذلك الا لتحقق الحق
وابطال الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قبل الحق حق لذاته والباطل باطل فى ذاته وما ثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا
المراد باظهار كون الحق حقا والباطل باطلا ذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية نفوس اهل الباطل فان قيل الجمع بين الكلام تكرار قلنا لا
اذ المراد بالاول تنبيه ما وعده فى هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثانى اعلاء الاسلام ومحق الكفر الحاصلان الاول جزئى
اى انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثانى كلى فيشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التى حصل فى ضمنها اعلاء كلمة الله
وقمع كلمة الكفر اخبث الاشياء تعوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وتكوينه ولا يمكن ان يقال

المراد من اظهار الحق وضع الدلائل على ان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقيل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك بنا في ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل واجيبت اللام في الحق بصرف الى المفهوم السابق اي في هذه القضية فلم قلنم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اي الكافرون او المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفي موضع اخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم وقيل بتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان رسول الله ص نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك وروي انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اقطعنا لارحم وآتانا بالحق فانصره ورفع رسول الله يديه بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة يقول الواقع في بليته اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اي باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها من ردفته اذا اتبعته متعديا الى مفعولين او من ردفته اذا اتبعته اي جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا البعض او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او للملائكة اخوة ومعنى الثاني تابعين بعضهم للبعض او للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف فقال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر ومكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمايم قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوما وحرب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من ابن كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله ص فقال ص صدقت ذلك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فالف واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة في تفسير سورة ال عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الا بشرى ولقد مر هناك وقد بقي علينا ان المنشأ به فنقول احذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم قولكم واخر به في ال عمران ازدواجا بين الخطابين ثم ان قصته بدر على قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستفز الخبر وجعل في ال عمران صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم التأويل كثرة السؤال توجب الملال وانا سألنا لكيلا يكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ذات بينكم من الاخلاق الرديئة والطموا الحسنة واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايثار زادتهم ايمانا بحسب ما زاد الانوار كما اخرجك ربك بالحق انه اخرج المؤمن الخفي عن اوصاف البشرية الى مقام العبدية بجذبات العناية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلي صفات الجمال والجلال وان فريقا منهم القلب والروح كارهون للفناء عند التجلي فان البقاء محبوب عند كل ذي وجود بحار لونك اي الروح والقلب يحبي الحق بعد ما تبين محبته كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت وانتم تنظرون اذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهي النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي اردتم ان لا تجاهد واعدوا النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحلائهم الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى الجنات الروحانية وسير المجذوبين على اجنحة عنقاء الجذبات الى وراء قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله الكلمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرئيل الى سدرة المنتهى وما على رفرف الجذبة الا طي الى قاب قوسين او ادنى فكان مكانة المشاهدة فمن العناية ان لا يكل السالك الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال وتود الله ان يحق الحق بكلماته اي يجذبانه ويقطع دابر الكافرين النفوس الامارة بالسوء تستغيثون ربكم بغير استشعار الروح والقلب من النفس عند استيلاء صفاتها بالفعل من الملكة هم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر بها هلال النفوس صفاتها الا بتجلي صفة القهار ان الله عزيز لا يوصل اليه بعد فنا الوجود حكيم في كل ما يفعل من يفعل والله اعلم

اذ يغشيكم النعاس امنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم

چون ذكر نعمت ثمار ايشان كرد اين از قبيل او ميفرستد برشما از سحاب آب تا پاك كند شما را بان ويبرد از شما پليدي شيطان را وتا بيندد بر دلهاي شما

ويثبت به الاقدام اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا سالقي في قلوب الذين كفروا

و پايدار كند بان قدمهاي شما چون وحي ميفرستاد پروردگار تو بسوي فرشتگان كه من با شما ام پس ثابت داريد بايمان كسانرا كه گرويدند زود باشد كه بيفكنم در دلهاي آنان كه كافر شدند

الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله

ترس را پس بزنيد بالاي گردنها وبزنيد از ايشان هر دست و پائي را اين بجهت آنست كه ايشان مخالفت كردند خداوند را و رسول او را و هر كه مخالفت كند خداوند را و رسول او را

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ
بدرستی خدا سخت عقوبت است این است پس بچشید او را و بدرستی مر کافران است عذاب پس ای زمره انبائی که گرویده اید چون دیدید انبار آنرا
كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ
کافر شده بزحف پس مگردانید بایشان پشتها را و هر که بگرداند در آن روز پشت خود را مگر گرداننده از برای کارزار یا جای گیرنده بسوی طائفه پس البته
بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
بازگشته بخشمی از خدا و منزلش دوزخ است و بد جایگاهیست پس کارزار نکردید ایشان را ولکن کارزار کرد خدا و بیفگندی وقتی که افگندی
وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِنْ
ولکن خدا افگند و تا بیازماید مومنان را از او بآزمایش نیکو بدرستی که خدا شنونده و داناست این است و خدا تباه کننده کید کافران است اگر
تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ
ملک شوید پس تحقیق که آمد شما را ملک و اگر باز ایستید پس آن بهتر است شما را و اگر باز گردید باز گردیم و هرگز بی نیاز نکند از شما جماعت شما چیزی اگرچه زیاده باشد و بدرستیکه خدا با گرویدگان
القراء ویغشاکم النعاس ابن کثیر وابو عمرو یغشیکم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون یغشیکم النعاس من التفعیل ویُنزل من
الانزال ابن کثیر وسهل ویعقوب وابو عمرو الاخرون بالتشدید ویُحق الاما لہ حمزہ وعلی وخلف ویحق موهن من الافعال کید بالنصب
عاصم وحمزہ وعلی وخلف وعاصم غیر حفص وسهل ورویس موهن من الافعال کید بالجر الاضافة حفص الباقون موهن بالتشدید کید بالنصب
وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالکسر الوقوف الاقدام التعاوذ بحذوف هو اذکر الذین امنوا طاک بناط
ورسوله الاولیاء العقاب النار الادبار جهنم المصیر فلم لعطف المنفیین مح لاحتمال ان یکون الواو ومقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال
ان یکون عاطفة علی ولکن الله رمی او علی محذوف ای لتستبشروا ولیبلی حسنا علیهم ط الکافرین الفتح للفصل بین الجملتین المتضادتین مع العطف خیر
لکم لذلک نفسح کثیر ط لمن قرا وان بالکسر المؤمنین النفیر قال فی الکشاف اذ یغشیکم بدل ثان من اذ یعدکم او منصوب بالنصر او بما فی عند الله
من معنی الفعل او بما جعله الله او باضمار اذکروا امنة مفعول لاجله ومنه صفة لها ای امنة حاصلة لکم من عند الله ولما کان غشیان النعاس و
کذا اغشاؤه وتغشیته متضمنا لمعنی تنعسون کان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا کما هو شرط انتصاب المفعول له والمعنی اذ تنعسون امنکم او
یغشیکم النعاس فتنعسون امنا وجوز علی قراءة الاغشاء والتغشیة ان یکون الامنة بمعنی الایمان ای یغمسکم ایمانا منه وجوز ان ینتصب
الامنة علی انها للنعاس الذی هو فاعل یغشاکم ای یغشاکم النعاس لامنة علی ان اسناد الامن الی النعاس اسناد مجازی وهو لاصحاب النعاس علی
الحقیقة او علی ان المراد انامکم فی الوقت کان من حق النعاس فی مثل ذلک الوقت مخوف ان لا یقدم علی غشیانکم وانما غشیکم امنة حاصلة
له من الله لولاها لم یغشکم علی طریقة التمثیل وقد والتخییل مر فوائد هذا النعاس فی سورة ال عمران ومن نعم الله تعالی علیهم فی تلک الواقعة انزال
المطر علیهم وکان فیه فوائد احدیها تحصیل الطهارة والثانیة اذهاب رجز الشیطان وقیل هو الجنابة الثالثة اصابتهم لانها من تخییل الشیطان ولا
تکرار لان الاولی عام وهذه خاص وقیل المراد المنی لانه شیء مستخبث مستقذر وعلی هذا یکون الایذ دلالة علی نجاسة المنی لقوله والرجز فاهجر وقیل
المراد وسوسة الشیطان الیهم وتخویفهم ایاهم من العطش وذلک ان المشرکین سبقوهم الی الماء ونزل المؤمنون فی کثیب اعفر فسوخ فیه الاقدام
علی غیر ماء فناموا فاحتلم اکثرهم فتمثل لهم ابلیس فی صورة انسان فقال لهم انتم یا اصحاب محمد تزعمون انکم علی الحق وانکم تصلون علی غیر وضوء وعلی
الجنابة وقد عطشتم ولو کنتم علی حق لما غلبکم هؤلاء علی الماء وما ینتظرون بکم الا ان یجهدکم العطش فاذا قطع العطش اعناقکم مشوا الیکم فقتلوا
من احبوا وسبوا من ابقتهم الی مکة فخرنوا حوضا شدیدا واشفقوا فانزل الله المطر فطر ولیلا حتی جری الوادی واتخذ اصحاب رسول الله حیاضا علی عدوة
الوادی وسقوا الرکاب واغتسلوا وتوضاوا وقیل ارمل الذی کان بینهم وبین العدو حتی تثبت علیه الاقدام وکانت هذه ثالثة الفوائد
واشار الیها بقوله ویثبت به الاقدام وقیل الضمیر عائد الی الربط الذی یدل علیه قوله ولیربط علی قلوبکم والمراد من تثبیت الاقدام
الصبر فی مواطن القتال وذلک ان من کان قلبه ضعیفا فر ولم یقدر ان یربط الله علی قلوبهم ای قواها لتثبت اقدامهم ومعنی علی ان القلوب امتلات
من ذلک الربط حتی کانه علاها وارتفع فوقها وقال الواحدی یشبه ان یکون علی صلة المعنی ولیربط قلوبکم بالصبر وما وقع فیها من الیقین روی
ان المطر نزل علی الکافرین ایضا ولکن الموضع الذی نزل الکفار فیه کان موضع السراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشی والاستقرار فقوله
ویثبت به الاقدام یدل مفهومه علی ان حال الاعداء کان بخلاف ذلک ومن جملة النعم قوله اذ یوحی ربک وهو بدل ثالث من اذ یعدکم او
منصوب بیثبت واذکر لی معکم الخطاب للملائکة والمراد انی معینکم علی التثبیت فثبتوهم وقیل الخطاب للمؤمنین لان المقصود من
هذا الکلام ازالة التخویف والملائکة ما کانوا یخافون الکفار وفیه نبوة لقوله فثبتوا الذین امنوا وفی هذا التثبیت وجوه احدها التی
مفسر لقوله سالقی فاضربوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب علی قلوب الکفرة ولا تثبیت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غایة النصر
وثانیها ان یراد بالتثبیت ان یخطر ببالهم ما یقوی به قلوبهم وتصح عزائمهم وبنیاتهم فی القتال فالهام من الملائکة کالوسوسة من الشیاطین و

وقالوا انهم الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال عرفوا معالمهم وكانوا بعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالى الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب بها ازالة الرأس من الجسد وقيل اراد ضرب اليهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك لانها تبنى اصلاح احوال الانسان الذي يدان بقيهما من ابن بالمكان اي اقام به والمراد في الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فيهم من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا والان ما فوق العنق هو الرأس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس تنبيها على كل الاعضاء وبوجه اخر الضرب اما واقع على مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم التوجيه معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع البنان عبارة عن افناء الات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة ما يثبتونهم برأي قولوا لهم قولا سألقي او يكون واردا على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولا سألقي فاضاربون على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير وقد رتب في جنبه اعداد الله لهم ولامثالهم في الاجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب اي له والكاف في ذلك للرسول ولكل من له اهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر العذاب ذلكم اي الزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وان للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الاجل الذي لكم في الاخرة فوضع الظاهر موضع ضمير الخطاب تلك قد يجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر اي واقع للكافرين عذاب النار حق او بالعكس اي والحكم والشأن للكافرين وفي ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الاخرة قوله سبحانه يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا قال الازهري اصل الزحف هو ان يزحف لقبيح على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشى الطائفتين يقتتلان كل فئة شيء وحدها الى الفئة الاخرى يبتدئ المضارع فانتصابه على الحال من الفريقين اي اذا التقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم الذي لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا التقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا عن حالة المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اي اذا دهتهم اياهم للقتال فلا تنهزموا ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم اوهو قد نهى عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنى عشر الفا وفي قوله ومن يولهم يومئذ اماره عليه ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا الى فئة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من اعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهر اهو انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقدم ولا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف او التحيز ويجوز ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن يولهم الادبار رجلا غير متحرف او متحيزا ودون متحيزا متفعلا لانه من حاز يجوز فعل به ما فعل بايام وليلة وكان متفعلا لقبول مجوز عن ابن عمر رجعت سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم والعكر الكرة وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف لخمسة بين الصورتين من اكبر الكبائر ورجح القاضي بالاجماع على القطع بوعيد القساق من اهل الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص يوم بدر لان رسول الله ﷺ كان حاضرا بنفسه ولا تزحف ومدهم النصرة ولانه كان اول جهاده فناسب التشديد وهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشتت الضرب والطعن في وجوههم وقال رسول الله ﷺ شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فانزل الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول لما كان صورتها وجدت منه وتفاها عنه لان اثرها فوق حد تاثير القوى قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر رمى معاصوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت على حصاة وقعت على حجر رمى رسول الله ﷺ تلك الحصاة فانهزمنا وعن شعبة عن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي ﷺ بزيده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله ﷺ فخلوا سبيله فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبدالدار ورأى رسول الله ﷺ ترقوة ابي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط ابي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اجزعك انما هو خدش فقال والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات بالى النار قبل ان يقدم فان الله تعالى ذلك وما رميت اذ رميت ولكن

اوغير مضاربهم

او النصب والتقدير عليكم ذلكم

البشر بهم

الجزء الثامن

الله ومن قبل نزلت في خيبر حين دعا رسول الله ﷺ بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوي حتى قتل كنانة بن ابي الحقيق وهو على فراشه واصح الاقوال هو الاول كما لا يخفى اثناء القصة كلام اجنبي نعم لا يبعد ان يدخل تحت سائر الوقايع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا بفعل ما فعل ما فعله الا لذلك قال الفاضل ولو لا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى ابلاء فيهما النعمة والاحسان لكان يحتمل الجزاء اي الذي فعله تعلم يوم بدر كان كالسبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم وهذا يجري مجرى التهديد والتهويل كما لا يخفى بقوله العبد بظواهر الامور لكم الفرض ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين اعلم ان ابن كثير قرأ قوله وان الكافرين عذاب النار قال ابن عباس يعني رسول الله ﷺ ويقول اني قد وهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واشرافهم قال السدي والكلبي والحسن كان المشركون حين خرجوا اراد رسول الله ﷺ من مكة اخذ بحلقة باب الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروي ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم ايانا كان اهجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اي فاهلكه وقيل تم الخطاب للمؤمنين الذين استفتحوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اي عن عداوة رسول الله ﷺ فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب في الجميع للمؤمنين اي ان تكفوا عن المنازعة في امر القتال وعن طلب الغنائم فهو خير لكم وان تعودوا الى المنازعات نعد الى ترك نصركم ثم ختم الآية بقوله وان الله مع المؤمنين وتقدم هو على قراءة الفتح وان الله معين المؤمنين كان ذلك التأويل اذ يغشيكم النعاس اشتهر تغليب الحال الى صدوره بامر المتكون كالقال للنار كوني بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال الخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان ونزل عليكم من سماء الوحي ماء الالهام الرباني ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه ويربط على قلوبكم بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب اني معكم فتبتوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره وكان القاء الرعب في قلوبهم وضرب تلك اذ القيتم الذين كفروا اذ القيتموهم وصفانهم مجتمعين على قهر القلوب وصفانهم فلا تشهروا فيقعوا عن صراط الطلب الا فخرا الا فلبا يخرج لبتهبو اسباب الامتثال مع النفس وارجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها اولى ولابد الشيخ والى حضرة الله تعالى مستمدا الى قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها بورث المشاهدة فلم تقتلوهم في القتل عن الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه فقال ولكن الله قتلهم الآية بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة وكان يده يد الله كما كان حاله بسبب التجلي له بصفة الاحياء كان يحيي المؤمنين منه فيجتهد وفي متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام ان تستفتحوا اي تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله في طلب التجلي فقد جاءكم الفتح فانه تعالى متجلي في ذاته دائما وابدا وانما التغير في احوال الخلق فهم عند اقفال ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وان تنتهوا عن طلب غير الله فهو خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم وتكلكم الى انفسكم ودواعيها ولن تغني عنكم لا يقوم شيء من الدنيا والآخرة وما فيهما مقام شيء تما اعد لاهل الله وخاصته يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون

اي زمره كه ايمان آورده ايد اطاعت كنيد خداورسول او را در هر كار كه فرمايد او را و دشمن ندانيد

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا

ع

ونشنيد چون كسانى كه گفتند شنيديم وايشان نشنيده اند بدرستى كه بدترين جنبندگان در نزد خدا كران وگنگانند آنانكه درك نكنند واگر ميدانست خدا در ايشان خوبى هر آينه ميشنوانيدش ايشان را واگر ميشنوانيد هرآينه برگشتند روگردانيدند اى زمره آنانى كه گرويده ايد پاسخ دهيد مر خدا و مر پيغمبر را وقتى كه بخواند شما را بآنچه زنده كند شما را وبدانيد

ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله

ع

پرستش كرد خدا را بسطوت او در ميان مرد و دل او كه نميداند بعضى را كه نميرد انجا را كه بسگر دد از شما تنها و بدانيد كه خدا

شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره

سخت عقوبت است و ياد كنيد خدا را چون بوديد شما كم توانان در زمين ميترسيديد كه در ربايند شما را مردمان پس جاى داد شما را و قوت داد شما را بياريش

ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون

و روزى كرد شما را از پاكيزها شايد كه شما سپاس كذاريد اى زمره آنان كه گرويده ايد خيانت كنيد خدا و رسول را و خيانت كنيد امانتهاى چيزيرا و شما ميدانيد

واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين آمنوا ان

ع

و بدانيد كه جز اين نيست كه مالهاى شما و فرزندان شما ازمايش است و بدرستى كه خدا نزد اوست مزدى بزرگ اى زمره آنان كه گرويده ايد اگر

تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك

بپرهيزيد خدا را بگرداند از براى شما جدا كننده ميان حق و باطل و بپوشاند از شما بديهاى شما را و بيامرزد شما را و خدا صاحب زيادتى بزرگ و چون مكر ميكند

الذين

الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين القراءة ولا تقولوا
ان كو كافر پندند تا ثابت كردانند تورا يا بكشند تورا يا بيرون كنند تورا وكمر كنند خدا او كمر كند خدا وخدا بهتر ين كمر كنندگان است بالادغام تسمعون
الابتر والعطف لا يسمعوا لا يعقلون لاسمعهم معرضون لما يحييكم لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون خاصة لما قرر العقاب تذكر وتعلمون
فتنة للعطف عظيم ويغفر لكم ما العظيم او يخرجوك ويمكر الله الماكرين التفسير اتبع سبحانه بعد ذكر نخوة من قصة بدر والغنائم ادب المؤمنين احسن
تاديب فيما يرجع الى طاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه و
عن قبول قوله دعوتموني في الجهاد او الان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله
احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال ينفع فلان وجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تتولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون
لسبق انهم ماذا يسمعون لانه يعلم من مساق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد انتم تسمعون الامر المذكور او
وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان
الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف بلتزمه الا بعد ان يسمع فجعل السماع كناية عن القبول ثم اكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب اي
ان شر من دب على الارض او ان شر انواعهم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة لانه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو
شيء وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجعلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله
اي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج لما نفون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل نوا عبد
الدار ابن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا اجمعا
باحد وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سئلوا النبي ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا
وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه يقول تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد
والتعنت وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى اربعة اقسام جملة
الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا
فكيف يكون حاله والاول علم بالواقع والاخران الباقيان علم بالمقدور ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير
الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الخ والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الابتداء على صورة قياس شرطي
فاذا حذف الحد الاوسط بقي النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون التولي
منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خبر من الخبر فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول
الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع الافهام والالزام القبول والمراد بالاسماع
الثاني صورة الاسماع فحسب ايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كفولهم نعم العبد صهيب لو لم يخف لم يعصه
فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا التباس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر
انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف لو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا ما باللطف لهم حتى يسمعوا
المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطاف ولو لطف بهم فصدقوا لارتد وا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا
وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا اخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والا
الامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة ان النبي مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك
عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحى الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا ندعوني الا اجبتك وقد يتمسك المعتزلة بهذا الخبر
على ان ظاهر الامر للوجوب والاقدام بتوجه اللوم ثم قيل ان هذا ما اختص برسول الله وقيل ان دعاءه كان لامر لا يحتمل التاخير واذا وقع مثله
للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاصح انه يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احيانا الحي يحال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان
لان الايمان حيوة القلب الكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت اي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القرآن لان فيه العلم الذي به
الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لان وهن احد العدو من سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدائمة لقوله
بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل ما هو حق وصواب فيدخل فيه القرآن والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة
كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن
ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته يحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله والقلوب بيد الله
يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها القصد والداعي والعقايد حسبما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوبا نتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله
وانه اليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا مثابين معاقبين اما الجنة واما النار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله

الجزري وابن خليج الوقوف
سماع م

بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز ساقط ولا يكلف الله نفسا الا وسعها واما تعالى امر بالاستجابة لله وللرسول فلو لم يكن الاجابة ممكنة لكان
بالامر بها لو كان الامر بغير المقدور جائزا ان كان القرآن مجملا على الكفار على الرسول لانه عليهم فاذن لا يمكن حمل الآية على ما قاله اهل الجبر فاولا بها
ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله واتم لا ترى وان الشان او الله الذي تحشرون والمقصود الحث على الطاعة
قبل نزول سلطان الموت او انتم تحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه وتسمية الشيء باسم محله فكانه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا
على طول البقاء فان الاجل يحول دون الاصل اذا المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف و
الجبن فان الله يقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان
ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جار على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل و
المعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تاخروا حال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن
ان الغرض التنبيه على ان تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وان قربه من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكرين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان
يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت
لا تطرحنك وعلى هذا من منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حالكونهم خاصة
ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم الملكية ولا شتمال ذلك على نوع من الصلاح واما ان يكون تبعا مرون الباب
كانه قيل احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم كان الفتنة نهيت عن ذلك لاختصاص على طريق الاستعارة
وهكذا ان جعلت الجملة التاهية صفة للفتنة على ارادة القول اي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاء في ممزق هل رايت الذئب قط
عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها هاهنا ما كنا نرى اهلها فاذا نحن المعنيون بها
وعن اسيد بن ابي اسيد نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل روي ان الزبير كان يسار النبي ﷺ يوما اذ اقبل علي وهو على بغلة الزبير فقال رسول الله ﷺ
كيف بحبك اياه فقال يا رسول الله ﷺ بابي انت وامي اخبه كحبي لولدي او اشد حبا فقال فكيف انت اذا رأيته يقاتله ثم ختم الآية بقوله
واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصب اذ على الامر مفعول به
اي وقت انتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم اعداء
لكم فاويكم الى المدينة وايدكم بنصره بظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
اي ينعم عليكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء لا لاجل تشغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشغلوا المنافع عنه في الانفاق
فمنعهم من الخيانة الامانة يروى ان رسول الله ﷺ حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيرهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله ﷺ الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن
مروان وكان المندر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من
سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاء فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال ﷺ يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون النبي ﷺ شيئا فيفشونه
ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن
جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة يعلم الروم خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريد كذا فخذوا
حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب لاهل مكة خروج النبي ﷺ اليها حكاه الاصم قال القاضي والاقرب
انها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطية من الله ورسوله لاستحقاقهم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال و
يحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الآية ايجاب اداء التكاليف بامرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص
واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خنت الرجل في شيء فقد ادخلت عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو والكرب
وخان الشنار الثوب الكرب حبل قصير يوصل بالرشاء ويكون على العراقي حتى كربا لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه والشنار العسل
اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا
تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه وسنوله بان لا تستنوا بسنته وامراء نا بان لا تطيعوهما وانتم تعلمون تبعة ذلك وبالله او تعلمون
انكم تخونون بعين ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة حب

الاموال والاولاد ولعل ما فرط من ابي لبابة كان بسبب ذلك فنبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب فقال انما اموالكم واولادكم فتنة اى انها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم او العذاب او هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده فى ذلك الباب وان الله عنده اجر عظيم فعليكم ان تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتتوطوا انفسكم بما يفضى الى السعادات الروحانية الباقية ويمكن ان يتمسك بالاية فى بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله وهو افضل من الاشتغال بالنكاح لاداء الى الفتنة ثم ترغب فى التقوى المؤدى الى تجويد الاعراض عن محبة الاموال والاولاد عن انها قال فى شانهم فقال يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يجعل لكم فرقانا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية والنور وانشراح الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار على اهل الاديان كلهم وفى احوال الاخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة ويكفر عنكم سيئاتكم يستر عليكم فى الدنيا صغائركم ان فرطت منكم ويغفر لكم فى دار الجزاء والله ذو الفضل العظيم فاذا وعد بشئ وفى باحسن الايفاء ومن عظيم فضله انه تفضل ابتداء من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا بد ان يخالف الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمد على ذلك وتلك جميعها وعصمة ولا فالفضل فى الحقيقة الا لله سبحانه فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كانوا بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم وفيها ناح له من حسن العاقبة والعز واذكر وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهدا وقتادة وغيرهم من المفسرين ذكروا ام ان قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امر رسول الله ص فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقالوا هذا من نجد لا باس عليكم به فقال ابو البختري من بني عبد الدار راى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتشدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراى يا تيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو راى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واستراحتم فقال بئس الراى يفسد قومه غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان ناخذ من كل بطن غلاما ونعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق هذا الفتى هو اجودكم راى فتفرقوا على راى ابى جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن له فى الهجرة فامر عليا ان ينام فى مضجعه وقال له اتشح ببردى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويسجنوك لانه لا يقدر على الحركة وهو اشارة الى راى النجدى وقوله او يقتلوك اشارة الى راى ابى جهل وقوله او يخرجوك اى من مكة اشارة الى راى هشام وانكر القاضى حدوث ابليس فى الغصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك تلبيس ان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لان اقداره ابليس على تغيير صورة نفسه اغراء له على الاغواء والتلبيس هذا حكى عن القاضى وتقف عليه ان هذا الاعتراض وارد على خالق ابليس نفسه وعلى خالق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا وقد عرفت تفسير المكر فى سورة العمران والحاصل انهم احتالوا فى ابطال امر محمد والله ناصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فيهم فبئس ما صنعوا ومكر اولئك هو يبور ومعنى خير الماكرين ان مكرهم خير فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد انهم توهموا انهم ماكرون او المراد انهم فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره اكثر او المراد انهم فى نفس الامر فى ضلال وبال ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق البكم عن التكلم به العمى عن الاهتداء اليه الذين لا يعقلون انهم لما ذا خلقوا فلا جرم يؤديهم الى العذاب الدائم ثم ان يكونوا خير البرية الذين ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله اذا دعاكم لما يطلب المحبة من العبد لاجابة كما يطلب العبد الحاجة منه لاجابته فالاستجابة لله اجابة الارواح للمشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهد واجابة الخفى للمغنى فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا انها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيبن النفوس الظالمة فقط بل تصيب ظلمتها الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجتذبها من خطائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس اعلموا ان الله شديد العقاب يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لم يشابعد لكما الصفة والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعوازكم التربية بالبيان اداب الطريقة ولانعدام جوبان احكام الشريعة عليهم الى اوان البلوغ تخافون ان تخالفون ان تسلبكم النفوس صفاتها والشيطان واعوانه فاذكركم لخطائر القدس وايدكم بنور الربانية ورزقكم من المواهب الظاهرة من لوث الحدوث يا ايها الذين امنوا يعنى الارواح والقلوب المنورة بنور الايمان المستعدة بسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما ايتكم من المواهب فجعلوها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام بالبدعة وتخونوا اماناتكم التى هى محبة الله وحياتها بمتابعة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تتبعون الدنيا بالدنيا والمولى

ذكر ام

ان مخرمة بن نوفل الزهري

يفعل الله ما يشاء لكنه نهى عنه لكونه على المكروه وان كان هو

بالاولى فتنتهز بخيركم الله بها للتميز الموافق والصديق من الزنديق يا ايها الذين امنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله
يجعل لكم فرقانا يفرق عليكم من سجال جماله وجلاله القديم ما تفترقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجوده كم الفانى وتغفر
لكم بستر كم بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء به ليثبتوك ايها الروح فى اسفل سافلين
الطبيعة او يعدموك بانعدام اثارك او يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال الصالح البنة
واذا تتلى عليهم ايانتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم
وچون خوانده شدى برايشان ايات ما كو بند كر شنيديم اكر بخواهيم هر آينه بكويم بمانند اين نباشد اين مكر افسانهاى پيشينيان وچون كفتند خداوندا
ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم
اكر بعضيد اين ان حق از نزد تو پس ببارانيد بر ما سنكى از آسمان يا بيارريد ما عذابى دردناك ونباشد خداى كه عذاب كند ايشان را
الله وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام
وحال انكه تو در ميانهاى ايشان ونيست خداى عذاب كننده ايشان را وحال ايشان استغفار كنند وچيست ايشان را كه عذاب نكند ايشان را خداى وحال ايشان باز ميدارند از مسجد الحرام
وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
ونباشند دوستان او ليت دوستان او مكر پرهيزكاران ولكن بيشترين ايشان ندانند ونباشد نماز ايشان نزد خانه مكر شكوه زدن و دست بر هم زدن
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها
پس بچشيد عذاب را بسبب آنكه بوديد كه كافر ميشديد مايا ميدهند كه كافر شوند مردم را پس خواهند داد آنرا
ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب و
پس بود بر ايشان پشيمانى پس مغلوب شوند وآنان كه كافر شدند بسوى جهنم كرد آيند تا جدا كند خدا پليد را از پاك
يجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا ع ١٩
قرار دهد پليد را بعضى او را بر بعض پس برروى هم نهد او را همه پس بيفكند او را در جهنم آنكروه زيانكاران بكو مر انرا كه كافر شدند
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون
اكر دست كشند بخشيده شود ايشرا آنچه كذشت واكر باز كردند پس بتحقيق كذشت طريقه پيشينيان وكارزار كنيد ايشانرا تا نباشد
فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم
فتنه ودين همه ان ازبراى خدا پس اكر باز ايستادند پس بدرستى كه خدا بآنچه ميكنند بيناست واكر بر كردند پس بدانيد كه خدا كارسازى شما خوب كارسازى وخوب
النصير القراءة بما تعملون بصير بتاء الخطاب يعقوب لو قوف مثل هذا لان الابتداء بان هذا اساطير الاولين قبيح الا ترى انه لا يتم والا ث
يارى دهنده قيهم ط يستغفرون وما كانوا اولياءه ط لا يعلمون وتصديه تكفرون عن سبيل الله ط يغلبون ط لان ما بعده مبتداء تحشرون لا تتعلق
اللام فى جهنم ط الخاسرون سلف ط لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله ط بصير مولاكم ط النصير الجزء العاشر التفسير لما حكى مكرهم فى ذات
محمد صلى الله عليه وآله حكى مكرهم فى دينه وهو ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم و
اسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرأ عليهم ويقول هذا مثل ما يدكم محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل
قوله وهذا مندرج ومن امثاله سلف تحت الواعدة لانهم لم يتوانوا فى مشيتهم لوساعدتهم الاستطاعة وروى عن النضر وعن ابى جهل على
ما فى الصحيحين انه احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وهذا اسلوب من العناد بليغ ولما بلغ ذلك قوله هو الحق والفصل
وتعريف الخبر تحكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب اى ان كان القرآن
هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالتجهيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع اخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفى كونه حقا فلذلك
علق بحقيته العذاب كما لو علق بامر محال نحو قول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لو جلس من سبأ ما اجهل
قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال الجهل من قومى قولك قالوا لرسول الله ص حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة و
لم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع فى الجواب عن شبههم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفى دلالة على ان تعذيبهم
بعذاب الاستيصال والبتة بين الظهور غير مستقيم عادة تعظيما لشان البيت وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدى المراد نفى
الاستغفار عنهم اى لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل للفظ عام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله ص
من المستضعفين المؤمنين نحو كهؤلاء المقتل اهل فلانا وانما قتل واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا بصفة الكل وهم والمعنى وما كان الله معذب
هؤلاء الكفار وفى علم الله انه يكون لهم اولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفى علم الله ان فيهم من يؤمن الحال الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن
هشام وعدد كثير من اسلموا يوم الفتح وقبله وبعده وفى الاية دلالة على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان نبى الله

الايمان

والاستغفار اما التبتي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه بعد بهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال لهم الا يعذبهم الله وانا
نفي عنهم في انتفاء العذاب عنهم بعضا الاضطرار في ذلك وهم معذبون لا محالة قبل لحقهم هذا العذاب الموعد به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل
قوله وهم يصدون الخ كيف يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صد رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم
رسول الله هم والمؤمنين من الصد عن ابن عباس هذا العذاب عذاب الاخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه الا المتقون من المسلمين لبس كل مسلم يصلح لذلك فضلا
عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب لرياسة واراد بالاكثر الجميع كما اراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب
سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدى وهو الصوت الذي يجيء من الجبل فيكون في الاصل مثل الارام او من صدى يصدى مضاعفا اي صاح فقلبت الدال الاخيرة
ياء كالتقضي في التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهري وابو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن
المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل بعض اصابع اليمنى بعض اصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تصويت تشبه صوت
المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة فهم مشبكون بين اصابعهم فيها يصفرون ويصفقون فالمكاء والتصدية
على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيان من كان المكاء والتصدية صلوته فالصلوة له كقول العرب
ما لفلان عيب الا السخاء اي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي ﷺ في الطواف والصلوة عند
المسجد الحرام يستهزئون به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلوتهم كقولك ذربت الامير فجعل فلان صلتي اي قام الجفاء
مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الاخرة بما كنتم تكفرون بسبب
كفركم وانعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم في الطاعات المالية
فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الاية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وبنيه ومنبه ابنا حجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن
اسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن المطلب كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن
ابزى نزلت في سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم
اربعين اوقية اثنان واربعون مثقالا قاله في الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيبت قريش يوم بدر ورجع كلام الى مكة
رجع ابو سفيان بعير مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال من قريش اصيب من اباءهم وابنائهم
واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن امية في رجال من قريش اصيب اباءهم وابنائهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كان
له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي لعلنا ان ندرك
منه ثارا لما اصيب منا فانزل الله تعالى الاية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله
وان لم يكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الايجاز فقال فسينفقونها اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبته انفاقهم اموالا
وحسرة فكان ذلك تصير مالهم حسرة ثم يغلبون اخوا الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا لقوله كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في
الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون
لان منهم من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية والغرض
فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب وهم المؤمنون ويجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشيء وركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض
اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة
رسول الله ﷺ والمؤمنين من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه فيجعله تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض
فيكثفه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم على هذا فاللام في قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم يكون عليهم حسرة فالله
في الكشاف لا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا والمعنى بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية اذ
ارشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل للذين كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خطابهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا
يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان تعودوا الفنا فقد مضت سنة من الاولين الذين حاقت بهم مكروهم يوم بدر او سنة الذين تحزبوا

ان اولياؤه

على اتباعهم من الامم فاهلكوا وظلموا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة بالاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد اذا اسلم لا يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفي ان يعود بالعود الى الردة واختلفوا في ان الزنديق تقبل توبته ام لا والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار لقوله صلعم بحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم اسر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيره في سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله في قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بناء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم احسن الجزاء وان تولوا اولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي امركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا به ولا تبالوا بهم ونصرته الناصر قالوا اقد بمعنا وما سمعوا في الحقيقة واذا لم يقبلوا لو شاء لقلنا فان كلام الخالق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعويهم لقلنا مثل قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم كما فعلت بمن قبلنا فانظر كيف يكون مثل القرآن مقالة ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا به وباتوا ده واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم يعني اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين كفروا ينفقون كذلك ذاب كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطري في غير طلب الله وانما تصرفها في استيفاء اللذات والشهوات فتندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولاجلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة النفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التي لا تركن الى الدنيا ولا يخدع بخداع النفوس فتركب جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فتلقى الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب اي استنيروا النور الروحاني بظلمات صفات النفس ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم ما قد سلف من ظلمات النفوس حتى لا يكون انقطاعهم عن الوصول ويكون الدين كله لله بدل الوجود وفقد الوجود لاهل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى اعلم

ع ١ واعلموا ان ما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان

وبدانيد كه بدرستي كه هر چيزي پس بدرستي مر خداي راست پنج يك آن و ازبراي پيغمبر و براي صاحبان خويشي و دوستي پيغمبر و يتيمان و فقيران و راه گذربانان اگر

كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا

بوده كه گرويده ايد بخدا و بآنچه فرستاديم بر بنده خود در روز جدائي روز يكه بهم رسيدند جوقها و جدا بر هر چيزي توانا است وقتي كه شما بكنار نزديكتر

وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا

و ايشان بكناره دورتر بودند و كاروان زير تر ازشما و اگر وعده كرديد هر آينه اختلاف كرديد در وعده و ليكن تا بگزارد خدا فرماني را كه

ع ٢ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله في منامك قليلا

تا هلاك شود هر كه هلاك شود از روي حجت و زنده شود هر كه زنده شود از روي حجت و بدرستي كه خدا هر آينه شنونده داناست چون مينمود ترا ايشان را در خواب تو كم

ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم في الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم

و اگر مينمود ترا ايشان را بسيار هر آينه سست ميشديد و خلاف ميكرديد در كار و ليكن خدا سلامت داد بدرستي كه او داناست بآنچه در سينهاست

اذ التقيتم في اعينكم قليلا ويقللكم في اعينهم ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين

چون بنمود ترا ايشان را چون بسيار در نظر شما و كم نمود شما را در نظرهاي ايشان تا بگذارد خدا كاريرا كه كرده شده بود و بسوي خدا گردانيده ميشود كارها اي زمره انهائي كه

ع ٣ امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا

گرويده ايد چون روبرو شويد گروهي را پس ثابت باشيد و ياد كنيد خدا را بسيار شايد كه رستگار شويد و فرمان بريد خدا و پيغمبر او را و مخالفت مكنيد

وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء

پس سست شويد و برود صولت شما و صبر كنيد بدرستيكه خدا با صبر كنندگان است و نباشيد چون كساني كه بيرون رفتند از منزلهاي خود بخوت و نمود

الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب

مردم را و باز دارند از راه خدا و خدا بآنچه ميكنند احاطه كرده است و چون زينت داد از براي ايشان شيطان كردار ايشان را و گفت كه غالب نيست

لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى بريء منكم انى ارى ما

شما را امروز از مردمان و من پناه دهنده ام شما را پس چون برابر شدند دو گروه برگشت بر پاشنه خود و گفت من بيزارم از شما كه من ميبينم

ع ٤ لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن

كه نمي بينيد من ميترسم خدا را و خدا سخت عقوبت است چون ميگفتند منافقان و آنان كه در دلهاشان مرضي بود فريب داد اينانرا دينشان و هر كه

الانفال

توكل على الله فان الله عزيز حكيم القراءة بالعدة بالكسر الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيث انهن ابو جعفر ونافع وخلف وسهل ويعقوب والنبري ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام النبري وابن فليح وتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذرين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة وفي رواية خلاد وابن سعدان وابي عمرو وهشام انى اراى اني اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وتراءت الفئتان بالامالة نصير الا توقوف وابن السبيل بالتعلق وقف الشرط بحذف يدل عليه ما قبلها تقدره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان قدر اسفل منكم ان لم يعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حيث عن بينة متعلقها على لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ومفعولا ط الامور تفلحون لا يذكرون للابتدا وللعطف واصبروا الصابرين ٦ مد ذكر عن سبيل الله ط محيطا جاءكم ط اخاف الله ط العقاب دينهم ط حكيم التفسير لما امر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان اوفى واشفى فقال واعلموا انما غنمتم الذي فهم به من اموال الكفرة فهو قوله من شيء ببيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدا لحذف الخبر وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال الكسائي والمشهور اكد واثبت للايجاب كما تقول فالبد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا حذف الخبر واحتمل عبارة احد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الاية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام لله للتصدق من شوال على عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الاية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة ذلك الخمس على اقوال اشهرها ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد واما الخمسة الباقية فواحد منها كان لرسول الله يصرف الان الى ما كان يصرف اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر والمساجد وارزاق القضاة والائمة لانهم قاموا لهم فالامر واحد لذوي القربى يعني اقارب رسول الله من اولاد هاشم والمطلب بن عبد مناف دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني نوفل انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم ونحن وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه يسوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان الذكر مثل حظ الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل هذا عند الامام بن ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطى لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامام معنى قوله سبحانه فان لله خمسه وللرسول فان لرسول الله خمسه كقولك والله ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم الله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم الذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه كان يأخذ الخمس فيصرف بعضه فيما خذ منه قبضة فيجعلها للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وهم اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع اباها شم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم وبزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروي عن محمد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نزكب منه البراذين وقيل الخمس كله للفقراء لما روي عن علي انه قيل له ان الله يقول فان لله وللرسول فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعند مالك ابن انس الامر في الخمس مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واولاهم فذلك فعلم هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله ومن يكن عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكال وحاصل الاية ان كنتم امنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب لنتقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم وانفعوا بالاخماس الاربعة وهو يوم الفرقان يوم بدر لانه فرق فيه بين اهل الحق واهل الباطل والجمعان فريقاهما والذي نزل عليه يومئذ الايات والملائكة والنصر والتاييد والله على كل شيء قدير وبذلك نصر القليل على الكثير اذ انتم بدل من يوم الفرقان والعدوة بالكسر والضم شط الوادي اي جانبه وهاهنا وقال ابو عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب لواوا ياء فيه على القياس لان فعلا من بنات الواو يقلب ياء كالعليا واما القصوى فتانيث الاقصى فانه كالقود في جمعه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى ما يلي مكة والركب يعني الاربعين الذين كانوا يهدون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف وقوع الحال خبرا للمبتدا اي مكانا اسفل من مكانكم والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث نصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال قدرته ونصره حتى كان ما كان وذلك ان العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان بها الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا التي خيار رخوة فسوخ بها الاقدام

الجزء الثامن

ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهورا لعدو مع كثرة عدوهم فكانت الحمائد دونها تضاعف جمعهم ومجدتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا ورائهم ما يحدثون انفسهم بالاحتياز اليه ولو توا قدتم انكم انتم واهل مكة على موضع تتلاقون فيه لاختلفتم في الميعاد فبطلكم فلنكم وكثرتكم عن الوفاء بالموعد وبثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقي ما تستريبون فيه وشبهه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه وبرد ذلك وقوله ليهلك بدل ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من الايات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لا شك في كفره وعناده كما لا يبقى شك للمسلمين في حقيقة دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهرية المذهب

اذ يريكم

الاشاعرة وان الله لسميع الدعائكم عليهم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكروا وبدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم ذلك اليوم كله في منامك اي في عينك رويا قليلا اراهم اياه في نومك قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في عينك في اليقظة لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم بعد كرة اخرى اذ التقيتم في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية وقعت في العين لا القلب او قد استوفت الاداة مفعوليه فلن يتعدى الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي واما في تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك ان يجرى الكفار عليهم قلة مبالاتهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله امرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين اداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم فئة فاثبتوا القتال ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي التحصن في التحرف والتحيز فلعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز ان يفتر عن ذكر ربه في اي شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق منفقا امواله لله والاخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقبل المراد من هذا الذكر ان يدعو على العدو واللهم اخذ لهم اللهم دابرهم ونحو ذلك والاولى الحمل على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما مر بيانا لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك بسائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي وبظهر التقديران في قوله وتذهب ريحكم على قراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه على وفق المشيئة بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره وقيل الريح حقيقة وليكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفيه الحديث نصرت بالصبا وحدهم التنازع واختلاف الراي ونحوه وقع لهم باحد بمخالفتهم رسول الله اجتيح نفاة القياس بالاية لان القول به يفضي غالبا الى النزاع المنهي عنه وكذا القائلون بان النصر لا يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل التيار ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا فنشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان وتطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا مثلهم بطرين مرائين بما لهم كاطعام الطعام ونحوه فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية وصفهم باوصاف ثلثة اولها البطر وهو الطغيان في نعمة ويقابله شدة المرح والتحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذاك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو الفصد الى اظهار الجميل مع قبح النية وفساد الطوية وهو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون عن سبيل الله اي يمنعون من قبول دين محمد ص قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم ويكون الكل احوالا على تاويل مرائين صادين او يبطرون ويراؤن ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس ليضع كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم ذكر السبب فقال ان اباجهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر الرئاء فذكر لهم بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيها واما الصد فانما حصل في زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات التي اخترعها الامامان والله يعلم وانتم لا تعلمون محيط غير راجع عن التصنع والافتخار ويعلم منكم المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة مع الاستكبار واذ زين معطوف على ما قبله من النعم واقربها قوله واذ يريكموهم وفي هذه التزيين وجهان احدهما ان الشيطان تمثل بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن الاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول

معناه اذكر اذ زين

الله م ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون وارهبهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجترهم فلما تراءت الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وثبتهما انتظم في صورة انسان وذلك ان المشركين حين اراد والمسير اليد ذكروا الذي بينهم
وبين بني كنانة من الحرب فلم يامنوا ان ياتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم
في جند من الشيطان معه رايته وقال لا غالب لكم اليوم من الناس لي لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب الا اياكم لا تنصب
كما تقول لا ضارب بالدار اني جار لكم اى مجيركم من بني كنانة ومن كل عدو بفرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما
يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اى التقتا الجمعان بحيث راى كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه راجعا القهقرى والنكوص الاحجام عن الشيء اى
رجع وقال اني بريء منكم قبل كانت يده في يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين تخذلنا في هذه الحالة فقال اني ارى ما لا
ترون الملائكة ورفع في صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما رأى ابليس يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة
الا لما رأى يوم بدرا قالوا انى اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة يهبطون من السماء خافهم لانه ظن ان الوعد
التي انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق في قوله اني ارى ما لا ترون وكذب الله بريء في قوله اني اخاف الله وقوله والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفا اذ يقول او لا اظرف له واذ يقول بنصب اذكر على انه كلام مبتدأ
منقطع عما قبله وهذا افقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين في قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يكون قوما من قريش اسلموا وما قوى الاسلام في قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله ص قال اولئك تخرج مع قوم انا
كان محمد في كثرة وخرجنا اليه وان كان في قلة اتمانى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين ببدر يوم عرهؤلاء دينهم قال ابن
عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلثة عشر الى نيفا الف وهذا لك الا انهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يقصدون في قتل انفسهم رجاء
ان يجعلوا حيا بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله بكل امر اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوي
الذي حكيم يوصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه التاويل واعلموا يا اهل الجهالة الاكبر ان ما غنمتم عند رفع الحجب من انوار الشاهد
اسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكنوزها عن الاغيار وتتقوتون بها منها في الله مخلصا وللرسول متابعا ولذي
الفقر في يعني الاخوان في الله مواصلا والينا مي يعني اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين
امتسكوا بايدي الارادة بان يال ارشاد كروابن السبيل يعني الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صلتهم
واراداتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم في متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما انزلنا على عبدنا في سفر او على عبدنا ما اوحى
يوم الفرقان الذي فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جامع الصفات الاثنينية ومجمع الاخلاق الربانية فصار لمحمد مع الله خلوة لا
يسعه فيها ملك مقرب ولا نبي مرسل والله على كل شيء قدير فيقدر على ان يوصلكم في متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود
والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون في الطلب بالعدوة الدنيا اى نازلة وهم بالعدوة القصوى اى الارواح باقصى عالم الملكوت بازاء
والركب اسفل منكم يعني الهيا كل والقوالب في اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس الاجساد لاختلفتم في الميعاد
لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضي امرا كان مفعولا وهو اتصال كل شخص الى ربقته التي استعدلها
فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيى من حي عن بينة له فالاشقياء يبقون في سجن الطبيعة وناد القطيعة واما السعداء
فارواحهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعي الى ربك وانفسهم مع الملئكة المقربين كما قال فادخلي في عبادي
وابدانهم في جنات النعيم كما قال وادخلي جنتي وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالعدوة الاصال اليهم بمن يستحق الاذلال
او يتاهل الاجلال انه بكم في مناهل قليلا مع كثرتهم في الصورة ليدل على قلتهم في المعنى لفشلتم على عاداتكم في الجمع الانسان ولكن الله
سلم عن الخوف البشري ويقللكم في اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملئكة اذ يريكهم الله في منامك قليلا
في النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا ودنيها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس وتركوا الدنيا وداروا لها ودارا العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف في الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم في نفي الرياء والعجب اذ هو
طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والانوار الربانية حتى انقادت النفوس لها انكص على
عقبيه هوى باطله وصار مخالفا للنفس كما قال اني بريء منكم اني ارى ما لا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلي الانوار الربانية من
القلوب لو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لاحترق ولهذا قال اني اخاف الله وفيه اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه اردع الراجعين
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك

اى من نزول الرحمة

وقعة النفوس و صفاتها واما الله اعلم

قعة الارواح و القلوب

الجزء الثامن

بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم
باكيفرست كه پيش فرستاده اند دستهاشان وانكه خدا ستم كننده نيست مر بندگانرا چون طريقه آل فرعون وانهائى كه از پيش ايشان بودند كافر شدند بآيات الله پس گرفت
الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا
ايشانرا خدا بكناهان ايشان بدرستى كه خدا توانائى سخت عقوبت است اين باينجهت است كه خدا نميباشد تغيير دهنده نعمتى را كه عطا كرده بر گروهى تا كه تغيير دهند
ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم
بخودى خود و انكه خدا شنوندهٔ داناست چون خوى آل فرعون وانان كه پيش از ايشان بودند تكذيب كردند بآيات پروردگارشان پس هلاك كرديم ايشانرا
بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون
بكناهانشان وغرق كرديم آل فرعون را وهر يك بودند ستمكاران بدترين جنبندكان در نزد خدا انانند كه كافر شدند پس ايشان نگروند
الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم
انان كه پيمان كرفتى از ايشان پس ميشكنند پيمان خودرا در هر مرتبه وايشان پرهيز نميكنند پس اكر يافتى ايشانرا در كارزار پس بپراكنان بآنها در عقب ايشان
ع لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين
شايد كه پند كيرند واكر بترسى از كروهى خيانت را پس بينداز بسوى ايشان بر يكسان بدرستى كه خدا دوست ندارد خيانتكاران را و نپندارد انانرا كه
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم
كافر شدند كه پيشى كرفتند بدرستى كه ايشان خسته نميكنند و مهيا نمائيد مر ايشانرا هر قدر كه توانيد از توانائى و از اسبهاى سيهان تا بترسانيد بدان دشمن خدا را و دشمن خودرا
واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا
ودكران از غير ايشان نداينداشان را خدا ميداند شان و هر چه خرج كنيد از چيزى در راه خدا تمام بازداده شود بسوى شما و شما ستمكره نشويد واكر ميل كنند
للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي
بصلح راپس ميل كن بان و توكل كن بر خدا كه او هست شنوندهٔ داننا واكر بخواهند كه فريب دهند تورا پس بدرستى كه كفايت تو ميكند خدا كسى كه
ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله
قوت داد ترا بيارى خود و بمومنان و دوستى انداخت در دلهاى ايشان كه اكر خرج ميكردى آنچه در زمين است همه را دوستى نميافكندى در دلهاى ايشان ولكن خدا
ع الف بينهم انه عزيز حكيم يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا ايها النبي حرض المؤمنين
دوستى انداخت در ميان ايشان بدرستى كه او غالب است بر ايشان حكيم است در كارها اى زمين پيغمبر راغب كردان اى
على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
بر كارزار اكر بوده باشد از شما بيست نفر صبر كنندكان غالب آيند بر دويست نفر واكر بوده باشد از شما صد نفر غالب آيند بهزار نفر از انهائى كه
كفروا بانهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة
كافر شدند بانكه ايشان كروهى اند بى فهم در اينوقت سبك كرد خدا از شما و دانست كه در شما ناتوانائى هست پس اكر بوده باشد از شما صد نفر صبر كننده
يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين القراءة تثنوا
غالب آيند بر دويست نفر واكر بوده باشد از شما هزار نفر غالب آيند بر دو هزار نفر بفرمان خدا وخدا با صبر كنندكان بتاء التانيث
شامى الباقون بالتذكير ولا يحسبن بنا الغيب ابن عامر وبن بدد وحمزه وحفص والمفضل الاخرون بتا الخطاب انتم بالفتح ابن عامر السلم بكسر
السين ابو بكر وحماد توهبون بالتشديد بدد وهبل الباقون بالتخفيف من الارهاب وان يكن منكم بالياء التحتانية ابو عمرو وسهل ويعقوب
وعاصم وحمزه وعلى وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول حيلة ضعفا بالمد جعفر بن بدد وقراء حمزه وعاصم غير المفضل
وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الاخرون بالضم فان يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزه وعلى وخلف لوقوف كفروا لان فاعل يتقوى
الملائكة وما قيل ان المنوى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لان الكفار لا يستحقون ان يتولاهم الله بلا واسطة وادبارهم
لحق الاضمار اى يقولون ذوقوا الحريق للعهدة لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم تذنوبهم ط العقاب بانفسهم لا العطف ان على
ان عليه الكاف من قبلهم ط بايات ربهم لا لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون لان الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين لا يؤمنون لا لاحتمال
لاحتمال الوصف واحتمال النصب او قع على الضمير لا يتقون تذكرون على سواء ط الخائنين لا سبقوا ط المن قرأ انهم بالكسر لا يعجزون من دونهم ط
لاحتمال الجملة بعده الوصف الاستيناف لا تعلمونهم ط لذلك يعلمهم ط لا تظلمون على الله ط العليم حسبك الله ط بين قلوبهم الاول لا بينهم ط
حكيم من المؤمنين على القتال ط مائتين ط لا بدلالة الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا مائتين ج باذن الله ط الصابرين بن النفس لما شرح
احوال هؤلاء الكفار حيث وبخهم شرح احوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وقد ترد بمعنى المضى لخاصيته لو وكذا يتوفى لخاصية اذ

الانفال ٨

واذ نصب على الظرف قلت في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى لو رايت او عاينت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار لرايت امرا فضيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وقيل تخصيص الوجوه بالضرب لفرط ما يلحقها من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فالاجرام قابلهم الله بمثله في وقت خروج ومعنى عذاب الحريق مفصل في عذاب النار في الاخرة تبشر الهم بذلك عن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله لذلك بما قدمت ايديكم الاية قد مر تفسيرها في اخر العمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما انزله باهل بدر من الكفار عاجلا واجلا ذكر ان هذه سنته في فرق الكفرة كلهم فقال كدأب ال فرعون يريد ان عادتهم وعلمهم الذي داوموا عليه كعادة ال فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل والسبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزلهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون لكثرة الاستعمال ومعنى الاية ان ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم يستغير حكمته وتدبيره ان يغير نعمة على قوم حتى يغيروا ما بهم من الاحوال والاخلاق والغرض ان ال فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فالاجرام استحقوا بدل النعم النقم والمنح بالمحن وان الله سميع للاقوال عليم بالاحوال يجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كدأب ال فرعون وفي التكرير بعد التاكيد فوائد استنبطها العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعلة في حال الموت والثاني لما بعد الموت قلت يشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت اشبه ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يكن الله احدا من فعله وهو ضرب الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في الاول كداب ال فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كداب ال فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بدلالات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش اي كفروا بايات الله كداب ال فرعون وكذبوا بايات ربهم كداب ال فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل الاهلهة فكان لازمه الاخذ والثاني اشارة الى انهم انكروا دلائل التنزيه والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الاية بقوله وكل كانوا ظالمين اي كل واحد من غير الفط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والاجتياح فالاجرام سر هم الله بسبب ظلمهم ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الاية جعلهم شر الدواب كان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى هذا بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين منهم يليق المعاهدة ثم يقضون عطف المستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم يعيدون نقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول الله صلعم واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا لقد نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشردبهم فنكل بهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب اي فرق عن محاربتك من وراءهم وقال عطاء معناه اكثر بهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه احد بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فالطرح اليهم العهد على سواء على طريق مستو وقصد اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب قبل تو هم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قلت في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سويا وحاصله من على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا فلك ويحتمل ان يكون حالا من المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كالبيان عن تحقير شان العهد اذ ذاك وعن انكشاف حاله في النبذ قال اهل العلم ان اثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان يظهر ظهورا يحتمل او ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام بركاهو مذكور في الاية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي صلعم فاجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فخشي رسول الله صلعم على نفسه واله خوف الغدر منهم بدر وباصحابه فبعث اليهم يخبرهم بما هم عليه من سوء صنيعهم بالحرب فاذا ظهر نقض العهد ظهورا قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله صلعم باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من التشفي والانتقام كما يهتم حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال لا يحسبن من قراءة الخطاب فمفعوله الاول الذين كفروا وثانيه سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له لان المكسورة على طريقة الاستيناف

او عذاب النار ٨

الجزء الثامن

كان سائلا يسئل ما لهم لا يحسبون سابقين فاجيب بما اجيب به المفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اى لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم اعجزت فلانا وعجزته جعلته او وجدته عاجزا او المراد لا يحسبنهم انهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا واجلا ومن قرا بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا والمفعول الاول سبقوا على ان الاصل ان سبقوا فحذف ان كقوله ومن ياته يؤمنا البرتى وهو بعض قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا فى موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا تحسبنهم او لا تحسبن انفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف اى ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا انفسهم اثر لما اتفق لاصحاب النبى ﷺ فى قصة بدر ان قصدوا الكفار بالة وعدة امرهم الله ان لا يعودوا لمثله ويتاهبوا للقتال لاعداء الله فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هى الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله ﷺ قرا هذه الاية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمى ثلاثا مات عقبة عن سبعين قوسا فى سبيل الله والاصح انها عامة فى كل ما يتقوى به فى الحرب من آلة وعدة وقوله ﷺ القوة الرمى كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور وجه شريف من جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التى ترتبط فى سبيل الله الخمس فما فوقها ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والتاء تعنى الربط ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب ان ربط الخيل من اقوى الاسباب للجهاد روى عن ابن سيرين انه سئل عن اوصى بثلث ماله فى الحصون فقال يشترى به الخيل فترتبط فى سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى فى الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ولقد علمت على تنائى الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط لتفيد النسل وقيل هى الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر لاجله امر باعداد هذه الاشياء لكل ترهبون به اى تخوفون به اعداء الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تاهب المسلمين للقتال لم يجسروا على هجومهم وخافوهم وربما ايدوهم ذلك الى الانقياد والطاعة وآخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالآخرين اليهود على قول ولكنه لا يجاوبه قوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لاخراطهم فى سلك المسلمين ظاهرا واجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون فى انفسهم خوفا وروعبا فربما ايدوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدى هم اهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان ابن موسى انهم كفرة الجن وجاء فى الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالآخرين اعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعادى مسلما اخر ثم رغبهم فى الانفاق فى باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شئ فى سبيل الله يوف اليكم اى ثوابه وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا رخص فى المصالحة ان مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الابرة جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم يؤنث تانيث نقيضها وهى الحرب وتاويل الخصلة اذا الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله او بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى ان يقال انها ثابتة فلا يلزم ان متى اراد المشركون ابدا ان يجابوا الى الهدنة ابدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام ودونه فاذا راى الصلاح فى الصلح فذاك والمصلحة قد يظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لشدة المال وبعد المدد وقد يكون مع القوة للطمع فى اسلامهم او قبولهم الجزية اذا خافوا طمع المسلمين او بان يعينوه على قتال غيرهم واما مدة الهدنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف وراى الامام الصلاح فى المهادنة فقد قال الشافعى هادن اربعة اشهر فما دونها لقوله فسيحوا فى الارض اربعة اشهر وذلك كان فى اقوى ما كان رسول الله ﷺ منصورة من ربه وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله ﷺ حين صالح اهل مكة بالحاجة بينة على وضع القتال عشر سنين لانا نهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استانف العقد ثم قال وتوكل على الله اى فوض الامر فيما عقدت معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شان قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان اصل الايمان مبنى على الظاهر ولا تنافى بين هذه الاية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على امور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذى ايدك بنصره اى من غير واسطة اسباب معتادة وبالمؤمنين اى بوساطة الانصار ثم بين انه كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقايع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بالطف صنعه والاول احمد على العموم والتاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله ﷺ من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن فى الامور المستحقرة لم تكد يا تلف هواهم ولم ينتظم شملهم ثم ايتلف قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال

والتحقيق

والتحقيق في الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول نوع من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة امرا سريع التغير كالمال والجاه او اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق بريد العاشق ماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذته بهيئته فهما حصل مرادهما كانا متحابين وما لم يحصل عاد ما متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا يحتقبها او دحانيا دائما لم تتصور لها تغير وزوال ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبي ﷺ مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب والتفرق فالجرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين اخرى فلما جاءهم النبي ﷺ ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم وصاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله وقد عرفت ان الله تعالى حكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام والاتقان او على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا الطاف الله تعالى ساعة فساعة لما حصلت هذه الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد والدته الى انه لاجل انه لا يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته وايجابه انعقد الامر على الظاهر والا فهو بحر في ان العقايد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك وقضيتك انك قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند محاذعة الاعداء وعدهم النصر والكفاية على الاطلاق فقال يا ايها النبي حسبك الله ومحل من اتبعك منصوب لا نه بمنزلة الزيدان في قولك حسبك زيدا درهم قال الفراء ولبس تكثير كما لهم ان يقولوا حسبك واحسبك واخيك بل المستعمل الدقيق حسبك وحسب اخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك ومعنى الاية كفاك وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وبؤكده ما روى عن سعيد جبير عن ابن عباس انه اسلم مع النبي ﷺ ثلثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين فانزل الله تعالى الاية ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كانه يشير الى الهلاك لو تخلف عن المامور به كما تقدم امران بالغ فيه وفي تحصيله حتى جعل دون التلف في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار وعشرون من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك انه لعله يكون من فقد ان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر بمعنى الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلوب بتربص بدليل قوله الان خفف الله عنكم والنسخ بالامر انما يتصور بعد دليل قوله والله مع الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد لمعنى الاية اذ ان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قوي الجلد اشجاعا غير جبان ولا متحرف للقتال او متحيزا الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب للواحد ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين واتفاقوا على ان النسبة مرتين كان التراجع الى الكثرة الثانية فانما كرون النسبة رسول الله ﷺ كان لا ينقص عددها على العشرين وما كانت بدر على المائتين فوردت على وفق الواقعة واما في الكرة الثانية فلما كرون النسبة للطاقة وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤول من العشرات والمائات الى الالوف والله اعلم بمراده ثم بين السبب الخاص بقوله تعالى فقال بانهم قوم لا يفقهون اي بان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة والنهاية عندهم في هذه الحياة العاجلة وايضا انهم يقولون على قومهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتاييد وهو غير معلوم للكفار وهو ان اهل العلم والمعرفة يكون لهم في اعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في انفسهم اقوياء شداد لما تجلى لهم من انوار المعرفة في الصدر يعرف ذلك اصحاب العلوم وارباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول بحبس الواحد للعشرة شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ان لا يفر واحد من عشرة فلما نزل التكليف الثاني بجواز فرار الواحد من العشرة شق ذلك ايضا على المهاجرين وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا بالامس اخوانا واليوم اخوانا وعن ابن جريج كان عليهم ان لا يفر واحد من اثنين لواحد من العشرة وكان رسول الله ﷺ بعث حمزة وثلثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب وقاتلهم فهزمهم وبعث رسول الله ﷺ مع عبد الله بن انيس لخالد بن سفيان جلفة فابتدره عبد الله فقال يا رسول الله ﷺ صفه لي فقال اني لانا ارى شيطانا يوسوس في الشيطان ووجدت له ذلك فشددت عليه فلما رجعت الي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه فلما دنوت منه وجدته كالفحل يهدر فقال من انت قلت له من العرب سمعت بك فجمعت لك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف واسرعت الى رسول الله ﷺ وذكرت له قتله فاعطاني عصا وقال امسكها فانها اية بيني وبينك يوم القيمة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائتين فعال كان المسلمون قليلين فلما كثروا خفف عنهم وهذا قال ابن عباس لما رجل فر من ثلثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجهور ادعوا ان قوله الان خفف الله عنكم ناسخ لحكم الاية المتقدمة وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الاخبار ورد على الخبر سلفنا الامر كقوله تعالى فلن اذر لكم ولم يكن امر بل كان خبرا ان النصر لبكون العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين لم يشغلوا بهم واذا كان الشرط غير حاصل لم يحق هو له وعلم ان فيكم ضعفا فالجوم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله

لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء وما يدل على عدم النسخ تقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل
قول ابي مسلم وهو انما يستقيم الجواب لو لم يحصل قبل الطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وعلم ان فيكم ضعفا ظهر معلومه
فلا يبقى لمشائم تمسك في مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قبل الضعف في البدن وقبل البصيرة والاستقامة
في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك الظاهر ان المراد الضعف الانساني المذكور في قوله وخلق الانسان ضعيفا التأويل يضربون
في وجوههم وادبارهم لان الكافر اذا هجم عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الرعب من جهة الخالق فيقبل على الاخرة والا نور له يبصر به ما امامه
فيحصل له تأمين قدام ربك مغبرة بعد الاحسن تقديم واستعداد اعطاهم بضده حتى يغبرون بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد
الفطري الذين عاهدت منهم يا روح الازل كان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فشرعت بادروح بهم من خلفهم اي بالغ في
تبديل صفات النفس في تزكيتها بحيث يؤثر نورك تبدلها لصفات الى ورائها فابدلهم على آخر اظهر عداوتك معهم وجاهدهم
انهم لا يعجزون اي النفوس الكافرة تحت تصرفك فلا تقنطوا من رحمتي في صالح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة
الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لتلا يلتفت الى الدنيا وزينتها تهيبون بالذكر والمراقبة عدو الله وعدوكم
وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا يعلمونهم انتم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم
انهم عدو لكم كقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم وما تنفقوا من شيء من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة
يوف اليكم فوائد من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا والف بين قلوبهم بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت
ما في ارض وجودك من السعي والجد والاجتهاد كما بين الروح النوراني والنفس الظلماني من التضاد ولكن الله الف بين الروح
وبين القالب القالب ليكون الشخص الانساني طلسما عاكرا وجوده لربكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم ما كان لنبي ان يكون
له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله
مراد اسيران اگر بسيار كشد در زمين ميخواهيد شما خواسته دنيا را وخدا ميخواهد آخرت را وخدا غالب داور است اگر نبود كتابي از خدا
سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي
گرفتيد هر آينه رسيدي شما را در آنچه گرفتيد عذاب بزرگ پس بخوريد از آنچه غنيمت برديد حلال وپاك وبپرهيزيد خدا را بدرستيكه خدا امرزنده مهربانست اي پيغمبر
قل لمن في ايديكم من الاسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم ع
بگو كه هر كرا كه در دستهاي شماست از اسيران اگر بداند خدا در دلهاي شما خوبي بدهد شما را بهتر از آنچه گرفت از شما ويبامرزد شما را وخدا امرزنده مهربانست
وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين امنوا وهاجروا
واگر بخواهند خيانت كردن تو را پس بدرستي كه خيانت كردند خدا را از پيش پس دست داد شما را وخدا داناي محكم كار است بدرستيكه آنان كه ايمان آوردند وهجرت كردند
وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين
وكوشش كردند بمالهاي خود ونفسهاي خود در راه خدا وآنان كه جاي دادند ويار شدند آنرا دوستان بعضي اند وآنان
امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على
كه گرويدند وهجرت نكردند نيست شما را از ولايت ايشان از چيزي تا هجرت كنند واگر طلب ياري كنند شما را در دين پس بر شماست ياري كردن مگر
قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم اولياء بعض الا تفعلوه تكن
گروهيكه ميان شما وميان ايشان پيمانست وخدا بآنچه ميكنيد بيناست وآنان كه كافر شدند بعضي آنان دوستان بعضي اند اگر نكنيد آنرا ميباشد
فتنة في الارض وفساد كبير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا
فتنه در زمين وتباهكاري بزرگ وآنان كه گرويدند وهجرت كردند وكوشش كردند در راه خدا وآنان كه جاي دادند
ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين امنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك
ويار شدند آنرا ايشانند مؤمنان بر حقيقت ايشان راست آمرزش وروزي بزرگ وآنان كه گرويدند از بعد وهجرت كردند وجهاد كردند بهمراه شما پس آنانرا
منكم واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم القراءة ان تكون
از شمايند وصاحبان قرابت بعضي آنان سزاوارترانند ببعض در كتاب خدا بدرستي كه خدا بهر چيزي داناست بالتاء الفوقانية
ابو عمرو وسهل ويعقوب بزيد اسارى بن بلد والمفضل الاخرون اسرى من الاسارى بن بلد وابو عمر والمفضل الباقون من الاسرى
من ولايتهم بكسر الواو وحمزة الباقون بفتحها الوقوف في الارض تفسد بالاستئناف اي تريدون الاخرة والله حكيم عظيم واتقوا الله رحيم
يغفر لكم ارحيم منهم حكيم اولياء بعض حتى يهاجروا ميثاق بصيرا ولياء بعض كبير مقاطعكم منكم في كتاب الله عليم التفسير هذا حكم
من احكام الجهاد ومعنى ما كان ماح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعة امر الخانة الى الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر

واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله ﷺ اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك فاستبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك قدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني فلانا من نسيب فلنضرب اعناقهم
فقال النبي ﷺ ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابرهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ثم قال للصحابة انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهد منهم يوم احد وكان فداء الاربعة عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداء كل واحد منهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله ﷺ فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي تصريح في النبي وقد حصل
الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر بقوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان
قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما
ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطأوا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الاعناق
تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والامر يتوجه الذم في قوله
تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قيم الجوهر والله يريد الآخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة
وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقد اجاب الآخرة على التقابل والله عزيز يغلب اوليائه على اعدائه ويقهرهم ويلجئهم
الى القتل والفداء بعد الاسر لكنه حكيم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد افشاء القتل في الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على الاولى
وكذا الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا يخطأ في الاجتهاد لانهم نظروا
في ان استبقاءهم انما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولاد منهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر كان المسلمون كانوا قليلين فلما كثروا وقوي اسلامهم انزل الله بعد
ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الآيتين مختلف
وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الغنائم لكان
وكان قريبا لوقت من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا الا بعد تأكيد الحجة
وتقديم النهي وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاقب على ترك
الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاقب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى ومن
بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب
عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذا الذنب لكان استحقاق مس العذاب حاصلا
وروي انهم مسكوا عن الغنائم وعن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبب ومعنى الآية قد اتجر لكم الغنائم فكلوا
وحلالا طيبا على من المغنوم او صفة للمصدر اي اكلا حلالا واتقوا الله فيما استفضل فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به ان الله غفور رحيم لما فرط
منكم من ترك الاولى رحيم حيث رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلوما ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله من جميع التكاليف والتوبة
عن الكفر وعن جميع المعاصي يدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يؤتكم في الدنيا خيرا مما اخذ منكم من المنافع العاجلة
ويغفر لكم في الآخرة والمراد بالخير ايضا الثواب بالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسر اما من فداه او اسف في الدنيا فانما
لدلالة الآية على ذلك اجمالا وان ذلك الخير ان كان دنيا فلا شك ان كلا منهم قد وجد وان ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا
مع الكفر وان كان اخرويا ففضل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي ان رسول الله ﷺ قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا
فوضعت الصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني واني ارجو المغفرة
وقال ابن عباس نزلت الآية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسر يوم بدر وهو معه عشرون اوقية
من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يبلغ التوبة حتى اسر فقال العباس كنت مسلما

اي عرض الآخرة ٣

الا انهم استكرهوني فقال ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله ان يترك ذلك لذهب على فقال اما شيء خرج به منهن علينا فلا قال وكلفه الرسول فداء ابن اخيه عقيل بن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله فاين الذهب الذي دفنته انت وام الفضل وقلت ان خرجت من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته انا وهي في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فالرأي رأيك قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك فاني الان عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال وان يريدوا خيانتك اي بكتابا يعولون عليه انه لما اطلعهم من الاسر عهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فمن يطلق من الحبس والاسر وقبل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما اخذ على كافة فلن من ميثاقه فامكن اي المؤمنين منهم يوم بدر قتلا واسرا فقد قووا وبال امرهم فيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة والله عليم باحوالهم حكيم فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله انما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ان الذين امنوا ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والانقياد لجميع التكاليف وهاجروا فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك العزيمة والسفر وفي الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم قد صاروا على قتال اهل بدر من غير الة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم اذا لوا الطماعهم عن الجهود وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول اقدام على هذه الافعال والتزام هذه المخاطر وهذه المسابقة اوعظم في تقوية الدين لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويقوي دواعيهم بما يرون منهم والمحن يخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال والذين اووا ونصروا اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم ماوى ونصروهم على اعدائهم اولئك بعضهم اولياء بعض الحق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض واستبعد الامام فخر الدين الرازي ذلك هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور ومتى امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث يقال الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وقال سبحانه الا ان اولياء الله لا خوف عليهم فان المراد ان المهاجرين والانصار بعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصروا نهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره يجري مجرى حبه لنفسه ما قوله والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء فوجهت قراءة حمزة بها ان تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والفصارة كانه بتوليه صاحبه يتأتى امره وتباشر عمله قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف ان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بان لو حملناها على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعض الناس في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا تعظيم جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نفي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب وان يتوارث بعضهم بعضا وفيه المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صارت هذه الجهة موجبة لاحتمال بعضهم الى بعض وتقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها محض الحسد والعناد ومن جعل الولاية ههنا بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار يتوارثون على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال الا تفعلوه اي امر بكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غيرهم المهاجرين الا في حاله الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا تكن فتنة اي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيم شان المؤمنين واثنى عليهم فقوله والذين امنوا وهاجروا الايه فوصفهم بانهم هم المؤمنون حقا ولهم مغفرة ورزق كريم وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن الالتفات الى الحسبا

فتركوا

الإتقان

فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف الاحقين بالهجرة بعد السابقين بها فقال والذين آمنوا من بعد نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل بعد نزول الاية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد والذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فاولئك منكم الحقهم بالاولين تشريفا للاولين وتعظيما لشانهم ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله واولوا الارحام اى ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض اى احق بهم واجدر في كتاب الله اى حكمه وقسمته او في اللوح او القرآن وهو اية المواريث وهذه الاية ناسخة للتوارث بالهجرة والنصرة اما الذين قرروا تلك الاولوية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الاولوية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى في هذه الاية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم اعني ازالة وهم من يجعل الولاية هناك بمعنى الارث وقد تمسك اصحابنا بهذه الاية في توريث ذوي الارحام وهم ذوو القرابة ليست بفرض ولا عصوبة وكل قريب يحجب عن اصحاب الفرض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل جد وجدة ساقطين وبنات الاخوة واولاد البنات واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف في انه اذا لم يوجد ذو فرض او عصبة فهل يورث ذوو الارحام او يوضع المال في بيت المال فقد هم ابو حنيفة على بيت المال للاية وعكس الشافعي قال ان الاية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام ارث الميراث فلا يبقى حجة في توريث ذوي الارحام والله اعلم انه سبحانه وتعالى في اول الايات وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وفي براءة بين انه تقدم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم ذكر المال والغداء والغنيمة في قوله تريدون عرض الدنيا وفي قوله لمسكم فيما اخذتم اى من الفداء وفي قوله فكلوا مما غنمتم وفي براءة تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وفي قوله لين آمن بالله واليوم الاخر وجاهد وا في سبيل الله ثم الله حذف من الاية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الاية بين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله ان الله بكل شيء عليم والمراد ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها محكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب نظيره ان الملائكة لما قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها قال مجيبا لهم اني اعلم ما لا تعلمون التاويل ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس سورة وقوى موجهة الى الدنيا مولعة بامور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق لكنه شيء في ارض البشرية قتل القوى والنفوس المطمئنة بسيف الرياضة والمجاهدة وهذا كان رسول الله يتحنث قبل الوحي بتحنث غار حراء يريد ترك الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل الى نفسه طبعه يكون ميالا الى الدنيا راغبا فيها والله يريد الاخرة منكم اى ليس الانسان من بحيث نفسه وطبعه ان يميل الى الاخرة انما هو بتوفيق الله وبعنايته لان لله ولكل كتاب من الله سبق بان الانسان لا يكون مجذوبا نحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين مراعيا للطرفين لمسكم فيما اخذتم من وراء النفس الما سورة وهو التفاتها الى تدبير البدن عذاب عظيم هو عذاب القطيعة والبعد عن عالم النور فكلوا مما غنمتم من اوقات الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند دفع الاستدراج الا ايها النفوس كونوا عن لوث محبتها فكلما يشغل المرء عن الالتفات الى الله فهو شرك وصنم واتقوا الله تحاموا سواه ان الله غفور بستر انوار وجوده ظلمات وجودكم رحيم بكم حيث يفنيكم عنكم ويبقيكم به يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من النفوس الما سورة الذين اسرتم في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان العدل عليها ان يعلم في قلوبكم خيرا من الايمان اذكر الله والانقياد لاحكامه يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من اللذات الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي واللذة السرمدية وان يريدوا خيانتك يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى الزخارف الدنيوية فقد خانوا الله من قبل التجاوز عن حدود الشرع وهجر رسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف لا اله الا الله عليم باحوالها حكيم فيما يدبر من امر جهادها وتركها والذين اووا اذكروا الله محبته في القلوب ونصروا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم اولئك بعضهم اولياء بعض في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى الله والذين آمنوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن وصالهم ولغالهم ووجودهم المجازي وان استنصروكم ليتمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم فعليكم النصر بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم لتقتدوا بكم وباحوالكم الاعلى قوم اي الاعلى بعض احوالكم تماصالحتم عليه نفوسكم بعد ما جاهدتموها واسرتموها وامنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في اوان القتال فاولئك منكم بشر في ان المتاخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانتم ذوو ارحام الوصول لا تراث بين عند الله صالح ولا مساو لهذا قال ان الله بكل شيء عليم

اوقعهم سورة التوبة مدنية الا الاية ١٢٨ الكلمات ٩٨٣ الحروف ٤٠٧٠ مائة وتسع وثلاثون اية عشر ركوعها

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين واذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله بريء من المشركين و

ع

بيزاريست از خدا ورسول او بسوي آنها كه عهد بستيد از مشركان پس بگرديد در زمين در چهار ماه وبدانيد شما عاجز كننده

منتيد خدا را وآنكه خدا زبون كند كافران را واعلامي از خدا ورسول او بسوي مردمان در روز حج بزرگ كه بيزاريست از مشركان و

رسوله فان تبتم فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا
پیغمبرش پس اگر توبه کنید پس آن بهتر است شما را و اگر برگشتید پس بدانید که شما عاجز کننده نیستید خدا را و مژده ده آنانرا که کافر شدند بعذاب دردناک مگر آنانرا
الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان
آن کسانی که عهد بستید شما از مشرکان پس نشکستند شما را چیزی و هم پشتی نکردند بر شما احدی را پس تمام کنید بایشان عهد ایشان را بمدت ایشان بدرستیکه
الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد
خدا دوست دارد پرهیزگاران را پس چون تمام درآید ماههای حرام پس بکشید مشرکان را هر جا که یافتید ایشان را و محاصره کنید ایشان را و بنشینید مر ایشان را در هر
فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك
پس اگر توبه کردند و برپای داشتند نماز را و دادند زکوة را پس راه کنید راه ایشان را بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان است و اگر کسی از مشرکان پناه آرد ترا
ع فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند
پس جای ده او را تا بشنود کلام خدا را پس برسان او را بجای خود این بآنست که ایشان گروهی اند که نمیدانند چگونه میشاید از برای مشرکان عهدی نزد خدا و نزد
رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف
پیغمبرش مگر کسانی که عهد نمودید ایشان را نزد مسجد الحرام پس آنچه استقامت نمودند برای شما پس بایستید از برای ایشان بدرستیکه خدا دوست دارد پرهیزگاران را چگونه
وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا
و اگر غالب آیند بر شما مرعایت نکنند در حق شما خویشی و نه ذمه پسندانند شما را بزبانهای خود و قبول نکند دلهای ایشان و بیشتر ایشان تباه کارانند مزینند
بايات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك
بآیات خدا بهایی کمیرا پس باز داشتند از راه خدا بدرستیکه ایشان بد چیزی بود آنچه میکردند نگه ندارند در حق مومنی خویشی و نه ذمه پس ایشان
هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الايات لقوم
ایشانند از حد گذرندگان پس اگر توبه کردند و برپای داشتند نماز را و دادند زکوة را پس برادران شما باشند در دین و واضح گردانیم آیات را برای گروهی
يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم
که میدانند و اگر شکستند سوگندهای خود را پس از عهد خود و طعنه زدند در دین شما پس کارزار کنید پیشوایان کافران را زیرا ایشان را ایمانی نیست شاید
لعلهم ينتهون الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدءوكم اول مرة اتخشونهم
که ایشان باز ایستند آیا کارزار نمیکنید گروهی را که شکستند سوگندهای خود را و قصد کردند بیرون کردن پیغمبر را و ایشان ابتدا کردند شما را اول مرتبه آیا میترسید از ایشان
فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف
پس خدا سزاوارتر است که بترسید او را اگر هستید گرویدگان کارزار کنید با ایشان تا عذاب کند ایشان را خدا بدست شما و زبون کند ایشان را و یاری کند شما را بر ایشان و شفا دهد
صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ام حسبتم ان تتركوا ولما
سینهای گروه مومنان را و ببرد خشم دلهای ایشان را و توبه پذیرد خدا بر کسی که خواهد و خدا دانای محکم کار است یا پنداشتید که واگذاشته خواهید و هنوز
يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون
ندانسته است خدا آنانرا که جهاد کردند از شما و نگرفتند از سوای خدا و نه پیغمبر او و نه مؤمنان دوستی و خدا مطلع است بآنچه میکنید
القراء ورسوله بالنصب في الحالين وقرأ الباقون بالرفع ائمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن عامر هشام بادخال بينهما مدة الباقون ائمة بهمزة ثم باء
لا ايمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعلمون بياء الغيبة عباس مجرى الوقوف من المشركين ط مجرى الله للعطف الكافرين من
المشركين لا للعطف ورسوله ط حين لكم لابتداء الشرط مع الواو ومجرى الله ط الا للاستئناف موتهم المتقين مرصد سبيله ط رحيم ما ط
لا يعلمون المجد الحرام لان ما الجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم المتقين ولا ذمة ط قلوبهم فاسقون لان ما بعده يصلح وصفا فاستبينا
يعلمون ولان شرط المعتدون في الدين ط يعلمون ائمة الكفر للتعليل لهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض يشفهم اول مرة ط اتخشونهم لان ما
بعده مبتدا مع الفاء مؤمنين مؤمنين لا للعطف قلوبهم من يشاء ط حكيم ولجة ط تعملون التفسير قد بعد في الكشاف من اسماء هذه السورة
براءة وذلك واضح والتوبة لان فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لانها تقشقش من النفاق اى تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة
والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لانها تبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم و
تدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمون بها سورة التوبة وانما هي سورة العذاب ما تركت احدا منهم وعن ابن عباس ما دالت تقول
وعنهم حتى حسبنا ان لا تدع وللعلماء خلاف في سبب اسقاط التسمية من اوائلها عن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك
فقال كان النبي صلعم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من اخر القرآن نزولا وتوفي رسول الله صلعم ولم يبين موضعها

التوبة

وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكانه اراد بالمشابهة ما روى عن ابي بن كعب في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود فوضعت احداهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي لجوزنا مثله في سائر السور وفي ايات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القرآن على ما يقوله الامامية وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا في ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست ايات فهما بمنزلة احدى الطوال وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة بينها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة بينهما على قول من يرى انهما واحدة فعلموا بهذا يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لو سلموا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متوقفين في ضبط الدين وحفظ القرآن عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة ليست من كل سورة والا لجاز كتبتها ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت عليا لم لم تكتب في براءة بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى وأكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمنا فقيل له اللسان النتيح كتب في الحرب بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك نبذ منه بدعوهم الى الله ولرسوله بنبذ اليهم عهدهم وهذا قاله اخر الكتاب والسلم على من اتبع الهدى ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة انه لم يفصل الانفال وقع بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقريره ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدا محذوف ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصله من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد اذن الله في معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم وكانه قيل للمسلمين اعلموا ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين من بني آدم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين ان سارعوا الا شهر هي المحرم لقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاسراع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الانقلال من الطعام والشراب وما منه بد للصائم سائغ ذكر المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من الهجرة وكان رسول الله قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف مع الحج المسلمون والمشركون وبين ان هذه السورة سنة تسع وكان قد امر بها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعث بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال اميرا ومامورا وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغ رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فركب ابو بكر الى رسول الله فقال يا رسول الله اشئ نزل من السماء قال نعم فسرت على الموسم وعليا يادي بالاي فلما كان قبل التروية بيوم خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول الله اليكم فقالوا بما ذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل البيت الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك بما علي ابلغ ابن عمك ناقدا عهدنا العهد وراء ظهورنا وانا لبين بيننا وبينه عهد الا طعن الرماح وضرب السيوف استدل الامامية بهذه القصة على تفضيل علي عليه السلام وجهه وعلى تقديمه وايجاب اهل السنة بانه امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه ليبلغ هذه الرسالة فحتى يصلح على خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فقد قال المعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لرجل فذلك العهد الا هو او رجل من ذري قربته كالاخ او العم فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا خلاف هذا ما يعرف فينا نقض العهد فان بلغ علي عنهم بتوليه ذلك عليا وقبل الحاضرون بادروا بتوليته امر الموسم احضر ملبا هذا البليغ تطييبا للقلوب ورعاية للجواب ولترجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم سيحوا ويكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فمن الزهري ان براءة نزلت في شوال والمراد من شوال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وكانت وعدا لانهم او نقضوها وهم قتلهم وقتالهم او سميت وعدا على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسئ الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطت الى اربعة ومن كانت مدته اقل رفعت اليها والمقصود من هذا التاجيل ان يفكروا في انفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الاسلام

او قبول الجزية او السيف فيعزم لك حامل لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن لصلحة ولطف لينوب من تاب فيه ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم اى مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال اذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطئ الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بما في الاول وهو الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود بيان الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة اسم الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الحج الاعظم الذي يحضره المؤمن والمشرك والمعاهد والناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف وبشهور كان النبي صلعم بوبد ان يحج في السنة الاتية فاسر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال صلعم الحج عرفة وهو قول عمر وابن عباس وابن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عليه السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلعم انه قال خطب رسول الله صلعم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر فقال ابن عباس فما رأيته على بغلته يوم النحر واقفا قول الشعبي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك لان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي عليه السلام ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يوم كل هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمر ان رسول الله صلعم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايام كلها كيوم صفين ويوم الجمل يريد به الحين والزمان لان كل حرب دامت اياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج الاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد ايضا هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا والتقدير باذان الله بريء من المشركين وقوله ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر ورسوله ايضا كذلك وهو معطوف على المنوي في بريء اى بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تاكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يضف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اى عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم اعرضتم عن التوبة او بقيتم على التولي والاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للكان والثاني للزمان وبشر يا محمد او يا من له اهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لوفاء ونزال خلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معدلهم يوم القيمة اما قوله الا الذين فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال في الكشاف ويجوز ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير يقولون لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثنا من قوله الا الذين عاهدتم ومعناه لم ينقضوكم شيئا مما يجب الوفاء به فاتموا اليهم اليه عهدهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الاية بقوله ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين الفيلقين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة حلفاء رسول الله صلعم من قبل الانصار كرشيد وجميع اذاتهم بطائح وموضع سر واماتهم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى قدم عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلعم فانشد الابلغ ابا سفيان مالي ناشد محمدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا حلف ابينا وابيك الاتلدا فقال صلعم لا نصرت ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا اذكره الحلف والعهد لانه كان بينه وبين عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم لكنه لا تلد الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم اى التي فيها للناكثين ان يسيحوا وانسلاخ الشهر تكامل جزء الى ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما ظرف فاقتلوا المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اى وقت كان وخذوهم واسروهم والاسير احصروهم ومنعوهم من التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اى في كل ممر ومجاز توبتهم هنا وانتصابه على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة ان حصلوا على شرطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام او عن التصرف في مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف لهم من الكفر والغدر وقال الشافعي انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر

واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما يوجد احد هذه الامور وهو بوجد هذا المجموع فوجب ان يتحامى اخذ الدم على الاصل فتارك الصلوة بقتل ولعل ابا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار بذلك وان كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان اسرائيلي بحث بسمع النبي ﷺ اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد ثلثا فقال ﷺ عرف الحق لاهله فارسلوه قال بعض العلماء اذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العلمية عما لا ينبغي ولا يليق ان كمال السعادة منوط بهاتين القوتين جعلنا الله من اهلهما لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى به ازاحة عللهم فبقي ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل والتعلم بلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فاذا الله تعالى بكمال رافته هذه الشبهة فقال وان احد من المشركين استجارك الآية قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك كقوله ويحمد بن المفسر محمد فوا المفسر والغرض بناء الكلام على الابهام ثم التفسير من حيث ان من مظان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار ثم استجارك فلانا اي طلب فيه ان يكون جارا له محاميا وحافظا من ان يظلمه ظالم ومنه يقال اجاره الله من العذاب اي نقذه والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر يطلب منك امانا ليسمع ما تدعوا اليه من التوحيد والقرآن فامنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قال ان شئت وفيه ان المقصود من شرع القتال قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي دمه مهدر لما اظهر من نفسه كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مامنه اما زمان مهلة النظر فليس في الآية ما يدل على ذلك ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا عن الحق دافعا للقرآن بالاكاذيب لم يلتفت اليه وابلغ المأمن وبشرط ان يبقى المدة اربعة اشهر وهو الصحيح عن مذهب الشافعي والمذكور في الآية كونه طالبا لسماع القرآن الا انه الحق بركونه طالبا لسماع الدلائل وجواب الشبهات لانه تعم علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال في آخر الآية ذلك بانهم قوم لا يعلمون فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل اراد جمع القرآن لان تمام الدلائل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القرآن بالذكر لانه الكتاب الجامع لمعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل قلعة او بلدة او ناحية وهو عقد الهدنة ويخص بالامام وقد مر في تفسير قوله تعم وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقد يكون خاصا يتعلق باحاد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين ايضا وهذا مقصود الآية وانه ثابت غير منسوخ روى عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي ع فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالآية وعن السدي هو منسوخ بقوله فاقتلوا المشركين وقيل الامان الاسلام والتكليف فيفهم من العبد والمرأة والفاسق روى انه ﷺ قال يسعى بذمتهم ادناهم وعن ام هانئ قالت اجرت رجلين من احمائي فقال ﷺ امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ كان للغرض معربا كقوله اجرتك او لا تخف وكنايته كقوله انت على ما تحب ولكن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة روى عمر انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلدنا بلا سبب اما اذا دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا رأى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه من دار الحرب من اهل ومال واما الذي يتعرض له فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالاوجه ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في الآية مسئلة اصولية وهي ان المعتزلة استدلوا بالآية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة وبتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان ولبسته التي خلقها الله تعالى اولا عندكم نعلم ان هذا المسموع ليس كلاما بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها هي الدالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ ونحن نعم بعض الناس حين رأوا انه تعم جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف والاصوات قديمة لان قديم كلامه تعم وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد كيف يكون للمشركين عهد المرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين عند على هذين ظرف للعهد او ليكون او للجار وهو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت طول عهدهم اصلا لكم بضمون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تثنوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فما استقاموا لكم في ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المصدرية

على التحقيق اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثانى شرطية اى ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله ان الله يحب المتقين فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اى كيف يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور نفسه كمالا فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا الا يراعوا فيكم ولا ينظروا بكم الا ولا ذمة قال فى الصحاح الال العهد والقرابة وجه ذلك فى الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجوار والالتجاء لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا بارصوانهم وسميت بالقرابة لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفى الصحاح ايضا ان الال الكسر من اسماء الله عز وجل وفى الكشاف انه قرئ بالياء بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتق الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عند العرب على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة من ذلك الالة الحربة واذن موالة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك اكتسابه بحيث لو ضيعته لزمك ذم قال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اى يجتنب فيه الذم قال فى الكشاف يرضونكم كلام مبتدأ فى وصفهم من مخالفة الظاهر الباطن مقررا لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابائهم القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل ثم قال سبحانه واكثرهم فاسقون عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب خلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر انما اراد ان اكثرهم فساق بنقضهم لا يحترزون عن الكذب ونقض العهد الذى هو مذموم فى جميع الاديان والنحل اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن وبالاسلام ثمنا قليلا لاهوائهم اتباع الاهواء فصدوا عن سبيله فصرفوا غيرهم وعدلوهم انفسهم قال مجاهد اراد الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر المختص باليهود لانه وصفهم بقوله لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ولو اراد المشركين كان تكرارا والى ان هم المعتدون المتجاوزون حدود الله فى دينه وفاء بوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فان كان هذا فى اليهود وما ذكره قبل فى الكفار فلا انكار وان كان كلاهما فى الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثانى قوله فاخوانكم اى فهم اخوانكم فى الدين فلم يكن من التكرار فى شئ قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة ونفصل الايات نبينها لقوم يعلمون لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة تفيد الحث على التامل فى احكام المشركين وعلى المحافظة على موارد ها وان نكثوا يعنى هؤلاء الناكثين ايمانهم من بعد عهدهم اى من بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم وانكث نقض الخيط من بعد ابرامه وطعنوا فى دينكم ثلبوه وعابوه فقاتلوا ائمة الكفر هم جمع امام واصلها امهة مثل اكال وامثله نقلت حركة الهمزة الى الميم وادغمت الهمزة فى الميم وهو من وضع الظاهر موضع المضمر ليدل على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو حقيق بان يقاتل الكفر فيه تقرير للكفر مقتدى فيه لا يشفى كافر غيره وقيل خص سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم ابدل عن فقاتل بقوله لعلهم ينتهون ليعلم ان الباعث على قتالهم هو رد هم الى الطاعة معبودهم رحمة عليهم لا امر نفسانى وداع شهوانى ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله انهم لا ايمان تنبيها على العلة الفاعلية للقتال اى لا يمان لهم اولا فى الظاهر حتى قال وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم فى الحقيقة لان ايمانهم ليست مما يعد ايمانا اذ لم يوفوا بها وبهذا تمسك ابو حنيفة فى ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعى يمينهم يمين لانعقادها وصفا بالنكث ولو لم تكن منعقدة لم تتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر اى لا اسلام لهم ولا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا لعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة ثم شرع فى ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال الا تقاتلون قال اهل المعانى اذا قلت لا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك فى فعل يقدر وجوده واذا قلت لست تفعل فانما تقول ذلك فى فعل تحقق وجوده والفرق ان لا تنفى بها المستقبل فاذا دخلت عليها الف استفهام تخصيصا على فعل ما يستقبل وليس مستعملا فى نفى الحال فاذا دخلت عليه الف صار للتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدى والكلبى نزلت فى كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بنى بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجروا ومن المدينة يريد اليهود هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا اباسفيان عليه يوم الاحزاب وقيل همت كرش يوم الحديبية بان يدخلوه مكة ثم يخرجوه قبل ان يتم عمرة استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وهم بدأوكم اول مرة بالقتال يعنى يوم بدر لانهم حين سمعوا بعير ابى سفيان قالوا لا ننصرف حتى نستاصل محمدا ومن معه ولما رأوا قلتهم قالوا لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونقيم عليه ثلثا فنطعم من حضرنا من العرب ويهابنا من وراءنا ولما ارادان الرسول جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادى اظلم والحاصل ان من كان فى مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان لم يوجد من غيرها ثم زاد فى التوبيخ فقال فيه تقرير للتحضيض وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت للرجل التخشى ضيعتك لانه يهتز لك ويرضى نفسك لان يخشى ما يجب ان يكون الامر عليه من خشية الله تعالى حق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين يعنى ان قضية الايمان ان يخشى المؤمن الله لان قدرته عظيمة واعقابه اشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفى الفاء نوع

تعليل لان الاستفهام في أنى كانه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كانه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا الا الله ثم زاد في تاكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم وربّ عليه خمس نتايج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اى بالقتل والاسر والاغتنام الاموال وهذا ابتداء في ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لامتزاد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الايدي دلالة على تالثة يدخل في الوجود من الافعال كلها من الله بظهرها على ايدي العباد اعترض الجبائية بانه لو كان كذلك لجاز ان يقول كذبت الله ان هذا وقع على لسان الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقول الخالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب الزنى واللواط وبا دافع الموانع عنها الثانية ويخزهم قبل هو الاسر وقبل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين في ايدي المؤمنين وهو قريب من الاول او هو هو وقبل هو عذاب الاخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليه ان النصر ليستتبع اخزاء الخصم فما حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزي من جهة المؤمنين الا ان المؤمنين يحصل لهم انفس بسبب اخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة عن ابن عباس يطون من اليمن وسبا فدهوا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قبل شفاء الصدر واذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر كقوله يا دار مية بالعلياء فاسند شفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح وقرب ان الانتظار شاق وان كان مع الثقة بالموعود فاذهاب غيظ القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي واعجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف يقع للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة وانجع فان القتال قد يصير سببا لتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان مشاقا على بعضهم فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة عن تلك الكراهة وانهم ان حصول النصر والظفر انعام عظيم والعبد اذا شاهد تواتي النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن جميع الذنوب وقد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطرق الحلال فينهى عن الحرام وانهم الانسان ربما منع فاذا انفتح عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التي ذكروها في تفسير قوله تعالى حكاية عن سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يعني حصول هذا الملك لا ينبغي للنفس الاشتغال بالدنيا والله عليم بكل ما يجري في ملكه وملكوته حكيم مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدل بهذين على ان ما قاله الاشاعرة في خلق الافعال من نفس القتال وانما المقصود ان يثق بانقياد الامر لله ولتكابد فيظهر الخلص من المنافق فقال ام حسبتم الاية وقد مر وجه اعرابه في ال عمران عند قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حين الصلة والوجه البطانة يعني الجيب الخالص فعيلة من دخل كالدخيلة من دبج كالدخلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدي يقال هو لي بمنزلة وهو لي بمنزلة والواحد والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهد بن الخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا ان المراد من العلم الاية شيء لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء فيجازيهم على ما عملوا في استفاضة الستر ويجتهدوا في نفاء السر ثم اتبع ذلك بقوله ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين ثم قال اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله واولئك هم الفايزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة فما متاع الحياة الدنيا في الاخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدهم وقيل لا تخرجوا معه وقيل لا تعينوه وقيل لا تدعوا له بالنصر وقيل لا تشيعوه وقيل لا تهيئوا له مركبا وقيل لا تعطوه سهما من الغنيمة وقيل لا تغزوا معه ابدا وقيل لا تصلوا عليه وقيل لا تقوموا على قبره وقيل لا تقوموا بامره وقيل لا تقاتلوا معه عدوا وقيل لا تخرجوا معه في الصلاة وقيل لا تخرجوا معه في الصلاة وقيل لا تخرجوا معه في الصلاة وقيل لا تخرجوا معه في الصلاة

المنافقين من المجاهدين

فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم ابلغه مأمنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فالذين يعملون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيكونون اليها كيف يكون لمشرك النفوس شبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد اصلاح حالها ان تهمل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصة الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرحهم في تيسير بعض الشريعة لانهم قوم فيكم الا ولا ذمة لا يحفظون حقوق الخسيسة فان الارواح والقلوب النفوس مزدوجة في عالم الامر الخالق بين ضوئكم بالانوار الظاهرة وهي في قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعلون خارجون عن الصدق والاخلاص اشربوا بحب الاثار توصلهم الى الله ثمنا قليلا لانهم قطاع الدنيا ومصالها قصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب باخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق غاروا حتوقهم فان لنفسك عليك حقا القوم يعلمون ان الشهر الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا من مذهب لسلوك ائمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول بعني الواردات الغيبية باسداد روزنة القلب قد مرة في اوان الطفولية التحتوبهم فنوات حظوظها فالله احق ان تخشوه بفوات حقوقها وايده وهب قلوبهم بعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها وتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل المنادي في الباطن من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم بما يليد بل كل منها ام حسبتم انها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة ويجعلوا اولياء من الشيطان والدنيا والاخرة ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك حبطت اعمالهم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر

ع ٩

بفتح الكاف باطل است كه دعاى انها ودرخش اينان جاويدانند جز اين نيست كه آباد كنند مسجدهاى خدا را آنكه گروند بخدا ورورز دهند

واقام الصلوة واتى الزكوة ولم يخش الا الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين اجعلتم سقاية الحاج

وبرپادارند نماز را وداد زكوة را وترسيد مگر خدا را پس اميد است كه آنگروه بوده باشند از راه يافتگان

وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي

واباد كردن مسجد الحرام را چون آنكه گرويد بخدا وروز واپسين وكوشش كرد در راه خدا نگسان نيستند نزد خدا وخدا هدايت نكند

القوم الظالمين الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة

گروه ستمكاران را آنانكه گرويدند وبسر كردند وكوشش كردند در راه خدا بالاهاى خود وتنهاى خود بلند تر است پايگاه ايشان

عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين

نزد خدا واينگروه اينانند بهرمندان مژده دهدشان پروردگارشان برحمتى از خود وخشنودى وبوستانهاى كه ايشان را در انها نعمتهاى جاويدان

فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على

درانجا ابد الا بسته پاداش نزد خداست پاداشى بزرگ اى آنانكه گرويده ايد فرا گيريد پدران خود وبرادران خود را دوستان اگر خريدند كفر را

الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم و

ايمان ودهركه دوست گيرد انها را از شما پس انگروه اينانند ستمكاران بگو اگر هست پدران شما وفرزندان شما وبرادران شما وجفتهاى شما و

عشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله

طائفه شما ودارائيهاى شما كه كسب كرديد انرا وبسود اگرس كه بترسيد از نازروائى ان وجاهائى اختيار كرده شما دوست تر بوى شما از خدا ورسول او

وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين لقد نصركم الله في مواطن

ع ١٠

وكوشش در راه او پس منتظر باشيد تا بيايد فرمان خدا وخدا هدايت نكند گروه بدكاران را هرآينه يارى كرد شما را خدا در جاهائى

كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين

بسيار ودر روز حنين چون بشگفت آورد شما را بسيارى شما پس بى نياز نكرد شما را هيچ چيزى وتنگ شد بر شما زمين باوجود وسعتش پس برگرديد پشت كنان

ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك

پس فرستاد خدا وقار خود را بر پيغمبر خود وبر مؤمنان وفرو فرستاد لشكرى را كه نديديد انرا ولو عذاب كرد انانرا كه كافر شدند وايين است

جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا

جزاى كافران پس توبه كند خدا از پس ازاين بر انكه خواهد وخدا آمرزنده مهربان است اى آنانكه گرويده ايد جز اين نيست كه مشركان پليدند پس

يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم

نزديك نشوند مسجد الحرام را پس از اين سال واگر بترسيد از فقر پس زود باشد بى نيازكند شما را خدا از فضل خود اگر خواهد بدرستى كه خدا داناى حكمت است

القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع بشرهم خفيفا حمزة وعثيرا كوعلى الجمع ابو بكر وحماد وحمله وضاقت ونحوها مما الف حمزة رحمه ثم مظاهرا ابو جعفر ونافع ابن كثير وخلف وبيعقوب وعاصم غير الاعشى والوقوف بالكفر اعمالهم لعطف المخلفين خالدين المهتدين في سبيل الله عند الله والظالمين لئلا يشتبه بالوصف انفسهم لان ما بعده خبر الذين عند الله والفائزون مقيم لان ما بعده حال ابدا طاعظم على الايمان الظالمون بامر الفاسقين كثير لعطف الظرف حنين لان اذ ظرف نصركم مدبرين للاخبار لعطف كفروا الكافرين من يشاء رحيم نصف الجزء هذا ان شاء حكيم التفسير انه سبحانه بدا بالسورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها فقال المفسرون لما امر العباس يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا فقال له علي عليه السلام الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني مسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها وهذا اكد الدلائل طريقة طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت نفيا لقراءة القرآن من تصريحك بذلك او يراد المسجد الحرام وجمع لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامر كعامر جميع المساجد او لان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد يضع الواحد مكان الجمع كقولهم فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزومه واما كثرة اتيانه للصلوة والاعتكاف والاشتغال به ليس للمشرك دنانيره اما مرمته وتوهمه وليس للمشرك هذا ايضا انه لا يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روي انه صلى الله عليه واله انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانهم كانه اراد ان يكون ذلك بحضرته وهو في المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو وفي يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال احدها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن ولهذا قال اسقفي نجران اذا قيل له ما انت قال نصراني والهودي يقول يهودي وعابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر انما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط والطعام الجائع لانه لا يفيد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفي النار هم خالدون ولا فائدة هذا التركيب الحصر افتنح الاشارة به على خلاف ما هو الاصل الكثير ثم وصف من له استيهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر لان المراد ما يعرف المبدا والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد في الحديث المصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا دعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره وقيل دل عليه بقوله واقام الصلوة واتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة لا ريب في انها عمارة المسجد والحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة ولان ايتاء الزكوة واجب بناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله لعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار في جميع الاحوال رضوان الله على غيره فان ذلك لو ضر في العاجل فسينفعه في الاجل وفي ادخال كلمة ما في صدر الاية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روي عن النبي صلى الله عليه واله قال ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه صلى الله عليه واله الحديث في المجلس ياكل الحسنات كما ناكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه واله قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره ومن عمارة المساجد تعظيمها والتدريس فيها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن ابن عن النبي صلى الله عليه واله من سرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوء وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك بالهتدا المشركين ومعناهم وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الامة ذهبوا الى ان عسى من الله كلام واجب قال بعضهم الرجاء راجع الى العباد ثم قال انه قال اجعلتم سقاية الحاج ومعناه هو ان عمارة المسجد ومستحق الحج يوجب لكم من الفضيلة الا ان هذه الاعمال في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين الاخوين بين الاثنين اختلفوا فقيل كافر ومؤمن لقوله كمن امن وقصته ما ذكرنا ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

قول انا نعمر المسجد

المسجد الحرام وتسقي الحاج وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله اولئك اعظم درجة وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصة ما روي عن النعمان بن بشير قال كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الاخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الاية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو شئت بت فيه وقال العباس وكان بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن عمر قال علي للعباس بعد ان كان اسلم الا تهاجر الا تلحق بالنبي ﷺ فقال الست افضل من الهجرة الست اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الاية فقال العباس ما ادري الا ان قد سقايتهما فقال النبي ﷺ اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن او اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من امن ثم كان لسائل ان يسئل ما بال احد الفريقين لا يشبه بالاخر فاجيب بانه قال مستانفا لا يستوون عند الله ثم صرح بالمفضول فقال والله لا يهدي القوم الظالمين اي المشركين ان الشرك لظلم عظيم واي ظلم اشنع من وضع اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابليتهم وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر القهر فانهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الذين امنوا الاية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله اعظم درجة يوجب ان يكون للمفضول ايضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرون انفسهم من الدرجة والفضيلة نظرا لقوله قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا ام المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فاضلا عن الكافر والمراد توجيه الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة والا شتان بينهما من اعمال الخير وموجبا للثواب لولا الكفر وفي قوله عند الله تشريف عظيم كقوله ومن عنده لا يستكبرون وكذا في قوله واولئك هم الفائزون لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات الى قوله مقيم وانما لم يفسر بما وراء وصف لوصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لهم فيها نعيم اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عنها بثلثة الفاظ مؤكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها ابدا وقال اهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث ان المنعم خصها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد تكون حسية وقد يكون عقلية فقوله يبشرهم ربهم اشارة الى اعلى المراتب هو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به وقوله برحمة منه ورضوان اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جنات الى اخره اشارة الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان الذي ربا كوني الدنيا بالنعم التي لا تحد لها يبشركم بجنات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز ان يكون الرحمة اشارة الى رضاء العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم والافات والرضوان اشارة الى رضا من العبد فيكون كقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية ثم اكد المعاني المذكورة بقوله ان الله عنده اجر عظيم وفي تصدير الجملة الاسمية بان وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله ﷺ بالهجرة الى المدينة جعل الرجل يقول لا ابيه ولا اخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويجيء ومنهم من يتعلق بزوجته وعياله وولده فيقولون انشدك الله ان تدعنا الى غير شئ فنضيع فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الى الا ية وذكروا في وجه النظم ان هذه الاية جواب عن شبهة اخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات ومواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الاباء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلا جرم ذلك لوهم ختم الاية بقوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قال ابن عباس يريد ان يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي ﷺ لا يطعم احد كوطعم الايمان حتى يحب ويبغض لله حتى يحب في الله اقرب الناس وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم الكفر ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من يخالفنا في الدين قطعنا اباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت قل ان كان اباؤكم الاية فهاجروا فجعل الرجل يأتي ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقرباءه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في تسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فمنهي الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل اهله الادنون وهم الذين يعاشرونه من قراءة على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الازهري لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشائر وانما يجمعونها على عشائر والاقتراف الاكتساب التركيب بلد وعلى الذنوب

التوبة

الكاسب فى الشئ ويد خلة تحت ملكه والترتيب المذكور هنا لا يخفى فى غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة الغرابة الى الغربة ثم البعيدة ثم ان يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وهى اخوالها ثم الرغبة فى الاوطان التى بنيت للسكنى فبين تعالى انه يجب تحمل هذه المضار فى الدنيا لبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعايت هذه المصالح الدنيوية اولى عندكم من طاعة الله وطاعة رسوله ومن الجهاد فى سبيل الله فتربصوا انتظروا بنا ما تحبون حتى يأتى الله بأمره عن الحسن هو عقوبة عاجلة واجلة وقيل بفتح القتال وعن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روى ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدى القوم الفاسقين الخارجين عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعى مصالح دنياه فيفوز بسعادات الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة قال الواحدى النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر وموطن الحرب مقاما تهاء ومواقفها ومنازلها من النصر لا تزعلى صيغة منتهى الجموع ولا هاء لمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول ص وهى على ما فى الصحاح تسع عشرة منها غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بنى المصطلق وغزوة نمار وغزوة ذى القرد وخيبر والحديبية والفتح ويوم حنين اى فى يوم حنين واستبعد هذا الكتاف عطف الزمان على المكان فقال معناه فى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كقتل الحسين ع قال على ع ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اى ونصركم يوم حنين لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها ويجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد فى عطف الزمان على المكان وما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطايف قال المفسرون لما فتح رسول الله ص مكة وقد بقيت ايام شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وسقيف واختلفوا فى عدد عسكر رسول الله ص حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا اثنى عشر الفا عشرة الاف من الذين فتح الله عليهم مكة والفان من الطلقاء الاسارى الذين اعتقهم رسول الله ص وقال الكلبى كانوا عشرة الاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وسقيف اربعة الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة هذه الكلمة ساءت رسول الله ص وهى المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر وقيل رسول الله ص وهو بعيد لانه كان فى الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء ما يدفع الحاجة اى لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم يفد كم وضاقت عليكم الارض بما رحبت حال مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور فى موضع الحال اى متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا فى الارض ذات الطول والعرض موضعا يصلح لطريكم اليه وكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اى انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا واكببنا على الغنايم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله ص ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والد لا اله الا هو ما رأى رسول الله ص دبره قط لقد رايته وابو سفيان اخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالى وكانت بغلة شهباء ثم قال العباس نادى المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزل الملئكة عليهم ثياب بيض وهم على خيول بلق واخذ رسول الله ص بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت الوجوه فما زال جدهم مدبرا وحدهم كليلا ولم يبق منهم احد الا وقد امتلاء عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله سكينته رحمته التى سكنوا بها واطمانوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله ص حين وقع الهرب وانزل جنودا لم تروها يعنى الملئكة ستة عشر الفا وثمانية الاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال لم يقتل من المشركين يوم حنين سوى رجل كان فى المشركين يوم حنين حتى اذا كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم امامنا انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء فاذا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه فرجعنا وركبوا اكتافنا واختلفوا فى قتال الملئكة ففيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا فى هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخوف فى قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبى الذرارى واجتثاث الاشاعر بانزال السكينة وهى طمانينة القلب والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعى والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان الحنفية تمسكوا فى مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافى وكون الجلد كافيا يمنع ان يكون غيره مشروعا معه واجابت الشافعية بانه تعالى قال فى هذه الاية وذلك اى الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الاجل باق اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اى يسلم ناس منهم روى ان ناسا منهم جاؤا ثابين فاسلموا وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبى اهلونا واولادنا واخذت اموالنا فقيل سبى يوم ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال ان عندى ما ترون يعنى العساكر الفقراء ان خير القول اصدقه اختاروا اما اذراريكم ونساؤكم واما اموالكم قالوا ما كنا

تعدل بالاحساء شيئا فقام رسول الله ﷺ فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بهذه شيئ وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فرفاء كرفيقا فليرفعوا ذلك الينا فرفعنا اليهم العرفاء ان قد رضوا ثم ان سبحانه اجاب عن شبهة اخرى طرد الذان عليا عليه السلم قرأ عليهم براءة ينبذ اليهم عهدهم قال انا من اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس قال في الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذو نجس وقال الليث انصفه بتنوي فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نفسا للمبالغة في الوصف واختلف في تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادي من ائمة الزيدية واذا التقوا فقد انتقضوا على طهارة ابدانهم واحتج القاضي على ذلك بما روى انه ﷺ شرب من اوانيهم وباشر لوكان نجس العين لما تبدل النجاسة بسبب الاسلام واجاب عنها الامامية بان معناها انهم لا يتغسلون عن الجنابة ولا يتوضأون عن الحدث اذا تهم بمنزلة الشئ النجس في وجوب الاجتناب والاحتراز اقول كفرهم الذي هو صفة بمنزلة النجاسة المتصفة بالشئ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي السنة التاسعة من الهجرة التي وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا في هذا النهي فعن ابي حنيفة واصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه في الجاهلية والدليل عليه قول علي عليه السلم في النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعي المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام في المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه وبعثوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم كله على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخول وذهب اكثر المفسرين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو بعين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم في قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله تعالى ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله اي من تفضله بوجه اخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله لهم اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم عن التي وعن مقاتل بسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يفتقر المسلمون بذلك فتركوا التضرع الى الله والالجاء اليه ولبعلم ان حصول ذلك لا يكون في كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور وروابط الاسباب ولهذا ختم الاية بقوله ان الله عليم اي باحوالكم حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وقيل التأويل ما كان لمشركي النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهي القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتعبد الهوى حبطت اعمالهم التي صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من امن بالله واليوم الاخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجات مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الدنية ولم يخف فوات الحظوظ الدنيوية انما يتخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدي القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة في غير موضعها الذين امنوا اي القلوب المؤمنة وهاجروا اي الارواح المهاجرة الى القوالب جاهدوا في سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم بذل الموجود والوجود جميعا بشرهم ربهم بعد الخلاص عن حزن الوجود بحلى صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اي من وصل الى مقام العندية فالله لعظيم اجره لا يتناهى وانبأكم الاتيان فيما اشارة الى ان من اثر محبة الخالق فقد ابطل الاستعداد الفطري لقبول الفيض الالهي ويوم حنين اي حين حنت قلوبهم شوقا الى لقاء ربها وحبتكم تبلونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم اعرضتم عن الطلب اذ اجتمتم بحجب العجب بدين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهي واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وانزل جنودا من المواهب الربانية وعذب الذين كفروا المتمردة باستعمالها في احكام الشريعة واداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اي علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة من جذبات الحق لعبادة الله تعالى والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهي القلوب عن اتباع النفوس واسرها بقيدا ومنعها عن طوافها لئلا تتحرك كعبة القلب بتلاستر شرك النفس ولو صالحها الذي بعثه وان خفتم عيلة حظوظا يستدلها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحق فضله حكيم في ايتاء كل من النفوس قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين

کردار ناپسندیدہ انجام دہند جزیہ از دست و ذلت و خواری دہند یہود کہ عزیر پسر خدا است و گفتند نصاری کہ مسیح

اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

ابن الله

التوبة

ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا
پسر خدا است این گفتار ایشان است بزبان خود شباهت دارند گفتار انها را که کافر شدند از پیش بکشد ایشان را خدا از کجا بهم میافتند
احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لا اله الا
دانشمندان خود را و پارسایان خود را پروردگاران از غیر خدا و مسیح پسر مریم را و حال انکه مامور نبودند مگر که بپرستند خدای یکانه را نیست خدائی بحق جز
هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون
او منزهست از انچه شریک میکردانند میخواهند که خاموش کنند روشنی خدا را بدهانهای خود و نمیخواهد خدا مگر که تمام کند نور خود را و هرچند ناخوش دارند
هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا ايها الذين
اوست که فرستاد پیغمبر خود را براستی و دین استوار تا غالب گرداند او را بر دینها همه و اگرچه ناخوش دارند مشرکان ای انها که
امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
گرویده اید بدرستی که بسیاری از دانشمندان و پارسایان هر آینه میخورند اهلهای مردمرا بباطل و باز دارند از راه خدا
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم
و انانکه گنج نهند طلا را و نقره را و خرج نکنند انرا در راه خدا پس مژده ده ایشان را بعذاب دردناک روزی که
يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا
گرم کنند انرا در آتش جهنم پس داغ کنند بان پیشانیهای ایشان را و پهلوهای ایشان را و پشتهای ایشان را این است انچه ذخیره کردید برای خود پس بچشید
ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات
انچه را که بودید که گنج میکردید پس بچشید بدرستیکه شمار ماهها نزد خدا دوازده ماهست در کتاب خدا روزی که آفرید
والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة
زمینها را از انها چهار ماه حرامست این دین استوار پس ستم نکنید در انها نفسهای خود را و کارزار کنید با مشرکان همه
كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا
چنانکه کارزار کنند با شما همه و بدانید که خدا با پرهیزکارانست بدرستی که واپس افکندن در حرمت کفر است زیاده میشوند در ان کافران
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين
حلال میکنند انرا سالی و حرام میدانند سالی تا ازین برند شمار انچه را که حرام کرد خدا پس حلال کنند انرا که حرام کرد خدا ارایسته شد بایشان بدیهای کردارشان و خدا راه ننماید گروه کافران را

القراءة عزا ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلى وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمزة عاصم غير الخزاز الاخرون
يضاهون بحذف الهمزة ان يطفؤا ليطفؤا اطوا بحذف الهمزة منها ابن كثير وحمزة فى الوقف وان شاء ليّن الهمزة اثنا عشر ليكون العين بين بين وقد
الخزاز انما النسئ بالتشديد ورش من طريق البخارى وحمزة فى الوقف الباقون بتا بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد على وحمزة
غير البجلى وحفص وخلف لتفسير يضل بضم الياء وكسر الضاد البجلى وابو بكر ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الوقوف صاغرون
المسيح ابن الله ط بافواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل قاتلهم الله ج يؤفكون ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا
واستيناف واحدا ج لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو ط يشركون الكافرون كلمة ط لتعلق لو بما قبله المشركون عن سبيل الله ط فى سبيل الله
لتعلق الفاء ايم اى فى يوم وظهورهم تكنزون ج تفاعلونكم كافة ط المتقين ج فيحلوا ما حرم الله ط اعمالهم ط الكافرين التفسير اثر ما ذكر شبهات المشركين
واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب المقصود تمييزهم من المشركين فى الحكم لان الواجب فى المشركين القتال الى الاسلام والتوا
فى اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب
فدل على ذلك ان اهل الكتاب متصفون تلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله ورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله
واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع فى صفة من صفات الله لو كان منكر الله لزم ان يكون
اكثر المتكلمين كذلك فالاشعرى من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضى انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه و
القاضى اثبت لله ادراك المطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاد ابو اسحق انكره والقاضى اثبت للصفات سبعة احوال معللة بالمعانى
الصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله فى الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والاخرون انكروا
وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهى والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا فى ان خلاف
المعلوم هل هو مقدور لله واما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من ان تحصى ههنا واجيب بان المجسم خالف الذات لانه يقول ان
الله جسم والبرهان قد دل ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف فى المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم انا نكفر الحلولية

والحق وفيه الرد على القائلين بان كلام الله تعالى في كل الناس وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما زعمه النصارى القائلين بان الله تعالى حلت في عيسى الصفة
الثانية انهم لا يؤمنون باليوم الآخر لان اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على ان اهل الجنة ياكلون ويشربون وبالذبح
يتمتعون اما السعادات الروحانية فتتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله اي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول
في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال ابو روق اي لا يعملون بما في التوراة والانجيل بل حرفوها واتوا باحكام توافق مشتهاهم الصفة الرابعة ولا
يدينون دين الحق اي لا يعتقدون محمدا بن الاسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله
ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية صلة من جزى يجزي اذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطى المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت
جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة يجزونه اي يقضونه او لانهم يجزون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل ومعنى عن يد ان ايديهم بايديهم المعطاة عن يد
مواتية غير ممتنعة يقال اعطى بيده اذا انقاد واصحاب المراد حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة ولا بعثوثا على ايدي احدوان ايديهم بايديهم الاخذة
معناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية اي بسببها كقوله ينهون عن اكل وعن شرب اي يتباهون في الثمن بسببها او المراد عن انعام عليهم كان
قبول الجزية منهم بدلا عن ارواحهم نعمة عظيمة عليهم قبل ان من اليهود موحدة فاوجب ايجاب الجزية عليهم والجواب انا اذا اثبتنا وجوب الجزية على بعضهم
لزم القول بها في حق الكل لعدم الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم اما مقدار الجزية فعن ابن قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل محتلم دينارا وقسم عمر على
فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الاوساط اربعة وعشرين وعلى اهل الثروة ثمانية واربعين فذهب الشافعي الى ان اقل الجزية دينار ولا
يزاد على الدينار الا بالتراضي وذهب ابو حنيفة الى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل اهل الكتاب لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب وروي انه صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية
من مجوس هجر وذلك ان لهم شبهة كتاب ومعنى ذلك ان كتبهم وهي الصحف لما نزلت على ابيهم وقد رفعت الى السماء لاحداث احدثوها وليس
المقصود من اخذ الجزية تقرير الكفر على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وانما الغرض حقن دمائهم واموالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم
فيعرفون صدق محمد وما دعاهم اليه وايضا فيه حقن انبيائهم وحقن كتابهم وحقن اباءهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والانجيل واما
قوله وهم صاغرون فمعناه انه لا بد مع اخذ الجزية من الحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه ان لجمع المال فيفقر عن تحمل الذل فاذا امهل الكافر مدة
وهو يشاهد عز الاسلام وذل الكفر وسمع الدلائل فالظاهر ان مجموع ذلك يحمله على الانتقال الى الاسلام وفسروا الصغار في الآية باخذ الجزية
على سبيل الاهانة بان يكون الذمي قائما والمسلم الذي باخذ الجزية قاعدا ويامره بان يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطاطي راسه فيصب ما معه
في كفة الميزان ويامر المستوفي بالجهبذ ويضرب في ظهر يده وهذه الهيئة مستجمعة على الاوضاع الاجنبية وقيل الصغار هو نفس اخذ الجزية والجزية تسقط
بالاسلام عند ابي حنيفة دون الشافعي وانها توخذ عند ابي حنيفة في اول السنة وعند الشافعي في اخرها ولا يوخذ من فقير لا كسب له ولا من اثرة
ومختف ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه يضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفاني والراهب الاعمى على الاصح من قولي الشافعي لان الجزية
بمنزلة الكراء يستوفيه المعذور وغيرهم قال الشافعي في احد قوليه العاجز عن الكسب يعتد له المدة بالجزية فاذا تم الحول اخذنا ان ايسر الا في
نعته الى ان يوسر هكذا في كل حول ولا يسقط عقد الذمة الا من الامام او نائبه الذي فوض اليه الامانة من الامور الكلية وكيفية العقد ان يقول
اقررتكم واوربتكم في الاقامة في دار الاسلام على ان تبذلوا كذا وتنقادوا لاحكام الاسلام الى ان يراها الامام ولا يقر اهل الكتاب بالجزية في ارض
الحجاز لما روي انه قال اخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفها اي قراها وما روي انه صلى الله عليه وسلم اوصى بان يخرجوا اليهود من خيبر والنصارى من نجران
العرب محمول على انه اراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في ان المسلم لا يقتل بالذمي قال لان قوله قاتلوا مشتمل
على امر باحدهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا ان المجموع انتفى عند انتفاء الجزية ولكن انتفاء
احد اجزائه واحد الجزئين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الاخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم والجزية كما كان ولقائل ان يقول
لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وانت بعد ما اثبته ولما حكم في الآية المتقدمة ان اهل الكتاب لا يؤمنون بالله
شرع في اثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله الآية العلم مبتدا والابن خبره ومن اسقط التنوين من عزير فلانه اسم
عجمي زاد على ثلثة احرف فيمنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه اسقط التنوين لتوالي الساكنين
على مذهب بعضهم او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه بعدم الظاهر يا ستلزامه احتمال توجه الذم الى الخبر دون
الوصف وقد صح بحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم ان ذلك كفر لما قال كفار اليهود بالمدينة وما يفهم هو بقولهم كلام الا انه جاء على عادة العرب في
ايقاع اسم الجماعة على الواحد بقولهم فلان يركب الخيول ويجالس الملوك وانما يركب واحدا ويجالس الاواحدا عن ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك وعند ايضا ان اليهود اضاعوا التوراة وغيروا بعد الحق فانهم الله التوراة و
فمنهم من صدورهم فضرع عزير الى الله تعالى وابتهل اليه فاعاد حفظ التوراة الى قلبه فاندفر قومه فلما جوبوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا
ابن الله وقال عبد بن عمير انما قال هذا القول رجل من اليهود واسمه فنحاص بن عازورا وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا
عبرة بانكار اليهود وقول الله اصدق وقال في الكشاف الدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية نزلت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم

على التكذيب

التوبيخ

على التكذيب بما ان النصارى قالوا انهم يقولون ذلك وحكى الواحدي في سبب ذلك ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال اليهود كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار وانا لا نحتال فاصلهم فعرف رأسه اظهر التوبة وقال انا بعثت من السماء لكي لا توبة لا ان تنتصر وقد تبت فادخلوا النصارى الكنيسة وحكت سنة لا يخرج ويتعلم الانجيل فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه شطور وعلمان عيسى ومريم والاله كانوا ثلثة وتوجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال انا كان عيسى انسانا ولاجنبا ولكنه الله وعلم رجلا اخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ان الاله لم ينزل ولا بنزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي فارع الناس الى ضلالتك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني وان غدا ذبح يعني لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه هذا هو الذي في وقوع هذا الكفر في طوائف النصارى الاقرب ان لفظ الابن وقع في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انت الابن الوحيد كما وقع لفظ الخليل في حق ابرهيم وقال المسيح للحواريين احبوا عدائكم وباركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي في السماء الذي اشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان بقاياهم الوا عليهم الناس في احد الطرفين بغلوا فاسد الطرف الاخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والله نعم العليم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم وفائدة هذا التخصيص كل قول اقيم البرهان انه قول لا يعتضد ببرهان بل البرهان دال على بغضه لا سيما قول اثبات الولد الذي هو مبرا عن الحاجة والشهوة والمصاحبة والمحاذاة الصاحبة فما هو الا لفظ بهوس بهوس بمعنى مجرد عن معنى محقق كالالفاظ المهملة الا يجاوز الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى تؤثر نظرا فيه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم او نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يحتج به ولا يذكره بلسانه اما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره اذا ساعد عليه دليل كان لها نهاية في الحسن والتاثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يضمرون به لا يخفونه البتة او انه مذهب لا يساعد دليل فلا اثر له في القلوب ويحتمل ان يراد انهم وطنوا انفسهم على هذه المقالة حتى صفت الافواه والالسنة بها هون من قرائن احوالهم ظاهر لانه من ضاهى يضاهي منقوصا اي شاكل ومن قرا بالهمز فليجئ ضاهأ ان لقولهم صبغا على غيره وهو الذي شاكلت اقوال من تقدمهم في انها لا تحصيل ومن جعل ضاهاء بزيادة الهمزة كما في عزقال لشبه السيفي الجيء ضاهيا ممدودا بمعناه فلا ثبت في هذا الثاني عندي ولا بد من تقدير مضاف اي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فصار الجار والمجرور في محل رفع صفة لقول هؤلاء المعاصرين للنبي من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر فيهم فهم غير مستحدثين ايضا في قول اهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهون للنصارى فقط اي يشاكل قول النصارى المسيح بن الله قول اليهود عزير ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب تعجبا ومستفهما على سبيل الانكار قاتلهم الله انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اي هم احقاء بان يقال لهم هذا القبيح من شناعة قولهم كما يقال للقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق ابن تذهب ثم وصفهم بضرب اخر من الاشتراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يرى بالحسن بيانا والراهب الذي ظهر زهدا واذا وصفه من قلبه على وجه لباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من اصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم الهة العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم بغير ان عدي بن حاتم كان نصرانيا فاتى الى النبي وهو يقرا سورة براءة فلما وصل الى هذه الاية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال الا يحرمون ما احل الله فتحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال فتلك عبادتهم قال الربيع سمعت ابا العالية يقول كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا ياخذون باقوالهم وما كانوا يعلمون حكم الله فقال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلافا لما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل دعوة الشيطان الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لشيوخهم قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرات عليهم ايات كثيرة من كتاب الله في مسائل كانت تلك الايات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الايات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الى كلام المتعصب يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الايات مع ان الوقوف على بواطنها ربما تعذر على اكثر الخلق وربما تعذر على كلهم سوى الله تعالى فلم لا يجوز ان يكون مراد الله من تلك الايات شيئا لا نعرفه نحن ولا سلفنا ورود بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا ساريا في عرفنا لاكثر ما نقل عن علمائنا نوقع الحسن ظننا بالسلف لانهم دينوا وفقوا من ذلك الاذى على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد بينا عدم الشيخ في ذلك اذا كان مزورا طالبا للدنيا وقد يرضى بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان السجود عبادة لا يليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف بالامم السالفة واما المسيح فمن جعلوا ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والالهية وتعلل السبب في ايراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه اشنع من قولهم في الاحبار والرهبان او لان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا الصابئة والمسيح ابن مريم اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح دينا وما امروا الا ليعبدوا الله المتخذين والذي امرهم به ذلك ادلة العقل والكتب السماوية وفي الفرائد حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار والرهبان اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا بان يكونوا مامورين فمن قال لغيره انظر الي بعيني فانه يكون موافقا لمن قال لغيره انظر الي بعيني ثم ذكر نوعا اخر من قبائح اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد وجدهم في اخفاء ما لا يدل الا على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفؤا نور الله اي بسبب اثارتهم الشبه والدلائل المشبهة بالنور لاشتراكهما في الاهتداء بها وذلك لان دين محمد مؤيد بالمعجزة الباهرة التي يمثلها ثابت نبوة موسى وعيسى لاستنادها الى القرآن وحاصل شرعهم تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به لا يقدم

اطاعته وصرف النفس عن الاموال الفانية والترغيب في الاستعدادات الباقية ثم اتمها بكلماتهم الركيكة وشبهاتهم السخيفة اراد ابطال هذه الدلائل فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار الهستة بسبب ان بنفخه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال تعالى يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم اي لو يريد الله الا ذلك الا ان الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع فكان ازاد واظلمنا ابتداء امتداح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه نكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف فيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي ارسل رسوله بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات وبدين الحق وهو اشياء لا على امور يظهر لكل احد كونه موصوفا بالصلوب مطابقا للحكمة ومؤديا الى الصلاح للدنيا والاخرة ثم بين غاية امره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله اي ليجعل الرسول ودين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم وعلى كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان وتمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام او ادى الخراج قلت قد دخل في عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون في الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فارايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهره على اهل عصره من الاديان وقيل ليظهره على جزيرة العرب وهذا تخصيص بوجه ضعيف لعطف وقيل ليظهره بالحجج والبراهين لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة وقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي ارسل فيه مدح منه تعالى لنفسه من جهة انه هو القادر على ابداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ايضاله الى حيث شاء واراد من غير معاند ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة التي لا يوازنها نعمة وهي نعمة الهدى في الاسلام وقوله ولو كره الكافرون الاية الثانية ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة لتباينهما على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله ثم لا نف مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على المخلوقين ازداد بصفهم بالطمع والحرص فقال يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون اموال الناس بالباطل كل هيئة للشيء باسم ما هو اعظم مقاصده وابشاعه من اكل شيء فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو اخذه ولهذا فان من اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا ياخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة في الشرايع وفي اخفاء بعث محمد وقال الذين لا يعلمون قيل هم اليهود والنصارى ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الجنة ان لم يسبل الى الفقراء بموضاة الله نعم الا بحد منهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بذلك لاكاذيب منها انهم قالوا لا طريق الى تقويتهم الا اذا كان اولئك الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله ويصدون عن سبيل الله فمعناه بالغون في المنع من مبايعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كثره بكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه نافة كناز مكتنزة اللحم اكتنز الشيء اجتمع قيل المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص الشديد اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود منه نعي الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان من امسك ماله يفسر بالباطل كذلك فما ظنك بمال من سعى في اخذ ما اخذه بالباطل والخديعة عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا باب ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت انا ومعوية في هذه الاية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وبهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الي عثمان ان اقدم المدينة فلما قدمت المدينة اشرف الناس عني كانهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا فقلت والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رايت ابا ذر يقول بشر الكافرين برضف يوضع بحلمي طبيه في ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت ما رابك هؤلاء لا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يضع بعضهم بعضا وقيل اختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال الذي لم يؤد زكوته عن عمر الخطاب مال ادى زكوته ليس بكنز وقال ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل مال لم يؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض قال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس

التوبة

قوله ولا ينفقونها في سبيل الله بريد الذين لا يؤدون زكوة اموالهم قال القاضي وبهذا يدرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة الحج والجهاد والانفاق على الاهل والعيال وضمان المتلفات وارش الجنايات وقال الاكثرون كل مال كثير فهو مذموم سواء اديت زكوته او لم تؤد حجة الاولين قوله تعالى ما اكسبتم ولا نفسكم اموالكم قوله ع كل امرئ حتى بكسبه يغنم المال الصالح ما ادبت زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان تزكى ولم تزك فهو كنز وان كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله ص جمع من الاغنياء كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وكان بعدهم من اكابر المؤمنين وقد ندب الى اخراج الثلث والاقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان باخراجه في المرض بتصدق اولى بل الصحيح في حال الصحة حجة الاقلين عموم الاية وما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله ص تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلثا فقالوا له فاى مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وقوله من نزل صفراء وبيضاء كوى بها وقفى رجل فوجد في منزله دينار فقال رسول الله ص كية وقفى اخر فوجد بمنزله دينارا ان هما لكيتان وعن علي ع كل مال زاد على اربعة آلاف فهو كنز ادبت منه الزكوة او لم تؤده ومن المعقول ان الله تعالى خلق الاموال لدفع الحاجات فاذا حصل للمرء منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله وداعيا لوجوه الاحسان الى عبيده وقد ذلم طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا لو كان هذا قبل ان يفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده ما لا من حيث اذن له فيه ويؤدى عنه ما اوجب عليه بل يعاقبه وقال اهل التحقيق النهى عن جمع المال محمول على التقوى لان زوائد المال لا حد له يقف هنالك فيخرج الى تضييع العمر ان تحصل واخرى في حفظه ولانه كلما ازداد لذ به بذلك فيشتد حرصه لا ينقطع البتة وقد يفضى الى الطغيان والخذلان كقوله تعالى ان الانسان ليطغى ان راه استغنى ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم يكن في سبيل الله فهو خير من وجوده واما ظاهر الفتوى فهو ان صاحب المال الكثير لا عتب عليه اذا ادى منه حقوقه هذا وممن حمل الاية على وعيد مانعي الزكوة في النقود قاس الزكوة في المواشي عليه وقد ورد ايضا في الحديث ما من صاحب ابل او بقر او غنم وهو مشهور ولا ريب ان الاصل المعتبر في الاموال هو النقد وسائر الامتعة انما تحصل بها وتدور عليها فلو وجب الزكوة في الحلى المباح لاستدلال بالاية لان الذهب والفضة يشملهما ومن لم يوجب الزكوة فيه خصص عموم الاية بما روى انه ص قال لا زكوة في الحلى المباح وهو مذهب ابو عبيد الترمذي وبتقدير ان يصح حملوه على اللآلى لقوله تعم وتستخرجون حلية تلبسونها ولقائل ان يقول لو حملنا الحلى في الحديث على اللآلى لم يبق لتقييد المباح فائدة ثم انه تعم ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال ولا ينفقونها فضمير الضمير عائد الى المعنى وهو الكنوز او الاموال والاولى كل واحد منهما جملة واحدة قيمة وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل الضمير اللفظ اى ولا ينفقون من الفضة وحدها الذهب اما لانه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمنيين نفيسين مقصودين بالكنز فاغنى ذكر احدهما عن الاخر كقوله واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقد مر تحقيقه او اثما ثم هربه بريئا واما الان لقدير والذهب كذلك كما ان معنى قوله فاتى وهيا لنا من امرنا رشدا كذلك ثم قال فبشرهم بعذاب اليم تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم ولو قيل البشارة هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح او من الغم كان حقيقة يوم يحمى عليها معناه ان النار يحمى عليها اى يوقد عليها نار ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يحمى بها الكنوز كقولك احببت الحديث لم يفد هذا المعنى وانما ذكر الفعل مع ان الاحماء للنار لانه مسند الى الجار والمجرور بعد حذف النار كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم ذكر العلماء في تخصيص هذه الاعضاء بالكى وجوها منها ان حصول الاموال يقصد بترجى في القلب بظهارته في الوجه وشيع بنشع بسبب الجبان وليس شاب فالاخرة بطرحونها على ظهورهم فعوروضوا بنقيض المقصود ومنها ان هذه الاعضاء بعظم تألمها لكونها مجوفة وما في داخلها من الاعضاء الشريفة ومنها انهم يكبون على الجهات الاربع اما من قدام فعلى الجبهة واما من خلف فعلى الظهر واما من اليمين واليسار فعلى الجنبين ومنها ان المراد وقوع الكى على كل الاعضاء لانها اما في غاية النظافة وهي الجبهة واما في غاية الصلافة وهي الظهر واما متوسطة وهي الجنبان ومنها ان المال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والانسان انما يطلب المال للجمال والقوة فعورض بازالتها ومنها قول ابي بكر الوراق خصت بالذكر لان صاحب المال اذا رأى الفقير قبض جبينه واذا تعدد يجنبه تباعد وتجافى عنه وولى على ظهره وانا اقول يحتمل ان يراد بالجباه قدام الشخص حين لم يقدم لنفسه خيرا وبالظهور جهة الخلف حين خلف ما اعتقد الحسرات وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال في مرضات الله وانفقه في معصيته وسخطه وهذا بالتأويل اليق ثم الذي جعل كيها هو كل المال او القدر الزكوى الظاهر انه لكل لانه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا في كل ما له فناسب ان يعذب بكل الاجزاء ثم قال لهذا ما كنزتم والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم وفيه توبيخ واشعار بانهم عوضوا بنقيض ما قصدوا واكد ذلك بقوله فذوقوا ما كنتم تكنزون ما مصدرية او موصولة والعائد محذوف والمعنى عرضوا بال كونكم كانزين وبال المال الذي كنتم تكنزونه ثم ذكر نوعا اخر من قبائح اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال ان عدة الشهور الاثنان وذلك ان الله تعالى لما حكم في كل قبيل بحكم خاص فاذا غيروا تلك الاوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة

الجزء العاشر

لكفرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور العربية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الجزء عن اثنا عشر بقوله في كتاب الله وبوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض فعدة الابدال لان تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب يكون مصدرا بمعنى المفعول اي فيما اثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها اربعة حرم ثلاثة سرد اي مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم واحد فرد وهو رجب الذي بين جمادى وشعبان سمي فردا لانه لا شهر قبله ولا بعده وانما قال ذلك ليعلم ان المحرم الذي هو اول شهور السنة ليس بمتصل بشهر قبله فلا يتوهم ان رجبا هو الذي بين جمادى وشعبان وانما سمي رجب مضر لان مضر كانت تزيد في تعظيمه وتحافظ على تحريمه اكثر من محافظة سائر العرب وقوله ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابراهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا من عطا تالله ما اصل الناس ان يعرفوا الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان بقايا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه عنى الدين القيم بانه الثابت الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني حلت القتال في الاشهر الحرم بقوله براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بنبا نا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب كما لا مكتوبة وكانت لحكما يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وغير فائدة اخرى هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنع من ذلك على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيها ولا يمنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر مطلوب في نفسه وان وجه ذلك الى الاستدامة والاستقامة يحسب الافراد والاعتبار او لاعتقاده ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع اقرب الى اتحاد الاداء ولطائف الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عائد الى اثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد مدة عمره والمراد المنع من البدء على ما يجئ قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم وكان العرب تختار فيما بين الثلثة الى العشرة ضمير الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة تختار ضمير الواحدة قال حسان لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة دما ويقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت من قاتل وقاتلوا المشركين وظاهره الاباحة بدليل على الاباحة القتال في جميع الاشهر لانا لا نراه واردا عقيب الحرمة بدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا تراحموا تكف بعضهم بعضا وتنصر على المصدر عند بعضهم لانه مثل العافية والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويفرق بالام كقولك قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان عن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تجبنوهم بترك القتال كما انهم يستحلون قتالكم جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين لهم على النفوس وعلى الجهاد بضمان النصر والمعونة ثم ضرب الظلم المنهي عنه في الاية المتقدمة واكد النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نساء اذا اخر كالنذير والنكير قال قطرب اصله الزيادة من قولهم لسنان المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها وردبانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو صيغ منسوء كميت مجف مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فهو المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام موخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي بهذه الاية بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا اطلق الكفر على ترك العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجردا لاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكافر انما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤدي الى اعتقاد يحتمل ما هو حرام وبالعكس في قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالجملة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما ويحرمونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمونه التاخير عاما اخر وهو الذي يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلثة اشهر متوالية من غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او في المحرم حرب وغارة اخروها بعد ذلك الشهر الى شهر اخر قال الواحدي واكثر العلماء على ان هذا التاخير كان من المحرم الى صفر وروي انه حدث فيه لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول يا ايها الناس ان الهكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان الهكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي اربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا بترك القتال ووجوب التخصيص ذلك قوله

التوبة

قوله يقع فيحلوا ما حرم الله اى من القتال وترك الاخضاع قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء فى الشعر من هذا وهو ان يأتى فى القصيد بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس رضى الله عنهما احلوا شهرا من الاشهر الحرم واحرموا مكانه شهرا اخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا اخر من الحرام لاجل ان يكون عدة الحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطاة وللاية تفسير اخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر حتى يلحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعنى اثنى عشر شهرا قمريا هى ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما عرف من علم النجوم وعلى الزيجات والسنة الشمسية وهى عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحد وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريبا وبسبب هذا النقصان ينتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف اخرى وكذا فى الربيع والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج عند موافق لحصول التجار من الاطراف فكان يحتمل اسباب تجاراتهم ومعاشهم فلهذا السبب اقدموا على الكبيس بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلاب وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفى فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة شمسية فزادوا فى السنة الثانية شهرا ثم فى الخاصة ثم فى السابعة ثم فى العاشرة ثم اثنى عشر ثم فى السادسة عشرة ثم فى الثامنة عشرة وذلك ترتيب الحج يخرج عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصفة من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزايد هو الكبيس سمى بالنسيء لانه المؤخر والزايد مؤخر عن مكانه وهذا التفسير يطابق ما روى انه صلى الله عليه وسلم خطب فى حجة الوداع وكان فى جملة ما خطب به الا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموت والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متوالیات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسيء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة فى نفس الامر فكانه حجة ابى بكر فبقاؤها فى ذى القعدة التى سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم فى هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها ثلثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اى لا ازيد ولا انقص والاشارة بقوله ذلك الدين القيم على هذا التفسير يلزمهم ايضا ما الزمهم فى التفسير الاول من تعيين الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله يحلونه عاما اى يحلون النسيء من عام الكبس ويحرمونه عاما لا فى عين سنة الكبس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم فى الموسم منهم خطيب يقول انا النسيء لكم فى هذه السنة شهرا وكذا افعل فى كل سنين اردفت حتى يأتى حكم وقت الاذان فنسى الحرم ويجعل كبسا ثم انه منتهى التوبة الى الشهر الحرام فنكر رحرم عليهم واحل ابراهيم على وفق مصلحتهم واحل الاخر وبانى الاية تقدير تقديره انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا فيحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين هذا اعلم التاويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الاخرى لا يحلمون للاخرة ولا يحرمون ما حرم الله من حب الدنيا فانها راس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الحليمة بالوارد ذات الرياضة حتى يعطوا الجزية وهى معاملتها على خلاف طبعها عن يد عز حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت اليهود النفس بمنزلة القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مراة القلب انوارا وانوارا وواردات الى النفس المظلمة فنورت كما ان اليهود لما سمعت التوراة العلوم التى فهم عنها بمنزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب فى صفة الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وتشريفا اضافيا ونفخ فيه من روحى يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله النفوس الكافرة الذين اتخذوا احبارهم اى قلوبهم ورهبانهم اى ازواجها ارنبا والمسيح بن مريم وهو المخفى وذلك ان المخفى هو اول مظهر للمتنفس الالهى الذى منه التربيع الروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى ان يرى الكل من الحق فان رويته ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما راى يريدون اى النفوس ان يطفئوا نور الله الذى دش على الارواح فى مثل الخلق بافواههم استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذى ارسل رسوله وهو النور المرشد بالهداية الى الله وطلب الحق لهم فى طلب الحق على طلب عزير ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح لها كلونا ى يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون الذهب والفضة حرصا وطمعا فى الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها فى سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدم ترك الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها فى نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم استعوذ بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم حيث لا يجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذى ضاجعتم من الم الحجاب وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الان ما كنتم لم تذوقوا فى الدنيا حيث كنتم فى منام الغفلة منها اربعة حرم فيه اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب ان يجعلها وقاته عمره ثلثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح الدنيا وثلثا للطاعات التى ينتفع بها فى الاخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع فى خاطره غير المولى ومن استغنى عن المواضع فيحرم عليه صرف لحظة فى غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان فى سلوكه

اعوجاج فم ذکر من شان النفوس المشترکة انها ان اقبلت علی طاعة اخرجها عن وقتها وهو التنوق المرجب لذبادکفرها لانها قد خالفت
الشرع من حیث ترکها الطاعة باختیارها ومن حیث ذلک ان عشقت انها الناخر مالاباس بہ یا ایها الذین امنوا مالکم
اذا قیل لکم انفروا فی سبیل الله اثاقلتم الی الارض ارضیتم بالحیوة الدنیا من الاخرة فما متاع الحیوة الدنیا
کہ چون گویند شما را کہ بیرون روید در راہ خدا درنگ کنید در زمین آیا خوشنود شدید بزندگانی دنیا از آسایش پس نیست بہرہ زندگانی دنیا
فی الاخرة الا قلیل الا تنفروا یعذبکم عذابا الیما ویستبدل قوما غیرکم ولا تضروہ شیئا والله علی کل
در جنب آخرت مگر کمی اگر کہ بیرون نروید عذاب کند شما را عذابی دردناک و بدل آورد بجای شما گروہی غیر از شما و ضرر نرسانید او را چیزی وخدا بر ہر
شیء قدیر الا تنصروہ فقد نصره الله اذ اخرجه الذین کفروا ثانی اثنین اذ هما فی الغار اذ یقول لصاحبه لا
چیز توانا است اگر یاری نکنید او را پس تحقیق یاری کرد او را خدا وقتی کہ بیرون کردند او را کافران کہ دوم سہ بودند وقتی کہ دو یار بودند چون گفت یار خود را کہ
تحزن ان الله معنا فانزل الله سکینته علیه وایده بجنود لم تروها وجعل کلمة الذین کفروا السفلی وکلمة
اندوہ مخور کہ خدا با ماست پس فرو فرستاد خدا اطمینان خود را بر او و یاری کرد او را بلشکری کہ ندیدید شما ایشان را و کرد ایشان سخن آنان را کہ کافر شدند پست و سخن
الله هی العلیا والله عزیز حکیم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالکم وانفسکم فی سبیل الله ذلکم خیر
خدا آن بلند پایہ است وخدا غالب و داناست بیرون روید سبک و بار گران یا سواران و کوشش کنید بمالہای تان و نفسہای تان در راہ خدا این بہتر است
لکم ان کنتم تعلمون لو کان عرضا قریبا وسفرا قاصدا لاتبعوک ولکن بعدت علیهم الشقة وسیحلفون
مر شما را اگر میدانستید اگر بودی کالای نزدیک و سفری سہل البتہ آنہ پیروی کردند تو را ولیکن دشوار است بر ایشان سفر دور و سوگند
بالله لو استطعنا لخرجنا معکم یهلکون انفسهم والله یعلم انهم لکاذبون عفا الله عنک لم اذنت
بخدا کہ اگر توانیم ہر آینہ برون شویم با شما ہلاک نمایند نفسہای خود را وخدا میداند کہ ایشان ہر آینہ دروغ گویانند درگذشت خدا از تو چرا اذن دادی
لهم حتی یتبین لک الذین صدقوا وتعلم الکاذبین لا یستاذنک الذین یؤمنون بالله والیوم
ایشان را تا ظاہر شود مر تو را آنان کہ راست گفتند و بدانی دروغ گویان را دستوری نمیخواہند از تو آنان کہ میگروند بخدا و روز
الاخر ان یجاهدوا باموالهم وانفسهم والله علیم بالمتقین انما یستاذنک الذین لا یؤمنون بالله و
وبسین کہ کوشش کنند بمالہای خود و نفسہای خود و خدا داناست بپرہیزگاران جز این نیست کہ دستوری خواہند از تو آنانکہ نگروند بخدا و
الیوم الاخر وارتابت قلوبهم فهم فی ریبهم یترددون ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولکن
روز وبسین و در شک است دلہای ایشان پس ایشان در شک خود متردد شوند واگر اراده میرون شدن میکردند ہر آینہ مہیا میکردند برای آن ساز
کره الله انبعاثهم فثبطهم وقیل اقعدوا مع القاعدین لو خرجوا فیکم ما زادوکم الا خبالا ولا وضعوا
ولیکن ناخوش داشت خدا بیرون شدن ایشان پس باز داشت ایشان را و گفتہ شد کہ بنشینید با نشستگان اگر بیرون روند با شما نیفزایند شما را بجز تباہی و ہر آینہ بشتابند
خلالکم یبغونکم الفتنة وفیکم سماعون لهم والله علیم بالظالمین لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا
میان شما جنبندی شما را مست و در رسانند جاسوسان ایشان را و خدا داناست بستمکاران تحقیقکہ جستند فتنہ را از پیش و بر گردانیدند
لک الامور حتی جاء الحق وظهر امر الله وهم کارهون ومنهم من یقول ائذن لی ولا تفتنی الا فی الفتنة
برتو کارہا را تا کہ آمد حق و پیدا شد فرمان خدا و ایشان ناخوش دارند و از ایشان است کہ میگوید
سقطوا وان جهنم لمحیطة بالکافرین القراءة وکلمة الله بالنصب یعقوب الباقون من الاخ قلیل شیئا قد معنا العطف
افتادند و بدرستی کہ جہنم ہر آینہ محیط است بکافران
سبیل الله تعلوا الثقة معلم لاحتمال ما بعد الاستیناف والحال لکاذبون عنک لم الا استیناف مع انها الکلام مع الکاذبین و
انفسهم بالمتقین یتردون الفاعد بنا لفسنة لاحتمال ما بعد الاستیناف والحال لهم بالظالمین کارهون ولا تفتنی مقطوع بالکافرین
التفسیر لما شرح معایب هؤلاء الکفار عاد الی الترغیب فی امر الجهاد عن ابن عباس لما نزلت فی غزوة تبوک سنة عشر وذلک انه صلعم لما رجع عن
الطائف اقام بالمدینة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقل الناس لکون الزمان زمان نضج الثمار والخصب ولبعد المسافة ولشدة الحاجة الی
الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسکر الروم ولوجود اسباب الراحة بالمدینة لکون الوقت وقت ادراک الثمار وحصول الغلات روی
ان رسول الله ما خرج فی غزوة یتوک لیستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الی مکان لا مرفاج علیه واسم ذلک النفیر والجمع
النفیر واصل اثاقلتم تثاقلتم کما قلنا فی فاداراتم ومعناه تباطأتم وانما عدی بالی لتضمین معنی المیل لاحد لکقولهم اخلد الی الارض اصله الی
الدنیا ورضیتموها وقیل ارکنتم الی الاقامة بارضکم والبقاء فیها ومعنی الاستفهام فیه الانکار وقرئ اثاقلتم علی الاستفهام للانکار ایضا
فیکون جوابا لما فعلا اخر محذوفا علیه اثاقلتم کنحو ملتم وذلک ان جواب اذا عامل فی اذا والاستفهام لا یعمل فیما قبله ویجوز علی هذا ان یکون الجار
الظرف فیه والعامل فیه ما فی ما لکم من معنی الفعل کانه قیل ما تصنعون اذا قیل لکم وقیل فی الاخرة للبدل کقوله لجعلنا منکم ملائکة فی الارض

التوبة

تخلفون كما مر قبل فقد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضائحهم الى تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه الا طاعة المعبود المستلزمة لثواب الاخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة اى في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويحتمل ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل الى غير المتناهي الباقي والظاهر ان هذا التفاتل يصدق من جميع المخاطبين لا محالة الحقاني هذه الاية على المعصية والضلالة لانه حالما اعطى للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد بعوض الثواب عليهم رغبهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا وربت عليه ثلثة احتمالا الاول قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب الدنيا عن ابن عباس استعفرهم رسول الله ص فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم وقيل هو عذاب الاخرة فان الاليم لا يليق الا بها وقيل انه هدد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما غيركم يعني قوما اخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي عبيدة وقيل ابناء فارس عن سعيد جبير وقيل يحتمل ان يراد بهم الملائكة وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح بقاء الاية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا قال الحسن الضمير لله وفيه ان غنى عنهم في نصرة دينه بل في كل شئ وقال اخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه وعد الله كائن لا محالة في قوله والله على كل شئ قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باي وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالفه كما مر من كان عن الحسن وعكرمة ان الاية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي في الاية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من اهل القبلة لانه وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم وليس على ان القابل هو الرسول ومن قال ان الضمير في قوله لا تضروه عائد الى الرسول فجوابه ان خصوص اخر الاية لا يمنع من عموم اولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق اخر فقال الا تنصروه فقد نصره الله وهذا كالتفسير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد وفيه انه لما اوجب النصرة وقتئذ فلن يجعله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اى اخرجه الذين كفروا من وطن نصره وثاني اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للاخر وواحد منهما وقوله اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد به ههنا نقب في اعلا ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله ص فنزل واذ يمكر بك الذين كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس ما في الغار فقال للرسول ما لك فقال له الرسول مالك فقال بابي انت وامي الغيران ما وا السباع والهوام فان كان فيه شئ كان لابي بكر فحرق عامة وسد الجحرة وبقي جحر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول ثم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا بكا ابو بكر خوفا على رسول الله ص فقال له لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله ص فقال له لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله ص فقال ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال ص ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله ص اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يظنون له فداخل الله ابصارهم عنه استدل اهل السنة بالاية على افضلية ابي بكر وغايته انفراده وظاهره صحبته وموافقته باطنا ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني رسول الله ص في الغار وفي العلم لقوله ما ظنك في صدر شئ لا وصبتي في صاحبي بكر وفي الدعوة الى الله لانه ص عرض الايمان اولا على ابي بكر فامن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول ص في الغزوات وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد اقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله ص وكان ثاني اثنين من اول الامر الى الاخر ولو قدرنا انه توفي رسول الله ص في ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره ولا يكون وصيا لا ابو بكر وان لا يبلغ ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غار ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مستعادا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون كافرا لانه خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه اجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا لكل ثلثة في قوله ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون الصاحب موجبا للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه ص استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الشفقة احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه او يوقفهم على اسراره لو تركه ثم انه حزن لو كان حقا لم ينه عنه فهو دليل وخطاء سلمنا دلالة الاية على افضل ابي بكر الا ان الاجماع على خلافه اشار اعظم من ذلك لما فيه من حظ النفس اجاب اهل

السنة

السنة بان كون الله ذا بعا لكل ثلثة امر بالتزلزل ولو نة ثانى اثنين لتشريف زيد اخص الله ابا بكر به على ان المعتبر هنا الثانى بالغار والتدبير وههنا بالصحبة والرفقة فاحد اهما من الاخرى والصحبة فى قوله قال لصاحبه مقرونة بما تقتضى الا هانة الا ان وهو قوله لا تحزن وفى الاية مقرونة بما يوجب التعظيم والاجلال وهو قوله لا تحزن ان الله معنا قالوا والحجة ان الشيعة اذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبرئيل واستنكروا ان يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذى ذكروه مدفوع بما روى ان ابا بكر هو الذى استأجر الراحلة للرسول وان عبد الرحمن بن ابى بكر واسماء بنت ابى بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما فى الغار وذلك ثلثة ايام وقيل بضعة عشر يوما وروى ان جبرئيل عليه السلام اتاه وهو جائع فقال هذه اسماء قد انتكث بحيسة ففرح بذلك رسول الله ﷺ واخبر به ابا بكر ولو كان ابو بكر قاصدا للصاح بالكفار عند وصولهم الى با الغار ولقال ابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعم لموسى ولا تخف انك انت الاعلى وقول الملئكة لابرهيم لا تخف وبشروه ثم انا لا ننكر ان اضطجاع على ع على فراش الرسول طاعة وفضيلة الا ان صحبة ابى بكر اعظم لان الحاضر على خاطر من الغائب ولان عليا ما تحمل المحنة الا ليلة وابو بكر مكث فى الغار اياما واما اختار عليا للنوم على فراشه لانه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف ابى بكر فانه قد دعا جماعة الى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال وكان غرضه الكفار على ابى بكر اشد من غرضهم على ع ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا الم ما عرفوا ان المضطجع هو ثم زعم اهل السنة ان الضمير فى قوله فانزل الله سكينته عليه عائد الى ابى بكر لا الى الرسول لانه اقرب المذكورين فانا لفقير اذ يقول محمد لصاحبه ابى بكر وكان الخوف كان حاصلا لابى بكر والرسول كان امنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه ازالة الخوف عن غيره وبقوله لا تحزن ولنا سابان يقال فانزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بان قوله وايده عطف فانزل فوجب ان يعود الضمير ان فى حكم العطف واجيب بان قوله وايده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير الا تنصروه فقد نصره فى واقعة الغار وايده فى واقعة بدر والاحزاب حنين بالملائكة والظاهر ان الحزن لا يبعد ان يكون شاملا للنبى ﷺ ايضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا او يكون فى الكلام تقديم وتاخير والتقدير فانزل الله سكينته عليه اذ يقول او يكون فانزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة القى فى قلبه من الامنة الذى سكن عندها وعلم انه منصور لا محالة كقوله فى قصة حنين ثم انزل الله سكينته على رسوله وقوله وجعل بعضهم يوم بدر وسائر الوقايع كلمة الذين كفروا وهى دعوتهم الى الكفر وعبادة الاصنام السفلى وكلمة الله وهى دعوته الى الاسلام او كلمة التوحيد لا الا الله هى العليا وفى توسيط كلمة الفصل اعنى هى تاكيد فضل كلمة الله فى العلو وانها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا احب قراءة نصب لكلمة لان الاجود حين بنى وكلمة هى العليا الا ترى انك تقول اعتقابوك غلاما ولا تقول اعتقابوك غلام ابيك قلت وفى الرفع بقصد الاستيناف وما فى الجملة الا من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا يفعل الا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الامثال ما وصف عقبه بالامر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون اى خفافا فى النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتهم او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا والصحيح انهم المراد نفروا سواء كنتم على الصفة التى يخف عليكم الجهاد معها او على ضدها قال الاكثرون ظاهر هذا الامر يقتضى تناول جميع الناس حتى المرضى والعاجزين وبوبه ما روى عن ابن مكتوم انه قال لرسول الله ﷺ اعلى ان نفر قال ما اسمع لا خفيفا او ثقيلا وعن الزهرى خرج سعيد المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل انك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم تمكنى الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن ابن عمر قال قرا ابو طلحة هذه الاية فقال ما اسمع الله عذر احد فخرج مجاهدا الى الشام حتى مات وقال السدى جاء المقداد بن الاسود الى رسول الله ﷺ وكان عظيما سمينا وشكا اليه وسئله ان يأذن له فى التخلف فانزل انفروا خفافا وثقالا فاشتد شانها على الناس فنسخها الله بقوله لينس على الضعفاء ولا على المرضى الاية وقيل لا حاجة الى التزام النسخ لان هذه الاية نزلت فى غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك انه تخلف من النساء والرجال اقواما فذلك يدل على ان هذا الوجوب ليس على الاعيان لكنه من فروض الكفايات فمن امره الرسول منهم بان يخرج لزمه ذلك ومن امره ان يبقى لزمه ان يبقى ولقائل ان يقول لا نزاع فى الضعفاء والمرضى ثم قال وجاهدوا باموالكم وانفسكم وفيه ايجاب للجهاد بهما ان امكن او بالنفس ان لم تكن مال زائد على اسباب الجهاد او بالمال بان يستنيب من يغزو عنه ان لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعنى انه خير فى نفسه وانه خير من القعود لما فيه من الراحة

التوبة

والدعة والنعيم العاجل وانما قال لو كنتم تعلمون كان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل فلا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اي لو كان المدعو اليه غنيمة سهلة المأخذ والعرض ما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة المأخذ وسفرا قاصدا اي وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد اي ذو قصد لان كل احد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة بالبعد مبالغة نحو جد جده ومحصل الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لا متبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولكن لما كان السفر شاقا كانوا لا يأبون من الفوز بالغنيمة ثم اخبر انهم سيجدهم اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريق اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا قيل في الآية دلالة على ان قوله ايفاء واخطاب للمستطيعين والا لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة مع الفعل والا لما كذبهم الله نعم فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبي فيها دليل على فساد قول من قال لا يجوز ان يريد الله ما كان لهم زادا ولا راحلة ولا يريد بنفس القدرة قلنا ان من لا زاد له ولا راحلة له يعد في ترك الخروج فمن لا قدرة له اولى وبقية الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا اريد بها المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا بد وقت واحد فان الانسان الجالس في مكان لا يكون قادرا في هذا الزمان على ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فسقط السؤال وللقائل ان يقول انهم ان كانوا عاجزين عن القتال لا انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال مع وجود السؤال قال في الكشاف لهلكون بدل من سيحلفون او حال لانه يقع لها في الهلاك بحلفهم الكاذب وحال من ضمير خرجنا اي لخرجنا معكم وان لقينا انفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم بقيا لحلف بالله ليفعلن او لا فعلن فالعبرة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم واخره على العبرة ولعل الصحيح ان لو قيل لخرجنا معكم لهلكنا انفسنا والله نعم اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما لكنه عنه بالعفو فالفائدة عرفوا ما يمون شيئا فشيئا فعلما الرسول ليؤمر بها اذ نه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فتقدمون امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري وضحى الله عنك ما جوابك عن كلامي ووقال الله الاعرف حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل المحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جملة ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه ع اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يثبت ومنع والا كان خاصا بل كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون مجردا للشهوة فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطاء واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن الحيل وترك الاغترار بظواهر الامور وقال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال المؤلف يحتمل ان يريد بقوله اذنت لهم الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون الخروج صوابا ويكون عينا للمنافقين واذا كان هذا محتملا فلا يتعين الآية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان سياق الآية يدل على ان الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه لبين من عادة المؤمنين ان يستأذنوا لان لا يشتبه الامر من علامات النفاق فقال لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر بان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا يستأذن البتة في الجهاد وكانوا يحثون اوامرهم بالقعود شق عليهم ذلك لانهم رأوا في ذلك لما لبة لما امر الرسول به بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كاضمار الجار والتقدير ان لا يجاهدوا والاول سياق الآية يدل على ذم من يستأذن في القعود وعلى هذا يمكن ان يقال معناه كراهة ان

يجاهدوا

يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمنافقين رمز الى انهم من جملة المنافقين وان لهم قوابهم ثم بين الذين من شانهم الاستيذان فقال
انما يستاذنك الاية وفيه ان السائل في امر الدين وفي اصوله لا في بعض مسائله غير مومن بالله لعدم وفيه ان محل الريب والمرية هو
القلب وان الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والالم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان السائل متردد
بين النفي والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقديره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما اولا والجازم ان كان غير مطابق فهو
الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة او نظر فهو العلم اولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عند فالراجح
هو الظن والمرجوح هو لوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شان صاحبه كما ان الثبات
والاستقرار ديدن المستبصر قال المفسرون ان المستاذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلثين رجلا ممن نفى على المنافقين سوء حالهم
فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس بريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد
فذكر العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن
كره الله انبعاثهم اى انطلاقهم فثبطهم والتثبيط الاستدلال عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا
الخروج يعطي معنى نفي الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما يقول ما احسن الي فلان ولكن
اساء الي ومثل هذا يسمى في علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تاكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم
مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب ان كان مفسدة
لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام
الصواب بطريق الوحي وكذا على قول ابي مسلم وتمامه هو انه تعالى اذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الى
طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله
قل لن تتبعونا واما عندنا فانما حظا الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه اذن لهم قبل اتمام التفحص وكمال
التدبر ولانه لو لم ياذن لهم منهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الى
اظهار نفاقهم بوجوه اخر الا على هتك استارهم وكشف اسرارهم قال المعتزلة البصرة في الاية دلالة على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة
كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشيء وزيف بان العدم لا يصلح ان يكون متعلق
الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة صفة تقتضي ترجيح احد طرفي
الممكن على الاخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم عبارة عما صل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة
تحصيلا للحاصل وايضا عدا الشيء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم
كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة او قول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجتماع على التخلف
او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استاذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا
قد اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اى لم ذكرت هذه اللفظة التي امكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله
مع الخالفين عد ذمهم لهم وتعجيزهم والحاقا بالنساء والصبيان والزمنى الذي شانهم المجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف فقال
المفسرون لما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره على ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
ولم يكن بما قبل العسكرين فلما سار رسول الله ﷺ تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى
يعزيه بنبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على
ان التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه الحبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبي الا شرا
وقال سلمان لا مكروا ولا ضحاك الا غدرا وقيل الا خبثا وقيل هو الاضطراب في الراي وذلك بتزيين من لقوم وتقبيح من خر
الاول قوله ما زادوكم الا خبالا ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف ذلك في الكتابة لان الفتحة كانت تكتب الفا
قبل الخط العربي اخترع قبل نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحو
اولا ذبحنه في لمعل ولا توهما في الاحزاب والاربع لها في القران وفي الابضاع قولان لاهل اللغة فقال اكثرهم هو متعد يقال
وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولا وضعوا ركابهم وقال الاكثرون
وابو عبيدة انه جاء لازما ويقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي ان النبي ﷺ افاض من عرفة وعليه السكينة

التوبة

واوضع فى وادى محسر اى اسرع قال الواحدى والاية تشهد للاخفش وابى عبيدة وعلى القولين المراد فى الاية السعى بين المسلمين بالتضريب والنميمة والمبالغة فى الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشى ومعنى خلالكم اى فيما بينكم والخلال الفرجة فيما بين الشيئين ويبغونكم الفتنة اى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وابغ لى اى اطلبه لى وهذا معنى الفتنة هنا اقرأ ان الكلبى والتويل فى المقاصد فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل اختلاف الاراء ومن الثانى المشى بالنميمة لتسهيل ذلك الامر واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام اولمن جبل على الجبن والغشل اولمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف يخيف واهل الحق من مبطل فانو وبهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وعزمهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتقرير كيد اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثنى عشر رجلا من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى ﷺ وقيل المراد ما فعله عبد الله بن ابى يوم احد حين انصرف عن النبى ﷺ مع اصحابه ومعنى الفتنة هى تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور حتى فوضها ودبر واكل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان ذا راى حول مصايد المكايد حتى جاء الحق الذى هو القران وظهر امر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم فى نحورهم والى بعضه مفصوله ولما كان الاركان فى الماضى فكذا يكون الحال فى المستقبل لقوله وابى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة وهى الاثم بان لا تاذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل السخرية او على نسبيل الجد بان كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتنى لانى لا تلقنى فى الهلكة فانى ان خرجت معك هلكت مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء الروم ولكنى اعينك بمالى فاتركنى فاعرض عنه النبى ﷺ وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال له رسول الله ﷺ ابنى سلمة وكان يجلهم منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبى ﷺ واى داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفحل الجعد بشر بن البراء بن معرور الا فى الفتنة سقطوا اى الى الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكاليف المستتبع لشقاء الدارين وهذا خبر الاية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما فى الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من البغى عليهم بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار واما فى الاخرة فلما هو حالهم اى لذلك حالهم فى الاخرة من النار والنار ويل لها الارواح والقلوب المؤمنة ما مصيبتكم وبلواكم اذا قيل لكم بالالهام الربانى اخرجوا من الدنيا ومافيها فى طلب الله والسير اليه اما قلتم الى ارض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من حبس الدنيا وقيودشهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية ويالها لبعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة الصادقة بل من العقول الكاملة المفارقة لا تضروا رسول الانوار الربانى فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اى النفوس الامارة الكافرة من ارض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذهما فى غار العدم وكلمة الله هى العليا يجعل النفس المطمئنة ايضا ترجعى واصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علايق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها اوخفافا مجردين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا بقدمى بذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لانا الحاصل من المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها وسفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون بعنى ايمانا لمفوس لخرجنا معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهم فى دينهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا داعية الخروج الى الانوار الروحانية لا عدوا له عدة وهى متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم فى سجن البشرية ما زادوكما لا خبالا فيه اشارة الى ان قعود اهل الطبيعة فى حبس البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا عن بيته صادقة وعزيمة صالحة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة لاقوالهم وافعالهم واحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح فى شهواتها حتى جاء الحق وهو العقل القابل للاوامر الشرع وظهر امر الله وهو التكليف ومنهم من صفات النفس من يقول وهو الهدى ائذن لى فى القعود

الجزء الثامن

عن الارتقاء فى مدارج المعارف والمشارع ولا تقنعنى بما روح بتكليفى ما ليس من شانى وذلك ان الهوى مركب المحبة لستعمل الروح
فى رضاء عدالى ذروة الكمال والوصال الا فى الفسنة سقطوا اى ان فتنة الهبوط هى الفتنة بالحقيقة وان جهنم البعد والقطيعة
من لوازم كفار النفس ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد اخذنا امرنا من قبل ويتولوا وهم
وصفانها اعاذنا الله عنها اگر برسد تو را نيكوئى اندوهگين شوند ايشان واگر برسد تو را مصيبتى
گويند بدرستيكه فراگرفتيم كار خويش از پيش خود ومى گردند شادمان
فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولينا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين
بگو رسيد بما
ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا
خدا ما را او خداوند ماست و بر خداى بس بايد عاها كنيده كردند كان بگو چشم بداريد ما را
او كرها لن يتقبل منكم انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا
بگو نفقه كنيد بطوع
يأتون الصلوة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ولا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله
پس مگردانند ايشان را
ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم
ودر زندگانى دنيا وبگذرد جانهاى ايشان وايشان كافرانند وسوگند ميخورند بخدا ايشان
قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات
گروهى ميترسند يا غارها يا سوراخها كه درو روند ايشان ازان ناگاه ايشان بدو بگردند شتابنده
فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا
پس اگر بدهند ايشان را ازان خشنود شوند واگر ندهند ايشان ازان ناگاه ايشان خشم گيرند
الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون
بدرستيكه خدا داد ما را خدا
فليح وقراءة حمزة وعلى وهشام مدغما حيث لا يجتمع ساكنان
از فضل خود وبدرستيكه پيغمبر او بسوى خدا راغبند گانيم
الباقون باظهار اللام وتخفيف التاء لن نقبل بالياء التحتانية حمزة وعلى وخلف الباقون بالفوقانية مدخلا بضم الميم وسكون الدال
سهل ويعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة حيث لمرك بضم الميم سهل ويعقوب الاخرون بكسرها سوى عباس فانه مخير الوقوف
تؤدهم لابتداء شرط اخر مع واو العطف ونحن لنا للابتداء لفظا مع الاتحاد معنى هو مولينا الابتداء اخبار من الله او الحكاية
عنهم المؤمنون الحسنيين للاستيناف بعد تمام الاستفهام بايدينا او لوصل صح لان الفاء جواب نتربص متربصون منكم فاسقين
كارهون ولا اولادهم كافرون لمنكم يفرقون يجمحون الصدقات للشرط مع الفاء يسخطون ورسوله لان الكل
القرآنية هل تربصون باظهار اللام وتشديد التاء البزى وقنبل
يتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف اى لكان خيرا لهم التقسير هذا نوع اخر من خبث ضمائر المنافقين عن ابن عباس الحسنة فى يوم
بدر والمصيبة فى يوم احد والاولى حمله على العموم اذ معلوم من حال المنافقين انهم كانوا فى كل حسنة وعند كل مصيبة بالوصف الذ
ذكر الله تعالى فى معنى اخذنا امرنا اى امرنا الذى لحق موسومون بمزيد الحفظ والتحرز وحسن الراى والتدبير ومن قبل اى من قبل ما
وقع وقولوا اى عن مقام التحدث بذلك الى اهاليهم او اعترضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر بنبيه ثم بان يقولوا فى
جوابهم لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا قيل اى فى اللوح المحفوظ من خير او شر او خوف او رجا او شدة او رخاء وفائدته اذا علم
الانسان ان الذى وقع امتنع ان لا يقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال ذلك عنه منازعة النفس وهانت عليه المصائب
وقيل اى فى عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دين الله على كل الاديان فيكون المقصود ان احوال المسلمين وان كانت مختلفة
فى الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة تكون لهم وانظر بقع من جانبهم فلا معنى لفرح المنافقين فى الحال وقال الزجاج
معناه لن يصيبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة علينا او الشهادة وعلى هذا القول يقع ما فى الاية الثانية كالمكرر هو مولينا
لا يتولى امورنا الا هو يفعل بنا ما يريد من اسباب النجاة والتعازى لا اعتراض لاحد عليه وعلى الله فليتوكل المؤمنون فيثبت
على ان المؤمن يجب ان لا يعلق الرجاء الا بمسبب الاسباب فانهم يتعلقون بالوسايط والاسباب ثم امرهم بالجواب ثان فقال هل تربصون
بنا الا احدى الحسنيين التربص لتمسك بما ينتظر به مجئ حسنة ومنه تربصوا بالطعام اذا امسك بربه الحين زيادة سعره والحسنى تانيث
الاحسن وهى صفة الخاصة او الخصلة او العاقبة يعنى النصرة او الشهادة وفى الاولى احراز الغنيمة والظفر بالاعداء وفى الثانية
ابقاء الذكر والفوز بنعم الاخرة ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقيل عذاب الله يشمل عذا

التوبة

الدارين او يابينا بعنى القتل بان يظهر نفاقكم ويامر بقتلكم كالكافر الحربي فربصوا امر الله بنا بخوف انك انت العزيز الكريم ثم ذكر انهم ان تولوا عن صورة البر لم يكن لهم قدر عند الله ولا ينتفعون بمعنى الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي ﷺ ائذن لي في القعود وهذا مالي اصيب به ولا يبعد ان يكون السبب خاصا والحكم عاما وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله فيما يجيء استغفرلهم او لا تستغفرلهم ومعناه انفقوا او انظروا هل يتقبل منكم واستغفرلهم او لا تستغفرلهم وانظر هاهنا ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير لعزة اسيئي بنا او احسني لا ملومة كانه يقول امتحني لطف محلك عندي وعاملني بالاساءة والاحسان وانظر بي هل تجدني مني تفاوتا في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه وبعد عن الاصلاة افادة المبالغة وانتصب طوعا او كرها على الحال ومعناه طائعين من غير التزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامه اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم او ملزمين من جهتهم وذلك ان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا راوه مصلحة ومعنى ان يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم او امنه لا يقع مقبولا عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي في هذه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان يقبل منهم الا بانه علل منع القبول بامور ثلثة اولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انهم ان كانوا في جماعة صلوا وان كان وحده لم يصل وقيل انه يصلي للناس لا لله وقيل انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكفر وثالثها ولا ينفقون الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان انفقوا مختارين بعد ان الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله ﷺ اد وا زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم فهل الكفر بالله سبب مستقل في منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الاخرين والجواب انها امارات ويجوز تقارن الامارات المتعددة على شيء واحد وبوجه خاص اطلق كفرهم اولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من انواع كفرهم هذين تقطيعا لشان تارك الصلوة والزكوة قال في الكشاف وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله ﷺ كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الاية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى تاثيره في تخفيف العقاب ولقائل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الاية دلالة على ان الصلوة لا تزم للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من قبولها غاية ما كان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم على وجه الكسل ليس مانعا من القبول بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع الدنيا فهو ايضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول ﷺ او لكل احد فلا تعجبك الاية ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اي ان يكن فيهم ما ذكرنا من الاتيان بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجيء في الاية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور لما يستحسن مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه او ما هو من البعيد في حكم الله ان يهمل ذلك الشيء عنه ويحصل لغيره كقوله ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله ومن جهة استتباعها الكبر في قدرة الله ولهذا قال ﷺ ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الاية زجر الناس عن الاعتناء بامر الدنيا والمنع من اتيانك في جمعها فان المسكين الاصلي هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعاده كما مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدي وقتادة في الاية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة كانهم نظروا الى ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم والتاخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب في الدنيا ايضا وبوجه اخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة فاي فائدة في ذكرهما واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب في الدنيا والاخرة وذلك ان كل ما كان حب الشيء اشد كان خوفه عن فواته اكثر وحزنه على فواته اعظم وصاحب المال ابدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر المال انصب بكليته اليه ويفضي الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى حب الله وذكر الاخرة ثم ان بقي عليه ذلك الى اخر عمره عند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وعذاب

الحشر يكون حلالا له عذابا وحراما عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الذابين الامن تصرف فيه بالحق ومثله يكون نارا وكذا الكلام في قوله وهذا الغني وان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الاخر علم انه خلق للاخرة لا للدنيا فيصير حبه للامور الدينية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وايضا ان النبي ﷺ كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة آخروية وكانوا في اشق تكليف كانوا مبغضين للنبي ﷺ مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى الجهاد مستورين وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اولادهم واموالهم للنهب والسبي وكثيرهم كان لهم اولاد اتقياء مخلصون كحنظلة بن ابي عامر غسيل الملائكة وكعبد بن عبد الله شهيد بدر وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يتربصون طرقا بانهم في النفاق ويقدحون فيهم الاترى اذا صاهر انسان ذا ذي الاب فسبه لاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان المقدر يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان المرض اذا قال الطبيب انه يدخل على فلان المرض لم يلزم منه كونه مريدا للمرض نفسه فالجواب ان مثاله هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قولنا المريض لا يريد ان المطلوب هو دخول الطبيب فيكون الدخول واقعا في تلك الحالة من حيث ذات كونه مريضا وهو طبيعي في الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريدان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم لما على دينكم ثم قال وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون بخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مفرا لخصوصين فيه امنين على انفسهم منكم لفروا اليه لغاروا فوكه فلانظنوا ان موافقتهم اياكم في الدور والمسكن من صميم القلب قال المغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغار الانسان فيه ان يستقر والمدخل بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما والمدخل يقع من الادخال ومعناه المسلك الذي يندس بالدخول فيه قال الكلبي في ابن زيد نفق كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى عنه اذا صرف فروهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة نفاقهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلثة اشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون والغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالابار والله تعم اعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الواحدي لمزه واللمز بكسر الميم وضمها اذا عابه وطعن فيه قال الليث فقال اللمز العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في اخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده عنوة معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم الثاني ان يقال هب انك تاخذ الزكوات الا انك ما تاخذ كثيرا وجب ان تقنع بالقليل من ذلك الثالث هب انك تاخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب واقعا في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم اراده عن ابي سعيد الخدري بينما نحن عند رسول الله ﷺ نقسم غنائم حنين قال له ابن ذي الخويصرة واس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فقد خبت وخسرت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله ﷺ الا ابالي اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله ﷺ احدوا هذا واصحابه فانهم منافقون وحمل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب نفسهم لا لله بين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله ﷺ استعطف قلوب اهل مكة بوفور الغنائم عليهم ففتحوا لها افواههم ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدة ان يعلم ان الشرط مفاجاة الجزاء ومتبعه علية ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على اربع مراتب الاولى الرضا بما اتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكلما كان حكما له وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر المحيب الثالث ان نزل من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في عينه اخرى فالاولى ابتغاء الرغبة الى الله بان المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان والطاعة والمال والمنال هو رضا الله عز وجل ولما ذكر عيسى عليه الصلوة والسلام مرة يقوم يذكرون الله فقال لها الذي يحلكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم اخرين يذكرون فقال لها الذي حملكم عليه فقال الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسالهم فقالوا لا نذكر الخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وغزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحقون الناولان تصيبك بارد حسنة من عواطف الحق تحزن النفس

وصفاتها فيها تطفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من المرائح الحيوانية لما خالفنا في السير
الى العالم الروحاني فلا يارد وح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا علينا فان الفقرات والوقفات للتربية لا للرد والنظر وقل هل تربصون
بنا ايها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحساد والعواطف الربانية والوقفة والفقرة الموجبة لحسن التربية بعذاب من
عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما وبايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا
او بناء وكرها اى نفاقا ان يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل
القلب بدون الجوارح مقبولة لقوله صلعم نية المؤمن ابلغ من عمله وباقي الايات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة
الخلاق وحال انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفي سبيل الله
المخلص بالعكس بدستيكه اداين صدقات مر درويشان راست نه توانگران وبيچارگان وفي الرقاب الكسنده كان اند در بندگي
وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن
وراه گذريان واجب شده از نزد خدا وخدا داناى حكيم كارهاست وازايشانند كه بيغمبر را وميگويند او گوش نوشنيدنيها گوشنوازست
خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم
مژده ازشما گرويدن بخدا وگرويدن مركرويدگانرا ورحمتي مرايشانرا كه گرويده اند ازشما وناگرويدگان بر ايشانند عذاب دردناك
يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله
سوگند ميخورند بخداى شما تا راضى كنند شما را وخدا ورسول او سزاوارتر بآنكه راضى كنند اورا اگر باشند گرويدگان آيا ندانستند كه هر كه كارزار كند با خدا
ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم
ورسول او پس مر اورا آتش دوزخ جاويد باشند در آن خوارى بزرگ ميترسند منافقان كه فرستاده شود بر ايشان سوره كه آگاهى دهد ايشان را
بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل
بآنچه در دلهاى ايشانست بگو استهزا كنيد بدرستيكه خدا بيرون آرنده است آنچه از آن بيم ميكنيد واگر پرسى از ايشان هر آينه گويند ما در حديث ميگذشتيم وبازى ميكنيم بگو
ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم
آيا بخدا وآيات او ورسول او استهزا ميكنيد عذر مخواهيد بدرستيكه كافر شديد پس از ايمان شما اگر درگذرانيم از گروهى از شما
نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يامرون بالمنكر وينهون عن
عذاب كنيم گروهى را بآنكه ايشان بوده اند گناهكاران منافق ومنافقان بعضى ازايشان از بعضى اند ميفرمايند بناشايسته وباز ميدارند از
المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون وعد الله المنافقين والمنافقات
بكوفى وباز ميچينند دستهاى خويش فراموش كردند خدا را پس فراموش كرد ايشانرا بدرستيكه منافقان ايشانند كه از فرمان بيرون شده اند وعده داد خدا منافقان ومنافقان را
والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم
وكافران را آتش دوزخ جاويد باشند در آن بس است ايشانرا ولعنت كرده ايشانرا خدا ومر ايشانرا عذاب خشنده بدوزخ آنكه چون ايشانند بوده از شما كه سخت تر از شما بودند
قوة واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
قوة ودسيار مال وفرزند ايشان پس برخوردار گردانيدند بنصيب خويش پس برخوردار گرديد بنصيب خويش چنانكه برخوردار گردانيدند آنكه پيش از شما بودند
وخضتم كالذي خاضوا اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون الم يأتهم
ودر حديث شديد چون آنكه در حديث شدند انكرده باطل ايشان كردار ايشان در دنيا وآخرة وايشانند زيان كاران الم نيامد
وبالرفع الم يعلموا بناء الخطاب جيلة عن المفضل الباقون بناء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير
المفضل الباقون على البناء للمفعول وبناء الغيبة في الاول وبناء التانيث في الثاني الوقوف وابن السبيل اى فرض الله فريضة من
الله حكيم هو اذن امنوا منكم ليرضوكم لاحتمال الواو الحال والاستيناف مؤمنين خالدين فيها العظيم بما في قلوبهم استهزؤا
لاحتمال في ان للتعليل تحذرون ونلعب تستهزؤن بعد ايمانكم مجرمين من بعض كلاهما بصيغة الجمع صفة لبعض المنافقين وهي صفة
لكلهم ايديهم فنسيهم الفاسقون فيها حسبتهم لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود في تمام الجزاء ولعنهم الله لذلك مقيم بناء على لفظ
الكاف واولادا خاضوا والاخرة الخاسرون التقدير ان المنافقين المازوا الرسول في قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها
كيلا يبقى لهم طعن اذا وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الاية وفي تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد
في الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روى انه صلعم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع في الراس
وناء في البطن ولنتكلم في تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثاني الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون

الفاء
الشفعة

لا بقى لخلهم بخرجهم انما الكلام فى انهما متساويا الدلالة او احدهما اسوء حالا فعن ابى يوسف ومحمد والجبائى انهما واحد حتى لو اوصى لزيد وللفقراء والمساكين بمال كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائى انه تعم ذكرهما باسمين لتؤكد امرهم فى الصدقات والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كسابرهم وعند الشافعى الفقير اسوء حالا لانه تعم اثبت الصدقات لهؤلاء الاصناف رفعا لحاجاتهم فالذى وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعا الفقير بالشدة العظيمة قولهم تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهى وروى انه كان يتعوذ من الفقر وقد سال المسكنة فى قوله اللهم احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فكانه سال التوسط الحال ولهذا المانوفى رسول الله ترك اشياء معلومة مع انه تعم اجابت غاية ظاهرا فانه مسكينا وتقييده تعم المسكين بقوله زاهرة يدل على ان المسكين قد لا يكون كذلك وقال تعم اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذى لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه الطواف الذى يسال الناس فى الغالب انه يحصل له منهم شئ وقريب منه قول من قال سمى مسكينا لانه لدائم السكون الى الناس ولما كان المسكين هو السائل قلنا فالمحروم فى قوله سبحانه وفى اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب المخمصة وان اتفق الناس على ان الفقر ضد الغنى ولم يقل احد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل الترغيب هو ضد التمسكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوء حالا لقوله تعم اد مسكينا ذا مترية وقد تقدم الكلام عليه لانه تعم جعل الكفارات من لا طعمة له وكافاقرا عظم من الجوع ونقل الاصمعى عن ابى عمرو بن العلا ان الفقير الذى له ما يا كل والمسكين هو الذى لا شئ له وقال ابو يوسف قلت لاعرابى افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمى مسكينا لانه لسكون حيث يحصر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذى المترية وهو الفقير بعينه وانما النزاع فى المسكين المطلق والروايات متعارضة بامثالها والله اعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال البر عز وابن الزبير والشافعى يعطى هؤلاء اجورا مثالهم لانها اجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من الثمانية والصحيح ان الهاشمى والمطلبى لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله ص لما بعث ابا رافع عاملا على الصدقة وقال انما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التقدير بعلى التسليط والولاية فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا فى ان الامام هل له حق لانه هو العامل فى الحقيقة او لاحق له لحز وجه عن الاصناف والجمهور على ان العامل يا خذ نصيبه وان كان غنيا لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا يا خذ مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول الله ص يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصين اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع فى الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم يكن ما اعطاهم من الصدقات وروى عن ابى بكر الصديق انه اعطى عدى بن حاتم لما جاءه بصدقات قومه ايام الردة والذى استقر عليه راى الائمة ان المؤلفة ثلثة اقسام ضعيف النية فى الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمنافق على جهاد من يليهم من الكفار وما فى الزكوة حيث يكون ذلك ناهون للامام من بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتالفون لدفع الشر بمال فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبى ص يعطيهم من خمس الخمس والان لا يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس فى الآية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغى ان يقال ان حكم الآية منسوخ الصنف الخامس فى قوله وفى الرقاب قال الزجاج تقديره وفى فك الرقاب والائمة فى تفسيره اقوال الاول عن ابن عباس انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعى قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شئ او لا يفى ما فى ايديهم بنجومهم صرف اليهم والى سيدهم بادنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن ابى حنيفة واصحابه وهو قول سعيد جبير انه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها فى رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفى الرقاب يقتضى ان يكون له فيه مدخل وذلك بنافى كونه تاما فيه وقال الزهرى سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب من صلوا وصاموا وقد اسلامهم فيعتقون قالا المفسرون انما عدل عن اللام الى فى الان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا وفى الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة فى الصنف الذى لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففى الرقاب يوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم عن الرق او الاسر ولا يدفع اليهم وفى الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفى الغزاة يصرف المال الى عدة ما يحتاج اليه الغزو وفى ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال فى الكشاف انما عدل للايذان بانهم ارسخ فى استحقاق التصدق عليهم من سبق لان فى اللام فيه برعلى انهم احقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكرير فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضيل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين الصنف السادس الغارمون قال الزجاج اهل الغرم لزمهم وما يستحق سمى المستوعر لما لكونه امرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمى الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المديونون والدين

التوبة ٦٠

ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الآية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الآية سواء حصل بسبب نفقات ضرورية او اصلاح ذات البين وان كان متمولا او الضمان ان اعسر هو والاصيل وكل داخل في الآية دون الاصنام في تفسيره انه لما قضى بالغرة في جنين قالت العاقلة لا اهلك الغرة يا رسول الله فقال لحملها بزمالك اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان حمل على الصدقة بؤمئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شئ وان قدر على بعض اعطى الباقي الصنف السابع قوله في سبيل الله يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان يأخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيد وقال ابو حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الآية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها في سبيل الله الصنف الثامن ابن السبيل وهو المسافر لاجل معصية يعطى ما يبلغ المقصد وموضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي يدخل في المسافر الشاخص من وطنه او من بلد كان مقيما به منشأ للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع اخر خذ من اموالهم صدقة ولقوله تعالى ليس البر فيما دون حسنة او سق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال يدخل والفائدة ان تعلم ان مصارف جميع الصدقات ليست الا هؤلاء الاصناف والاقرب اختصاص الآية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا الزكوة تدل على الحصر في الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى وكان الصدقات ينصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الحكم الثاني في الآية دلالة على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوات ويؤكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل اخر كقوله وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليهما ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفرقة بنفسه افضل الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وابن حذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابي العالية والنخعي لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل جزء من اجزاء ها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين لوقع كل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به فهم معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فخرجتهم بها كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة في معرض الكتاب ثم اكدها بقوله فريضة من الله وهو في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في قوة قوله فرض الله الصدقات لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الآية وعن النبي ﷺ ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها بنفسه ثم ختم الآية بقوله والله عليم اي بتقدير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الاصوب الاصلح وكل هذه المؤكدات دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكوة ومن ههنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلثة لانه تعالى ذكر اكثر الاصناف بلفظ الجمع وثلثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث قال مقبول على لا اقسم الا الثلث لان التفضيل في اوزار الصنف جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع العاملون والمؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فبقي ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة الباقية كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجد وا فيه جميعا والاحوط رعاية التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي ما اذا لم يفعل ذلك فانه مجزئ عند سائر الائمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على الشهوات والمآرب لكن الاستغراق في حبه يدهل النفس عن حب الله وعن المذاهب للاخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال اخراج طائفة منه كسرا للنفس ومنعا من ارتضائها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب وهو المراد من قوله تعالى من اموالهم صدقة تطهرهم اي عن دنس الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال توجب قوة والقدرة والشدة وتزايد تلك اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فيصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا اخر فاثبت الشرع لها مقطعا واخرا وهو صرف طائفة من المال فحطب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا اخر له ويقضي في الاغلب الى الطغيان ومناوءة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعليم لامر الله وعلمية وكمالها في الشفقة

على خلق الله فاوجب الله الزكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الخلق وامدواله بالدعا
والهمة وايضا المال يسمى مالا لكثرة ميله الى كل احد وهو غادر رايح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقى
بقاء لا يمكن زواله وفى انفاق المال تشبيه بالجريان والمفارقة وليس الغنا الا عن الشئ لا بر لان الاستغناء عن الشئ صفة
الحق والاستغناء بالشئ صفة المخلوقين العاجزين ففى الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة اذنى الى درجة اعلى وايضا
للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح فى الاستغراق فى بحار معرفة الله وبذل البدن فى العبودية لله والصلوة له فكيف
يليق به ان لا يبذل المال فى ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحضر انسان اخر محتاج فههنا حصل سببان
كل واحد منهما موجب تملك ذلك المال اما فى حق المالك فهو انه سعى فى اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما فى الفقير فلاجتماع
الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب
المالك لان له حقوا لاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين
المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل فى الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا
انه القاها فى ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملأ بطنه وكم من غافل يبتلى بنعمنا عفوا صفوا ولئلا يستبعد
ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة من مال الخزانة الى المحتاجين من عبيدى وايضا ان الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح
مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها او على الالحاق باعداء المسلمين
وقال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعالى يقول للغنى اعطيتك المال فشكرت وضربت من الشاكرين
فاخرج من يدك نصيبا منه حتى يصبر على فقدان المال فضربت من الصابرين ويقول للفقير منعتك المال فصبرت
فضربت من الصابرين ولكنى اوجبت على الغنى ان يصرف الى بعض طائفة من المال لتشكر فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه
ان يكون الغنى منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغنى بما قبله منه ليحصل الخلاص فى الدنيا من الذم والعار
وفى الاخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا اخر من فضايح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صلعم على وجه الطعن والذم
هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبى صلعم ويقولون ما لا ينبغى فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه فما نقول فقال نحلف
نخاف ان يبلغه ما نقول فانما محمد اذن سامعة فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد
اذن سامعة فنزلت الاية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت فى رجل من المنافقين يقال له نافل بن الحرث وكان وجلا
احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذى قال فيه النبى صلعم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نافل بن الحرث وكان
فيهم حدثنا النبى صلعم الى المنافقين فحقر له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه يقول ما شئنا ثم نأتيه فنحلف له فيصدقنا
وقال السدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت وودیعة بن ثابت فاراد وان يقعوا فى النبى صلعم وعندهم
غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا ان كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمر فغضب الغلام وقال
والله ان ما يقول محمد حقا وانكم لشر من الحمر فمشى الى النبى صلعم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبوا
وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الاية ان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذى
يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمى بالجارحة التى هى الة السماع كان جملة اذن سامعة ومثله قولهم للرئة عين منه
اذا قوى النبى صلعم يقولون له هو اذن وذلك انهم قصدوا به المدح وانه ليس كذلك ولا بعد عندى بل هو سليم القلب سريع
الاعتراف بكل ما يسمع ويجوز ان يراد به الايذاء انواع اخر سوى هذا القول اى يؤذونه بالعيبة والنميمة وسائر انواع الايذاء
ويقولون فى وجه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كل ما يسمع فنحن نأتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فنزه الله نبيه عن ذلك
عن قولهم فقال قل اذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز الاضافة هو المراد بسورة كانه قيل
نعم هو اذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن فى غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير عطف
الخاص على العام اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اى يقر به ويعترف
بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين يسلم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من اهل الغرة
والبله وهو رحمة للذين امنوا منكم بالسان دون الجنان لانه يجرى امرهم على الظاهر ولا يبالغ فى التفتيش عن بواطنهم فان الله
هو الذى يتولى السرائر وهذا اخر الامر بقوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم واما من قرا اذن خير بالرفع منهما فعلى ان
خبر مبتدا محذوف اى هو اذن خير لكم اى هو اذن موصوف بالخيرية فى حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن
جهالاتكم فتحفظ بذلك دماءكم واموالكم وقيل التقدير قل اذن واعية سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم

التوبة

تقدير ردد

ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الظن وهو قوله تؤمن بالله الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم استحسنه الواحدي وهو ان قوله اذن وان كان رضا في الظاهر لكنه مضى في الحقيقة على الحال وتأويله قل هو اذن اخير لكم ثم ذكر ان من قبايح المنافقين اقدامهم على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه اى كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى بالاخلاص والتوبة لا باظهار ما لا يستبطنون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر والمراد والله احق ان يرضوه ورسوله كذا ووقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شئ واحد كما بقي احسان زيد واجماله بعشرة دراهم معناه ان كنتم مؤمنين اى بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال ذلك لمن يولع في تعلم مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وتحاشى النبي صلعم طال مكثهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه في الطاعة والضمير في قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل والمحادة المخالفة لان كلا منهما في حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما في شق اخر وقال ابو مسلم هي من الحد بحد السلاح ثم ذكر في الجزاء وقوله فان له بالفتح اى فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتاكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على انه وجواب من محذوف وهو هلك قال الزجاج بجوز كسر ان على الاستيناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبي في تفسيره انه قرا بالكسر قال السدي يعني المنافقين والله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شئ فيفضحنا فانزل الله تعالى يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشي علينا سرنا فنزلت والضمير في عليهم وفي نبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم فهي نازلة عليهم وكانها تخبر عما في بواطنهم وتدل على اسرارهم قيل المنافق كافر فقبل تحذر نزول الوحي لا تذعر قابل به واجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة او كفرهم كان كفر عناد او كانوا شاكين في صحة نبوته والشاك في امر خائف من وقوعه او هذا الخبر في معنى الامر اى احذروا المنافقون عن ابي مسلم انهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله استهزؤا وهو امر تهديد بدليل انه تعالى مخرج ما يحذرون يظهره والمعنى انه منزل عليكم ما تحذرونه من نفاقكم او محصل انزال السورة لان الشئ اذا حصل بعد عدم كان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود وقيل وان سالتهم الاية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال في غزوة تبوك ما رايت مثل هذه القراء اعب بطونا اى اوسع ولا اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعني رسوله واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله فوجد القران قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلعم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله انما كنا نلعب ونتحدث بحديث نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابي شد قدام رسول الله صلعم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب والنبي صلعم يقول بالله وبرسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن قتاده بينا رسول الله صلعم يسير في غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله صلعم انما كنا نخوض ونلعب قال الواحدي اصل الخوض الدخول في مايع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول فيه تلويث واذى كما نخوض في الباطل كما نخوض الركب لقطع الطريق ثم امر نبيه بان يقول في جوابهم بالله اى بتكليفه وبرسوله وبقدرته حيث استبعد ذلك ظانين الذي صلعم واصحابه على فتح قصور الشام واياته يعني القران ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبا باعتذارهم فجعلوا كانهم معترفون بوقوع الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان ولا الاستفهام الذي يعقبه التقرير المستهزا به ولم يقل اتستهزؤن بالله ثم قال لا تعتذروا نقل الواحدي عن ائمة اللغة ان معنى لا تعتذروا محوا ثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا اندرس واعتذر الماء اذا انقطع ومنه عذرة الجارية لانها تعتذى تقطع والعذر سبب لقطع اللوم لهذا قال الله عن الاعتذار بالخوض واللعب ان الشئ الذي يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اى صرتم بعد ايمانكم كفارا بعد الايمان الذي اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان المعرفة اكبر من الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرايعه نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلثة استهزا اثنان وضحك الثالث ولما كان ذنب الضاحك اخف لانه ربما وافق القوم في الكفر فلاجرم عفا الله عنه وهذا يدل على ان من خاض في عمل باطل فعليه ان يجتهد في التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى لمن يتركه ذلك التقليل ان يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة في اللغة الجماعة لانها الذي يمكن ان يطيف بالشئ ثم يجوز ان يسمى الواحد باسم الطائفة قال مقاتل وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين واقل الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس ان الرجل الطائفة الواحد فما فوقه ووجه ان من اختار مذهبا فانه يضرع ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمى طائفا بهذا السبب والباء للسببية وقال ابن الانباري العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد وقال تعالى الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود ثم علل كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اى مصرين على الجرم ويجوز ان يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى

احداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق ويجوز ان يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأ ان بعيف على البناء للمفعول والمذكور فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالذبابة دون سيرت وقرئ بالتانيث ذهابا الى المعنى كما تقول ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة احوال المنافقين وان اناسا منهم في ذلك كذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض في صفة النفاق واريد بهم نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا او شرعا واعظم ذلك الاخلال بالايمان ويقبضون ايديهم عن كل واجب كصدقة او زكوة او انفاق في سبيل الله وهذا اولى لينتوجه الذم بتركه وقبض الايدي كناية عن الشح والبخل كبسطها في الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا امره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقي لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسي من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسي شيئا لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون في الفسق وان على المسلم ان يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين حال اهل النفاق والكفر فقال وعد الله الاية ومعنى خالدين فيها مقدرين الخلود فيها فالمراد في الكفاف ويحتمل ان يراد مستاهلين للخلود وهي حسبهم كافيهم في الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكون لعذابهم معرة ونابا الاهانة والطرد وهم عذابهم نوع اخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار او عذاب عاجل لا ينفكون عنه من النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم في الامر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض الايدي عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم اي انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثاني نصب وصف ولئك الكفار بانهم كانوا اشد قوة اي جسامة من هؤلاء المنافقين واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان اي قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصيب اي اثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الاولين مرتين ثم ذكره في حق المنافقين ثانيا ثم تكريره في حق الاولين ثالثا واجيب بانه تعم ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الاخرة بسبب استغراقهم في تلك الحظوظ فلما قرر تعم هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية في المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وانت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستندا اليه مستغن باسناده اليه عن تلك النكتة ومعنى كالذي كالخوض الذي خاضوه او كالفريق الذي خاضوا وقيل اصله كالذين فحذف النون ثم بين ان اولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال في الدنيا فبسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما في الاخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم في هذه الاعمال والفضايح مع ضعفنا هم وقلة عددهم وعددهم اولى بخسران الدارين وخسا الامرين التاويل انما الصدقات وهي صدقات مواهب الله كما قال ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فوضوا عنهم وبقوا ابرار المساكين الذين لم بقيت او صاف الوجود الفاسقة القلب في بحر الطلب فدرجتها خضل المحبة وكان ورائهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا والغاصبين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين ارباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين بتالفهم يذكر الله وفي الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا عن رق الوجود الحر بالعبودية موجدها والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم والغارمين الذين استغرقوا من مراتب الكون اوصافها وطبايعها وخواصها وهم محبوسون في سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفي سبيل الله المجاهدون الجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرون عن اوصاف الطبيعة وغالة البشرية السايرون الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله اوجبها على ذمة كرمه كما قال من طلبني وجدني والله عليم بطالبي حكيم في معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو اذن واحامده بنظر المدة والعيب قل اذن خير لكم اي سامعة خيركم لان لمقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يومن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائد ايمانه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين امنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله باقوالهم وافعالهم واحوالهم بحذر المنافقون والحذر لا يغني عن القدر ان يعف عن طائفة اظهارا للتفضل والرافة يعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهارا للطف بلا سبب واظهارا للقهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان ارواحهم كانت في صف واحد في الازل بعامل انهم من نتايج خصوصيات ارواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصي لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فاغفرلهم هي حسبهم لانها نصيبهم في الازل كانوا اشد منكم قوة بالاستعداد

الفطرة وضيعوها في الاستمتاع العاجل فخسروا راس المال ولم يربحوا الم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح
وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين والمؤتفكات اتتهم
وعاد وثمود ... وقوم ابراهيم ... اصحاب شعيب ... المؤتفكات ... آمد ... برايشان
رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
پيغمبران ايشان
ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم
ليكن ... بجهل ... ايشان ... وهو ... كردند ... ايشان ... همچنين ... بعضي ايشان
اولياء بعض يامرون بالمعروف
دوستان ... فرمايند ... بپسنديده
وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون
وباز ميدارند ... ميدارند نماز را ... ميدهند زكوة را ... فرمان برند
الله ورسوله اولئك سيرحمهم
خدا ورسول او را ... ايشان را
الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
خداوند ... وعده داد خدا ... مؤمنان ... بوستانها كه روان
من تحتها الانهار خالدين
از زير آنها نهرها
فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز
در آنجا ... پاكيزه ... بوستانها ... خوشنودي ... از جانب خدا ... بزرگ ... اين ... رستگاري
العظيم يا ايها النبي ع
بزرگ ... اي پيغمبر
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأويهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله
كافران را ... منافقان ... درشتي كن ... بر ايشان ... جايگاه ايشان ... دوزخ ... بد جايگاهي ... سوگند خورند
ما قالوا ولقد
كه نگفتند
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا
گفتند سخن كفر ... وكافر شدند ... پس از اسلام ... وقصد كردند ... بچيزي كه نيافتند ... كينه نگرفتند
الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان
مگر اين كه بي نياز كردند ايشان را خدا ... از فضل خود ... پس اگر
يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة وما لهم في الارض من ولي ولا
توبه كنند ... بهتر ... و اگر ... عذاب دردناك ... در دنيا ... و آخرت ... و نيست ايشان را ... در زمين ... دوستي و نه
نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما اتاهم من فضله
ياوري ... و ازايشان ... عهد كرد با خدا ... اگر بما داد از فضل خود ... صدقه كنيم البته ... و هر آينه باشيم از شايستگان ... پس چون داد ايشان را از فضل خود
بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه و
بخل كردند ... و روي گردانيدند ... و ايشان ... پس بازداد ايشان را ... نفاق ... در دلهاي ايشان ... تا روز ... كه ... با آنچه خلاف كردند خدا را ... وعده دادند
بما كانوا يكذبون الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين
به ... كه ... دروغ ميگفتند ... آيا ندانستند ... كه ... ميداند ... پنهان ايشان ... و سخنان پنهاني ايشان ... و اينكه ... داناست ... غيبها ... آنانكه ... عيب ميكنند ... فراخ دستان را
من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم
از ... مؤمنان ... در ... صدقات ... و آنانكه ... نمي يابند ... مگر ... طاقت خويش ... پس مسخره ميكنند ... از ايشان ... مسخره كرد خدا ... از ايشان ... و ايشان را ... عذاب دردناك

القراءة والمؤتفكات وبابه بعضهم ابو عمرو وغير شجاع وورش وبزيد والحلواني عن قالون والاعشى وحمزة في الوقف والوقوف
والمؤتفكات بالبيات لابتداء النفي مع فاء التعقيب يظلمون من بعض لما مر ورسله سيرحمهم الله حكيم عدن اكبر العظيم واغلظ
عليهم جهنم المصير ما قالوا ولقد قالوا امن فضله لاتولوا وهم لا تصرن من الصالحين معرضون يكذبون علام الغيوب لا تحتما
الضب والرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير في نجواهم فيسخرون منهم سخر الله منهم لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم الم النقير لما
شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان اولئك الكفار من هم فذكرت طوائف
سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهي الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت اثارهم مشاهدة وهذا اشد الكلام مجرف الاستفهام
للتقرير فاولهم قوم نوح وقد اهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد واهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود واخذوا بالصيحة ورابعهم
قوم ابرهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى بشرهلكهم وهو نمرود بعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم اصحاب مدين
قوم شعيب اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل عاليها
سافلها والايتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعم قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب احوالهم
من الخير الى الشر فما اتتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله
ليظلمهم قالت المعتزلة اى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وقدم الكلام في امثال ذلك ثم بين ان شان المؤمنين
في الدنيا والاخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الاية قال بعض العلماء انما قال ههنا اولياء بعض وهناك من بعض لان
نفاق اتباع المنافقين حصل بسبب التقليد لاكابرهم ومقتضى الطبع العادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة

ولياء بعض
الضب

الجزء الرابع

فالاستدلال والتوفيق والهداية واقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم في امر من الامور بالجملة كالدار او حكم من الاحكام الشرعية او سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل ان يكون تكليفا او بطريق النفاق لان سبب انعقاد غرض من الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك بلفظ منهم لكان الاحتمال المذكور واما اشتراك المؤمنين في السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضي الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة فصرح الله تعالى بذلك ووصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهنا ان الصفتان بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهنا اداد لهم في انفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى لا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اي في كل ما يأمرون وينهون ثم ذكر ما اعدلهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله والسين يفيد المبالغة في ايجاب الوعد بالرحمة كما يؤكد الوعيد بها اذا قلت سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ عنك ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر كلام اصحاب الاثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سالت عمران بن الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سالنا رسول الله فقال موقصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء وفي كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انهارا ان الله لم يرها عين ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها قال الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستنقع فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء والشهداء وائمة الهدى وساير الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فيهب الريح من تحت العرش فيدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمران في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج ولخمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حورة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم وبؤيد قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ولم يكن عالما بوصف بالمعرفة ولا ريب ان اصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن للمكان الذي يخالط فيه الجواهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله شيء يسير من رضاه اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات الروحانية اعلى حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل الاضافة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحدد ون ما بعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قال ادخل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اي جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف بان النسق باباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرف الله حالهم فضاروا كساير الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم بالوحي الا انه ما مور بان يحكم بالظاهر وانما يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد يبذل المجهود في حصول المقصود وهو شامل للسيف واللسان قال ابن عباس جاهد الكفار بالسيف والمنافقين واغلظ عليهم في الجهاد وعن ابن جبير عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فقلبه بان يكرههم ويبغضهم وبتراسنه وحمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق منافقا كان او لا ان الغالب ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله ﷺ كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ الى تبوك وكانوا ذاخلا بعضهم الى بعض سبوا رسول الله ﷺ واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا واحد فقال رسول الله ﷺ يا اهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن قتادة عن رجلين اقتتل رجلا من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الاوس انصروا اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يا كلك فقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فمشى بها رجل من المسلمين الى نبي الله ﷺ فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فانزل الله تعالى لما قولهم وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول

التوبة

الله عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن ناقته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذ بخطام ناقته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بردوا عامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل اراد وا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله ﷺ وما نقموا وما عابوا الا ان اغناهم كقول القائل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا الغنائم وجعلوا الاموال وروي انه قتل الجلاس يوم امر رسول الله ﷺ بدية اثني عشر الفا فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات اي التعظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يصروا على التوبة يعذبهم عذابا اليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بانبائهم عند الموت ومعاينته ملائكة العذاب وفي القبر واما عذاب الاخرة فمعلوم وما لهم في الارض يحتمل ارض الدنيا وارض القيامة ثم بين ان هؤلاء كما بانوا فقون الرسول والمؤمنين فكذلك بناقون ربهم فيما عاهدوه عليه فقال ومنهم من عاهد الله به روي عن ابي امامة الباهلي ان ابا ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله ﷺ ادع الله ان يرزقني مالا والذي نفسي بيده لو شئت ان تسيل معي الجبال فضة وذهبا لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله ﷺ اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فاخبر فقال يا ويح ثعلبة ثلثا وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله ﷺ فقال ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا فانطلقا حتى تقرغا ثم رجعوا الي فانطلقا واخذ السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما رأوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان تأخذ هذا منك فقال بلى خذوه فان نفسي بها طيبة فاخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال ارونا كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رأيي فانطلقا حتى اتيا النبي ﷺ فلما رآهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله ﷺ من اقارب ثعلبة فخرج اليه فقال يا ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي ﷺ فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال رسول الله ﷺ هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله ﷺ ولم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله ﷺ وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله وانا اقبلها فقبض ابو بكر والى ان يقبلها ثم جاء بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقة واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله ﷺ واقول وما ذاك الا بشوم اللجاج والاخراق قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان وبالقلب قال المحققون انه لا بد من التلفظ بها المراد هو الالتزام قال ان الله عفا عن امتي ما حدثت به نفوسها ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله ان اتانا من فضله تصدقن ظاهر مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل اتساع السؤال بطريق التجارة او الاستغنام ونحوها واصل لنصدقن لنتصدقن ادغمت التاء في الصاد والمتصدق المعطي لان السائل كقوله تعز من تشاء وتذل من تشاء ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس انه زاد الحج ولعل المراد اخراج كلما يجب اخراجه اذ الدليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلث فقال فلما اتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض اذ هو الاحجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة وكاطلاق لفظ البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون ما يلزمه الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل في الآية على ذلك مع ان سبب النزول ينافيه فان قبل الزكوة لا تلزم بسبب الالتزام وانما تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقت الذي يليق به وفي الآية دلالة على ان الرجل حين عاهد هذا العهد كان مسلما ثم انه بخل بالمال ولم يف بالعهد فصار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي واورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لان كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا الناوبلي ان جعل عائدا الى التولي او الاعراض وضعف بان حاصل هذا الامر كونه تاركا للاداء الواجب في ذلك لا يمكن جعله موثرا في

حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود وكان هذا الترك قد يوجد في
كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولا ترك واجب حصول الكفر في القلب لا وجبه سواء كان الترك جائزا شرعا او محرما فبسبب اختلاف
الاحكام الشرعية لا يخرج التسبب عن كونه مؤثرا وكان البخل والتولي والاعراض هو بعينه اخلاف ما وعدوا الله به فصار تقدير الآية ان التولي
اوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو
الله ومن معتزلة الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير في عقبه لله
ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه امر شرعي ولا يبعد جعل شيء عدمي
امارة عليه وايضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه نفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بحيث الشارع
كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلافا لوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن
من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدور وما
بنا لهم من الذل والخوف او يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولا هل السنة ان يقولوا هذا
عدول عن الظاهر مع ان الدلائل دالة على وجوب انتهاء الكل الى مشيئة الله وتقديره بعضدما قلناه قال العلماء ظاهر الآية يدل على
ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه ومن هنا ذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا يحل
تمسكا بهذه الآية وبقوله ص ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان
وقال عطاء بن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله ص انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين
حدثوا رسول الله ص فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرج معه الى الغزو فاخلفوه ويقال ان عمر بن عبيد ذكر الحديث
فقال الحديث عن الله كذب على ربه وعلى ربه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله فمن عاهد واذا ائتمن على دين الله خان في
السر وكان قلبه على خلاف لسانه ويقال ان واصل بن عطاء ارسل الى الحسن رجلا فقال ان اولاد يعقوب حدثوه في قولهم فاكله الذئب
فكذبوا ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل يحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن
في مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه يدل على ان ذلك المعاهد موت وكان كما اخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي
هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القرآن ليس بمعنى الرؤية وضعف
بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد في القرآن كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم
ويحتمل على التجاهل وعدم العلم بعلم الله واحاطته بضمايرهم وتناجيهم فقال لم يعلموا الآية والسر ما ينطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين واكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب يدل على التخليص كما مر في الاجتباء كان المتناجيين تخلصا عن
غيرهما وصار خلصوا نجيا ومعنى الآية كيف تجاروا على النفاق الذي الاصل فيه الاستتار والتناجي فيما بينهم مع انه تعم يعلم ذلك
من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على ما مر وجه يفرض عن ابن عباس ان رسول
الله ص خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجعلوا لصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله ص مالي ثمانية
الاف جئت بنصفها فاجعلها في سبيل الله وامسكت نصفها لعيالي فقال رسول الله ص بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ما لهما مائة وستين الف درهم وقيل صولحت احديهما على
ثمانين الفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال اجرت الليلة
الماضية نفسي من رجل ارسال الماء الى نخله فاخذت صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالي وافرضت الاخر لربي فامر رسول
الله ص بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر
مع سابقة الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو
الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شق قليل يعيش به المقل قال الليث وقال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغة غيرهم
وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في القوة سخر الله منهم خبر لا
دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة او المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال
الاصم المراد انه تعالى تكفل لهم انفاق المال مع انه لا يبقيهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي
الكثير كعبد الرحمن وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك امر استأثر الله به ورسوله وايضا لمز الفقير على جهد المقل صغيرة لانه لما
بقدر الا على فقد بذل كل ما تناله فصار غالبا انه ان قدر على اكثر من ذلك لم يكن ممنوعا وسعي الانسان في ان يضم نفسه الى
اهل الخير والدين خير له من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولو لم تكن عنده الا الثقة بالله والدخول في زمرة من يؤثرون على

التوبة

انفسهم لو كان بهم خصاصة يكفى به منقبة وفضلا التاويل بعضهم ولبناء بعض لان التعارف فى عالم الارواح يوجب التالف
فى عالم الاشباح يامرون بالمعروف الحقيقى اى بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما
يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله
بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومسكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا ايها النبى
يعنى القلب الذى لربنا من مقام الانباء جاهد الكفرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين
تدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يتمرن نفوسهم والاناوهم
جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى توجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهو بما هم ينالوا الى ثبتوا لانفسهم مرتبة الشهود
قبل اوانها وما نقموا الا ان اغنيهم الله ورسوله بيان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحتملوا لضيق حوصلة الهمة ومرتد الطريقة اعظم من مرتد
الشريعة فلهذا يكون عذابه اليما فى الدنيا والاخرة كما قال الجنيد لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر
مما نالوه منهم من عاهد الله باستعداده الفطرى ان اتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن ولنكونن من كلما اعطانا
فبما اعطى لاجله الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء النفاق وان الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به انفسهم وهو منزه عن الخلو
ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو منزه عن نفوسهم وهذا قال الغيوب بخلاف الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين بنتيجة
سخرية الله بهم اسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوْا
اگر زشت خواه بمعنى اين آمرزش مخواه از براى ايشان اگر آمرزش خواهى از براى ايشان هفتاد مرتبه پس هرگز نيامرزد خدا ايشان را اين بآنست كه كافر شدند
بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلٰفَ رَسُوْلِ اللّٰهِ وَكَرِهُوْٓا اَنْ يُّجَاهِدُوْا ع ١٠
بخدا و رسول او وخدا راه نمينمايد كروه تباه كاران را شاد شدند پس بازگذاشتگان بنشستن ايشان برخلاف رسول خدا و دوست داشتند اكثر جاهلان
بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَقَالُوْا لَا تَنْفِرُوْا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيْلًا
بالهاى خويش در راه خدا وگفتند يكديگر را در روز گرما بگوش مرو در گرما بحث گرمى است اگر شما دريابيد پس بايد كه بخندند
وَّلْيَبْكُوْا كَثِيْرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ فَاِنْ رَّجَعَكَ اللّٰهُ اِلٰى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَاْذَنُوْكَ لِلْخُرُوْجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوْا
وبسيار كريند پاداش آنچه بجهد كردند پس اگر باز گرداند ترا خدا بسوى گروهى از ايشان پس دستورى خواهند از تو براى بيرون رفتن بگو هرگز
مَعِىَ اَبَدًا وَّلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِىَ عَدُوًّا اِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخٰلِفِيْنَ وَلَا تُصَلِّ عَلٰٓى اَحَدٍ مِّنْهُمْ
باهم هيچ وكارزار نكنيد بجنگ من با دشمنان بدرستيكه بر ضى شديد بنشستن اول بار پس بنشينيد با زنان و كودكان ونماز مكن بر احدى از ايشان
مَّاتَ اَبَدًا وَّلَا تَقُمْ عَلٰى قَبْرِهٖ اِنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَمَاتُوْا وَهُمْ فٰسِقُوْنَ وَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَاَوْلَادُهُمْ اِنَّمَا
كه بميرد هرگز ودايستى بر گور او كه ايشان كافر شدند بخدا ورسول او وميرند ايشان تباه كاران بوده ونيكوئى نيايد ترا بسبب ايشان ونه فرزندان ايشان
يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰفِرُوْنَ وَاِذَآ اُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ اَنْ اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوْا
بخواهد خدا كه عذاب كند ايشان را بآن در دنيا وهلاك شوند جانهاى ايشان وايشان كافر باشند وچون فرستاده شود سورتى
مَعَ رَسُوْلِهِ اسْتَاْذَنَكَ اُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقٰعِدِيْنَ رَضُوْا بِاَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ
بار خداى ودستورى خواهند از خداوندان توانائى از ايشان وگفتند بگذار ما را تا باشيم با نشستگان راضى شدند بآنكه باشند با زنان وكودكان ومهر شد
عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ جَاهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰتُ
بر دلهاى ايشان پس ايشان در نيابند ليكن رسول والذين آمنوا با او جهاد كردند با مالهاى خويش وبا نفسهاى خويش وايشانرا خيرها
وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ الْقِرَاءَةُ ع ١١
وايشانند رستگاران آماده كرد خدا ايشانرا بوستانها كه روان است از زير آنها نهرها جاويد باشند در آنجا اين بروزى بزرگ
معى ابدا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص لو وقف او لا تستغفر لهم فلن يغفر الله
لهم ورسوله ثلثا سبعين فى الحر الآن المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم
لا تكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون كثيرا لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مصدرا محذوفا اى يجزون جزاء
يكسبون معى عدوا الخالفين على قرأة فاسقون واولادهم كافرون القاعدين لا يفقهون وانفسهم الخيرات للابتداء وعند
الفلاح على التعظيم بدليل تكرار اولئك مع اتفاقا الجملتين المفلحون خالدين فيها التعظيم المفسر عن ابن عباس ان عند نزول الاية
الاولى قال المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم فنزل استغفر لهم الاية ومن المفسرين من قال
انهم طلبوا من الرسول ان يستغفر لهم وان الله نهاه عنه والنهى عن الشئ لا يدل على ان المنهى اقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل

قد يدل على انه ما استغفر الا لاستغفاره لان المنافق كافر وقد نظم في شعره انا لا استغفار للمنافق فهو يجري مجرى اغرائه على مزيد الطعن
ولا نه يلزم ان يكون النبي ﷺ غير مجاب الدعوة وان كثرة الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال
فيما وراء ذلك العدد بخلافه المانع وانه لما نزل لا يتوقال لا زيدن على السبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر
لهم فلن يغفر الله لهم فكف عنه فلو لا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لا زيدن على ذلك واجيب
بانه زاد اظهارا للرحمة والرافة بامته ودعا لهم الى الترحم بعضهم لبعض لا انه فهم منه ذلك وقد قال تعم فلن يغفر الله وارد فبقوله
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس المقصود لهذا العدد بتحديد المنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتني سبعين لم
اقضها ولهذا بين العلة التي لاجلها لا يغفر لهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين وذكر
بعضهم للتخصيص بالسبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف كانه عدد السموات والاراضين والبحار والاقاليم وبجموع السباع والاعضاء
وايام الاسبوع فضرب السبعة في عشرة لان الحسنة بعشر امثالها وقيل خص بالذكر لانه زجر على حمزة سبعين كبيرة وكانه قال
ان استغفرت لهم سبعين مرة بازاء تكبيرات على حمزة هذا وقد مر في تفسير قوله قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر
كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا اخر من قبائح
افعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم احتالوا ان يتخلفوا وكان الاولى ان يقال الفرح المتخلفون واجيب بانهم استاذنوا رسول
الله ﷺ فاذن لهم وحلفوا له بالمدينة في غزوة تبوك واريد بتخلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان او المجاهدون لما لم يوافقوهم في
الفعل وكانهم خلفوهم او اطلق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين عن الخروج في الاية الاتية فان رجعنا الله الى
قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قاله مقاتل او بموضع قعودهم وهو المدينة قاله ابن عباس ومعنى خلاف
رسول الله ﷺ حين سار وا فاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له اي قعدوا لاجل خلافه او على الحال مثل
فارسلها العراك اي مخالفين له وقال الاخفش وبولس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله ﷺ وذلك ان جهة الامام التي يقصدها
الانسان يظنها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا كيف لا يكرهون وليس فيهم باعث الا يمان وداعي الاخلاص ومعهم صارف
الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين اموالهم وارواحهم في الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة
يدل على كراهة الذهاب الا انه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد انه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستيناسهم بالاهل
والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض بالنفس والمال للقتل والاهلاك قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار
دارا اخرى وبعد هذه الحياة حياة اخرى وهذه المشقة منقضية سهلة تلك باقية صعبة وبعضهم وكانه صاحب الكشاف ﴿مَسَرَّةً
أَحْقَابٍ﴾ ﴿لَّبِثَتْ بَعْدَهَا﴾ ﴿مَسَاءَةً﴾ ﴿يَوْمٍ﴾ ان يها شيء الصاب ﴿فَكَيْفَ﴾ بان تلقى ﴿مَسَرَّةً﴾ ساعة ﴿وَرَاءَ﴾ تقضيها ﴿مَسَاءَةَ أَحْقَابٍ﴾ وفي هذا
استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا وهو خبر لا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه سيضحكون قليلا
اي ضحكا قليلا او زمانا قليلا وسيبكون كثيرا جزاء ان اهل النفاق يبكون في النار على الدنيا لا يرقى لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم
عرف نبيه وحبه الصلاح في سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم اي ان ردك الى المدينة الرجع متعد مثل الرد
والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب على النفاق وندم او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد
بالطائفة المخلفين من المنافقين فاستاذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا عاقبهم بسقوط
عزيمة الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم والطرد وصلاحا لامرهما دلما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو
خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وبعني باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل اول المرات معرفا بجموعا لان المعنى ان فضلت المرات مرة
مرة كانت هذه اولها تظهر هو افضل رجل بحيث ان عدا الرجال رجلا رجلا كان هو افضلهم وانما لم يقل اولى مرة لان اكثر اللغتين
هنا كثرة النساء ولا يكاد يقال هي كثرى امراة فاقعدوا مع الخالفين كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في
قومه وعن الاصمعي انه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف فقال قتادة ذكر لنا ان الخالفين الذين
امروا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس قال لما سمع عمر الخطاب بقول الموتى في عبد الله بن ابي دعي رسول الله ﷺ للصلوة فقام
اليه فلما وقف عليه يريد الصلوة تحول حتى قام في صدره فقلت يا رسول الله ﷺ اعلى عدو الله عبد الله القائل يوم كذا وكذا اعدد
ايامه ورسول الله ﷺ يتبسم حتى اذا كثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم
سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه
فقال فعجبت من جراتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله اعلم فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت لا تصل على احد منهم مات ابدا الاية
فما صلى رسول الله ﷺ بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله ﷺ فيما فعل عبد الله بن ابي قال يا

التوبة

يغفر عنه فيقضي صلوتي من الله والله ان كنت لاراجوان يسلم به الف من قومه وكان كما قال وقيل لعل التسبب فيه انما طلب من الرسول هو قصه الذي مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه ينتقل الى الايمان لانه وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلي عليه وذكر من اسباب دفع القميص ان العباس عم رسول الله ﷺ اخذ اسيرا يبدر ولم يجد واله قميصا طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها ان المشركين قالوا له يوم الجمل ببينا نا لانقاد لمحمد ولكنا انتفادلك فقال ان لي في رسول الله ﷺ اسوة حسنة فشكر رسول الله ﷺ صنيعه ومنها انه كان لا يرد السائل فلقوله تعم واما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرم لكان ابنه ومنها اظهار الرافة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وابد ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تابيدا النفي ونفي التابيد والظاهر الاول لان القرائن تدل على منعه من ان يصلي على احد منهم منعا كليا ذا ما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله ﷺ كان اذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبي معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره وانهم كفروا تعليل للنهي وبرد عليه ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال في الكشاف وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا في دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح في جميع الاديان اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله في هذه السورة بتفاوت لفاظ فوجب علينا ان نذكر سبب التفاوت ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم بمراده انما ذكر النهي ههنا بالواو وههنا بالفاء لان الفاء لا تعلق له ههنا بما قبله وهو هو هم على حالة النفس خلاف ما هناك وانما قال ههنا واولادهم بدون لا لان المراد هناك النفي عن الاولاد والاموال الى الاعلى وان اعجاب اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا تعجبني امرأة زيد ولا امرأته بل المطلوب ههنا ازالة المعجبة فقط اما الكفاية بما سبق هناك واما لان هؤلاء اقوام آخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هناك لما عطف الثاني بالاول تعلق الجزاء بالشرط اكد معنى النهي بتكرار لا وانما قال ههنا ان يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو العذاب واما في الاية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدم وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل لما حكاه الله محال وانه ليس ورد التعليل فمعناه ان وانما حذف المحبوة ههنا اكتفاء بما ذكر هناك وقيل تنبيها على ان المحبوة الدنيا لا يستحق ان يسمى حبوة لخستها واما فائدة التكرير فهي المبالغة في التحذير من الاموال والاولاد لانها جاذبة للقلوب فتحتاج الى صارف قوي ويحتمل ان يكون الاول في قوم والثانية في آخرين وقيل الثانية في اليهود والاولى في المنافقين ثم عاد الى قبائح المنافقين فقال واذا انزلت سورة اي بتمامها ويجوز ان يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا ان هي المفسرة لان انزال السورة في معنى القول وقال الواحدي تقديره بان امنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد الا بعد الايمان اولوا الطول ذوا الفضل والسعة من طال عليه طولا قال ابن العباس والحسن وقال الاصم لرؤساء والكبراء الخطر الهم وخصوصا بالذكر لان الذم لهم اذ لا عذر لهم في القعود مع القاعدين مع اصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء اللواتي تخلفن في البيوت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبههم بالخوالف ثم قال طبع على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب في الكفر الى حد كما مر مات عن الايمان وقالت الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع في اللغة الختم وهو التاثير في الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التي جبل عليها الانسان فهم لا يفقهون اسرار حكمة الله في الجهاد وفي الذهاب لمن السعادة وما في التخلف من الشقاء وفي قوله لكن الرسول لكنة هي ان تخلف هؤلاء فقد انهض الحاذر ومن هو خير منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال واولئك لهم الخيرات وهي شاملة لمنافع الدارين وقيل هي الحور لقوله فيهن خيرات حسان وقوله واولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المكاره ثم فصل ما اجمل فقال اعد الله الآية وقيل الخيرات للاخرة لان الدنيا وهذه في الآخرة والفوز العظيم عبارة عن نيل الحالة المرتبة رفيعة ودرجة عالية النائل انما يثور استعظاما لشان المنول فحقهم ان يقصوا في مقابلة الاستقصير في الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جزاء بما كانوا يكسبون من دنس القلوب وكدورة الارواح بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعي العبودية لانها الخيرات الروحية هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ

الفوز العظيم لانها اعظم من حجاب النفس وآمده تقصير كنند كان ازاهل اعذار كه دروغ ميگويند تا رخصت يابند وقعد الذين كذبوا خدا ورسول را دروغ گفتند بايمان نياوردند كافر شدند عذاب اليم دردناك ليس نيست ضعفاء ناتوانان مرضى بيماران ولا على الذين ونه برآنانكه خوش باشند ونه برآنانكه

لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ
نباشد بر ایشان هیچ تنگی چون نیک خواهند خدا و رسول او را نیست بر نیکوکاران از راهی و خدا
غَفُورٌ رَحِيمٌ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ
آمرزگار مهربانست و نه بر آنانکه چون آیند تو را تا برنشانی ایشان را گوئی نمییابم آنچه برنشانم شما را
عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ إِنَّمَا السَّبِيلُ
برآن برگردند و چشمهای ایشان ملو بود از اشک اندوه آنکه نباشد آنچه نفقه کنند بدستیکه براه
عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ
بر آنانها بود که دستوری بوند میخواهند از تو و ایشان خوانکرانند خوشنودند بانکه باشند با زنان و کودکان و مهر نهاد
اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا
خدا بر دلهای ایشان پس ایشان نمیدانند عذر خواهند از شما چون بسوی ایشان باز گردید بگو
تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ
عذر مخواهید برات نداریم شما را بدرستیکه خبر داد ما را خدا از اخبار شما
وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
و رسول او پس باز گردانند بسوی دانای نهان و آشکار پس بیاگاهاند شما را بآنچه کرده باشید
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ
زود سوگند خورند بخدای شما چون برسید بسوی ایشان تا بر گردید از ایشان پس بگردید از ایشان بدرستیکه ایشان
رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ
پلیدند و جایگاه ایشان دوزخ است پاداش آنچه ایشان می اندوختند سوگند خورند شما را تا راضی شوید ایشان
فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا
پس اگر راضی شوید ایشان پس بدرستیکه خدا راضی نشود از گروه بیاه کاران اهل اوده سخت تر در کفر
وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
و نفاق و سزاوارتر که ندانند حدهای آنچه فرستاد خدا بر رسول خود و خدا دانای محکم کارست
وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ
و از اهل اوده است کسیکه فرا میگیرد آنچه انفاق میکند تاوانی و چشم میدارد بشما
السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ
بد و خدا شنوای دانا هست و از اهل اوده است کسیکه ایمان آورد بخدا و روز
قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ
نزدیکی نزد خدای را و درودهای رسول بدان که آن نزدیکست ایشان را زود در آورد ایشان را خدا در رحمت خود
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة المعذرون من الاعذار قتيبة وبعقوب الباقون بالتشديد
بدرستیکه خدا آمرزگار مهربانست دائرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح ابو عمرو وابن كثير الاخرون
بفتحها قربة بضم الراء نافع غير قالون الاخرون باسكانها وكلاهما بمعنى الوقف ورسوله ط اليم ٥
لله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ٥ لا للعطف ما ينفقون ٥ لا اغنياء ج لاحتمال ان يكون رضوا مستانفا
او وصفا مع الخوالف لا لان الواو امّا للعطف او الحال لا يعلمون ٥ الجزء الحادي عشر وثلث القران اليم
من اخباركم ط يعلمون ٥ لترضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى
في اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا مطلقا لمحذوف او يجزون جزاء
يكسبون ٥ لترضوا عنهم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ٥ على رسوله ط حكيم ٥ الدوائر

التوبة

دائرة السوء عليهم ط والرسول ط لهم ط في رحمته ط رحيم ۝ التفسير لما شرح احوال منافقي المدينة شرع في احوال المنافقين من اهل البدو فقال وَجَآءَ الْمُعَذِّرُونَ من قرء بالتخفيف فهو من اعذر اذا اجتهد في العذر وبالغ فيه ومنه قوله من انذر فقد اعذر فكانه يعالي فضل بين اصحاب العذر وبين الكافرين فالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا اتباعا وعيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا وموا شينا فقال صلى الله عليه وآله سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرا بالتشديد ففيه وجهان الاول ان يكون من التعذير وهو التقصير في الامر والثاني فيه وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له الثاني وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانباري انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون اذ عمت التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي جاء بعذر صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد فسرناها بالمعذرين احتمل الامرين ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين بقوله وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدي باسناده عن ابي عمرو انه قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف اخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراة على الله وهم الذين اراد هم الله بقوله وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا واظهروا بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ من الاعراب عَذَابٌ أَلِيمٌ في الدنيا بالقتل وفي العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف الجهاد ساقط عن اصحاب الاعذار الحقيقية فقال لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وهم الذين في ابدانهم ضعف في اصل الخلقة او لهرم وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ ويدخل فيه اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من المحاربة وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ في الغزو على انفسهم حَرَجٌ فيما هم مزينة وجهينة ومن عدده وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاغارة بمقدار العدد لحفظ متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك مشروطا بما اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم انه شرط في جواز القعود النصح لله ورسوله ليحترز وا بعدهم عن لقاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل في طاعة الله ورسوله وموافقة الرسول كما يفعل المولى الناصح بصاحبه ثم قال مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ اي المعذرين الناصحين مِن سَبِيلٍ العقاب والمؤاخذة قال بعض اهل الظاهر كداود الاصفهاني وغيره ان المحسن هو الاتي بالاحسان وراء الاحسان وسناره هو قول لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفي عليكم كذا وكذا وبعد ذلك لا سبيل لاحد علي احد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان باب النفي لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد في القرآن الف تكليف او اقل او اكثر كان ذلك منصبا على ان التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وامر ونهي وبهذا الطريق يصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس الان هذا النص دل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس معتبرا للبراءة ايضا فحسن وان كان

يفيد شغل الذمة رصارمخصصا لعموم النفي وانه لا يجوز لان النفي اقوى من القياس ولما ذكر
ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين متمما ارابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا
على الزاد فقال ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اى على المركوب قلت قال في الكشاف
هو حال من الكاف في اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لا اجد ما احملكم عليه قولوا
وجوز ان يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال
مجاهد هم ابناء مقرن ومعقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه واله ليستحملوه فرد وافق منه غضبا فقال ما احملكم عليه فتولوا
وهم مدبرون يبكون فدعاهم واعطاهم ذودا عن الذمي فقالا ابو موسى الست حلفت يا رسول
الله صلى الله عليه واله فقال اما اني ان شاء الله لا احلف يمين فارى غيرها خيرا منها وكفرت
عن يميني وقيل هم البكاؤن ستة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن حنساء وعبد الله
ابن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن معقل اتوا رسول الله صلى الله
عليه واله فقالوا يا نبي الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على حقاق المرفوعة و
البغال المخصومة نغزو معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فولوا وهم يبكون وقوله تفيض من الدمع
كقولك تفيض من الدمع دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها فائضة
ومن للبيان والجار والمجرور في محل النصب على التمييز حزنا الا يجدوا اى على ان لا يجدوا انما
التبيل اى سبيل الخطاب والعتاب في امر الغزو والجهاد على الذين يستاذنونك في التخلف وهم
اغنياء ثم قال على سبيل الاستيناف رضوا كانه قيل ما لهم استاذنوا وهم قادرون على الاستعداد
فقيل رضوا بالقعود والانتظام في جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستيذان ان طبع الله
تعالى على قلوبهم قال اهل العلم لما قال في الاية الاولى واذا انزلت سورة قال هناك
وطبع ليكون المجهول منفيا على المجهول بخلافه في هذه الاية ثم اذا العلم فوق الفقه وكان انسب بالمقام
الذي جرى فيه ذكر الله تعالى ما قوله قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم فانه علة المنع من الاعتذار كان عرض المعتذر
ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قد نبانا الله علة لانتفاء التصديق
وسيرى الله عملكم يعني توبتم ورجوعا اى سيقع انكم هل تبقون على الحالة التي تظاهرونها ام لا وفي قوله ثم
تردون الى عالم الغيب تخويف شديد وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوءة من
النفاق والكذب وانما لم يقل في هذه الاية والمؤمنون كما في الاية التي تجيء ان هذه في المنافقين
ولا يطلع على نفاقهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه وبنوبته كما قال قد نبانا الله من اخباركم والاية الاخرى في المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم اية المنافقين بقوله ثم تردون
لانه وعيد فقطع عن الاول بخلاف اية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد والله اعلم ثم ذكر
منافقي الاعراب سيحلفون اعتذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقي المدينة فقال
سيحلفون بالله لكم اى لاجلكم اذا انقلبتم اى رجعتم اليهم ولم يذكر المحالف عليه والظاهر انهم حلفوا على انهم ما
قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم اى اردوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء
طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح وكذا قال ابن عباس اراد وترك الكلام والسلم وقال مقاتل قال

الا البت الذود خيرا منها

التوبة

رسول الله ﷺ حين قدم المدينة لا يجالسوهم ولا يكلموهم وكانوا اثنا عشر رجلا منهم جد بن قيس ومعتب فقيل لهم ائتوا رسول الله ﷺ حتى يستغفر لكم فلووا رؤسهم فكانهم بخل لعين فلا سبيل الى تظهرهم بالعقاب والتوبيخ وفى امثالهم انما يعاقب الاديم دون البشرة المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذى عليه الشعر اى انما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته يضرب لمن فيها مراجعة ومستعتب اذا لم يكن المعاتبة نافعة فيهم فتركهما هو الصواب ومأواهم جهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراضه الصفح بقولهم يحلفون لترضوا عنهم فنهاهم عن الرضى بقوله فان ترضوا عنهم الاية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة لارادة الله واى فائدة فى رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادتهم جمعا معينين كانوا يوالون منافقى المدينة قال اهل اللغة رجل عربى اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه اعراب كالجوسى والمجوس واليهودى واليهود فالاعراب اذا قيل له يا اعرابى فرح واذا قيل للعربى يا اعرابى غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربى ومن نزل البادية فهو اعرابى ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال ﷺ لا بؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا الا اعرابى مهاجرا قيل انما سمى العرب عربا لان اولاد اسمعيل عليه السلام نشأوا بالعربة وهى من تهامة ونسبوا الى بلدهم وكل من سكن جزيرة العرب ينطق بلسانهم هو منهم وقيل لان السنتهم معربة عما فى ضمائرهم لما فى لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم فى ارسغتهم وذلك لانهم يقتدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند فى اوهامهم وحكمة يونان فى اذهانهم وذلك لكثرة ما لهم من المباحث العقلية وحكمة العرب فى السنتهم وذلك لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم اشد كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج الحمار الوحشى الى المبالطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من اصبح واسسه مشرفا عليه انوار النبوة ومشرفا باستماع مواعظه واداب كيف يكون مساويا لمن يسأله كما شاء من غير سياسة ولا تاديب ولا تؤدب وان شئت فقل الفواكه الجبلية يا لفواكه البستانية ولهذا قال ان الجفاء والقسوة فى الاعرابين اى الاكارين لانهم يعدون اى يضبحون وقوله واجدر اى واولى واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اى مقادير تكاليفه واحكامه وما ينتهى اليه الادلة العقلية والسمعية والله عليم بما فى قلوب اهل البدو والحضر واصحاب الوبر والمدر حكيم فى كل ما قدر من المشارع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان لتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم اى يعتقد ان الذى ينفقه فى سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت ان اصل الغرم اللزوم كانما اعتقد انه غرم لازم من خارج كنقبة او بناء ليس مما يبقى من النفقة المغرم اما مصدر او موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتضاريفه ودوله وكانها لا تستعمل الا فى المكروه تشبيها بالدائرة التى يحيط بما فى ضمنها بحيث لا بوجد منها مخلص ثم حبب الله ظنونهم بالاسلام وذوبهم بان دعا عليهم بقوله عليهم دائرة السوء وانها جملة معترضة كقولك غلت يدبهم والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه الدائرة للمبالغة كقولك رجل صدق قال فى الكشاف وهو ذم للدائرة لان من ادارت عليه لزمها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب المراد انهم لا يرون فى محمد ودينه الا ما يستوهم والله سميع لاقوالهم عليم ببواطنهم قبل لهم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال ومن الاعراب والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لحصول القربات عند الله وسببا لصلوات الرسول عليهم لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابى اوفى ثم انه تعالى شهد لهم وكما شهد بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستيناف وكذا بجرى فى التنبيه والتحقيق كانها قرينة لهم فى القربة بقوله سيدخلهم والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه اخذ ذو البجادين ساما بجارا وهو كساء مخطط منسقة نصفين فزينه باحدهما وازره بالثانى وبعثه الى رسول الله ﷺ فكان فائدة والله اعلم التاويل الناس ثلثة المقصرون المعذورون والمعتذرون بتقصيرهم والقاعدون الكذابون والناصحون المخلصون فى الطلب لكن فيهم الضعفاء والمرضى الفقراء فلا حرج عليهم فى القعود عن طلب الكمال بالظاهر مع اشتغال البواطن فى الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم تكونوا بالغيها بجناحى البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم عليه ترضعا وكلا واستيناء لان ناواستهزاءكم كما قيل لموسى ان تزابى زيادة لشوقه وكم اغنياء لهم الاستعداد الكامل فلم يستعملوها فى طلب الكمال كسلا ومبلا الى اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا ان فى غالب الانسان بهيمة وهو نفسه وحضارها قلبه والكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالنظرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس مؤمنة بسراية القلب لكن النفس يكون اشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله على رسوله يعنى الواردات النازلة على القلب حضرة الروح كما ان المدينة حضرة الرسول ﷺ ومن المنفوس من يعتقد ما

التأويل

يغرمه

يصرف من اوقاته في طلب الكمال ضايع وخسارة ينتظرها القلب اشنعا الا وفرة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها و
مرها بما يخالف هواها والله سميع مجيب هذا الدعاء عليهم بمن ينبغي ان يسمع في حقه والسابقون الاولون من المهاجرين
والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري من تحتها

و به ايشان والكه بروى لكه بايشان بهكوترين راضى شد خدا ازايشان ودراضى شدند ازاو وآماده ساخت ازبهر ايشان بهرها بوستانها كه روان باشد ازبر اينها

الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا
نهرها جاويدها باشند درانجا هشه اين چيزوزى بزرك وازانكه بزرك ايشان ازاهل بادية منافقانند واز اهل شهر سخت كشتند

على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم واخرون اعترفوا
برنفاق ندانى اورا ما ميدانيم ايشانرا زود عذاب كنيم ايشانرا دوبار پس بازكردانند ايشان بسوى عذاب بزرك ودبكران معترف شدند

بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من
بكناهان خويش كردند بد عمل نيك ودبكر بد شايد خدا انكه ببخشد برايشان بدرستيكه خدا آمرزنده مهربانست

اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم
ازمالهاى ايشان صدقة تا پاك كردانى ايشانرا وتزكيه كنى بآن ايشانرا ودرود فرست برايشان بدرستيكه درود تو آرامش مرايشانرا وخدا شنواى دانا ست

الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا
آيا ندانستند خدا اوست توبه پذيرد از بندكان خود وزكاتها را وانكه خدا اوست توبه پذيرنده مهربان ودبكر كاريد

فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
پس زود بيند خدا عمل شما ورسول او ودبكر مؤمنان وزود باز كردانند شما را بسوى دانا ى نهان وآشكارا پس بيا كاهند شما را بآنچه بوديد ميكرديد

واخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا
ودبكران باز ماندند مرفرمان خدا را يا عذاب كند ايشانرا ويا ببخشد برايشان وخدا دانا ست علم كار ايشان ودلانكه فرا كرفتند مسجدرا از جهت زيان

وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد
وكافر شدند وجدائى انكندن ميان كروندكان ودر انتظار فرستادن مرانرا كه جنك كرده باخدا ورسول او ازپيش قبل وسوكند خورند كه نخواستيم مكر نيكوئى وخدا

انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان
كواه ميدهد كه ايشان دروغ زنانند بازمايست درانجا هرگز هرآينه مسجدى كه بنياد نهاده شد برپرهيزكارى ازاول روز سزاوارتر است كه بازايستى درانجا درآنجا مردانى دوست ميدارند

يتطهروا والله يحب المطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه
كه پاك كردند وخدا دوست ميدارد پاكيزه كارانرا آيا آنكه بنياد نهاد بناى خود برترس از خدا وخوشنودى بهتر است يا آنكه بنياد نهاد بناى خود

على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة
برلب پرتكاه رفتنى پس بيفتاد با آتش در آتش دوزخ وخدا راه ننمايد ستمكارانرا وهمواره بناى بنا نهادن ايشان

في قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم والله عليم حكيم القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها وبالنصب
در دلهاى ايشان مكر كه پاره پاره شود دلهاى ايشان وخدا دانا ست حكيم

التوحيد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو وساكنة
بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلي وخلف وعاصم شعبة ابي بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو
ابو جعفر ونافع وابن عامر اسس بنيانه محمولا في الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى
وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفي رواية ابن سعدان وابي عمرو وعلي عن الليث وابن حمدون وحماد وبشر
والبخاري عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قراها بعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا
ماضيا ومضارعا بحذف التاء من الفعل ابن عامر وبزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا
مجهولا من التقطع الوقوف باحسان كان قوله رضي الله عنهم جزم والسابقون ابدا العظيم منافقون لمن قدر ومن اهل المدينة
قوم مردوا ومن وصل وقف على اهل المدينة تقديره ممن مردوا على النفاق ومن قال ومن اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل
لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم نحن نعلمهم عذابا عظيما لاحتمال التقديم ومنهم اخرون وان يكون معطوفا على
منافقون او على قوم المقدر مستأنفا عليهم دائرة السوء عليهم دائرة السوء وصل عليهم انهم ان صلاتك سكن لهم والمؤمنون
من قبل الحسنى لكاذبون ابدا ان تقوم فيه فيه رجال ان يتطهروا والمطهرين في نار جهنم الظالمين قلوبهم الا ان تقطع لتقبيح

التوبة

لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهى منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبى هم الذين بايعوا بيعة الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين اتبعوهم باحسان قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير بقرآنهم والظاهر ان الاية عامة فى كل من سبق فى الهجرة والنصرة قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق فى الهجرة او هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضى عنهم ولا شك ان الرضاء معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوامه فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء كلمة من فى قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم امنوا وفى عدد المسلمين فى مكة والمدينة قلة وفيهم ضعف وفقر والاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للتبعيض ليتناول المدح جميع الصحابة وروى عن حميد بن زنجويه انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب القرظى الا تخبرنى عن اصحاب رسول الله ﷺ وما كان بينهم فقال لما ان الله تعالى قد غفر لهم واوجب لهم الجنة فى كتابه احسنهم وسيئهم قلت لم فاى موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله تعالى والسابقون الاولون الى اخر الاية اوجب جميعهم الرضوان وشرط على التابعين شرطا لم يشرطه عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم فى اعمالهم الحسنة لا السيئة او باحسان فى القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا ويحفظوا السنتهم عن الاعتياب والطعن فى حقهم قال العلماء معنى رضاء الله عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح احوال المنافقين فقال ومن حولكم هو خبر ومن الاعراب بيان او حال ومنافقون مبتداء ومن اهل المدينة عطف على الخبر او خبر ابتداء اخر بنا على ان التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على الملاسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها وتمردا عتا فان من لم يقبل قول غيره ولم يلتفت اليه بقى كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا معودين الى حيث لا تعلم انت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما القتل فى الدنيا بالفضيحة والعذاب بالقبر روى السدى عن ابى مالك انه لما قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبى وعذاب القبر وقال قتادة بالزلازل وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق هو ما دخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم فى القبور وقال الحسن اخذ الزكوة من اموالهم وعذاب القبر وقيل احد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والاخر عند البعث بوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو الدرك الاسفل من النار قال الكلبى ومن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابى وجد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال واخرون وهو معطوف على منافقون او مبتداء اعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستانفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبر والمعترفون خلاف فى انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على ما فعلوا عن ابن عباس فى رواية لما نزلت فى قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون فى الكن والظلال مع النساء ورسول الله ﷺ واصحابه فى الجهاد روى انهم كانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة وديعة بن خذام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم حين بلغهم ما نزل فى المتخلفين فايقنوا بالهلاك اوثقوا انفسهم على سوارى المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يطلقنا ويعذرنا فتقدم رسول الله فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسئل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذى تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق وطهرنا فقال ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم صدقة الاية والاعتراف هو الاقرار بالشئ عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضى والعزم على تركه فى الحال وفى الاستقبال خلطوا عملا صالحا واخر سيئا اى خلطوا كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خلطت لانك جعلت فى الاول كلا منهما مخلوطا ومخلوطا به كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما اى شاة بدرهم وذلك ان الواو والجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه دليل على نفى القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفى قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على وقوع

التوبة الى اخر الحصول مقدمتها وهى الاعتراف عنهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدة ان يكون المكلف على الطمع والاشفاق فلا ينكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معنى ان يتوب ان يقبل التوبة وربما عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى مشيته وتكوينه بعضد ما قلناه ثم قال سبحانه ﴿خذ من اموالهم صدقة﴾ عن الحسن كانوا يقولون ليس الراد من هذه الاية الصدقة الواجبة وانما هى صدقة كفارة الذنب الذى صدر عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة والندامة امروا باخراج الزكوة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهره الوجوب وايضا التطهير والتزكية بناسب الواجب لا التطوع وفى قوله من اموالهم دلالة على ان القدر الماخوذ بعض تلك الاموال ويتعين ذلك البعض بما عرف من السنة وفى اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد الوجوب بقى الحق فى ذمته لما مالك وهو قول الشافعى وقوله تطهرهم وتزكيهم الثناء فيهما الخطاب اى تطهرهم بها الاخذ وتزكيهم بواسطتها الصدقة وقيل التاء فى تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع للمعطوف بين قال العلماء المعطوف متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة فى التطهير او هى بمعنى الانماء كانه يقال جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة او المراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الاية يدل على ان الزكوة طهرة للاثام فلا تنفر والاحيث يمكن حصول الاثام وذلك لا يعلم الا فى حق البالغ العاقل دون الصبى والمجنون وقال الشافعى يجب الزكوة فى مالهما لانه لا يلزم من انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم فمن هنا قال الشافعى السنة للامام اذا اخذ الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول اجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال اخرون بظاهر اللفظ لما روى عن عبد الله بن ابى اوفى قال كان ابى من اصحاب الشجرة وكان النبى ﷺ اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال فلان فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على ال ابى اوفى واكثر الائمة الان على انه لا يحسن الصلوة على غير النبى على غير الاتباع واطلق بعضهم كالغزالى اكثر المحررين لفظ الكراهة وقالوا السلم ايضا فى معنى الصلوة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلوة والسلم فى حق الرسول ايضا كعلى واولاده ع وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بنى امية وبنى نوفل وعبد شمس قالوا لانها كانت جائزة فى حق من يؤدى الزكوة فكيف يمنع ذكره او لا يحسن فى اهل بيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما السلام فلا كلام عليه لانه جائز فى حق جميع المسلمين فكيف لا يجوز فى الرسول ان صلوتك لهم واسكن لهم ليس كذلك لهم وتطمئن بر نفسه وذلك لان دعاءه يستجاب البتة فيستبطر ون بها وكيف لا ويفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم لهم احتج من نفى الزكوة بها فى زمان ابى بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن ولان لا سكن ورد عليهم بنيابة الايات روى ان رسول الله ﷺ لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا اى يعلم التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الالهية هى الموجبة لقبول التوبة لا استغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة وجب على كرمه قبول توبته وفيه ايضا ان قبول التوبة ليس الى الرسول فى قوله عن عباده دون من اشارة الى البعد الذى يحصل للعبد عن الله بسبب العصيان والى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفى اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربى احدنا فلوه حتى انها للقمة يكون عند الله اعظم من احد وقد جاء هذا المعنى فى الحديث ثم امر بينه بان يقول للتائبين او لغير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة اعلم انه فيه نوع تهديد وتخويف مشيرا الله علمكم وقدم بقسميه مثلث عن قريب والحاصل انه كان قبل لهم اجتهدوا فى العمل فان له فى الدنيا حكما وهو ان براه الله ورسوله والمؤمنون وفى الاخرة حكما وهو الجزاء وبوجه ثالث كان قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من الظاهرين فاعمل لمقوى بثناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية ولا شك ان رؤية الله تعم شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا تشمل افعال القلوب الا بزعمه الله والطلاع عشائره واعلم انه تعالى قسم المخلفين الى ثلثة اقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثانى التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله واخرون واعترفوا بذنوبهم كما عرب قوله فاخرون اعترفوا ومعنى مرجون كمن رجيته وارجانى اذا اخرته ومنه قولهم ارجه واخاه كما مر وبرسمت المرجئة لانهم يجرمون بغض ان ذنبا لتائب ولكن يؤخرونها الى مشيئة الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعى لانهم يؤخرون العمل

شهداء

او يؤخرون

عن الايمان

التوبة

عن الايمان وقال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية امر رسول الله اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا ابو لبابة واصحابه من مثل انفسهم على السواري واظهار الجزع والندم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم توفوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم وتاب عليهم وعلى الثلثة الذين خلفوا كما سيجيء وقال الحسن هم قوم من المنافقين حدثوهم انفسهم بهذه الآية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك فيه راجع الى المعنى اي ليكن امرهم على الخوف والرجاء وكان يقول الناس هلكوا ان الله لم ينزل عذرا ولا يقول لخزون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل دائر امرهم بين التعذيب والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير توبة واجيب بانه لا يجوز ان يكون المفصلة مانعة الجمع فقط وذكر اصناف المنافقين وبين طوائفهم المختلفة قال والذين اتخذوا كانوا قوما منهم اتخذوا في الكشاف محل الرفع على الابتداء وخبره محذوف اي ومن وصفوا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثني عشر رجلا بنو مسجد يضارون به مسجد قباء وروي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول الله ص ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدهم اخوهم بنو غنم بن عوف وقالوا لهم نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان امورا اربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي ص وبالاسلام وذلك انهم اردوا بتقوية اهل النفاق والثالث التفريق بين المومنين لانهم اردوا ان لا يحضروا مسجد قباء فيقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى اختلاف الكلمة وبطلان الالفة والرابع قولهم وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بمحاربي اي من قبل بناء مسجد الضرار وقال في الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل ان يبنوا فهؤلاء ما تخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة انتظار مع العداوة قال الاكثرون انه الاعداد والمراد من حارب ابو عامر الراهب الذي حنظلة الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب في طلب العلم فلما ظهر رسول الله ص عاداه لانه زال الشبهة عنه وقال لرسول الله ص يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر واتي بجنود واخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم اخبر الله تعالى عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم واتوا ذلك غزوة تبوك فاتوا رسول الله وقالوا ابنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحب ان تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سألوه اتيان المسجد فنزل لا تقم فيه ابدا الآية فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان تتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر بالشام بقنسرين وقال الحسن لهم رسول الله ان يذهبوا الى ذلك المسجد فاذا جبريل لا تقم فيه ولا ريب ان النهي عن القيام فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم بين علة النهي فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اي من اول يوم بني او من اول يوم وجوده احق ان تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جايزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول يوم كان اولى بالصلوة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذاك الا علي كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين واختلفوا في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله ص بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سئلت رسول الله ص عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصيا وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء استه رسول الله ص وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة بين مسجدي قباء اوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم يكن ذلك مقصورا على احد وايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا اخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه تطهر من الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضدادها هذه الامور من الضرار والكفر والتفريق ولان طهارة الباطن اشد تاثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه تطهر بالماء وذلك انهم كانوا لا يستنجون الا بالحجارة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر نعم يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم

التوبة

فقال ﷺ المرضون بالقضاء فقالوا نعم قال اصبرون على البلاء فقالوا نعم قالوا الشكرون في الرخاء فقالوا نعم فقال ﷺ مؤمنون ورب
الكعبة مجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا
رسول الله ﷺ نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الماء فقال النبي ﷺ رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب ان يتطهروا
بالماء الكفرة لذنوبهم فجمع بين اسمهم ومحبة التطهر اشارة الى الحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب
لمحبوبه ثم بين المغايرة بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير افمن اسس بنيانه وهو مصدر
كالعمران واريد به المبنى والمعنى ان من بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير امن اسس دينه على ضد ذلك
والشفا هو الشفير الى الشفة والجرف هو ما اذا سال المسيل واحفر الوادي وبقي على طرفي المسيل طين واه مشرف على السقوط سمي
فاعة فذ ذلك الموضع الذي هو مرصد السقوط جرفا والهاء للمبالغة وهو بقية المصدع الذي اشفى على الهدم والسقوط
قال الليث الهار مصدر هار والجرف هو ما اذا سال المسيل وانحفر الوادي وبقي على طرفي المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة
وضرب عن فاعل يخلف عن خالف والفرق بينهما ان عينه واصله هو على فعل كما ترى بلغ من هذا الكلام وكاد
اول على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار قاربا ان يسقط في قعر
جهنم روي انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج منه ثم ذكر ان بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال لا يزال
بنيانهم الذي بنوا وبتر في كونه سببا للريبة في قلوبهم وجوه منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم في نبوته ومنها ان تخريبهم
ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم عنه وصاروا مرتابين في انه هل بتركهم على ما هم عليه او يأمر بقتلهم ونهب اموالهم فلا يزول
تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يصح الحال زوال الريبة
هذا الشك يبقى في قلوبهم ابدا وبموتون على النفاق قال في الكشاف يجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا فتوبتهم تقطع
هذا فلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية والسابقون الاولون
عند الخروج من الحد وهم اهل الصف الاول من الجند المجاهدة او السابقون في جواب الست بربكم الاولون في استماع هذا
الخطاب والسابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بلشريف بحيهم في الازل الاولون بادراك حق المحبة في سر يجوز
او السابقون عند تخمير طينة ادم في مماسة ذواتهم بلا القدرة الاولون باستكمال مصرف العقل في كمال الاربعين صباحا
والسابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى مراقبات المجلال وهذا السبق
محصور بالقبح وبامته كما قال نحن الاخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار الهم في طلب الحق والدين
اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي الله عنهم باعطاء الاستعدادات الكاملة ورضوا عنه بابقاء حقوقها
ومن حولكم من اعراب صفات النفس منافقون ومن اهل مدينة القلب صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية
للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية
بل تميل الى الشهوة اذا خلبت وطبعا عليها ولهذا قال ﷺ وان اخوف ما اخاف على امتي الزنا وقيل ومنها كافرة كالقوة الشهوية في
طلب الغذاء فانها باقية على اصلها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطنية من
الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل ان تتبدل باضدادها من التواضع والمحبة والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور
الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة بانوار صفات وقفها القلب
فعند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم يتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة
بانوار بعض النفاق كما قال ﷺ اربع من كن فيه منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد
اخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم نحن هذه
الافعال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة
ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو انقطاعهم عن الكونين والفناء في الله او بجذبات القهر الى
اسباب حجب البعد والبقاء في عالم الطبيعة واخرون يعني القلب صفات اعترفوا بذنوب ثبوت صفات النفس والتلوث بها
خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه واخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى في بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى
طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة
فان حب الدنيا راس كل خطيئة وتاخذ الصدقات فيزان لعطي بحيث لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير اصلا وسنزيد

التوبة

بافدام اعمالكم الى الله الذى يعلم ما غاب منكم من نتايج اعمالكم وما عجمتم عنه من التقدير الازلى وما تشاهدون بالعيون والقلوب
فى عالمى الملك والملكوت واخرون مرجون امرهم لتردد وا بين الخوف والرجاء ينظر اليهم احيانا بالقبض والبسط الى يصلوا
الى سر اوقات الهيبة والانس والله عليم بتربية عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا فى عالم الطبيعة مزبلة
النفس مجدا ضد الارباب الحقيقة وكفروا باحوالهم لمن حارب الله هم اهل الاباحة من مدعى الفقر لا تقم يا رسول الروح اسس على
التقوى هو مجد القلب جبل على العبودية والطاعة من اول يوم من الميثاق رجال يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات
المزكيات عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين اهل السعادة والشقاوة فقال افمن اسس بنيانه اى جبل على الخير وما فيه
رضى الله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا ان تقطع قلوبهم غيرا عن طباعهم وذلك محال ولا يزال
ريبة هى مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم غيرا عن طباعهم وذلك محال ولا يزال ريبة هى مزبلة النفس ع
وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون
فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده من الله
بسكينه الرياضة فزال عنها تلك الملكات بدرستيكه خدا خريد از كردند كان نهاد ايشان ازاوصاف ناپسنديده كه ايشان را بآنها مزين ميكرد
فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون
پس شاد شويد بسبب بيع كردن شما آنكه بيع كرديد بآن واين آن رستكارى بزرگ توبه كنندگان عبادت كنندگان حمد كنندگان روزه داران
الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان
ركوع كنندگان سجود كنندگان امر كنندگان بنيكوئى وبنهى كنندگان از بدى وحفظ كنندگان مر حدود خدا را ومژده ده كردانيدن را بنهى
للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان
مر پيغمبر را وآنانكه گرويدند مر مشركان را واگر چه باشند خداوندان خويشى از پس آنكه روشن گردد مر ايشان را بدرستيكه ايشان ياران دوزخند وبنهد
استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابراهيم لاواه حليم
آمرزش خواستن ابراهيم مر پدر را جز از سر وعدى كه داده بود او را پدر بسبكه دشمن خداست بيزار شد از او بدرستيكه ابراهيم بسيار ناله كننده بردبار
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شئ عليم ان الله له ملك السموت
وبنهد خدا بر اگروهى را پس از آنكه راه نمود ايشان را تا روشن كند ايشان را آنچه بپرهيزند بدرستيكه خدا بهر چيزى داناست بدرستيكه خداوند اوست
والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار
وزمين زنده ميكند ومى ميراند ونيست مر شما را از جز خدا هيچ دوستى ونه يارى بگذشت كرد خدا بر پيغمبر وبهجرت كنندگان وبنصرت كنندگان
الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم و
آنانكه پيروى كردند او را در هنگام دشوارى از پس آنكه نزديك بود كه بگردد دلهاى گروهى از ايشان پس گردانيد بسوى ايشان مهربانى او بايشان مهربانست و
على الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين ع
بر سه كس بسهل گذاشته شدند تا چون تنگ شد بر ايشان زمين با همه فراخى او وتنگ شد بر ايشان جانهاى ايشان وگمان كردند كه نيست پناهى از خدا
بر ايشان پس بسوى ايشان بازگشت تا باز آيند بدرستيكه خدا اوست توبه پذير مهربان اى آنانكه
امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين القرائة فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلى وخلف
گرويديد بپرهيزيد از خدا وباشيد از راستگويان الاخوون على العكس ويقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابراهام وكذلك ما
بعده هشام بزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التانيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى الجرد وعلى عن
عباس الباقون بالتشديد بحمولا الوقوف الجنة ط ويقتلون ق والقرآن ط بايعتم به ط العظيم ج لحدود الله ط المؤمنين ه الجحيم ه ايا ط
منيب حليم ط ما يتقون ط عليم ه والارض ط ويميت ط نصير ه تاب عليهم ط رحيم ط للعطف على النبى خلفوا ط الا
الهط ليتوبوا ط الرحيم ه الصادقين ه التفسير لما شرح فضايح المنافقين وقبايحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر
اهتمامهم وفرع على كل قسم ما كان لا يقابه عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار
رسول الله ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط
لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك

فنا لنا قال الجنة فلو ارجع البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت إن الله اشترى الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فاغتنموه وقال جعفر الصادق ع والله لا بد انكم ممن لا الجنة فلا تبيعوها الا بها واعلم ان هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لان المشتري انما يشتري ما يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالا هو رزقها والمراد بانفسهم المنفوس المجاهد وباموالهم التي ينفقونها في سبيل الجهاد وعلى انفسهم واهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي ان قتل الطفل لان يبيع مال الطفل من نفسه لشطار غاية الغبطة ففي هذه الآية البائع والمشتري هو الله وفيه تنبيه على ان العبد كالطفل الذي لا يهتدي الى مصالح نفسه وانه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله الى انواع الخيرات واصناف السعادات وبوجه آخر الانسان بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذي هو من عالم الارواح وهذا البدن وما يحتاج اليه من مخلوقات المعاش كالآلات والوسائط لتحصيل الكمالات الموصلة الى الدرجات العاليات فالبائع هو جوهر الروح القدسي والمشتري هو الله واحد العوضين الجسد الباقي والمال الفاني والعوض الآخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زايل ولهذا قال فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وفي قوله يقاتلون معنى الامر كقوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم وهو كالتفسير لتلك المبايعة فيقتلون ويُقتلون اي انهم يقاتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه ان طائفة منهم اذا صاروا مقتولين لم يصر ذلك داعيا للباقين عن المقاتلة بقدر الامكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد بمجاهدي السيف لظاهر قوله يقاتلون والتحقيق ان كل انواع الجهاد يدخل فيه لان الجهاد بالحجة والدعوة الى دلائل التوحيد اكمل اثرا من القتال ولهذا قال ص لعلي ع لان يهدي الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولان الجهاد بالسيف لا يحسن الا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولان الانسان جوهر شريف فمتى امكن ازالة صفاته الرذيلة مع ابقاء ذاته الشريفة كان ذلك اولى من افناء ذاته الا ترى ان جلد الحنة لما كان متفكها من بعض الوجوه حث الشرع على ابقائه فقال لهلا اختتنتم اهانها فدبغتموها فانتفعتم بها وقد هم الجنة بقوله وعدا عليه قال الزجاج انه منصوب بمعنى قوله بان لهم الجنة كانه قيل وعدهم وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا وهو نعت للمصدر مؤكد وما الذي حصل فيه التوكيد والا بطل والقرآن قيل وعد المجاهدين على الاطلاق وقيل ذكر هذا البيع لانه محمد وقيل الامر بالقتال ومن اوفى استفهام بمعنى الانكار اي لا احد اوفى بما وعد من الله لانه الغني عن كل الحاجات القادر على كل المقدورات وفي الآية انواع من التوكيدات فاولها قوله ان الله اشترى واذا كان المشتري هو الاله الواجب الذات المتصف بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فانظر انه عبر عن ابطال الصواب بالبيع والشرى حتى يكون حقا مؤكدا ومنها انه قال بان لهم الجنة بحرفي التحقيق وبلام التمليك دون ان يقول بالجنة ومنها قوله وعدا وانه لا يخلف الميعاد ومنها قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تاكيد للتحقيق ومنها قوله في التوراة والانجيل والقرآن وانه يجري مجرى الاشهاد لجميع الكتب الالهية وجميع الانبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله ومن اوفى بعهده من الله وفيه تنبيه على انه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فاستبشروا والبشارة الخبر الصدق الاول ومنها قوله وذلك هو الفوز ثم وصف الفوز بالعظم واعلم ان هذه الخاتمة تقع على ثلثة اوجه احدها ذلك الفوز بغير هو وانه في ستة مواضع في برائة موضعين وفي النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والاخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع اخرى براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما في برائة احدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية وكل خاتمة المؤمن وسبب هذا الاختلاف ان الجملة اذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة اما بالواو والعطف واما بكناية تعود من الثانية الى الاولى واما باشارة منها اليها وربما جمع بينهما اشيئين منها والثلثة للدلالة على المبالغة وقد جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة لانه ذكر الكتب الثلثة فكان ابطر في مقابلة كتاب واحد كذلك في المؤمن وقع الثلثة في مقابلة ثلثة ادعية فاغفر ولهم وارحمهم قال ابو القاسم البلخي لا بد من حصول الاعواض على الآلام للاطفال وانها بموتها سالمة على ما اثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على الم القتل وهو الجنة ثم ذكر ان حكم سائر المؤمنين كذلك فقال التائبون قال الزجاج انه مبتداء محذوف والخبر التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان ايضا هذا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتداء خبره العابدون وما بعده اما التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال الماضية هذه الاوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق وقال الحزون الى التسبيح يشمل المناصطة ايضا اذ الدليل على التخصيص والعابدون قال ابن عباس الذين هم يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا شك انها عبادة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم اخذوا من ادابهم في ليلهم ونهارهم والحامدون

هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجاوزون اظهار ذلك عادة لهم وذلك ان الحمد ذكر من كان قبل ادم لقول الملائكة ونحن نسبح بحمدك وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا قولهم واخر دعوتهم ان الحمد لله رب العالمين والسائحون قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه يكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل اصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم ممسك على فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقالوا اهل اللغة الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعارف والحكم وتجلت له انوار المعارف والحقايق فيحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قال ابو بكر عن وهب منبه لا ريب ان للسياحة اثرا عظيما في تكميل النفس لانه يلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله ويصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء والاموات ويستفيد من هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب ومعرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار الراكعون الساجدون يعني المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفضل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل ولي ابراهيم التواضع للقيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا اخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله والناهون والحافظون دون سائر الاوصاف واجيب بان الشيء يجيء بالواو وبغيرها كقوله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب والمراد ان الموصوفين بالصفات المستثنيهم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر به والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر والنهي عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران التعصب فدخل عليه الواو وتنبيها على هذه المخالفة والمباينة وبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الاية وما في الكهف في قوله ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواوات واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا كثر ذكرها في القرآن والاخبار فالثمانية تجري مجرى استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله والحافظون لحدود الله فكما جاء بعد تفصيل وذلك ان التكاليف اما ان يتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذر ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها اما لجلب المنافع او لدفع المضار والمنافع اما ان يكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من مارق الحواس الخمس وهي المذوقات ويدخل فيها كل الاطعمة والاشربة والصيد والذبايح والضحايا والمملوسات ويدخل فيها باب الحكام الوقاع فمنها ما يفيد حلا كالنكاح والرضاع وما يتبعها من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالة كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها ما جواز استعمال الطيب في بعض الاوقات ومنعه في بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الاموات والالتقاط واخذ الفيء والغنايم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين وهو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا في الذمة او بيع الدين بالدين وهو بيع الكالي بالكالي المنهي عنه لاعند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع المالك التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما دفع المضار والمضرة اما في النفس وهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب وهو باب احكام الزنى والقذف واللعان واما في العقل كتاب تحريم الخمر واما في المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب اخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب وهم الامراء والقضاة وليس قول الغير مقبولا الا بحجة وهي

الشهادة والايمان مفصل من ذلك كتاب الدعاوى والبينات فهذا ما امكن من ضبطه مع قلته
الله تعم واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله نعم ولكن قوله و
الحافظون لحدود الله تشمل ذلك ايضا بل دعايته اهم من دعاية احوال الظواهر ثم ختم الاية بتكرير البشارة وفيه من كمال
العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين والكفرة الاعداء اراد ان يبين وجوب
البراءة من موالاتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعنى النهي اي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل
المنع بقوله من بعد ما تبين لهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعم ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار
مجرى الخلاف وغد الله وعيده وفيه خطر عظيم في حق الانبياء حيث يدعو بما لا استجاب له وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من
الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال
لما حضرا باطالب الوفات دخل عليه رسول الله ﷺ وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا اباطالب ترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شيء
كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي ﷺ لاستغفرن لك ما لم انه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما
منعنا ان نستغفر لاباءنا ولذوي قرابتنا قد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فانزل الله تعالى ما كان للنبي
الاية وقيل ان عباسا لما افتخر ثم سئل ابو بكر احد شيوخ عمه اي اخويه مات وقيل امات امنه فاطرق ثم
قام باكيا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبرها فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فيه ونزل
على ما كان النبي الاية فقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا اصح لان هذه السورة من اخر القرآن نزولا
وكانت وفاة ابي طالب بمكة فقبل الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه ﷺ لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الاية ثم عند
عن استغفار ابراهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك اذ اباه كان وعد ابراهيم ان يؤمن فكان يستغفر له
بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابراهيم انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك او بطريق الوحي تبرا منه وترك
الاستغفار ويجوز ان يكون الواعد ابراهيم ع ويوافقه قراءة الحسن وعدها اياه بالباء الموحدة وذلك في قوله
لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابراهيم لابيه دعاءه له الى الاسلام الموجب
للغفران وكان يتضرع الى الله تعم ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلوة الجنازة فكان قوله ولا تصل على
احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابراهيم لاواه حليم قال اهل
اللغة اواه فعال ماخوذ من حروفاوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن فاذا دخل القلب
وبشدة حرارته فاذا تكلم صاحبها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما يبر عن النبي ﷺ انه قال الاواه الخاشع المتضرع
والحليم ضد السفيه وصفه تعم بشدة الرافة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابراهيم مع هذه العادة تبرا من ابيه
حين انقطع رجاؤه منه فانتم ايها المعنا الاولى ثم ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين
فانزل الله وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة ويحكم عليهم بالضلال ويخذلهم او يوقع الضلال في قلوبهم حتى
يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحذروا عنه والحاصل
ان الله لا يسمي قوما ضالا الا بعد اذ سماهم مهديين ما لم يقدموا على شيء مبين حظره واما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما
لم يؤاخذ بشرب الخمر والربوا قبل تحريمها وفي الاية تشديد عظيم حيث جعل المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات ضالا
في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموت والارض يحيي ويميت والمراد من كان عالما قادرا
هكذا لم يحسن الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قال المعتزلة وفيه دليل على ان قبيح من الله لا يبتدأ بالعقاب
واجيب بان لذلك بحكم الملكية غاية ما في الباب انه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموت
والارض فائدة اخرى هي انه لما امر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته وغاية ضعف من ازراه استظهار المسلمين كيلا
يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كانه قال وجب عليكم ان تقتفوا الحكم وتكابدوا المشاق لاني الهكم وانتم عبيدي
ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الاية لما بين بقسميه ان لا يتبين على اسوة مع جوابها فالسؤال الاول
ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه تحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان
اللايق بحالهم ان يثنى عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من
باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي ﷺ بقوله عفا الله عنك

التوبة

لم اذنب لهم ولعله قد وقع فى قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عانوا المتاعب والاقل من الوساوس و الهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدايد صارت مكفرة لجميع الزلات التى صدرت عنهم فى ذلك السفر بل فى مدة عمرهم و صارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شان المهاجرين والانصار لانه صدر عن ذنب السؤال الثانى ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد يستعمل الساعة فى معنى الزمان المطلق والعسرة بعد الامر وصعوبته والمراد الزمان الذى صعب عليهم الامر جدا فى ذلك السفر كانوا فى عسرة من الظهر تعقيب العسرة على العير واحد وفى عسرة من الزاد تزودوا الثمر المدود والشعير المسوس والاهالة الريحة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان اقتسم الثمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفى عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فرثها وفى شدة زمان من حر الصيف كما قال المنافقون لا تنفروا فى الحر وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة التى مروا عليها فى غزواتهم كما ذكر الله تعالى غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى كاد تزيغ وكيف اعرابه والجواب فيها استعمالان كاد زيد يخرج ومعنى الاول كاد زيد خارجا اى قارب الخروج ومعنى الثانى كان الشان يكون كذا يعنى قارب الشان هذا الخبر وشبهه سيبويه بقولهم خلق الله مثله اى ليس الشان ذاك ولكن ضده والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا انفسهم صبرا وثبتوا وندموا وقيل ما كان الاحد يشك بالاخرة ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة فى اوائل الآية فلم كررها فى قوله ثم تاب عليهم الجواب لما دعا الضمير فى عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبى والمهاجرين والانصار جميعا فالتكرير للتوكيد مع غاية دقة هو ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه وذلك انه بدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متأكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفوت عنك والبلاء اشارة بقوله ان الله بغفر ذنب الرجل المسلم عشر مرة وقال ابن عباس فى تفسير قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا عنهم رضى تم اكد هذه المعانى بقوله انه بهم رؤف رحيم فيشبه ان يراد بالرأفة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة او الاول رحمة سابقة والثانى لاحقة الخامس الثلثة الذين خلفوا منهم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين كما سموا مرجئين اى مؤخرين عن ابى لبابة واصحابه حيث يتب عليهم بعدا وثلث وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة من قرأ بالتخفيف اى خلفوا الغازين وقيل المخلف من خلوف الفم اى فسد واوقرا جعفر الصادق خالفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة فى الامر وضاقت عليهم انفسهم اى قلوبهم لا يسعها الا الهم والاسرور وظنوا اى علموا وتيقنوا ان لا ملجأ من سخط الله الا الى استغفاره كقوله ما اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلى وهو الرجحان وذلك انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله فى شانهم قرانا وان سلم انهم قطعوا بذلك لانهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجوز ان المحذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب مالك قال لما قفل رسول الله سلمت عليه فرد على كالمغضب بعدما كان ذكر لى فى الطريق وقال لبت شعرى ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر فى عطفه فقال معاذ الله ما اعلم الا خيرا واسلما وفى عن كلامنا الثلثة فشكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بندا من ذروة سلع وهو جبل بالمدينة ابشر يا كعب مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفنى ربى وضاقت علىّ الارض بما رحبت وسمعت الصارخ وتتابعت الاشارة فلبست ثوبى وانطلقت الى رسول الله فاذا هو جالس فى المجلس وحوله المسلمون فقام الىّ طلحة بن عبيد الله هرولا حتى صافحنى وقال لا انساها لطلحة وقال رسول الله وهو يستنير لاستنارة القمر ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك فلما سلمت قلت يا رسول الله ابو بكر اوراق عن التوبة الصحو فقال ان من تضيق على انا ئب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله تاب عليهم ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم او تاب عليهم فى الماضى ليتوبوا فى المستقبل اذا مرطت منهم خطيئة علما منه بان الله توّاب لو عاد فى اليوم مائة مرة او تاب عليهم ليرجعوا الى محاسنهم وعادتهم فى الاخلاص بالمؤمنين او تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها الان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد قبول توبة الله عليهم وقال الاشاعرة المعصوم بيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا ايضا قالوا فى الآية دلالة على ان قبول التوبة غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت فى اول الامر ثم انه لم يلتفت اليهم وتركهم حسنين يوما ويمكن ان يجاب بان شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من اول الامر فلهذا تاخر القبول ولقائل ان يقول حتى اذا

ثم عفوت عنك

على من تاب عليهم

فاقرأ

ضاقت الارض بما رحبت سبحانه المؤمنين على ما ندبهم اليه من سيرة التقوى والانضمام في زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين
امنوا الاية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على
طريقهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشئ مشروط بوجود ذلك الشئ فلا بد من
وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد ص ان التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيمة
فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه في الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز ان يكون مخطئا
في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق
بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد في كل حين والمراد انهم اذا اجمعوا على شئ كانوا
صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا في دين
الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة فيه قولا وعملا وقيل اي كونوا مع النبي ص وقيل مع الثلثة المذكورين في الصدق والثبات وعن ابن عباس
الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي فاقوا المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الخطاب للذين شهدوا انفسهم على السوء في
وفي الاية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روي ان اعرابيا جاء الى رسول الله ص وقال اني
اريد ان ومن بك الى احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لي بتركها
فان قنعت مني بترك واحد امنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله ص عرضوا عليه الخمر
فقال ان شربت فان سئلني رسول الله ص عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت قام الحد علي فتركها ثم عرض
عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله ص وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب
السد ابواب المعاصي على وتاب عن الكل من ضرائب الصدق ان الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن مضاهيه الكذب ان
الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب انه ابلس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى في قوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عندنا لاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند
المعتزلة والله اعلم التأويل ان الله اشترى في التقدير الازلي لهذا البيع لانبذل النفوس والمال في الجهاد الاصغر في الجهاد
الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اشترى من اوليائه الصديقين قلوبهم وارواحهم بان
لهم التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون له على ما وفقهم لتعقب طلبه السائحون السائرون
اليه بقدمي الصبر والشكر والتبري والتولي الراكعون اي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجوده الساجدون
الساقطون على عتبة الوحدة بلا هم الآمرون بالمعروف الحقيقي الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لشلا يتجاوزون
عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية
ان ابراهيم لاواه الاواه هو المتبرئ من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لصفة البشرية قولا منه بموجبها
وردله وانزجاجا عليه نظاقا الخلق فبناوه عند تفضل الطالب المضطر من الخلق الى الحق حليما عما اصابه من الخلق الحق فلا
رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال لجبريل حين سئله الك حاجة اما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما
بعد اذ هديهم بالمكر الى الاثنينية البعد بعد اذ هديهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من
آفات البشرية وغاياتها الدنيا فمنهي راس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وتوابا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من
الحور بعد الكور او نقول ان الله تعم بعد اذ هديهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يريهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات
بعد المحو والتصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال وغاياتها لتلك
الاحوال ان الله له ملك السموات والارض القلوب وارض النفوس يحيي بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء وما
لكم من دون الله من ولي ولا نصير شغلكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك
يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك والمالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم
ذكر النبي ص على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين
اتبعوه في ساعة عسرة الدنيا وتركه منهوماتها او نقول لقد تاب الله اي فاض انوار عرفانه على نبي الروح ومهاجر صفاته
الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه
الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم
السفل وعلى الثلثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالمه ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم

التأويل

التوبة

ارض البشيرة شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم انفسهم تحننا الى تلك المعاذات وتحققوا بنو اليقين ان لو بقوا في السعة
لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بتحديد العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا طريق الحق ابدا
مع الصادقين الذين صدقوا ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا
بنوم المشاق والله اعلم بضرورة ايمان مدينه و انكه برايمان اين شنده ازا براهيم كه خلاف كننده از رسول خدا وبنا يدكه رغبت كنند
بانفسهم عن نفسه ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ
نهاى ايشان از نفس او ان بسبب آنكه ايشان نرسد بايشان تشنگى ونه رنجى ودر كرسنگى ودر راه خدا وبجاى نرسند دارى كه بخشم آورد
الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة
كافرانرا وبنا شند از ايشى وشمنى مكر آنكه نوشته شود ايشرا بآن كار نيكو بدرستيكه خدا ضايع نكند مزد نيكوكاران را ونفقه نكنند نفقه كردن
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون
نيكو چيزى ونه بزرك ونه برند واديرا مكر آنكه نوشته شود ايشان را تا بداد ايشان را بهترين آنچه بودند ميكردند وبنچه مرد بودند ميكردند
لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم
نا برفتن روند همه پس چرا برفتن نرفتند از هر گروهى از ايشان گروهى تا فقيه شوند ودر دين وتا بيم كنند قوم خويش را چون باز گردند بسوى ايشان تا مباشد ايشان
يحذرون يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا ان
بپرهيزند آى الذين كه بگروند بكارزار كنيد با كانكه نزديك شما اند از كافران ودباييد كه بيابند در شما درشتى وبدانند انكه
الله مع المتقين واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
خدا با نيكوكاران است وچون فرستاده شود سورتى پس بعضى از ايشان كه كدام يك شما افزود اين سوره ايمان را پس افزود ايشانرا
ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا
ايمان واينان شادمانند واما آنانكه در دلهاى ايشان شك ونفاق است پليدى ايشان را بپليدى ايشان ومردند ايشان وحال آنكه كافرانند آيا نمى
يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم
بينند كه ايشان مبتلا ميشوند در هر سالى يكبار يا دو بار پس توبه نميكنند واز ايشان پند نميگيرند وچون فرستاده شود سورتى مينگرند بعضى از ايشان
الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من
بسوى بعضى آيا مى بيند شما را از احدى پس برگردند برگردانيد خدا دلهاى ايشانرا بآنكه گروهيند نادانند بتحقيق كه آمد شما را رسولى از
انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا
نهاد شما دشوار است بر او آنچه رنج بريد حريص است بايمان شما بمؤمنان مهربان رحيم پس اگر روى بگردانند پس بگو بسنده است مرا خداى
هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم القراءة مولها وبخوه بالياء يزيد والثمون وقالون غلظه بضم
او بر او توكل كردم واو خداوند عرش عظيم وبزرگ العين المفضل الباقون بكسرها ولا ترون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة
يعقوب الباقون على العينة الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين لا للعطف يعملون كافرة يحذرون غلظة المتقين
ايمانا ج يستبشرون ه كافرون ه يذكرون ه الى بعض ط لحق الحذوف اى يقولون هل يراكم ثم انصرفوا لا يفقهون ه
على تاويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما اثمتم ولا وقف في الاية الى قوله رحيم حسبي الله
والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اى يكفيني الله عز شانه في الالوهية الا هو العظم التفسير اما موافقة النبي واصحابه
في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين اكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل المدينة
اى لا يستقيم ولا يجوز لهم والاعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس انهم مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار
وكانه اراد المعروفين منهم والا فاللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولا ان يرغبوا بقال رغبت بنفسي عن هذا الامر اى ابخل
بها عليه ولا اتركها له والمراد انه لا يصح لهم ان يرغبوا عن صحبة رسول الله ﷺ لسبب صلاح انفسهم وبقائها بل عليهم
ان يصبروا على الباساء والضراء ويرضوا لانفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لان نفسه اعز نفس عند الله فاذا تعرضت
مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الافضل ان لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهي مع التهييج توبيخ عظيم ولا
يخفى ان الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للاجماع وان اصحاب الاعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل
بالنقل ويبقى ما وراء هاتين الصورتين داخلا تحت عموم الاية ثم ذكر تعيينا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال
ذلك بانهم اى لوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم متابون على انواع المتاعب واصناف الشدايد بدل على جميع

الفصل ١

الحركات والسكنات مدة الذهاب والاياب ثم الظماء شدة العطش والنصب الاعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي تظهر خمصا البطن والموطئ مصدر كالموردا ومكان وعلى التقديرين التصريح بغيظ عائد الى الوطئ الصريح او المقدر ثم الوطئ يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالاقدام ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الايقاع والاهلاك قال ابن الاعرابي يقال غاظه وغيظه واغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا زراه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم ويلحق بهم ضررا من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار بضرب فيغيظهم ويسوءهم شيئا الا كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة عند الله وكذا القول في طرق المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد سوء المعصية وهذه الآية استشهد اصحابنا بها على جواز ان المدد الذي يلحق الجيش بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطئ دارهم مما يغيظهم ويسوءهم وقال الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعلق حظ الغانمين قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله ﷺ اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان المسلمون قلة فلما كثروا نسخ الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء وكذلك غيره من الائمة والولاة واذا عين لطائفة لا لو شرط للمتدب ان يتفاعد لم يحظ بذلك بعض دون بعض ويؤدي الى تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما ارفق عليها مثل ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شايع في استعمال العرب يقولون لا يتصل في وادي عمرو وهو في الاصل قاعد من ودي اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال واكام يكون منفذ السيل الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع وذلك العمل الصالح المعهود في الاية المتقدمة ثم ذكر غاية الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة العمل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة ونافيها من اعمالهم وهي الوطئ والنيل والانفاق وقطع الارض وضم هذا الباقي منهن بعض شطر منه الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على انه في الثواب جار مجرى عملهم وهذا صريح بذلك فقال لا يكتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض اخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله لا كتب لهم لان هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك او اكتفاء بما تقدم او لان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان احدهما انه من تمام احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في وجوب المناقفين كان المسلمون اذا بعث رسول الله ﷺ سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الاية قال ابن عباس والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يبقى طائفة منهم حتى يحدثوا الملازمين خدمة الرسول والاخرون للنفير الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا فلولا نفر الى هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فذهب الاكثر الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى النفر الباقية في حضرة الرسول ﷺ لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل وضبطوا ما حدث من الشرايع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرون اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وهذا الطريق يتم من الدين بها بين الطائفتين والاضاع احد الشقين والاحتمال الاخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار فيتنبهون لدقايق صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد امر يتعلق بالسفر وكل التفقه اما في دين الرسول ﷺ فوجوبه ظاهر لمن لديس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا يبعد ان يقال متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان امكنه في الحضر فلا شك ان للسفر بركة اخرى بعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين ويتجشموا للشاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلايلها التفصيلية والظاهر ان المراد في الاية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي والشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى ان الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار

والارتسا الا ما يتبقى لبه علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من مهاوي الردى وفيافي الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بان جبل الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلثة يكون اثنين او واحدا ثم انا اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا واجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول وورد بان قوله لعلهم يحذرون ايجاب العمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم مبتدا من الاقرب منتقلا الى الابعد والقتال واجب مع كافة الكفرة بآية القتال ولكن هذه الآية تحصر لان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا يكون هذه منسوخة بآية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر والاقرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة كما في بناء المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالابتداء بالجمع الحاضرين ثم بالانتقال الى الغائبين وايضا المؤنة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله ﷺ قوما ثم غزاهم عرب الحجاز ثم غزا الشام وروي ان اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال ﷺ كل مما يليك فثبت بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب الا ما يضطر الى العدول لضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة نظر فعلوا واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح الغين فهو المصدر ايضا كالسخط وهي لفظة جامعة للجراءة والصبر على القتال والشدة العدة والعنف في القتل والاسر وكل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما بالقاء الحجة واما بالسيف اما فيما يتصل بالبيع والشري والمجالسة فلا ولكن تقوى الله سبحانه على ذكره في موارده ومصادره ولهذا ختم الآية بقوله واعلموا ان الله مع المتقين فان قتله فقتله لله وان تركه على الحيرة تركه لله وان كسر عدوه والامر الحاضر الغنيمة دعه فيجدد الله ثم حكى بقية فضايح اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل بما يرونه يقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول بكم مرفوع بالابتداء وخبره زادته هذه ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه في اول سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما ثواب الآخرة واما بالفرج والنصرة في الدنيا والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين لهم عقايد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضم كفر الى كفر اولان حصول حسد وغل ونفاق بعقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة عن اخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقايد والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الا ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا بعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله والآخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبتها في الآخرة ونفرتها عن الدنيا واما النفس الخبيثة المنهمكة على الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الآخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد ازدادت نفرتها عنها وانكاره عليها وكل بقدر ما هو عجيب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قال ابن عباس اي يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن وانه عند ذلك يتذكر ويتوب وموقعه بين يذكر وبين فهم ذلك انما ونحوها وقال مجاهد بالجدب والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في لسنة الناس بالطعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبر جبريل فيخبرهم بذلك فيحلفون بالله ما قلنا شيئا فانزل الله تعالى اولا يرون انهم يفتنون ثم ذكر نوعا آخر من مخازيهم فقال واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والازدراء بالوحي قائلين هل يراكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فحانا الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد واراد وان كان من ورائكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من

هذا الابناء وسماع الباطل ثم انصرفوا اى من مكان الوحى الى مكانهم او عن استماع القران الى الطعن فيه ومعنى صرف
الله قلوبهم قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طبع الله قلوبهم وقال الزجاج اضلهم الله قالت الاشاعرة
هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح
او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من امن بها والمراد بصرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكمد قالوا ومعنا
قوله لا يفقهون لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد اسحق انه قال لا تقولوا انصرفنا
من الصلوة فان قوما انصرفوا صرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصود التفال باللفظ الوارد فى الخير دون
الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف
شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها فقال لقد جاءكم رسول من انفسكم اى من جنس البشر لا الملك لان
الجنس الى الجنس امثل وبعد الف اشد والخطاب للعرب المقصود عنهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من
الدولة والرفعة فان ذلك تعظم وفخرهم لانه من ابناء جلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل
الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهماتهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين فى خدمة اسلافه فلم
تتكاسلون فى خدمته مع انه لا نسبة لكم فى الشرف الى اباءه والمقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من
عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الافات عنكم وايصال الخيرات اليكم فاستدل
من هذه احواله وصفته بكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة
الى النبى والوصى اهل البيت عليهم السلام وصفه بما يستتبع المجانسة والمناسبة من النتايج وذلك قوله عزيز عليه ما عنتم العزة
الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم والقائكم
المكروه واولى المكاره به الدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حريص عليكم الحرص يمتنع ان يتعلق بنا والمراد
فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الافات وايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار وقال
قتادة الحريص المشيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بالمؤمنين اى منكم ومن
غيركم رؤف رحيم قال ابن عباس لم يجمع لنبى اسمين من اسمائه الا له وخاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من
العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرفتم ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتاديب
منهما احسان واجمال فان كان صعبا مولما فاقبلوا اما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله
فان لم يقبلوها بل اعرضوا وقولوا فانركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع امورك الى الله الذى بالحق ارسلك فهو كافيك و
هو رب العرش العظيم فلا يخرج عن قبضته قدرته وتصرفه شئ لانه محيط بالعرش وبما يحويه والعرش والله اعلم التاويل ما كان
لاهل مدينة القالب وهو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول
الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ من ماء الشهوات ولا نصب
من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله ولا يطئون موطئا من مقامات الفناء بغيظ الكفار
النفس والهوى ولا ينالون من عدو الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا
كتب لهم به عمل صالح من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله ولا ينفقون نفقة صغيرة هى بذل الصفات ولا كبيرة هى بذل الذات
فى صفات الله وفى ذاته ولا يقطعون واديا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا يعملون
لان علمهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق تمنيهم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم وما كان المؤمنون لينفروا فى السير
الى الله وبالله وفى الله فهلا نفر من كل قوم وقبيلة فرقة طائفة هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون لتتعلموا السلوك
ويجوز ان يكون المعنى هلا نفر من كل قوم لتعلم قومهم لعلهم يحذرون من غير الله قاتلوا الذين يلونكم من كفار النفس الهوى وليجدوا منكم غلظة عزة
صادقة فى ترك شهواتها وما تاوهم كافرون اى لوث قلبهم لتراكم ظلمة النفاق كلما حين ثم اخبر عن موت القلب بقوله
اولا يرون انهم مفتنون والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى قلب حى هل يراكم
من احد فى مقام الانكار والنفاق اى هل يرى محمدا انكارنا على رسالته والقران فان دون رسوله اما بتوبيخ او بتنبيه ثم انصرفوا على
هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وليس لهم فقه القلب لان دليله من اما زاد جوه من انفسكم لتسكين للعلوم لئلا ينفروا عنه و
اشارة للخواص الى ان البشر لهم استعدادا للوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فاتبعونى يحببكم الله ومن
قرء من انفسكم اى من شرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله نعم اول ما خلق الله تعالى روحى ولا خصوصا بالخلاص عن تعلق الكونين

وبلوغه إلى قاب قوسين أو أدنى وعلمه بحالته فأوحى إلى عبده ما أوحى وتعلوهمته ما زاغ البصر وما طغى ولؤمته ترى
لقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤف رحيم فمن رافة أمره بالرفق كما قال ان هذا الدين متين فأوغلوا
فيه بالرفق ومن رحمته قبل له فبما رحمة من الله لنت لهم وهيهنا نكتة وهي ان رافته ورحمته لما كانت مختوقة بالمؤمنين فقط وكانت رحمته تعم ورافته للناس عامة ان الله بالناس لرؤف رحيم ونكتة اخرى
هي ان رحمته عامة للعالمين بقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين واما رحمته
المضمونة الى الرافة فخاصة بالمؤمنين وكان الرافة اشارة الى ظهور اثر
الدعوة في حقهم فالمؤمنون امة الدعوة والاجابة جميعا وغيرهم
امة الدعوة فقط حسبي الله لان المقصود من التبليغ قد
حصل لك وهو وصولك الى الله اعرضوا عن
دعوتك وامتلوا والله المستعان

تم الربع الثالث من التفسير المسمى غرائب القرآن
ورغائب الفرقان والحمد لله
على نواله والصلوة
على نبيه المصطفى
محمد و
اله

سورة يونس مكية الا ثلاث يا قوله فان كنت في شك الى آخر ثمان حروفها خمسمائة وثمانية وستون كلمها ثمانمائة وثنتان وثلثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

ع الر تلك آيات الكتاب الحكيم اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذين امنوا ان لهم

این آیتهای کتاب با حکمت است یا شد مردمرا از آن تعجبی که وحی فرستادیم بمردی از ایشان که بترسان مردمان را و خبر ده بایشان را که مر

قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لساحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة

ایشانرا نزدیکی نزد پروردگارشان گفتند کافران بدرستیکه این هر آینه ساحریست روشن بدرستیکه پروردگار شما خدائیست که آفرید آسمانها و زمین را در شش

ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه افلا تذكرون اليه

روز پس مستولی شد بر عرش تدبیر میکند کار هارا نیست هیچ شفیعی مگر پس از دستوری او آنست خدا پروردگار شما پس بپرستید او را آیا پس پند نمیگیرید

مرجعكم جميعا وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا

بازگشت شما همه وعده داده از خدا حق بدرستیکه او نخست آفرینش خلق را پس باز میگرداند او را تا جزا دهد از آنکه گرویدند و کردند کارهای شایسته بعدل و آنانکه کافر شدند

لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا

مر ایشانرا آبی گرمتر از آب و عذابی دردناک بسبب آنچه بودند کافر میشدند اوست آنکه گردانید آفتاب را روشنائی و ماه را روشنی و مقرر داشت مر ماه را

عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان في اختلاف الليل والنهار وما

شمار سالها و حساب خدا نیافرید آنرا مگر بحق تفصیل میدهد آیتها را برای گروهی که میدانند بدرستیکه در اختلاف شب و روز و آنچه

خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا

آفرید خدا در آسمانها و زمین هر آینه آیتهائی است برای گروهی که میترسند بدرستیکه آنانکه امید ندارند ملاقات ما را و راضی شدند بزندگانی دنیا و آرمیدند

بها والذين هم عن آياتنا غافلون اولئك مأويهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات

بان و آنانکه ایشان از آیتهای ما بیخبرند انها جایگاهشان آتش است بسبب آنکه بودند که میکردند بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته

يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعوىهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها

راه مینماید ایشانرا پروردگارشان بایمانشان میرود از زیر ایشان جویها در بهشتهای پر نعمت خواندنشان در آن بهشتها سبحانك اللهم است و درود ایشان در آن

سلام واخر دعوىهم ان الحمد لله رب العالمين القراءة الزبا لامالة كذلك له ما بعده وابو عمرو وخلف وحمزة وعلى الخزاز

سلامست و آخر خواندنشان اینکه ستایش مر خدا را پروردگار عالمیانست

عن هبيرة والبخاري عن ورش وبجلي وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان اساكن

بالف ابن كثير وعاصم حمزة وعلى وخلف الاخرون بسكونها حقا انه بالفتح بزيد ضياء بالهمز حيث كان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل يفصل

بالياء ابن كثير وعمرو ويعقوب وحفص والمفضل والبعلي الباقون بالنون واطمأنوا بغير همز الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف

بالوقوف الزهري في الحكيم عند بهم طمئن يدبر الامر اذ نذكرون جميعا حقا الاول قراءة بالفتح

والقسط يكفرون والحساب الا بالحق لمن قرأ بالفصل بالنون ومن قرأ بالياء امكنه ان يجعل يفصل خبرا لا يعلمون يتقون غافلون

يونس

لان اولئك خبران بانهم ط للحذف تقديره ولهم بانهم ان الاولى مع اتحاد المقصود تمام الموعود النعيم سلكم ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على قولهم الاول العالمين التغيير تفقوا على ان قوله الر ليس بآية وعلى ان طه آية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الآى التى بعده عن ابن عباس رضى الله عنهما انا الله ارى وقيل انا رب غيرى وقيل الرحيم من اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والتبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتمالها على ما وصف بصفة من تكلم به منه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل او يحكم بان محمدا صادق وان القرآن اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اى حكم فيه بجميع المأمورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القرآن او اللوح المحفوظ او التوراة والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة فى الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القرآن واعلم انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لقد جاءكم رسول من انفسكم صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدى وذلك ان حروف القرآن من جنس الحروف التى يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وناقضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله على كفار قريش بين بهم من كونه رسولا فقال أكان للناس عجبا نصب على انه خبر كان واسمها أن أوحينا وفائدة اللام فى قوله للناس مع تقديمه هى انهم جعلوا لهم عجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد صلى الله عليه وسلم بالوحى والنبوة فقد رد انهم كانوا يعلمون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا اليتيم ابى طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس يميل ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما الثانى فلان الفقر واليتم لا يوجب النبوة فربما كان الله غنى عن العالمين وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى وانما المعتبر الاستيناء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ذلك قبل بعثه اليد الطولى وكان يدعى محمدا الامين وان فى قوله ان انذر الناس هى المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت فى ضمير شان مقدر معناه انه اى ان الشان قولنا انذر الناس وقوله بشر الذين آمنوا اى بان لهم والانذار اخبار مع تخويف وانه عام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير ولدينك لا يعجب بل المنكر فى العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل امرها الى الله تعالى المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبه يتم المالكية والامر والنهى والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغى والتبشير ترغيب فى فعل ما ينبغى والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قدم صدق سابقة فضل ومنزلة رفيعة اى سبوق لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانبارى كناية عن العمل الذى لا يقع فيه تاخير ولا ابطاء والسبب فى اطلاق القدم على السابقة ان السعى والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمى المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لا نها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من السوابق العظيمة اى القدم التى يصدق ويحق ان يسمى قدما واما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هى الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم واما قوله قال الكافرون فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرأ الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن قرأ السحر فهو اشارة الى القرآن وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا بالمدح اى انه لكمال فصاحته وبعد الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهى الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها يبنى باثبات المعاد وذلك فى اثنين متوالين وقدم فى الاعراف تفسير قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمة وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وانما فعل العاطف لانها كالتفسير والتفصيل الدال عليه قوله ان ربكم الله آه والامر الشان اراد بما حوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضى ويقدر ويفعل بمقتضى الحكم ويفعل ما يفعله المصيب فى افعاله الناظر فى الامور وعواقبها لئلا يدخل فى الوجود ما لا ينبغى قال الزجاج ان الذين خوطبوا بهذه الآية كانوا يقولون ان الاصنام شفعاء نا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس احد ان يشفع اليه فى شئ الا بعد اذنه نزلوا على علم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسئلوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح ففى قوله يدبر الامر اشارة الى الاستقلال فى التصرف وجانب المبدأ وفى قوله ما من شفيع اشارة الى الاستقلال فى طرف المعاد ويمكن ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع فى تحصيل المصالح فذلك على انه يحسن الى عباده مريد للخير والراحة بهم كامل العناية بما جوا لهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثانى من الشفع الذى يخالف الوتر اى خلق السموات والارض وحده ولا حى معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين والمراد انه لم يدخل فى الوجود احدا الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم اشار الى المخبر المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذلكم الله ربكم الذى يستاهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام

باثبات المبدأ وبين غايتها

من خلق السموات والارض فيها وعليها فاعبدوه وحده افلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدال الذي على عظمة وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم اي جوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في العاقبة الا الى جزائه بحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تاكيدان كما مر ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو استيناف فيه معنى التعليل كانه قيل ان الذي قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وتنشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم على انشاء اجزائكم حيوانكم ثانيا شيئا فشيئا من عناصر تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت عوده وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرقة ومن قرا انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه او على انه منصوب بالفعل الذي نصب عدا الله اي وعد الله عدا بدء الخلق ثم اعاده حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الاية اضمار والتقدير انه يبدء الخلق ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي والمناسب هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه وكان الاعادة لا يكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله بالقسط اي بالعدل متعلق بيجزي اي يجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بيجزيهم بقسطهم بما لم يظلموا انفسهم حين امنوا وعملوا الصالحات هذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرضهم وقوعهم في طريق الفهر والجحيم الماء الذي اسخن النهاية حتى انتهى حره قال الاشاعرة في الاية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم وورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول لا يجب على الله شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب على الترك هذا في المامورات والعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي دار الاخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي اه فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والردع ما اودع الله في العقول من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد قلنا سلمنا فلم لا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله لستم تخصصون اكثر عمومات القرآن ثم تزعمون انه لا كذب سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والالام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا ان الهوى والنفور يدعوان الى الالتهاء في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وماذاك الا ترتيب الوعد والوعيد على الاعمال ليجوز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل وقد ترى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالافات والبليات واضعفهم جسما فيتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمته الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم والظالم ان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن امن به واطاعه وليس هذا التفرقة في الدنيا كما قيل كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها التفاوت ومنها انه لو كلف عبيده بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشيء فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن اجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن ولم يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فاذن لم يكن في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا لا خوف له من المعاد فتح يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الاخرة ومنها انه تعالى خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان لذات الدنيا مشوبة بالالام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان الراحة دار اخرى فان قيل لم لا يجوز ان يعذب اهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم قلنا الفرق بين ذلك الالم واستحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقب جزاء عظيما والا فينا في كونه ارحم الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشارك في اللذات الحسية لان الرب في خلق الجعل كالملوز في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقله وسبب تألمه وتاذيه باغلب الاحوال التفكر في الاحوال الماضية فيا اسفا حيا مل في الاحوال الاتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقاوته وختم في شرفه ومرتبته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالافات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين بالعفو عن المذنبين ويزيل

النوم والهمود والافات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائما في الترقي من حين كونه جنينا في بطن امه الا ان يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق وعالما مشرفا على حقايق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف واعلى من الذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا امنا بالمعاد وناهبنا الرفان كان هذا المذهب حقا فقد نجونا وهلك المنكرون وان كان باطلا لم يضرنا هذا الاعتقاد غاية ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال الانسان من صباه الى هرمه يضاهي حال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر في تغيرات العالم ادى الى ايمان صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق ببرانه يترك عبيده مهملا يكذبون عليه ويجورون فلا بد من ان يكون له امر ونهي ووعد ووعيد من غير مجوز يخلف فيها كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الآخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزا فالمرة الثانية ايضا جائزة ثم ان الله تعالى قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تميز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والنبات وغيرها من اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد لجملة ما شبهة للمنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شرا من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فكذلك وان كانت خيرا منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود ولا ثم تركه وفعل الارذل فذلك سفه وقبيح وان كان غير قادر انقدح حدوث له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب ان كلا من الدارين خير في وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبيل العلم والعمل والاخرى للرحمة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستدير لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرناه في كتبنا الحكمية من ان كل جسم مركب كل مركب يمتنع الا محالة ولئن سلمنا انها ازلية لكن الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الهيئة تقتضي السبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالا ولئن سلمنا ان الحركة ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضيا لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء الكيف كانت بل بشرط وقوعها على تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال والجواب ان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهرا مجردا مفارقا او جسما مخصوصا لطيفا باقيا في جميع احوال البدن من الصبى الى الهرم مصونا عن التحلل والتبدل وهو الذي يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان آخر لزم ان يعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال والجواب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزءا من انسان آخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول من امر المعاد والله تعالى اعلم بحقايق الامور وقد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو اجوف واوي محمول اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ثم قرا بهمزتين بينهما الف فيحمل على القلب بان قدم اللام على العين وقلب حرف العلة على الطرف فانقلبت همزة كما في كساء وهواء او ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياما وصام صياما ولا بد من تقدير مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة فجعل نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف احواله من اهلة الى البدرية كما بينا في تفسير قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة وقدره منازل فالضمير في الكناية اي قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل او منزل القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون واساميها مشهورة الشرطين الثريا البطين الدبران وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فترى القمر كل ليلة نازلا بقرب احدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجا على ثمانية وعشرين عددا يام دور القمر فاصاب كل برج منزلين وثلث فجعلوا كل منزل بالعلامة التي وقعت وقت التسمية بحذائه ثم ذكر بعض منافعها العائدة على المكلفين فقال لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دوران احديهما على الاخرى في تفسير قوله تعالى ان عدة الشهور الآية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى سائر منافعها وخواصها بقوله ما خلق الله ذلك الا

المهيئة بالحالة المنتقل عنها والآيلة شانا في التسوم

الجزء الخامس عشر

الا متلبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس يفصل السنة الى الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلايق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف احواله في زيادة النور ونقصانه يختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها الناظر المتدبر لهذا قال فصلنا الآيات لقوم يعلمون لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي هو الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقدر تفسيره في سورة البقرة في قوله ان في خلق السموات والارض الآية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والارض كقوله وما يخلو من شيء وقدر في آخر الاعراف انما خص كونها آيات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من يوم يجازى فيه المحسن من المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع في شرح احوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال ان الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله تعالى من كان يرجو لقاء الله وقال مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف فقالوا انه بمعنى الطمع اي لا يطمعون في حسن لقائنا كما يأمل المستعد او المتوقع اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب الذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية وروضوا مع ذلك انفسهم الدنيا الحسية الخسيسة واطمأنوا بها سكنوا اليها سكون العاشق المعشوق وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم عن آياتنا غافلون فلا يعتبرون بالآيات ولا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم تقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد واولئك مأواهم النار فيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب الجسماني وهو النار المحسوسة والعذاب الروحاني وهو نار البعد من الموانات والقطيعة من السعادة الباقيات فيكون مثال من اخرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا الف بها ولا مونس بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الوحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله ان الذين آمنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقوله ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله واشتغلوا لقلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار واذانهم باستماع كلام الله والسنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله تهديهم ربهم بايمانهم قال اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بايمانهم اي بما بايمانهم هذا المضمون البعد العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ولقوله تعالى ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان ايمانهم يهديهم الى مزايا من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدي الى حصول المثوبات ولذلك جعل تخرج من تحتهم الانهار بيانا للتفسير لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوايد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم وتجري من تحتهم الانهار والاول انه حذف الواو وجعل قوله تجري خبرا مستانفا تماما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن حالها بالضد من النقوش الجسمانية تتكدر اللوح وتتوارى النقوش المعنوية وتتكاثرها بل يزيد اللوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المتهيئ للعلوم والحقايق كفهم المبتدي فالانسان اذا امن بالله فقد اشرقت وجوه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال تتزايد اشراقات هذه الاحوال والملكات فيرتقي في معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي قوله يهديهم ربهم بايمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنها تعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجري من تحتهم الانهار انهم يكونون في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والاثاث والانهار تجري من بين ايديهم دعواهم فيها قال بعض المفسرين اي دعاؤهم وندآؤهم كما يدعوا الفائف بقوله اللهم بارك لنا بعد قبل الدعاء العبادة كقوله واغفر لكم وما تدعون من دون الله وانما يكون هذه عبارتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة بانها جاءت بذكر الله وقيل الادعاء بين المتحابين والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والآخرة تنزيها لله من المعايب والآفات ويدل عليه قال القفال اصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة ان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل ان تمنيهم كقولهم ما يدعون اي ما يتمنون ويقول العرب ادع علي ما شئت اي تمن فكان تمنيهم في الجنة ليس الا تسبيح الله وتقديسه لقد كانوا في الدنيا يدعون الحروب من يكون اليه وينتصر ونه فيقول

الفصوص الجسمانية ثم

يا الفلان فاخبر الله تعالى عنهم ان تحيتهم في الجنة بذكر الله سبحانه وتحيتهم فيها سلام اى بعضهم بحيى بعضا بالسلام وقيل هي تحية الله والملائكة اياهم اضافة المصدر الى المفعول او الفاعل وقولهم ان الحمد لله المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان قال اهل الظاهر المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم الحمد لله رب العالمين قال الفاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اى تنجلك عن الخلف في الوعد قبل الهام الله بذلك او في الجنة بعد تعارض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى اللذات قال اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واحترق في اوايل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فاض الخير على جميع المحتاجين ويدفع المخافا والمكاره عنهم بكل ما امكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم بالاستقامة والافاضة اختموا الكلام بقولهم الحمد لله رب العالمين على هذا يدوم امرهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون كلامهم في العقبى كما لهم في العقبى لقوله كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون والويل لو فيه شارة ان احدهما من الحق للخلق الى حبيبه محمد ﷺ كانه قال الا اني عليك في الازل وانت في العدم وبلطفي عليك في الوجود وبرحمتي وراقتي لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه ﷺ يقول يا انسان معي حين خلقت روحك ولم يكن ثالث وبلبيك الذي اجيتني بحين دعوتك الخروج من العدم فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك وبرجوعك منك الي حين قلت لنفسك بجذبة ارجعي الى ربك تلك اي هذه الايات المنزلة عليك اياك الكتاب الحكيم الذي وعدتك في الازل وراثة تلك الاماني الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخ كتاب هو ينسخ الشرايع والاحكام والكتب كلها الى جبل منهم لما راى فيه وجوه قبول الوحي وغيره ويحتمل ان يكون معنى الناس عهد الله قدم صدق محمد ﷺ لانه اول من خرج من العدم الى الوجود وهو العناية الازلية سبقت رحمتي غضبي لساحر مبين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس الذي يربيكم هو الذي خلق السموات بسموات ارواحكم وارضكم نفوسكم من ستة انواع هي الروح والقلب والعقل والنفس الحيواني والنفس النباتي والصورة المعدنية ثم استوى على عرش القلب يدبر امر السعادة والشقاوة بقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية الى صورتها خطاب ارجعي الى ربك في حقيقتها بجذاب القلب الى الله وتثبيتها عروف النفس عن الدنيا واستواء الذهب المدعنها ورجوع المردود بين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن ثنايجه تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس بالقط اى لكل بحسب كماله ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يشير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة ارض النفس نكسف لهذا سمي قلبا لتقلب احواله بين الروح النفس وتلك الاحوال هي منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات حساب الكشوف والمشاهدات اي في اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق وتبدل الاحوال كايات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن اياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها كالرهابين والبراهمة ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في بعض الفلاسفة والله تعالى اعلم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الي اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم وما لا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات

ع

وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ

و نه در زمین نه در آسمان او و برتر است از انکه شریک پیدا کنند و بخفیف حمزه و کسائی کمر ان واحد پس اختلاف کردند و اگر نبودی کلمه که پیش رفته از بردباری او کار ایشان را

بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ

میان ایشان در انچه در ان خلاف میکردند و میگویند چرا فرو فرستاده نشد براو آیتی از پروردگارش پس بگو جز غیب کس نمیداند مر خدای را پس منتظر باشید باینکه من با شما از منتظرانم

القراءة لقضى إليهم مبنيا للفاعل جلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم او بدله بضم اللام وسكون الهاء روى خلف عن الكسائي والاخبار عنه وعن غير الاشمام ان يفتح الياء وكذلك اني اخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو يضيف ان يفتح الياء وابو عمرو وابو جعفر ونافع لا ادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى ابو بعيد عن البزي ويجمز وعلي وابو عمرو وخلف وورش من طريق الجارود والخزاز عن جبرة وابن مجاهد النقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيى طريق ابي حمدون بالاثبات فعلا ماضيا منفيا بلا الباقون مثله ولكن ما بالتخفيف تشركون بتاء الخطاب كذلك في النحل والروم حمزه وعلي وخلف ابا قون بالياء الوقوف لاجل ما بعده مستقبل الى فتحن نذيعهون او فائما ط مسطر يعملون ظلموا الاطلان الواو للحال ايوم مواظ المجرمين يعملون بيانات لان ما بعده جواب اذا او بدله ط نفسي ج ط لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل محذوف كمثل ما قلنا عظيم ط بر الوصل اولى للفاء واشدة اتصال المعنى من قبله ط يعقلون ما يأتيكم ط المجرمون عند الله ط في الارض ط يشركون فاختلفوا ط يختلفون من ربك ط تلا لابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا لاحتمال الابتداء او التعليل المنتظرين للتفسير انه سبحانه ابتدا في هذه السورة بذكر الشبهات القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلعم بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالادلة الدالة على صحة المبدا والمعاد فكانه قيل انه جاء الادلة على التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الاية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدا والمعاد ذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتاخر عن هذه الحيوة الدنيا والا لما في التكليف قال المقاتل الناس وصفهم فيما ارتكبوا من الغفلة اكد ذلك بان من غاية غفلتهم ان الرسول حتى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجئ في الاية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لماتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير يعجل منه لهم وقيل التعجيل معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر فمعنى الاية لو اراد الله عجل الشر الناس كما اراد واعجلة الخير لهم وقيل هما متلازمان فان كل معجل يلزمه الاستعجال الا انه قد يوصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق بهم التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب في الاية شرا لانه اذى والم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان منضما معنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على موضوع كانه قيل ولكن لا يعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى بين انهم كاذبون في استعجال الشر لو اصابهم ما طلبوه اظهر والعجل الطيش فقال ان مثل الانسان الضر اي هذا الجنس دعا بجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال الان الظرف والحال متاخيان فيصح عطف احدهما على الاخر وتاويل احدهما بالاخر اي دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه والمراد انه يدعو الله في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعوا الله حين كان مضطجعا غير قادر على القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قائما لا يطيق المشي والمضطر الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها او يراد ان من المضرورين من هو اسوء حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف منه وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبيه بتحكم لورود مثل قوله تعالى هل اتى على الانسان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على اللاواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر المؤجل للامور حسب ارادته ومشيته فلا جرم اذا اصابهم السراء شكروا واصابهم الضراء صبروا فانوا ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الاية تقديم وتاخير والتقدير واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان اعجب مما مضى على طريقة التي له قبل مس الضر ومر عن موقفا الدعاء والفرع لا يرجع اليه معنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف بحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزين زين للمسرفين ما كانوا يعملون من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى والنفس والشيطان تفرع على مسئلة الجبر والقدر مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانفاقه ماله من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التي لا تضر ولا تنفع

ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري
مجرى الردع والزجر لهم عن القاء الشبه والاغاليط فقال ألم يروا كم اهلكنا القرون وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام والمراد بالقرون هاهنا الامم
في مجاءتهم للحال اى ظلموا بالتكذيب قد جاءتهم رسلهم بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات بقوله وما كانوا ليؤمنوا اما ان يكون
عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر والسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله
باصرارهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي نجزي كل مجرم وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله ثم خاطب
الذين بعث اليهم رسول الله بقوله ثم جعلناكم خلائف اى استخلفناكم في الارض بعد تلك القرون لننظر كيف تعملون خيرا وشرا استعير
النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا
لينظر الى اعمالنا فاحذروا الله مرء اعمالكم خير اباليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبههم فقال واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون
لقاءنا اى لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالنشور فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه لان الخائف دليل انتفاء الملزوم طلبوا
من الرسول احد امرين اما الاتيان بقرآن غير هذا القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله او ما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض الآيات ورفع
اخرى كما قالها فامره الله تعالى ان يقول لجوابهم ما يكون لي اى ما ينبغي وما يحل ان ابدله من تلقاء نفسي من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين
الذي هو اسهل واقل الملزم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ان اتبع الا ما يوحى الي ان نسخت اية تبعت
الناسخ واما بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعها ايضا الى الوحي ونقل
عن ابن عباس ان قوله اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم منسوخ بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وضعف
بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية
فقد روي ان المقاول الكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة اولهم المستهزئون في قوله انا كفيناك المستهزئين ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والاقتراح
حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب فاراد ان هذا القرآن مشتمل على فنون المتهم فطلبوا قرآنا اخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القرآن من
عند الله سبحانه وانه غير مستند في ايراده فقال لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرء بلام الابتداء
فمعناه ما تلوته انا عليكم ولا اخبركم الله به على لسان غيري ولكنه من على من يشاء من عباده فرزقني اهل بذلك دون غيري وقرئ ادراكم بالهمزة
ووجهان يكون الهمزة مقلوبة من الالف ويكون من الدرء الدفع ومعنى درئ جعلته داريا اى لاجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤني بالجدال
وتكذبوني فقد لبثت فيكم عمرا اى بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون من قبله افلا تعقلون فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل
هذا الكتاب العظيم الشامل على علوم الاولين والاخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء
اذا شك فيه انه من قبل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا
الاية وفيه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم بمعارضتهم بقبيح مقصودهم
من الالتماس فقال ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ان لم يعبدوه ولا ينفعهم ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه
اشعار بانها جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد اذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله قد ذكرنا وجه ذلك في اوايل سورة البقرة في قوله ولا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ثم انكر عليه ثم معتقدهم بقوله قل اتنبئون الله
بما لا يعلم والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا الجواب مشهور
يقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله في السموات ولا في الارض تاكيد اخر لنفي كون ما لم يوجد فيهما
منفي معدوم قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اما ان يكون من تمام ما امر النبي ان يقوله لهم او ابتداء كلام من الله تعالى تنزيها
لنفسه عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس بعد العرب البسكلهم كانوا على
على الدين الحق واختلفوا وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة في قوله كان الناس امة واحدة والمقصود ههنا تقبيح صورة الشرك و
عبادة الاصنام من دون الله في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ولولا كلمة سبقت من ربك من بناء امر الثواب
والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر ومن تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة ومن قوله سبقت رحمتي غضبي لقضي بينهم عاجلا ولميز الحق
من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اغاليطهم فقال ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر تقريره في الانعام في قوله لولا نزل عليه اية
من ربه كانهم لم يعدوا القرآن اية فاقترحوا غيره تعنتا فقل انما الغيب لله هو المختص بعلمه فانتظروا انزول ما اقترحتموه هذا امر فيه تهديد
ووعيد لله ورسوله اعلم واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا

ع

يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها

ریح عاصف وجاءهم الموج من کل مکان وظنوا انهم احیط بهم دعوا الله مخلصین له الدین لئن انجیتنا من هذه لنکونن من الشاکرین
باری بحق وبهاء ایشان را بحیط از هر جا ودانستند که ایشان احاطه کرده شدند بانها خواستند خدا را خالص گردانیدند برای او دین را اگر از این ورطه ما را برهانی هر آینه باشیم از شکر گذاران
فلما انجاهم اذا هم یبغون فی الارض بغیر الحق یا ایها الناس انما بغیکم علی انفسکم متاع الحیوة الدنیا ثم الینا مرجعکم فننبئکم
چون نجات داد ایشان را آنگاه ایشان ستم میکنند در زمین بغیر حق ای مردمان نیست ستم شما مگر بر خودتان در مایه عیش دنیا پس بسوی ما است بازگشت شما پس آگاه گردانیم شما را
بما کنتم تعملون انما مثل الحیوة الدنیا کماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما یاکل الناس والانعام
باکنید بعید کرمیکردید جز این نیست مثل زندگانی دنیا چون آبی که فرو فرستادیم از آسمان پس آمیخته شد بان رستنی زمین از انچه میخورند مردمان وچارپایان
حتی اذا اخذت الارض زخرفها وازینت وظن اهلها انهم قادرون علیها اتاها امرنا لیلا او نهارا فجعلناها حصیدا
تا چون گرفت زمین بیرایه اش را وزینت یافت وگمان برند اهلش که ایشان قدرت دارند گانند بر آنها آمد آنرا امر ما شبی یا روز پس گردانیدیم او را درویده
کان لم تغن بالامس کذلک نفصل الایات لقوم یتفکرون والله یدعوا الی دار السلام ویهدی من یشاء الی صراط
گویا کز زنده بود در زمان پیش همچنین بتفصیل میدهیم ایتها را از برای قومی که اندیشه میکنند وخدا میخواند بسوی سرای سلامت وراه مینماید بدرستی راکه میخواهد بسوی راه راست
مستقیم للذین احسنوا الحسنی وزیادة ولا یرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئک اصحاب الجنة هم فیها خالدون والذین
راست ازبرای انها که نیکی کردند نیکیست وزیادتی وبپوشد روهای شانرا کدورتی وخواری آنها اهل بهشتند وجاودانها شند آن
کسبوا السیئات جزاء سیئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم کانما اغشیت وجوههم قطعا من اللیل
کسب کردند بدیها را جزای بدی بمثل آن وفرو میگیرد ایشان را خواری نباشد ایشان را از خدا هیچ نگهدارندگی گویا پوشانیده شده اند رویهای شان پارهای از شب
مظلما اولئک اصحاب النار هم فیها خالدون ویوم نحشرهم جمیعا ثم نقول للذین اشرکوا مکانکم انتم وشرکاؤکم فزیلنا
تاریک آنگروه اهل آتشند ایشان درآن جاودانهانند وروز یکه گرد میآریم ایشان را پس میگوئیم بآنانکه شرک آوردند بجا باشید شما والبتها زایل گردانیم پس جدا کنیم
بینهم وقال شرکاؤهم ما کنتم ایانا تعبدون فکفی بالله شهیدا بیننا وبینکم ان کنا عن عبادتکم لغافلین هنالک
میان ایشان وگفت انبازان ایشان انچه بخصوص ما را میپرستیدید پس گواه خدا میان ما وشما که ما بعبادت شما از پرستیدن شما هرآینه بیخبران انجا
تبلوا کل نفس ما اسلفت وردوا الی الله مولیهم الحق وضل عنهم ما کانوا یفترون قل من یرزقکم من السماء والارض
بیازمایند هر نفس انچه پیش فرستاده وبازگردانیده شوند بسوی خدا که محدث ایشان است بحق وگم شود ازایشان انچه بخدا افترا میکردند وروح الباقون بالتاء الفوقانیة
یشرکم بالنون ابن عامر ویرزقکم الباقون بسکر من یملک بالنصب حفص والفضل الباقون بالرفع قطعا بسکون الهاء ابن کثیر
وعلی وسهل ویعقوب والاخرون بفتحها تتلوا بتاءین من التلاوة حمزة وعلی وخلف وروح وروی عن عاصم تبلوا بالنون ثم
الباء الموحدة کل نفس بالنصب الباقون بسیر من التبلیة متاع بالنصب حفص والفضل الباقون بالرفع قطعا بسکون الهاء ابن کثیر
مع ان جواب اذا منتظر احیط بهم ط لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاک فهو متلبس به وان جعل
دعوا عن سؤال سائل فما صنعوا کان ط للوقف فحینئذ الدین ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء فی معنی القول الشاکرین بغیر
الحق ط علی انفسکم ط الا لمن جعله متعلقا بینبئکم تعملون ط والانعام ط علیها ج لان ما بعده جواب اذا ما لا مرسل یتفکرون السلام
مستقیم وزیادة ط ولا ذلة ج الجنة ج ط خالدون مثلها ط لان قوله ترهقهم معطوف علی محذوف ای یلزمهم جزاء سیئة وترهقهم
ذلة عاصم ج ط لان الکاف لا تتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنی لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله کانما مظلما
اصحاب النار ج ط خالدون شرکاؤهم ج ط للعدل مع فاء التعقیب تعبدون لغافلین ج یفترون نصف الجزء التفسیر لما بین فی
الایة المتقدمة انهم یطلبون الایات الزایدة عنادا ومکابرة ولجاجا کما ذکر ذلک بقوله واذا اذقنا روی انه سبحانه سلط القحط علی اهل
مکة سبع سنین ثم رحمهم وانزل الامطار والمنافع ثم انهم اضافوا تلک المنافع الی الاصنام وقیل نسبوها الی الانواء وقالوا بنو انعم الله
بالکفران فذلک مکرهم وهو لعنهم الله فی دفع ایات الله بکل ما یقدرون علیه من الفاء شبهة او تخلیط فی المناظرة وفی تخصیص الاذاقة
بجانب الرحمة دلیل علی کثیر من الرحمة قلیل بالنسبة الی رحمته الواسعة وفیه ان الانسان لغایة ضعفه الفطری لا یطیق ادنی الرحمة کما انه
لا یطیق ادنی الالم الذی یمسه قل الله معجزة مستهم خاطفتهم حتی لحسوا بسوء اثرها فیهم هذا ایضا من جملة الضعف انه نسی ما عهد
من الضر الشدید اذا الثانیة للمفاجاة وقع مقام الفاء فی جواب الشرط کما مر فی قوله اذا هم یقنطون وفاجأتهم ان یعلم انهم فاجأوا والواو
المکر منهم فی وقت الاذاقة وسارعوا الیه لم یلبثوا قدر ما ینفضوا من وسوسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله اسرع مکرا
یقدر علی ایصال جزاء مکرهم الیهم قبل ان یرتد الیهم طرفهم ولکنه یمهلهم لاجل معلوم ایضا عف جنبهم مع کونه محفوظا بانه قوله ان
رسلنا یکتبون ما تمکرون وقد مر تحقیق هذا فی تفسیر قوله ویرسل علیکم حفظة واعلم ان مضمون هذه الایة قریب من مضمون
قوله واذا مس الانسان الضر الآن هذه زایدة علیها بدقیقة هی انهم بعد الاعراض عن الدعاء یطلبون الغوائل ویقابلون الرحمة بالمکر

والجذبة ولا يرضون راسا برأس ثم ضرب لاجل وصفهم به مثلا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هو الذي يسيركم ومن قراء بشركم فكقوله فانشرنا في الارض قال بعض العلماء المسير في البحر هو الله سبحانه وتعالى واما في البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك ان اثار اقداره واحداثه في البحر اظهر كما مر في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر قال القفال هو الله الهادي لكم الى السير في البحر فلما للمعاش وهو السبب لكم لاجل انه هيا لكم اسباب ذلك السير حتى لانتهاء الغاية والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيد المعتبر في الشرط ثلثة اولها الكون في الفلك وثانيها جري الفلك بهم بالريح الطيبة والضمير في جرين للفلك على الجامع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة في الجزاء ثلثة ايضا ولها جاءتها اي الفلك والريح الطيبة تلقاها ريح عاصف فان عصوف كلابن لذات اللبن اولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها وجاءهم الموج من كل مكان اي من جميع جوانب احياز الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها وظنوا انهم احيط بهم اي غلب على ظنونهم الهلاك واصله ان العدو اذا احاط بقوم او بلد فقد يئوا من النوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا في الهلاك وقرئ في الفلك على الافراد قال في الكشاف وانما التفت في قوله وجرين بهم الى اخره من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه بذكر لغيرهم حالهم لتعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح قال الامام فخر الدين الرازي الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة في هذه الاية دليل المقت والتبعيد كما ان عكسه في قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت صدق حبيب حسن اما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يذكروا به من الهتهم شيئا واقروا لله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري وقال ابن زيد هو لاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والالم لم يدعوا الا الله وعن ابي عبيدة ان المراد في ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره ياحي ياقيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرني عن حرفتك فقال التجارة في البحر قال صف لي كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال جعفر الصادق فهل وجدت في قلبك تضرعا فقال نعم قال جعفر فذلك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت لعل نجيتنا من هذه الشدة كما نجاك من الانعام يبغون في الارض بغير الحق البغي قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد واصله الطلب فلهذا اكد المعنى بقوله بغير الحق فائدة الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على ارض الكفرة يهدمونها ويحرقونها كما فعل رسول الله صلعم ببني قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرا متاع بالنصب فما قبله جملة تامة اي انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر مؤكد كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ومن قرا بالرفع فاما على ان التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام او على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اي انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم بغي بعضكم على بعض منقطعة الحيوة الدنيا لانقضاءها والبغي من منكرات المعاصي قال صلعم ثنتان عجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه بغى عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم اي لا يتهيأ لكم بغي بعضكم على بعض الا آنا ما قلايل هي مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الينا مرجعكم فنبئكم بما كنتم تعملون وهو في هذا الموضع وعيد ما بعقاب كقول الرجل في معرض التهديد سا خبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا لمن يبغي في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة الدنيا اي صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اي اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض يحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كلها بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان نبات الى حد الكمال كلها بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان في اول بروزه ومبدا حدوثه غير مختلف ولا متراكم فلما نزل المطر عليه اهتز وربت حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حتى اذا اخذت الارض زخرفها قال الجوهري الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وان تيئت اصله تزينت فادغم وابدلت الثانية لذلك همزة الوصل وهذا كلام في نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التي تاخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها وظن اهلها اي غلب على ظنونهم او تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها انتهازا باهلاكها واستيصالها وضربها ببعض العاهات ليلا او نهارا اي حين غفلتهم بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم في طلب معايشهم فجعلناها اي زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستيصاله كان لم تغن اي كان الشان لم يلبث زرعها وآله امس اي في زمان قريب يقال غنى بالمكان كسر يغنى بالفتح اذا اقام به والامس مثل في الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال في الكشاف شبهت حال الدنيا في سرعة تقيضها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض فيما فوذ هاب عقيب ما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان عاقبة هذه الحيوة التي ينفقها المرء في باب الدنيا كعاقبة هذا النبات الذي حين عظم ارجاء نبرقع الياس منه لان الغالب ان المستولي على الدنيا اذا اطمان بها عظمت رغبته فيها وانتظم امره بعض الانتظام اتاه الموت فتلخيصه انه كالم يحصل لذلك الزرع عاقبة تحمد فكذلك لم تغن الدنيا المحبها الا يحصل

عاقبة تحمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لان لا بؤس من بالمعاد فان الارض المزينة اذا زال حسنها فانه يعود وينتهي سرة اخرى فكذلك النشور كذلك نفصل الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين وموجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق و الانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله والله يدعو الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي انه قال سيد بوظ داوضع مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد وعنه ما من يوم طلع فيه الشمس الا ويجيء ملكان يناديان بحيث يسمع كل الخلائق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعو الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام هو الجنة واختلفوا في سبب التسمية فقيل لان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف كما اطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من انشاء والتغير ومن جميع سمات النقص والحدوث من الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات فكفى بدار اضافها الله اليه فضلا وشرفا بحيث وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافة وقيل لتشوا السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال فيهدي من يشاء الى صراط مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء اجابته لتلك الدعوة ويعينون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة وفسر ابن عباس احسنوا اي ذكروا كلمة لا اله الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة فمحلها اهل السنة على رؤية الله كان اللام في الحسنى للعهد وبين المسلمين من المنافع التي اعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها وهي الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان يكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقولهم يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وتزييف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدارا معينا وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك الحنطة وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس المزيد عليه المذكورة في الآية انظر الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل ما في الجنة وعن علي الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى بعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم هذا شان المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فلقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر اي غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا اثر هوان وكسوف بال ثم شاء الحكيم تلك المنافع الخالصة منغصة بالانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الاخر بقوله والذين اي جزاء والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة ليس الا ترك الزيادة على السيئة على عدلهم فناسب ان يكون قد اهنا ذلك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وبيهقهم فانها حين ما تواقفتين خالين عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذهم وهوانهم على انفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان العلم والمعرفة بياض ونور ومن قول الشيخ ابو علي كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السراج فالكفر من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذاب الله ومخطط اوما لهم من جهة الله من عند من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى في الآخرة ظاهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا من الليل قرئ بسكون الطاء فعناه البعض والطائفة وقطعا صفة ومن قرأ بفتحها على انه جمع قطعة فظلما حال من الليل والعامل فيه ما معنى الفعل الذي هو من الليل والاغشيت كان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان اضاء العامل الى الموصوف كما فضائه الى الصفة قاله في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة وبقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك فقال الا خرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق لان الآية المذكورة مخصصة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بقبلوا اي نجمعهم يوم نبلو كل نفس حاصل الكلام انه نحشر العابد والمعبود ليتبرأ المعبود من العابد بخلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا

سورة يونس

عند الله وفيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق فالكشاكم كما نكم اى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعذابنا على هو اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب انتم اكيد الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم فرقنا بينهم قطعنا الوصل الذي كان بينهم في الدنيا قيد عين الكلمة واوا لانه من زال يزول واما قلبت ياء لان وزن الكلمة فعل اى يونا مثل بيطر من اصل اعلال سيد قيل هي من زلت الشئ انيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظيره يليا قوله وفاذني لحباب الاغراق لان حكم الله ما بد سيكون كالكائن وقال شركاؤهم في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون في الخطاب في قوله مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب شامل على التهديد بانه لا يليق بالملائكة المقربين كيف ينطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم ويفيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه قيل يخلق فيهم الكلام تهديدا لهم وتحقيقا لعذاب العابدين فهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل ما قول الشركاء ما كنتم اياانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتموها بامرها واردتنا لقولهم فكفى بالله شهيدا الاية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف لدهشة الحيرة فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما قاموا لاعمال الكفار ورضا فجعلوها كالعدم وقيل المراد انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في الغيبة فلا اشكال وهنا الذي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف وفي ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر بذوق ما اسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى يفعل بها فعل المختبر او نصيب لها بلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلوا بتاءين فمعناه تتبع ما اسلفت كان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار ويقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير وشر ردوا الى الله مولاهم الحق الصادق بوعيده وضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله وما كانوا يختلقون من شفاعة الالهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعترفون بالحق حين لا ينفعهم ذلك تاويل اذا اذقنا الناس ذوق توبيخ وايلام ذوق كشف شهوة من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة في الاوصاف ذلك انهم مكروا في ايتنا بما ظهر لها الى غيرها بشرب النفس طلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات الى دركات البعد من حيث لا يشعرون وهو الذي يسيركم في البر البشرية والبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها انكباء تجلي صفات الجلال جاءهم موج البلايا والمحن من اماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ان ارباب الطلب وصلوا بجذبات الحق الى شهود الجمال واستغراق بحر الجلال استقبلهم عواصف الغيرة والكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في ارض اسوء الحوغير الحق كماء انزلناه من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس والانعام من الصفات الحميدة الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الازلي ليلا او عند استيلاء ظلمات صفات النفس فجعلناها عند بقاء ضوء الفيض الروحاني كانه بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقايد الباطلة كالبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعوا الى دار السلام وهو مقام الغناء لان صاحب سليم عن افات الحجاب في مقام العلم والمعرفة لان صاحب سليم عن افراط الاثنينية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فلا حسنان تعبد الله كانك تراه والحسنى هي شهود الحق والنظر اليه الزيادة الجنة وما فيها من النعيم وهي ما ذاد على النظر من اضاء قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق

بگويد كيست روزى دهنده شما را از آسمان وزمين يا كه مالك ميباشد گوشها

والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله

وديدها را وكه بر ميآرد زنده را از مرده وبر ميآرد مرده را از زنده وكه تدبير ميكند كار را پس زود باشد كه گويند خداست پس بگو آيا پرهيز نميكنيد

ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فانى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون

پروردگار شما حق پس چيست بعد از حق مگر گمراهى پس بكجا برگردانيده ميشويد همچنين لازم شد كلمه پروردگار تو بر نافرمانان كه ايشان نميگروند

قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤا الخلق ثم يعيده فانى تؤفكون قل هل من شركائكم من

بگو آيا از شريكان شما كسى هست كه پيدا كند خلق را پس باز زنده گرداند آنرا بگو خدا پيدا ميكند خلق را پس باز زنده ميگرداند آنرا پس بكجا

يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون وما يتبع

گردانيده ميشويد بگو خدا راه مينمايد بحق آيا پس كسيكه راه مينمايد بحق سزاوارتر است بپيروى كرده شدن يا كسيكه راه نمايد مگر كه راه نموده شود پس چيست شما را چگونه حكم ميكنيد

أكثرهم الاظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله
بیشترشان مگر گمان را بدرستیکه گمان کفایت نمیکند از حق چیزرا بدرستیکه خدا دانا است بآنچه میکنند وبنا شد این قرآن که دروغ بسته شود از غیر خدا
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
ولیکن تصدیق است مر آنچه پیش از وی است و تفصیل دادن کتاب نیست شک در آن از پروردگار جهانیان یا میگویند بربافت او بگو پس بیارید بسورتی
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك
مانند وی و بخوانید هر که را توانید از غیر خدا اگر هستید راست گویان بلکه تکذیب کردند بآنچه احاطه نکردند بدانستن و هنوز نیامد ایشان را تأویل
كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم
تکذیب کردند آنانکه پیش ازایشان بودند پس بنگر چگونه بود انجام ستمکاران و از ایشان کسی است که میگرود بآن و از ایشان کسی است که نمیگرود بآن و پروردگار تو داناتر
بالمفسدين فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون القراءة كلمات ذلك
بتباهکاران پس اگر تکذیب کردند ترا پس بگو مر مرا است کردار من و مر شما را است کردار شما بیزار نید از آنچه من میکنم و من بیزارم از آنچه شما میکنید وکذلك فی الخمسة
وعلى الجمع بو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال ابو جعفر ونافع غير ورش وعباس
ابو عمر وغير عباس باشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبله ورويس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى
بفتحتين والتشديد بدا بن كثير وابن عامر ورش وسهل ويعقوب غير رويس الوقوف يدبر الامر ط الله يفعل ج ربكم الحق ط للابتداء
مع الفاء الا الضلال ج تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده ط الاولى ط يؤفكون الى الخوط للخوط انظر يهدي ج ط لما مر فما لكم ص ط للاستفهام
الثاني يحكمون ط الاظناط شيئا ط يفعلون العالمين افتراه ط صادقين تأويله ط الظالمين لا يؤمن به ط بالمفسدين عملكم ج لان ثم
مبتداء والعامل واحد تعلمون التفسير لها بين ضنايح عبدة الاوثان اكدها بالجمع للاسمعة والبراهين القاطعة من احوال الرزق والحواس
والموت والحيوة والابداء والاعادة والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسئول ليكون ابلغ في الزام
الحجة واوقع في النفوس فالحجة الاولى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال الامطار النافعة الموجبة لنمو الانبات
الحيوانية في الارض بعد اعانة شرائط ترتيبها وانمائها وحفظها من العاهات ام من يملك السمع والابصار حض الحاستين بالذكر
لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان ثم يقول سبحان من يبصر بشعيم واسمع بعظم وانطق بلحم ولما في تحصيلهما من الافات في
المدة الطوال وهما الطيفان يوفيهما ادنى شئ مزيد قدرة ورافده ومن يخرج الحي من الميت الحيوان الماشي والطائر من النطفة والبيضة
وقد مر سائر الاقوال في سورة الانعام ومن يدبر الامر عم بعد ما خصص لان اقسام تدبيره تم في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب
والشهادة امور لا نهاية لها وذكرها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه ليل على انهم كانوا يعبدون الاصنام بناء على انها شفعاؤهم
وانها يقربانهم زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله فقل افلا تتقون الله الذي اعترفتم بانه قيض ان جميع الخيرات
فكيف اشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع او ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت بالبرهان
بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق الا مزيدة وما نافية او استفهامية او مجموع ما ذا كلمة واحدة معناها اى شئ بعد الحق الا الضلال
والمراد انه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكن الذات باطلا دعوى الهية لان واجب الوجود يجب ان يكون واحدا في ذاته وفي صفاته
وفي جميع اعتباراته والا لزم افتقاره الى ما انتفى به فيفقد فيكون واجبا هف محال ولهذا ختم بقوله فانى تصرفون كيف تجهزون العدول
عن هذا الحق الظاهر الى من يقعون في الضلال الذي واسطة بين الامرين فمن يخطئ احدهما وقع في الاخر كذلك كما حق وثبت ان الحق بعد
الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة ربك وتقييد الكلمة انهم لا يؤمنون على انه بدل اى حق عليهم انتفاء الايمان
وقد علم الله منهم ذلك في الازل واراد بالكلمة العدة بالعذاب انهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام حجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فانى
تصرفون ان الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجب الى انكاروقال الاشاعرة قد يتعلق علمه بانهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة
ربك فتعلق خبره بانهم لا يؤمنون وقدرته لم يتعلق بخلق الايمان فيه بل بخلق الكفر فيه واثبت ذلك في اللوح المحفوظ واشهد عليه
ملائكته وانزل على انبيائه واشهدهم عليه فلو حصل الايمان لبطل هذه الاشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقد تم
بحمد الله وارادته عشيا واشهاد بالحادى الحجة الثانية قل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده وانما قال ثم يعيده مع ان الخصم لا يقر
به لانه تقدم في هذه السورة دلائل الاعادة بحيث لا يمكن العاقل مزدضها اذا تامل وانصف فبقى الامر على ذلك انما امر نبيه ان يتوب عنهم في الحجة
بقوله قل الله الآية تنبيها على ان هذا المقنع بلغ في الوضوح الى حيث لا حاجة فيه الى اقرار الخصم المكابر فكانه قيل لكم عنهم ان لم يدعهم مجامع
ان ينطقوا بكلمة الحق وقوله فانى تؤفكون كقوله فانى تصرفون وقدم في المائدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق والاختراع
ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن نحكى عن الخليل انه الذي خلقني فهو يهدين ومن موسى ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى

وامر محمدا سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح وارشاد العلوم والمعارف فيه وارشاد الحق سبحانه اذا لطرق الخير فيه كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال للملك والنبي والجني فضلا عن الاصنام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها جماد ان لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق يعني يجمع بين العبارتين ويقال هداني بنفسه بمعنى اهتديت كما يقال اشترى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وسائر القراء اصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت لها لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف يمكن ان تحقها الا ان تهدى او اجيب بوجوه منها ان المراد بها في الاية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى الدين الحق بالدلائل العقلية وبما يمكنهم منه من الدلائل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها آلهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض والتقدير يعني انها لو كانت بحيث يمكنها ان تهتدي فانها لا تهدي غيرها الا ان يهدي ومنها ان البنية عند فاليست شرطا في صحة الحيوة والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفتائهم متوليهم فقال فما لكم كيف تحكمون ثم بين ما بنوا عليه مذهبهم فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل بمعونة من اسلافهم وفي قولهم للاصنام انها آلهة وشفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من اغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم اوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد الاباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون ويمسك نفاة القياس بالاية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الاية من العمومات فلم يجب اتباعها بزعمكم وما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل التوحيد شرع في اثبات النبوة فقال وما كان هذا القرآن ان يفترى اي افتراء من دون الله وكلمة ان بمعنى اللام اي ما ينبغي له وما استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة لا بمجازه دولها فهي عيار عليها شاهد بصحتها ونفس هذا التصديق يتم معجزا لان قاصيصه موافقة لما في كتب الاولين مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارته جاءت في تلك الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اي بين ما كتب وفرض من الاحكام والشرايع كقوله كتاب الله عليكم قال في الكشاف قوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على سبيل الانكار ام يقولون افتراه قل ان كان الامر كما تزعمون فاتوا انتم وجهدكم الافراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لتستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين انه افتراه قال بعض العلماء هذه الاية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يمكن الاتيان بمثل القرآن صحيح الوجود في الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا بذلك فدل على ان القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة القائمة بذات الله تعالى وهذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا واستدعوا الى التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه وهو القرآن ولما يأتهم تأويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للاباء وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدي عليهم استيقان عجزهم عن هذا بغيا وعنادا وانما حملهم على التكذيب في الاولى وجوه منها انهم وجدوا في القرآن فاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض منها بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف ان الدنيا ليست بما يبقى فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما سمعوا حروف التهجي في اوايل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقرآن فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله واخر متشابهات الاية ومنها انهم لما رأوا القرآن يظهر شيئا فشيئا فاقترحوا الشبه وقالوا لولا انزل عليه القرآن

جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا قد الفوا المحسوسات فاستبعدوا ذلك فانهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة
من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان الله العالم عفو عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل
النظر في معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق في الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر
النصوص قد يتعارض فيفتقر هناك الى ان تطبق النزيل على التاويل وقيل معنى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب
من جهة العجز عن نظم ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب ومن جملتها احوال الاخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب
به قبل ان ينظروا في نظمه وبلوغه حد الاعجاز وقوله ولما يأتهم تأويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يتحنوا غيوبه هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم
الاية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الاخرة
فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوائف الامم فقال منهم من يؤمن
ببعض القرآن وبالرسول اي يصدق في نفسه بعلم انه حق ولكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لاظهاره ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد
ببعضهم في الاستيصال اي منهم من سيؤمن ببعضهم من يبقى على الكفر فيكون لا يؤمن كالعذر في تقييدهم وعدم استيصالهم وربك
اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب جرائمهم في التكذيب بعلم طوبى لهم هل يتوبون او يصرون ثم بين خصائص كل مكلف وانعامه
وبشتايج اعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي اي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم
قال مقاتل والكلبي هي منسوخة بايات القتال والتحقيق ان اية القتال لا يدفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ والله اعلم الناسخ
قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهوى حتى يخرج من ارض النفس نبات الافعال والاعمال وينزل من سماء القلب مطر
انوار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من ارض
القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدة مطر تجلي الصفات والفيض الرباني ويخرج من ارض الروح المجنة والاخلاق
الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله امن يملك السمع و
الابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر يخرج الحي من الميت النفس من القالب من القلب من الروح من القلب والعكس
ومن يدبر امر الانسان بالتربية من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل افلا تتقون بلغ نظرك الى هذه
المراتب العلية وانها عتبات باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون ما بالله عن غيره اتخذوا بالوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى
القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب تفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في
ام الكتاب وهو علم القايم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا استعدادهم الفطري والله اعلم ومنهم من يستمعون اليك
افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك فانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم
پس تو هشدار كه ايشان را دانا نباشند كه بينا نبينند يعني پس تو ايشان را كه نابينا هستند بينا نكردانند و از ايشان كسيست كه گوش بتو ميدارد
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر
ستم نكنند و ليكن مردمان بخويشتن ستم ميكنند و روزيكه حشر كند ايشان را گويا كه درنگ نكردند مگر ساعتي از روز شناخت كنند ميان خود
الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين وامان نرينك بعض الذي نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد
آنانرا كه تكذيب كردند ملاقات جزاء خدا را و نبودند هدايت يافتگان و يا ميبينيم تو را برخي از آنچه وعده ميدهيم ايشان را يا ميميرانيم تو را پس بسوي ما است بازگشت ايشان پس خدا گواه
على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ويقولون متى هذا الوعد
بر انچه ميكنند و از براي هر امتي پيغمبريست پس چون آمد پيغمبر ايشان حكم كرده شود ميان ايشان بعدالت و ايشان ستم كرده نشوند و ميگويند كي خواهد بود اين وعده
ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله لكل امة اجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة
اگر هستيد راستگويان بگو مالك نيستم از براي خود ضرر و نفعي را مگر انچه خدا خواهد از براي هر امتي اجليست چون آمد اجل ايشان پس واپس نشوند ساعتي
ولا يستقدمون قل ارايتم ان اتيكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع امنتم به الان
و نه پيشي توانند كرد بگو خبر دهيد مرا اگر بيايد شما را عذاب او بشب شبيخون يا روز چه چيز را ميشتابند خواهند از شما گناهكاران پس چون بوقوع پيوندد آيا بدان گرويديد
وقد كنتم به تستعجلون ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون ويستنبئونك احق هو قل اي
و خبر ميپرسند از تو آيا حق است وعده عذاب گويا بلي سوگند بخداوند من كه او حق است و شما نيستيد عذاب را جاوديد و آيا جزا داده ميشويد مگر بانچه بوديد كه ميكرديد و خبر ميپرسند از تو آيا حق است ان عذاب
وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولو ان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما راوا العذاب وقضي
بلي بپروردگار من كه آن حق است و نيستيد شما عاجز كننده كسان و اگر هست از براي هر نفسي كه ستم كرده بانچه در زمين است هر اينه فديه دهد بان و پوشيده دارند پشيماني را چون ديدند عذاب را و حكم كرده
بينهم بالقسط وهم لا يظلمون الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي

والله

وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ قُلْ

بیوئی او باز بسوی او ۔ پدر مان کجیست آمدن پیش ۔ از پروردگار مان ۔ شفاء مر آنچه در سینهاست ۔ وهدایت ورحمت برای مسلمانان بگو

بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ

بکرم خدا ۔ وبرحمتش ۔ پس بایدشاد باشند مسلمانان بهتر است از انچه گرد آورند کافران ۔ بگو خبر دهید مرا که چه فرو فرستاد خدا برای شما از روزی پس گردانیدید بعضی از آن را حرام وحلال

أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

رخصت داده است شما را بر خدا دروغ می بندید ۔ وچیست گمان آنانکه می بندند ۔ بر خدا دروغ ۔ روز قیامت بدرستیکه خدا هر آینه صاحب فضل است بر مردمان ولیکن بیشتر ایشان

لَا يَشْكُرُونَ ۝ القراءة أفأنت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف ولكن الناس بالتخفيف والوقف لحمزة وعلي وخلف

شکر نمیکنند ۔ یحشرهم بالیاء حفص الباقون بالنون ترنيا ونتوفينا بالنون الخفيفة ويلين الكل بونذن غالان بحذف الهمزة التي

بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وزمعة حمزة في الوقف بالياء يفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع فليفرحوا

بياء الغيبة يجمعون بناء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ ابن كثير على ضده وقرأ ويلس كلها على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما الوقف

اليك ط لا يعقلون اليك ط لا يبصرون يظلمون بلهم ط مهتدين يفعلون رسولهم ج لا يظلمون صادقين ما شاء الله ط أجلهم ط

ولا يستقدمون الجمهور امنتم به يستعجلون الخليج ط للاستفهام مع ان الفاعل واحد يكسبون احق هو ط بمعجزين لافتدت به ط

العذاب ج للعطف على اسرارهم ولو ايظلمون والارض ط لا يعلمون يرجعون للمؤمنين فليفرحوا ط يجمعون وحلالا ط يفترون

القيمة ط لا يشكرون نصف السمع التغابن الانسان اذا قوي بعضكم لبعض اخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى

طلب مفاجئ كلام معرض عن جهات محاسنه فيه نظر بحركة ان العضو الاذن معنى بنائي في حصول ادراك الصوت والعمى في العين امر

بنائي في حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان في اولئك

الكفار بلغت حالة النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرايع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون

وينظرون اليك يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبصرون ولا يصدقون قال اهل المعاني المستمع الى القرآن كالمستمع

الى النبي ﷺ بخلاف النظر فكان في المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى وحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثروا كثرهم ثم قال انظنهم ان

تقدر على اسماع الصم لو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمي لا سيما اذا قرن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على

ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله أفأنت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول ﷺ فان

الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الصنعة والحذاق اكد عدم قابليتهم

في الفطرة مع اشارة الى ما بلغهم من الوعيد يوم القيمة بقوله إن الله لا يظلم الا يختزلها المعتزلة بان المراد من نفي الظلم انه ما جاء

احد الى هذه القبايح والمنكرات ولكنهم باختيارا نفسهم اقدموا عليها واجاب اهل الحق عنه بانا نفي الظلم عن نفسه لانه يتصرف في ملك

نفسه فلا اعتراض عليه انما قال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق ان نفي الظلم عنه لان وقوع قبيح

القهر ضروري ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم في الطريق فيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم نحشرهم اي واذكر يوم نحشرهم كأن لم

يلبثوا في محل النصب على الحال اي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون حال اخرى وبيان لقوله كأن لم يلبثوا لان التعارف

لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم في الدنيا وقيل في القبور استقلوا

المدة الطوال اما لانهم ضيعوا اعمارهم في الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم او استقصروها للدهش والحيرة او لطول وقوفهم في المحشر او لشدة

ما هم فيه من العذاب لسوء الذات الدنيا واستحقارها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا كما كانوا عليه من الخطأ الكفر وقيل

يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما ان هذا تعارف توبيخ وتضليل بقول كل فريق لصاحبه انت

اضللتني يوم كذا وانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع المعرفة وانما حذف جميعا في هذه الاية اكتفاء بما في الاية السابقة ويوم نحشرهم

جميعا ثم نقول للذين اشركوا كان الاية سيقت هناك لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكد بقوله جميعا ليشمل الفريقين معا والله

واعلم فذكر استيناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز في الكشاف ان يكون على ارادة القول

اي يتعارفون بينهم قائلين بان ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اي في غاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف

الباقي وقنعوا بالقليل الخسيس الفاني كمن راى جارية حسيسة فيظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ماله فاذا عرضها على الناقدين خطئ

فتعيرت فاحاله ثم سلى رسوله ﷺ فقال فإما نرينك وجوابه محذوف وقوله فإلينا مرجعهم جواب لنتوفينك والمعنى وان نرينك بعض

اعدائك بعض الذي نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان تدركهم فمرجعهم في الاخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده

فاراه في هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء على ديارهم واموالهم والذي يريهم في الاخرة اكثر واشد

منه حراما وحلالا قل الله اذن لكم في تحريمه وتحليله ام على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في ما انزل بمعنى الاستفهام منصوبا بانزل وانزع
معموله مفعول اريتم معناه اخبروني وعلى هذا يكون قل الله كلاما مستانفا ومعنى انزل خلق وانشاء كقوله وانزل لكم من الانعام ثمانية
ازواج وذلك لان كل ما في الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في الله للانكار وام
منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء ثم قال وما ظن الذين يعني اي شيء ظنهم في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام
ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث يهمل امره وكفى بهذا زاجرا للمفتي في الاحكام بغير علم فليتق الله وليعلم ان الله لذو فضل
على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبي وتعليم الشرايع ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعم بحيد بنبيه ويخالفه الناويل قال
الشيخ الصم صم اذان القلوب فانت تهدي العمي عمى بصائر البصائر ويوم يحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى المحشر والخواص
خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير السلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الهوية الربانية كما
قال يوم يحشر المتقين الى الرحمن وفدا كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم يعرف
تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء وما ينتابك بعض الذي نعدهم لبشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن وننوفينك فنبلغك
اعلى المراتب ومقامك المحمود فالينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خيانة الدارين ولكل امة
رسول في الظاهر من الانبياء وفي الباطن من الهام الحق ولكل امة اجل في استكمال السعادة والشقاوة نبأنا اني في الازل وانبأهم اني يظهر
الان ما قد لكم في الازل قل اني على بينة ربي اقسم بربك الذي يربك ان وقوع الاموال اخروية حق كما انك عرجت على الجنة والنار ليلة
المعراج ظلمت بانفاسك الاستعدادات الا ان لله ما في سموات الارواح وارض القلوب للنفوس الا ان وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة
في الازل حق هو يحيي قلوبا بعضهم بالمعرفة ويميت قلوبا خربن بالجهل ويحيي بالنور ويميت بالظلمة ويحيي بصفة الجمال يا ايها الناس
يا اهل الدنيا قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذل الدنيا وهو توفيق اجابة بلى الى الصدور وهو
القلب في انهاء درة صدف الصدر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال امداد الفيض الى بلوغ غاية
الكمال تفوز بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب ورحمته وهو الابقاء على هذا القول الخطاب فليفرحوا هو خير مما يجمعه اهل
الدنيا في نيامهم ما انزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والمشاهدات فجعلتم منه حراما
على انفسكم وحلالا على غيركم اي حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادات وبذل تلك الكرامات ليس من شاننا وانما هو من شان
الانبياء وخواص الاولياء قل الله اذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها ام
على الله تفترون بان الدعوة اختصتهم دوننا ان الله لذو فضل على الناس بالتوبة الاستعداد الفطري وما تكون في
شان وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال
ذرة في الارض ولا في السماء ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم
ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم الا ان لله من في السموات ومن في الارض وما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا
ان في ذلك لايات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الارض ان عندكم
من سلطان بهذا اتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم
الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون القراءة شان بغيرهم حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشى
على الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والفضل الاخرون بالنصب او وقوف تفيضون فيه طرمبين

يحزنون ج لان الذين يصلح صفة لاولياء ويصلح نصبا او رفعا على المدح فوقف على يتقون ط ومبتدأ خبره ولهم البشرى فلا توقف على يتقون وفى الاخرة ط لكلمات الله ط العظيم ط لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى اولياء وقيل الاولياء لا يحزن الرسول قولهم ليذلوا توهم ان قولهم ان العزة معقول للكفار جميعا ط العليم الارض ط شركاء ط يخرصون مبصرا ط ليسمعون سبحانه ط الغنى ط وما فى الارض ط بهذا ط لا يعلمون لا يفلحون ط يكفرون التفكير بين فساد طريقة الكفار فى عقايدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل احد وبما فى قلبه من الدواعى والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون ما يحدث فى شان اى امر من الامور واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اى فى شان من اعمال البر وقال الحسن فى شان الدنيا وحوبجها وما فى قوله وما يكون وما تتلوا نافية والضمير فى منه لما لله عز وجل اى نازل من عنده وما للشان لان تلاوة القران شان من شؤون رسول الله ﷺ بل هو معظم شانه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال واما للقران والاضمار قبل الذكر تفخيم له لانه قبل وما تتلو من التنزيل من قولك ان كل جزء منه قران ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اى عمل كان الا كنا عليكم شهودا رقبا والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع فى العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا افضتم من عرفات قبل شهادة الله علما يلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص لا يلزم منه امتناع تقدم العلم المطلق على الشئ كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم زاد فى التعميم فقال وما يعزب عن ربك اى لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب اى بعيد والرجل الغريب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قدر ذرة وقوله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وذلك فى سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شئ اصلا وان كان فى غاية الحقارة وانما قال ههنا فى الارض ولا فى السماء وخلافه ما فى سورة سبا وهو المهيمن فى القران لان الكلام سيق لشهادته على شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكرها فى الارض ههنا بعد تقدم ان الواو يفيد الترتيب بقى ان يقال فى تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قرأ بالنصب على نفى الجنس او بالرفع على الابتداء ليكون كلاما براسه والاشكال اما من جعل منصوبة معطوفا على لفظ مثقال لانه فى موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل مرفوعة معطوفا على محل مثقال لانه فاعل يعزب ورد عليه الاشكال وهو انه يصير تقدير الاية لا يغيب عليه شئ فى الارض ولا فى السماء الا فى كتاب يلزم منه ان يكون ذلك الشئ الذى فى الكتاب خارجا عن علم الله انه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجد الله تعالى ابتداء من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد والاشكال وهذا القسم الثانى منتهى عدد سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الاية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شئ فى الارض ولا فى السماء الا هو فى كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من زعم من برعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات ويقول ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو فى كتاب مبين وذكر ابو على الجرجانى صاحب النظم ان لا بمعنى الواو على ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر ثم وقع الابتداء بكلام اخر فقال الا فى كتاب اى هو ايضا فى كتاب مبين والعرب يضع الا موضع الواو والنسق كثيرا ومنه قوله انى لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم يعنى ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعنى الذين ظلموا ثم انه لما بين احاطة علمه بجميع الاشياء وكان فى ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال الكل فقال الا ان اولياء الله لا خوف عليهم الاية والتركيب يدل على الفرق فكانهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم فى نور معرفته وجماله وجلاله فقال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحقوق عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولى الله من يكون اتيا بالاعتقاد الصحيح المبنى على الدليل ويكون اتيا بالاعمال الصالحة الواردة فى الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى فى صفتهم الذين امنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال القوة العملية وهما مقامان اخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولى متقيا فى كل الاحوال اما فى موقف العلم فبان تقدس ذاته عن ان يكون مقصودا على ما عرفه او يكون كل صفة اما فى مقام العلم فان يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه خجلا فيكون ابدا فى الخوف والدهشة وما نفى الخوف والحزن عنهم فقد مر تفسيره فى اوايل سورة البقرة وعن سعيد جبير ان رسول الله ﷺ سئل من اولياء الله فقال الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى ان مشاهدتهم يذكر الاخرة لما فيهم من اثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر رضى الله عنه ان النبى ﷺ يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله اخبرنا منهم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الاية يحكى ان ابرهيم الخواص كان فى البادية ومعه واحد يصحبه فانفرد فى بعض الليالى فظهر حالة قوية وكشف تام له فجلس فى موضع وجاءه السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد يشاهد الكل فصعد شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزال تلك الحالة نزل الشيخ وقعد بعوضة على يده وظهر الجوع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ تحملنا النار رحمة فما تحملناه بسبب قوة الواردة الغيبية

فلما غاب ذلك الوارد فانا الضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشرهم في الدنيا ما
بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان
وجنات وقيل لها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر رضه قلت لرسول الله ص ان الرجل يعمل العمل لله
ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن الدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا بالكل احد
اذا انصف ولم يحسده ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي
قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله قيل هي الرؤيا الصالحة وعنه الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزء من النبوة و
سبب تخصيص هذا العدد ان النبي ص استنبئ بعد اربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان بداية الوحي الا بطريق المنام ستة
اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين واما ان الرؤيا الصادقة توجب البشارة
فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما صانك عن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت
تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة وامّا البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة
وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى اخر احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف
لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام
يقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع ان يكون قديما
ومحال الممكن ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه لقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنع الغريق المكذبين فقال ولا
يحزنك اي يقول لك ان الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون او الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك
وقلة تبعهم بالحلم والاموال ونشاورهم في تدبير هلاك ابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به من شأنك من المطاعن والقوادح ثم استأنف
قوله ان العزة لله كانه قيل ما الحزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر يحزنه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرئ ان بالفتح لا
على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة
على صريح التعليل وكان رسول الله ص واثقا بوعد الله تم في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان
الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم ليسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة
الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض فخصص ذوي العقول اما للتغليب او لان الاية سيقت لابطال
فساد عقايد اهل الشرك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيده ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما ظنك
ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولى بان لا يكون ذا له ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع
الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال انما حذف احد
المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون وشركاء على
هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى الضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل لله ما يتبع الذين يدعون من
دون الله شركاء اي له وشركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقد مر مثله في سورة الانعام
ثم ذكر طرفا من آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اذ الابصار
باعتبار صاحبها جعله مضيئا لتهتدوا به في حوايجكم وهذان طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون
سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا اخر من اباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة والمائدة بما ينزه عن اتخاذ
الولد برهان على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغنى التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحاصل الولد لا يحصل الا بعد انفصال اجزاء منه
يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذي يقوم مقامه من يكون بصدد الانقضاء والانقراض
فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون
هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له
ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك
ثم زيف دعواهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف وابناء حقها ان تتعلق بقوله
ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم ما ارضكم موركانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان
اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون
ثم اوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمارب الخسيسة

من يا ستظاهره وغرض ذليل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لابد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء الموبد في العذاب الاليم اعاذنا
الله منه التاويل وما تكون في شان من الشان النبوة وما تتلو من شان النبوة من قران وما تعملون يا امة محمد من عمل من الاعمال الا كنا
النبوة من قبول القران وروده من مثقال ذرة بما اظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر ولا في السماء اى في سماء القلوب
بالنيات الصالحة والفاسدة ولا اصغر من الحركة وهو القصد دون الفعل ولا اكبر من النية وهو العمل الا ان اولياء الله الذين هم اعداء
النفوس لا خوف عليهم من تمنى النظر بنفوسهم ولا هم يحزنون على ما فاتهم من شهوات النفوس المعاندة القائمة بنيتهم هم البشرية في الحيوة
الدنيا بالوقايع والمبشرات وفي الاخرة بكشف القناع عن جمال الغرة لا تبديل لكلمات الله لاحكام الازلية حيث قال المولى كن وليا
وللعدو كن عدوا ولا يحزنك يا رسول القلب قول مشركي النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في نظرك ان العزة لله جميعا يعز من يشاء في
الدنيا وفي الاخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل يرجح عينه على الاخرة كما جاء في الحديث الرباني وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى
فاقفر ظهره بفساد ذلك لان لله من في السموات والارض اى القلوب السماوية والنفوس الارضية ان يتبعون الا الظن اى يظنون انهم
يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هو الذي جعل لكم ليل البشرية لتسكنوا فيه تبعا لمجاهدات وتزول عنكم الملالة
والكلالة وهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقي في المقامات لقوم يسمعون حقايق القران بسمع القلوب
الواعية ثم اخبر عن الشبهات التي تقع في اثناء السلوك فقال اى مشركوا النفوس عند تجلي الروح بالخلافة في صفة الربوبية معترضا بتجلي صفة
ابداع الحق ومبدعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال الحق يثبت الابوة والنبوة بين الله وبين العبد
النبوة اخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف والاثبات هو مبتدا ضلالة اليهود والنصارى له ما في السموات الروحانية من الكشوف والانوار
وما في الارض البشرية من الوهم والخيال وما بينهما من الشبهات والافات ان الذين يفترون هم النفوس الامارة بالسوء لا يفلحون
لا يظفرون بكشف الحقايق ثم ذيلهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسوا بالالم والله اعلم واتل عليهم نبا نوح اذ قال
لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم لا يكن
مرقوشش را اگر قوم من كه عظيم آمد باشد برشما قائم و پند دادن شما بآيات خدا پس بر خدا ات توكل ميكنم پس كرد آريد كار زار خود را با شركاء زار پس نباشد كار شما
امركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون فان توليتم فما سالتكم من اجر ان اجري الا على الله وامرت ان اكون من
كار شما بر شما پوشيده يا اندوه پس گذاريد مرا و بعد بودن من و عذاب نمودن مرا پس اگر اعراض كرديد پس آنرا نيست از مزد من هيچ چيز كه بدهيد مرا و فرموده شدم كه باشم از
المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة
مسلمانان پس تكذيب كردند نوح را پس رهانيديم او را و هر كه با او بود در كشتي و غرق كرديم آنهاي را كه تكذيب كردند نشانهاي ما را پس نگر چگونه بود انجام كار
المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على
بيم داده شدگان پس برانگيختيم از بعد او رسولان بسوي قومشان پس آمدند ايشانرا با بينات پس نبودند كه بگروند به آنچه تكذيب كردند از پيش آنچنين مهر مينهيم بر
قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملائه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
دلهاي تجاوز كنندگان پس برانگيختيم از بعد ايشان موسي و هرون را بسوي فرعون و جماعت او بنشانهاي ما پس بزرگي كردند و بودند گروهي گناهكاران
فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
پس چون آمد ايشانرا حق از نزد ما گفتند كه نيست اين مگر جادوي آشكار گفت موسي آيا ميگوئيد مر حق را چون آمد شما را آيا اين جادو است و رستگار نميشوند جادوگران
قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتوني
گفتند آمدي ما را تا برگرداني ما را از آنچه يافتيم بر آن پدران خود را و باشد مر شما را بزرگي در زمين و نيستيم مر شما را گروندگان و گفت فرعون بياوريد نزد من
بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله
هر جادوي را فرا پس چون آمدند جادوگران گفت مر ايشانرا موسي بيفكنيد آنچه شما بيفكنندگانيد پس چون انداختند گفت موسي آنچه آورديد شما جادوست و زود باز گرداند آنرا خدا
ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما امن لموسى الا ذرية من قومه على خوف
بدرستيكه خدا اصلاح نميكند كار فسادكنندگان را و ثابت ميكند خدا حق را بكلمات خود اگرچه ناخوش دارند گناهكاران پس ايمان نياورد مر موسي را مگر فرزندانيكه از قوم او بودند بر ترس
من فرعون وملائهم ان يفتنهم وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله
از فرعون و گروه ايشان كه مبادا بيازمايد ايشانرا و بدرستي كه فرعون هر آينه غالب است در زمين و هر آينه او از گزافكاران است و گفت موسي اي قوم من اگر ايمان آورده ايد بخدا
فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من
پس بر او توكل كنيد اگر هستيد از منقادان پس گفتند بر خدا ات توكل كرديم پروردگارا مگردان ما را فتنه مر گروه ستمكاران و نجات ده ما را برحمت خود از
القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلوة وبشر
گروه كافران و وحي كرديم با موسي و برادرش كه جاي كنيد مر قوم شما را بمصر خانها و بگردانيد خانهاي خود را قبله و بپاداريد نماز را و مژده ده

المؤمنين وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا
گروہ کافراں را وگفت موسیٰ پروردگارا بدرستیکہ تو دادہ فرعون وجماعت او را در زندگانی دنیا پروردگارا تا گمراہ کنند از راہ تو پروردگارا
اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان
اجوار گردان بر مالہائے ایشان وسخت کن بر دلہائے ایشان پس ایمان نیارند تا نبینند عذاب دردناک را گفت بتحقیق کہ اجابت کردہ شد دعاء شما پس ثابت باشید و راہ مروید
سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال
راہ آنانکہ نمی دانند وگذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس از پے رسیدند ایشان را فرعون و لشکر ہائش از روی ستم و تعدی تا چون دریافت او را غرق گفت
آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت من قبل وكنت من المفسدين
ایمان آوردم کہ نیست الٰہ مگر کسیکہ ایمان آوردہ بدو بنو اسرائیل و من از مسلمانانم اکنون و تحقیق کہ نافرمانی کردی پیش ازیں و بودی از فسادکنندگان
فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان
پس امروز نرہانیم ترا بابدن خود تا باشی برائے کسانیکہ بعد از خود آیتے و بدرستیکہ بسیارے از مردمان از آیتہائے ما البتہ بیخبرانند اجری بفتح یاء حیث کان ابو جعفر و
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون الكاف بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بناء التانيث الحرميان ويزيد وابو عمرو وان تبوأ ابالباء
الخزاز وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة الاخوون بالهمز ليضلوا بضم الياء حمزة وعلي وخلف وعاصم غير الفضل ولا تتبعان بتخفيف النون
ابن عامر غير الحلواني عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفي كلتا القراءتين خففت النون ثم
كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلواني عن هشام تتبعان بتشديدهما في الحالين امنت بكسر الهمزة على الاستيناف
بدلا من امنت حمزة وعلي وخلف الاخوون بالفتح يتخيك من الانجاء سهل ويعقوب قنبل الاخوون بالتشديد الوقوف نباء نوح ها يا ها
يوم ان اذ ظرف لقوله اتل بل للتقدير واذكر اذ قال ولا تنظرون من اجر على انه لا الان للتقدير وقد امرت من المسلمين يا ايا تناج للفاء
ولان امر النظر للعبرة ويقتضي التثبت للتذير المنذرين من قبلك المعتدين مجرمين مبين لما جاءكم كما لابناء على ان التقدير اتقولون
للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام في قوله اسحر يستحق الابتداء ويسجي له مزيد بيانه هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون
في الارض ط بمؤمنين عليم ملقون ما جئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما السحر ط لمن قصد بن الجرموان يفتنهم ط في الارض ج لاتصال الكلام
المرسلين مسلمين توكلنا ج ظ للعدل مع اتحاد القائل الظالمين لا للعطف الكافرون ج واتلوا الصلوة ط لان قوله وبشر خطاب
لمحمد وان اريد به موسى فلا بد من العدول والمؤمنين الدنيا لا التعلق قوله ليضلوا بقوله اتيت وربنا تكرار لا وكلمة
التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم لا يعلمون وعدوا ط الغرق ط لان قال جواب إذا المسلمين المفسدين
آية ط لما قلون التفسير الخالع في تقرير الدلائل والبيانات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام
من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان في ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد
التي سبق ذكرها في الاعراف معنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفي مقامي وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان
اي لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي ربه مثله وقولهم فلان ثقيل الظل ومنها انه اريد به المكث اي شق عليكم مكثي بين اظهركم
مدة طولها لاسيما الاخيرة منها عاما وكانت من اشد ايامه عليه خلافا ولا سيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة
اذا كان ذلك لطريقة مقتضاة النفوس الطبيعة الداعية الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على اقدامهم
في الوعظ والتذكير ليتكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط ما قوله
فعلى الله توكلت اي ان شدة بعضكم لي تحملكم على الاقدام علي ايذائي وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك هجراي قديما
وتدبيرا وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت انكرت علي شيئا فالله حسبي فاعمل ما تريد ولا
يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه
قاله الفراء وقال ابو الهيثم اجمع امره اي جعله جمعا بعد ما كان متفرقا وتفرقة انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فاذا عزم على امر
واحد فقد جعله جميعا فهذا هو الاصل في الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اي عزمت عليه
الفصيح اجمعت الامر المراد بالامر وجوه مكركم وكيدهم وانتصب شركاءكم على المفعول معه اي مع شركائكم ومن قرأ بالرفع عطفا
على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تاكيد بالمنفصل والمراد بالشركاء اما منهم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام و
حسن بسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه تعالى لما قال في اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على
انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم رد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كيدكم كانه قال افعلوا
كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقصرين على ذلك بل ضامين الى انفسكم شركائكم الذين تزعمون ان حالكم

يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا اخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اى التبس وقال الليث الغمة من امره اذا لم يصد له وقال الزجاج اى لا يكن امركم الذى اجتمعتم عليه ظاهرا منكشفا اى تجاهرون بالاهلاك ويحتمل ان يراد بهذا الامر العيش والحال اى اهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببى غصة خالكم عليكم غما اى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد قيدا اخر فقال ثم اقضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى اى ادوا الى قطعة احكموا بصحته وامضاءه من القضاء ان فيه تضمينا والمعنى القولى ما استقر عليه رايكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اى عجلوا ذلك بما بدا لكم ما تقدرون عليه من غير امهال ثقة ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ فى التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما القى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحى وتذكيرى فما سألتكم من اجر فما كان عتدكم ما ينفركم عنى وتستهونى لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجرى ليس اجرى الا على الله الذى امرنى بما نصحتكم الا لوجهه ولا يثبتنى الا هو وفى الاية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله صلى الله توكلت الى اخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الاية وامرت ان اكون من المسلمين اى سواء قبلتم دين الاسلام او لم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام وما مورا بالاستسلام لكل ما القى من قبل هذه الدعوة وكذبوه بقوا على تكذيبهم الى اخر المدة المتطاولة فجعلنا هم خلائف فى الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبى ص ثم بعثنا من بعده من بعد نوح رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فكانوا لبعضهم ما آمنوا بما كذبوا به من قبل الاية قد مر تفسيرها فى اواسط الاعراف الا ان زيدها ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله وكذبوا بآياتنا وكذلك فى الاعراف راعى المناسبة لان ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء ثم بعثنا من بعده بعد الرسل والامم بآياتنا يعنى الآيات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوى ثام ولذلك اجترؤا على رد الآيات ما قوله لساحر هذا فليس بقول تقولون لانهم قطعوا فى قولهم ان هذا الا سحر مبين بانه سحر وما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن العيب كالذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف المقالة اى مطاعن الناس فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا او يقال مفعول يقولون محذوف وهو قولهم ان هذا السحر مبين او يقال جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاءهم اجئتمانا بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الان لحاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات افتعال من اللفت وهو الصرف والعطف ويكون لكما الكبرياء فى الارض اى الملك والعز فى ارض مصر قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب من امر الدنيا وايقن فالنبى اذا اعترف القوم بصدقه صارت معاليد امره مسلمة اليه صار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر والحاصل انهم علموا عدم قبولهم دعوة موسى بسبب التمسك بالتقليد وهو عبادة اسلافهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد فى بقاء الرياسة ويجوز ان يقصدوا مع ذلك انهم ملكا ارض مصر بقهر او تكبر اتم صرحوا بالتكذيب قلين ما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة وقد مرت تلك القصة فى الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذى سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا عادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت جلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع فى وهمه ان يسئل عن الرجل الذى ذكره ومن قرأ آسحر بالاستفهام فالاستفهام مبتدأ وجئتم بخبره كانه قيل اى شئ جئتم به ثم قال على وجه التوبيخ اسحر هو سحرا هو السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يوفقهم بجعل الخاتمة ويحق الله الحق يثبته بكلماته بوعوده او بما سبق من قضائه او بامره فانا امن لموسى اى فى اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظة الذرية يعبر بها عن القوم على وجه التحقير ولا ريب ان المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابه طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم وقيل ان الذرية اقوام كانوا بمصر من قوم فرعون وامهاتهم من بنى اسرائيل وقيل الذرية قوم من آل فرعون واسية امرأة خازنه وامرأة خازنه وماشطته فالضمير فى قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل ان الذين امنوا به كانوا من بنى اسرائيل والضمير فى ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب يأتمرون له او المراد آل فرعون بحذف المضاف او للذرية يعنى اشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمتعون اعطيائهم خوفا من فرعون عليهم على انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم اى يعذبهم فرعون ثم الكلام فى اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال فى الارض ارض مصر وانه لمن المسرفين فى القتل والتعذيب لمن الجاوزين الحد لانه ادعى الربوبية العليا وقال لموسى تبا لهذه الصورة مقدم فى المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضرب ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك

يونس

توة فان ضربك بيدك فاضربه فكانه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليفنا بكم بالاخلاص مصدقين لنا بالتحقيق عارفين بانه واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه تدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا على الله توكلنا ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اى موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم او صرفهم عن دينهم او المراد لا تفتن بنا فرعون وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا سنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اى لا تجعلنا مفتونين بان تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق والمائدة التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه سؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الآية وفي ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوءا بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما القبلة عند بابراهيم تقدم امام نبينا بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اى صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة اما السبب في اتخاذ هذه البيوت فان يصلوا في بيوتهم خفية خيفة عن الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة او المقصود الجمعية واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على زعم الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثنى الخطاب لان اقل الجمع اثنان والمكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون بذلك ثم جعل الخطاب لهما ولقومهما لانا استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على الجميع ثم خص موسى بالتبشير في قوله وبشر المؤمنين لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لاحد الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر المؤمنين لنبينا على طريقة الالتفات والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يرجعون اليه للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى كما نابغ في اظهار المعجزات القاهرة ورأى العقوم مصرين على الجحود والانكار اخذ يدعو عليهم من حق من يدعو على الغير ان يذكر له سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس الرفيع والاثاث البيت والاموال ما زاد على ذلك من الضياع والمواشي وانما طغوا عند ابن عباس كانت لهم من تسلط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قال الاشاعرة اللام في قوله ليضلوا لام التعليل كان موسى قال يا رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا فيه دلالة على انه تعالى سبب لضلالهم واراد منهم ذلك واللام يهيئ اسبابه ثم شرع في الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والمنع كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها وباشد على قلوبهم معناه الاستيثاق والختم وقال المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعاء عليهم بثلثة امور بالضلال وبالطمس وبالشد كانه لما علم بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال وعلم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره فابلغ التيئيس واعلى ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحي واستمر على عنده سلمنا ان قوله ليضلوا امر دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله اندادا ليضل سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا ولم لا يجوز ان يكون لام مقدرة اى لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اى لا تضلوا او يكون حرف لا استفهام مقدرا في اثبت على سبيل التعجب اما قوله ثم فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون جوابا بالفاء واشد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشد فقال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان الا ان خص موسى بالذكر في الآية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما لكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه الف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال لا يفيد اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة في اوائل سورة البقرة في قوله واذ فرقنا بكم البحر الآية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال تبعته حتى اتبعته اتبعا اذا افرط في الظلم والعدو وبغيا وعدوا نصب على الحد وفي الآية سؤال وهو ان فرعون تاب ثلث مرات احدها قوله امنت وثانيها انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم يقبل توبته والجواب من وجوه الاول انه ايمان الياس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انهم لم تكن مقرونة بوجوب الصانع ومثل هذا الاعتقاد انما حصل لاجل نزول ظلمة الاسود الحجة القطعية الرابعة وكان بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل اراد الايمان بذلك العجل الذي اسوا بعبادته في ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر فلما من اكثرهم هو يعبدون

التجسيم التشبيه لذلك عبدوا العجل كانه ما امن الا ما لا الله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما انه لو قبل الف مرة لا اله الا الله لم يصح ايماننا الا اذا اقرن به محمد رسول الله الى الناس كافة السابع يروى ان جبرئيل اتى فرعون بغتة فاما قول الاخير في عبدتني فمال مولاه وبغى فكفر نعمته وجحد حقه اراد على السيادة دونه نكث فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق في البحر ان فرعون لما غرق دفع جبرئيل اليه حفنة فرفعها اما قوله الآن فالمشهور من الاخبار انه قول جبرئيل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير انؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين الجأ الغرق ادركك وقوله وكنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبرئيل اخذ ملء فاه ماء بالطين حين قال امنت لئلا يكون غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه قال ذلك حين بقاء التكليف فلم يخبر على خبر جبرئيل ان يمنعه من التوبة بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتوبوا الى الله توبة نصوحا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضي بقاءه على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون فقولا له قولا ليتنا ثم يامر جبرئيل بمنعه عن الايمان ولو قبل ان جبرئيل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا بامر ربك لا يسبقونه بالقول ان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبرئيل فائدة اللهم الا ان يقال انه درس حال البحر في وقت لئلا يفعل ايمانه غضبا لله على الكافر قوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه قولان منها ان معناه نخرجك من البحر نخلصك بها وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعدان تغرق وقوله ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن قال كعب القاه الماء الى الساحل كانه ثور والمراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير وعريانا لست الا بدنا وفيه نوع تهكم كانه قيل ننجيك لكن هذه النجاة انما يحصل لبدنك لا لروحك كما يقال لغتك فتخلصك من البحر لكن ثمود قيل ننجيك ببدنك اي نلقيك بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك اي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصيرة الكمين عن ابن عباس كان عليه درع من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء ليعرف فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى قوله لتكون لمن خلفك آية قيل ان قوما اعتقدوا في الحجية وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى يشاهده وزال الشبهة عن قلوبهم وكان مطرحة على ممر من بني اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهده الخلق على ذلك الذل والاهانة بعدما سمعوا منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للغابرين عن مثل طريقته ويعرفوا ان مكان الامس في نهاية الجلالة ثم ال امره الى ما ترى فلذا يجترؤا على محو ما اجراء عليه وقيل المراد ليكون طرحك الساحل وحدك دون المغرقين اية من اياته الله تعالى الاهلة ثم زجوهذه الامة عن ان ينظروا في الدلائل وحثهم على التامل والاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون التاويل وانزل عليهم تبا تبوء الروح اذ قال لقومه يا قوم القلب اسم النفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله بالهيبة الواضحة فاساء لكم من اجر من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظي الامر من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفا الله في ارضه باقي التاويل كما مر في الاعراف وهكذا في قصة موسى لا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن تبعة الوجود المجازي ويحق الله الحق اي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره اهل الهوى والنفوس الامارة فاما من موسى القلب الاصفاته او بعقوب صفاته فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها ان يبطل الى حالها الطبيعة التي جبلت عليها واوحينا الى موسى القلب وهرون اللسان هيئا صفاتكما بمصر عالم الروح مقاما من منازل لا في عالم النفس السفلي واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق واقيموا الصلوة ذكر الروح من المقامات الروحانية الى المواصلات الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة امرهم ان ينقطعوا او يقطعوا ابتلك الملاذ عن السير في طلبك ربنا اطمس على اموالهم بمحقها في تحقيرها في نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم عليها في طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم فان النفس صفاتها لا يؤمنون بالاخرة وطلب الحق حتى يذيقهم الم الفطام عن الدنيا وشهواتها ما سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببني اسرائيل هم القلب والسر صفاتها والبحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون النفس وصفاتها بعد العظام عن شواطئ عالم الملك بقهر وقسر حتى اذا هبت رياح اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب صفاته في بحر الوصال وبلغت انوار مواجيده الى ساحل البشرية ادرك فرعون النفس الغرق سمتك بعبرة تلك الغرقى قال امنت ومن ماد ان جنبه فرعون النفس من عالم الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد المعرفة بيد الصدق والاستقلال لم يقل امنت بالله الذي لا اله الا هو وانما تمسك بيد الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل ننجيك ببدنك اي نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا على كمال قدرتنا وعلى عنايتنا وان من اتبع خواص عبادنا نجعله من اهل النجاة والدرجات بعد ان كان من اهل الهلاك والدركات والسحسنا ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان

ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب
پروردگار تو حکم میکند میان ایشان روز قیامت در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند پس اگر هستی در شک از آنچه فرو فرستادیم بسوی تو پس پرس از آنانکه میخوانند کتاب را
من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين
پیش از تو بتحقیق که آمد ترا حق از پروردگار تو پس مباش از شک کنندگان و مباش از آنانکه دروغ گرفتند آیات خدا را که تکذیب کردند آنها را پس خواهی بود از زیانکاران
إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم فلولا كانت قرية آمنت
بدرستیکه آنانکه لازم شد بر ایشان کلمه پروردگار تو ایمان نیاورند و اگر بیایند بایشان هر آیتی تا ایکه ببینند عذاب دردناک را پس چرا نبود قریه که ایمان آورد و نفعش
فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم إلى حين ولو شاء ربك
پس بخشد ایمان او را مگر قوم یونس چون ایمان آوردند برداشتیم از ایشان عذاب رسوائی را در زندگانی دنیا و برخوردار کردیم ایشان را تا وقتی و اگر خواسته بود پروردگار تو
لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله
ایمان آورده بودند هر که در زمین است همه ایشان همه آنها تمام پس آیا تو اکراه میکنی خلق را تا باشند که مؤمن شوند و نیست مر هیچ نفسی را که مؤمن شود
ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموت والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا
و میگرداند ناپاکی را بر آنانکه نمیفهمند بگو بنگرید چه چیز است در آسمانها و در زمین و نمیکفایت میکند آیتها و ترسانیدنها از گروهی که
يؤمنون فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا ع
نمیگروند پس آیا انتظار میبرند مگر مانند روزهای آنانکه گذشتند از پیش ایشان بگو پس انتظار بکشید بدرستیکه من با شما از انتظار کشندگانم پس میرهانیم رسولان خود را
والذين ءامنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون
و آنانکه گرویدند همچنین ثابت شد بر ما که نجات دهیم گرویدگان را بگو ای مردمان اگر هستید در شک از دین من پس نمیپرستم آنانرا که
من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفىكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا
از غیر خدا ولیکن میپرستم خدائی را که میمیراند شما را و فرمودند که باشم از گروندگان و اینکه راست کردان روی خود را برای دین حق راست رو و
تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك
باش البته از شرک آورندگان و مخوان از غیر خدا آنچه نمیگرداند نفع ترا و ضرر نمیرساند ترا پس اگر کردی پس بدرستیکه تو در آنوقت از ستمکاران و اگر برساند ترا
الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
خدا بضرر پس نیست دفع کننده مر آنرا مگر او و اگر خواهد ترا بنیکی پس نیست برگرداننده مر فضل او را میرساند بآن هر که خواهد از بندگان خود و او آمرزنده مهربان
قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم
بگو ای مردمان بتحقیق آمد شما را حق از پروردگار شما پس هر که راه یافت پس جز این نیست که راه مییابد برای نفس خود و هر که گمراه شد پس جز این نیست که گمراه میشود بر نفس خود و نیستم من بر شما
بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين القراءة بتاء فاعلا مثل انشأنا ويجعل بالنون يحيى وحماد الأعشى
کارساز و پیروی کن آنچه وحی میشود بسوی تو و صبر کن تا آنکه حکم کند خدا و او بهترین حکم کنندگان است بیاء التحتانیة ثم ننجي من الانجاء نصر وروح ويزيد
ننجي المؤمنين من الانجاء أيضا على وسهل ويعقوب وحفص المفصل الآخرون بالتشديد فيهما الوقوف الطبياني ج للابتداء بالنفي
مع الفاء العلم يختلفون من قبل ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى المؤمنين لا للعطف الخاسرين لا يؤمنون لا لتعلق لو بما قبلها
الأليم يونس ج حين جميعا ط مؤمنين باذن الله ط أي وهو يجعل لا يعقلون لا لأن ما بعده يصلح مستأنفا والاخبار لا يوقف
من قبلهم ط من المنتظرين كذلك ج لاحتمال أن يراد ننجيهم كإنجاء الرسل ويكون الوقف على آمنوا والتقدير ننجي المؤمنين لا انجاء
كذلك وحقا علينا اعتراض المؤمنين لا يتوفاكم لاحتمال أن يراد وقد أمرت المؤمنين لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نفي
التأكيد المؤذن بالاستيناف المشركين ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين لا لأن الواو للعطف مع حق الفصل
بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم من يكم ج لتنفسح عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ط بحكم الله ج لاحتمال العطف
والاستيناف الحاكمين لتغير ما ذكرنا وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده او لان يذكرها وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل
فقال ولقد بوأنا أي أسكنا هم مسكر صدق واسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان ومصدرا والعرب إذا مدحت شيئا أضافته
الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فإنه يصدق ذلك الظن ويوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني اسرائيل
اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى ﷺ فهو الصحيح وما بعده مما يليها فانها بلاد كثيرة الخصب عزيزة الارزاق مع ذلك
فما اختلفوا ولم يتفرقوا كما كانت تحت تصرف فرعون وقومه من الناطوا والصامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا
كانوا على طريقة واحدة حتى غيروا والوا متر فقابلوها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف واحدثوا المذاهب المتعددة

واما اليهود المعاصرون لرسول الله ﷺ وهذا ذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلناهم منزل الصدق ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا الذي في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد ﷺ فاختلفوا في نعته وصفته وامن به قوم وبقي على الكفر آخرون بالجملة فالله تعالى يقضي بين المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست دار القضاء وما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم وفي شان رسول الله ﷺ حقيقة وحقيقة ما انزل عليه بقوله فان كنت في شك والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض مستعمل في الجوهر والعقد وشكلة الرمح وخرقة وانضمت والتكت الفرقة من الناس واشكال البيوت المصطفة والشاك يضم الى ما يتوهم شيئا اخر خلافه والخطاب فيه للرسول في الظاهر والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم والدليل عليه قوله بعد ذلك قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ولانه لو كان شاكا في شانه لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان محالين كقولك لغلامك ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول الطمانينة واستمالة الامة والحث لهم على السؤال عما كانوا متوقفين في شك وفيه ان اهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعته مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاخبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى الرسول لا الشك ولذلك قال عنه فويله لا اشك ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا اسال احدا منهم وقيل لا تكن في شك يعني لا تمار به السؤال انك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع ياتي منه الشك ومن المسؤول عنه قال المحققون هم مؤمنو اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم اذا بلغوا حد التواتر وقرأوا التوراة والانجيل يدلان على البشارة بمقدم محمد ﷺ فقد حصل الغرض لان تلك الآية لما بقيت مع توفر الدواعي على تحريف نعته كانت من اقوى الدلائل والظاهر ان المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد ﷺ والقوله بما انزلنا اليك وقبل السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال لقد جاءك الحق من ربك ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما موقنون في صدق ما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه فقال فلا تكونن من الممترين ولا تكونن الاية والمرا فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب فيه من التهيج للبعث على اليقين والتصديق وما فيه ثم لما زجر كل فريق عما زجر بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله ان الذين حقت الاية وقد مر مثله في هذه السورة وقال المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الياس سوى بهم على الكفر مكتوب عند الله وثبت عليهم قوله الاول بما يجري عليه لكنها كائنة بقدر ومراد وقال الاشاعرة كلمة حكم واردة وظلمة فيهم الكفر وقد مر ما في هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الاخرون فذلك قوله فلولا كانت اي فهلا حصلت قرية واحدة امنت تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل معاينة العذاب فنفعها ايمانها لوقوعه وقت الاختيار والتكليف دون اوان الياس الاضطراري الا قوم يونس هو استثناء منقطع اي ولكن قوم يونس لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما امنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس يريد ان يونس بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما سيجيء في سورة الانبياء فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك امامنا بك فلما مضت خمس وثلثون غامت غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم هبط حتى غشي مدينتهم وتسودت سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بايفنهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحم الله فكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان يرد الظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من تقيف علما فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا اتاحي حين لا حي وياحي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء اجالهم وعن الفضيل ابن عياض قالوا اللهم ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشيته الله وتقديره فقال ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا قال الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر واجيب بان الكلام في الايمان الذي كان مطلوبا للنبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الاية وكذا المشيئة على الايمان الالجائي ومشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا لله تعالى سبحانه وتعالى فقال افانت تكره

لا وصف الرسول بهم

معلوم لا كما يقوم

فاول الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام فى المكره من هو وما هو الا الله الواحد وحده فحمل المعتزلة هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على الايمان ومعناه انه قادر على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اى الكفر والفسق على الذين لا يعقلون وفسر المعتزلة الاذن بمنع الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه خصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين لا يعقلون يعنى المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن عبارة عن الاطلاق فى الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه اولى باجابة المعتزلة بان المراد بالاذن التوفيق والتسهيل والالطاف لما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله اتم امرا بالنظر والاستدلال بالسموات والارض حتى يتبين لهم ان الحق هو الخير المحض فقال قل انظروا ماذا فى السموات والارض اى شئ فيهما من الآيات والعبر وذكر ان التفكر والتدبر فى هذه الدلائل ينفع فى حق من حكم الله عليه فى الازل بالشقاء فقال وما تغنى يحتمل ان يكون ما نافية اى ما تفيد هذه الآيات والنذر وهى جمع نذير صفة او مصدر فى حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهاما بمعنى الانكار اى شئ يغنى عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الانبياء المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العذاب او بوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان يفعل الكفار المعاصرون للرسول ﷺ فقال فانتظروا فانى معكم من المتربصين بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك بعد انجاء الرسول واتباعه كما حكى ذلك الاحوال الماضية بقوله ثم ننجى رسلنا الآية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب لا الاستحقاق لان الخلف يقبح بالله تعالى فى حق الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيئا امر رسوله باظهار التباين بينه وبين طريقة وطريقة المشركين فقال قل يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون ديني فاعلموا انى مبراء عن اديانكم الباطلة ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا اولان الموت اشد الاحوال هائلة فى القلوب فكان اقوى فى الزجر والردع او لانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد الله الذى وعدنى باهلاككم والنجاة فى الآية اشارة الى المعنى يوافقهم فى دينهم كيلا يشكوا فى امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون اى بان اكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم وجهك ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل لكن موءمنا ثم اقم ولا تدع او المراد وامرت بكذا واوحى الى ان اقم قال فى الكشاف قد سوغ سيبويه ان يوصل ان بالامر والنهى وشبهه لك بقولهم انت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون بمعنى المصدر فى معنى المصدر والامر والنهى هاهنا كذلك لانه عبر بهما عن الافعال ومعنى اقم وجهك استقم اليه ولا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجيه الكلية الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شئ نظرا تاما فانه يقيم وجهه فى مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر بالنهى عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين بين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ان فعلت اى فان دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك ولكنه عبر عنه بالفعل حتما وازدواجا للشرط وجوابه لسؤال مقدر كان سائلا يسئل عن تتمة عبادة الاوثان وجعل جواب الشرط وجعل من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع للشئ فى غير موضعه ثم صرح بانه مبدء الكائنات ومنتهى الحاجات لا غير وقال وان يمسسك الله الآية وقد مر تفسير مثلها فى اول سورة الانعام قال الواحدى وان يرد لك بخير من الطلب واصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالاخر جاز كل واحد منهما واقول فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر دليل على ان الخير بهيئته عند سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره فى الهداية والضلال فقال يا ايها الناس الآية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له فى الازل بالاهتداء فسيقع لا محالة ومن حكم له بالضلال فكذلك لا حيلة فى دفعه كما مر فى سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الآية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وازاح العلة فظهر وقطع العذر فمن اختار الهدى فانفع باختياره لا نفسه ومن آثر الضلال فلا يعود وبالا الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الآية منسوخة بآية القتال ولا يخفى ضعفه ثم امر بالاتباع الوحى والتربص فان وصل البلاء بسبب اتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين ويعضم فى الصبر شعرا صبرت صبرا يعجز الصبر عن صبرى وأصبر حتى يحكم الله فى امرى ساصبر حتى يعلم الصبر انى صبرت على شئ امر من الصبر التاء ولقد بوأنا بنى اسرائيل يعنى منزلات الروح العلوى من القلب السر دون النفس لانها من النبات لا من التبن منزلا عليا فى العالم النورانى ورزقناهم من الطيبات من الفيض الربانى الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب وكل ما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض على القلب السر فما اختلف القلب السر حتى جاءهم دعوة النبى من قبلها صار مقبولا ومن ردها كان مردودا وبوجه خوطبوا صدق بين الاصبعين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى اورد كم علم الله الازلى السعادة والشقاوة فان كنت فى شك من خلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فى باطن نهاره يدعو به الاطفال

هود مکی

فلا یدری ما هو من کرامة الاجتباء او من خامة الابتلاء فکان النبی من خصوصیته انما انا بشر مثلکم یوقع فی هذه الریاض او یختاصر یوحی الی یسقی بکاسات المناوان من تلک الحیاض فتشک عند سکره الهامن شهو التلوین او من کشوف التمکین فادرکته العنایة الازلیة فاکرمه بخطاب لقد جاءک الحق من ربک فلا تکونن بل کان هذا النهی فی التکوین فما کان ممتریا وهذا قال والله لا اشک لا استل الامثال ایام الذین خلوا من اینکر کل میسر لما خلق له قل فانتظروا ظهور ما قدر لکم ولکن اعبد الله الذی یتوفیکم بالفناء عن النفس وصفاتها حیفا طاهرا عن لوث الالتفات الی ماسوا واقم الصلوة طرفی النهار

سورة هود مکیة غیر ایة فلعلک تارک قوله اقم الصلوة طرفی النهار وهی مائة وثلث وعشرون ایة وهی اثنا عشر الف وستمائة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحیم

بنام خداوند بخشی بینهایت مهربان

الر کتاب احکمت ایاته ثم فصلت من لدن حکیم خبیر الا تعبدوا الا الله انني لکم منه نذیر وبشیر وان استغفروا

الر اشارت است بسوی آنکه قرآن سخن خداست که بر پیغمبر ما فرستاده است و بر ما واجب است که بدانیم و بکنیم آنچه در وی است از فرمان و نهی و وعد و وعید و حلال و حرام و حد و حکم و مثل و قصه و غیر آن و معنی احکمت ایاته آنست که آیتهای او را از نقص و زیادت نگاه داشت و معنی ثم فصلت آنست که بیان کرد آنرا بر پیغمبر ما و معنی من لدن حکیم خبیر آنست که از نزد خداوند حکیم و خبیر آمد و معنی الا تعبدوا الا الله آنست که نپرستید مگر خدای را و معنی انني لکم منه نذیر وبشیر آنست که من مر شما را از عقوبت خدای می ترسانم و مژده میدهم شما را بنعمت بهشت

ربکم ثم توبوا الیه یمتعکم متاعا حسنا الی اجل مسمی ویؤت کل ذی فضل فضله وان تولوا فانی اخاف علیکم

و آنکه آمرزش خواهید از گناهان خود پس توبه کنید بسوی او تا برخوردار کند شما را برخورداری نیکو تا مدتی نام برده شده و بدهد هر صاحب فضلی فضل او را در دنیا و آخرت و اگر روگردانید پس بدرستیکه من میترسم بر شما

عذاب یوم کبیر الی الله مرجعکم وهو علی کل شئ قدیر الا انهم یثنون صدورهم لیستخفوا منه الا حین یستغشون

از عذاب روز بزرگ بسوی خدا بازگشت شماست و او بر هر چیز توانا است آگاه باشید که ایشان میپوشند سینهای خود را تا پوشیده دارند از او آگاه باشید هنگامی که بپوشند

ثیابهم یعلم ما یسرون وما یعلنون انه علیم بذات الصدور وما من دابة فی الارض الا علی الله رزقها ویعلم مستقرها ومستودعها کل فی

جامهای خود را بسته اند از بیم آنکه پیغمبر نبیند آنچه پنهان میکنند و آنچه آشکارا میکنند بدرستیکه او داناست بآنچه در سینهاست و نیست هیچ جنبنده در زمین مگر بر خداست روزی او و میداند جای آرامش او را و جای سپردن او را همه در

کتاب مبین وهو الذی خلق السموات والارض فی ستة ایام وکان عرشه علی الماء لیبلوکم ایکم احسن عملا ولئن

کتابی روشن و او است که آفرید آسمانها و زمین را در شش روز و تخت او بر آب بود تا بیازماید شما را که کدام شما نیکوتر کردار است و اگر

قلت انکم مبعوثون من بعد الموت لیقولن الذین کفروا ان هذا الا سحر مبین ولئن اخرنا عنهم العذاب الی امة

بگوئی بدرستیکه شما برانگیخته شدگانید از پس مرگ هر آینه گویند کافران نیست این مگر جادوئی آشکار و اگر بازپس اندازیم از ایشان عذاب را

معدودة لیقولن ما یحبسه الا یوم یاتیهم لیس مصروفا عنهم وحاق بهم ما کانوا به یستهزءون ولئن اذقنا الانسان

شمرده شده هر آینه میگویند چه باز دارد آنرا آگاه باشید روزیکه بیاید بر ایشان نیست گردانیده از ایشان و فرو گرفت ایشان را آنچه بان استهزا میکردند و هر آینه اگر بچشانیم انسان را

منا رحمة ثم نزعناها منه انه لیئوس کفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته لیقولن ذهب السیئات عنی انه لفرح فخور

از خود رحمتی پس برداریم آنرا از او بدرستیکه او هر آینه نومید ناسپاس است و اگر بچشانیم او را نعمتی پس از سختی که رسیده بود او را هر آینه بگوید که رفت بدیها از من بدرستیکه او هر آینه شادمان نازنده

الا الذین صبروا وعملوا الصالحات اولئک لهم مغفرة واجر کبیر فلعلک تارک بعض ما یوحی الیک وضائق به صدرک

مگر آنانکه صبر کردند و کارهای شایسته اضافت آمرزش و مزد بزرگ پس شاید تو ترک کننده باشی برخی از آنچه وحی میشود بسوی تو و تنگ شود بدان سینه تو

ان یقولوا لولا انزل علیه کنز او جاء معه ملک انما انت نذیر والله علی کل شئ وکیل ام یقولون افتریه قل فاتوا بعشر

که بگویند چرا فرستاده نشد براو گنجی یا نیامد با او فرشته جز این نیست که تو بیم کننده و خدا بر همه چیز وکیل است یا بگویند بدروغ بربسته است آنرا بگو پس بیارید

سور مثله مفتریات وادعوا من استطعتم من دون الله ان کنتم صادقین فان لم یستجیبوا لکم فاعلموا انما انزل بعلم

سوره مثل او برافسانده و بخوانید هر که را توانید از غیر خدا اگر هستید راستگویان پس اگر اجابت نکردند مر شما را پس بدانید که بجز فرو فرستاده او

الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من کان یرید الحیوة الدنیا وزینتها نوف الیهم اعمالهم فیها وهم فیها لا یبخسون

خدا و آنکه نیست خدائی مگر او پس آیا شما منقادانید کیست که بخواهد زندگانی دنیا و زینت آن را ادا کنیم بایشان کرداران ایشان را در آن و ایشان در آن کم کرده نشوند

اولئک الذین لیس لهم فی الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فیها وباطل ما کانوا یعملون افمن کان علی بینة من ربه

آنها آنانند که نیست مر ایشان را در آخرت مگر آتش و باطل شد آنچه کردند در آن و تباه شد آنچه میکردند پس آیا کسیکه بر حجتی است از پروردگار

ویتلوه شاهد منه ومن قبله کتاب موسی اماما ورحمة اولئک یؤمنون به ومن یکفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا

و بخواند او را شاهدی از او و پیش از قرآن کتاب موسی پیشوا و رحمت انکرده میکنند بان و هر که کافر میشود بان از گروههای مشرکان پس آتش وعده گاه اوست

تک فی مریة منه انه الحق من ربک ولکن اکثر الناس لا یؤمنون ومن اظلم ممن افتری علی الله کذبا اولئک یعرضون علی

پس مباش در شک از آنکه بدرستیکه آنچه از پروردگار تو آمده است حق است ولیکن اکثر مردمان ایمان نمیآورند و کیست ستمکارتر از آنکه بر بندد بر خدا دروغ اینها عرض کرده میشوند

ربهم ویقول الاشهاد هؤلاء الذین کذبوا علی ربهم الا لعنة الله علی الظالمین الذین یصدون عن سبیل الله ویبغونها

بر پروردگار خود و گویند گواهان اینانند که دروغ بستند بر پروردگار خود آگاه باشید لعنت خدا بر ستمکاران آنانکه باز میدارند از راه خدا و میخواهند آنرا

ع

وتعلم مستقرها ومستودعها

ع

لنعماء مسه

عوجا وهم بالاخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب
ح وايشان آخرت ايشان كافران ۞ انها نباشند عاجز كنندگان ودر زمين ونباشد مران را از جز خدا ايچ دوستان مضاعف كرده شود مر ايشان را عذاب
ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لا جرم انهم
نميتوانستند كه بشنوند وهيچ نبودند كه ببينند انها اند كه زيان كردند بنفسهاى خود وگم شد از ايشان آنچه دروغ مى بستند ناچار ايشان در آخرت
في الاخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
در آخرت ايشان زيانكاران بدرستيكه انهاكه گروند وكردند كارهاى شايسته وآرميدند بسوى پروردگار خود انها اند بهشتيان ايشان در آنجا جاويدانند
مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
مانند ان دو گروه چون كور وكر وبينا وشنوا آيا مساوى ميباشند مثل آيا پس نه پند ميگيريد ۞ البزى وابن فليح فانى اخاف بفتح الياء
ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير على انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو والوقوف آن كوفى غير ه لا بناء على انه يتعلق بما قبله
الا الله ط وبشرا للعطف فضله ج كبير مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستيناف قدير منط شيا بهم لابناء على ان عاملهما حين قولا يعلمون الصدق والجزم الثانى عشر ومستودعها ط مبين ما يحتاط يستقرون منج لحذف جواب لئن اى لبياسين وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عنيط مخوف لا للاستثناء الصالحات ط كبير ملط نذير وكيل ط لان ام استفهام تقريع افتريه ط صادقين
الاهو ط للاستفهام مع الفاء مسلمون يحزنون الا النار زينا على ان ليس بمنزلة حرف النفى والوصل اوجه لان ليس فعل ماض وهو مع ما
عطف عليه المجموع جزاء يعملون ورحمة ط يؤمنون بموعدة ط لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذباط على بهم الثانى ج لان
ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين لا عوجا ط من اولياء م لئلا يوهم ان ما بعده صفة اولياء العذاب ط
يبصرون يفترون لا اخسرون الى ربهم لا ان ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون والسميع ط مثلا ط تذكرون النصير ان كان اسما للنسور
فما بعده خبره وان كان وارد على سبيل التعديد او كان معناه انا الله ارى فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اى هذا الكتاب والاشارة اما
الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقض وفصلت جعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما او منعت من الفساد
والبطلان من قولهم احكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لمنعها من الجماع اى لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله على
العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنة وعلى اصول جميع الشرايع فلا محالة لا يطرقها البتة بل تتغير ثم فصلت كما يفصل الفصل
بالفراهد من اصل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعانى فصل انفرد به وجعلت فصولا سورة سورة او آيات
آيات وفرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم الترا خى
في الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل واحكمت صفة كتاب ومن لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر وصل لاحكمت وفصلت اى من
عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور احتج الجبائى بقوله احكمت
ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر عن القديم واجيب
بانه لا نزاع في حدوث الاصوات والحروف انما النزاع في الكلام النفسي قوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اى لاجل ذلك ويكون ان
مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبى قل لهم لا تعبدوا او جوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدءا منقطعا عما قبله
محكيا عن لسان النبى ﷺ يعزى متد على اختصاص الله بالعبادة كانه قال لهم عبادة الله مثل تضرب الرقاب في الصهيل في سبيل الله عز وجل الا من
نذير وبشير اى انني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك يجوز ان يكون منه صلة النذير اى انذركم منه وان
عذابه ويكون صلة البشير محذوفا اى ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اى اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم
ثم بين الشيء الذي به يطلب ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان اخرا في الحصول
كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اى توبوا ثم قال توبوا اى اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل
استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من اسلافكم الذنوب قيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله
الاعانة في المستقبل لا ينفع والتوبة سعى الانسان في الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعى النفس ثم رتب على الاستغفار
امرين الاول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حياة طيبة سؤال كيف الجمع بين هذا وبين قوله ولو لا ان يكون
الناس امة واحدة وقول النبى الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد ان لا يجعلهم بعذاب الاستيصال
او يزوي عنهم كيف كان والجواب الثاني ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا
في فاتر هيا عليه فانه من اللذات العاجلة فانعما يصيبه من الخيرات الزايلة الثاني قوله ويؤت اى في الآخرة كل فضل فضله اى جزاء
فضل ذلك الشخص ومقتضاه يعنى الجزاء المرتب على عمله بحسب تزايد الطاعات وتميز العمل الحسن فضلا اشريفا ويجوز ان يعود الضمير في فضله

سورة الرعد

هود

الى الله تعالى وفيه تنبيه على المدخلات في الجنة بتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وان تولوا اى تتولوا فحذف احدى التاءين والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص في العبادة وعن الاستغفار والتوبة فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير يوم القيمة الموصوف بالعظم بالثقل اليهم وتبدرون وزنهم نوقا ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله الى الله مرجعكم اى لا حكم في ذلك اليوم الا الله ولا رجوع الا الى جزائه وهو مع ذلك كامل القدرة فانذ الحكم فانظروا كم يكون العذاب بحسب مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الاية تتضمن البشارة من وجه اخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال في الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحم عليه لا يقيم لعذابه وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا فانك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولي عن الاوامر المذكورة باطلا كالتولي عنها ظاهرا فقال الا انهم يثنون يقال ثنى صدره عن الشيء اذا زوره عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وههنا انما هو ان يثنون صدورهم ويريدون ليستخفوا منه اى من الله ثم كرر كلمة الا لتنبيهها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اى يريدون الاستخفاء في وقت الاستغشاء الثياب قال الكلبي ثنى صدورهم كناية عن بغائهم لما روي ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار كان اذا مر برسول الله ﷺ شيء صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله ﷺ وما يتلو من القرآن ويقول في نفسه ما يشتهي من الطعن ثم استأنف قوله يعلم ما يسرون وما يعلنون تنبيها على انه لا فائدة لهم في الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسر كما انه عالم بالظواهر ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهماتها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا فقال وما من دابة الاية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الامكنة من صلب او رحم او بيضة وقال الفراء مستقرها حيث تاوي ليلا ونهارا ومستودعها موضعها الذي يموت فيه قدر تمام الاقوات في سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالاية على ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق عند المعتزلة شبه التذر ثم ترى انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعالى رزقا ثم ختم الاية بقوله كل في كتاب مبين اى كل واحد من الدواب رزقها ومستقرها ومستودعها ثابت في علم الله او في اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدة في قوله ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين يروى ان موسى عليه السلام تعلق قلبه باهله فامره الله تعالى ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفي فمها شيء يجري الغذاء لها فسمع الدودة يقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني ثم ان الله تعالى قد دل بقوله وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء قال الاكثرون خلق الله تعالى اولا جوهرة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم قد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء على الارض وليس ثم ذلك على سبيل كون احدهما ملصقا بالاخر وعلى هذا فيكون الان ايضا عرشه على الماء وقال في الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش شيء سوى الماء ويدل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما الا لزم ان يكون خلقها قبل ان يعتبر بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليهم وقال ابو مسلم العرش لبناء اى بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء تحركه شبه سيلان الماء اى وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الاية بيان كمال قدرته في امثال الجرم العظيم على الصغير ما قوله ليبلوكم فانعم قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلي لاحوالهم كيف يعملون فيجازي كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه غاية المصالح لما فعله الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو مما لبس له كالنظر والاستماع في قولك انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن كلاما قال في الكشاف الذين احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطوى ذكر من وراءهم لان الصالحين والكفار نشر فاتهم قلت ويجوز ان يقال ان احسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حدوث البعث اتبع ذلك قوله ولئن قلت الاية والاشارة في قوله ان هذا الا سحر الى البعث اى هو باطل كبطلان السحر والى القرآن لانه الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحت انكارهما معا ان البعث فقال الفقال معنا ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن لذات الدنيا واجتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة الى النبي ثم بين انه متى اخر عنهم العذاب الذي توعدهم الرسول به اخذوا في الاستهزاء وقالوا ما الذي حبسه عنا فقال ولئن اخرنا عنهم الاية والامة اشتقاقها من الام وهو القصد والوقت المقصود لا يقاع الموجود وقيل هي في الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عندك حلاب صلوة العصر اى في ذلك الحين فالمراد الحين بقضي فيه معدود من الناس قال في الكشاف اى جماعة من الاوقات والعذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر عن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين ومعنى ما يحبسه شيء يمنعه من النزول استعجالا لما على جهة الاستهزاء والتكذيب فاجابهم الله بقوله الا يوم ياتيهم وهو متعلق بخبر ليس اى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم واستدل به من جوز تقديم

فانشقت فخرجت منها حصاة فاتبعته ثم ضرب فانشقت مع

خبر ليس على الكون اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى والاولى للتابع مرتبة على المتبوع ثم قال وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اراد يستعجلون ولكنه وحاق بلفظ الماضى لان جعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان فى حالتى السراء والضراء فقال ولئن اذقنا الانسان الاية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء فى قوله الا الذين امنوا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والتقلب العجلة والتثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد قد مر ذكر الكافر وكان وصف اليأس والكفران والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك لانه يعتقد ان السبب فى حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا استبعد حدثت له مرة اخرى فيقع فى اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن الاستعدادات الاخروية الروحانية فيظن انه قد فاز بغاية الامانى ونهاية المنى وهذا مما لا يوجد فى المؤمن فحاله على العكس لذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذواق اقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر على اقل القليل ولا عليه وفيه ان جميع نعم الدنيا فى قلة الاعتبار وسرعة الزوال كشبه حلم النائم من وجوه خيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة او امن او جدة ونزعها سلبها والبؤس والكؤوس آن للسبب الغذ والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك قال الواحدى لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حوراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التى سألته ثم سلى نبيه بقوله فلعلك تارك الخ قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ارجع الينا سوسلا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا وائتنا بالملائكة ليشهدوا لك فخاطب الله سبحانه نبيه بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا فى ذلك البعض عن ابن عباس ان المشركين قالوا ائتنا بكتاب ليس فيه شتم الهتنا حتى نتبعك ونؤمن بكتابك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة آتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض ما اوحى الله اليه ديانة فى المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الاية بان امثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير فى اداء الوحى فلهذا احوط طبعا او لعله كان تارة بين تهديدين احدهما ترك اداء شئ من الوحى وثانيهما انهم كانوا يتلعثون الى الطعن والاستهزاء فنبه بالاية على ان تحمل الضرر الثانى اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب يقول الغير اذا اراد ان يزجره لعلك تفعل كذا اى لا تفعل وانما قال وضائق ولم يقل وضيق به صدرك دلالة على انه ضيق حادث لانه كان انسح الناس صدرا ومعنى ان يقولوا لولا انزل اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده لا نفرجه ثم بين ان حاله مقصور على انذاره لا يتخطاها الى انزال المقترحات والذى سلكه هو القادر على ذلك حفيظ عليه على كل شئ ومن كمال قدرته انزال القرآن المعجز الجامع للمصالح واشار الى ذلك بقوله ام يقولون الاية وقد مر مثله فى سورة يونس عن ابن عباس السور العشر من اول القرآن الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان يشار الى الحاضر بعد فالاولى ان يقال ان التحدى وقع بمطلق السور التى تظهر فيها قوة ترتيب الكلام وتاليفه تحداهم اولا بمجموع القرآن فى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ثم بعشر سور فى هذه الاية وذلك لان العشرة اول عقد من العقود ثم بسورة فى يونس وفى البقرة وهذا كما يقول الرجل لما جيء كتب كم الى الكتب فاذا عجز قال الكتب عشرة اسطر مثل ما كتب فاذا عجز قال فى آخر الامر قد اقترفت منك على سطر واحد مثله ثم اذا اراد ان يبالغ قال قد جوزت لك ان تشفع بكل من تريد فاذا ظهر عجزه حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزه عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال فان لم يستجيبوا الى معارضة القرآن والى الايمان لكم اى لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين كانوا يتحدونهم او الجمع لتعظيم رسول الله فاعلموا انما انزل بعلم الله اى متلبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة الخفية والغائبة وصيغة الامر راجع الى اثبات اى اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بشان القرآن ودوموا على التوحيد الذى استفدتم من القرآن او دلكم على ذلك عجز الجميع عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذا تبينتم صدق قول محمد وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة فى الاخلاص والطاعة وتفسيرهو هو ان يكون الضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم والخطاب فى لكم للمشركين وكذا فى قوله فاعلموا وفى انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انه منزل من عند الله وان توحيده واجب عليكم فى اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم مسلمون ثم اوعد من كانت همته مقصورة على زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا او عنادا فقال من كان يريد الاية عن ابن عباس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكانت نياتهم فيها وقال الاصم هم منكرو البعث قال الحسن هو عامة فى الكافر والمسلم المرائى وقال الضحاك المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر الملذات والمنافع عن ابى هريرة ان رسول الله قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقرآن فيقال له ما عملت فيه فيقول ما زلت قائما به اناء الليل واناء النهار فيقول الله كذبت ويقال فلان قارئ وقد قيل ذلك وتؤتى ايضا المال فيقول الله لم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت ويقال فلان جواد وقد قيل

مكية وبعض الخ

ذلك لم

هود

ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول فما قتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جرى فقال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله ﷺ ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة روى ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية فبكى معوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله ﴿من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها﴾ الايتان ثم بين ان بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال ﴿افمن كان﴾ والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم نظرا الى العلماء والجهال فان الجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريدان العلماء يدخلون النار والجهال الجنة ويمكن ان يقال التقدير افمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به مثله افمن زين له سوء عمله فراه حسنا امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما واعلم ان اول هذه الاية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه الله بانه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو الخامس فيها اقوال اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي هو على البينة من هو اهل الكتاب كعبد الله سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القران ومنزل من الله ومن القران المتقدم ذكره في قوله ﴿ام يقولون افتراه ومن قبله كتاب موسى﴾ اى ويتلو ذلك البرهان من قبل القران كتاب موسى وهو التورية خالكوفيها اما ما اوعوا اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية المكتسبة امتا ان يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالاخر كان المطلوب اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحة بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم اذا حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلثة جميعا البينة وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد هو القران المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرايع المتقدمة عليه الصالح للاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك ولا ريب فقيل افمن كان محمد على البينة القران ويتلوه بقرءه شاهد هو جبريل نزل بامر الله وقرأ القران على محمد او شاهد من محمد هو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني علي ابن ابي طالب ع او يتلوه اى يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي ﷺ هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس من وجهه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب فلا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القران ويتلوه يعقب القران شاهد من الله هو محمد ﷺ او لا يخيل لانه يعقبه التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله او ذلك الشاهد كون القران واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك يؤمنون بداى بالقران ثم اوعد غيرهم بقوله ﴿ومن يكفر به من الاحزاب﴾ يعني اهل مكة ومن انخاز معهم كاليهود والنصارى والمجوس فالنار موعده فلا تك في مرية منه من القران اومن الموعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله ﴿من كان يريد الحيوة الدنيا﴾ ومن انكارهم نبوة محمد ﷺ وذلك قوله ﴿افمن كان على بينة﴾ اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم انها شفعاء من شفعهم فقال ﴿ومن اظلم﴾ ثم قال ﴿اولئك يعرضون﴾ ربما يحمل عليهم الغرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف اراد انهم يعرضون فيفتضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال والمراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين اواراد انهم يحبسون في المواقف ويعرض اعمالهم على الوقائع مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اى الناس وقيل هم الانبياء كقوله ﴿ولنسئلن المرسلين﴾ والاشهاد اما جمع شاهد كصاحب واصحاب وجمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد القران ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الاية قد مر تفسيره مثلها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في الارض لم يكن يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد الضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرهم ويمنعهم من عقابه جمع تقدم بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الاخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تقام لوشاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتاخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر والصد عن السبيل والاضلال لما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه من الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك يخلقه الله تعالى حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن الوقوف على الحق وبوافقه ما روي عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافر من الايمان في الدنيا وذلك قوله ما كانوا يستطيعون الايمان وفي الاخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقال المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول القائل هذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه يعني هذا الشخص لا استطيع ان ابصره والمراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذي سموه اولياء ليسوا في الحقيقة اولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اخبارا

بوعيد واعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الآيات بصفات كثيرة الاولى ومن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اى في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي والفضيحة في قوله وتقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم في الغاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالاخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشرة الثانية عشرة اولئك الذين خسروا انفسهم وقد مر في الانعام الرابعة عشرة وضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشر لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اى قطع معناه لا قطع قاطع لهم في الاخرة هم الخاسرون وقال الزجاج لا نفي لها ظهر انه ينفعهم وجرم معناه كسب المعنى لا ينفعهم ذلك وكسبهم ذلك الفعل خسارة الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللغة قوله وعمل المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للانفعال عما سوى الله وقيل المراد طمينانهم وتصديقهم بكل ما وعد الله به من الثواب في ضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان بان شبههما بانارة بالاعمى والبصير بالاخرى بالاصم والسميع واما تشبيه واحد والواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع والاشبه ان الفريق الكافر هو الذي وصف بالصفات الست عشرة واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكورون في قوله ان الذين امنوا ثم انكر شبههما في الاحكام والجواب بقوله هل يستويان مثلا اى تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى الصمم يمكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتسديد الله تعالى وتوفيقه الثالثة الالف اشارة الى الله واللام الى جبريل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبريل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا وراس العلم اللدني ان تقول لامتك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اى يوت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن هو مراتب السير الى الله وابتاء الفضل هو درجات السير الى الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الاحمق يستغشون ثيابهم جميعة على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان النور المرشوش ومن نفض الحرمان تحت ثياب الغالب ما يعلنون من شق الصدور انه عليم بذات الصدور اى بما في الصدور من القلوب الظمانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لان كل حيوان له صفة مخصوصة من مزاج مخصوص وغذاء ما فاقتضى ان يكون ملائما لمزاجه فعلى قدر كرم الله انه كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافقا لمزاج كل منها ثم يهديها الى اهواء وقوتها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدرها مستعد للصور المختصة بها مستودعها الذي يؤول اليه عند ظهورها فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم ما خلق الا لابتلاء ومحل الابتلاء الاشقياء ولكن تلك الاشقياء موتى عن الطبيعة باستعمال الشريعة وفراولة الطريقة ليحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية يكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعية ليقول الذين كفروا ستر واحسن استعدادهم العظمى بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اى كلام مموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى امد معين ليقولن ما يحبسه الا بعدا لهم الاحمقين ظهر

ع ٣

ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا

دوق العذاب فان الناس بنام فاذا ماتوا انتبهوا

الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نريك الا بشرا مثلنا وما نريك اتبعك

كه خدا بد رستيكه من بر شما از عذاب روز دردناك پس گفتند آنجماعت كافر شدند از قوش

الا الذين هم اراذلنا بادي الراي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة

كه ما نگاه نكنيم فرومايگان ما در رديه انديشه ونمى بينيم مر شما را بر هيچ فضيلت بلكه گمان ميبريم شما را دروغ گويان گفت اى قوم من چه ديديد اگر باشم بر حجتى از

من ربي واتاني رحمة من عنده فعميت عليكم انلزمكموها وانتم لها كارهون ويا قوم لا اسئلكم عليه مالا ان

پروردگار من واداده باشد مرا رحمتى از نزد او پس پوشيده مانده بر شما آيا جبر كنم شما را بدان وشما بدان بيزاريد از ان فروش ازمانكان واى قوم من نميطلبم از شما بر رسالت

اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا انهم ملاقوا ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون ويا قوم من ينصرني من

خصوص كه بر خدا ونيستم من راننده آنانكه گرويدند بدستيكه ايشان خداى خود را ملاقات كنندگانند ولكن مى بينم شما را گروهى كه نادانند واى قوم من كيست كه يارى كند مرا از

الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول اني ملك ولا اقول للذين

بر خدا اگر براندم ايشان را آيا پس پند نميگيريد به ونميگويم شما را كه نزد من است خزينهاى خدا ونميدانم غيب را ونميگويم بدستيكه من فرشته ام ونميگويم مر آنانرا كه

تزدري اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما في انفسهم اني اذا لمن الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت

خوار ميدارد چشمهاى شما هرگز نميدهد ايشانرا خدا خيرى خدا داناتر است بانچه در نفسهاى ايشان است بدستيكه من آنگاه از ستمكاران گفتند اى نوح بدرستيكه جدال كردى با ما پس

جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي
جدال ما، پس بیاور برا آنچه وعده ما را اگر هستی از راستگویان گفت جز این نیست که او را خواهد آورد بر ما اگر خواهد و نیستید شما عاجز کنندگان و سود نمیدهد شما را پند دادن من
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون ام يقولون افتريه قل ان افتريته فعلي
اگر خواهم که پند دهم شما را اگر خواسته باشد خدا که غالب کند شما را و ادب برد شما را و بسوی او باز گردانند شما را بلکه میگویند بر بافته است او را بگو اگر بافته باشم او را پس بر من
اجرامي وانا بريء مما تجرمون واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
گناه من و من بیزارم از آنچه گناه میکنید و وحی کرده شد بسوی نوح که ایمان نخواهد آورد از قوم تو هرگز مگر آنکه ایمان آورد پس اندوه مکن بسبب آنچه میکردند
واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من
و بساز کشتی را بنگاه داشت ما و وحی ما و در خواب مکن مرا در باره آنان که ستم کردند بدرستیکه ایشان غرق شدگانند و میساخت کشتی را و هرگاه که گذشتند بر او جماعتی از
قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه
قوم او مسخره کردند از او گفت اگر مسخره کنید از ما پس بدرستیکه ما مسخره میکنیم از شما چنانکه شما مسخره میکنید پس زود باشد که بدانید کیست که میآید بر او عذابی که رسوا کرداند او را و فرود آید بر او
عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول و
عذابی دائم تا وقتیکه آمد فرمان ما و بجوش آمد آن تنور گفتیم برداری در کشتی از هر نر و ماده دو تا و کس خود را مگر آنکه پیش گرفته است بر او گفته ما و
من امن وما امن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج
هر که ایمان آورد و ایمان نیاورد با او مگر اندکی و گفت سوار شوید در کشتی بنام خدا در وقت راندن او و وقت لنگر انداختن او بدرستیکه پروردگار من آمرزنده مهربان است و آن میرود با ایشان در موجی
كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني
کوهها مانند و ندا کرد نوح پسر خود را و او در کناری از کشتی ای پسر من سوار شو با ما و مباش با کافران گفت زود باشد که پناه برم بکوهی که نگاه دارد مرا
من الماء قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك و
از آب گفت نیست نگاه دارنده امروز از فرمان خدا مگر از که بیامرزد و حایل شد میان ایشان موج پس شد از غرق شدگان و گفته شد ای زمین فرو بر آب خود را و
يا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال
ای آسمان باز کش باران را و کم کرده شد آب و کار تمام شد و قرار گرفت بر کوه جودی و گفته شد دور باد از رحمت گروه ستمکاران و بر خواند نوح پروردگار خویش را پس گفت
رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا
پروردگار من بدرستیکه پسر من از اهل من است و بدرستیکه وعده تو حق است و تو حکم کننده ترین حکم کنندگانی گفت ای نوح بدرستیکه او نیست از اهل تو بدرستیکه او کرداری است
تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لي به علم
مخواه از من آنچه نیست مر تو را بدان دانش بدرستیکه من پند میدهم ترا که مباش از نادانان گفت بدرستیکه من پناه میبرم بتو که سوال کنم از تو آنچه نیست مرا بدان دانشی
والا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم
و اگر نیامرزی مرا و رحم نکنی مرا بشوم از زیانکاران گفته شد ای نوح فرود آی بسلامتی از ما و برکتها بر تو و بر گروهی از آنها که با تو اند و امتانند که برخوردار
ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان
پس برسد ایشان را از ما عذابی دردناک این از خبرهای نهان است وحی میکنیم آنرا بسوی تو نبودی تو و نه قوم تو پیش از این پس صبر کن بدرستیکه
العاقبة للمتقين القراءة اني لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والاخرون بفتحها ياء دعامة بالهمزة ابو عمرو ونصير الرای بالياء ابو عمرو
انجام نیک مر پرهیزگاران را و غیر شجاع و یزید والاعشی والاصبهانی عن ورش وحمزة في الوقف بضمها مع تشديد حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون
بضدها انلزمكموها باجتلاس ضمة الميم عباس اجرى الاما بالفتح ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص ولكني اريكم بالفتح حيث كان
ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونصير ان ابو جعفر ونافع وابو عمرو باعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص الفلك
مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلي وخلف وحفص مجريها بالضم وبالامالة ابو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بني بفتح الياء عاصم اركب
معنا مظهرا عاصم وحمزة عمل اند فعل غير بالنصب علي وسهل ويعقوب الاخرون عمل غير بالرفع فيها نتسلن بالنون المشددة المكسورة الاذام
النون المخففة ونون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء في الوصل ابو جعفر ونافع غير قالون بفتح
النون المشددة ابن كثير مشلف بغير نون التاكيد باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغيرها في الحالين اني اعظك اني اعوذ
بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو والوقوف مبين لا الا الله ط الا تيم الراي كاذبين فعيت عليكم ط كارهون ما لا ط
اموالا يجملون طردتهم ط تذكرون خيرا ط انفسهم ج الظالمين الصادقين مجرمين ان يغويكم ط يرجعون ط افتريه ط مجرمون يفعلون

للابتداء والعطف ظلوا لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه ط تسخرون ط يعلمون لا الان ما بعده مفعوله مقيم التنوين لالتقاء ما بعد

جواب اذا ومن امن قليل ط ومرسيها ط رحيم الكافرين من الماء ط رحيم لا تفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين الظالمين الحاكمين من اهلك ج علم ط الجاهلين علم ط الخاسرين معك ط اليم الياس ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هذا ط وعلى قوله فاصبر حسن للابتداء بان المتقين التقيد لها او ورد على الكفار انواع الدلائل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب الى اسلوب في الموعظة فبدأ بقصة نوح ومعنى انني لكم اى متلبسا بهذا الكلام وهو قولي انني لكم فلما اتصل بها الجار فتح ومن كسر فعلى ارادة القول او ان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اى ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او يكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير وصف اليوم بالم لمجاز الوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب او الجر بالجوار ثم حكى انه طعن اشراف قومه في نبوته من ثلاث جهات الاولى انه بشر مثلهم الثانية انه لم يتبعه الا اراذل يعنون اصحاب الحرف الخبيسة كالحياكة وغيرها فانه لو كان صادقا لاتبعه اكابر الناس والاشراف منهم والاراذل جمع ارذل وقيل جمع الارذل جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحاله ومعنى بادي الرأي اول الرأي وهو نصب على الظرف اى تبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية او معناه ظاهر الرأي من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها وبروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم غير متدبرين فيما دعوتهم اليه مقادير بجوز ان يتعلق بادي الرأي بقوله اذ لنا اى كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يراهم عيانا وبتأكيد هذا البادي بما نقل عن مجاهد انه قرأ الا الذين هم أراذ لنا اى العين انما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم ان المزية عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا ان ذلك مبعد من الحق كما قرب منه ان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الاخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي متابعة النبي الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب لنوح ولمن امن بمتبعية او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول الساذجية في صفة البشرية لا يمنع من حصول المغارفة في صفة النبوة وذلك قوله ارأيتم ان كنت على بينة برهان من ربي واتاني بايتاء تلك البينة رحمة وعلى هذا البينة هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس وعميت خفيت واخفيت البينة او كل من البينة والرحمة اى صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة يوصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار ما يتجها كما ان دليل القوم ان كان بصيرا اهتدوا وان كان اعمى تولجا بطين متحيرين ثم قال أنلزمكموها اى انكرهكم على قبول البينة وانتم لها كارهون والمراد انا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم انذكر لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتقاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين امنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان احببت يا نوح ان نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله انهم ملاقوا ربهم فيعاقب من تطردهم اويثيبهم ويجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح والنفاق بزعمكم والمراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون لقاء ربكم او انهم خير منكم قوما تسفهون حيث تحسبون المؤمنين اراذل ثم اكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من عقابه ان طردتهم لان العقل والشرع توافقا على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر المتقي ومن اهانة الكافر الفاجر فكيف يليق بنبي الله ان يقلب هذه القضية سؤال ان كان طرد المؤمن لطلب رضاة الكافر معصية فكيف فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عنه بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم الجواب انه لم يكن ذلك طردا مطلقا وانما عين لابعادهم اوقاتا مخصوصة لاشراف قريش فاتاهم اخرى وعوتب على ذلك العفو احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفاسق اذ لو كانت جائزة لكانت في حق نوح اولى فلم يقل من الذي يخلصني من عذاب الله ويجيب بانه مخصوص بايات العفو ثم ذكر انه كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعي عنده خزائن الله حتى يجدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم الغيب حتى يسأل عما اريد به لنفسه لا تتبعي واطلع على الضمائر ولا اقول اني ملك لا تعظم بذلك عليكم بل طريقي الخضوع والتواضع وعلم الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقدم في الانعام سائرها يتعلق بالاية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه عابه في قوله تعالى الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا يتسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق فاى ان قلت شيئا من ذلك كنت من الظالمين لنفسي وان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع انه لا وقوف لي على باطنهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرت كقولك جادل فلان فاكثر لم ترد انه اعطى عطية او اكثر بل تريد ان الوصف مقارن للموصوف وفي الاية دلالة على ان الجدال في تقرير دلائل التوحيد من دأب الانبياء ثم استعجلوا العذاب الذي كان يتوعدهم به فاجاب بني الله بان ذلك ليس الي وانما هو بمشيئة الله وارادته ولا يعزم عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحي كقول القائل لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم تقع الطلاق الا اذا دخل الدار فاكل الخبز ولهذا قال الفقهاء الواو في اللفظ مقدم في المعنى فكانه قيل ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالاية ظاهر واجاب المعتزلة بانه لا يلزم من قرار امر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ليبين لهم انه تعالى بنوا مر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فائدة ولتثبت الحجة ولزم افحام النبي

ومن الجائز ان يراد بالاعواء التعذيب من عوى الفصيل اذا لبم فهلك ويراد به الجنبك بقوله فسوف يلقون غيا اى خيبة من خبر الاخرى ويراد به منع الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدأ والمعاد بقوله لهود بكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم قولهم انما انت مفتر وانه وحى اليه مفتريا فقال ام يقولون افتراه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلى اجرامى اى عقاب اثمى وهو الافتراء وانا برئ مما تجرمون اى من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الى وهمنا اضمار كان قبل لكنى ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا برئ منه واكثر المفسرين على ان هذه الاية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد ﷺ وقعت فى اثناء قصة نوح قوله سبحانه وأوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اى لا تحزن بما فعلوه من تكذيبك واذيتك فقد حان وقت الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان يبتلى الله عذاب الاستيصال على قوم يعلم ان فيهم من يؤمن او فى اولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا على الاطلاق بمجموع الامرين فدل ذلك على انهما لو لم يحصلا لم يحز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خبر معلوم بواجب الوقوع نعم كلما يقع يجب ان يكون على الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة فى هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل فى ملكه ما شاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والحكمة وجه خلاص من امن فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون روحه عن الهلاك فى الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة كمن امر ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف ان الامر ظاهر الوجوب وان قطعنا النظر عن فائدته وغايته وقوله باعيننا وحيثنا فى موضع الحال اى متلبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين احدهما انه لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة والكلاءة لان العين آلة الحفظ والحراسة والثانى ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب وبختها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يضعها مثل جوجوء الطائر وقيل المراد اعين الملك الذى كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا اى فى شانهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اى انهم محكوم عليهم بالاغراق فقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة وقيل لا تخاطبنى فى تعجيل عقابهم فانهم يغرقون فى الوقت المعين لذلك فلا فائدة فى الاستعجال فلكل امة اجل وقيل المراد بالذين ظلموا امرأته واعلة وكعمان ابنيه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يحتمل ان يكون هذا جوابا لما وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل ماذا قال نوح ح ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مر به وصفة للملأ وقال جواب اقيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا فى دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا العمل الشاق وقيل انهم مازالوا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل انها كانت كبيرة وكان يضعها فى مفازة بعيدة عن الماء فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينظرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون منه فاجابهم بقوله ان تسخروا منا فى الحال فانا نسخر منكم فى المستقبل اذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الاخرة او ان حكمتم علينا بالجهل فيما تصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم فى استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا من يجهل بحقيقة الامر والبناء على الحال كما هو عادة الاعمار وسمى جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فى الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم فى الاخرة لازم لزوم الدين الحال الغريم ومن موصولة او استفهامية وقدر فى الانعام روى ان نوحا اتخذ السفينة فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والاعلى للناس وما يحتاجون اليه من الزاد وجعل معه جسد آدم وقال الحسن كان طولها الفا وماتى ذراع وعرضها ستمائة وقوله حتى اذا جاء امرنا هى غاية لقوله ويصنع الفلك او كان يصنعها الى ان جاء وقت الامر بالاهلاك وفار التنور اى نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هو الذى يخبز فيه فقيل هو ما استوى فيه العرب والعجم وقيل معرب نه لا يعرف فى كلام العرب نون قبل باء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لآدم وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قال المجاهد والشعبى عن على انه فى مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة قال مقاتل وقيل بالهند روى ان امرأته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل فى تلك الحال بوضع الازواج فى السفينة وكان الله تعالى جعل هذه الحالة علامة للوقعة الطوفان ويروى عن على ايضا ان المراد بالتنور وجه الارض كقوله وفجرنا الارض عيونا وعنه ايضا اكله وجهان معنى فار التنور طلع الصبح قيل معناه اشتد الامر كما يقال حمى الوطيس والمراد اذا رايت الامر اشتد والماء يكثر فاركب السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوج اثنان يكون احدهما ذكرا والاخر انثى من قولهم الاضداد معناه احمل من كل صنفين هذا الوصف اثنين ومن قرا بالتنوين فالمراد احمل من كل شئ زوجين اثنين ذلك اكيد كما يعد اثنان يكون النبات داخلا فيه لاحتياج الناس اليه اهلك معطوف على مفعول احمل وكذا ومن امن وقوله من قد سبق عليه القول قال الفراء اراد ابنه والمراد

قال الله فما آمن معه الكفار علم منها ذلك ثم قال وما آمن معه إلا قليل اى فر قليل عن مقاتل انهم ثمانون وانهم سموا قريتهم ثمانين بناحية الموصل لانهم لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث فنساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون بضعفهم رجال وبضعفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبى كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة ونساؤهم وقيل فى بعض الروايات ان ابليس دخل معهم السفينة وفيه بعد لانه رجس نادى فلا يؤثر المرء فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح واهله وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها الاية وفيه انجاء الاول ان الركوب متعد بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اى علوتها فما الفائدة فى زيادة لفظة فى قال الواحدى فائدتها ان يعلم انذارهم بان يكونوا فى جوف الفلك لا على ظهره الثانى قوله بسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو اى مسمين الله او قائلين باسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف منهما الوقت المضاف اليهما جميعا حفوف السفن ومقدم الحاج اى بان مكانا لاجراء والارساء او زمانها وانتصابهما بما فى بسم الله من معنى الفعل او بالقول المقدر وعلى التقادير يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ورحيم كلاما واحدا واما ان يكون باسم الله مجريها ومرسيها كلام اخر من مبتدأ وخبر اى باسم الله اجراؤها وارساؤها بتوكه انه كان اذا اراد ان تجرى قال بسم الله مجرى واذا اراد ان تجرى قال بسم الله مجراها وان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقدم الاسم كقوله ثم اسم السلم عليكما وبركاته بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح امر اركوب ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويجوز فى الكشاف ان يكون هذه الجملة فى موضع الحال عن ضمير الملك اى يركبون مسمين الله ويكون جملة مستانفة ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كانه قال اركبوا فيها مقدرين ان اجراءها وارساءها باسم الله تفاؤلا لسلامة الشئ يرسو اذا ثبت وارساه غيره روى انها سارت الاول يوم من رجب بعشرة امضين منه فسارت ستة اشهر ثم استوت على الجودى يوم العاشر من المحرم وبرسوها امر ما البيت طافت به سبعا فاعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله ان ربى لغفور رحيم كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كان القوم اعتقدوا انهم بخوابر كة ايمانهم وعلمهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان وكل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فيجب الى مغفرة الله ورحمته وفى الاية اشارة الى ان العاقل اذا ركب فى سفينة الفكر ينبغى ان يكون قد برئ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب وربط قلبه وعلوهمته بفضل الله تعالى فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايقان وتخلص عن امواج الشبه والظنون والاوهام قال فى الكشاف وهى تجرى بهم متصل بمحذوف كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهى تجرى بهم بينا فى موج كالجبال فى التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كانها فى داخل تلك الامواج واختلف المفسرون فى قوله ونادى نوح ابنه فالاكثرون على ان ابن له فى الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز عن غير ضرورة ولا استبعاد فى كون ولد النبى كافرا لعكسه واعترض على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واجيب بانه كان مما نفاقا وظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله ولا تكن مع الكافرين ولعل تعلقه الابوة حمله على ذلك لنداء وعن محمد بن على الباقر والحسن البصرى انه كان ابن امرأته ويؤيده ما روى ان عليا قرأ ونادى نوح ابنها ويؤكد هذا الظن قوله ان ابنى من اهلى دون ان يقول انه منى وقيل انه ولد على فراشه لغير رشده واليه الاشارة بقوله تعالى انها ورد هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرأة نوح كانت تقول لمن آمن به انه مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه وقوله وكان فى معزل هو مفعل من عزله اذا نحاه وابعده اى كان فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه عن السفينة وعن دينه اوكان فى معزل عن دين ابيه وقيل فى معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه يريد به مفارقة الكفر ولكن قوله ولا تكن مع الكافرين لا يساعد على هذا القول قوله يا بنى بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها اكتفاء بدعن الالف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط للاكتفاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بان قال سآوى الى جبل فاجاب نوح بانه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم واعترض عليه بان معنى من رحم من رحم الله وهو معصوم فكيف يصح استثناء من العاصم وجوابه ان من فاعله فى المعنى كانه مفعول والمراد نوح كانه سبب الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى عم او الرحيم الذى مر ذكره فى قوله ان ربى لغفور رحيم وهو عاصم لا معصوم وهو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا لمن رحم او العاصم بمعنى ذى العصمة كلابن وتامر والعصمة المعصوم والمضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمه الله ويجاهم يعنى السفينة وهو استثناء منقطع كما مر قبل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج اى بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يلحقه الغرق فصار من جملة المغرقين قوله سبحانه وقيل يا ارض الاية مما اختص بمزيد البلاغة حتى ضارت مثلا ولذيذ علماء المعانى فتكلموا فيها وفى وجوه محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعض ما استفدنا منهم فنقول النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعانى ومن جهة علم البديع ومن جهة الفصاحة المنعوت بها للفظة اما من جهة علم البيان وهو النظر فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه انه عز سلطانه اراد ان يبين معنى ايجاد نا ان نوردها انفجر من الارض الى بلعها فاراد ان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء فغاض وان نقضى امر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضوان نسوى السفينة على الجودى وهو جبل بقرب الموصل فاستوت

هود

وابقينا الظلمة غرقى فتبنى الكلام على تشبيه الارض والسماء بالمامور الذى يمتثل امتثالا تاما من غير تعثر على سبيل المجاز المرسل او الاستعارة التبعية بتشبيه العصيان على سبيل الاستعارة التصريحية بتكوين المراد بالامر الجزم الناشئ فى تكوين المقصود تصويرا للاقتدار وان السماء والارض مع عظم جرمهما ثابتان لارادته الجارية واعدامها وتغييرها وتصريفها كانها عقلاء تميز وتفهم ما يرد عليها مما يوجب الامتثال والاذعان لمخالفتها فاستعمل قيل بدل اريد بمجاز الطلاق المسبب على السبب فان صدور القول انما يكون بعد ارادته وجعل قرينة المجاز الخطاب المجاد بقوله يا ارض ويا سماء والحظ ان يقال على سبيل الاستعارة المشبه المذكور وهو كون السماء والارض كالمامورين المنقادين وايضا استعارة لفظ الماء فى الارض لبلع الذى هو اعمال القوة الجاذبة فى الطعم للشبه بين الغوص والبلع وهو الذهاب الى مقر خفى وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفتح جعل الماء مكان الغذاء ايضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء لتقوى الارض بالماء فى الانبات للزروع والاشجار تقوى الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظ ابلعى لكونها موضوعة للاستعمال فى الغذاء دون الماء ثم امر الجماد على سبيل الاستعارة المشبه المقدم ذكره وخاطب الجماد دون ان يقول لبلع ترشيحا لاستعارة النداء او كونه مخاطبا من صفات الحى كما ان كونه منادى من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون ان يقول لبلع ماءها لاجل الترشيح المذكور ثم اختار مستعيرا لاحتباس المطر الا فلاعى الذى هو ترك الفاعل الفعل المشبه بينهما فى عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب الامر لمثل ما تقدم فى ابلعى من ترشيح استعارة النداء ثم قال وغيض الماء عاض الماء قل ونصب غاض لانه يتعدى ولا يتعدى وقضى الامر واستوت على الجودى قيل بعد فلم يصرح بالفاعل سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتاتى الا من قدرتها فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره فى صدد الاية ليستدل من ذكر الفعل وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه ينبئ عن الظلم المطلق وعن علة قيام الطوفان واما النظر فيها من جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كلمة منها وجهة كل تقديم وتاخير فيها بين جملها فذلك انه اخبر بالنداء لانها اكثر استعمالا ودلالة على تبعيد المنادى الذى يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا لم يقل يا ارضى بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا ايتها الارض للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شانه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير ابلعى على ابلعى لكونه اخصر ولمحظ التجانس بينه وبين اقلعى وفرق قيل مائك بلفظ المفرد لما فى الجمع من الاستكثار المنافى عنه مقام العزة والاقتدار وكذا فى افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعى لئلا يلزم تعميم الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل منه واقتصر عليه يحذف من ابلعى حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعى مائك فيلعث لان عدم تخلف المامور به عن امر المطاع معلوم واختير غيض على غيض المشددة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دون ان يقال ماء الطوفان وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف العهدى ولم يقل سوبت لتناسب القصة وهى تجرى بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت اخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا للقوم دون ان يقال ليبعد القوم من بعد بالكسر يبعد بالفتح اذا هلك للتاكيد مع الاختصار ودلالة لام الملك على ان البعد حق لهم وقول القائل بعدا له من المصادر التى لا يستعمل اظهارها فعلها ثم طوى الظلم لتينا ول ظلم انفسهم وظلمهم غيرهم واما ترتيب الجمل فقدم النداء على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما فى نداء الحق وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين بتتبع البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقضى القضية وهو قوله وقضى الامر اى امر الجزاء الموعود من اهلاك الكفرة وانجاء المؤمنين ثم بين حال استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودى وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه ليدل على انقطاع مادة الماء ثم ختمت القصة بالتعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تعريق الاطفال بسبب اجرام الكفار واجيب على اصول الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وعلى اصول المعتزلة بانه يعوض الاطفال والحيوانات كما فى ذبحها واستعمالها فى الاعمال الشاقة وقد روى جمع من المفسرين انه سبحانه اعقم ارحام نسائهم قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ اربعين وهذا مع تكلفه لا يتمشى فى الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر ان القائل فى قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الاية ويحتمل ان يكون القائل نوحا واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل بسبب اجتماع قوم الظلمة انه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر اليق واما النظر فى الاية من جهة الفصاحة المعنوية فهى كما ترى نظم للتعاطيف ونادية بالبلغ وجه واتمه واما من جهة الفصاحة اللفظية فهى لها كالعسل فى الحلاوة وكالنسيم الرقة عذبة على العذبات سلسة على الاسلات ولعل ما ذكرنا من لطايف هذه الاية بل كل اية اكثر مما تذكروا الله تعالى اعلم بمراده من كلامه وناداى نوح اى اراد ان يدعوه فقال رب ان ابنى من اهلى بعض اهلى سواء كان من صلبه او ربيبه او ان وعدك اى كل ما تعده الحق الثابت الذى لا شك فى انجازه وقد وعدتنى ان تنجى اهلى وانت احكم الحاكمين اعلمهم اعدلهم لانه لا فضل للحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون الحاكم بمعنى ذى الحكمة كدارع قال يا نوح انه ليس من اهلك اى من اهل دينك او من اهلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بان العبرة بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال انه عمل غير صالح من قرأ على لفظ الفعل فعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك ونحوه ومن قرأ على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اى غالب عليه الكرم والجود وفى قوله غير صالح دون ان يقول فاسد تعريض

بل يصرح بانه انما نجا من نجا بالصلاح ويحمل على هذه القراءة ان يعود الضمير في انه الى السؤال نوح اي ان ذلك هذا المتضمن لسؤال نجاة ابنك
على غير صالح وقيل المراد ان هذا الابن ولد زنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال وبخه عليه بقوله فلا تسئلن ما ليس لك
علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال المحققون الظاهر ان ابنه منافقا فلذلك اشتبه امره على نوح وحمله شفقة الابوة ان دعا على عوم
الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج دعا الى الله في خلاصه من الغرق وعوتب على ذلك لانه لما وعده الله نجاة اهله واستثنى منهم من سبق
عليه القول كان عليه ان يتوكل على الله حق توكله ويعلم ان كل من كان من اهله مؤمنا فانه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يعلم ربما يتبين الحال
توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع الى الله فقال رب اني اعوذ بك ان اسئلك فيما ليس لي به علم ما لم تبين لي بتعليم
او بادراك بالحواس او بالخاطر بعطفك علي الا تغفر لي ما فرط مني عن الحظ في باب الاجتهاد ومن قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر عند التضرع
مثل تضرع ابينا ادم في قوله ربنا ظلمنا الاية فلذلك عفى عنه وقبل توبته اهبط اي من السفينة بعد استوائها على الجبل وانزل من
الجبل الى الفضاء مسلما سالما ملتبسا بسلام منا بسلامة من الهدم بالطوفان وبعد من جميع الافات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان مخافا من
عدم الماكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق في الارض شيء يمكن ان ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل اي مسلما عليك
مكررا والبركات الخيرات النامية النابتة وفسرها في هذا المقام بانه وعده بان جميع اهل الارض من الاشخاص الانسانية يكون من نسله
اما لانه لم يكن في السفينة الا من هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من اهله وبقي النسل والذرية ليدل قوله تعالى بانه
وجعلنا ذريته هم الباقون فنوح ادم الاصغر وقيل انما وعده السلامة من الافات وعده ان موجبات السلامة والرحمة تكون في الزايد
والناشيء لا عليك وحده بل وعلى امم ممن معك ان كان من للبيان فالمراد بالامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا اجناسا وهم اصل
الامم التي انشعبت منهم وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على امم ناشئة ممن معك الى اخر الدهر هذا شان الامة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة
المتولدة فقال امم وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف اي ومنهم امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم في الاخرة منا عذاب اليم عوذ
زيدا هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود وصالح ولوط
شعيب بتلك اشارة الى قصة نوح وهو مبتدأ والجمل بعدها اخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول القائل لا ترحم هذه المسئلة لا
انت ولا قومك ولا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فبعضها اشهر من ان يخفى ومعنى من قبل هذا اي من قبل هذا الاتحاء والعلم
الذي كسبته بالوحي ومن قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعيدت في هذه السورة تنبيها للنبي على ان قومه لذلك ختمت بقوله
فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين انا وبلا مازك الا بشرا مثلنا اي مخلوقا محتاجا مثلنا وبين النفس بنظرها السفلي يرى الرأي
العلوي سفليا فلهذا نظر الى البشرية ولا يرى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا بادي الرأي والاراذل
من اتباع الروح البدن وجوارح البدن فان الغالب على الخلق ان البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالافعال الشرعية ولكن النفس الامارة يكون على كفرها ولا تجلي البدن ان يشغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد الا لنزر
الخلق وما آمن بك الا الذين امنوا من طبع النفس بنادي من استعمال البدن وجوارحه في التكاليف الشرعية فيقول للروح ان تريد
او من بك من الخلق باخلاقك فامنع البدن وجوارحه التكاليف من يضرك من الله من يمنعني من فقرها ان منعت البدن من الطاعة فاقتصر على
محبة ايمان النفس بتخلقها باخلاق الروح كما هو معتقد اهل الفلسفة والا فاكثر يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجعيتها الباطن
والتحلي بالاخلاق الحميدة افلا تذكرون ان جمعية الباطن ونور من نتايج من استعمال الشرع والظلمة في الطبع وبعث الانبياء ليخرج الخلق من
ظلمات الطبع الى نور من الشرع في الظاهر والنور في الشرع والظلمة في الطبع واسماء ظلمات الطبع الحسن والشرع لن يؤتيهم الله خيرا الله اعلم بما
تحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما في نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال فانا بريء مما تجرمون
من التكذيب وبيان ذنوب النفس لا يناثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبرئا من ذنوب النفس صافيا على معاملات
النفس وتبع هواها واوحي الى نوح الروح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن من خواص العباد وهم القلب صفاتها والسر صفات النفس والبدن وجوارحه فاما النفس فانها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوسا لانبيا
وحواء الاولياء فانها تسلم احيانا دون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان اعمال الشر لنفوس السعداء كالجسد للاكسير يقلب ذهبا
مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك يقلب اعمال الشر خيرا عند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس
على نفوس الاشقياء لان اعمالها حجة الله على شقاوتهم وبذلك السلاسل يسحبون في النار على وجوههم واصنع الفلك تحذيا نوح الروح
سفينة الشريعة بنظرك لا بنظرك فان نظرك تتبع الحواس بصر ظاهرها وبغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان نظلم من شهم
النفوس انهم مغرقون في بحر الدنيا وشهواتها وكلما مر عليهم ملائم النفس هواها وبغفل عن اسرارها ولا تخاطبني في الذين ظلموا فان الظلم
وصفاتها تنخرق من استعمال اركان الشريعة انهم مغرقون احقاء اذ لجاء امرنا وهو حد البلوغ والركون في سفينة الشريعة وفار

هود

ماء الشهوة من تموّر الطالب قلنا احمل السفينة الشريعة من كل صفة وزوجها كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل وزوجها السخاء الغضب وزوجه الحلم وكذا الحقد مع السلامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع الثاني مع العجلة واهلك وهم صفات الروح لا النفس من امن وهم الغالب الشرير في قوله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله اشارة الى ان من ركب سفينة الشرع بالطبع تقليدا لاباء والمعلم لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب بلبس بالطبع في سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بامر الله وذكره مجراها من الله ومرسيها الى الله كقوله تعالى الى رتبك المنتهى في موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المولد بينه وبين الطالب وكان في معزل من معرفة الله وطلبه سار الى جبل العقل يعصمني من الماء الفتن لا عاصم اليوم اي لا مانع ماء الشهوات من ارض البشرية ونزل ماء ملاذ الدنيا وزينتها من سماء القضاء فلا يتخلص منه الا من رحمه الله بالاعتصام بسفينة الشريعة التي فيها شهوات قلعي عن انزال مطر الافات وغيض ماء الفتن بيركة الشرع وقضي الامر اي ما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتمييز واستوت سفينة الشريعة على الجودي وهو مقام التمكين بعد مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو نوح الروح عند اهباطه الى العالم السفلي من الرجوع الى العالم العلوي انه ليس من اهلك وكان للروح اربعة بنين ثلثة من المؤمنين وهم الطالب السر العقل واحد كافر وهو النفس فنجى عن النفس باهلية الدين والملة لانها حلفت للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد الخلاص من طوفان الفتن وامم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية ثم يمسهم في الاخرة عذاب اليم بعد ان لم ينجوا من الطوفات فاصبر على ايذاء الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

ع

والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا مفترون يا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان

وفرستاديم بسوي عاد برادرشان هود گفت اي قوم من بپرستيد خداي را نيست مر شما را هيچ خداي جز او نيستيد شما مگر افتراكنندگان اي قوم من نميطلبم از شما بران هيچ مزدي

اجري الا على الذي فطرني افلا تعقلون ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم

مزدم مگر بر آنكه بيافريد مرا پس نميابيد بعقل واي قوم من آمرزش خواهيد از خداي خويش پس بگرديد بسوي او فرستد ابر شما را بران بي در پي و بيفزايد شما را

قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين

قوتي بقوتهاي شما و اعراض مكنيد در حالتيكه اصرار كنندگان بدهها و دور باشيد از جرمها و گذارندگان خداوندان خود از كفارت و نيستيم مر تو را گروندگان

ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء قال اني اشهد الله واشهدوا اني بري مما تشركون

نميگوئيم مگر آنكه بربود ترا برخي خدايان ما به بدي گفت بدرستيكه من گواه ميگيرم خداي را و گواه باشيد كه من بيزارم از آنچه شريك مي آريد

من دونه فكيدوني

از جز او پس مكر كنيد بمن

جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم

همه پس مهلت مدهيد مرا بدرستيكه من توكل كردم برخداي كه پروردگار من و شماست نيست هيچ جنبنده مگر او گيرنده است موي پيشاني او را بدرستيكه پروردگار من بر راه راست

فان تولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا ان ربي على كل شيء حفيظ

پس اگر اعراض كنيد پس بتحقيق رسانيدم شما را آنچه فرستاده شدم بدو بسوي شما و جانشين گرداند پروردگار من قومي را غير شما و ضرر نرسانيد او را چيزي بدرستيكه پروردگار من بر هر چيز نگهبان است

ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بايات ربهم

وچون آمد فرمان ما رهانيديم هود را و گروندگان را همراه او برحمتي از ما و رهانيديم ايشان را از عذاب درشت و قوم عاد انكار كردند آيتهاي پروردگار خود را

وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة الا ان عادا كفروا ربهم الا بعدا

و نافرماني كردند پيغمبران او را و پيروي كردند هر گردن كش ستيزه را و پي آورده شدند در اين دنيا لعنت و روز قيامت آگاه باشيد بدرستيكه عاد كافر شدند پروردگار خود را

ع

لعاد قوم هود والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم

مر عاد را قوم هود و بسوي ثمود برادرشان صالح گفت اي قوم من بپرستيد خداي را نيست مر شما را هيچ خداي جز او او آفريد شما را از زمين و عمرداد شما را

فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد

در آن پس آمرزش خواهيد از او پس بازگرديد بسوي او بدرستيكه پروردگار من نزديك است اجابت كننده گفتند اي صالح بدرستيكه بودي در ما اميد نداشته شده پيش از اين آيا منع ميكني ما را از آنكه بپرستيم

آباؤنا وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي واتاني منه رحمة فمن

پدران ما و بدرستيكه ما هر آينه در شكيم از آنچه ميخوانيما را بان گران شكي بگمان گفت اي قوم خبر دهيد اگر باشم بر حجتي از پروردگار خود و داده باشد مرا از خويش رحمتي پس كيست

ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله

كه يار كند مرا از خداي اگر نافرماني كنم او را پس نميافزوده باشيد مرا جز زيان را و اي قوم اين ناقه خداي شماست مر شما را نشاني پس بگذاريدش بخورد در زمين خداي

ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب

و دست مكنيدش ببدي پس فرو گيرد شما را عذاب نزديك پس پي كردند آنرا پس گفت برخانهاتان سه روز اين وعدي است بغير دروغ

فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز واخذ

پس چون آمد فرمان ما رهانيديم صالح را و گروندگان را همراه او برحمتي از ما و از رسوائي آن روز بدرستيكه پروردگار تو او است نيرومند غالب و گرفت

الجزء الثاني

الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها ألا إن ثمودا كفروا ربهم ألا بعدا لثمود القراءة

لازا كه سمكر اندرو هلاك پس كشته در خانهاشان برجاى اندكان كويا آنان هرگز آنجا نه زيسته اند وآگاه بشنيد باشكه ثمود كافر شدند پروردگار خود بدانند هلاك باد ثمود قطر

بفتح الياء ابو جعفر ونافع والبزي غير الخزاعي في اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزي وابن فليح بتخفيفها بالجزم الخزاز

عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلي والشموني والبرجمي وعباس الاخرون بالجر الا

ان ثمود غير منصرف والوقف بغير الف لحمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف ثمودا بالتنوين في الوصل على

الوقف هود اط غيره ط مفترون اجر اط فطرني ط تعقلون مجرمين ثمود منين بسوط ايشركون لا لا تنظرون وربكم ط بناصيتها ط مستقيم

به اليكم ط للاستيناف الا من قرأ ويستخلف بالجزم غير كم ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال شيئا ط حفيظ منا ج لحق الحذف وقف

وقد جاءهم غليظ ط عند ويوم ط القيمة ط ربهم ط هود صالحا لهما مر في الاعراف غيره ط اليه ط مجيب مريب تحنيه قريب نام ط بكذبهم

يومئذ ط العزيز جاثمين لا لكاف التشبيه فيها ربهم ط لثمود التفسير قد مر في الاعراف تفسير قوله والى عاد الاية ومعنى قوله ان انتم الا

مفترون ايكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام بحسن عبادتها مع انها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم

عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع فلا تعقلون ان نصح من لا يطلب الجزاء لا من الله لا يكون من التهمة في شيء قيل انما قال

في قصة نوح ما دون ما جاء في ذكر الخراب من بعده فلفظ المالها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف والبدل دون العطف و

يا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر مثله في اول السورة وقال الاصم لان القوم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم لكم اسرافكم ثم ارجعوا

على ان العود الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة

والزراعة مفتخرين بما اوتوا من البطش والقوة وقدم لهم باب الدعوة الى الدين والترغيب فيما كانت همتهم معقودة به ليحصل في ضمنه

الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات الاخروية وكانه انما خصص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع

النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة في المال وقيل في النكاح وروي انه حبس عنهم القطر ثلث

سنين واعقم لنساؤهم فوعدوا انهم ان امنوا حيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمراد الكثير الدكاسر اولا لانقام عن الحسن على

انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال الى جدك ومالك يا بولدك فقال عليك بالاستغفار حتى انه ربما استغفر في يوم

واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال لهذا سئلتم ثم قال لك فوق فوقة اخرى فسئله الرجل فقال الم تسمع

قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعصوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين

على الاجرام والاثام مخدجا هودا وقالوا ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلعم لولا انزل عليه اية من ربه ولم يشهر منه معجزة

ولكن العلماء قالوا الظاهر ان الدعوة مع اولئك الاقوام من غير مبالاة وتوان به من الاتيان وقوله عن قولك حال من الضمير كانه قيل وما نترك

الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا يصدق مثلنا مثلك بداثم زعموا ان بعض الهتهم اعتراه لسواي غشاه وادخله

الخبل والجنون لانه كان لسبها لهتهم وذلك قولهم ان نقول لك قولهم ان نقول الا اعتراك والا لغواي ما نقول شيئا الا هذا القول فمن ثم تكلم

بكلام الجاهلين في المراد ان الاصنام كافأته على سوء فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرأ منهم ومن شركهم

فاشهدكم الله وذلك اشهاد صحيح واشهدهم اياه وهذا كالهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد علي اني لا احبك

تهكما بقدر قوله فكيدوني في الاية في حم سورة الاعراف وقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا

اذا اسروا الاسير فاراد واالطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لانه على انه لا مالك

الا هو وقوله ان ربي على صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه ما من دابة الا ربها قادر عليها ان ربي على طريق لا يخفى عليه شيء ولا يفوته

هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القائل ان كرمتني الان فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب لا مقصر لانني

قد قضيت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يحل بعدهم من هو اطوع منهم وانه لا ينقص من ملكه شيئا

ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها او يحفظني عن شركهم وكيدهم ويحفظني من الهلاك والذين امنوا معه قيل كانوا

اربعة الاف برحمة منا اي بفضل وامتنان وبسببها هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق التنجية ولا اثم فيها

على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ سموم يدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالتنجية

النجاة من عذاب الاخرة وكل عذاب غليظ منها وذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم واثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا

ثم استانف وصف حالهم مجملا وقال جحدوا بايات ربهم فلم يستدلوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الواجب

بالذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لانه ما من رسول الا ويدعو الى ما دعا اليه غيره

واتبعوا امر كل جبار عنيد طاعوا رؤساءهم وكبراؤهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكريره الا والبعد

هود

على تقطيع شأنهم وانهم كانوا مستأهلين للدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل ان يراد البعد من رحمة الله في الآخرة وقوله قوم هود عطف بيان لعاد اما للتأكيد مزيد التقرير لما ان عادا العادية التي هي قوم هود والاخرى هي ارم قوله في قصة ثمود هو انشأكم من الارض لم ينشئكم الا هو ومبدئ الانشاء من الارض ان الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في واستعمركم من العمارة اي جعلكم عمار الارض وامركم بالعمارة منها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من الظلم فسئل نبي لهم من انبيائهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وقيل من العمر بمعنى استبقاكم من البقاء وقيل من العمر ومعناه اعمركم الله فيها دياركم ثم مواريثها منكم عند انقضاء اعماركم وجعلكم معمرين دياركم فيها الان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانه اعمرها اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لوارثه ومعنى كونه تعالى قريبا قد مر في قوله واذا سألك عبادي عني فاني قريب وذلك في البقرة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا عن ابن عباس فيما نرجوك اعن ابن عباس فيما نرجوك لخير ايقدمك الله على جميعنا وقيل كانوا نظن بك الرشد والصلاح وكمال العقل واصابة الرأي وقبل كنت تعطف على فقيرنا وتقوي ضعيفنا وتعود مرضانا فلما ظهرت انك من الانصار والاحباب والموافقة في الدين فكيف ظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الآباء ثم صرحوا بالتوقف والريبة في امره ومريب من اراب اذا اوقعه في الريبة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازي واعلم ان قوله وانا لفي شك بنون الوقاية ههنا على الاصل واما في سورة ابراهيم فانما قال وانا بغير نون الوقاية لقوله بعده وثمانية على الجمع فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم هود بقوله ان كنت على بينة الآية وبنى امره على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على الوجه الاقرب الى القبول كانه قال قد رددت الى علي بينة من ربي واني بنى على الحقيقة فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في اوامره فما تزيدونني غير تخسير اي على هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تحملونني عليه الا الى انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون والمعنى الاول اقرب لانه تعالى ان متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين وياقوم هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعنى عذاب قريب عاجل لا يتأخر الا ثلثة ايام وغير مكذوب من باب الاتساع اي غير مكذوب فيه فحذف الحرف واجرى الضمير مجرى المفعول به او من باب المجاز كان الوعد اذا وفى به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصف به قوله فلما جاء امرنا بالفاء وفي قصة هود بالواو والمكان التعقيب ههنا بدليل قوله عذاب قريب ومثله في قصة لوط لقوله اليس الصبح بقريب واما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في شعيب سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في سائر المواضع كما في سورة يوسف قال ولما جهزهم بالواو ولا لان التعقيب لم يكن مرادا ثم قال فلما جهزهم لمكان التعقيب والله اعلم ومن خزي يومئذ معطوف على محذوف والتقدير نجيناهم من عذاب غليظ ومن خزي يومئذ كما قال نجيناهم من عذاب غليظ والمعنيان كما قلناهما لك والقرآنان في يومئذ لان الظرف المضاف الى المبني يجوز بناؤه على الفتح والتنوين اذا عوض من المضاف اليه عن الجملة والتقدير يوم اذ كان كذا وكسر الذال للساكنين ان ربك هو القوي العزيز القادر الغالب فمن قدرته عزة المؤمن من الكافر ومن عزته وقهره اهلك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل او ما لاحداثها في سحاب مع برق شديد محرق وانما يصير الصيحة سببا للهلاك لان القرع الشديد في الهواء يوجب تأذي صماخ الانسان وقد يتمزق غشاء الدماغ بذلك والاعراض النفسانية ايضا اذا قويت اوجبت الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله الا ان ثمود الى آخره شبيه بما مر في قصة هود والتاويل كما مر في سورة

ع

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ
فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ
وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا
إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ
عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا
إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ

وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ
و فرستادگان ما ابراهيم را بمژده فرزند گفتند سلام گفت سلام پس درنگ نكرد كه آورد گوساله‌اي بريان
فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ
پس چون ديد دستهاشان نمي‌رسد بآن ناخوش كرفت ايشانرا ودريافت از ايشان ترسي گفتند مترس ما فرستاده‌ايم بسوي قوم لوط
وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا
و زن او ايستاده بود پس خنديد پس مژده داديم او را بإسحق و از پس اسحق بيعقوب گفت اي واي من آيا فرزند آورم و من پيرزنم و اين شوهر من پير مرد
إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ
اين هر آينه چيزي عجب است گفتند آيا عجب ميكني از امر خداي رحمت خدا و بركتهاي او بر شما اهل اين خانه بدستيكه او ستوده بزرگوار است پس چون بترسيد
عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا
از ابراهيم
ترس و آمد او را مژده فرزند سخن ميكرد با ما درباره شفاعت قوم لوط بدستيكه ابراهيم بود بردبار نالان كننده با ما اي ابراهيم روي بگردان از اين سخن
إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ
بدستيكه آمد فرمان پروردگار تو و بدرستيكه ايشانرا عذابي است كه برگردانده نشود و چون آمدند رسولان ما لوط را غمگين شد بايشان و تنگ شد بايشان در طاقت و گفت

الجزء الثاني

هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر
این روز بسیار سخت است و آمدند او را قوم او شتابان و پیش از این کار بد می‌کردند گفت ای قوم اینان دختران من‌اند ایشان پاکیزه‌ترند

لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم
برای شما پس بترسید از خدا و رسوا نکنید مرا در مهمانانم آیا نیست از شما مردی راه‌یافته گفتند بدرستیکه دانسته‌ای که نیست ما را در دختران تو هیچ حق و بدرستیکه تو میدانی

ما نريد قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك
آنچه را میخواهیم گفت کاش مرا بر شما قوتی بود یا جای میگرفتم بجای گفت فرستاده پروردگار تو ایم هرگز نخواهند رسید بر گروه تو پس شب

بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب
با اهل و دارایی از شب و نباید که ملتفت شود از شما احدی جز زنت بدرستیکه رسنده است او را آنچه رسید بایشان از بدیها بدرستیکه وعده‌گاه ایشان صبح است آیا نیست صبح نزدیک

فلما جاء أمرنا جعلنا عالیها سافلها وأمطرنا علیها حجارة من سجیل منضود مسومة عند ربك وما هي من
پس چون آمد فرمان ما گردانیدیم بالای آنرا زیر آنرا و باریانیدیم بر آن سنگهائی از سنگ گل بر هم نهاده شده نشان کرده نزد پروردگار تو و نیست آن

الظالمين ببعيد القراءة سلم بكسر السين بلا ألف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص الآخرون بالرفع سيئ بهم ونابه
ستمکاران دور کذلک بهمزه ابو جعفر و نافع وابن عامر وعلی و دو پس آخرون سیئ مثل قیل تخزوني بالیاء في الحالين سهل ويعقوب

وابن شنبوذ عن قنبل واتفق أبو عمرو وهبيرة واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو فاسروا بقطع الهمزة الوصل أبو جعفر
ونافع وابن كثير وعباس من طريق البوصلي وحمزة في الوقف إن شاء لين الهمزة إلا امرأتك بالرفع ابن كثير وأبو عمرو الباقون بالنصب الوقف

سلاما طاب حنيذا خيفة ط قوم لوط ط بأسحق ط لمن قرأ يعقوب بالرفع يعقوب يخاط عجيب ط أهل البيت ط مجيد قوم لوط ط منيب حليم
لاحتمال التعليل أمر دبلج للابتداء بإن مع اتصال المعنى سوء وسيئ بهم للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفي ط رشيد ط من حق

لما مر إن لك ما تريد شديدا لا امرأتك ط أصابهم ط الصبح ط بقريب منضود لأن ما بعده صفة حجارة عند ربك ط بعيد التفسير الرسل ههنا
الملائكة واجمعوا على أن الأصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على أحسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك

كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكر الله تعالى في سورة الحجر وبشروه عن ضيف إبراهيم وفي الذاريات
هل أتيك حديث ضيف إبراهيم والظاهر البشرى هي البشارة بالولد وقيل لهلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك ومعنى سلام لهم

سلام أمركم سلام أو سلام عليكم وكان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لكان تقدير الفعل قال العلماء
ان سلام ابراهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها وانما صح وقوع سلام مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى

المتكلم اذا صله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلما فمعناه التسلم ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي
الفارسي يحتمل ان يراد بالتسلم خلاف الحرب قالوا مكث ابراهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرأى اضيافا لم ير مثلهم فبادر ان

في ان جاء بعجل او فما لبث بمجيئه بعجل هو ولد البقرة حين مشوي حنيذ حفرة من الارض يحمى بالجمار ثم الحنيذ وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه
محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر وسمنا كقوله بعجل سمين يقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما رأى

ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اى انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملائكة وكان من عادة
العرب انه اذا نزل بهم الضيف لم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيدا عن الناس فلما امتنعوا

من الاكل خاف ان يريد بهم شرا وقيل انما كان يعرف انهم ملائكة الله لقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملائكة بل ذكروا
سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو انه كان لا يعرف

انهم ملائكة اقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك اكلهم على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا للدلالة الارسال
على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف لتكونوا على صفة يحبها لانه كان مشغوفا بالضيافة ورب المنكر خوفه قبل التغير في
وجهه او بتعريف الله اياه وعلمه ان علة ما تهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا يتزلون الا بعذاب أمر تزوجها سارة بنت هاران بن ناحور ابن عم ابراهيم

قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لا بد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة
وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابراهيم قال لهم الا تأكلون قالوا انا لا نأكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله

وتحمدوه في اخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه وتبعا خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابراهيم ضربتنا
ابن الجهل ليلك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فعرفت بهذا القول انهم ليسوا منهم وقيل ضحكت تعجبا من قومها انا هم العذاب وهم غافلون

عنه وانهم باحيا العجل المشوي ظفروا بذلك العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سرورا من ظفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون و
قيل تعجبت من خوف ابراهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل من الكلام تقدمهم وتأخيرا فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد و

حكمه

هود

وامرأته قائمة فضحكت اى حاضت ومنه فحكت الطلعة اذا انشقت يعنى استعدادها للولد من قرايقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف اى يعقوب مولودا وموجودا من بعد اسحق ومن قرا بالنصب فعلى العبارة المذكورة كانه قيل فوهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب اقول من المحتمل ان يكون يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اى وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل لولد ولد الولد ووجهان يراد بيعقوب اولاده كما يقال هاشم وبنو هاشم ويراد اولاده ويا ويلتى كلمة تلهف قد ذكرت فى الف انذرتك فى يا ويلتى اعجزت وشيخا نصب على الحال والعامل فيه معنى هذا من معنى ابنه او اشير اليه هذا يعنى ان تولد ولد من مثلى شيخ عجيب عادة فاراد الملائكة تنبيها منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمة الله وبركاته عليكم يا اهل بيت خليل الرحمن المقصوران رحمته عليكم متكاثرة وبركاته بكم متواترة وفوق العادات فى اهل بيت النبوة غير عجيب يحتمل ان يكون انتصابا على اهل البيت على الاختصاص وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجيب بقولهم انه حميد محمود فى افعاله مجيد ذو الكرم الكامل فلا يليق بهم منع الطالب عن مطلوبه فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذى لحقه حين نكروا ضيافته وجاءته البشرى بالولد اخذ يجادلنا فى قوم لوط فى معناهم وفى شانهم وهو جواب لما على حكاية الحال او لان لما ترد المضارع الى الماضى عكس ان ويحتمل ان يكون جواب لما محذوفا على ما مر اى اجزاه الله على خطابنا او قال كذا ثم ابتدا فقال يجادلنا وقيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اى يجادل رسلنا لانه يمتنع مخالفة امر الله فان ذلك يكون معصية بل صنيعا فى تاخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوهمهم بروى انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية فقال ان كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال لا ضوليتون ان ابرهيم كان يقول ان امر الله ورد بايصال العذاب ومطاق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون الفور اما للقرائن او لان مطلق الامر يستدعى ذلك فقد يحاجادلنا او لعل ابرهيم كان يدعى تحقق الامر شرط بشرط لم يحصل بعد هم لا يسلمون بالجملة فان العلماء مجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالعموم وليس يوجب القدح فى احد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول على الامور اواه كثير التاوه من الذنوب منيب راجع الى الله فى كل ما يهمه له وهذا الثناء دليل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حمله على المجادلة فيهم ورجاء ان يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة ان العذاب قد حق عليهم قالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم واتاهم اتيهم لا محالة عذاب غير مردود فلا راد لقضائه فلا ينفع فيهم جدال ولا دعاء ولما جاء رسلنا المذكورون لوطا سيئ بهم اصله سوئ لانه من ساءه يسوءه نقيض سره يسره نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت العين باء ومن قرا سيئ بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهرى الذرع يوضع موضع الطاقة واصله ان البعير يذرع بيديه فى سيره على قدر سعته خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقة ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع والطاقة وربما قالوا ضاق بامره ذرعا وقال هذا يوم عصيب اى شديد من العصب الشد كانه يعصب اشد ما فيه من الامور وعن ابن عباس ان نظروا من عند ابرهيم الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بنى آدم فى غاية الحسن ليعرف لوط انهم ملئكة الله فساءه مجيئهم واغتم لذلك لانه خاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه ما كان يجد ما ينفق عليهم قبل السبات قومه منسوبون الى رجال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه والصحيح هو الاول بروى انه تعالى لما اهلكهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاما مشى معهم منطلقا امامه الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهرى الاهراع الاسراع والهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى امر عن خوفه او حرصه ثم بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش ثم بروا على ما هم عليه من لا يكفهم حيا وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم فى ذلك العمل قبل ذلك اراد ان بقى اضيافه بقية نهاره فقال هؤلاء بناتى عرض بناته من صلبه وعرض بنات امته لان النبى كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض بنات الحق عليهم بيان على الفجار لا يليق بذوى المروات ولان اللواط من صلبه لا يكفى الجمع العظيم لما روى انه لم يكن له الا بنتان راتل الجمع ثلثة واقلها نون بالقول الى الزنا فهن بنات امتاعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان او مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما فى اول الاسلام زوج رسول الله ص ابنتيه من عتبة بن ابى لهب وابى العاص بن الربيع بعد العزيمة وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن اكثر من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحوا منه ويزوجوا له واطهر يعنى الطهارة فى نكاح الرجال فاتقوا الله بانا رهن جاهلهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزاية وهى الحياء ولا تخجلونى من الخزى وهو الخيانى ضيفى حق اصبنى فى اخزى الضيف والجار يوث للضيف العار والشنار والضيف يستوى فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا ألَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ صالح او مصلح رشده يمنع او ينهى عن مثل هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شئ فكانه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا وانك

الاول قالوا اما دعى القوم

لتعلم ما نريد وبجوز ان يراد انهن لسن لنا بمباح ولسن فيما نحق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع اما يراد اتك دعوتنا الى ما لا حق لنا فيه ونحن لا نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لوط آتى لي بكم قوة وجواب محذوف اى لفعلت بكم وصنعت بالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي القوى عليكم فمتى موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة او اوى انضم الى ركن شديد حام منيع شبه الركن من الجبل في شدته وقوله او اوى عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه وبعاونة غيره قال ذلك من شدة الغلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد رق عليه وحزنت له ان ركنك لشديد وقال النبي صلعم رحم الله اخي لوط كان يأوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعده الا في ثروة من قومه يحتمل ان يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به قياما من شرهم ويحتمل انه انما شاهد سفاهة القوم وافراطهم على سوء الادب تمنى حصول قوة يتمكن بها من الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى الى ركن شديد وهو الاعتصاء بعناية الله روي انه اغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فامر الملائكة ان يخلي الباب فدخلوا فاستأذنوا جبرئيل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يهتدون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط سحرة ثم بين نزول العذاب وجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كانت الهمزة للوصل من السرى او زائدة ان كانت للقطع من الاسراء يقطع من الليل عن ابن عباس اي في اواخر الليل وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفه ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر الى ما وراءه الا امرأتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح فاجاب جار الله بان الرفع بدل من احد على القياس في النصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسرى بها والاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسرى بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسرى بها غير مسرى بها ويمكن ان يجاب بان اسر ان كان مضمنا معنى الالتفات اي مقيد بعدم الالتفات اذ المراد اسر بها هلك اسرا لا التفات فيه الا امرأتك فانك تسري بها اسرا مع الالتفات فاستثنى على هذا ان شئت من لا يلتفت ولا تناقض بعضهم كابن الحاجب جعل الا امرأتك في كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت لم يبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر او لجعل استثناء من لا يلتفت لزم ان تكون مامورة بالالتفات لكان القائل اذا قال لا يقم منكم الا زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما اصابهم وان كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبة للمعصية قاله في الكشاف وروي انه امر ان يخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين كاختلاف القراءتين في قوله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم فقيل لهما ساقا فارورى انهما لما سمعتا هدة العذاب اي صوتها التفتتا وقالتا واقوماه فادركها حجر فقتلها وقيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة وعلى هذا يصح الاستثناء لان من غير شانه التناقض كانه امر لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فانها لكفرها لا تطيق الخروج واخبر ان امرأته تبقى متعلقة القلب بهما وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جعل الله عاليها سافلها وروي ان جبرئيل ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء حتى سمع اهل السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح الديوك ثم قلبها لهم طمام وارتكسها انا ثم قلبها دفعة وضربها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل اي مثل السجل وهي الدلو العظيمة او مثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل اي مما كتب الله ان يعذب به او كتب عليه اسم المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم من اسماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق بعض في النزول يأتي على سبيل المتابعة والتلاصق وضمير انها لقرى قوم لوط او للحجارة ومسومة معلمة للعذاب او مبينة او مرسومة عند الحق انها تحمل امثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من يهلك به وقال ابو صالح رأيت منها عند اهانى حجارة فيها الخطوط حمر على هيئة الجزع ومنضود عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو او مقدر في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين اي من كل ظالم بعيد هو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلعم ان سئل جبرئيل عن هذا فقال يعني من ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو يصيبه سقوط الحجر عليه عاجلا او آجلا وقيل اي تلك القرى وليست ببعيدة من ظالمي اهل مكة يمرون بها في متاجرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في الماضي الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمستمر فكانها بمكان من ربك والله تعالى اعلم بمراده والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير اي في رخص فلا حاجة بكم الى البخس واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط اي يحيط بكم او يهلككم ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ انما انا ناصح مشفق فاحفظ نفسي عن ان يلحقكم مني ما تكرهون او ما انا بحفيظ عليكم حتى اجازيكم على كفركم وانما علي ان انصح لكم وقيل ما انا بحفيظ عليكم حتى اكفكم عن المعاصي قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

هود

وَيٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ
إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ
ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ
وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَٰلِكَ
أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

القراءة الى بالفتح اربكم بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزي وكذلك

روى عن اهل مكة الى اخاف شقاقي بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وصلوا تاء كما مر في سورة التوبة في قوله ان صلوتك سكن توبتي
بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع ارهطي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو بعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف
يعقوب عاصم غير الاعشى لو توف شعيبا غير هما محيط مفسدين مؤمنين وللابتداء بالتي مع الواو يحيط ما شاء ما الا وشهد حسنا عنهما استطعت
الا بالله انيب نصف الجزء وصالح بعيد ليله ودود ضعيفا لان لوطا للابتداء مع الواو ولجناك لحق النفي وكون الواو للحال ارهطي بعزيز من الله فصل
بين الاستخبار والاخبار والخبار المقصود به الوصل ظهريا محيط عامل تعلمون كاذب للفصل بين الخبر والطلب رقيب جاثمين ابتهاط ثمود مبتعد للمعلق
بالجار فرعون للنفي مع الواو للعطف والحال برشيد للناظر المورود الغية المرفود وحصيد امر ربك شهيد ظالمة شديد النفسير يفرض المكيال يشمل مفسدين
بان ينقص الايفاء من القدر الواجب يزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كل الحالين نقصان حق الغير وقوله الذي يقوله ارى بخير اي بثروة وسعة
تغنيكم عن التطفيف او بغلو من الله حتما ان تشكر لتزدادا ان تكفر فتزال واني اخاف عليكم عن ابن عباس ان تسلب الخوف بالعلم وقال الحسن انما الظن الغالب لانه
كان يجوز ان يجازيهم وانتهاؤهم والعذاب المحيط المهلك المستأصل كانه احاط بهم بحيث لا ينفلت منهم احد وزيادة اليوم لاجمل المبالغة والاستدلال المجازي
باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قبل هو عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل عذاب الاخرة والاظهر العموم قولا اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد
مر تفسيره مثله في الاعراف وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين مضى تفسيره في وابل ابتره بقية الابد سنوال وهو اناه سبحانه نهى ولا عن النقص فقد
امر بالايفاء فصل فيه فائدة سوى التاكيد التقرير والجواب بعد تسليم ان النهي عن الشيء امر بضده هو ان النهي عن النقص امر بالمبالغة وان كان يفيد تصريحه
تغييرا وتوبيخا لكنه يوهم النهي عن اصل المبالغة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل فيفيد باخر اصل المبالغة مع التصريح بالنفي المستحسن في العقول لزيادة
الترغيب فيه اتم فائدة اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط يعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروة لا تنقص عند حد وانما الواجب
شيء من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة يتقين كما ان غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شيء من لا من يقينه الله قبل ثواب الله وقبل طاعته
ورضاه كقوله والباقيات الصالحات خير وقبل اي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا الان شيئا من الاعمال
لا ينفع مع الكفر وان كنتم مصدقين لي فيما انصح لكم ولا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فينفتح له ابواب المكاسب التحانة تجر
الفقر لتفر الناس عنه وعن معاملته صحيحة تالت العشرة في اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يستحق رزق الله وقرئ بقية الله بالتاء الفوقانية
اي ارتقاؤه الصاف عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر قوله اصلوتك تامرك بالتاء الفوقانية
وبالبناء للمفعول كان الصلوة عماد الدين فعبر عن الشيء باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلي للذي يلو السابق والمعنى ذلك
اي اتباعه يامرك بذلك والاظهر ان المراد بها الاعمال المخصوصة روي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا وقصدوا
بقولهم اصلوتك تامرك التهزؤ والسخرية وكان الصلوة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوسواس ومعنى تامرك بتكليف ان نترك على حذف
المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله ان نفعل معطوف على ما في ما يعبد اي تامرك صلوتك بترك ما يعبد اباؤنا وبترك ان نفعل في اموالنا فانا
روي انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف والاشتباع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل
انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا وقيل حقيقة ولم يكن معروفا فيهم بالحلم والرشد فكانهم قالوا له انك المعروف بهذه
السيرة فكيف تنهانا عن دين الفناء وسيرة تعودناها ثم اشاروا الى ما اتاه الله من العلم والحلم والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف
وجواب الشرط محذوف اكتفى عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى اراتيم ان كنت على حجة واضحة وبقين من ربي وقد اتاني بعد هذه السعادات الروحانية
السعادات الدنيوية من الخير الحلال والمنافع الحلية هل يسعني مع هذه الاكرامات ان اخون في وحيه ولا امركم بترك الشرك وبفعل الطاعة وان لا انهاكم عن البخس
الا لاخالفكم الى ما انهيكم عنه بقال خالفني فلان اذا قصده وانت مولي عنه فالمعنى لا اجعل فعلي مخالفا لقولي فلا استفعلكم
الى شهواتكم التي تنهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطعت ما الدة ظرفا للاصلاح

ع

ن نترك ما نترك

اى مدة استطاعتى الاصلاحكم وابدل من الاصلاح اى المقدار الذى استطعته منه والمضاف محذوف اى الا الاصلاح اصلاح ما استطعت اه ومفعول للاصلاح فقد جعل المصدر المعرف كفوله ضعيف النكاية اعدائه اى الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما يأتى وما يذر فوقوعه بتسهيل الله تعالى اياه فقال وما توفيقى الا بالله والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عليه توكلت اخصه بتفويض الامور اليه كما نفوض اليه انابتى والتفات الى الغيب لانه المعاد المجتفى بضمه تمهيد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لا يجرمنكم شقاقى لا يكسبنكم خلافى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم صالح من الصيحة وما قوم لوط منكم ببعيد اى يقل ببعدة حملا على لفظ القوم لانه مؤنث كما ببعيد بن حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف اى وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدهم او المراد وما هم بشئ بعيد او بزمان او مكان بعيد وجوزوا ان يستوى بعيد وقريب قليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى التسهيل والنهيق ونحوهما ان ربى رحيم ودود يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كفوله لم يحبوه ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة ونهى على ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغى ان يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ فى خطابهم الانبائى التقرير والتبيان قالوا ما شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول اما لقلة الوعاء او قالوا تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا يفهم كثير منه وقيل لانه كان اللثغ وانا لنراك فينا ضعيفا عن الحس مهينا اى لا عز لك فينا بنسب ولا قوة فلا يقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى لان العمى سبب الضعف ولا نر تغتر بهذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظ فينا يأباه لان الاعمى فيهم وفى غيرهم واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات وانه مخل بجواز كونه حاكما وشاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى ثم ذكروا انهم انما لم يرجموه او ابر المكروه ولم يوقعوا شر الشر لاجل رهطه والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة والاجم شر الفتل وهو الرجم بالحجارة او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا المذكور بقولهم وما انت علينا بعزيز وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم من اهل ديننا لكلام واقع فى فاعل العز لا فى الفعل وهو العز ولذلك قال فى جوابهم ارهطى اعز عليكم من الله ولو قبل وما عززت علينا لم يتجه هذا الجواب انما لم يقل اعز عليكم منى ايذانا بان التهاون بنبى الله كالتهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه اى الله او ما جئتم به وراءكم ظهريا مسوب الى الظهر والكسر من تغيرات النسب اى جعلتموه كالشئ المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف تهم بما يتضمن الوعيد فى حقهم فقال ان ربى بما تعملون محيط ثم زاد فى الوعيد والتهديد بقوله اعملوا على مكانتكم وقد مر تفسير مثله الا نعاء قال فى الكشاف الاستيناف بعضى سوف تعلمون وصل حفص يقدر ويدانى فى الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان يتكاثر به حسنه ثم بالغ فى التهديد بقوله وارتقبوا انتظروا عاقبة الشقاق انى معكم رقيب راقبه كالضرب بمعنى الضارب ومراقب كالعشير والنديم او مرتقب كالفهر والوقيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقى القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة واحدة كلتا العبارتين فصيحة ولكان الفاصلة الا تمالجاثى فى قصة شعيب مرة والرجفة مرة والظلة مرة الصيحة ازدادت التانيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعاهم بقوله كما بعدت ثمود لما روى الكلبى عن ابن عباس قال ارسل الله اميين بعد ابى احد لا لقوم شعيب قوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب اخذتهم من فوقهم قوله سلطان مبين قال فى النهر الكبير الباء اسم للغدر والمشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التى تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع وان لم يتاكد بالحس السلطان المبين مخصوص بالدلائل القواطع التى يعضدها الحس وقال فى الكشاف يجوز ان يراد الاباء فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فاتبعوا امر فرعون اى شانه وطريقه او امره ايانا هم بالكفر والجحود وتكذيب موسى وما امر فرعون برشيد اى ليس فى امور رشدا نما هو غى وضلال وفيه تعريض بان الرشد والحق فى امر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس فى امره رشد قط فالجوم كما كان فرعون قدوة لهم فى الضلال كذلك يقدمهم اى يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره يجوزان يراد بالرشد الاحمود وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحمد العاقبة ثم فسر ما انه يقدم قومه اى كيف يرشد امره من هذه عاقبته وبقى قدمه قدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش مثله اقدم ومنه مقدم العين ثما قال فاوردهم بلفظ الماضى تحقيقا للوقوع والمورد الموضع الذى يرد منه شبه فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم بغى عليهم بقوله وبئس المورد المورود الذى يرد ومنه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش ويرد الاكبار والنار ضده وتذكير بئس لتذكير المورود كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت جاز نظرا الى المنزول فى تشبيه النار بالماء وقع تهكم بهم واتبعوا فى هذه الدنيا لعنة اى طردا عن الخير وابعادا من الرحمة ويوم القيمة اى يلعنون فيهما او فى احدهما وفى الاخرة يلعنهم الملائكة والانبياء والمؤمنون فى الدنيا ولعنة فى الاخرة ذلك الذى ذكرنا او ذلك النباء بعض انباء القرى الهالكة نقصه عليك خبر بعد خبر ثم استانف فقال منها قائم وحصيد اى منها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافى الاثر كالزرع المحصود فاظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا انفسهم باوكتابا بارتكابهم ما نقصناهم من جزاء اعمالهم فى الدنيا من التعيير والوزن ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استحقوا بحقوق الله فما اغنت فما دفعت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله بعبدون وهو كما ترى حال ماضية باسناد الله حين جاء امر ربك اسناد وهم بمعنى الهمهم غير تلبيب تخسير بت

هود

خسرة تبعة عمرا وقعر في الخسران كانوا يعتقدون في الاصنام انها معينة في الدنيا على تحصيل المنافع ودفع المضار وستشفعهم عند الله في الاخرة فلم ينفعهم في الدنيا حين جاءهم عذاب الله ولا سيورثهم ذلك الاعتقاد عذاب النار في الاخرة فهم في خسران الدارين ثم بين ان عذابه غير مقصور على اولئك الاقوام ولكنه يعم كل ظالم مستوجد فقال وكذلك اى مثل ذلك الاخذ اخذ ربك فالاخذ مبتدأ وكذلك خبره وقوله وهي ظالمة حال من القرى باعتبار اهلها ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ وهو تحذير من مؤاخذته كل ظلم على الغير او على النفس فعلى العاقل ان يبادر الى التوبة ولا يغتر بالامهال التأويل ولا ينقصوا الميكال ولا تبخسوا الميزان الطلب فيكال المحبة وميزان الطلب اسير على عقد الشريعة والطريقة ان اراكم بخير هو حسن الاستعداد للفطرة واني اخاف عذاب يوم محيط هو استيلاء الاستعداد وطلب غير الحق بالقسط في تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله ولا تبخسوا الناس اشياءهم حقوق المنعمين وحسن العشرة في الله ولله ولا تعثوا في الارض وجودكم مفسدين بتعنيت الله بقاؤكم بقية الله بقاؤكم خير لكم مما فاتكم بابقاء الميكال والميزان رزقا حسنا نورانا ما اطن براصلاح الامور والاستعدادات ان ساعدك التوفيق وما معاملة قوم لوط من معاملتكم ببعيد لان الكفر كله ملة واحدة وما امر فرعون برشيد بالتسوية بالسوء اخذ القرى هي الاجساد فاعلم قابل للدرك ما فات ومنها ما هو محصور بفوات الاستعداد والله تعلم اعلم بالصواب ان في ذلك اى في اخذ القرى لآية اى عبرة لمن خاف عذاب الآخرة ذلك اى ذلك اليوم يوم القيامة يوم مجموع له الناس ذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقي وسعيد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لا تنصرون واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون القراء وما بتوحيد الياء يعقوب المفضل الباقون بالتحتانية لهم ياء بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وفي الوصل ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى في الوصل الاخرون بحذف الياء لانكم بتشديد التاء البزي وابن فليح سعدوا بضم السين حمزة وعلي وخلف وحفص قبلاته على الحذف والحمزة من اسعد الان سعد والازم ولكنه قد جاء المسعود الاخرون بفتحها وان كلا بالتخفيف ابن كثير ونافع وابو بكر وحمزة والباقون بالتشديد لما مشددا ابن عامر وعاصم ويزيد وحمزة وكذلك في الطارق الباقون بالتخفيف وقفا بضمتين يزيد الاخرون بفتح الكاف وابا به بغير هاء الاسماعيل عن ورش وحمزة في الوقف وجيء بجهنم ونافع وحفص والمفضل تعلمون خطابا وكذلك في النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب وحفص الباقون على الغيبة الوقوف الاخرة لمشهود معدود بريد شاء ربك لان التقدير يعطون عطاء مجذوذا هو كذا من قبل ما منقوص فاختلف فيه بينهم لما ريب اعمالهم لما خبير لا تطغوا النار لان ما بعده من تمام جزاء ولا تركنوا بصرون من اللبس السيئات للذاكرين المحسنين منهم لان التقدير وقد اتبع مجرمين مصلحون مختلفين لا رحم ربك خلقهم اجمعين فؤادك اذ التقدير وقد جاءك المؤمنين مكانتكم اعاملون كل للعطف انتظروا اى فانا منتظرون وتوكل عليه يعملون النفير تر في ذلك الذي قصصنا عليك من احوال الامم لآية لعبرة لمن خاف اى لمن هو اهل لان يخاف عذاب الاخرة كقوله هدى للمتقين لانا شاهد يهود اليهم قال الغفال في تقرير هذا الاعتبار اذا علم ان هؤلاء معذبون باعمالهم في الدنيا وهي دار العمل فلان يعذبوا عليها في الاخرة التي هي دار الجزاء اولى واعترض عليه في التفسير الكبير بان ظاهر الآية يقتضي ان العلم بان القيمة حق كاف في حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستيصال في الدنيا والغفال جعل الامر على العكس قال والاصح عندي ان هذا تعريض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التي ظهرت في ايام الانبياء مثل الغرق والخسف والصيحة انما حدثت بسبب قران الكواكب وذلك ان كذلك فلا يكون حصولها دليلا على صدق الانبياء اما الذي يؤمن بالقيمة ويخاف عذابها فيقطع بان هذه الوقايع ليست بسبب الكواكب اتصالا ولا انفصالا فيستفيد منها الخشية والاعتبار اقول وهذا نظر عميق والاظهر ما ذكرت اولا ومثله في القرآن كثير ان في ذلك لعبرة لمن يخشى التي في ذلك لقوم يذكرون ثم لما كان العذاب الآخرة ولا شك في هول يوم القيمة اشار اليه بقوله ذلك يوم مجموع اى يجمع لما فيه من الحساب والثواب والعقاب الناس وارث اسم المفعول على صيغة الاجل افادة الثبات وان حشر الاولين في الآخرين فيه صعوبة لا ازعة نظر قول المنهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما لم يكن الفعل وذلك يوم مشهود اى مشهود فيه الخلائق فالتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به والفرق بين هذا الوصف الاول ان هذا يدل على حضور الناس فيه مع اطلاع البعض منهم على احوال الباقين من الحاسبة والمسائلة لان يجمع كل واحد لا واقعة نفس الجمع المطلق لا يفيد هذا المعنى انما

الثالث

الرابع

الخامس

السادس

السابع

الثامن

التاسع

العاشر

الحادي عشر

الثاني عشر

الثالث عشر

الرابع عشر

الخامس عشر

السادس عشر

السابع عشر

الثامن عشر

التاسع عشر

العشرون

الحادي والعشرون

الثاني والعشرون

الثالث والعشرون

الرابع والعشرون

الخامس والعشرون

السادس والعشرون

السابع والعشرون

الثامن والعشرون

التاسع والعشرون

الثلاثون

الحادي والثلاثون

الثاني والثلاثون

الثالث والثلاثون

الرابع والثلاثون

الخامس والثلاثون

السادس والثلاثون

السابع والثلاثون

الثامن والثلاثون

التاسع والثلاثون

الأربعون

الحادي والأربعون

الثاني والأربعون

الثالث والأربعون

الرابع والأربعون

الخامس والأربعون

السادس والأربعون

السابع والأربعون

الثامن والأربعون

التاسع والأربعون

الخمسون

الحادي والخمسون

الثاني والخمسون

الثالث والخمسون

الرابع والخمسون

الخامس والخمسون

السادس والخمسون

السابع والخمسون

الثامن والخمسون

التاسع والخمسون

الستون

الحادي والستون

الثاني والستون

الثالث والستون

الرابع والستون

الخامس والستون

السادس والستون

السابع والستون

الثامن والستون

التاسع والستون

السبعون

الحادي والسبعون

الثاني والسبعون

الثالث والسبعون

الرابع والسبعون

الخامس والسبعون

السادس والسبعون

السابع والسبعون

الثامن والسبعون

التاسع والسبعون

الثمانون

الحادي والثمانون

الثاني والثمانون

الثالث والثمانون

الرابع والثمانون

الخامس والثمانون

السادس والثمانون

السابع والثمانون

الثامن والثمانون

التاسع والثمانون

التسعون

الحادي والتسعون

الثاني والتسعون

الثالث والتسعون

الرابع والتسعون

الخامس والتسعون

السادس والتسعون

السابع والتسعون

الثامن والتسعون

التاسع والتسعون

المائة

الحادي والمائة

الثاني والمائة

الثالث والمائة

الرابع والمائة

الخامس والمائة

السادس والمائة

السابع والمائة

الثامن والمائة

التاسع والمائة

المائتان

الحادي والمائتان

الثاني والمائتان

الثالث والمائتان

الرابع والمائتان

الخامس والمائتان

السادس والمائتان

السابع والمائتان

الثامن والمائتان

التاسع والمائتان

الثلاثمائة

الحادي والثلاثمائة

الثاني والثلاثمائة

الثالث والثلاثمائة

الرابع والثلاثمائة

الخامس والثلاثمائة

السادس والثلاثمائة

السابع والثلاثمائة

الثامن والثلاثمائة

التاسع والثلاثمائة

الأربعمائة

الحادي والأربعمائة

الثاني والأربعمائة

الثالث والأربعمائة

الرابع والأربعمائة

الخامس والأربعمائة

السادس والأربعمائة

السابع والأربعمائة

الثامن والأربعمائة

التاسع والأربعمائة

الخمسمائة

الحادي والخمسمائة

الثاني والخمسمائة

الثالث والخمسمائة

الرابع والخمسمائة

الخامس والخمسمائة

السادس والخمسمائة

السابع والخمسمائة

الثامن والخمسمائة

التاسع والخمسمائة

الستمائة

الحادي والستمائة

الثاني والستمائة

الثالث والستمائة

الرابع والستمائة

الخامس والستمائة

السادس والستمائة

السابع والستمائة

الثامن والستمائة

التاسع والستمائة

السبعمائة

الحادي والسبعمائة

الثاني والسبعمائة

الثالث والسبعمائة

الرابع والسبعمائة

الخامس والسبعمائة

السادس والسبعمائة

السابع والسبعمائة

الثامن والسبعمائة

التاسع والسبعمائة

الثمانمائة

الحادي والثمانمائة

الثاني والثمانمائة

الثالث والثمانمائة

الرابع والثمانمائة

الخامس والثمانمائة

السادس والثمانمائة

السابع والثمانمائة

الثامن والثمانمائة

التاسع والثمانمائة

التسعمائة

الحادي والتسعمائة

الثاني والتسعمائة

الثالث والتسعمائة

الرابع والتسعمائة

الخامس والتسعمائة

السادس والتسعمائة

السابع والتسعمائة

الثامن والتسعمائة

التاسع والتسعمائة

الألف

فسر اليوم بانه مشهود فهذا انه مشهود في نفسه لان سائر الايام يشركه في كونها مشهودة فيه دون غيره كما تمتاز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه
دونها وما نؤخره الا لانتهاء اجل معدود اي لنقضاء مدة معلومة عين الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احديهما ان وقت القيامة متعين لا يتقدم ولا
يتاخر والثانية ان ذلك لاجل مشاه وكل مشاه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه والاكثرون
بالكسر على لغة هذيل وفاعل يأتي قبل الله كقوله او يأتي ربك اي امره وحكمه دليله قراءة من قرأ وما يأتوجه بالتاء وقوله باذنه وقيل المراد الشفيع المهيب
الهائل المستعظم فحذف كوصف بتعيينه ليكون ابلغ في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب
يوم بلا تكلم او باذكره مضمرا وبالانتهاء المقدر اي ينتهي الاجل يوم يأتي وتاء التانيث محذوفة من لا تكلم والاثبات لدلالة على التكلم في ذلك اليوم مع الاباء
الدالة على نفي التكلم كقوله تعم هلوما بأتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح
المقبول واثبات العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للجزاء او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي وسعيد اي
ومنهم سعيد لا خلاف في ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما الجنة والنار في الاخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاء
مثلا كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار
لاسانه وعند السنة حكم بان القلم عليه في الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسئلة قد مر مرارا قبل قد بقي ههنا قسم اخر
ليس من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة
اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث كثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار
الروح فيه وحتى ترتفع صدره وينفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على كرب شديد وغم عظيم
والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة اخره وقال الحسن انه طرح جهنم يرفعهم بقوتها حتى اذا وصلوا الى اعلى دركات جهنم
وطمعوا في ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد فيرد وتهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير والخطام
مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير مجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند
اشتداد الكرب والحزن وربما يتبعهما الشهيق وربما يحصل عقيب الموت وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد
والشهيق الصوت الضعيف عن ابن عباس لهم فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق قوى مبلغهم الى الدنيا ولذاتها فزفروا وضعفهم عن الاستغاثة
بكلا الامرين اوجد انيا شهيقا ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله سبحانه
خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة بقائها الا ما شاء ربك وفيه استدلالا لان الاول ان مدة عقابهم مشاة بمدة بقاء السموات والارض
المشاهدة بالاتفاق فالثاني استثناء المشية وبؤكد هذا النص قوله لابثين فيها احقابا واما الحديث فما روي عن عبد الله عمرو بن العاص انه قال
يجمع يوم تصفق فيه ابواب بعضها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع لانه في حق الله تعالى محال
والا خرج عن كونه تكليفا فيكون عبثا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية لعظمه والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دائم واجابوا عن الاية بان المراد
سموات الاخرة وارضها المشار اليها بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الاخرة مما يظلهم وقيل هما السماء والارض اذا علق حصول
العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القرآن قد دل على استحالات لا تعرى عن التغير عن الدوام والتابيد بقولهم ما دامت السموات
والارض نظيره قولهم ما اختلف الجديدان والنهار وما اقام ثبير وحاجا وكوكبة يمكن ان يجاب عن حاصل الاية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض
دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات والارض تلزم دوام عقابهم وهو المطلوب ان قلنا لكنها لم تدم فانه لا يلزم مطلوبنا لخصمه لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج
شيئا وبعبارة اخرى دلت الاية على انه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنها لم توجد لم يلزم منه ان لا يوجد عقابهم لانه لا تدل الاية على حصول العقاب لهم
دهرا طويلا او مدة مديدة واما انه هل يكون لهم انقراض ام لا فذلك مما يستفاد من دليل اخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الاستدلال
بالاستثناء فقد ذكرنا ان قضيته وان كان الابد ما لكن الاستثناء لا ينافي عدم المشية كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك قد يكون عزما على الضرب البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك ردا بالفرق فان مغنى الا يتحكم بخلوهم فيها الا المدة التي شاء الله فقط وانما المشية قد حصلت جزما ولقائل ان يقول ان يقول
الماضي ههنا في معنى الاستقبال مثل نادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فانه لم يتحقق قبل الا بمعنى سوق سائر الناس ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم
كما تقدم ذكره في خلودهم الذي عند العرب طول مستمر ازادهم الله الدوام الذي لا انقطاع له وقال اصحابنا غير المرجان مكثهم في الدنيا او في البرزخ او في الموقف قبل
الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كانهم يصيرون اخوالا مر الى الخمود والخمود قبل مدة الاستثناء ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا
من شاء ربك هذه التاويلات انما يليق بقاعدة الاشاعرة واكد وه بقوله ان ربك فعال لما يريد فكانه تعالى يقول انهم وان استحقوا الخلود والقدرة والرحمة لا تفعل
فعال لما اراد ولم يحكم على حكم البتة واما المعتزلة فكانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا يساعد عليه اجماع على ان احدا من
اهل الجنة لا يدخل النار فالصواب ان يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير
والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله واهل الجنة ينقلون الى العرش والى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قالوا انه خير من ابن الوعيد

هود

لقوله ان ربك فعال لما يريد وامره الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ دعا بينه للمطابقة كما قرنا ان المرفعل باهل النار ما بعد من العذاب كما يعطا هل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له والجذ القطع واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من النار الى برد او زمهرير فذلك خلودهم وصفو ابوابها او لعل المعنى ان يكون الالف بسبب عدم الاحساس بالعذاب لم يكون سبب الالتذاذ بالملوف فيكون خلودا شاره الى هذا المعنى واما الجواب عن المعقول فهو ان السيرة الله وسبداء هو عالم التكليف لما كان غير منتاه فعذاب البعد عنه ايضا يجب ان يكون غير منتاه ونقول لانها نية النور فلا غاية لظلمة الغاسق عنه والمذكور له ونقول اوضح الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص اهل العنه كان مساويا لاستعداد الكلية فلا يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد بيد كر من وفق لدخول الجنة ولما فرغ من ان اخبر عن عبدة الاصنام وبين احوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلعم بشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن نهي له عن الامتراء في سوء مغبتهم فقال فلا تك حذف النون لكثرة الاستعمال ومرية في شك مما يعبد هؤلاء اى من عبادة هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون الا ان عن الشك في سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهي مستانفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد الذي يعبده اباؤهم او كعبادة اباءهم والحاصل انهم شبهوا ما انهم عليه لزوم الجهل والتقليد واتاهم الموثوق بهم من الرزق والخير الدنيوية ومن ازالة العذر وازاحة العلة بارسال الرسول وانزال الكتاب وضمنهم من العذاب كما وفينا اباءهم انصبائهم وفي الكشاف ان غير منقوص حال من النصيب لعلم انه تام كامل اذ يجوز ان يوفى بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه قلت هي معنى الطف لان قولك الفاني وفيته شطر حقه التوفية يعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرور واعاد السؤال فاجاب ان بقي انه حال مؤكدة او صفة تقوم مقام المصدر اى توفية غير منقوص ولا تعشوا لا ترضوا اعشاء اذا نظر الا نكارهم نبوة محمد صلعم فقال ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه امن بعض قومه وكفر بعضهم اخرون كما اختلف في القرآن والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك الى آخره حتى سبقت غضبي وهي اقتضاء الجزاء الآجل الذي هو ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستيصال لقضي بينهم بين قوم موسى وبين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب الانجاء والاهلاك بعذاب من جملة المستأنفة انهم اى انهم يعني قوم موسى وقومك لفي شك مما يدعون من الايمان او المعاد او القضاء والجزاء ثم جمع الاولين الآخرين في حكم توفية الجزاء ثوابا وعقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض عن المضاف اليه اى ان كلام يعني ان جميع المختلفين فيه من قومك وغيرهم ضلى اعمال المحققة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن ولم يك ومن مزيدة للتأكيد ما مخففة فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب القسم المقدر كما مضى وابا الالف من التنوين في قولهم اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اى لخلق يوفيهم ربك اعمالهم من حسن وقبح وايمان وجحود ومن قرأ ما مشددة فاصله ما فقلبت النون فيها فاجتمع ثلث ميمات فحذف الاولى وابقا الثانية لان الادغام يجوز ان يكون اصله ما بالتنوين كما في قوله ولا ذاكرا الله الا قليلا ثم ادغم وسكن ابن كثير مخففا فتحولت الحركة الى ما ممدودا ومعناه ملوما ومحسورا اى محكوما عليه بالذم والحسرة وان كلا لما ليوفينهم على ان ما زائدة والتقدير وان كلا ليوفينهم ربك اعمالهم الا كما في الطارق ولا يخفى ما في الآية من مؤكدات التوفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا يضيع عنده منها لفظ ان وان واللام خبر ان ومنها لام الابتداء ومنها ما المزيدة ومنها القسم ومنها لام القسم منها نون التأكيد ومنها لفظ التوفية ومنها تنكير جزاء فان من ربك يقتضي توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الآية بقوله انه بما تعملون خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد بقدر جزائه قادرا على ايفاء ذلك الجزاء ثم ان كل احد حقيق وصديق وقد اخبر عن التوفية مع المؤكدات المذكورة فيقع وعده ووعيده لا محالة ثم امر نبيه بالثبات على ما هو عليه بقوله فاستقم كما امرت عن جعفر الصادق معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعني اوثق به واتوكل عليه ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم وضح للفصل وهو ابدا اى من تاب معك فليستقم ومفعوله محذوف تقديره كما امر بالاستقامة على جادة الحق فهي عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا ولا تطغيا مجاوزة الحد وقال ابن عباس لا تعصوا تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حدود القرآن بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذا لانه اصل عظيم في الشريعة فيكون الترهيب في اوضح واجبا كما ورد في القرآن كل القول في الحدود والكفارات ونفقات الزكوة واعداد الركعات وغير ذلك مما يجمع الامور المهمة ويجب الاحتياط في المسائل الاجتهادية القياسات وكذا في الاخلاق والملكات في كل ما له طرفا فراط وتفريط فيما من موم ان والمحمود هو الوسط وهو الصراط المستقيم المأمور بالاستقامة والثبات عليه لان معرفته صعبة يتبعد وصعوبة فالعامي والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزل على رسول الله آية في القرآن اشد ولا اشق من هذه حتى ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود واخواتها هذه الآية منها ثم لما كان الصراط المستقيم دخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا ترتكنوا اى لا تميلوا ميلا يسيرا بالمحبة والهوى الى الذين ظلموا فان الظلم المنهي عنه هو الرضاء بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم مشاركتهم في شيء من تلك الامور فاما مداخلتهم لدفع ضرر او جلب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون وقوله هذا من طريق المعاشرة والتصنع ومقتضى النهي هو الاجتناب عنهم بالكلية الفاء في فتمسكم النار اشارة الى ان الظلم اهل النار بلام في النار او كالنار او لان النار كالكون في بطونهم الا ان النار ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من تتمة الجزاء وقال في الكشاف لو الحال من اولياء من انصار اى لا يقدر على منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون لا تنصرون كهو ايضا وفيه اما طاكل فانه ذم ثم تبعد النصر من الظلم قال اهل التحقيق لو كون المراد بقوله الذين ظلموا اى الذين حدث منهم الظلم فلم يقل لا تميلوا الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم

خفيفا وجاء ذف الاولى

يوجب هذا العقاب فاذا كان هذا حال من ذكر فى مرض فكيف يكون حال الظالم فى نفسه عن رسول الله صلعم من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله تعالى وعن سفيان بن عيينة لا يسكن الا الفراعنة او آثمون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن فى رأى على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى بئر هل ينبغى ان يخبر به فقال لا فقيل له يهود فقال دعه يموت ثم من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها فقال وأقم الصلوة قيل اسند بعض الخوارج بعض الآيات على ان الواجب الصلوة ليلا لا الفجر والعشا لانهما طرفا النهار وهما الموصوفون بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا غالبا على ما بأتى ان هذا يقتضى عطف الصفة على الموصوف وهو كثير فى كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة الصلوة طرفى النهار كفارة لترك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول استدلوا بالآية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفى النهار منصوب على الظرف لاضافتها الى الوقت فيكتسب المضاف حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والمراد انهما العدوة وهى الفجر والعشية وهى الظهر والعصر لانها بعد الزوال عشى ولفلفا جمع لفة كظلم وظلمة اى ساعات من الليل وبينت من اخر النهار من لفلفه اذا قربه وادنى لفلف له وقرئ زلفا بكون اللام نحو بسرة وبسر والزلف فيمن قرأ بضمتين نحو بسر وبسر وقيل زلفا اى قربا فيكون مفعولا على الصلوة اى اقم الصلوة واقم زلفا اى صلوة تقربهما الى الله عز وجل فى بعض الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب والعشا وقيل ان طرفى النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبما استدل على مذهب ابى حنيفة ان الوتر يجزى الفجر افضل وتاخير العصر افضل لان الامة اجمعت على ان نصف الطرفين هما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة فكل وقت كان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصلوة فهذا حمل المجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة ما امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازى فى تفسيره فان قيل ان يقول هذا لا يتمشى فى صلوة الفجر لان الطرف الاول للنهار فى الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد الصلوة منه لا مقرب ولا ادرى كيف ذهب على هذا المفسر مع افراط عصبيته للشافعى واستدل ايضا لابى حنيفة على من هب فى وجوب الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب الى ثلثة الصلوة على التبجى فى ثلث لفف من الليل اى ثلث ساعات فذهب منها ساعتان للمغرب والعشا فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب تعلمه لقوله فاتبعوه ولما منعه ان اقل الجمع ثلثة اشياء ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب على التبجى يجب على الامة لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت فى ابى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فاتته امراة فاعجبته فقال لها ان فى البيت اجود من هذا فذهبت الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها واصاب منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم فاتى رسول الله صلعم فاخبره بما فعل فقال انظروا امر ابى فلما صلى صلوة العصر قال له نعم اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى انه قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس رضى الله عنهما الصلوة الخمس كفارات لما بينهن من الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج الابنى على ان المعصية لا يضر مع الايمان الذى هو راس الاعمال الحسنة بذلك المذكور من قوله فاستغم الى هؤلاء ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر على التكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص على ان الاتيان بها احسان وان جزاءه يحصل لا محالة فقال واصبر الآية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب فى حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اى فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ذوو خير ورشد فضل وذلك ان الرجل يستغنى بما يخص به جوده وافضاله فضائل المعتنى مثلا فى الجودة بقى فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومن امثالهم قد زوايا خبايا وجوز فى الكشاف ان يكون من البقوى كالتقية فى التقوى اى فهلا منهم ذوو ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان فى تخصيصهم على النهى عن الفساد المعنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون ناس ناهون الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه من التنعم والتلذذ من حيث اقوياء وساده والثروة واسباب العيش الهنى ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين فهن الجملة معطوفة على مدلول الجملة التخصيصية اى ما كان من القرون ناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون فى الكلام اضمار والواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمفعول الذى يطوله النفس وصبى مترف منعم لبدن وقوله وكانوا مجرمين واما معطوف على اتبع اى كانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام اوارد بالاجرام اعفالهم المشكرة بين امرها ينهى عنه ان يهلك القرى بظلم قال اهل السنة اى بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون فى المعاملة والعشرة فيما بينهم وذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم وبتاكد هذا التفسير قوله تعالى

هود

الاستيحاش انما نزل بقوم لوط وشعيب كما حكى الله عنهم من ايذاء الناس لا فشائى الارض وقالت المعتزلة قوله فلم حال من الفاعل والمعنى استحالت الحكمة ان يضل الله الفرق ظالما لها واهلها قوم سلكوا فى العمل بتزيها الذات عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيته وارادته فقال ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة كلهم يهتدون او كلهم ضالون او الفريقان قد مر مرارا ولا يزال الون مختلفين فى الاديان والاخلاق والافعال فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم كلها والمعارف كلها ولم يثبت لهذا العالم الجسمانى مبدأ اصلا وهم الدهرية ومنهم من اثبت له مبدأ موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا المقام تحقيق ليس ههنا موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من تبنها وهم المجوس واليهود والنصارى وفى كل واحد من هذه الطوايف فرق لا يكاد يدخل تحت الحصر وانما المحال الاختلاف فى الايمان والاستقامة لا فى الاديان والاعمال بل حملناه على الاختلاف فى الاديان وما يتعلق بها لانه يدفع عن الكلام وهو قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة وما بعده وهو قوله الا من رحم ربك قالت المعتزلة الا ناس اهل الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة جميع الالطاف التى فعلها فى حق المؤمن فهى موجودة بعينها فى حق الكافر وهذه الرحمة اختص بها المؤمن مرجع الجانبين الايمان وصدوره منه فاذن الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال ولذلك خلقهم فاختلف العلماء فى ان الضمير فى ذلك الى ماذا يرجع فقال الحسن البصرى رحمه الله الى الرحمة اى خلقهم ليرحمهم وقال ابو بكر الاصم الى الاختلاف اى خلقهم ليختلفوا وقال ابو مسلم الى ما دل عليه قوله الا من رحم ربك اى خلقهم ليرحمهم وقال ابو على الجبائى الى ما دل عليه قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة اى خلقهم ليثيبهم وقال القاضى عبد الجبار الى ما دل عليه قوله ولا يزالون مختلفين اى خلقهم ليكونوا مختلفين وقال الاشاعرة الى ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح فى الحديث انه خلق الجنة وخلق لها اهلها وخلق النار وخلق لها اهلها وللدلائل الدالة على ان الكل بايجاده وتخليقه وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وتمت كلمة ربك اى علمه وارادته او قوله لاملان جهنم الاية وقرئ المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكورة فى السورة فقال وكلا اى كل نبأ نقص عليك وقوله من انباء الرسل بيان لكل وما نثبت بدل من كلا والمراد بكل نوع من الاقتصاص على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت فؤاده زيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب اوضح للعلم او المعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء وجاءك فى هذه السورة او فى هذه الانباء الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والوسط والمعاد وموعظة وهى الادلة القليلة المقنعة الموقعة للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص النفع والثانى للعوام اصح وذكرى للمؤمنين وهى الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة فى الاخرة المحصلة لها هذا لك من الاعانة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لا بد لها من قابل وفاعل وقابلها القلب انه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل ورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب علاجه وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل اية منها وهى قوله فاستقم كما امرت مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب فى غاية الحسن ثم اسر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وقل للذين لا يؤمنون اعملوا وقد مر تفسير مثله فى السورة وفى الانعام وانتظروا ما يعدكم الشيطان انا منتظرون ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر فانا منتظروا بكم العذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة بما هو مشتمل على جميع المطالب من امر المبدأ والوسط والمعاد وقد سبق تفسيره فى اخر البقرة فى تفسير امن الرسول فالحاجة الى الاعادة الثانية اما ان السموات والارض اى ما دامت سموات الارواح والقلوب وارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء وذلك ان اهل الشقاوة اصناف اشقى واشقى فالاشقى بالمعاصى سعيد بالتوحيد فيخلص من النار اخرا والاشقى وهو الكافر يبقى فيها خالدا ومن اهل الجنة سعيد يبقى خالدا فيها واسعدهم الذين يترقون الى مقعد صدق عند مليك مقتدر وهناك مقام الوحدة التى لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ اى غير مقطوع ضيائهم الذى قد دام من الازل من الشقاء ولولا كلمة سبقت من ربك باستكمال الشقاء لقضى بينهم بالملك عاجلا لفرقة منه اشارة الى الضلال وقوله مريب اشارة الى الاضلال وان كلا اى كل واحد من الفريقين من المصلين فاستقم امر التكوين لذلك قال كما امرت اى فى الازل وفى قوله ومن تاب معك اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من الطريق المخوف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب التكوين كما يحتاج ان الحسنات يذهبن السيئات يعنى ان الاعمال الصالحة فى الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة فى قضاء الحوائج النفسانية الضرورية وذلك ان تعلق الروح النورى العلوى بالجسد الظلمانى السفلى موجب لخسران الروح كقوله والعصر ان الانسان لفى خسر الا ان يتداركه انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد السفلى مثاله الفلز الجيد فى الارض فانه من خسران الجيد الا ان يتداركه الماء والسائل الاسبابى فيرتبها الى ان يصير لواحة الحجة الى سبعمائة ومازاد ذلك الذى هو كالماء من المتدارك عظمة للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا فى الله فى جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكأنهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق ضعيفا النفس يقدر على صرف جميع الاوقات فى محض العبودية والعبثية فلو كان من القرن صوت التخصيص وحقيقة السؤال بجواب بانه لو يكن كذلك لكان فاعلا مختارا فقال لما لم يرد خلقك خلقا للاقرار وخلقك خلقا للانكار ولا اعتراض لاحد عليك فى ذلك فعل ما اراد وقوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة طائعة للحق متوجهة اليه لا يزالون مختلفين منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المخلصون بقوله الا من رحم ربك لذلك اى لطلب الله خلقهم بحكم لا يستعدا كان كمنه سبقت غضبه لكن وسع فى طريق الفضل وقوله وتمت كلمة ربك اى جرى العلم المقرون به وما ثبت به

الرابع

فوادر الذهن ضده والتشكيك ضدهم مفاتيح ابواب اللطف والقهر قفل للمتهورين بتومنون لطلب الحق وجدانا عملوا لطلب المقاصد من باب القهر انا عاملون في طلب الحق من باب اللطف وانتظروا سنابع اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض اصاغاب عنكم شيأ او وقع من لطفه في سموات القلوب من ثمرة في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل الاستعداد والشقاوة ومظاهر اللطف القهر فاعبده ايها الطالب للحق فاتك مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على الطلب فانك ان طلبته بك لم تجده ومهما رأيت بك فزل عنه الازل تعاملون الى الابد والله حسبي سورة يوسف عليه وقيل فيها بين بكة والمدينة الجحفة تهامية سبع او الاف وست ستون كلمها واثنى عشر او اربع وسبعون او ثمان وستون او اربع وسبعون آياتها احد عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ال يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا يا ابانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان يأكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا ابا هم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين

يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرأ ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر بغير هاء الحالين احد عشر كوكبا بالهمز ابن عباس والخزاز وساجدين بفتح الياء الاعشى الرحيم بخش بفتح الياء كان حفص المفضل الباقون بكسرها وزياد بالامالة على غير تهذيب وليث وقرأ ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرأ ابن يزيد وابو عمرو وغير شجاع ودرش من طريق الاصبهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير هاء ايذ للسائلين على التوحيد ابن كثير الاخوون ابانا على الجمع بحذف الكم بالادغام شجاع من طريق ابي غالب ابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد لا تامنا بغير اشمام ضم النون بن يزيد والحلواني عن قالون الاخوون بالاشمام الذئب وما بعده بغير همز ابو عمرو وغير شجاع واوقيد وبن يزيد والاعشى ودرش وخلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما بالجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما بالجزم ابن عامر وابو عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الحلواني وابي بعيد عن قنبل فانهما يرتعي بالكسر مع الياء بعده نرتع ويلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني يعقوب ودرش ليحزنني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ نافع ليحزنني ان بفتح الياء ايضا ولكن من باب لا تعال بل سولت بابدغامه حمزة وعلي وهشام يا بشرى بالامالة غير مضاف حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشرى بغير الف اذا اضاف فرعاصم غير حماد والخزاز الباقون يا بشرى بالاضافة الى الياء المتكلم الوقف لوقف المبين كوفي ابضا وغيلا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في اول القرآن قد والوصل اصح لان الواو والحال الغافلين ساجدين كيد طمبين واسحق حكيم للسائلين عصبة طمبين والعربية يوجب الوقف ان قبل ان الابتداء بحسن صالحين فاعلين لنا صحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابت الجب لاحتمال ان يكون جواب لما محذوفا والواو واو وجينا للاستيناف تعدية وهو فعلوا وامضوا عليه وان يكون الواو واو الحال والجواب وجينا ابوهم يبكون فاكله الذئب لابتداء النفي مع واو العطف صادقين كذب طامر جميل يتصفون تدلوا غلام بضاعة يعلمون معدودة يح لاحتمال الواو والحال لواهدين النفيرالي في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الايات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة اظهار امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم والتي بين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سألت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا كم انتقل اولاد يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف اقول مد لهذه التفاسير على ان ابان الشيء وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على كل وعلى بعضه وقوله قرآنا عربيا بمعنى الامر لانه المراد وصفه بالعربية لحجج الحجاب انزال القرآن وبكونه عربيا وايات على الامر محدث لان هذه من اوصاف الحدثان واجب بانه لا نزاع في حدث الالفاظ وانما النزاع في كلام النفسي وبمعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه لا يابس عليكم لانه يلقنكم قال المحجاب فيه دليل على ان المراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا التوحيد وامر بنبه واجيب بان الآية لا تدل الا على ان انزل هذه السورة واراءهم معجزة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على ان المراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل اللغة القصص اشتقاقه من قص

اثره اذا تبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلوا اى يتبع ما حفظ منه اياه بعد اية ثم ان كان القصص مصدرا بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لاضافته الى المصدر ويكون المفعول اى المقصوص محذوفا وهو الوحى لانه اوحينا اليه عليه ويكون هذا القرآن باعجاننا اياه اليك على هذا فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة فى كتب الاولين وفى كتب التواريخ ولم يبلغ شئ منها الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما اراد بالبناء والخبر المبنا والخبر فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لكن هذه الحكاية القصة ولا سيما فيما يرجع الى صالح حال المكلف فى الدارين درجة حسنها اشتمالها على الغرائب العجائب والنكت والعبر وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كان لا محالة لا برتوه كيد كائد ولا حسد حاسد هو يه ان اصحاب رسول الله صلعم قالوا يا رسول الله صلعم لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين عن هذه القصة وعن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوحى يشتمل على القصص فاذا قص وتلى فقد قص المقصوص او منصوب باضمار اذكر ويوسف لبس عبرانيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة وهو اسم عبرانى ومن ظن انه من اسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فيوجد فيه وزن الفعل انهم فقد اخطاء لان القراءة المشهورة تأباه ولن يكون الاسم عربيا نادرة واعجبا اخرى وهذا الخلاف روى فى يوسف ابيهم عن النبى صلعم ابن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف يعقوب اسحق بن ابرهيم قال النحويون التاء فى يا ابت عوض من ياء الاضافة وهى للتانيث لانها قد تقلب هاء فى الوقف ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر الكسر فيها لمناسبة الياء التى هى بدلها والفتح اما فتحة الياء فيمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا يا ابتا انى رايت هو من الرؤيا التى تختص بالمنام لا من الرؤية التى تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان فى اليقظة لكانت بمرأى عظيم ولم تخف على احد من قومه احد عشر لبكون لعين فلكرامة تعالى المتحركات فيما هو فى حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر لانه لا يلتقى ساكنان قال فى الكشاف روى جابر ان يهوديا جاء الى النبى صلعم فقال يا محمد اخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف فسكت رسول الله صلعم فنزل جبريل فاخبره بذلك فقال النبى صلعم لليهودى ان اخبرتك هل تسلم قال اجر يان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرع ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء ابتدعتها اشتهر عند اهل الهيئة فان صح الخبر فهى من العلوم التى تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرهما دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل ومكائيل وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سؤال كانه قيل له كيف رأيتهم فقال رأيتهم لى ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بخد ووضع الجبهة اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اوجبت لكواكب مجرى العقلاء فى عود الضمير اليها لان التجوز من شان العقلاء كقوله للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند الفلاسفة هم احياء ناطقة فلا حاجة الى التجوز عبر ابوه يوزوباه بان اخوته سيسجدون له وهم عشر وكذا ابواه وهما الشمس والقمر قبلها ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر توفيت قبل ذلك وعن وهب ليوسف اى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طولا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدارة الى حول القمر وهى الهالة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى قلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن اثنى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير الرؤيا والرؤية تظهر اثرها عن قريب كما لا يبقى المؤمن من الغم والحزن والرؤيا المجردة يبطى اثرها الى يوم القيامة او يوم تولد فيه كما ذا منصوب باضمار اذكروا باللتى والام فى لك لتاكيد الصلة مثل نصحت لك وقال فى الكشاف ضمن الكيد معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون ابلغ فى التحويف وقيل متعلق بالمتعدد الذى بعده ثم انه وصل هذه النصيحة شيئا من تعبير رؤياه فقال وكذلك اى مثل اجتبائك هذه الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته وخصص الحسن الاجتباء بالنبوة قال فى الكشاف ويعلمك كلام مبتدا غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك وتم نعمته عليك قولك لعل اباك فى حكم التشبيه لبس بضائر وفى تاويل الاحاديث الناس فيها رويتم فى منامكم صحى التعبير تاويلا لانه يؤل امر الى ما يراه فى المنام او يؤل امر راه فى المنام الى ذلك والاحاديث اسم جمع للحديث ولبس بجمع احدوثة لان احدوثة الناس ومنها انه ترتب بين مضاعف كتب الله وسنن الانبيا الا ترى الفسر والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها ان الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القديم سبحانه واما اتمام النعمة فى قسم الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدينوية والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن قسم ذلك بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة فكان اتمام النعمة عليه شبيه اتمامها على ابرهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما وبين اقرانهما لم يكن الا بالنبوة وقد يفسر اتمام النعمة على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفداء بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه ويكون وجه التشبيه انجاؤه من السجن والجب كانجائهما من النار والذبح والمراد بال يعقوب نسل قبل يعقوب علم ان يوسف واخوته انبيا استدلالا بضوء الكواكب اعترض بما فرط منهم فى حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقبل اتمام اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعم الاخرة وذلك

يوسف
مقصوص
مقصوص
ان القرآن
ان التمام المطلوب فى حق البشر ليس الا بالنبوة

انه جعلهم ملوكا وانبيا، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين، وإسحق عطف بيان لأبويك لأن اما الجد في حكم الأب إن ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر شريف قبل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور ليدل على خبر بها فكيف يخاف بها على يوسف حتى قال وأخاف أن يأكله الذئب والجواب لعل خوفه ذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان يأكله الذئب كيدا بهما ونوافي حفظ فان للوسايط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف أي قصته وحديثهم آيات للسائلين لمن سئل عن تلك القصة وعرفها او آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سئلوه من اليهود وغيرهم فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انهم يجدانه يصير على يفي قومه الى ان يظهره كما فضل يوسف وري ان اسامي اخوته يهوذا وروبيل وشمعون ولاوي ودربالون وتشخر وبنيامين وهؤلاء من بنيا زلفة خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من بريتين زلفة وبلهة فلما توفيت لياما تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار اذكر ليوسف لام الابتداء تحقيقي لمضمون الجملة لأبوه اخوه اي احبه واثروه عنوا بنيامين احب اذ كان افعل التفضيل مستعملا بمن لم يتصرف فيه نحن عصبة الواو والحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بهم اي تقوى بفضلهم في المحبة علينا وهما أبانا صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة تكفي مهماته ونقوم بمصالحه إن أبانا لفي ضلال مبين اراد واضلا لا اخاصا وهو البعد عن طريق الصلاح المعاش وحسن المعاشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب ليس لله فيه تكليف لعل يعقوب تفرس في يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد المحبة من جملة اقوالهم انهم قالوا لماذا تشاور والى امر اقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل سمعوه من ابيهم او دان ورضي به الباقون فجاءوا جميعا امرين والظاهر انه قال ذلك بعضهم بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم أو اطرحوه فكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح وبهما صدر امر من بعض القوم حتى استناد الفعل اليهم كقوله وإذ قتلتم نفسا وانتصب ارضا على الظرف كالظرف في المبهم اي ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه أبيكم يخلص محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه وتصوير الاقبال عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه ذاته او المراد بفراغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا مجزومة لانه معطوف على جواب الامر من بعده قتله او اطراحه او من بعد يوسف اذ القتل او غيب قوما صالحين تائبين الى الله او الى ابيه بعد ذلك تمهدون بها جتم عليه امر اصلاح دنياهم وانتظام امورهم وتفرغهم لمهماتهم بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فان ربح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من اولاد الانبياء والقوة في غيابت الجب سمي البئر به لانها تقطع قطعا او لبعد مهوى فيها شيء سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب عنك عين المناظر او اظلم من اسفلها ومن قرأ على الجمع فلان للجب اقطارا او نواحي يلتقطه بعض السيارة اي او تفه السابرة قال ابن عباس اي المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان لم يكن بد من فعل الامر هذا الامر بد فهذا هو الرأي ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر امارات ذلك على صحايف اعماله واقواله فلذلك قالوا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجدنا فيك بادرة سوء النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا يرتع ويلعب من قرأ بالجزم فعلى الاولغة كالامنة وهي الخصب والسعة ومن قرأ بالكسر فعلى حذف الياء من يرتع مستعارا من ارتعاء الابل الماشية واللعب ترك ما ينفع لما لا ينفع في قراءة بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرأ بالنون قال كان احبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لعبا لانه في صورته واللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر قال صحبها بروحها ليكرا نلاعبها وتلاعبك قال اني ليحزنني لام الابتداء للتأكيد او لتخصيص المضاف بالحال واخاف ان يأكله الذئب صلة الحزن وهذا قال بعضهم انه مشتق من تذاءبت الريح اذا اتت من كل وجه قيل كان ارضهم مذأبة فلذلك قال واخاف قيل رأى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف كان يحذره فلفهم العذر كما جاء في امثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله انا اذا لجواب للقسم ساد مسد جواب الشرط حلفوا له ان كان خائفا منه لما انهم رجال كفاة وحماة فهم اذا نحن خاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالحسنا او المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرانها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من حفظ الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه هو الذي كان يعظمهم فلم يعبؤا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثاني وههنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به وجمعوا عزمهم على ان يجعلوه في غيابت الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل الاردن وقيل بئر مصر مدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب الحمد وفا في الايذاء اضمار اذ كما تقدم في الوقوف قال السدي كان يوسف لما بلغ مع اخوته اظهر الله العداوة واخذ يؤنبهم ويضربهم وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا اباه لو علم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما عاهدتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما اردوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فمزقوها من يد فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى ينقدوك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فناداه ظنا انها رحمة ادركتها فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يأتيه بالطعام وروي ان عمه لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب وقريبا غير بعيد وباغا لنا غير مغلوب اجعل لك مما ترى فرجا ومخرجا وكما ان ابرهيم كان حين القي في النار جردوه عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه

اياه فدعا بهم الى مصر واسكنهم عنده كما اوحى الله تعالى اليه وقيل بعث يعقوب بخمسة عشر رجلا منهم الى مصر فجاء جبرئيل فاخرجهم والبسه اياه واوحينا اليه في صغر السن
كما اوحى الله تعالى الى عيسى وقيل كان ذلك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون انك يوسف
لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم لطول العهد المنسي المغير للهيئات والاشكال روي انهم حين دخلوا عليه ميزا بين قدومهم فعرفهم وهم منكرون
دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام ان كان لكم اخ من ابيكم وبقي له يوسف كان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به
الغيتموه وغيبتموه في قلته لانه اكل الذئب بعتموه وثمن بخس وبخوان يراد وهم لا يشعرون انا استتباه بالوحي واذلنا الوحشة عن قلبه فتعلق
الجملة بقوله واوحينا وروي ان امراة حاكمت الى شريح فمكث فقال له الشعبي ايها امير اما تراها تبكي قال قد جاءها اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما
ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية عن مقاتل انما جاؤا عشاء لئلا يظهر امارة الحجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب
فزع وقال مالكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم وابن يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او في الرمي وقيل نتصارع
وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لشدة محبتك ليوسف وفيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق
والثقة فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وجاؤا على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على الحال المتقدرة لان حال الجرد لا يتقدم عليه
بل لما كذبهم بتي كذب آخر دم هو الكذب بعينه مبالغة روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وروي ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح ما على صوته وقال ابن
القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص
يوسف ثلث آيات انه ليعقوب على كذبهم وابيضاض عينيه وجهه فارتد بصيرا وابنه على براءة يوسف حين قد من دبر ولما تبين يعقوب بالآيات
المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بل سولت لكم انفسكم امرا في شانه وهو تفعيل من السول الامنية قال
الازهري واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا بعد الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير لتعظيم
فصبر جميل لا بد من تقدير مبتدا او خبر اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله انما اشكو بثي و
حزني الى الله وقيل لا اعاتبكم على كابة وجهه بل اكون لكم كما كنت بحيث لا يسقط طاحبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعضا فبعضا فقيل له ما هذا
فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي فغفرها له وبين ان الصبر على ما وصفوه من هلاك
يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال والله المستعان على ما تصفون فالفريقان كقوله اياك نعبد واياك نستعين ويعلم من الآية ان الصبران كان
لاجل الرضا بقضاء الله تعالى والاستغراق في شهود نور الحق بحيث يمنعهم عن الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بان هذا
الصبر كان فيما اعانه الظالمين واهمال التخليص المظلوم من المحن والشدايد الى قوله فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يسامح في التفتيش والتنفير ولو
بالغ لظهر عليه الامر اشهر وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب لشدة اللهجة عليه ولعله ان بالغ في البحث اخذ واعلى قتله
او علم ان الله تعالى يخلص يوسف وسيعظم امره بالاخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان
الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال وجاءت سيارة عن ابن عباس قوم يسيرون من
مدين الى مصر بعد ثلثة ايام من الغاء يوسف في الجب فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة
وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فاوردوا دلوهم فادلى دلوه ليستقي الماء فتعلق يوسف بالدلو فلما رآه قال يا بشرى هذا غلام
القوم فادلى دلوه ارسلها في البئر قال الواحدي فاذا ان هنا اخرجها قبل ان يدلو قال يا بشرى التقدير فظهر يوسف فقال يا بشرى كانه نادى البشرى
ويقول تعالي فهذا اوانك وقيل قال الوارد بعضهم لبعض الكلام قال جمع من المفسرين حين راى يوسف متعلقا بالحبل وقال اخرون لما ادناه من اصحابه صاح بذلك
يبشرهم به وقال السدي كان للوارد صاحبان له يبشر فينادي يا بشرى كما بقي يا بزيد والاكثرون على انها اسم البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون منادى
مضافا مثل يا رجل وان يكون منكورا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا في جنس البشرى ومن قرا بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في واسروه
اما عائد الى الوارد واصحابه ان اخوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط او الى التجار ان قالوا اشتريناه وطمعوا في الاخفاء انهم كتموا من الرفقة
او قالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس انهم قالوا للرفقة هذا
غلام لنا قد ابق فاشتريه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول والى هذا يميل قوله بضاعة وهي نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة
واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى اعلم بما يعملون فيه وعيدا للوارد واصحابه حيث استبضعوا ما ليس لهم
او لاخوة يوسف ذلك ظاهر فيه ان كيد الاعداء لا يدفع شيئا مما علم الله من حال المرء والضمير في قوله وشروه اما ان يعود الى الوارد واصحابه اي باعوه
بثمن قليل لان المنفوط للشيء تهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب فيه قال اهل اللغة زهد فيه معناه رغب عنه وزهد عندهم معناه
رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوه او الى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فظاهر رغبتهم في يوسف ظاهر
والا لم يفعلوا به ما فعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك انهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلثة ايام
يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب واذا القافلة قد رحلت وقد اثاروا الرمال علموا ان القوم قد احتملوه فلحقوهم وقالوا لهم هذا عبدنا ابق منا فاشتروه منهم فلما علموا عرفوا

الجزء الثالث

انه ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخوة بثمن بخس اى مبخوس ونا قص عن القيمة او ناقص العيار وقال ابن عباس البخس ههنا الحرام لان ثمن الحر حرام وذلك انهم لا دنانير سعدودة قليلة بقدر عدد لا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهو الاربعون وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين اخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهوذا فانه لم يأخذ شيأ وروى ان اخوته انما عوهم بقولون استوثقوا منه لا يأبق والظاهر ان القميص لما فيه عاد الى يوسف فيحتمل ان يعود الى الثمن البخس اى اخذوا في ثمنه ما ليس برغب فيه قال النحويون تولد فيه ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلته وكما لا يتقدم بعض الصلة فكذا ما هو متعلق به فلا يقال مثلا وكانوا بدل امن الصادقين فهو يأتي كما تقدم قبل في اى شئ زهدوا فيه والله تعالى اعلم التأويل تلك آيات الكتاب الاشارة الحبوا الى المحب له هدايته الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها تقص القرآن مناسبته ومشابهته باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب لابيه يعقوب الروح اني رأيت احد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة اى المدركة والحافظة والمخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة والكل من هذه اضاءة اى ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا بان زواج يعقوب الروح وزوج النفس والتمس والقمر الروح والنفس رأيتهم لي ساجدين هذا مقام كاينة الانسان ان يصير القلب سلطانا بعد له الروح والنفس والحواس والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف يعلمك من تأويل الاحاديث العلم اللدني المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يجلى لك ويستوي الى القلب عرش جثتي الروح وعلى ال يعقوب اى متوالد الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل بهبم السر واسحق الخفي وبهما استحق القلب القبول فيض التجلي وهناك الله الطاف خفية لا يسع الانسان فهمها مقرب ولا نبي مرسل ابان للسائلين عن طريق الوصال الى الله ليوسف واخوته بنهما من الحسن المشترك فان له اختصاصا بالقلب احب الى ابينا منا لان القلب محل عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك عند ابن الكرسي للعرش اضافوا يوسف القلب ليكون هو المهيمن بسم المهيل الى الدنيا واطرحوه في ارض البشرية تجل لكم وجه ابيكم يقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للنعم الحيوانية والنفسانية قال قائل منهم هو يهوذا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب القوة وغيابة الجب الغالب في سفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية يرتع في ملاعب الدنيا واوائلها الحافظون من فتنة الدنيا وافاتها الذين اكلهم الذئب الشيطان اذا اذا الخاسرون ان خسران جميع اجزاء الانسان في هلاك القلب وبهما في سلامة القلب هم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد منهما القلب العلوي والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعدوا وان كانت للنفس شقوا وجاؤا اباهم عشاء اى في النصف الاخير من مدة العمر يشتغل بالتأويل وتركنا يوسف عندهما معطلا عن الاستعمال فاكله ذئب الشيطان وما انت بمؤمن لنا اى بقالب القلب بدم كذب هو اثار الملكات الرديئة زعموا انها ذئب فذهب الى القلب ذئب الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل فيما قضى الله وقدر والله المستعان على ما تصفون من رد القلب وموته وجاءت سيارة هي هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم وارد من واردات الحق فادلى دلوه جاذبة من جانب الروح فبشرى يا بشارة الى ان المجذوب بشارة في تعلقها بالقلب كما ان للقلب بشارة في خلاصه من حب الطبيعة كما قال نعيم هم ويحبونه والله اعلم بحكمة البشارتين وبما يعملون من شراء بثمن بخس هو الحظوظ الفانية في ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع الوزية العاجلة والله اعلم وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اكرمي مثواه اى منزله عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي انه لا يفلح الظالمون ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن او عذاب اليم قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها في ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ واتت كل واحد منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه وقطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والا تصرف عني كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الايات ليسجننه حتى حين القراءة هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسرها وفتح التاء ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والوزي عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلواني عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البزي عن هشام الباقون هيت بفتحتين وسكون الياء الخالصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلي وخلف في الحسن بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن

يوسف

كثير من قبل ومن بعد بالاختلاس عباس قد شغفها مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم
لاخوين بالضم للاتباع حاشا لله وما بعده في الحالين بالالف ابو عمرو ودنيا البتة بفتح السين على انه مصدر يعقوب بالتاء بالكسر الوقوف ولدا
في الارض بناء على ان الواو مقحمة والام متعلقة بمكنا او هي عطف على محذوف قبل اي ليتمكن ولنعلمه الا الاظهر انها تتعلق بمحذوف بعده اي ولنعلمه
من تاويل الاحاديث كان ذلك التمكن الاحاديث لا يعلمون وعلماء المحسنين هيت لك الظالمون همت به قد قبل بناء على ان قوله وهم جواب لولا
وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه واتما جاء بمحذوف وهو تحقق هامها به كذا قال التيمي وندري في اقول لو وقف للفرق بين المحسنين لم يبعد وهم
بها بهرهان ربه والفحشاء الخاصين لك الباب لهم عن نفسي لم يذكرا الا منه عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كما لا يظن عطف وشهد على اوتي او
على جملة هي واودتني من اهلها على تقدير وقال ان كان من الكاذبين الصادقين من كيد كن عظيم عن هذا سكت العدول عن مخاطب الى غيبة
لاحتمال التعليل الخاطبين عن نفسه لان قد لتحسين الابتداء مع اتحاد القائل حياط مبين عابدين بشراكم يم فتية فاستعصم لاحتمال القسم اضافة
الله للشرط مع الواو الجاهلين كيدهن العليم حين التعبير قد تبين الاخبار ان الاشراء اما من الاخوة او من الوارد بن ذهب الى مصر وباعه عشراء
العزيز وامه قطفير او اطفير لم يكن ملكا ولكنه كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من الوارد بن ذهب الى مصر
من العمالية وقد امن بيوسف ومات في حياته يوسف فملك بعده قابوس من مصعب ولم يؤمن بيوسف وهي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام
في منزله ثلث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم اناه الله الحكم والعلم ابن ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في
ايام فرعون موسى عاش اربعمائة سنة دليله قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ثم قيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاءكم
آباؤكم قبل اشتراء العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعلين وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فزادوا فيه ثمنا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنا حريرا
فاشتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعناكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة على انه عظم شانه يوسف كما بقي
سلام على المجلس العالي وقال في الكشاف المراد تعهده بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ويؤيد الرجل كيف بومثواه وام مثواه الرجل به من انسان رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بتبوا بان عنده والام في لامراته متعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بكفاية
بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد لولد او كان حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلثة العزيز حين قال لامراته اكرمي مثواه
فنظر في يوسف فاتفرس في المراة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر ورؤيا منه سنة يوسف عن نفسه فاخبر مناسبة
فيه فرفع ثم قال وكذلك اي كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكنا له في ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي و
لنعلمه قد مر في الوقوف تاويل متعلقه وفي اوايل السورة معنى تاويل الاحاديث المراد من الانبياء حكايا اعلاء شان يوسف الكمالات الحقيقية واصولها القدرة
واشار اليها بقوله مكنا والعلم واشار اليه بقوله ولنعلمه والرباني بناء فلان كان حبر القوم والحبر كما قال وايضا اليه لتنبئنهم وكان يرتقي في ذلك
الى ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق والارسال الى الخلق والله غالب على امره اي على امر غيره لا منازع له ولا مدافع او على امر يوسف
لم يكله الى غيره ولم يحوجه فيه ولكن الامر اراد الله ويدبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال
ولما بلغ اشده قيل في الاشد ثماني عشرة سنة وعشرين وثلث وثلثون واربعون الى ثلثين وستين اتيناه حكما وعلما فالحكم العلمية والعلم
الحكمة النظرية وانما قدمت العلمية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف اصحاب الافكار و
الانظار والاول هو طريق يوسف لانه تصبر على البلاء والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي حاكم على الخلق والعلم علم الدين و
قيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها فائضة نفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس و
التحقيق في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الالات الجسمانية واوان الصغر يكون الوطوبات مستولية عليها و
فيضعف تلك الالات فاذكر الانسان واستولت الحرارة العزيزية على البدن تنضج تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الالات صالحة لان
يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقايق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الالات البدنية وقوله اتيناه حكما
وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين فيه تنبيه على ان من كان محسنا
في عمله متفانيا في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته
ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم في كل ما يتصل الى الانسان من الفيوض والاثار فالانوار السابقة تبصر سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا
عن الحسن احسن عبادة ربه في شبيبته اناه الله الحكمة اكهلا ثم ان يوسف كان في غاية الحسن الجمال فلما شب ظهر فيه امارات العزيز وذلك قوله
وراودته والمراودة مفاعلة من الراد وهو الذهاب ذهب ضمنت معنى الخداع اي فعلت ما يفعل الخادع بصاحبه حتى نزله عن الشيء الذي هو به ويقال ان يخدعه
من يده وقد يختص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته عن نفسه لذا حاول كل منهما الوطي والجماع وانما قال التي هو في بيتها ولم
يقل لها تصدا الى ان مادة التفريع مع استهجان اسم المراة وغلقت الابواب لان التشديد يدل على التكثير لان غلق متعد كفتح
وفتح المفسرون رووا ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة في جميع القراءات اسم فعل بمعنى هلم الا عند من قراها هيت لك بفتح

مكسورة بعدها هاء ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك بمعنى هيت بالحركات الثلثة
فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بنيت بالام نحو هيت لك فهي صوت قائم مقام المصدر كأنه اي قال لك اقول هذا
واذا لم يبن باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اتاخبرك وامامعنى قبل وقد روى لواحد باسناده
عن ابن زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتا لج اي تعال عربه القرآن وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانباري
هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في السجيل ولغة العرب والترك في الغساق ولغة
العرب والحبشة في ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف عليه السلام بقوله معاذ الله قال معاذ الله وهو من المصادر التي لا يجوز
اظهار فعلها اي اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى ان حق الله تعالى الشانئ والضمير للشان ربي اي سيدي ومالكي بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف
كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع او المراد الرب هنا اي الذي بالي احسن مثواي حين قال اكرمي مثواه وفي هذا اشارة الى ان حق الخلق
ايضا يمنع عن ذلك الفعل وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه سبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيئ واراد الذين
يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الى المذلة بل العقل فان صون النفس عن الضرر واجب في هذه اللذة قليلة يتبعها الخزي في الدنيا وعذاب في
الاخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن تسوق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا شك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العمل
العلماء اختلفوا في انه هم غير من المفسرين الظاهر بين ان ذلك الهم بلغ حد المخاطرة فقال ابو جعفر الباقر عليه السلام سئل عن علي بن ابي طالب انه هم
بطعنه فيه وانه طعم فيها حتى هم ان يحل التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان اي السراويل وجلس منها مجلس الجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد بين
شعبها الاربع وروي ان يوسف عليه السلام قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين همت بها يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ
نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال اخرون ان الهم ما كانت الا مهلة النفس لم يخرج شئ منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية
العقل والحكمة تجاذبه فاما الاولون فقد فسروا برهان ربه بان المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في داره من ذهب والبيت فستر بالاثواب
فقال يوسف لم فعلت ذلك فقالت استحي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال يوسف تستحي من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحي من الحي القائم على كل نفس بما
كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا اياه على اصابعه عاتلا انامل عن الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء والى هذا ذهب
عكرمة ومجاهد والحسن قتادة والضحاك ومقاتل وابن جريج وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضربه في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح
يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى تعلا ريش له وقيل بدت كف فلم يتصرف فيها بنهاية الهيبة لما عضد لا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم يتصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم يدنه ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
فلم يجبه فقال الله تعالى لجبرئيل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فالخط جبرئيل وهو يقول يا يوسف افعل فعل الشهداء وانت مكتوب في زمرة الانبياء
وقيل راى ثمثال العزيز واما الاخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب لواحد غير بعيد وكذا
تزاحم الزواجر فهو كان ممتنعا عن ذلك الفعل بحسب النظر في برهان الله الماخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس
القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان ارتجاع الزنادة اشطرهم اذ
لم يلقح بنبي الله مما ذكروا الباقي عنه عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي عن امضاء العزم قالوا
والهم يتعلق بالمعاني فامتنع تصور ان اهم قد هم بخاطرها ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له ان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رآه قد من دبر علم ان يوسف اشتغل بان يدفعها امكن ان يمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك لما هم بدفعها
وفي قولهم بها فائدة اخرى هي ان ترك المخاطبة بها ما كان لعدم رغبته في نفسها وعزوب قدرته عليها بل لاجل ان دلائل دين الله منعه عن ذلك العمل
وكيف يظن بيوسف معصية والله قد اثنى عليه بقوله هو من عبادنا المخلصين وقد اثنى على المرأة بقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والمرأة اعترفت بذلك حين
قالت الئن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وقالت الآن تحقق الحق وزوج المرأة صدقه فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من
اهلها كما يجئ وشهد له الله تعالى فقال كذلك اي مثل ذلك التثبيت نثبته الا وامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء حتى نزه السيد والتحنث الزنا
والسوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا فاللام للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد في
التاكيد فوصفه بالمخلصين اي هو من جملة من اتصف بطاعاته بصفة الاخلاص او من جملة من اخلصه الله تعالى بنا على قراءة فتح اللام وكسرها
يحتمل ان يكون من الاستبداد لا للتبعيض اي هو ناش منهم لانه من ذرية ابرهيم فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف عليه السلام وتبرئته من الذنب
ولو كان قد حدث منه زلة لتعيب عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في ادم وذي النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم
بحقائق الامور وقوله واستبقا الباب اي تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا
وانما وحد الباب لانه اراد الذي لا جميع الابواب التي علقها وروي كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها لدى صادفا بعلها وهو قطفير وانما لم يقل سيدها لانه

يوسف

بوا مها خوفا ان

لان حالك يوسف لم يكن مالكا لي الحقيقة وروى انه اغاه مقبلا بريدان يدخل وقبل جالسا مع ابن عم المراة ثم اذا كان للسائل ان يسئل فما قالت المراة فذلك فضل قالت جزاء من اراد بامرك سوءا ان يسجن او يعذب عذابا اليما وانما جزاؤه الا ان يسجن او العذاب الاليم بالضرب والتعذيب جمعت بين غرضين تنزيها لساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفا طمعا في ان يهوانها طوعا ثم انها لجهلها بوسف ولعدو قائل الجنة قدمت السجن لانه اتم لعذابه لكن لما يريد الحبوب ما امكن وايضا لم يصرح بذكر يوسف واقتراده بها سوء ابل قصدت العموم ليندرج يوسف ضمنه وفي قولها الا ان يسجن اشعار وبيان لذلك السجن غير انه بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين فيه اشعار بالتباعد تعالى يوسف هي راودتني عن نفسي وانا صرح بذلك اعراضا عن ذكر السجن والعذاب فوجب عليها لتدرء عن نفسها ولا دليل لكم عليها قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمهور المفسرين الشاهد ابن عم المراة وكان رجلا حكيما اتفق ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا انا لا ندري ايهما فلما رآه صادقا فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب ان كان من خلف فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص ورأوا الشق من خلف قال ابن عمها انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد جبير والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا في المهد وقد روي عن النبي ﷺ انه تكلم اربعة وهو صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليهم السلام وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلف ضعف بان القميص لا يوصف بالشهادة ولا يكون من اهلها واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصدها بالمراودة وهي قد غضبت عليه ففرت خلفه فمزقت قميصه من دبر وتعصبه بضرب جميعا واجيب بانه هناك امارات اخر تبين انها يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال كنتن المراة فوق المعتاد وما شوهد من احوال يوسف في مدة اقامته عندهم واعترض على القول الثاني بان شهادة الصبي امر خارق للعادة فيكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولا لكونه من اهلها فائدة وايضا لفظ لا يقع في العرف الا على من تقدم معرفته بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق في الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب من اقامة الحجة عليها والزامها والشاهد ههنا صار وجه حسنة انه اتى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال في الكشاف الكيد في قبل وفي دبر معناه من حيث يقال لها قبل كذا وجهة حسنة انه اتى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال في الكشاف الكيد في قبل ود

الجزء الثالث

الخضوع والانحناء والاجلال في الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك قد تعالجهنه وارتضت في حاومين في قطع ايديهن اذ
جرحنها بان لم يعرفن الفاكهة من الايدي بان لبهرتهن الجاذب الحاد من المنكهن وبين مقابلة فوضع الطرف الحاد في ايديهن وكفهن وحصل الاعتماد على
ذلك الطرف فجرح الكف هذا القول شديد البلاهة لفوطن حاش لله اي تنزهه عما يشينه من خصلة ذميمة ان هذا الا ملك كريم في التنزه والعفة
الطهارة واما قول ذليخا فلكن الذي المتحن فيه فانما يطعن على هذا التاويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة يوجب حصول اليأس من الوصال
وحصول الغرض المجازي وذلك يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات البشر والتعجب من قدرته على خلق جمال مثله كما ان
قولهن حاش لله ما علمنا عليه من سوء من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله
واللهين من زيادتهم وهو في الحالي وضع موضع التغيير والبراءة وقال ابو البقاء الجمهور على انه هيهنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر يعود
الالف من اخره فالتخفيف كثرة دون الا لسنة تقدم وحاشى يوسف اي بعد عن المعصية لخشية الله وصاني حاشيته اي ناحيته ما هذا بشرا
اعمال ما عمل ليس له لغة حجازية هذا اي ما هذا التخصص الا ملك كريم استدل بعضهم بالاية على افضلية الملك كما مر في اول سورة البقرة فالجواب
انما قلن ذلك لما رأين في العقول ان لا احسن صورة الملك كما ركب فيهن لا اقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان و
صورة الملك واجيب بعد التسليم بتغير المدعى وهو ان اردن المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب وزيف بان قول النسا لا يصلح
للحجة وفيه ان الاية دالة على الحسن بالجملة لتحيرهن بنظرة واحدة مالم يطلعهن الا بعد مدة طويلة انظار كثيرة فلذلك قلن فذلكن الذي لمتنني فيه سئل
فيهن ان يوسف كان حاضرا فلم اشارت بعبارة البعد اجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافهن من المجلس وهذا شيء تعلق بالنقل
واما عملا فلانهم انما فهموا الامر على ان يوسف حاضر واجابوا بانها لم تقل هذا دفعا للمنزلة في الحسن استحقاق ان يجب بفتنن به واستبعاد الحملة او
هو اشارة الى المعنى يقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني كانها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتي في النفوس ثم المتنني فيه
يعني انكن لم تصورنه قبل ذلك حق التصوير والا عذرتنني في الافتتان به لما اظهرت عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت
لقد راودته عن نفسه فاستعصم قال السدي اي بعد حمل السراويل والذين ثبتوا عصمة الانبياء قالوا ان استعصم بنا مبالغة بدل على
الامتناع البليغ والصور الشديد كانه في عصمة وهو يجهد في الاستزادة منها وفيه شهادة من المراة على ان يوسف ما صدر عنه امر بخلاف الشرع
والعقل اصلا ولئن لم يفعل ما امره قال في الكشاف معناه الذي امر به فحذف الجار كما في امرتك الخير وما مصدرية والضمير ليوسف اي امري
اياه اي بوجوب امري ومقتضاه ولتكونن من الصاغرين هي نون التاكيد الخفيفة ولهذا يكتب بالالف الصغار الذل والهوان ومعلوم ان لان الوقف عليها
التوعد بالصاغرة تاثير عظيم في حق من كان رفيع النفس جليل القدر مثل يوسف ثم انه جمع على يوسف في هذه الحالة انواعا من المحن والغبن منها ان ذلها كان بالالف
في غاية الحسن ومنها انها كانت ذات مال وثروة ولو قدر ان تبذل كل ذلك ليوسف على تقدير ان يساعدها ومنها ان النسوة اجتمعن عليه مرة بعد اخرى
محرضات ومنها انها كانت ذات قدر ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله ولا يبعد ان نطاق عصمة البشر يضيق من بعض هذه الاسباب فضلا
عن كلها وعن ازيد منها وبهذا التجا يوسف الى الله تعالى قائلا رب السجن احب الي مما تدعونني اليه لان السجن وان كان مشتملا على انواع من البلوى والذي يدعونه
اليه وان كان لذة الا عاجلة مستعقبة للحزن الدنيا وعذاب الاخرة والاول اهون فيختار عند تعارض الخيرين ويرتكب ادنى الضررين ويرتكب الالطاف والعصمة
اصعب لهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو الى دعواها وكن من الجاهلين الذين لا يعلمون ولا يكون في علمهم فائدة او من
السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح لما كان يحوله والا نصراف محض الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه فاستجاب له ربه ثم ان المراة اخذت في الاعتذار
وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول لهم اني راودته عن نفسي وانا لا اقدر على اظهاره هذا من رؤي فاما ان اؤدبه
فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله
تعالى ثم بدا لهم اي ظهر لهم للعزيز ومن يجانسه وله وعبده والجمع على اعتبار تعظيم الاشراف من بعد ما راوا الايات الدالة على براءة يوسف من شهادة
الصبي واعتراف المراة وشهادة النسوة له بالتنزه والملكية والعقد وفاعل بدا مضمر يعود الى ظهم او راى احد بعضهم واما حذف
وهو لا يحسن الا في مواضع مخصوصة والقسم محذوف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس الى زمان انقطاع الغالد وما شاع في المدينة وعن الحسن
غير سبع سنين وعن مقاتل اثنتي عشرة سنة التاويل لما اخبروا يوسف الغلب من حب الطبيعة وهو ابراز ما في مصر الى
مصرها وهو الدليل المرشد على جادة الطريقة لوصول الى عالم الحقيقة فقال لامراته وهي الذيخا اكرمي مثواه اجعلي مقامه بقدر
عسى ان ينفعنا حتى يكون صاحب الشريعة فتصرف في الدنيا باكمل انواعه فيصير النبوة الشريعة حقيقة والدنيا اخرا او
بلبنان ان قدر الشريعة والطريقة الى ان يرد الغلام اما عن الدنيا الدنية وكذلك هكذا ابتلى الله تمكين يوسف الغلب
نعلم العلم اللدني لان المراة انما تظهر على الشجرة اذا كان اصل الشجرة راسخا في الارض عال على امر الغلب في توجيهها الى عبادة الله
بحذبات العناية وافاضة على الصراط المستقيم فتكون تصرفاته لله وبالله وفي الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم خلقوا
وكذلك نجزي المحسنين اي كما افضنا على الغلام ما هو مستحق من الحكم والعلم كذلك نجزي الاعضاء الرئيسة والجوارح الد

الثاني

على قاعدة الشريعة والطريقة خير الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وزاد ذكر فيها اشارة الى ان يوسف القلب كان استغرق في بحر صفات الالوهية
لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو وهي بينهما اي في الجسد الدنياوي وغلقت ابواب وكان الشريعة وقالت هيت لك اقبل الي واعرض عن
الحق قال اي القلب لفتاي عن نفسه لبابا في بقاء مرتبة معاذ الله تعالى اسواه احسن مثواي في عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا
ويعرضون عن المولى وهم يعلمون فوق الحاجة الضرورية لولا ان راى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة التي من مناهج نظر العناية لتصرف عنه السوء
الحرص على الدنيا والفحشاء بصرف حب الدنيا فيه انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازي ووصلوا الى الوجود الحقيقي واستبقا
باب الموت الاختياري وقدت قميصه من دبر بيد شهوانها فالفيا سيدها وهو صاحبا ولابنة عمها يوسف القلب زوج
زليخا الدنيا لانه يتصرف في الدنيا كما ينبغي فيجب الوجب في المراة وشهد شاهد من اهلها هو حاكم العقل العزيز دون العقل الجزئي الذي هو ابن عم
الدنيا واهلها في شيء فبين حاكم العقل ان تصرف زليخا الدنيا لا يتصل الى يوسف القلب لا بواسطة قيس شريعة ان كيدكن عظيم وهو قطع
طريق الوصول الى الله العظيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا فان ذكر الدنيا يورث مجتها وحب الدنيا كل خطيئة وقال نسوة هي الصفات
البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية في مدينة الجسد تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء ادنياه اخذ من خدمتي و
اعتدت لهن متكأ الطعم مناسبة لكل منها واتت كل واحدة منهن سكينا الذكر وقال اخرج عليهن اشارة الى غلبات احوال القلب على الصفات
البشرية وقطعن ايديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم اي ظهر لهم في القلب بلسان الشريعة وهو شيخ الطريقة ومن يراعي صلاح حال القلب من
بعد ما راوا اثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه في سجن الحس حتى قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد ربك حتى
ياتيك اليقين واذا كان النبي مع نهاية كماله مامورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف لمن دونه وادخل معه السجن فتيان قال
احدهما اني اراني اعصر خمرا وقال الاخر اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه نبئنا بتاويله انا نراك من المحسنين قال
لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم
كافرون واتبعت ملة اباءي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس و
لكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها
انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون
يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الاخر فيصلب فتاكل الطير من راسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي
ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني اراني سبع بقرات سمان
ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات يا ايها الملا افتوني في رءياي ان كنتم للرءيا تعبرون قالوا اضغاث
احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف ايها
الصديق افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال
تزرعون سبع سنين دابا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم
لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال
ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش
لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرات العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم القراءة ان اراني اعصر بالفتح
ابو جعفر ونافع وابو عمرو وقالون بن كثير في اراني كليهما الباقون بسكون ياء المتكلم في الكل تغير همزة او قبيه والاعشى وحمزة في الوقف ورقا نحو مختلسة الحكمي
عن قالون بنا كما مثل انشانا ربي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو اباي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر اراني ارى بالفتح ابو جعفر ونا
وابو عمرو وذويا بالامالة على غير قتيبة ابو عمرو بالامالة اللطيفة والفول في نوك الطير مثل ما تقدم للورش بامالة على وابو عمرو بالامالة اللطيفة لعلي
ارجع بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وابو عمرو وطا بفتح الطير حفص الاخوين بالتسكون يعصرون بناء الخطاب
حمزة وعلي وخلف المفضل الباقون على الغيبة ما بال للنسوة بضم النون التشموني والبرجمي رحم ربي بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف
فتيان ط حمزة فصلا بين الفصلين مع اتفاق الجملتين الطبرمتة للعدول عن قول احدهما الى قولهما الضمير نفا لاحتمال ابتنا نهاء بله لاحتمال التعليل بحسب
ان يا تيكما ط ربي كافرون ط يعقوب ط من شيء ط لا يشكرون القهار ط من سلطان ط الا لله ط الا اياه ط لا يعلمون خمرا ه فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين
اسمية لان قوله قضي جواب لهما كذبا وما ادنا هو با استفتيا ط لاستيفا نهما حكما نهو اخر عند ربك سنين ط باسباط تعبرون احلام للنفي مع
العطف بعالمين فارسلون ط باسباط لتعلق اعلى تعلمون دابا للشرط مع الفاء تاكلون تحصنون تعصرون انثوني بناء يد لهن ما علمن عن نفسه ط من سوء
الحق لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد القائل الصادقين الخائنين الجزء الثالث عشر نفسي لامارة الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم التغيير تقدير الكلام

فحبسوه ودخل معه اى صاحباه فى الدخول السجن فتيان غلمان للملك الاكبر خبازه وشرابيه نفلا عن ائمة التفسير واستدلا لابرؤياهما المناسبة لحرفتهما ورفع الى الملك انهما اراد سمه فى الطعام والشراب فامر بادخالهما السجن ساعة ادخل يوسف قال احدهما اى الذى كان خبازه فى المنام لقوله نبئنا بتاويله وهو حكاية حال ماضية اعصى عمر الى عنبا تسمية للشئ باسم ما يؤول اليه وقيل الخمر بلغة عنان اسم العنب لتصريحه فى قوله تاويله بعود لان الضمائر عليه وقد يوضع عليه الضمير موضع الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نراك من المحسنين عبارة الرؤيا وكان اهل السجن يقصدون عليه سؤالهم فيؤولها لهم او نراك من العلماء عرفا ذلك بالقرائن او من المحسنين الى طاعة الله وطلب مرضاته فرج عنا الغم بتاويل ما اراه ان كانت لك به دراية فى تاويل الرؤيا وعن قتادة وكان السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا توجروا ففعلوا ما احسن وجهك وما احسن خلقك فمن انت فقال انا يوسف صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن ممن شئت اى بيوت السجن شئت وعن الشعبى ومجاهد انهما لحا كاله لحنا ه فقال الشرابى انى فى بستان فاذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخبازى انى فوق رأسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا بأس بتاويلهما طعام الى اخره هذا الكلام ليس بجواب لهما ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبيرين لما كان هو الصلب كان فى سماعه كراهة ونفرة اراد ان يقدم قبل ذلك ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة او اراد ان يبين علو مرتبته فى العلم وانه ليس من المعبرين الذين يعبرون عن ظن وتخمين وقد قال السدى اراد لا يأتيكما طعام ترزقانه فى النوم بهيئة كذا الا نبأتكما بتاويله قبل ان يأتيكما وقبل ان تحمل على الفطرة وانه على الاول اخبر عن معرفة الغيب كقول عيسى وانبئكم بما تاكلون اى اخبركما قبل ان يأتيكما اتراى طعام هو واى لون هو ولى لعمر هو كيف يكون عاقبته اهو ضار ام نافع وان فيه سما ام لا فقد روى ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما وارسله اليه ثم قال ذلكما اى هذا التاويل والانباء بالمغيبات من قبيل الوحى والالهام لا من الكهنة والتنجيم التى كثر فيهما وقوع الخطاء ثم تبرأ منه وعلله مشيرا فيها الى انه رسول من عند الله وتنبيها على ان الاشتغال بمصالح الدنيا حتى ان الرجل الذى يصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون وانما قال ذلك لان الكافر لا يتصور ان يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفا منهم لانه كان يخالطهم ويتاكرون بالظلم عليهم تنبيها على انهم مخصوصون من بين الزمان بانكار المعاد وتعريضا بانه اهلك التجر بعد معاينة الايات الشاهدة على وحدانيته لا يصد الاعمى بكر الجزاء اشد انكارا واحرى بانباع ملة ابائه الانباع فى الاصول التى لا يتبدل بها التجر ومعنى التكرير فى قوله من شئ اى شئ كان على كل طائفة خالفة الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى الناس لانه نصب الادلة وازاح العلة وبعث الرسل وانزل الكتب ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمة الايمان او نعمة اعطاء القدرة والاختيار الايمان فلا ينظرون فى ادلته الا نادرا وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا يا صاحبى السجن اراد بهما صاحبى السجن كقوله يا رفقة الليلة خصهما بهذا النداء لانهما دخلا السجن معه واراد بهما كونهما فى السجن كقولهم اصحاب النار وقيل انما استعبداه من بين الناس كلهن ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ارباب متفرقون فى العدد وفى الجهة وفيما بينهما من اختلاف الاغراض والاغاض خير ام الله الواحد القهار لان وحدته المعبود يستدعى توحيد المطلب تفريد القصد وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من رحمه يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب صالح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصلح حضيض الامكان فى غير فلك الالهية ثم قال ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها اى تسمية لا الهية بتلك الاسماء انتم واباؤكم والخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر كما لا يعبدون الا اسماء فارغة عن المسميات اما انزل الله بها اى بتسميتها من سلطان اى حجة ثم لما نفى معبودية الغير بيان لا حكم فى امر الدين والعبادة الا لله فى الحكم فان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مبنى المبادى والمعاد الحقيقى فيتخذون غيره معبودا ويجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال نعلا وقد تم ما اردت عرضه من امر التاويل كان لهما ان تصدقنا او كذبنا وقيل عكسا رؤياهما فلما علم الخبيث ان تاويل رؤياه شر ذكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذى حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه وهو من هنا فان الحكم ينبغى ان لا يتصور الرؤيا الا بتعبير عن وجهها فان القائل على ما جوى قال يوسف للذى ظن انه ناج منهما ان كرمى عند ربك اى اذكرنى عند الملك انى مظلوم من حيث اخوتى اخوتنى وباعونى ثم انى مظلوم من جهة النسوة اللاتى حبسنى لقصر ظن ان كان للرجل الناجى فقال شكالا لانهما كانا مومنين بنبوة يوسف بل كانا حسنى الاعتقاد فيه وكان قوله ليفتح حتما الا بعد الظن طن عاد الى يوسف فمر عليه انه كان قاطعا بخلاف ما ظنه فالمعنى للظن واجب بانه اتمام كرامة لله تعالى ليوسف بناء على الاصول المقررة فى دلائل العلم فكان كالمسائل الاجتهادية لا يصح انه قضى بذلك على سبيل القطع لقوله فلكما ما سالتما كلا طعام الى قوله ذلكما مما علمنى ربى فالظن على هذا بمعنى العلم فمن كقولهم الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ما القصة فى قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال انه يعود الى الرجل الناجى اى انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة لاجل انه فاعل او مفعول او المضاف

محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار وتبر واسنا الانسا الى الشيطان مجازا لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك والا لازال معرفة الله من قلوب بني آدم وانما فعله الله الوسوسة واخطار الهواجس النفسانية ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب هو الله تعالى اى الشيطان انسى يوسف ان يذكر الله تعالى وعلى القولين عوتب بالبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلثة الى العشرة لانه القطع من العدد والبضع القطع ومثله القضب لكن قولان على ان المراد به الا بضع سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب فرج فلما تضرع الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين وعن ابن جريج رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن بضعا وعن مالك انه لما قال له اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف قال طول البلاء انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة بغير الله في دفع الظلم جائز فقد روي ان النبي صلعم لم ير باحه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب بحرسه حتى جاء سعد الله وقاص فنام وقال تعالى حاكيا عن عليه السلام من انصاري الى الله وكلا الخلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق والا ان يوسف عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه منها انه لم يفتقد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فلقيه جبريل في الهواء وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا مع انه تبع ملة ابائه ومنها انه قال ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني عند ربك لا ينافض هذا الكلام ومنها انه قال عند ربك وحاشا الله ان يزعم انه رب يعني الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم ومنها انه لا يقترن بكلام انشاء الله وقد ادنا فرج يوسف الله في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي ينذر بنوع من انواع الشر الا انه لم يعرف تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة لا سيما اذا كان صاحبه ذا قدرة ومكنه من هذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة والمعبرين وقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاعجز الله اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماهم عليهم حتى قالوا انها اضغاث احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتأويلها واعلم ان الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك وملاقاة اللوح المحفوظ الا ان الموانع طارئة عرضية لكن اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفي وقت النوم يقل ذلك الشواغل فتقوى النفس على ذلك المطالعة فاذا وقعت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت في الخيال كما شوهدت يحتاج الى التأويل وان نزلت الى ما هو مخصوص به سبب لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال هناك ينتقل الى المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المخيلات الى الحقايق الروحانية ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا يضبط تخيلها وتركيبها التشويش وقع في تركيبها وتاليفها فهو المستعاذ بالله من الاضغاث وبالجملة الاضغاث ما يكون مبدأ لها التشويش القوة المخيلة فانها تارة تقع في القوى البدنية اولورود امر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها غير منتزعة عن تأويلها والمشتغل بنفي الاحلام هناك ينتقل الى المعبر ثم منها ما هي منت

النبي في المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه تعرف احواله من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديمها بقصد المدح لعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها الان التغيير مخالف لعبارات وقوله لعلي ارجع فيه نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعبر الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعبر فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التي لا تحصى كثرة وكذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيحصلوا او يعلموا فتوانف فيكون فيه نوع شك لانه تراءى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعلهم اعادة لفواصل الآي والاكان مقتضى السوق ان يعود الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعلمون فوقها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين دأبا هو خبر في معنى الامر ليفيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه في معنى الامر قوله فذروه في سنبله والقول بمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلزم نزول الامطار عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت دأبا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر دأب في العمل اذا استمر عليه واتصابه على الحال اي تزرعون ذوي دأب وعلى المصدر وكذا الحال فعل امر دابوا تدابون دابا وامرهم بان يتركوه في السنابل الا القدر الذي ياكلونه في الحال لئلا يقع فيه السوس ثم ياتي من بعد ذلك فيه اشارة الى ان تزرعون اخبار الا امر سبع سنين شداد يأكل الناس فيها ما كان خافقا متطحنا من الاستاس الجازي لان الاكلين اهل تلك السنين لا السنوات الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبأون والاحصان جعل الشيء في الحصن كالاحراز جعل الشيء في الحرز اخبر انه ياتي من بعد تلك السنين عام فيه غيث للناس ومن الغوث او من الغيث بتوفيه الله اذا مطرت وفيه يعصرون العنب والزيتون والسمسم قيل يحلبون الضروع فاول البقرات السمان والسنبلات الخضر يسنين مخاصيب الجحاف للباب الباب بالسنين ثم بشرهم بالبركة في العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحي عن قتادة زاده الله اعلما سنة وقيل عرف استدلالا لانه لم يسبق انها الجدب الا الخصب الجواب انه لا يلزم من انتهاء الجدب الخصب الخبر الكثير فقد يكون توسط الحال وايضا قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحي ولما رجع الشراب الى الملك وعرض عليه الخبر استحسنه قال اتون به فجعل الله سبحانه علم عبد الخلاصة من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب للخلاص من الحزن لا الحزن ايضا فلما جاءه الرسول وهو الشراب فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ما شانهن وما حالهن ان ربي اي الله العالم بخفيات الامور والعزيز الذي يتاوه بكيدهن علي اي الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله ليغيظوه او استشهد بعلم الله على المفترى كذبا واراد الوعيد اي هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه وقولها فعنسه تمتنع تراود تفيج صوته عند العزيز حتى يرضى بحبسه ومن لطايف لايته انه اراد ان يسئل الملك ان يسئل ما بالهن الا انه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يبعث على البحث والتفتيش ومنها انه اراد ان يستدل بسؤاله ذكر النسوة على التهمة ومع ذلك اراد ان يبرهن ايضا فوصفهن بتقطيع الايدي فقط لا بالتزعيب في الحيا انه عن النبي صلعم لقد عجبت من يوسف وكرمه والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه لاخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب لما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة قال العلماء ان الذي علم يوسف هو الذي علم الانبياء بالحزم والعقل لا ترى ان لو خرج في الحال فربما بقي في قلب الملك من ذلك التهمة اثر ولعل الحساد يتسلقون بذلك الى القدح امره عنده وفي هذا التأني والتثبت تلاف لما صدر منه في قوله للشراب اذكرني عند ربك قال الملك بعد احضار النسوة ما خطبكن ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه مثل ما ليكن والى زليخا قلن الخ لزليخا والجمع للتعظيم وقيل جاء خاطبهن جميعا لان كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امراة العزيز فان خائن تبعيضية تعجبا من عفته وتواضعه قلن امراة العزيز بحسن عرفت ان لا بد من الاعتراف الان ليخلص الحق ويخرج وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج اشتقاقه من الحصة اي بانت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الايتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية قول يوسف قال الفراء ولا يجعد ان يصل كلام انسان بكلام انسان اخر اذا دل القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة بقوله ذلك لاجل التعظيم والمراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت في اظهار البراءة وعن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك والاظهر انه قال ذلك في السجن عند عود الرسول اليه ومحل ما الغيب نصب على الحال من الفاعل اي وانا غايب عنه او من المفعول اي وهو غايب عني او على الظرف اي بمكان الغيب هو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه كلمة وقعت في تحقق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اراد خان وزير فقد خان الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم الله لان المعصية خيانة والمراد ليعلم الملك انه لم اخن العزيز او ليعلم العزيز انه لم اخنه وليعلم ان الله لا يهدي كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامراته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه فكانه خان حكم الله وفيه تاكيد لما مانه واتركوا خانا سالم بعد تاكيده ولا يخفى ان هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من امراة دليل على تزاهة يوسف عن كل سوء قال اهل التحقيق انما راجع حرف سيدنا في قوله ما بال النسوة اللاتي دون ان يقول ما بال زليخا اراد ان يكافيه على هذا الفعل الحسن فاليوم ازالت العطاء واعترفت بان الذنب كله منها فنظر ما يحكي ان امراة جاءت بزوجها الى القاضي وادعت عليه الجب فامر القاضي بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فان مقر بصدقها فيما تدعي فقالت المراة لما

اكرمني الى هذا الحد فاشهد والى ابرات ذمته من كل حق لي عليه ولما كان قول يوسف ذلك ليعلم جلية الامر ليزكية النفس على الاطلاق او في هذه الواقعة وقد قال نعم فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء هذا الجنس لامارة بالسوء مبالغة الى المبالغة لغلبة المعاصي وفيه ان تزكي ذلك الجناب ما كان حظ النفس شرها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه الامارحم ربي بالعصمة كالملائكة او المراد انها امارة بالسوء في كل وقت او ان الا ما رحمه ربي استثناء منقطع اي لكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة القول الثاني انه حكاية قول المرأة لا يوسف كما كان حاضرا في ذلك المجلس المعنى وان كنت احملت عليها لتزيني عند حضوره ولكني ما احملته على فيه بشيء حين كان في السجن وان الله لا يهدي فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر فلا يوم ظهر الله سره وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قلت طوعا من اراد باهلك سوءا او حين اردت عند السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كيف يوسف ان ربي لغفور رحيم استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شيء واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى العالم السفلي والى الشهوة والغضب سميت امارة وهذا في اغلب احوالها لانها الى العالم الحسي وقرارها فيه فالهموم اذا خلت وطباعها اتحدت بالى هذه الحالة فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت تجذبه تترقى الى العالم العلوي وترقي الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي الناطقة العلوية والنفس الامارة مطبعة لها لكنها محمولة على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وممتنكة لاشاعرة بقوله الا ما رحم ظاهر لانه دل على ان صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحملت المعتزلة على منع الاطلاق والله اعلم بالحقائق التاويل لما ادخل يوسف الغلب سجن الشريعة دخل عليه ملكان ملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عمل الى السفل البدني هو الامر شرب النفس فهي صاحب شرابه والبدن يحتج من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما ان الجسم لا يبقى الا بغذاء جسماني واما حبسان في سجن الشريعة لانهما متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح طعامه وزوره اهما دلالة على انهما من الدنيا واهل الدنيا هم الذين اذا انتبهوا اذا نزلت بهم الحسرة الذين يعبدون الله على حرف فان اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين الذين يعبدون الله على حرف هم الذين اذا ابتلوا انقلبوا على وجوههم خسروا

مرحمته ان ربي غفور رحيم لنفس تائب وربحت له رحيم لمن احسن طاعته وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل وقال الملك ائتوني به
استخلصه لنفسي فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين امين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الارض يتبوء منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين ولاجر الاخرة خير للذين امنوا يتقون
وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون اني اوفي
الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل
فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتاتنني به الا ان يحاط بكم فلما اتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء ان الحكم الا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء الا حاجة في نفس يعقوب قضيها وانه
لذو علم لما علمناه ولكن اكثر الناس لا يعلمون الفراء حيث تنشأ بالتون ابن كثير الا خون وابو بكر الا التي اوتي بفتح الياء المتكلم نافع
غير اسمعيل لفتيانه خبر حافظا حمزة وعلي وخلف غير ابي بكر وحماد بالنون لفتيانه خبر حفظا بكسر الياء الغيبة حمزة وعلي وخلف بالنون
بالتون بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق ابو عمرو وابن عامر واسمعيل الوصل لوقوف لتفسي امين الارض لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى علمنا الارض لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال حيث تشاء طالمحسنين بالتون منكرون من ابيكم بحق الاستفهام مع اتحاد القائل
المنزلين لا تقربون لفاعلون ترجعون حافظون من قبل لانها الاستفهام الا الاخبار حفظا الراحمين لهم طالتمام جواب لما ما بعده جملة مستانفة
موضحة للاستفهام مبنية لما يراد بالبنا لاحتمال العطف الاستيناف على ونحن نمير كيل بعير يسير بكم قال الله قبل يكتب بين الفعل والاسم لان القائل يعقوب
لان الله سبحانه والاحسن بفرق بينهما بقوة التعلق فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل متقرر طمن شيء طالله توكلت المتوكلون ابو عمرو
لان جواب الملحد وفاي سلموا بادغام الله فيها لا يعلمون التغبير الاظهر ان هذا الملك هو الريان لا العزيز لان قوله استخلصه لنفسي يدل على انه قبل
ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الارض دلالة ايضا على ذلك والاستخلاص طلب خلوص الشيء من
شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك ان ينفردوا بالاشياء النفيسة روي ان جبريل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم اجعل لي من عندك فرجا
ومخرجا وارزقني من حيث لا احتسب فقبل الله دعاءه واظهر هذا السبب في تخليصه فجائه الرسول وقال اجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله وكتب
على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل ونظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم اني اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احب ان يكون ضيمرا والفاعل ليوسف والملك
وهذا اولى لان مجالس الملوك لا تحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم يروى ان الملك قال له ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك قال رايت سبع بقرات
نوصف لوطف واحوطرن ومكان خرد جهن ووصف استابل وما كان منها على الطهنة التي راها الملك يعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم
من حاله ما علم من نزاهة ساحته وعدم مساعدته في الخروج من السجن وقد وصف له الشراب من جدته في الطاعة والاحسان الى سكان السجن وما وصف يظهر
اعتقاده فيه فعند ذلك قال انك اليوم لدينا مكين امين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم اما القدرة فظاهرة واما العلم فلان كونه متمكنا
من افعال الخير متوقف على العلم بافعال الخير وباضدادها وكونه امينا مفرع على كونه حكيما لانه لا يفعل الفعل الداعي الشهوة وانما يفعله لداعي الحكمة فان
المفسرين الحاكي ليوسف وبا الملك وغيرها بين يديه قال له الملك فما رايت ايها الصديق قال ارى ان تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا وتبني
خزائن والاهراء وتجمع الطعام فيها فانها تاتي الخلق من النواحي وهناك ومنك وتجمع لك من الكنوز ما لم يجمع لاحد من قبلك فقال الملك ومن لي
بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الارض للام المعهدي اني خزائن ارض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء اي
يحفظ اني حفيظ للامانات واموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه اتيانكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة و
الشفقة فقال الواحدي هذا الطلب خطبة من كانت عقوبته ان اخرعنه المقصود عن ابن عباس ان النبي صلعم قال رحم الله اخي يوسف لولا قوله اجعلني
على خزائن الارض لاستعمل من ساعته لكنه لما قال ذلك اخره الله تعالى عنه سنة وقال ذلك اخوه ان التصرف في امور الخلق كان واجبا عليه كان النبي يجب عليه السعي
الاصلح لامته بقدر الامكان وقد علم بالوحي انه سيحصل الخطر والضنك فاراد السعي ايضا النفع الى المستحقين ودفع الضرر عنهم واذا علم النبي او العالم انه
لا سبيل الى دفع الظلم والضرر عن الناس الا بالاستعانة من كافر او فاسق فلا ان يستظهر على ان يجاهد فاذن زعم ان الملك كان قد اسلم وقبل كان الملك
يصدق من رايه فكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لكن لاجل التمدح ولكن المتوصل الى الغرض المذكور
وكذلك الى مثل ذلك التقريب الاتجاء من السجن مكنا ليوسف الارض مصر وهي اربعون فرسخا في اربعين يتبوأ منها حيث يشاء هو او نشاء نحن على القراءتين

والمراد

يوسف

والمراد استغلاله بالتقلب والتصرف فيها بالبحث لا بنازعه احد نصيب رحمنا من تشاء فيه ان الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة ذلك لمكنة المالك بتمام الامور وفعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وعلقوا ايضا المشيئة بالحكمة ودعاية الاصلح والاشاعرة ناقشوا في هذا القيد ولا نضيع اجر المحسنين بكلا ان اضاعة الاجر يكون للعجز او الجهل او البخل والكل ممتنع في صفته نعم ولاجر الاخرة خير من اجر الدنيا وخير في نفسه وفي قوله للذين امنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين فيفهم دلالة على تزاهتهم يوسف هنا على كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والاخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في الاخرة من خلاق وروي ان الملك توجه وختمه بخاتمه وزاده بسبعة ووضع له سرير امن ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له ما اكثر ما تستر فاشتد به الملك واهل الخاتم فادبر وامرك واما التاج فلبس من لباسي ولا لباس لمن باشي فقال قد وضعته لك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير وداناه الملوك وفوض الملك اليه امره وعزله فطهر ثم مات بعد تزوجه الملكة فلما دخل عليها قال الملك ليس هذا خير اما طلبت فجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم ومنشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رايناك اليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال الملك كيف رايت صنع الله بي فما خولني فما عازني قال الرائي رايت قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من المنادين اكثر من حمل بعير بقسطين من الطعام واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه الى مصر وابقى عنده بنيامين وذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لان طول العهد ينسي ولاعتقادهم انه قد هلك او لانهم ابعد عن اوهامهم حين فارقوه صبيا بعيدا هم مقدوده ثم راوه ملكا مهيبا جالسا على السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة ما وقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم لان اثر تغير الهيئات عليهم كان اقل لانه فارقهم وهم رجال ولم يغيروا نهم عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم وبعرفهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له وانما تعرفهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب من ابوابه قال الليث جهز الرجل القوم يجهزهم اذا تكلف لهم جهازا للسفر قال وسمعت اهل البصرة يكسرون الجيم ويقولون الجهاز بالكسر وقال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال اتتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لابد من كلام مجمل هذا الكلام فيرى انه لما راهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما شانكم فانكرتم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد وجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق بني من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون قالوا قالوا انا بلاد لا يعرفنا احد قال فدعوا بعضكم عندي رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالتكم ان صدقتم فافترعوا بينهم فاصاب القرعة شمعون وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا اخر يبقى معه ولا بد لهما من جملين اجر واستدل الملك ببقائه عند ابيه على زيادة محنته اياه وكونه رقيقا في الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا بقي عنده واحد فقال لهم لم خصصتم هذا المعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل لزيادة محنته فقال ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انتخصه بمزيد المحنة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو اوزن بدا عليكم في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهد هو الاول قول المفسرين والاخوان محملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب اولا في قوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين المضيفين وكان فلا حسن ضيافتهم وزاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مجزوم على النهي ولا تراجل في حكم الجزاء كانه قيل فان لم ناتوني به نخبر هو ولا نقربها فاستراد عند ذلك منهم ان يخادعوه ويخبثوا حتى ينتزعوه من يده وانا لفاعلون كل ما في وسعنا في هذا الباب ولقادرون على ذلك قال لفتيانه اجعلوا وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ فعلة للقلة وجهازهم هذا العمل من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة وجهازهم اقرانهم قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير وبناسبه الجم الغفير من الغلمان كما ان البضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على ان امر بوضع بضاعتهم في رحالهم على وجه لا يعرفون به لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا من اظهارهم فيعرفوا حينئذ لعلهم يرجعون لعلمهم بان ذلك يدعوهم الى الرجوع الينا وكان بضاعتهم النعل والادم وقيل امر بوضعها على وجه لا يعرفونها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذي لاجله امر يوسف بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع او اراد به التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيهم اخون لهم او اراد ان يرجعوا فيعرفوا سبب الرد لانهم ولادة الانبياء فاحترزوا ان لا يكون ذلك على سبيل الشراء او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة فلا يثقل على ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون منعما لعلهم يردونها فلما اوفى لهم الكيل اراد ان يقول يوسف فان لم تاتوني به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع بوتيده فراعاه من ثم تكفل بالتون اي بزعم المانع واخذ من الطعام ما تحتاج اليه ويحتمل ان يراد بالمنع ما طلبوا الطعام لاجلهم والاخ المخلف فلعله منع من ذلك وتقوى هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي بكيل اخوانهم اكيال الكبا قال هل امنكم عليه ضمنوا كونهم حافظين له فقال يعقوب لهم فكما ائتمنتكم على اخيه من قبل هذا

الزهيب

الكلام في يوسف فهل يكون ملقى الان الاكاذيب فيما قبل يعني كما يحصل الامان وتشتد فكذا الان والظاهر ان هذا اضمار والتقدير توكل على الله فيه وفوض اليهم وقال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين او حافظا نصب على التمييز واحتمل الثاني الحال نحو لله دره فارسا وهو ارحم الراحمين ارجو ان يجمع على مصيبتين فيقبل تذكر يوسف فقال والله خير حافظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي وقد افتحوا منا عظيما هو عام في كل ما يستمتع به ويجوز ان يراد به هنا الطعام او الاداوة عند اما قوله ما نبغي فالبغي يجيء بمعنى الطلب ما فارقوا واستغنوا عنه المعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد بمنك بضاعتنا خبر او اي شيء نطلب وراء هذا استظهروا ببضاعة المردودة اليهم وذكروا انهم لما فتحوا اوعيتهم وجدوا بضاعتهم مردودة اليهم فقالوا ما نبغي هذا الاكرام فقد رد الينا ثمن طعامنا فما نطلب وراء هذا شيئا نمير اهلنا نأتي لهم بالميرة ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما نخافه ونزداد بسببه حمل بعير فاندفع علينا وسقا باعتبار ما كان يباع به قبل ذلك او باعتبار ما في زمن المجاعة وهذا مبني على ان الكيل كان في ذلك الوقت وسقا وقيل كان ثلاثين صاعا وقيل ستين صاعا والاول اظهر لان الوسق يجيء بمعنى الجمع والضم ويجوز ان يكون النبي بمعنى الكذب والتزيد في القول على ان ما نافية اي ما كذبنا فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قد صنا على خبر رجل ان زاد او كرما كرامه لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا الملك اكرمنا فان في الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا لصدقهم وقوله ونمير معطوفا على ما نبغي او يكون كلاما مبتدأ اي ونبغي ان نمير اهلنا ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما نخافه ونزداد بسببه حمل بعير آخر فاندفع علينا وسقا

يوسف

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد بني آدم مضغة ان صلحت صلح بصلاحها سائر الجسد وان فسدت فسد بفسادها سائر الجسد الا وهي القلب فالقلب اختص اختصاصا بالله دون سائر المخلوقات فقال سبحانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن ليجعلني على خزائن ارضي الجسد فان الله سبحانه في كل عضو من الاعضاء لخزائن من اللطف ان استعمله الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزائن من القهر ان استعمله في ضده الذي حفظ للخزائن علينا باستعمالها فيما ينفعها دون ما يضرها فيجب برحمتنا فيه ان اصابته اللطف من تلك الخزائن دون القهر هو كونه الى مشيئة الله تعالى وبحبه اخوة يوسف وهم الاوصاف البشرية فعرضهم يوسف القلب كما تنظرون يا نور الله وهم له منكرون لبقايا تلك الظلمة وموانعها عن النور وكما حضرهم بشر ان يوسف القلب لما النجأت اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار ابيهما بين الرسالة يحضر مع القلب لا بعد التبديل المذكور واذا حضر معه يرتفع بارتفاع الكل ما ليوسف القلب من الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعتهم كل عمل من الاعمال البدنية التي يجيء بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها واما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس شاذ بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان ترقية القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والاخلاص ثم قال ترقية القلب بالتخلية وبتحلي صفات الحق وصفاته فانه لعلهم يرجعون من صفة الامارة بالسوء الى المأمورية والاطمئنان فيستحق بعد ذلك ان يرجع الى ربه مرضية لها فوائد ما ترجع الى يوسف القلب ثم ان لهذه الاعضاء والجوارح تحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة روح الملكية له ويحفظ احاديا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية وتزداد بواسطة حضور السر عند القلب كل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير ان شاء الله لنا نفتتح به مع الفوائد الربانية الا ان يحاط بالكل عليكم الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تنظروا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فلذلك سبب مدخل في التقريب لان الكل موكول الى مسبب الاسباب ولما دخلوا على يوسف ورد اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم

ع

القراءة انا انا اخوك بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالاضافة وبالياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا بابدال الالف ثم الباء ابو بكر عن البرجمي وحمزة في الوقف ان شاء ابن الحمزة الباقون بياء ثم همزة على الاصل ابي بفتح الباء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو وقنبل ابن كثير في ابي الوقوف يعلمون تسألون تفقدون زعيم سارقين كاذبين فهو جزاؤه الظالمين من وعاء اخيه ليوسف شاء الله لان بعده مستأنف لشاط علهم من قبل ما كانوا تصفون مكانة الثلثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الحسنين عنده للعلق اذ بما قبلها الظلمون بخبثا بوسف للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب بحكم الله في لاحتمال ما بعد الابتداء او الحال الحاكمين سرق ع لانقطاع النظم مع اتحاد الفاعل حافظين قيلنا فيها لاحتمال الجملتين الابتداء بان لصادقون امرا جميلا جميعا الحكيم التفسير روي انهم لما توجه بنيامين ان لهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى فقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدة ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا تنال له فانزكوه معي فاواه اليه اي انزله في المنزل الذي كان يأوي اليه فبات يوسف يضم اليه ويشم رائحته حتى اصبح ولما رأى ناسف هلاك قال له الجبان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك لكن لم يلدك يعقوب لا اجمل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك قال وهب اراد اني اقوم لك مقام اخيك في الانس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا تبتئس افتعال من البؤس الشدة والضر اراد نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من مرعى الحسد والاعمال المنكرة التي اقدموا عليها يروى ان بنيامين قال ليوسف ما الذي فارقك فقال له يوسف قد علمت اهتمام والدي فاذا حبسك ازداد غما ولا سبيل لي الى ذلك ولا سبيل الا بان انسبك الى ما لعل يحسن قال انا راض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك انك قد سرقته فذلك قوله سبحانه ولما

كانوا

بحرهم بها زادهم جعل السقاية في رحل الخ والسقاية شربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقي بها الملك والدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب وفضة مموهة بالذهب ومرصعا بالجواهر قوله ثم أذن مؤذن نادى منادوه معناه راجع الى الايذان والاعلام الا ان التشديد يفيد التكثير والتصويب الندباء انها العير اراد اصحاب العير كقولهم يا خيل الله اركبي العير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي فاعلة الحمر كالقافلة جمع عير واصلها فعل بالضم كسقف فابدلت الضمة كسرة لاجل الياء كما في بئر ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو انه كيف جاز لنبي الله ان يرضى بنسبة قومه الى السرقة وهم برآء واجاب العلماء بانهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لانهم لما لم يجدوا السقاية بغلب على ظنونهم انهم اخذوها او المؤذن ذكر ما ذكر على سبيل الاستفهام او لعلها انهم سرقوا يوسف من ابيهم او المراد انكم قوم سارقون وهو الواقع الذي رضي به ابوهم فلا ذنب لنا في الحكم رضي ربان بق في حقه ذلك ثم ان اخوة يوسف قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك قيل صواع اسم للصاع والسقاية زيد في جاء بها ي بالصواع حمل بعير وصف من طعام جملا لان حاصله وأنا به زعيم كفيل هو من قول المؤذن وفيه ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم ايضا اذا كان معلوما فكان حمل بعير كان عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا الا ان هذه كفالة زمان لا تقبل التأجيل للسارق ان يأخذ شيئا على رد المسروق ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم قالوا وانا الله التاء مبدلة من الواو وضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيها هواحق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على امرين معجبين احدهما انهم علموا ان اخوة يوسف جاؤا لاجل الفساد في الارض بالتعب المنصب فجوزوا ذلك حتى روي انهم دخلوا افواه دوابهم مشدودة خوفا من ان يتناول زرعا او طعاما لاحد في الطريق والاسواق وكانوا مواظبين على انواع الطاعات ورد الظلامات حتى حكي انهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وقالوا انا لم نعهد منا ما وصفوا فاطلب السرقة قالوا اي اصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف اي فما جزاء سرقته ان كنتم من الكاذبين في مجيئكم وادعائكم البراءة قلت يحتمل ان يعود الى السارق فكان حكم السارق في ال يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء بهذا فقالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء السرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما يقال حق السارق القطع جزاؤه لنفسه وما ذكر من استحقاقه ويجوز ان يكون مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل بالجزئية على ان الاصل جزاؤه من وجد في رحله هو ليكون الضمير الثاني عائدا الى الاول بانه هو والاول الى من ولكنه وضع المظهر موضع المضمر للتأكيد والمبالغة وجوز في الكشاف ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسئول عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه اما قوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل ان يكون من بقية كلام اصحاب يوسف الله اعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرفوا بهم الى يوسف فبدأ ببداوة غيرهم قبل وعاء اخيه لنفي التهمة ثم استخرجها من وعاء اخيه كما قال تعالى فاستفتهم الآية فما زالوا يدخلون وعاء وعاء حتى بقي وعاء بنيامين فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نرجع حتى ننظر في رحله فنظر ثم استخرجها اي استخرج الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه فاخذ وارتفيه وحملوا ورتفيه ثم قال سبحانه كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف اي علمناه اياها وألهمناه اليه والكيد مبادءة التوصل بالحيلة والخديعة وبناءه الفاء انسان من حيث لا يشعر فيما يمكره لا سيما اذا دفعه وقد سبق فيما تقدم ان امثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وهاهنا الكيد قبل هو ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى ناصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير ايضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء وفعلنا به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك لان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس اخيه على دين الملك حكمه ويمكنه الآن ان يشاء الله هو ان الله كاد له فاجرى على لسان اخوته ان جزاء السارق هو الاسترقاق حتى يتوصل بذلك الى اخذ اخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الاغراض الدينية والدنيوية ثم مدح صاحب الحيلة كما مدح ابراهيم صلى ما حكى عنه من قوله انا سقيم وبل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون نرفع درجات من نشاء ونرفع درجات من نشاء ونرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوق ارفع درجة منه في علمه ثم ان اطلاق العلم على الله تعالى اتفاقي وعلم كان هذا العلم مخصوصا لانه لا اعلم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص ناطقا باثبات العلم وان قلنا ان الكل بمعنى الجود كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى والمبدل الى هذا التفسير لا ان قوله ذو علم شعر يكون علما للفاعل حقيقة وصفة نعم عين ان ذلك هذا البحث طول الدهر كما يروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم خجلا واقبلوا عليه قالوا له ما هذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل هم الذين لا يزال منكم عوان بلغني ان ذهبتم بأخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل عنوا بذلك يوسف اختلف في ذلك السارق فعن سعيد بن جبير ان جدا لابيه كان يعبد الوثن فاسرقه يوما من بيت ذلك الوثن وكسره فلعله لم يزل يعبادتها وقيل سرق عناقا من بيت جدته ودفعها الى مسكين وقيل كانت لابرهيم منطقة يتوارثها الاكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف لما ان شب فاراد يعقوب ان ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فاشتد الحاضنة على يوسف حتى اتاها يوما ثم زعمت انها قد فقدت المنطقة وكان في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه وجدوه حسدا وغيظا فاسرها يوسف قال الزجاج وغير الضمير يعود الى الكلمة والجملة كانه قيل فاسر الجملة ونفسر لم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم شر مكانا والمعنى انتم قال هذه الجملة على سبيل الخبية

سورة يوسف

وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال اي هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن يحمل على غيره وقبل الضمير عائد الى الاجابة اي استر يوسف اجابتهم في ذلك الوقت الى وقت آخر وقيل يعود الى المقالة او السرقة اي الى بيتين يوسف من تلك السرقة كيف وقعت او انه ليس فيها ما يوجب الذم والعار وعن ابن عباس انه قال عوقب يوسف ثلاث سنوات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق الخ له من قبل قوله انكم لسارقون ومعنى شرهم كما تشرهم في السرقة لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق والله اعلم بما تصفون المراد انه يعلم انك لست بسارق في التحقيق والله اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب تهمة ام لا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب يهوذا وكان اذا غضب صاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت فقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض اهل يعقوب يده عليه فقال يا معشر اخوته اكفوني اسواني اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسته فذهب غضبه وفهم ان يصيح فوكز يوسف جبله على الارض ليريه انه شديد وجد به فسقط فعند ذلك قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر وهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه استعبادا او رهنا حتى نبعث لفداء اهلك فلعل العفو او الفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نراك من المحسنين اليك لو فعلت ذلك او من المحسنين الينا بانواع الكرامة وقد ايضا عرفوا حالنا اوارادوا الاحسان الى اهل مصر حيث اعتقهم بعد ما اشتروهم بالطعام قال يوسف معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امره بذلك واوحى اليه باخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حتى لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي نجوى والمراد انهم تناجوا في انفسهم لاستيجاعهم الله وانه فلا يهم فيه بجد واهتمام كما بقي رجل جور وارجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي فوجا نجيا بمعنى منا جيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وقيل كان شيخهم يهوذا فيهم كان شيخهم الجواب في تدبير امرهم على ما وجه يذهبون وما ذا يقولون لابيهم في شان اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل وفي القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والرأي وهو يهوذا او قوله ما فرطتم انا ان يكون فاصلة اي من قبل هذا قصرتم في شان يوسف الم توفوا بعهدكم ايانا ان يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره الظرف المقدم ومن قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه او النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل واما ان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه في شان يوسف من الجناية فمحل يوسف الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى يأذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانصاف ومن اخذ اخي او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب ثم انه يبقى ذلك الكبير في مصر ومن الاخوة ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق فالبناء على ما شاهد من استخراج الصواع من وعائه او اراد انه سرق في قول الملك واصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك واعتقادك او المراد ان ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة والطلاق في اسم احد الشبيهين على الاخر جائز والقوم ما كانوا يراجعون الا بما علموا فما شهدنا الا بما علمنا اي الا بقدر ما يقتضيه مبنيا للمفعول اسند الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال وتما يدل على انهم ما شهدوا الا بما علموا قوله وما كنا للغيب حافظين فان الغيب لا يعلم الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل معناه لعل الصواع دس في صواعيم بالليل من حيث لا يشعرون وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق قال المجاهد والحسن القناة وما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو استرقاق السارق واخذ اخوته بذلك الجملة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسئل القرية التي كنا فيها الاكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها التفتيش لما ارسل الى اهلها فسئل هم عن كنه القصة واسئل اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعا وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد ان يجعل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد باسئل القرية والعير والجدران والحيطان فانها تجهل بعجز ما ذكرنا وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما فقد يؤكل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس بشك فيه مجال ثم زاد في تأكيد نفي

اوى الغلب الشر اليه كما تراه وهو الخفيف المناسبة الروحانية فلا تنفر اذا وصلت بي بما كانوا يعلمون معك في سفار نفي كان الشر مهما كان مقاوما
من قلب مقارنا للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما حضرهم جهز الغلب الاوصاف بما يلائم احوالها جعل السقاية بنيامين وهي مشربة
كان منها يشرب فدخل اخيه كما تهما صبعا لبان واحد انكم لسارقون سرقتم في الاول يوسف الغلب شريه بثمن بخس من متاع الدنيا و
شهواتها وسرقتم في الاخر مشربة لبنيامين مشاربكم وفيها ان من اتى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد اخذ بالسرقة واسترق منه
لمن جاء به حمل بعير من علف الدواب اي شرائع الحيوانات كانت ليس مسخطا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المقبولين المقبلين على يوسف الغلب
لان مهد الانشا في ارض الدنيا كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ اخذنا يوسف الغلب القبناه في غيابت
الجب البشرية بل سمعنا ان بنيامين ملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها ومحل اذلاله جوازه من وجد في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل
شرب فدية فقد بنيامين الشارب مشربة الاخوة الدنيا وشهواتها وفقد الشارب من شرب المحبة بدل الوجود كذلك نجزي الظالمين الذين
وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا حريف الملك وشريبه كذلك كدنا ليوسف اي كما كاد الاوصاف البشرية في ابتداء اذ الغوه
يوسف الغلب في جب البشرية كذلك ابهم عند قسمة الاقوات من خزانة الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات ماكولين كما تاكل الانعام وقسمة
بنيامين السر من مشربة الملك فوق كل ذي علم اتيناه علم الصعود عليه يجد به من الصعد الذي يصعد اليه العلم الخلوي الى مصعد الابصعد
اليه الا بالعلم القديم وهو السر في الله بالله الى الله وهذا صواع الاسعاد عند الانسانية ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل هنا اشار الى ان
السر والغلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية والروحانية فانهما فابلان للاستراق من الشهوات الدنيا ويبدوا لنفسانية وامارات الاوصاف
البشرية وعرفة الغلب عرف اختصاص البشرية اراد ان نفقد نفسها وسيلة الى يعقوب الروح فقالت فخذ احدنا مكانه قال معاذ الله ان
ان نقبل بالتهمة والخاطر الامر وجدنا متاعنا عندنا من الصدق والمحبة والاخلاص عندي لا يكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بعلة
الخمسة فلما استيأسوا من صحبة الغلب خلصوا عن الاوصاف لدينة الشاهي قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم وهو الروح قد اخذ عليكم موثقا
من الله يوم الميثاق لا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء الغلب حتى الصدق والخاصل ان صفة العقل المخاصة من الاوصاف البشرية خرجت عن
اوامر النفس ونصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لاحكام الخواجه الى اتيكم الروح على اقدام العبودية وبذل الاجتهاد في ان اتيك
سرك لانه وجد في رحله شربة المحبة التي بها كمال الحب على وفقه وما كانا للغيبة والحجب عنده ولخانا من الغيبة الى الشهادة حافظين لانه جعل السقاية
في رحله غيبة واسئل اهل الملكوت وارواح الانبياء والاولياء قال بل سولت فيه ان النفس تزيينات وللاوصاف البشرية خيالات بانها ذي لها
بعقوب الروح لكن عليه ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله ان ياتيني بهم ان مقولات الروح من الغلب الاوصاف وغيرها وان
تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد للاستكمال فان الله يجدد بالاعتبار بهم في مقعد صدق عند ملك مقتدر انه هو العليم بافرادهم
بمانع التفرقة والجمع من الفوايد وكونهم اعتم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن وهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تايسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي ياتي بصيرا وائتوني باهلكم اجمعين فلما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا
على يوسف اوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد اتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت
وليي في الدنيا والاخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين القراءة مزجاة بالامالة حمزة وعلي وخلف وحلي بفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن
عامر وابو عمرو قالوا انك على الخبر او على حذف حرف الاستفهام ابن كثير وبزيادة الف بعد همزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام بمد دخل بينهما مدة
ابتك بهمزتين يا نافع غير قالون وسهل وبعقوب غير بزيد ابتك بهمزة ممدودة ثم تاء ابو عمرو وبزيد قالون من بتي بالياء في الحالين ابن مجاهد
ابو علي من تبتل الباقون بغير ياء اني اعلم بفتح الباء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وبزيد انه بالفتح ايضا ابو جعفر وابو عمرو اذا بالفتح ايضا عند
النون وبزيد بفتح الباء ايضا بزيد النجار عن ورش قالون غير الحلواني والله اعلم الوقوف كظيم الا تالله تفتؤ لا تعلمون لا تايسوا من روح الله الكافرون تصدق

عليها المصدر غير جاملون كأنه يوسف أسفى ليجعل التكرير مع اختلاف الجملتين علة لاحتمال أن تابت لما تعجب من أن كان من قول يوسف
جاز أو وقف بينهم لاتحاد القائل مع الابتداء بأن الجملتين تخاطبتان البوط لاختلاف الجملتين بغيابا وانشاءا وخبرا وادعاء لكون الاحتمال الاستيناف
والحال أو بجواب لما محذوف يدل عليه طول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين اجتمعتا تفتدون لأن الفدية بشر الاحتمال أن يكون ما بعده جواب
لما نزلوا له الفاء حالا بإضمار قد ما لا تعلمون خاطبتا بذلك أبا هم من قبل تمام الجملة لفظا ودون المضي حقا لتمام بيان الجملة الأولى
وابتدأ جملة عطفي أخرى لما شاء الحكيم لأحاديث نحو حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والأصوب لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعاء
الصالحين التعبير لما سمع بعقوبة ما سمع من حال ابنه ضاق قلبه جدا فتوقعهم أي عرض عن مبنه الذين جاءوا بالخبر فادهم وقال يا أسفى على يوسف
الأسف اشتد الحزن والألف فيه بدل من ياء الإضافة ونداء الأسف كناية الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الأسف يوسف لا يخفى حسنه
وهو من المصاحبة اللفظية وكيف تأسف على يوسف دون اخيه والأول الذي لم يقم بمصر والوقوع الأحدث اعتصاب الجواب كان الحزن الجديد بسبب
العتيق والأسى يجلب الأسى وكان رزء يوسف كان أصل ذلك الرزء وإنما كان الأسف عليه أسفا على الكل ولأنه كان عالما بجنوح الأخوين دون
جنوح يوسف وابيضت عيناه من الحزن أي من البكاء الذي كان سببا لحزن قال الحكماء إذا كثر الاستعبار وجب كدورة في سواد العين مائلة إلى
سبب الحزن إلى البياض فتكون منها العمى لا بالام الطبقات ولا سيما القريبة وانضباب الفضول أو زيادتها فإن مقاتل لم يبصر ست سنين
كشفا لله تعالى بقميص يوسف فإن خورن لم يبلغ حد العمى وكان بدلك ادراكا ضعيفا أو المراد بالبياض غلبة البكاء كان العين ابيضت من بياض
ذلك الماء روي أنه لم يجف عين يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب عن رسول
الله ﷺ أنه سئل جبريل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الأجر قال أجر مائة شهيد وما ساءه ظنه بالله
ساعة قط وقال ان جبريل عليه دخل على يوسف حين ما كان في السجن فقال إن بصر إبنك ذهب الحزن عليك فوضع يوسف يده على رأسه وقال لبنيه انطلقوا
ثلثة فلما أن عن أعلى أبي قال أكثر أهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى قال بعضهم الحزن بالضم فالسكون البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح وقد روي
يونس عن عمرو قال إذا كان في موضع النصب فتحوا كقولهم تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وإذا كان في موضع الجزاء والرفع ضموا كقولهم من الحزن
قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء فيل كيف جاز لنبي الله أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ وأجيب بأن المنهي من الجزع هو
الصياح والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونعته المصدور فلقد بكى رسول الله ﷺ على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا ابرهيم لمحزونون ومما يدل على أن يعقوب عليه السلام لم يسأل عن انتهاء وعما لا ينبغي مولاه وهو كظيم فعيل
بمعنى مفعول أي مملوء من الغيظ على أولاده من غير إظهار ما يسوءهم ومملوء من الحزن مع سد طريق نعته المصدور ومن كظم السقاء إذا شده على ملاءه
أو بمعنى الفاعل أي الممسك لحزنه غير مظهر إياه والحاصل أنه غرق ثلثة أعشار بهمه منه في بحر المحنة فالمسك كان مشغولا بذكر يا أسفا
العين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوءا من الحزن ومثل هذا إذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب وقيل
ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبض نفسي قبل أن أرى حبيبي قال لا ولكن جئت لأخذ من حزنك وأشجى لتشجو عن البثه كم لنطلع أمرا من
الأمم إنا لله وإنا إليه راجعون عند المصيبة الآية مجملا لأن رد إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه سلم واسترجع وإنما قال يا أسفا وضعف هذه
الرواية بحر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال أن لا يعرف أمة من الأمم أن الكل جهلة الله وأن الرجوع لا محالة إليه وأقول هذا نوع من الإنكار
فإن منكر المبدأ والمعاد أكثر من حصى الوادي على أن المراد من الآية عطاء الإرشاد إلى هذا الذكر وخصوصا عند المصيبة وقد أخبر الصادق
أن هذه الأمة خصت عند الآية يرحمه الله أعلم فإنوا لا أظهر إنهم ليسوا أولاده الذين تولعتهم وإنما هم جاءوا تائبين فيما مر من حديث
أولاده تالله تفتؤ تزال لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم اللبس لعدم اللبس إذ لو كان إثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة أي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كأنه حمل الفتور والفتوان قال أبو بكر بن دريد ما فتئت أذكره أي ما زلت
لا بتكرير الأمر الجد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر للمبالغة والحرض في الجسم العقل الحزن والحب حتى يكون كالأحياء والأموات
أراد واتك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفى على الهلاك أو تهلك فأجابهم بقوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله قالت العلماء
إذا أسر الإنسان حزنا كان هما وإذا أبداه بقدر على إزاره فذكر لغيره كان ثبانا فالثبان معجل الإنسان وهتر كان هما وإذا أبداه بقدر على أسر لغيره كان
لغيره كان ثبانا فالمتأسف أعجز الناس وأضعف من لا يصبر على مصائبه فيتحمل الناس فيخف الأمر إلى أن لا أذكر الحزن الفاضل الأمر إلى الله ملجأ البرد وعصما
له ملجأ وشكايتي وهذا مقام العارفين المصدر بعين كقول بثي وحزني ويحتمل أن يكون هذا معنى قوله عندهم أي قولهم
إلى الله والشكاية إلى البشر يحكى أنه دخل على يعقوب رجل وقال له ضعف جسمك وتغير لونك وما بلغت سنا عالبا فقال الذي بي الكثرة غموم
فأوحى الله إليه يا يعقوب أتشكوني إلى خلقي فقال يا رب خطيئة اغتفرها لي فغفر له فكان بعده إذا سئل قال إنما أشكو بثي
وحزني إلى الله ورد أنه أوحى إليه يا يعقوب إنما وجدت أي غضبت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فقام بباكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقي إلى الأنبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين فقبل الشرط فجاء ولده هاما فباع ولده هاما فبكى حتى عمي فأعلم أن حال يعقوب ذلك الوقت

كانت مختلفة فتارة كانت مستغرقا في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف فلهذا كانت هذه الحادثة بالنسبة اليه كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل قلبه بيوسف غير اختياري منه وكذا اسفه عليه وما اتوه عوتب على ذلك فلا تحسن الابرار سيئات المقربين وبالجملة كانت واقعة يعفو امر اجاري العادة اراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادى اسفه وحزنه والا فمع غيبة شهرين شدة مجتهد وقرب المسافة بينه وبين ابيه كفى في خف حال يوسف لم يبعث يوسف لابيه رسولا بعد قلقه وقد رآه ولم يزد في حزن ابيه بمجلس اخبه عنده اما قوله وأعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من حفظه واحسانه ما لا تعلمون فارجوان يأتيني الفرج من جهته لا احتسب قبل ان ترى ملك الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد رأى امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بقصة الملك وكمال حاله في الدنيا واضافة فظن انه اراد علم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك اذا غضب على احد ان الملك هو يوسف فقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقى اوسيقتل ابنه ولكنه ما عين الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وهو طلب الشيء بالحاسة كالسمع والبصر مثله التجسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب الخبر في ضد الخير ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه قرئ بالضاد اي من نعمه التي يحيى بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والطرفة بكل ما اهتز بوجوه ولذ به فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان هذا اليأس دليل على انه تعالى اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث بل كل واحد من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها اللهم انا لا ييأس من روحك فان فعلت فأنت اهله ثم بينا اضمار التقدير فقبلوا وصيته بهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة بدفعها كل ناجر رغبة عنها من ان يجتلب اذا دفعت فان سبحانه لم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة العرب قليلة لغة الغبط والاضاعة رديئة لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل وقيل دراهم زيوفا لا ينفق مثلها لانها لم يكن عليها صورة يوسف كان دراهم مصر منقوشا عليها صورة فاروفا لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وان يستعطفهم بالرد كما يستعطف بالجيد فاختلف العلماء انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا لا على الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزهري اراد وا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة وبايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان ينبغي ان يرجى به وجه الله فان ذلك لا يضيع عنده والصدقة هي العطية التي يرجى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقول الانسان تصدق والله يتصدق علي بل يجب ان يقال اللهم اعطني او تفضل علي او نحو ذلك وان كان يعقوب يريد بقوله يجزي المتصدقين يوسف واخبه والمخاطبون يجب عليهم ان يتوسلوا الى مطلوبهم بجميع الطرق كما قيل الغريق يتعلق بكل شيء مد وا بالعزا الاعتراف بضعف اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفض عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف قيل لما اتاه كتاب يعقوب من بعض اسفاره قبل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشد بيديه ورجليه ورمي في النار فجعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل فداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب ولدي الي فذهبت به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اسلي به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد السرقان فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يملك دموعه فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبر اولو العزم وانظر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتموه من يوسف وما افبح ما اقدمتم عليه كما بقي المذنب يسأل عن ذنوبه مع تصديق فيه تصديق في قوله سيخاطبهم بامرهم هذا واما فعلهم بأخيه فتعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لأبيه وامه وابدائهم له الاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم في اوان الصبى وزمان الجهالة والعزة اذا لة للجهالة عنهم فان مطية الجهل الشباب وتسميتهم في الدين اهل علم فيه ضرب من التهكم لان العلم بالقبيح يدعو الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يشفي المحظوظ ويفث المصدور ويهدد اركان قارة المأثور وقيل انما نفى العلم عنهم لانهم لما علموا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا انك لانت يوسف عرفوا بالخطاب الذي لا يصدر الا عن خيف صلم من سخا برهيم او بتسهم فعرفوه بغتاة وكانت اللؤلؤتان المنظوم او درج التاج عن يامسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها قال انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك الفتى الذي حسدتم فتله تصبرون كانوا من وطء هذا فاك وهذا اخي مع انهم كانوا يعيرونه ان يقول وهذا اخي فكان مظلوما كما كنت مظلوما منهما عليه من الله وذلك يعيرونه ان مقصورة ان يقول وهذا اخي فكان مظلوما قوله قد من الله علينا اي بكل خير وبنوي واخوتي وبالجمع بعد التفرق

يوسف

انه ان الشان من يتق عصاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين يريد ايوبهم فاكتفى بان ربط بالعموم ومن قرأ بالياء فوجهه ان يجعل من يتق الذي يجوز على هذا الوجه ان يكون توله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذفت الحركة للتخفيف والمشاكلة ويدل على هذا قراءة يوسف زاهد جانبه من كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين فالوا انا لله لقد اثرك الله علينا اعترافا منهم بتفضيله عليهم بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وضموا الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان اخبرهم بعضهم كان الانبياء متفاوتون في الدرجات تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا واحدا اثنا كنا اخاطئين قال ابو عبيدة خطاء واخطاء بمعنى واحد وقال الاموي الخطئ من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمدها لا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم لم يعتقدوا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا تعد ذنبا وانما اعتدوا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان الذئب لم يأكله واعترض عليه فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن لم لا يجوز ان يكون كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم مذنبين قال يوسف لا تثريب عليكم لا تأنيب ولا توبيخ وقيل لا ازكيكم وقيل لا اجازاة لكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والفراء وذلك لا تزاد به منه الثرب كان في غاية الهزال والضعف فصار مثلا للتقريع المدنف المضنى وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب وبالاستقرار المقدر عليكم اي لا اثرب عليكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فاما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بغفران ما فرط منهم ليكون عقاب الناذرين من الاعنهم واصل الدعاء ان يقع على لفظ المستقبل فاذا اوقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون منه بشارة بالاجل بغفران الله لهم وحدوثها في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا اليك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكتهم فانهم ينظرون الي شزرا ويقولون سبحان من بلغ حبة عبدا بيع بعشرين درهما ابلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واتى من حفدة ابراهيم خليل الله وانا احدث يوم الفتح بعضاة باب الكعبة فقال نفر يش ما ترون فيما ترون فقالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال علماء الخراسانية طلب الحوائج الى الشيب اسهل منها الا الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سلم عن ابيهم فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله بار تد بصيرا ارجع يأت الى ابي وهو بصير بدليله قوله وائتوني بأهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة واوحى الله اليه ان فيه عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقال الحكماء لعله علم ان ابا ما كان اعمى واتما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميص يوسف صار مبشر الصدر يقوى وجهه وزال ضعفه روى ان يهوذا حمل القميص وقال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فأفرحه كما احزنته فحمل وهو جاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا على الكبلى كان اهله نحو من سبعين انسانا وقال مسروق ودخل قوم يوسف عشرة وهم ثلثة وسبعون بين رجل وامرأة فخرجوا منها مع موسى مقاتلهم نحو من ستمائة الف لما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز خيطا وفصل متى البر كتاب اذا نفد واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابو هلال من قولهم اني لاجد بحاسة الشم ريح يوسف قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت ريحه الجنة الى الدنيا فعلم يعقوب انه ليس الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل الريح محمدا نفضا مادة الخمر ومحى ان الروح والفرح من مسيرة ثمانين ومنع من وصول خبره الى مسمع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان الخمر صعب كما ان كل صعب فانه في زمان الخمر صعب وكل صعب فانه في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جواب محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموا والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال عجوز مفند لانها لم تكن ذات رأي فتفند في الكبر او لانها الخاطئة من عنده تعالى انك لفي ضلالك القديم اي في محبتك يوسف من الاخوان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات خلا ان جاء ان صاحبه فلما مثل فلما ذهب عن ابوهم الروح قبل هي مع الفعل في محل الرفع بفعل مضمر اي فلما ظهر ان مجاء البشير وهو يهوذا القاه على وجه البشير ويعقوب على وجهه فارتد بصيرا اي انقلب من العمى الى البصر او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم جوزي لكشاف ان يكون مفعولا بمحذوف وهو قولي اني لاجد ريح يوسف وقوله لا انبأكم بكون قوله اني اعلم كلاما مستأنفا والظاهر ان مفعوله قوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون روي انه سئل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس لانه كان اوان يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى للاوقات اجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى انه لما اراد الرحلة تحرى اوقات الاجابة وقيل اخر ليعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال وعدهم

دام الاستغفار في الاستقبال فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة روي انه قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لاخوتي على يوسف فلم يصبر عنه واغفر لوالدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليهم اما ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوك كما ان لم يسعنا عفو ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة فلما ابتدا يدعو وقام يوسف خلفه نوصر وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة يجتهدون واوطنوا انهم هلكوا فنزل جبرئيل فقال ان الله قد اجاب دعوتك في ولدك وعقد صوابتهم بعدك على النبوة واختلاف الناس في بنيامين مشهور يبكي اثر وجد يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليقدم اليه بمن معه وخرج يوسف الملك في اربعة الاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي وبنوه على يهود وافتظر الخيل والناس فقال يا يهود اهذا فرعون مصر قالوا لا هذا ولدك فلما القيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف قال ابنه يبكي حتى ذهب بصره الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب بنك فيحال بيني وبينك ومعنى اوى اليه ابوه ضمها اليه واعتنقها قال ابن اسحق كانت امه رابقة الى ذلك الوقت وماتت لا ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها لتخفيفا لرؤيا يوسف قيل المراد بابويه ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس بابنيامين حتى قيل نبامين بالعبرانية الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماها الله تعالى اما لابويه لان الخالة قد يدعى لها القيامها مقام الام او لان الخالة ام كما ان العم اب فكيف قال اجتمع بهنا الامران قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لاجلهم في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى هذا جاز ان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا مصرا ايها او قوله ان شاء الله امنين نعلق بالدخول المكيف بالامن فكانه قيل اسلموا وامنوا في دخولكم وافامنكم ان شاء الله وجواب الشرط بالخصلة محذوف والتقدير ادخلوا مصر امنين ان شاء الله دخلتم امنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما سلف يخافون ملك مصر اذا اراد الامن من الخطر والشدة او من غيره اياهم بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش المسترر والرفيع الذي كان يجلس عليه وخروا له سجدا لسائل ان يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجدوا ليوسف ايضا تعظيما لابوين تالي تعظيم الله سبحانه فمن ابن جاز سجود ابويه له والجواب عن ابن عباس في رواية عطاء ان المراد خروا والاجل وجدا نربهم سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التاويل في قوله رايتهم لي ساجدين اي انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكرا على لقائه واريد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور باباه وايجيب بان الخرور قد يعبر به عن السجود قال تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم واقبل الضمير عائدا الى اخوته فقط ورد بان قوله هذا تاويل رؤياي من قبل يدفعه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه فيحتمل ان يكون السجود في حق التواضع التام وفي حق ابويه بمجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للوالد والمتا وقيل انما سجدا لابويه لانهما لا تحمل الا لاخوته نوعا على عدم التجوز في مصر سيما لثوران الفتن واحيا الاحقاد والضغائن ولعله تعالى امر يعقوب بذلك السجود لحكم خفية لا يعرفها الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله وبؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما راى سجودهم اشعر جلده ولكن لم يقبل شيئا وكان الامر بذلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله اعلم وقد احسن بي اذ احسن بهم اذ اخرجني من السجن ولم يذكر اجراجهم من البئر لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن يعلم لا تخلصا عبدا وصار مبتلى بالمرة وكونه هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم من البدو اي من البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواشي ينتقلون في المياه والمحتار وقال ابن الانباري بدو موضع معروف هنا لك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر وانما بدا فصد هذا الموضع الذي بقي له بدا ولعل من جاء بكم من فصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف لاحسان الله وسبب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء فيه دليل على ان الخير من الله والشر اجيب بانه تعالى لما ادب الاقلين بقوله الا الوسوسة واقاصر في الذي يفيد نسبة الشر فلا يفيد رعايته الله تعالى فان العاقل لا يهدي ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر هينا اسبابه وان كان بعيدا عن الافهام انه هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب الحكيم في افعاله حتى يجيء على الوجه الاصوب والنحو الاصلح يحكى ان يوسف اخذ بيد يعقوب وطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب خزائن الحلي والثياب الصالح وغيرذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندنا هذه القراطيس وما كتب الى عثمان مرحل قال امرني جبرئيل قال افلا سالته قال استحييت منه فسئله قال جبرئيل الله اخرني بذلك لقولك واخاف ان ياكلك الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفن بالشام الى جنب ابيه اسحق فحمله بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا بد وله قال رب قد اتيتني من الملك شيء من ملك الدنيا او من ملك الآخرة كان دون ملك نوح وسليمان وقيل الاحاديث بعضا من ذلك لانه لا يمكن ان يحصل في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحصور سوى المتناهي من السعادات الدنيوية والكمالات الاخروية فاطر السموات والارض منادى ثان او صفة النداء الاول او مبتدا خبره انت ولي او انت صفته والولي المتولي لامور عباده القائم بها او المنعم عليهم بالايمان او الناصر لهم على اعدائهم او المحب لهم من الولاء بالكسر وهو الحب او من عدم محض انت ولي في الدنيا والاخرة

يوسف الصالحين ٧٢

لا بتوفى اصلاح مهما فى الدارين غير ولما قدم النداء والثناء كما هو شرط الادب الحسن وكرر المسئلة فقال توفنى مسلما اراد الوفاة على حال الاسلام والختم بالحسنى كقول يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقنى بالصالحين من اباءى او على العموم قبل لصلاح ازلى درجات المؤمنين فالواصل الى الفناء وهى النبوة فكيف يليق به ان يطلب لبداهة والجواب ان اراد الالحاق بالاباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير الالحاق باهل الصلاح عبر فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كما مر بالمستنيرة المتقابلة التى تعاكس اضواءها وتكامل الانوار بها الى حيث لا يطيقها العيون الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفى على الاسلام والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل بامرى لا بفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة علينا اذ كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول المكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائى والكعبى بان المراد الطف بالافاضة على الاصلح الى ان اموت فالحق بالصلحاء ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما فى مقدور الله من الالطاف فقد فعله فحق الكل سؤال اخر الا نها بعلمه انهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة فى الطلب الجواب العلم الاجمالى لا يغنى عن العلم التفصيلى لا سيما فى مقام الخشية والرهبة وقال فى التفسير الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذى هو ضد الكفر وهى الاستسلام لحكم الله والرضا بقضاءه وعن قتادة وكثير من المفسرين انتهى الموت اللهم بدار البقاء فى زمرة الصلحاء وليتنى الموت بنى قبله ولا بعده قال المحقق لا بعد من ارجل العاقل اذا كمل عقله ان يعظم رغبته فى الموت لوجوه منها ان مراتب الموجودات ثلث المؤثر الذى لا يتاثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتاثر الذى لا يؤثر وهو عالم الاجسام فانها قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض المتضادة وبتوسطها قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف العالم الالهى فاذا انتقلت الى عالم الاجساد تصرفت فيه واثرت فى النفوس فى التاثير والتاثر مراتب غير متناهية لان تاثيرها بحسب تاثرها فما فوقها والكمال الالهى غير متناه فاذن لا ينفك النفس نقصانا ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وقد ذاق لذة الكمال بقى فى القلق والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الى الموت فمعنى الموت ومنها ان سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها لمخلوطة بالمنغصات والاذى من الخلق فيشارك كون الافاضل فيها قليلا وبما كانت حصة الاراذل اكثر فلا يوم تمنى العاقل موته ليتخلص من هذا الاذى ومنها ان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها لان حاصلها يرجع الى دفع الالام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف منها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع فى الفم والاشياء اذا تغيرت شيئا منفرا تصل الى المعدة تستحيل الى ما ذكره منفرا فكيف وقد قال العقلاء من كانت همته ما يدخل فى جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة نقصان وكذا الكلام فى لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها فيما احتياجا الى زيادة المال والتفقد للزوج والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقى المرء فى مهالك الاكتساب ومهاوى الانخداع ولذة الرياسة اذ فى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان يكون خادما مأمورا ويحب ان يكون مخدوما مطاعا فسعى الانسان فى الرياسة سعى فى مخالفة كل من سواه ولا ريب ان هذا امر صعب الحصول منيع المرام واذا نال له كان على شرف الزوال فى كل حين وان كان كثرة الاسباب توجب حصول الاثر فيكون دائما فى الحزن والخوف فاذا تامل العاقل فى هذه المعانى علم قطعا انه لا اصلاح فى اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والوقعة فيها فيكون دائما فى بحار الافات وغمرات الحسرات فحق بتمنى زوال هذه الحيوة وقد سبق منا فى تمنى الموت كلام اخر فى سورة البقرة فى تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال اهل السير لما القوى يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب ان يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فراوا من الراى ان يعملوا له صندوقا من مرمر ويجعلوه فيه ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وليدله افرائيم ومنشا وولد افرائيم نون وولد نون يوشع فتى موسى ثم بقى يوسف ههنا الى ان بعث الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقايق الامور الناوبل ان يعقوب الروح لانه اسف على فوات شئ من المخلوقات الاعلى يوسف لغلبة اثر مرات جمال الحق لا بشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه فى انتظارها فلا يدل على ذلك الاوصاف البشرية بطولها تفنن وتذكر يوسف وابن اهل السلوة وفى تعشق من اهل العشق ابن الخلق من الشئ ولا بد للمحب ولا من ملامة الخلق فاول ما اشتغل ادم عليه السلام حين قالت الملائكة لاجله اتجعل فيها من يفسد فيها بل قل ما لم هو الله تعالى حين قالوا له اتجعل فيها من يفسد فيها وذلك قول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله من جماله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه ان الواجب على كل مسلم ان يطلب يوسف قلبه وبنيامين سره وان تزل لطف الله والياس عن وجدانه كفر فلما زالت الاوصاف البشرية اثار العزة من رب العزة على صفحات احوال يوسف القلب حين وصلوا بشراحكام الشريعة وقد بهر اداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا وهم القوى الانسانية ضر البعد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجال العوارف واسباغ ظلال العواطف انتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلمة والجهولية لقد اثرك الله علينا بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصول والوصال وان كنا الخاطئين فى الاقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التى نضر القلب لاسر الروح لا تثريب عليكم اليوم لانصدقها ما صدقكم الله

يوسف

تعالى وتزيد القلب ان كان مصراله ظاهرا كما ان ضعف نور يوسف في البدء بنصا وسببا ونقصه نزلته في النهاية انه هو ابيضت وهو نور جمال الله
ولما فصلت عن واردات القلب هبت نفحات الطاف الحق انك لفي ضلالك القديم شعرنا عاذل العاشقين دع ذا فقد + اضلها الله كيف
يرشدها + فان تد بصر لان الروح كان بصيرا في بدء الفطرة ثم عمي لتعلقه بالدنيا وبصر فيها ثم صار بصيرا بوار دمن القلب شعر +
وردا لبشير بما اقر الاعينا + وشفى النفوس من فلق غاباتها لمنى + والقلب في بدء الامر كان محتاجا الى الروح في الاستكمال فلما كمل وصلح للقبول
فيضان الحق بين اصبعين من اصابع الرحمن نال بملكة الخلافة بصر الفريق في النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستمداد نور انوار الحق وذلك ان القلب بمثابة
المصباح في البدء بالنسبة الى الزيت في قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتركيبه في النهاية بالعقل بواسطة النار اذ خلوا مصر ان شاء الله
لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية الا بجذبة المشيئة امنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجدا لما اراده وعرفوه انه عرش الحق تعالى فاتحد
مادام في البيد والطبيعة انثنى الملك ملك الوهاد الوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية فوقه مسلما من قيد الوجود الحجازي وابقى به بقاء
مع الباقين بك بفضلك وكرمك انك انت الرحمن الرحيم ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية في السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجي من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون القراءة سيلي بفتح الياء ابو
جعفر ونافع نوحي بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وابن كثير والاعشى الزجي
والباقون بناء الخطاب كذبوا مخففا عاصم وحمزة وعلي وخلف وبن بدا الباقون بالتشديد كذبوا بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الباء ابن عامر
عاصم وسهل ويعقوب فعلوا هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعلى الكناية مثل هذا ولكن بسكون الباء وخطاء على بناء على انه فعل مستقبل
من الايجاء والنون لا يدغم في الجيم ومن التنجية والنون المحركة لا يدغم في الساكن والقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية والنون المتحركة لا يدغم
كما في القراءة الاولى ولكن سكن الباء للتخفيف لم يلزم منه خطاء الاخرون قرأوا بنونين وتخفيف الجيم وسكون الباء فعلا مضارعا من الايجاء
على حكاية الحال الماضية الوقوف لبناء لا يبدا التقى مع واو العطف يكرون بمؤمنين اجر للعالمين معرضون مشركون لا يشعرون ومن يتبع
المشركين القراء طاهر فيعقلون نصر ناظم لمن قرأ ما فيجي بالتخفيف لا وقف على من بناء ومن قرأ فتجي مشددة وصله بما قبله ووقف على من بناء الجزء
الالباب يؤمنون التفسير ذلك الذي ذكر من بناء يوسف هو من اخبار الغيب فلم تر تفسير مثل هذا في آخر قصة زكريا في سورة آل عمران ومعنى اجماع
الامر العزم عليه كما مر في سورة يونس في قصة نوح واراد عزمهم على القاء يوسف في البئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من الحسد على قصصه بدء
كذب من شرهم اباه بثمن بخس فال اهل النظم ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلعم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله
انه اذا ذكرها لهم اصر واعلى كفرهم فنزل وما اكثر الناس الى اكثر خلق الله المكلفين او اكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جوابه مثل ما تقدم
اي ولو وصفت لهم ايمانهم بمؤمنين والحرص طلب الشيء باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الاية قوله انك لا تهدي من احببت وما تسئلهم عليه على
تحمل ثم بمن اجر كما يسئل القاص ان هو الا ذكر وعظ من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من اية الاكثرون على الفظ مركب من كاف
التشبيه واي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كثر الخبر عن الجزء بين معناها الافراد وصار الجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن
الكاف لا عن اي كما في مثلك رجلا والاكثر ادخال من في تمييزها وقد مر في سورة البقرة في تفسير قوله سبحانه ان في خلق السموات والارض وفي مواضع
اخر تفصيل بعض الايات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الايات قصص الاولين واحوال الاقدمين ومعنى
يمرون عليها يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء خبره يمرون والمراد ما يرون من اثار الامم
الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوي والعالم السفلي محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن
الغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا يقرون بالله ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا في العبودية هو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن
اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم القدرية يثبتون الله خالقا حتى افعالهم والاية على الاول عامة في مجرد الاقرار
والقول وكان كذا اذا اجتمع الشرك غاشية تغشاهم وتعمهم قل يا محمد لهم هذه سبيلي التي هي الدعوة الى الايمان سبيل وسنتي وقولنا ادعو الى الله

يوسف

نفسه لسبيلي وعلى بصيرة حال من ادعو حاملة انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو او عاملة في انا ومن اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدا معطوفا عليه ومن اتبعني وعلى بصيرة خبرا مقدما فيكون ابتداء اخبارا قد ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وشهوة وغلبة سبحان الله تنزيها لله عما اشركوا وما انا من المشركين لا اشرك اجانبا ولا اشرك اخيارا قال وما ارسلنا من قبلك في الانبياء قبلك بغير من كان قبلا اسم للزمان السابق على ما اضيف اليه ومن يفيد استيعاب الطرفين في هذه السورة اريد الاستيعاب قوله الا رجالا ردا على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون ملكا او يكون امرأة مثل عجائز المتنبئة ونحوه من اهل الفترة خصهم بالاستيناء لما في اهل البادية من الغلظة والجفاء فيما رواه عن الله لبعدهم من بلد الحضارة ومن تبع الصيد غفل فلم يسر في الارض فينظر الى مصارع الامم المكذبة بما قال افلم يسيروا بالفاء بخلافه في الروم والملائكة لانصالها بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء اشبه الواو ولقد ذا لاخرة موصوف محذوف بحذف الدار الشاغلة والحال الاخرة لان الناس بها لهم حال الدنيا وحال الاخرة وبيان الخير قدم في الانعام وانما خصت ههنا بالحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غابت المحذوف وقد دل عليه الكلام والتقدير فلدار الحياة الدنيا او الحالة الدنيا حتى اذا استيأس سواء على انتصاره عن ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا بالتخفيف والتشديد ولا مكان عود الضمير الى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل بقوله ذكرهم انكم بشر وانما وجه التخفيف فيها فظن الرسل انهم قد كذبوا اي كذبهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وكذبوا جاءهم نصرنا صادقا وكاذبا المراد بمدة التكذيب العذاب من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى توهموا ان لا نصر لهم قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد خلقوا ما وعدهم الله من النصر وكانوا بشرا الا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء اسعدوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه لوسواس حديث النفس عالم البشرية وانما الظن الذي هو ترجح احد الجانبين على الاخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله وبان معاده ابتداء عن وصمة الاخلاف في ضمانه وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر فيها وظن الرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل الى كذبهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم وقرئ وقرأ حفص التشديد فان كان الظن بمعنى اليقين فمعناه ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان فحينئذ نزل عذاب الاستيصال او كذبوهم فيما وعدوهم من العذاب في الدنيا او في الاخرة فان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين امنوا بهم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان وهذا ناوبل عائشة قالت ما وعد الله محمدا شيئا الا وعلم انه سيكون فيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا ان يكذبهم الذين كانوا قد امنوا بهم لقد كان في قصصهم قصص الرسل اضافة المصدر الى الفاعل ويحسن بقاء الضمير لاختصاص هذه النون بهم والعبرة نوع من الاعتبار وهي العبور من الطرف المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم انه لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى كان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا العباد ثم لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ما نوا وافتخروا وبغى لوذروا وبالهم وعلى الخصوص الذين قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب واعلاء شانه بعد حبسه في البحر واجتماع اهله بعد البعاد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشتركون في الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع من القصص التي اعجز جملة الاحاديث رواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء لم يظاهر وبرهانا باهرا على انه بطريق الوحي والتنزيل وانما يكون دليلا واعتبارا لاولي الالباب اصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان القرآن دليل في نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل فكما ان الرئيس المحتشم من له اهلية الرياسة وان كان في منزله الخمول ما كان مدلول القصص هو المقصود والقرآن حديث يفتري الظهور اعجازه ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المتناولة لقصصه مقصودا بالذات وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه الاستدلال والقياس وقيل تفصيل كل شيء من وافعه يوسف مع اخوته قال الواحدي وعلى التقدير فهو ليس على عمومه لان المراد بالاصول والقوانين وما يتوصل اليها وهدى الدنيا ورحمة في الاخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك التاويل من ابناء الغيب لان هذا الترتيب في السلوك لا يعلمه الا اولوا بجوز فملكوت السماء الغواصون في بحر بطن القرآن وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما انت عليه وما تسلم عليه من اجزاء الله هو تنبيه غير محتاج الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة ذاتها مكملة لغيرها وكاين من اية في سموات الغلوب وارض النفوس تمر الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لانها طافحة على الدنيا وشهواتها وما هو من اكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفاتهم الا وهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها وطلب الاخرة ونعيمها وما هو من اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون بربوبية الاسباب والطالب التام منهم لامر الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب هو موحد كل شيء هالك في نظر الموحد الا وجهه الا رجحه الا وما هو من اكثر التائبين بالله وبقدرته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غير الله فما شبه حديث نفوسهم وتسلب اختياراتهم كما قبل العشق عذاب الله او ناتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مختص بمربيه وباعثه الا رجالا من اهل قرى الملكوت دون مدن الملك والاجساد او رجال من القرى وشبه ان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والقرى اقل اجزاء من المدن افلم يسيروا في ارض البشرية على قدم التربية والتربة ليصلوا الى فضاء عالم المحققة وظنوا انهم قد كذبوا فيما وعدوا بطاء النصر ابتلاء للرسل الله حسب ونعم الوكيل سورة الرعد مكية وقيل مدنية وهي خمس وتسعون اية ومائتان وست وثمانون كلمة وتسعمائة واثنان وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

ع الجزء الثالث عشر

الٓمٓرٰ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ ۗ وَالَّذِيْٓ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۝ اَللّٰهُ الَّذِيْ رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ
تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۭ كُلٌّ يَّجْرِيْ لِاَجَلٍ مُّسَمًّى ۭ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاۗءِ رَبِّكُمْ تُوْقِنُوْنَ ۝ وَ
هُوَ الَّذِيْ مَدَّ الْاَرْضَ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِيَ وَاَنْهٰرًا ۭ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ جَعَلَ فِيْهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي الَّيْلَ النَّهَارَ ۭ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ۝ وَفِي الْاَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجٰوِرٰتٌ وَّجَنّٰتٌ مِّنْ اَعْنَابٍ وَّزَرْعٌ وَّنَخِيْلٌ صِنْوَانٌ وَّغَيْرُ صِنْوَانٍ يُّسْقٰى بِمَاۗءٍ وَّاحِدٍ ۣ وَنُفَضِّلُ
بَعْضَهَا عَلٰي بَعْضٍ فِي الْاُكُلِ ۭ اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ۝ وَاِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءَاِذَا كُنَّا تُرٰبًا ءَاِنَّا لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ ۭ اُولٰۗىِٕكَ
الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ ۚ وَاُولٰۗىِٕكَ الْاَغْلٰلُ فِيْٓ اَعْنَاقِهِمْ ۚ وَاُولٰۗىِٕكَ اَصْحٰبُ النَّارِ ۚ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ وَيَسْتَعْجِلُوْنَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ
وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلٰتُ ۭ وَاِنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلٰي ظُلْمِهِمْ ۚ وَاِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا
لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِّنْ رَّبِّهٖ ۭ اِنَّمَآ اَنْتَ مُنْذِرٌ وَّلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ اُنْثٰى وَمَا تَغِيْضُ الْاَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۭ وَكُلُّ شَيْءٍ
عِنْدَهٗ بِمِقْدَارٍ ۝ عٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيْرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَاۗءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ اَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهٖ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۢ بِالَّيْلِ وَسَارِبٌۢ ع ٨
بِالنَّهَارِ ۝ لَهٗ مُعَقِّبٰتٌ مِّنْۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهٖ يَحْفَظُوْنَهٗ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ ۭ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوْا مَا بِاَنْفُسِهِمْ ۭ وَاِذَآ اَرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ
سُوْۗءًا فَلَا مَرَدَّ لَهٗ ۚ وَمَا لَهُمْ مِّنْ دُوْنِهٖ مِنْ وَّالٍ ۝ قراءة ورش وزرع ونخيل صنوان وغيرها رفع فيهن ابن كثير وابو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الاخرون بالجر
فيهن عطفا على اعناب اسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كلها والباقون بالنون على ونحن نفضل اظاهرتين واحدة على ايذان بفعلك الشاذ بها والباقي كما مر نافع غير قالون وسهل ويعقوب
غير رويسه ائذا اثنا بالمد والباقي مثله ولكن بالمد ابو عمرو اذا اثنا اظاهرتين فيهما عاصم حمزة وخلف هاوي والي والباقي في الوقف يعقوب ابن كثير غير ابن فليح وزمعة وفي
الوصل ابن كثير مثله ولكن بالمد ابو عمرو اذا اثنا اظاهرتين فيهما عاصم حمزة وخلف هاوي والي والباقي في الوقف يعقوب ابن كثير غير ابن فليح وزمعة وفي
ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الوقف وعن البزي بغير ياء المتعالي الحالين ابن كثير يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل الوقوف المرسومة في ايات الكتاب لا يؤمنون
والنمط مستطيل يوقنون وانهارا النهار يتفكرون بياء واحد نفضل فرادى بالنون في الاكل يعقلون جديد بريهم في اعناقهم في النار خالدون
المثلات عظيم حرج الناس في الحالين لظلمهم من ربطها وما يزداد وما يغيض ما يغيض بالتهار من الربط ما بانفسهم فالامر له على الخلاف الحالين وان التفصيل ذلك

الاٰيٰت التي في هذه السورة اٰيات السورة العجيبة الكاملة في بابها والذي انزل اليك من ربك الى القرآن كله هو الحق الذي لا محيد عنه والمراد به لا
يحصر الجهة في هذه السورة وحدها ثم اخذ في تفصيل الحق مبدأ بالدلالة على صحة المبدأ والمعاد فقال الله مبتدأ خبره الذي هو الموصول صفة المبتدأ
وقوله يدبر الامر تفصيل الايات خبر بعد خبر والعمد بضمتين جمع عمود وهو ما يعمد به اي يسند به شبه الاسطوانة وقوله ترونها كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد
اي انتم ترونها امر بوضعه بلا عمد وقال الحسن لها عمد لكن لا ترى وقيل الاية تقديم ورفع السموات ترونها امر فوضعه بغير عمد وهو تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم
زعم من تمسك بالمفهوم ان للسموات عمدا لكنا لا نراها وما ذلك العمد قال بعض الظاهريين هي جبل من زبرجد محيط بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى
سقوط هذا القول لان كل جسم لو كان معمدا لزم ان يكون معمدا على شيء فذلك الجبل ايضا كان معتمدا على شيء وتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض
الصورة الى ذروة عالم المعقول ان تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه الذي اوقفها في العالي وبحكم الازل ذلك الذي لا نعرف كيفيته فذلك
الامساك اما قوله كل يجري لاجل مسمى فعن ابن عباس اراد المشتمل مائة وثمانين مزلا ومائة وثمانين يوما ثم انها تعود مرة اخرى الى واحد واحد منها في امثال
تلك الايام وبحسب تلك الايام سنة فامة اقوال ان صح هذا عنه فلعله اراد بما عدها في دائرة نصف النهار وتنازلها عنها في ايام السنة او اراد نزولها
في فلكها الخارج المركز من الاوج الى الحضيض ثم صعودها من الحضيض الى الاوج فان لها بحسب كل جزء من ذلك الاجزاء في كل يوم من ايام السنة تقدما خاصا
زائدا او ناقصا كما برهن عليه اهل النجوم واما القمر فسيرد في منازله مشهورة وقال سائر المفسرين المراد كون تاما محترقا الى يوم القيمة وبعد ذلك ينقطع الحركات
وينتهي السير كله وأجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما يقول كتبت لثلث خلون وانما قال في سورة لقمان الى اجل مسمى موافقة للقبل في ذلك ومن
يسلم وجهه الى الله والباء لله كما في قوله اسلمت وجهي لله بدبر الامر اجمالا بعد التفصيل الى امر العالم العلوي والعالم السفلي من اعلى العرش الى ما تحت الثرى
بحيث لا يشغله شان عن شان لان تدبيره لعالم الارواح كتدبيره لعالم الاشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة الى قدرته احوال
شتى من نوع الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وتبديل الصور والاعراض وتغيير الاشكال والاوضاع يفصل الايات الدالة على وحدانيته
وقدرته ويحتمل ان يراد بتدبير الامر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الايات نزال الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو اثر ذلك
العالم في العالم السفلي ويجوز ان يكون تدبير الامر اشارة الى القضاء وتفصيل الايات اشارة الى القدر وقوله لعلكم لقاء ربكم توقنون على التقابس
اشارة الى اثبات المعاد لان المقر بتدبيره وتقديره على الاطلاق المذكورة لا بد ان يعترف بامكان قدرته على الاعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية
اتبعها الدلائل الارضية فقال وهو الذي مد الارض قال الاصمعي بسطها الى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر محسن لبصر لا بنا في كونها
لنبا على الطرافها ويجعل فيها رواسي جبالا لئلا تميد باهلها غير منتقلة عن اماكنها وكيفية تكون الجبال على بسط الارض لا يعلم تفصيلها الا من يعلم
وفي عنق الملك السفلي اقطار السموات في الاجزاء الارضية القابلة لذلك الاثر بعد متراجحا بالاجزاء المائية وغيرها وقد دل بعض على ذلك فرد ٩

الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم ان البخار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك وحين انتقل الحضيض الى الجنوب انجذب الماء الى ذلك الجانب لان الشمس بقرب الحضيض اقرب الى الارض فهو جبشدة التسخين الجاذبة للرطوبات فضاً الطين اللزج جزاً جزاً الجبال والاغوار بجانب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من الشمس والانهار العلوية وبالجملة فالاسباب هنا لا تتناهى لا يحاط الى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع وحدانيته برهان الانهار العظيمة على وجود الارض الكائنة فيها من احتباس الاجزاء واكثر ذلك انما يكون في الجبال فلذا قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيراً كقوله وجعلنا فيها رواسي شامخات واسقيناكم ماء فراتاً وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الحوامل ومكامن الاجسام المائعة من النفط والقير والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قادر ثم تحدث على الارض بهذه المياه وتغذيها انواع النبات فلذلك قال ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين والمفسرون فيه قولان الاول ان حين مد الارض خلق فيها من جميع الثمرات انواعاً زوجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك بالتوالد فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كادم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني ان المراد بالزوجين الاسود والابيض والحامض والحلو والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاختلاف الصنفي وصف الزوجين بالاثنينية للتأكيد مثل نفخة واحدة اما قوله يغشي الليل النهار فقد فسرنا في الاعراف انما ذكر هذا الانعام في اثناء الدلائل لارضين لان التوالد الظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسميه الحكماء كرة التسخين كرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا اظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها في الافق ويحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وفي الارض قطع متجاورات اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومتلاصقة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخره على خلاف ذلك وفي هذا دلالة ظاهرة على ان الفاعل المختار موقع لافعاله على احداها دون الاخرى وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الطبائع مختلفة الثمار في اللون والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد فدل على ان هذا الاختلاف لا يستند الى الطبيعة فقط ولكنها بقدرة العزيز العليم وانما ذكر الزرع بعد الاعناب والنخيل لانها اكثر اما ان يكون كذلك في الوجود كقوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً والصنوان جمع صنو وهي النخلة طار اساراً واصلها واحد وعن ابن عباس الصنوان المثل ومنه قولهم صنو الرجل صنوابيه فمعنى الآية على هذا ان اشجار النخيل قد يكون مماثلة وقد لا يكون والاكل الثمر الذي اوكل قال الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الآية السابقة بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وهذه بقوله لقوم يعقلون لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يستندون الحوادث السفلية الى الاباء الاثيرية والامهات العنصرية لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج بمزج معين وشكل معين وطبيعة وخاصية مخالفين لغيره علم ان كل هذه الاختلافات لا يستند الى اشتغال كواكب معدودة ولا الى الطبائع عناصر محصورة كما اشير اليه ذلك بقوله وفي الارض قطع الآية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافاتها والقوابل قد يرتقي الى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل مسبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب فوقه وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يجد الاعادم عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر في الآيات يوجب عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله ولي التوفيق ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وان تعجب قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما نوا حجوا انك من الصادقين فهذا اعجب وان تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد وان تعجب يا محمد فقد عجبت من موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب العجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي لا يعرف سببه ذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم وان سلم ان المراد عجب عند الله كما قرئ في الصافات بل عجبت بضم التاء فنادبلة انه محمول على انتهائه لا على ابتدائه لكن منكر عند الله ما قالوه فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف اذا كان الامر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب عطف عليه قوله أئنا لفي خلق جديد وهو بعث ثم حكم عليهم بامور ثلثة الاول اولئك الذين كفروا بربهم يعني والملك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة او عن انكار كمالها بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتأثير الطبايع والافلاك او انكار العلم بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي وتمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو او انكار الصدق كما اذا قيل انا اخبر عنه ولكنه لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحد من هذه العقائد كفر فضلا عن جمعها والثاني والثالث الاغلال في اعناقهم قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقك للعار الذي لا يمكنك الانزعاله وهو مصدر على فعل وقال اخرون هو من جملة الوعيد ولا بد من نجوئه على القولين اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى والظاهر انه حاصل في الحال ويؤيد القول الثاني قوله اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل والاول قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا والثالث اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وربما يستدل الاشاعرة بهذا على ان الصغيرة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار وبمن ان يقال في افادتها الحصر ثم انه تعالى كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة اخرى بعذاب الدنيا فيستهزؤن بزعمانهم بانه كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله ويستعجلونك بالسيئة اي بالعذاب العقوبة التي تسوءهم قبل تمام الحسنة وهي العافية والاحسان اليهم

بالاهمال والتاخير وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها واصل هذا الحرف من المثل الذى هو التمثيل لان العقاب مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وذلك لتر لبس تغيير كلبا لا يماثل الصور الاولى واتما ذلك تغيير يبقى الصورة معه صحيحة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قالت الا - امرة فهو دلالة لنا على جواز العفو صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم ان لا انسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا بل لا بد ان يكون على اقترافه بغفر الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة ترك العمل بها فى حق الكافر فيبقى معمولها فى حق اهل الكبائر لا بقى المراد من هذه المغفرة تاخير العقاب الى الاخرة ليقع جوابا عن استعجالهم والمراد غفران الصغائر بالمجتنب الكبائر او غفران الكبائر بشرط التوبة فان تاب والا فهو شديد العقاب كما نقول فاخير العقاب الى الاخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافرا للكفار وايضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والمدح انما يحصل بالتفضل لا باداء الواجب عند يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر وجواب لما محذوف تقديره لما عاجلهم بالعقوبة ولا عفا الله ويجاوزه ما هنا احد لعيش ولا لاحد عيد وعفا لا كل كل احد قال اهل النظم ان الكفار طعنوا فى نبوته بسبب الطعن فى الحشر والنشور ثم طعنوا فى نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا فى نبوته بسبب الاصرار على ما لا يجوز انزاله وهو قولهم وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ وقد تقدم مثل هذا فى الانعام فى تفسير قولهم قالوا لولا انزل عليه ملك من ربه ويجئ مثل هذه بعينها فى هذه السورة قيل ولبئس تكرار محض لان المراد بالاول انهم اقترحوا نحو ما فى قوله تفجر لنا من الارض ينبوعا وبالثانى انهم اقترحوا الاتيان بالقرآن انزل فوق كل انزل وكرروا سائر ما اقترحوا ولعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فاجاب سبحانه السائل بقوله إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَمَا عَلَيْكَ الا الاتيان بما يعجز به دعوى انذارك ورسالتك وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ من الانبياء يدعوهم الى الله تعالى من الحد بعد الحد او شاء ليلين عن عناده ويجعل الانبياء اثر عن بعد اثر فعلى هذا التقدير المنذر نبينا والهادى نبينا ان الاول محمد الثانى نبينا كل زمان وقيل المنذر محمد والهادى هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد جبير ومجاهد والضحاك والمعنى انهم ان جحدوا كون القرآن معجزا فلا يضيق قلبك بسببه فما عليك الا الانذار واما الهداية من الله وقيل المنذر النبى والهادى هو الولى روى عن ابن عباس ان رسول الله صلعم وضع يده على صدره فقال انا المنذر وادوما منكب على فقال وانت الهادى بك يهتدى المهتدون بعدى قائده النفير الكبير ثم هذا المعنى المذكور فى الاية السابقة بقوله الله يعلم لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قادرا على تمييز اجزاء بعضها عن بعض فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول العذاب مقدورا له علم فلا يجوز استعجاله به وكذا انزال الايات يكون ما كولا الى تدبيره فان علم ان المكلفين اقترحوها لاجل الاسترشاد فى مهد لهم الايات الظاهرة حتى تعم الاقلاد فيهم ان اعطاءه كل منذر الايات خلاف الحكمة ربما يعلم الناذن مقتدرا بالحكمة الربانية على القول الثانى فهو ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هداية الناس بالطريق شاء وعلى هذا احتمل ان يكون الله خبر مبتدا محذوف والجملة مفسرة لها واما هو الله ثم ابتداء فعل يعلم ما تحمل كل انثى قال فى الكشاف لفظة ما فى ما تحمل ولا تغيض وما تزداد اما ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل انثى وبعلم غيض الارحام وازديادها او غيوضها وازديادها على ان الفعلين غير متعديين فاسندا لفعل الى الارحام وهو لهما فيها والازدياد افتعال من زاد فابدلت التاء دالا وانما يتعدى ولا يتعدى كمل لانه اذا او موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورة وانوثة وتخاطط اعضائه وسائر احواله من السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك مما يعلم ما تغيض الارحام اى تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداده من العدد فقد يكون واحدا واكثر من الخلقة فقد يكون ناما او ناقصا ومن المدة فقد يكون اقل من تسعة اشهر او زيادة الى سنتين عند ابى حنيفة والى اربع عند الشافعى والى خمس عند مالك ومن دم الحيض قال ابن عباس كل ما سال الحيض فهو ما زاد فى مدة الحمل يوما لتحصل الجبر بعند الاقل ثم بين كمال علمه وقدرته بقوله وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدارٍ وحد لا يتجاوز ولا يقصر فى النقص والزيادة والمراد بالعندية العلم كما بقى هذه المسئلة عند الشافعى كذا قال انه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة مخصوصة حسب مشيئته الازلية وارادته السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع اسبابا كلية واودع فيها قوى وخواص تحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها افعال العباد وافعالهم وخواطرهم ولذلك ختم الاية بقوله عالم الغيب والشهادة اى هو عالم بما غاب عن الحس بما حضر له او بما غاب عن الحاق وبما فهمه وبما فى المعدومات وبالموجودات الكبيرة والحقيرة لا يجب الجميع بل بالرتبة والشرف لا تتراجل الموجودات المتعالى المنزه عن كل ما لا يجوز عليه من ذاته وصفاته وافعاله ثم زاد فى التاكيد فقال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به اى مستو عنده هذان لا تتراجل الجهر لا يتفاوت فى علم احد الحالين سواء عنده من هو مستخف بالليل ومعنى الاستواء انهما احدهما مستخف والاخر ساب لا فرق بينهما لا تناول الاحد هو مستخف وساب لا ان يكون من فى معنى الاثنين حتى كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وساب بالنهار وفى المستخفى والساب قولان احدهما ان المستخفى هو المستتر الطالب للخفاء فى ظلمة الليل والساب من يضطرب فى الطرقات ظاهرا بالنهار يبصر كل احد يقال سرب فى الارض سروبا اى ذهب فى سربه بالفتح والسكون هو الطريق وبؤيده قول مجاهد معنا سواء من تقدم على القباح فى ظلمات الليل ومن خبأها فى النهار الظاهر على سبيل التوالى وثانيهما نقل الواحدى عن الاخفش وقطرب المستخفى الظاهر من قولهم اخفيت الشئ اى استخرجته والساب المتوارى الداخل سربا يقال سرب فى السرب لو حشد اذا دخل فى كناسه وهذا وان صح من حيث اللغة لكن قرينتى الليل والنهار تاتيا تاما على القول الاول وهذا القول اكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجرى فى الظاهر مجرى السبب لا ستواء علم الله بحال المستتر المعلن فقال له اى لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات

جماعات من الملائكة يعقبن في حفظه وكلائنة والاصل معقبات فادغمت التاء وهو على اصله من عقبه بالتشديد اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا
ولا يتهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتاء للمبالغة نحو نسابة وعلامة او لانه جمع معقبة اي ملائكة معقبة او جماعة معقبة وقوله من امر الله ليس صلة الحفظ
لانه لا يدرء الملك ولا احد من الخلق على ان يحفظوا احدا من قضاء الله وانما هو صفة لجوء كانه قيل له معقبات من امر الله يحفظونه او له معقبات يحفظونه
ثم بين سبب الحفظ فقال من امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه فمن بمعنى الباء وقرأ ابو علي وابن عباس وغيرهما ويجوز ان يكون صلة على معنى يحفظونه
من بأس الله اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال تعد صاحب اليمين
يكتب الحسنات الذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه عن الجن والانس والهوام فما لم يؤمر بحفظه وقبل المراد بحفظونه
من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه الخ ٠ ان المستخفي والساراب اذا سوى بينهما لم تفد فائدة في تسليط هؤلاء على ابن
آدم قال علماء التفسير ان الشياطين يدعون الى المعاصي والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات
الشريفة واذا علم ابن آدم ان معه ملكة يحصي عليه افعاله واقواله استحيى منهم وكان ذلك له رادعا قويا وقد مر في هذا الباب كلام في الانعام في قوله
ويرسل عليكم حفظة فارجع اليه وقوله لا يذكر الا بتقديم اخر منفي على ابن عباس واختاره ابو مسلم الاصفهاني المعقبات الحرس واعوان الملوك والحملة وهي قوله
له معقبات صفة للمستخفي والساراب وحال منه لكونه نكرة موصوفة اي يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والساراب بالنهار مستظهرا بالمعاونين
والانصار والمفضوحين لامراء والسلاطين على ان هبط الخلاص عن المكاره وبعضهم الله لا يالحرس والاعوان ولذلك ختم الاية بقوله وان اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال من يلي امرهم ويدفع عنهم ثم ان الاشاعرة في هذا الكلام دلالة على ان العبد غير مستقل بالفعل لانه
اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى حكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الاخرة فلو كان العبد مستقلا بحصول الايمان وكان ذلك الفضاء
الله تعالى وقال المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم لانه لو ابتدأ بالعبد اولا بما ينفع با
لضلال والخذلان كان ذلك من اعظم العقاب مع انه ما كان منه تغيير فلو اوجد فيه دليل على انه لا يعاقب الا على ما فعله العبد بنفسه من التغيير ا ما
بانفسهم من نعمة فيغير الله ما بهم من النعمة الى ان اجاب الاشاعرة بان هذا يرجع الى قوله ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة ان الله سبحانه بذلك انه لا يغير ما
الا ما علموه منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم ان فيهم من يؤمن او ذي اعقابهم من يؤمن فانه لا يستأصلهم وتد بان هذا خلاف الظاهر وقد
صرح بذلك في سورة الانفال في قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الاية والحق ان ترتب النقمة على تغيير النعمة لا ينافي استناد تغيير النعمة اليها فانه مبدأ المبدأ
وانتهاء الوسائط وسبب الاسباب والتأويل لما لا الف الله الا هو الحي القيوم اللام له مقاليد السموات والارض لهم ما لك يوم الدين الواو رب
العالمين الازل الى الابد اقسم بهذه الامور التي انزل على عبده محمد هو الحق والتنزيل الذي به يوصل المؤمن من هبوط عالم الطبيعة الى ذروة عالم الحقيقة لا
الله الذي رفع السموات المحسوسة بغير عمد فكما ترفع السموات بقدرته كذلك رفع الدرجات بعده او كما ترفع السموات المحسوسة بعد القدرة
كذلك يرفع سموات القلوب بعد ثباتها وسخر شمس الروح وزمام القلب والنفس لتدبير مصالح العالم الصغير انما يظهر هذه الغرائب والعجائب بحصول
كمال الايمان بالرجوع الى الله والفناء فيه بل البقاء به ومرجع تدبيره انه مد ارض البشرية وجعل فيها رواسي من الاوصاف الروحانية والظلمانية من منابع
الغناء ومن كل الثمرات وهي الملكات والاخلاق وجعل فيها زوجين اثنين ملكة روحانية حميدة والهوى نفسانية ذميمة فالاولى نورانية كالنهار والاخرى
ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك اخرى وهذا معنى قوله يغشى الليل النهار وفي ارض الانسانية قطع متجاورات هي النفس والقلب والروح والسر والخفي
حيوانية وملكوتية وروحانية وجبروتية وعظموتية وجنات هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من عناب هي ثمرة النفس من الصفا
التي هي اصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو واللهو وزروع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التي منها غذاء الروح وتخيل هو الروح والاخلاق
الحميدة كالكرم والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة وصنوان هو السر الجبروتي الكاشف عن اسرار الجبروت بين الرب والعبد فانه
اذا حكى السر العبد كان الحكي مثالا لما هاهنا الوجود وغير صنوان هو الخفي الواقف على اسرار العظموتية التي لا مثال لها ولا مثال ولا يحكي العبد عنها كما
قال اوحى الى عبده ما اوحى وكما قال بين الحبيبين سر لين يفشيه لبيك واحد هو هاء القدرة والحكمة الله يعلم ما يحمل كل انثى اي ما في استعداد كل مستعد
من الفضائل والرذائل وكل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبائع او ما في كل منها من الايات الدالة على موجدها سيريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم ما تغيض الارحام وما تزداد اي ما يظهر من تلك الايات لاستعدادات في جانبي التفريط والافراط والمراد بما تغيض من ارحام الموجودات
اما المعدومات فانها ارجاء شتى نقص من رحم العدم واحد وزاد في رحم الوجود واحدا وبالعكس في جانب الاعدام مستخف بالليل العدم وظاهر بالنهار الوجود
له اي لله معقبات من العلم والقدرة من بين يديه ومن خلفه اي في حالتي عدمه ووجوده من ازل الازل الى ابد الابد يحفظونه من امر الله اي كل امر حتى
لا يخرج من قبضة قدرته ان الله لا يغير ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغيروا ما بانفسهم من استدعاء الوجود والعدم بلسان الاستحقاق الوجود
او العدم كما يقتضيه حكمته وقدرته هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في

الجزء الثالث عشر

ضلال ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والأرض
قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات
والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما
الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم
يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن
يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين
يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة
وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من
آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متاع ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن
القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي

ع

أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به
الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك
فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم
تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من
هاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها

ع

الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن
الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن
اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا
وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإن ما نرينك
بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم
لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن
عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

سورة الرعد مدنية وهي ثلاث وأربعون آية وست مائة وإحدى وخمسون كلمة وألفان وستمائة وستة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد
ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون
وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق
جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل
شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل
وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال
ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء
الكافرين إلا في ضلال ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات
والأرض قل الله قل أفاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي
الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها
فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما
الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم
يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد أفمن
يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين
يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلوة
وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من
آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة إلا متاع ويقول الذين كفروا لولا أنزل
عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء ويهدي إليه من أناب الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن
القلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب كذلك أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذي
أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به
الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا
تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك
فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم
تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من
هاد لهم عذاب في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها
الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن
الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا ولئن
اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا
وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب وإن ما نرينك
بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم
لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار لمن
عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

سورة الرعد مدنية وهي ثلاث وأربعون آية وست مائة وإحدى وخمسون كلمة وألفان وستمائة وستة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون الله الذي رفع السموات بغير عمد
ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون
وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك
لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق
جديد أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة
قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل
شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل
وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم
وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال
ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال
له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء
الكافرين إلا في ضلال

الله بخير اجهد فاوجز قبل حتى قام عليه فقال يا محمد علي ان اسلمت فما لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال يجعل لي الامر بعدك قال لا ليس ذلك الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فيجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك الى اليوم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا اتيته اكلمه فقد علمت من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل في الله تعالى وهو يخبره عن ربه انه من محمد بن عبد الله خلف النبي ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله فرأى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل ربيعة والله لاملانها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال رسول الله يمنعك الله عن ذلك وابنا قبيلة ربيعة الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة من سلول فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول والله الآن لئن اصبح احد محمد وصاحبه بعني ملك الموت لاقتلنهما ثم ركب فرسه وامر امرأة من سلول ان تفتح له بابها اذا رجع اليها فلما انتهى الى بيت السلولية نزل عن فرسه ثم اتى بيت امرأته فاذا هو بفارس واقف على بابها فقال ما منعك ان تدخل بيتك فقال اني رأيت على بابك رجلا ما رأيت مثله قط والله لقد رأيت رجلا طويلا بين السماء والارض ما اراه الا ملك العرب فاظنه قتل اخاك فاطلع فيه ثم رجع الى بيت السلولية ثم ركب فرسه وانزل الله الآية في هذه القصة قوله وهو شديد المحال معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمحال شدة المكر ومنه يحال الكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه اللهم اجعل لنا الى القرآن لنا شافعا ولا تجعل علينا ماحلا مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبادات المفترين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى الارادة ايضا الثراء المستحكم مع اخفاء المال الارادة عنه ثم اثنى على نفسه بالحكمة وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له دعوة الحق فاضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة الى الحق والمراد به سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة اذا اراد وحقيقي بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا فائدة في دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وهذا احد اقوال البتي في الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قوله لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقد سلف تحقيق الحق في اول هذا الكتاب في تفسير البسملة والذين يدعون من دونه اي الالهة الذين يدعوهم ويعبدهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم بشيء الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه الى طلبه متعلق ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر والحاصل ان الكفار وذلك الطالب كلهما مشتركان في الخيبة لاشتراكهما في دعاء الجماد وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فالجرم لا يبلغ طالبه ثم اكد خيبتهم بقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لكفارة امرهم عنده وان دعوا الاصنام لم يستطع اجابتهم ثم زاد في الثناء فقال ولله يسجد من في السموات والارض فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر في المؤمنين لانهم يسجدون له طوعا الى مشيئته وشاءوا على رغب واصطبار ومجاهدة واما في حق الكفار فشكل ومجمل ان بقي المراد حقيقة ان يسجد لاجله جميع المكلفين من الملائكة والثقلين فخرج عن ان يوجد بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالعبودية وترك الامتناع عن نفوذ مشيئته فيهم فلا اشكال نظير قوله وله اسلم من في السموات والارض وقد مر في ال عمران اما قوله وظلالهم فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانباري لا بعد ان يخلق الله للظلال فهما يسجد بها لله ويخضع له كما جعل للجبال فهما حتى اشتغلت بتسبيحه فظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لغير الله كرها وهو يسجد لله طوعا وقال اخرون المراد من سجود الظلال انتقالها وامتدادها بحسب انتقاع الشمس وانحطاطها وفي فائدة مستأنفة لما اتاح الله طائفة من الاحوال وتخصيص الغدو والاصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها في اوقتين ومعنى الغدو والاصال قد مر في الاعراف واعلم انه سبحانه ذكر انه يسجد في النحل بعبارة اخرى فقال ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه ذكر الملائكة ولا الانس بالتصريح فعمم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال في الحج الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض بتكرير من لانه تقدم ذكر المؤمنين وسنا الادبان فقدم ذكر من في السموات تعظيما لهم ولما ذكر من في الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم واما في هذه السورة فقد تقدم العالون من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم ثم اجمل الكلام الى ذكر الاصناف والكفار فجاء في اثنائه بذكر السجود من في السموات لذلك وذكر الارض بتعاور من يدب فيها استخفافا بالكفرة اصنافهم فبين التقرب وكل اثنين بما لائق بهما وما الله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التعجب بسؤال التقرير رادا على عبدة الاصنام فقال قل من رب السموات والارض قل الله وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اذا قال هذا قولك فاذا قال هذا قولي قال فما لك هذا قولك فجيء باقراره استبنا فامنه ثم يقول له فكرمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله قل افاتخذتم ويجوز ان يكون لفظهما لما ليسوا منكرين له والهمزة في افاتخذتم للانكار والمعنى بعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء جمادا عاجزا عن تحصيل المنافع والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سببا للاشراك ثم جعلوا مع ذلك اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا اجهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهالاتهم بالظلمات وانكر ان يكون شيء منها مساويا لتعبيضه فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور جمع الظلمة والنور كان السبل المخرجة غير محصورة والصراط المستقيم واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله ام جعلوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل خلقه فتشابه الخلق اي خلق الله وخلقهم عليهم اي ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كلما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قل الله خالق كل شيء وهو

التوحيد الفهار المنوه بالتوبيخ الذي لا يغالب وما عداه مربوب مقهور قال المعتزلة العبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول انه يخالق الله لان العبد يفعل لجلب منفعة او دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بانه لا مخالفة من بعض الوجوه لا يقدح في المماثلة من وجه انتهى فلو كان فعل العبد كالتحريك مثلا واقعا بقدرة الله تعالى لكان مثلا للمحرك الواقع بقدرة الله تعالى وهذا الاشكال وارد انتهى على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب مثلا اخر للحق وزهوه والباطل ومنحلبه فقال أنزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها اي مياهها والوادي الضفاض المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من سرى اذا سال والمعنى سالت بمائه فاعل الفعل مضمر لا الفعل فاعل الجمع على افعلة لا لهذا وكانه حمل على فعل فجمع على افعلة كجريب وجوسق كما قيل لعل فاعل يجمع على افعال مثل يتيم وايتام وشريف واشراف كاصحاب نصلة صاحب وناصر وفال غيره ظهر واد وبقرة وادية ومعنى التكثير في اودية ان المطر لا يأتي طريقا لمنا وبة بين البقاع فيسيل بعض اودية الارض دون بعض قال في الكشاف معنى بقدرها بمقدارها الذي علم الله انه نافع للمطر علمهم بدليل قوله واما ما ينفع الناس وقال الواحدي معناه سالت مياه الاودية بقدر الاودية فان صغر الوادي قل الماء وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا فال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره ذاكرا بسبب انتفاخه من ربا يربو اذا زاد ثم قال سبحانه اظهارا للكبرياء كما هو دأب الملوك وتما توقد عليه من الابتداء الغاية راجع الى قوله أوقدوا ومنه يشاء زبد مثل زبد الماء او للتبعيض يعني وبعضه زبد مثله اراد بما الاجسام المنطرقة او الرابية او الابقاد على الشيء قسمان احدهما ان لا يكون ذلك الشيء نارا كالاجر في قولك أوقدوا على الطين واتقانها ان يكون في النار كانواع الفلز وهذا قال ههنا بزبد لفظة في النار فان في الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع مثل فائدة قوله بقدرها لان جمع بين الماء والفلز في قوله ابتغاء ينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة واتخاذ سائر ما ثبت وانبت من الحديد والنحاس والرصاص والاسرب وما يتركب منها والمتاع كل ما تمتع به كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يضرب الامثال للحق والباطل ومثله في انها لا تضرب الا للتبيين والتقرير والاسنا

الرعد

ان نقصا ثوابها والبها الاشارة بقوله ويخافون سوء الحساب والذين صبروا عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى المصائب ابتغاء وجه ربهم لاجل ان بقي ما اوردوه ازهد وما اصبروا وغيرذلك من الاغراض الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لانها احكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا لانها قضاء سماوي لا كيف شاء او لا تمشى الا بالمقدور والقاضي لا بالقدر والقضاء وقد يرضى العاشق بالضرب والايلام لانه لذاذة بالنظر الى وجه معشوقه هكذا العارف يصبر على البلايا والمحب مستغرق في بحر العرفان وفيضان انوار المعروف عليه دائم الصلوة ولا يمنع دخول النوافل فيها كقوله ما زال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احببته وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النفل لانه في السر افضل والفرض لا تراني الجهر افضل كما مر في اوائل سورة البقرة ويدرؤن بالحسنة السيئة اي يدفعون بالتي هي احسن وهي الخصلة الحسنة المعضة قال صلعم لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها او قيل لا يقابلون الشر بالشر انما يقابلونه بالخير كما روي عن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا اعفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم يروى ان شقيق بن ابرهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متفكرا فقال من اين اتيت قال من بلخ فقال وهل تعرف شقيقا فقال نعم فقال كيف طريقه اصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا اعطوا شكروا فقال عبد الله هكذا طريقة كلابنا وانما الكاملون الذين اذا منعوا شكروا واذا اعطوا اثروا وقيل مرادا لابناء انهم اذا رأوا منكرا لم يرضوا به بغيرا وانبك لهم غبقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة التي اراد ها الله تعالى ان يكون مرجع اهلها والعقبى مصدر كالعاقبة ومثله البشرى والقربى ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل والمعنى اولئك لهم ان يعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة ومعنى جنات عدن تقدم في سورة براءة ومن صلح معطوف على فاعل يدخلونها ويجوز ان يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق كما صدقوا بوان لم يعمل مثل اعمالهم قال الزجاج بين ان الانساب لا ينفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة فقال لواحد والاولاد صح لان الله تعالى اجمل من ثواب المطيع سروره بحضور اهله معه في الجنة فاولادهم الها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كمال امر المطيع ويمكن ان يوجه قول الزجاج بان المخصوص بشارة المؤمن بان اهل الصالح من اصوله وفصوله وازواجه يجتمعون به في دار الثواب فقد يمكن ان يكونوا جميعا في الجنة ولا يجتمعون في موضع ولقائل ان يقول لا تدخلوا اعم من الاجتماع ولا دلالة للعام على الخاص فصح الاعتراض لواحد والاباء جمع ابوي كل واحد منهم فكانت قبل من اباءهم وامهاتهم ولبس في الاية ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجها ولعل الاول لمن مات عنها او مات عنه وبؤيده ما روي عن سوده انها لما قبض رسول الله صلعم بطلاقها قالت عند ذلك يا رسول الله احشرني في زمرة نسائك قال ابن عباس لهم خمسة من درنجونة طوطا فرسخ وعرضها ابواب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم سلام عليكم بما صبرتم على امر الله وقال ابو بكر الاصم من كل باب من ابواب البر كباب الصلوة وباب الزكوة وباب الصبر يقولون نعم ما اعقبكم الله بعد الدار الاولى وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمالات جوهرا قدسيا وروحا علويا يختص بتلك المرتبة فبعد المفارقة يفيض على النفس الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كذلك وعلى هذا القياس وقد يستدل بالاية على ان الملك افضل من البشر والا فلم يكن يخولهم على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم ويمكن ان يجاب بان وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا بمجرد الملكية والجواب في قوله بما صبرتم متعلق بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم او بدل صبركم وروي عن النبي صلعم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقياء وقد مر تفسيره في اول البقرة على ان الضد قد يعلم من الضد ثم اتبع وقد مر الفاء وقوله سوء الدار كان العاقبة لا يطلق الا على العاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين لان غير الحميدة لا يسمى عاقبة وقال في الكشاف المراد سوء عاقبة الدنيا ولا حاجة الى هذا الاضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز ان يراد بالدار جهنم ويسوءها عدا بها ذكره اهل النظم انه لما بين سوء حال المنافقين كان لقائل ان يقول لهم قد فتح الله عليهم ابواب الرزق في الدنيا فاجاب بقوله الله يبسط الرزق والمراد ان الدنيا دار امتحان لا دار جزاء فقد يتفق ان يكون الجاهل الكافر خلي المال والعالم المؤمن برى الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والايمان والحصر الذي هو وجه الترتيب هو ان الرزق على من يشاء كما هو مكتوب وبقدر الضرورة وسدا لرمق لا بفضل منه شيء وفرحوا بمعنى اهل مكة واضرابهم بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح بحدث بنعمة الله واظهار لفضله عليهم وما الحيوة الدنيا ونعيمها في جنب نعيم الاخرة الا متاع شيء نزر يتمتع به زمانا قلائل ثم يعدو الى حسرات لا نهاية لها وامثال هذا لا يوجب الفرح بل لا يجوز ثم حكى نوعا اخر من قبايح الكفرة فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه اية من ربه وقد مر مثله في هذه السورة وذكرنا ان الذين يتكلمون بهذا ليس مرادهم الا ان قوله في جوابهم قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب قبل على الحق وحقيقته دخل في نوبة الخير فيه غموض واجيبوا بان يجري مجرى النتيجة كانه قيل ما اعظم عنادكم بعد ما انزلت من الايات الباهرة ان الاضلال والهداية من الله والمراد لا تشتغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهداية فان الذي اضله الله لا يهتدي سواء اتاه بكل اية او لم يأته بشيء والذي هداه يراه معجزة وقال الجبائي المعنى ان الله يضل من يشاء عن طريق الثواب ويهدي اليه اقواما اخرين فلولا انكم تستحقون العقاب لهذا كم لما انزل الثواب بانزالها افترحتموه وقيل المراد انه تعالى انزل ايات ظاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فلو شاء لهداكم فلا فائدة في تكثير المعجزات الذين امنوا يدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم عن ابن عباس يريد اذا سمعوا القرآن خشعت قلوبهم واطمأنت الى الايمان بايات لوعد لا بشك او لوجل من ايات لوعيد حيث قال اذا ذكر الله وجلت قلوبهم والمراد ان علمهم بكون القرآن معجزا يوجب حصول الطمانينة لهم بانه سبحانه واحد لا شريك له صادق في وعده ووعيده وبيان محمد انبي حق الا بذكر الله تطمئن القلوب التحقيق فيه ان الانسان متوسط لوتبة بين عالم الارواح وعالم الاجسام فاذا توجه الى عالم الجسد تشعث

وقيل ما لهذا عاش من لم يعش لغيره ومن لم يحب لم يحب كيف لا وهو في مقابلة من عفى عن الجاني

التركيب

الجزء الثالث

الى التعرف فيظهر له هناك امور ضرورية تتعش ادونها ابين بما هو من شرط القطار فتوزع فكره ويضطرب احواله اما اذا توجه الى عالم الروح فانه يرى الاضطراب وينوجد المطلب بحصل الاستغراق في بحار العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي طرابن وقع انا الغريق فما تخوفي من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقع منه ذرة على النحاس انقلبت هباء صافيا بافيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع في القلب التسليم كيف لا يجتبه جوهر اصافيا نورانيا اصانا من التغير والزوال الذين امنوا مبتدأ خبره طوبى لهم وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حذف المضاف اي قلوب الذين امنوا وطوبى مصدر طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها والام للبيان مثل سقيا لك والمعنى طيب لهم على الدعاء والخبر عن ابن عباس مرفوعا وموقوفا عن الضحاك غبطهم فتادة حسنظهم الاصبغ بن نباتة الزجاج عيش طيب لكل منقار به العبارة الجامعة ان الطيبي شيء في كل الامور حاصل لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكى الاصمعي انها في دار النبي صلعم وفي دار كل مؤمن منها غصن وروي عن رسول الله صلعم انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده بنبت الحلي والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشية والمآب المرجع التأويل هو الذي يؤول اليه الشيء ويرجع بكم برق انوار الجلال فيغلب عليكم خوف الانقطاع والياس وبكم برق اضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستيناس وبشتى انتجاب التوالي والاتصال التقال بطرق القبول والاقبال ويجمع الوعد وهو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فيقع الهيبة في قلوب الخلق كلام حتى الملائكة فيسجدون خيفة ويرسل صوت الفهر فيصيب بها من يشاء من اهل الخذلان فيحرق حس استعدادهم في قبول الايمان ومن تتابع ذلك انهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين لا يثبتون الا ما يثبته العقول والشرائع وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع له دعوة الحق اي دعوة حق ان دعاء فيستجيبه كما قال السموات والارض ايتا طائعين وانصاله دعاء من يدعون الخلق الى الحق والذين يدعون من دونه اي غير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا يتأثر الخلق بعضهم من بعض الا بما اثر فيه الحق ان يبسط يديه الى الماء اراءة الحق اثر يده بشرى وما هو بباغيه فلا يستجيبون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا بما لهم على الهدى كما دعوا الى الحق بالهوى بدل عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال وقد سجد من في السموات والارض من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والصلحاء طوعا ومن ارواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها بالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظل الارواح من صفات القلوب وليس التجوز من شمالها لانها امارة بالسوء الا ما رحم ربك فانها تسجد بتبعية الروح معنى اخر ولله يسجد من في سموات القلوب والارواح والعقول طوعا ومن في ارض النفوس من صفات النفس القوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي اثارها وتنائجها اخر ولله يسجد الارواح في الحضيض وظلالهم وهي اجسامهم بالتبعية وهذا التجوز بعيد وضع الجبهة وخص الوجه بالذكر لان اثار القدرة فيهما اكثر وان ابدء الانتهاء والتحير احتمل ان يراد بالوقتين وقتا الانبياء والنوم فيما الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد في الثاني يغرب فيه انزل من سما القلوب ماء الحياة فتسقى اودية النفوس فاحتمل التسهيل زيدا بها من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية وانزل من سماء الارواح ماء مشاهدة انوار الجمال فتسقى اودية القلوب فاحتمل التسهيل زيدا بها من الاوصاف البشرية وانزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فتسقى اودية الارواح فاحتمل التسهيل زيدا بها من انانيته اوزوجانيته وانزل من سما الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فتسقى اودية الاسرار بقدرها فاحتمل التسهيل زيدا لوجود المجاز وربما توقفون عليه من البقاء وان الله الموفق الذي مطلع على الابتداء فلا تبقى ولا تذروهي التذكير بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي او متاع وهو التمتع بزبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس من البقاء بالله فيمكث في ارض الوحدة المستعدة لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العنايات الازلية التي هي الاستجابة من تنابعها كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ملء الارض البشرية من انواع اللذات والحظوظ واضعافها لجعلوه فداء الاعداب المقطعة وانفقوا ايثارا زلفاهم اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا بربهم بالانقطاع عما يشغل بواطنهم وعلانيتهم بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة صدأ الطلب الاحوال السيئة من لوائح القرائن والملائكة يدخلون عليهم من كل باب بما صبرتم فنعم عقبى الدار والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار صدأ الطلب لا يذكر الله تطمئن القلوب القلوب اربعة قلب مركب لقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها فارضوا بالحيوة الدنيا واطمأنوا بها وقلب ممسوس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له عزما فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن فاطمئنانه بذكر الله كما في الاية وقلب محدث وهو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقول الخليل ولكن ليطمئن قلبي اي يتجلى صفات الاحياء واذا صفا القلب طمئنا انعكس نور الاطمئنان من مرآته فتجلى على نفسه فصير مطمئنة ايضا فتحقق بهذه الثلاث العنايات بخطاب ارجعي اشارة الى ان الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين امنوا الاية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا في قلب المخلص وربما يعتلي في قلوب المؤمنين بحسبه قال صلعم طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة فافهم ايها المحجوب فانهم اهل الجنة كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم

الرعد

تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا
ع ١١ ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض
أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد لهم عذاب في الحياة
الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم
وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن
الأحزاب من ينكر بعضه قل إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب وكذلك أنزلناه حكما عربيا
ع ١٢ ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
أزواجا وذرية وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب
وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من
أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب

القراءة مثلي وعقابي وما بي بالياء في الحالين يعقوب والسوسي بخلف قنبل وافق سهلا وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالادغام علي وهشام وصد وابغم
الصاد وكذلك حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت محققا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب عاصم الاخوان با
للتشديد من التثبيت الكافي ولمن على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير والباقون بالجمع الوقوف بالرحمن الاهو لانقطاع النظم مع تحا
القائل مآب للموالاة لان جواب المحذوف اذا كان هذا القرآن جمعا في الموضعين وعد الله المتقين اخذتهم للاستفهام مع الفاء عقاب بما كسبت
لحق الخبر المحذوف التقدير لمن لا ينفع ولا يضر ولان قوله وجعلوا يصلح استئنافا اوحالا باضمار قد شركاء سموهم لحق الاستفهام من القول على السبيل
هاء شيء لاتفاق الجملتين مع التفي الثانية واقفا المتقون لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والوصل وجر بدل كون النفس للاقطاع وظلها اتفاق
قد قبل والوصل اجود لان الجمع بين الحالين ادل على الاتيان النار بعضكم ولا اشراك بترتيب عرتها العلم لان ما بعده جواب اذا وذرية بالله
كتاب بتنوين والوصل اجود لتمام مقصود الكلام الكتاب احسانا اطراحها لحكم الحساب اجمالا كل نفس الدار مرسلا والوبينكم للعطف الكاف للتفسير عن ابن
عباس والحسن أي رسلنا الانبياء قبلك في أمة قد خلت من قبلها أمم وقال اخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم وانبناهم كتبا يتلى عليهم كذلك انبناك
هذا الكتاب انت تتلو عليهم فلم وتخواغيره وقال في الكشاف معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا كارسالنا وفصل على سائر الارسالا
ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة فمضت في خوالهم وانت خاتمهم ذكر مفصولا الارسال فقال لتتلو عليهم الكتاب العظيم الذي
اوحينا اليك وهم يكفرون وحال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن المفترين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فبه فكفرانها بعنة ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن بالمعجز الصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس نزلت في
كفار قريش حين قال لهم النبي صلعم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن فقيل المتنبي صلعم قل هو ربي الذي لا اله الا هو اواحد لفهما والمعنى
عن الشرك عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب رجوعي في شأني على مصابرتكم وقبل نزلت في صلح الحديبية حين اراد كتاب الصلح فقال رسول
الله صلعم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال مسيلمة ابن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله لا يتركون فعلها بين اوراثين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم اشراكهم
روي ان اهل مكة تعذروا في بناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلعم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كابي جهل وعبد الله بن امية المخزومي سيرلنا جبا
مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض اموات انسلهم احق ما تقول ام باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى او سخر لنا
الريح حتى نركبها وتسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست تهون على ربك منه فنزل قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها او
ازيلت عن مراكزها او قطعت به الارض اي وقع به السير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض او شققت عن سرعة كريها فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى
بعد احيائهم به لكان هذا القرآن قال الواحدي لما سمع عبد الله صلعم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سألتم ولو
شئت لكان ولكنه خبر بين ان تدخلوا باب الرحمة فتؤمن مؤمنكم وبين ان يكلم الموتى بكلام اما خترتم لانفسكم ثم كفرتم بعد ذلك بما لا يعذب به احدا من
العالمين فاخترتم بأن الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرآنا فعل به ذلك لفعل بهذا القرآن وتقطع الارض وتكليم الموتى لغيرهم لما امنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الاية وقال في الكشاف هذا من الايات لعظم شان القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا وقال في الكشاف عن الفراء ان الاية تتعلق بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن وبدليل هذا الكلام وهو قوله ولو ان
قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال رد اصلهم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني انشاء فعل وانشاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه
وقال المعتزلة القدرة على الايمان التي افترضوها الا ان علمه بان الظهار هما مفسدة بصرفه ولان بلجئهم الى الايمان الا انه ينافي التكليف على

الرعد

وسلنا الكاف

المراد

الاختيار قالوا وبعضد قوله أفلم ييأس الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا او لو يشاء لهداهم الى الجنة والمراد نفي العموم لا عموم النفي وذلك انه ماشاء هداية الاطفال والمجانين لجاب اهل السنة بان كل هذا خلاف الظاهر ومعنى افلم ييأس افلم يعلم وهذه لغة قوم من النخع وقال الزجاج انتجاز لان اليأس الشيء عالما به لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف النسبائي في معنى انزل لتضمنهما اياها ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل ان قراءتهم اصل والمشهورة تصحيف وقع من جبير ان الكاتب كتب وستوسع السنات وهذا القول ضعيف جدا والظن بارباب النقطات الحفظ عن هذا قال في الكشاف هذا والله قرئ ما ييأس وجوز ان يتعلق لو بيأس امنوا معناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة الذين امنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين بقوله ولا يزال الذين كفروا يعني عامة الكفار وثبتهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم فارعة اهله لفرعهم من السبي والقتل وحل القوارع قريبا من ديارهم فتطاير اليهم شرارها حتى يأتي وعد الله وهو أسلامهم وموتهم او القيمة وقيل خاصة في اهل مكة وكان رسول الله صلعم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فتغير عليهم وتخطف منهم وعلى هذا احتمال ان يكون قوله او تحل خطابا لاصحاب السرايا قريبا من ديارهم بحيث كانت الحرب بينهم وبين خزاعة وكان قد وعده الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان معجزا ان الله لا يخلف الميعاد قد مر البحث عليه في اول سورة ال عمران ثم ازداد توكيدا الوعيد فقال ولقد استهزئ برسل من قبلك الاية والاملاء الامهال وقد مر معنى الاستفهام في قوله فكيف كان عقاب للتفريع والتهديد ثم اورد على ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجيب عقولهم فقال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت معناه القائم الحفيظ والرقيب الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات لكن ليس كذلك وجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يكون عطف جملة عليها التقدير افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر السيد صاحب تحل العقد انه يجوز ان يجعل الواو الواو في قوله وجعلوا لله الحال وبضم اللام الجند معه جملة مفرقة لانكارها بقاريتها من الحال والتقدير الذي هو قائم على كل نفس موجود في الحال انهم جعلوا له شركاء فاقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا نظرا للالهية وتصريحا بها وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس ومغنيهم موجود ويحرم مثلك ثم زاد في الحاجة فقال قل سموهم اي جعلته له شركاء فسموهم له من هم وبنوه باسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستخف الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت بعضا تاخر من ان يتحمى بذكره ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالالهة على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله ام تنبئونه منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو قل من ان تعرف اقول ذلك انكر لاشيء محض اذ لو كان الشريك هو موجودا وهو ارضي لتعلق علم العالم الذات المحيط بجميع المستقبلات ونحوه قل انبئونه الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس ثم اكد هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول اي بل امنوهم شركاء بظاهر من الكلام من غير ان يكون له حقيقة كقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله وهذا الاحتجاج من اعجب الاساليب التي اختص بها القرآن الكريم المعجز فلله در شان التنزيل ثم بين ما زين لهم فقال بل زين للذين كفروا مكرهم قال الواحدي معنى بل ههنا كما يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه اترك ذكر ذا وكذا والكلام في ان المزين هو الله تعالى او غيره قد مر في اول سورة ال عمران وكذا البحث فيمن قرأ وصد وا بضم الصاد وامامن قرأ بالفتح فيحتمل ان يكون لازما اي اعرضوا عن الحق ويحتمل ان يكون متعديا اي صرفوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل الله تقدم في مواضع منها الاعراف ثم عاد الى الايعاد فقال لهم عذاب في الحيوة الدنيا من القتل والقتال واللعن والذم والمصائب والامراض لا تفاد بصعب المؤمنين ايضا لا تفاما مور بالصبر عليها والعقاب يكون كذلك ولعذاب الاخرة اشق لانه اشد وادوم ولما لهم من الله اي من عذابه من ولي من حافظ او ملهم من جنة الله واقي اي دافع ومانع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختيارهم وحكم بعقب الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة وقد مر عند سبتويه في اقصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر محذوف كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج انه تمثيل للمغايب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله اكلها دائم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جناتكم الا هذه فان اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم ايضا والمراد انه لا هو هناك كلا ولا شمس كما لا زمهرير في قوله ولا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله وندخلهم ظلا ظليلا قيل ان الا بزوال لان حركات الجنة لا ينتهي الى سكون دائم كما تقول ابو الهذيل وابو علي قال القاضي وفيه دليل على ان الجنة لم تخلق بعد لانه تعالى قال كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال ولم نكن نحصل الان في السموات جنات تقع بها الملائكة ومن بعد جنات من الانبياء والشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة لم تخلق بعد للاجابة واجيب بان الخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة لا تفنى وهو قوله اعدت للمتقين ثم ذكر عقاب الفرق في شان القرآن المتلو فقال والذين اتيناهم الكتاب قيل اراد بالكتاب القرآن يعني ان المسلمين يفرحون بما انزل اليك من الشرايع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود والنصارى وغيرهم من ينكر بعضا تهم كانوا لا ينكرون الا ما يصرح بعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما انكروا وما يختص به الاسلام من نعت الرسول وغيره فراجع الحسن بقادة واعترض عليه بان اهل الاسلام فرحهم بنزول القرآن معلوم ولا فائدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح والاستبشار بما فيه من العلوم والفوايد وانهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التوراة والانجيل والمراد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب من اسلم من النصارى ثمانون رجلا واربعون نجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة فرحوا بالقرآن لانهم امنوا بمحمد فوصفوا الاحزاب بقلة اهل الكتاب المشركون قاله ابن عباس وقال مجاهد اراد اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه موصف

الرعد

لما معهم ومن سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض باتهم كلهم لا يقرون بكل ما انزل الا رسولنا وقوله بما انزل يقيد العموم واجيب بالمنع من ان ما يفيد العموم التحرير الاستثناء والتحرير ادخال كل عليه والانكرار ادخال بعض ولا نقض ثم ابين عما يفيد الفرق امر نبيه بان يصرح بطريقة فقال قل انما امرت ان اعبد الله حصر امرت الايعبادته وعدم الاشراك به ويندرج فيه جميع وظائف العبد ثم ذكر اتم كماله مكمل فقال اليه ادعو خصه بالدعاء الى عبوديته دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع الا اليه ومن تامل في هذه الالفاظ عرف اتضامع فيها مشتملة على حاصل علوم المبدا والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن واوعد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه اشارة الضمير يعود الى ما في قوله بما انزل اليك والى القرآن في قوله ولئن اردت ان وجه التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القرآن وقال ابو مسلم معناه ومثل ذلك الانزال انزلناه اي مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا منصوبا على الحال اي حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمي حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به لانه اشتمل على اصول الاحكام والشرايع بجمل نص الحكم للمبالغة وروي ان الكفار كانوا يدعون رسول الله صلعم الى امور ليوافقهم فيها منها ان يصلي الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فاوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد امته وقد مر الوجوه في مثله واول سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلعم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك الاية وبهذا ان الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص قبل الزواج والاولاد فقد كان لسليمان ثلثمائة امراة منكوحة وسبعمائة سرية ولداود مائة وذراري بعقوب اكثر من ان تحصى وكانوا يقترحون الايات فاجابهم الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان ياتي بآية الا باذن الله ولا بد لكل نبي من معجز واحد والزايد على ذلك بل اصل النبوة وتعين المعجز الواحد موقوف على مشيئة سبحانه ولا حكم لاحد عليه وكان رسول الله صلعم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الاسلام وذويه وكانوا يكذبونه ويستعجلونه موصوفا فاجيبوا بقوله لكل اجل كتاب اي لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتاخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا على الغالب لكل مكتوب وقت معين والتحقيق انه لا حاجة الى ارتكاب الغلبة لان المعنى يقتضي الملازم وكانوا ينكرون النسخ الشرايع وفي الكلايف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اي يثبته فاستغنى بالتصريح عن الكتابة والمحو عن اثبات ضده او الكتابة ونحوها وفي الآية نوعان الاول اضاعة ما تقتضي الحكمة اضاعته بعض الاشياء فقبل اراد نسخ حكم واثبات اخر مكانه ولم يرد تم البحث في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل يمحو من جملة ما قضى الثاني اثباته خاصة بعض الاشياء فقبل اراد نسخ حكم واثبات اخر مكانه ولم يرد تم البحث في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل يمحو ذنوب الحفظة بالتوبة ويثبت بدلها الحسنة ولا يمحو من الكفر والمعاصي ويثبت بدله الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في اول السنة احكام تلك السنة فاذا مضت السنة محت كتاب الخراج المستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس يمحو الدنيا ويثبت الاخرة اما قوله وعنده ام الكتاب اي اصله فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلعم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيمة فعلى هذا عند الله كتابان احدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى ابو الدرداء عن النبي صلعم ان الله سبحانه في ثلث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما شاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغير الازمنة وتبدل احوالها ولو قدر تحقيقه في مواضع ولما بين كيفية انطباق الحوادث على وفقها قال وان ما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في حياتك او نتوفينك قبل ذلك فليس عليك الا التبليغ وعلينا حسابهم وما جواز هم الا علينا والبلاغ بعض التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر ان اثار حصول تلك المواعيد وامارات اتيانها قد ظهرت وقرب وان تباشير الظفر قد طلعت وقد لاحت فقال اولم يروا انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها والارض ارض مكة كان المسلمون ارون من اهلها ايمانهم والوانهم الى البعوث والسرايا والجيوش الى ان صارت الارض عنهم واسعة بدليل تن

عند فاهو مجمع القدرة والداعي وهذا معنى قولهم الكسب حاصل للعبد ثم خلق الله تعالى فعال وسمعه الكفار من فرعون فظاهر ومن قرأ على الوحدة فالمراد بالجلس عن ابن عباس ان المراد ابو جهل وعن عطاء اراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب الفاطع فقال ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا والمراد من هذه الشهادة اما اظهار المعجزات على وفق دعواه والاشهادة اعلى من هذه لان القوية منا لا يفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بحتة ثم عطف على اسم الله ومن عنده علم الكتاب ما الذي حصل عنده علم القرآن وفهم معناه واشتماله على الانواع الاربعة من النظم الاتم والاسلوب الاعجب الفائق لقوى البشر فمن علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بانه معجز وهم وان الذي ظهر هذا المعجز عليه بيده حق ورسول صدوق وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو يعني الله عز وجل شهيدا وبعضد قراءة من قرأ ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بان عطف الصفة على الموصوف بعيد لا يقال شهد هذا بعيد والفقيه وانما يقال شهد الفقيه وقيل المراد شهادة اهل الكتاب من الذين امنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على مثالهما لكونهما غير معصومين لا يجوز وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يشهد على صحة حكم بغير وعن الحسن والله ما يعلمه الا الله وعن سعيد بن جبير ان التوراة مكية وابن سلام واصحابه امنوا بالمدينة بعد الهجرة والله اعلم بمراده التأويل وهم يكفرون بالرحمن يعني ان الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية كانت مقتضية للوجود بمان لا يكون معه شيء ولا نعمة اجل من بعثة الرسل ففيه صلاح الدارين فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب تخصيص هذا الاسم بالمقام كقولك ان كل من في السموات والارض الا الى الرحمن عبدا ولد للدلالة بان يقول في الجواب هو ربي الذي لا اله الا هو وله يستحق العبادة لا هو ولا افوض امري الا اليه وانيه مرجعي كما كان منه مبدئي سرت برجائي النفوس وقطعت ارض البشرية واكلم به موسى القلوب الهيبة بلا علم بصيرتهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن جاء عقيب كل واحدة من الاحكام الاربعة التي قصد عنهم موجبة للشقاوة او تحمل فريقا من ارهم قابلهم بان قصد تلك المعاملة ممن يجهلهم عن المسئول وسئل عن امرهم حتى بان وعند ذلك الشقاء الازلي ومن امارات الشقاوة الاستهزاء بالانبياء والاولياء ثم اخذ انهم اي امسكهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة انهم عذبوا في الدنيا بالبعد والحجاب عبودية التفرد بالهوى ولعذاب الاخرة بانواع الحسرات والتعوب بالحيات والملكات الموجبة للدركات الكامنة انهم هي مشاهد الجمال ومكاشفات الجلال وظلماتها اي انهم في ظل معاملاتهم واحوالهم التابعة لشمس جودهم على الدوام والذين اتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القرآن ومن الاحزاب النفس والهوى والفوى من ينكر بعضه لتقل التكليف عليهم والجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواءهم المخالفين بالشرك بعد الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوصال بدل الانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فان الرسل جعل بهم العناية في البداية فتوفوا من حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج النبوة والرسالة الى النهاية فلم يبق فيهم من دواعي البشرية ما يميلهم الى الازواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل رغبهم الله سبحانه في ذلك على قوى البشرية بخصوصية الخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام بحول الله ما شاء لا هل المتعادة من اهل الشقاوة ويثبت لهم من خصائص اهل السعادة وما لعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذي قدر فيهم ان لا خائم كل من الريقين واما نرينك بالكشف بعض ما انا نهم كما اخبرت العشرة المبشرة بانهم في الجنة وعن غيرهم بانهم في النار انا قابضوا ارض البشرية فننقص منها بالازدياد في الاوصاف الروحانية من سوء ابرهيم عما مكنت غير منتهين بالكمال بل الانبياء الى ان يبعث ثلثمائة الاف واربع عشر الفا وثلثون كلهم ثمانية وخمسون حصوا ما ياتي

سورة ابراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين من عذاب شديد الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا اولئك في ضلال بعيد وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى باياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بايام الله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ انجيكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تاذن ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا فاتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

ابراهيم ع ١٠

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ
لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ
مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَ
يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝ القراءة الله الذي بالرفع على الابتداء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر
المفضل وروح بخلف عن يعقوب الخزاعي عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا وعبد بالهاء في الحالين يعقوب ونافع ورش وسهل عن عباس
في الوصل لوقوف او لغير الجهد ط لمن قرأ الله بالرفع وما في الارض شد هذا بناء على ان الذين صفة الكافرين عوضا بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب
او مرفوع على الذم اي اعني الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدأ خبره اولئك ضلال فلا وقف على هو جاز لك ان تقف على شديد للابتداء بعيد
لبسبق هم ط لان قوله فيضل حكم مبتدأ خارج عن تعلق الارسال وبعد من بشاء ط لاستئناف الحكم بإتمام الله ملكوره كرر اعظم شديد جميعا لان ما بعده جزء
جميعا وشروط لمن يعطف وجعله مستأنفا وما عطف فوقه على من بعده ط الا الله قرب الارض فصلا بين الاستخبار والاخبار مستحق لتقدير هو عزيز
الاستفهام في بريد ون مبين من عبادة بأذن الله ط المؤمنون سبلنا ما اذيتمونا المتوكلون في ملتنا ما من بعدهم وعيد لان ما بعده وصف صفة بعد
لذلك بمعنى ط غلظ التفسير كون السورة مكية او مدنية تماما بعد الاحكام لتعرف المنسوخ من الناسخ وغير ذلك لمكية والمدنية سبأ ان قوله الر
كتاب السورة المسماة بها او كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان المذكور اصلا جملة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هذا القرآن او هذه
السورة من كتابي الظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق والكلام في التخريج للغرض عند المعتزلة وللعناية عند الحكيم وان شئت فقل اللام
واللام في الناس للجنس المستغرق ظاهر انه يدل على ان دعوته عامة ونفي اخراج النبي سيأتيهم من الظلمات الى النور اتر سبحانه جعل انزال الكتاب علة دعوته
اياهم بل الحق واسطة لهما لا مهم ولكن باذن ربهم اي بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضي ترجح جانب
الوجود على جانب العدم وهو حاصل اوجبا ان فقد حصل الوجوب عند المحققين وذلك ان تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالآية من قال ان معرفة
شكر لا يمكن الا بالتعلم لان كل عبر عنه بالاخراج من الظلمات الى النور واجيب بان معنى الاخراج التنبيه وانما المعرفة فانما يحصل من الدليل وقوله الى صراط مستقيم بدل
من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز في الكشاف ان يكون على حذف مضاف اي الى دين صراط الحميد وذكر الوصفين فاكيد لخفية
الصراط واستئناف لان العزيز هو الغالب الجار وجوز في الكشاف ان يكون على حذف مضاف اي الى دين صراط الحميد وذكر الوصفين فاكيد لخفية
فج لعبد مفضيا الى صلاح حالهم دنيا واخرى لا حاجة الى ارتكاب عبثية وقيل قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان التعريف اول العلم بالله العلم بكونه
قادرا عالما والعلم بكونه عالما وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهذا معنى الحميد ثم اثنى على نفسه تحقيقا لخفية صراطه ودينا لان الوصف بالعزيز
فقال الله الذي مبتدأ وخبر او المبتدأ محذوف تقديره هو الله وجر او نصب على اتباع ما قبله من الموصوفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق
هذا البحث مشبعا في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم تمم الآية بوعيد من لا يعرف ربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ وهو دعاء
عليهم بالهلاك والثبور وكل سوء وان الكفار وجه اتصال قوله من عذاب شديد بما قبله انهم قولوا لهم ما العذاب فيقولون هو بلاء الذين يَسْتَحِبُّونَ اي
يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشيء على غيره كانه طلب لنفسه ان يكون ذلك الشيء عنده احب من الآخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره
كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واجب ذلك المحبة فذلك نهاية المحبة وهذا شان محبة اهل الدنيا ولكنها اذا ظهرت اضمحلال
وقوله وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ اشارة الى الضلال وقوله وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال اقتضاء
الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لا ترى عنه الطرق الاخر فيها غاية الخلاف فيمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه
بعيد عن طريق الحق ثم لما من على تكليف المكلفين بانزال الكتاب ارسال الرسول ذكر ان من كمال ملك المنعم ان يكون ذلك الكتاب بلسان الرسول اخرج اصحاب الاثبات
بالآية على ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر احد وجاءت حصل التعريف للبشر بالاشارة والقرآن كالاطفال فالوا ان كانت توقيفية فاما ان يكون بالوحي والوحي موقوف على تعلم سابق فقوله وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ اي ملتهم لزم الدور واجيب بان الآية تختص برسول له قوم
ولا قوم لآدم فينتفي التوقيف انه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود بهذه الآية على ان محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه
وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا ان قومه العرب ولكن قوم النبي اخص من اهل دعوته فقد
يكون اهل دعوة الناس كافة قبل التكليف كما في حق بنيامين لان التخصيص في قوله قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا ما يكون اولى الا ترى ان قوم
الرسول اولى الناس بفهم لسانهم فيفهموا عنه ويبلغوه الى غيرهم بتوسط الترجمة في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس الخالط ويوجب
المضاعف الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقالت المعتزلة ان معنى قوله ليخرج الناس وسطها وهو قوله
ليبين لهم فان فائدة التبيين انما يظهر اذا كان المكلف قادرة واختيارا ونحوها وهو قوله الحكيم فان الحكمة تأبى خلق الكفر والقبائح بدل على صحة مذهب
الاعتزال وقال الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز يجامع ان يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد مذهبنا القول
في حقيقة مسئلة الجبر اذا فقد ذكرنا ما يختص هذا الموضع فنقول القراء اذا وقفوا على لم يكن الوقف كلا للاول فاوقفوا على الاستئناف هو

عالما والعلم بكونه

الآية تعم العرب وغيرهم فيرسل الرسول

فان الغرض

الوجه كقوله لئن لم تنته لأرجمنك وقرئ بالرفع على الاستئناف كأنه قال وما أرسلنا من رسول إلا وليبين قومه ليكون بيانه لهم
ذلك أشرح بلغة العرب وأعذب وهو مع ذلك فإن المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية إلا إذا جعله الله واسطة وسببا لما بين أن المقصود
من بعثة جميع الأنبياء هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور أردف ذلك ببيان أن الغرض من إرسال جميع الأنبياء لم يكن إلا ذلك وذكر لذلك مثالا وخص موسى بالذكر
لأن أمته أكثر الأمم سوى محمد كما جاء في الحديث وكثرة معجزاته الظاهرة ومعنى أخرج لأن الإرسال قد يحسن أن يكون بأن يصنع الفعل ويجوز أن يكون بأن يصنع التقدير به كأنه
أخرج ومعنى التذكير بأيام الله الإنذار بوقائعه التي وقعت على الأمم قبلهم ويقال أيام العرب حروبها وملاحمها وعن ابن عباس أيام الله نعماؤه من تظليل الغمام و
إنزال المن والسلوى وبلاؤه أهل الفرقان والآيات التي كانوا فيها تخبر فرعون وآل فرعون والمراد عظيم بالأمر عجيب والمعنى هيئهم لأن تذكرهم بذلك لأن التذكير والتنبيه
دلائل لكل صبار على الضراء شكور على السراء وذلك أن فائدة الآيات إنما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما أمر الله موسى بأن يذكر حكى عنه أنه ذكرهم ولم
يقل فيهما بأنهم كما ذكر في المائدة انتصارا على ما ذكره هناك وقوله عليكم إن كان صلة للنعمة بمعنى الإنعام فقوله إذ أنجاكم ظرف للإنعام أيضا وإن كان
مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز أن ينتصب إذ أنجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز أن يكون إذ بدلا من النعمة أي اذكروا وقت أنجاكم وهو بدل
الاشتمال وباقي الآية قد مر في أول البقرة ومن جملة النعم قوله وإذ تأذن أي وأذكر واحين أذن ربكم إيذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتراح معه الشبهات
وقد تقدم في أواخر الأعراف أن فيه معنى القسم ولذلك جاء اللام الموطئة لجواب القسم والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف مناقشة هذا الكلام أن
الشكر بالحمد عبادة عن صرف العبد جميع أقسام ما أنعم الله تعالى عليه فيما أعطاه لأجله ولا شك أن المكلف في أسلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة
أقسام نعم الله وفي ملاحظة فوائدها لطفه وصنعه في أعمال الجوارح في الأعمال الصالحة الكاسبة لأنوار الملكات المجهدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد
محبة المنعم وقد يثمر في العبد من هذه الحالة إلى أن يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم ويصدر منه الأعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير الطبع
طباعا والتكلف خلقا وهذا معنى إضراء الشكر مزيد الإنعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله الذي هو الحق والصدق وبحال مواهب الله بنبوة
لأنه مهما صار طبعا مقاد الواجب الوجود سبحانه يحل فيه نور الوجوب فلا غرو إذا لا عجب بقاد لذلك النور كثير من الممكنات وينفتح عليه باب التصرف
في الخلق بالحق للحق وإن كان حال المكلف بضد ما فلنا ظهر عليه ضد ذلك الآثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم يعني كفران النعم إن عذابي لشديد
ثم إن منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود إلا إلى صاحبه وعليه والله تعالى غني عن ذلك كله فقال إن تكفروا أنتم الآية وذلك إن واجب الوجود لذاته واجب
وإن يكون كمالا إذا كان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات اللهم وإن لم يكن حامدا قوله ألم يأتكم يحتمل أن يكون خطابا من موسى لقومه والغرض
تحويفهم بمثل هذا الكلام من تقدم من الأمم فيكون داخلا تحت التذكير بأيام الله واحتمل أن يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه بذكرهم أمر الأمم
الأولى قال أبو مسلم والأكثرون على أنه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول محمد بر لهم عن مخاطبة نفسه وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله كان جملة من
مبتدإ وخبر وقيل اعتراض وإن كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم إلا الله وحده اعتراض ثم إن عدم العلم إما أن يكون
راجعا إلى صفاتهم بأن يكون لعوامهم أحوالهم وعدم علمهم غير معلوم وإما أن يكون فيما بين الفرون أقوام ما بلغنا أخبارهم كما روي عن ابن عباس
أن بين عدنان وإسمعيل ثلثمائة أبا لا يعرفون وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يدعون علم الأنساب فلا ينفي الله علمها عن
العباد وظاهر الآية قوله وقومنا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين
من لدن آدم عليه السلام إلى الوقت لأنه لو أمكن ذلك لم يبعد تحصيل العلم بالأنساب لوصول ثمود تعالى حكى عن هؤلاء الأقوام أنهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات أعادوا أمورا
أحدها أنهم ردوا أيديهم في أفواههم وقد تقول الآن أحد هما أن المراد بالأيدي الفم الجارحة أن وعلى هذا فيه احتمالان الأول أن الكفار ردوا أيديهم في أفواههم
فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الأظهر ووضعوا الأيدي على الأفواه ضحكا
واستهزاء لمكان غلبة الضحك ووضعوا أيديهم على أفواههم مشيرين بذلك إلى الأنبياء أن اقطعوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي
أو أشاروا بأيديهم إلى ألسنتهم وإلى ما تكلموا به من قولهم إنا كفرنا بما أرسلتم به راجعا إلى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره فإما طالبهم بالتصديق وهذا أقوى
لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا الاحتمال الثاني أن يكون الضمير راجعا إلى الرسل والمراد بالرسل لما أسكتوا عنه سكتوا ووضعوا
أيديهم أنفسهم على أفواههم أرادوا أنهم لا يعودون إلى ذلك الكلام البتة ويكون الضمير الأخير راجعا إلى الرسل والمعنى أن الكفار لما سمعوا وعظ الأنبياء ونصائحهم
أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم ووضعوا أيديهم على أفواه الأنبياء منعا لهم من الكلام هذا جملة الاحتمالات على القول الأول
القول الثاني أن ذكر اليد والفم توسع ومجاز عن أبي مسلم أن المراد بأيديهم ما نطقت الرسل بأفواههم من الحجج لأن دلائل الوحي من أجل النعم لأنهم إذا كذبوا
الآيات لم يطلبوا لها أنكاتهم ردوها إلى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم أنه بقي للمرسل إذا أمسك عن الجواب رد يده في فيه
فجعل لأنهم سكتوا عن الجواب رغبة بأنهم قد أجابوا بالتكذيب فقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به والمراد بما زعمتم أن الله أرسلكم به وكأنهم في أول الأمر
حاولوا إسكات الأنبياء وفي المرتبة الثانية صرحوا بالكفر ثم توعدوهم على الثبات فلما أردوا أن يكفروهم رسوا التكذيب ونزلنا عن هذا المقام فلا أقل
من أنا نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا يطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم إنه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض

ادخل هذا الانكار على الظرفي ان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وان وجود الله لا يحتمل الشك قال الضعيف المذنب المفتقر الى عفو ربه الكريم مؤلف الكتاب الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري عظم الله احواله في الدارين انه كان من عهد ان العلم بوجود الواجب في الخارج من جلية البديهيات فكان يستبعد ذلك كثيرا من اقرانه واصحابه الى ان اداه ان الاذعان بما ذكروه ويبرهنون عليه من تلك الكتب الكلامية والحكمية فكتب له كتيبة لاجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على ادلة لا تخرج مجرى المنبهات على ذلك المعنى فان القرورة بالبديهة عليها وان لم يخل في الاقناص الى البرهان والان اريد ان اذكر بعض تلك المنبهات في هذا المقام لانها مفيدة لقوله سبحانه انه في الله شك فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته الخارج اما ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او ممكن الوجود والعدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا او واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة بالعقل الصريح بلا اشتباه في استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب لعدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته وواجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا اشتباه في استحالة الوجود الخارجي لهذه الاقسام الخمسة ينبغي ان لا اشتباه في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته كان من القسم الثاني من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المقرر خلافه في ذلك فثبت كونه موجودا في الخارج بالضرورة وهو المطلوب بهذه طريقة عند اربابها تبتدئ لنا من غير احتياج الى دور ولا تسلسل ورد عليها المنوع المشهور وجه ثان الموجود في الخارج اما واجب او ممكن وهذه قضية انفصالية حقيقية حتى يكون معنى ان الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب ان كانت القسمة انفصالية ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة الجمع ولا استحالة العقل رفعها معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست بمانعة الجمع فلان الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لاستدل العقلاء من وجود الممكن على انتفاء الواجب بل يستدلون منه على نقيضه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجد فلان يكون الواجب موجودا كان اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تامل في مفهوم الواجب الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا انه وجود يوجد البتة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه وهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى الممكن بالتشكيك بمعنى ان في الواجب اولى واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب لطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما اشتركا في صحة وجودهما الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب لذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجوب الثاني لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى ان يكون ضروري الوقوع وجه رابع نسبة كل معلول الى موضوعه لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب وبالامكان وبالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى الماهية الخارجية من حيث ذواتها لا يخلو من احد الامور الثلثة لكن نسبتها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجوب لا شك ان نسبة الوجود الى ذات الوجود اولى من نسبته الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكل ما دل البرهان على ان وجوده من غيره لتغيره او نقص محكم عليه بانه ممكن الوجود وما لم يدل البرهان فيه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود ومن شك في وجود ما وجوده من تلقاء نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للتفاوت الى زوال كان اهلا لان يهجر الحكمة وجه خامس نفس الامكان نقص لا نقص فوقه فلا استبعاد في العجز والافتقار وتحت العدم عليه الذي لا اضعف مثله والوجود المتصف بتحقق الضرورة فالوجود الذي يجوز العقل التصريح بمتصفا بصفة الوجوب كيف لا يكون محققا ومن استبهم عليه مثل هذا الجلي فلا يلومن الا نفسه حري سادس مقتضى ذات الشيء اقرب ايجابا اليه عند العقل من مقتضى كان ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج مقتضى الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الوجود من تلقاء نفسه لامكان وجوده واحوجه الى ان لا يفيض الوجود الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب هو المطلوب او من وجود مثله وهو محال اذ ليس في نفسه ما يصور منه افادة مثله فاذن حصل لنا وجود ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه مفيد الوجود مثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للموجود الواجب الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح ثمة ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب قبولا عند العقل من كونه موجدا لغيره اذ ليس كل من له وجود في نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه وبعده الاصرب عن القبول والمعانقة كيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته وقربه اقرب منهما من القبول والمعانقة وجه تاسع اجماع الفلاسفة وغير المسلمة من الانبياء والاولياء والحكماء وسائر العقلاء من اخوان الصفا واخدان الوفا وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب يعبدونه ويدعونه الى انفسهم وطالعوا ملكوت السموات والارض وتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب او هجوم غم اجمعوا على وجود رب جليل متره عن سمات النقص والافول في جزء الامكان مفيض للخيرات مدبر للممكنات وهذا قال رب السموات والارض عن الظلمة المعاندين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم اخبر

انهم يعتذرون عن اصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اذ لم يكن عبادهم عن تخضع وصد في ذاتها كانوا ممكنين في الظاهر ابتداء من
من الله وشفعاء منهم فالحاصل ان المؤمن المشرك والمقر الجاحد سيان في ان يشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته وان دل من ذلك
على انه ضروري الوجود وجه عاشر وهو الاستدلال بالامكان كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له
ذلك من تلقاء نفسه فكان ظهوره في نفسه وذلك اقول له في في الامكان واذا كان ما مقتضى ذاته الاقول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع او لبيان
يكون طالعا وجه حادي عشر وهو الاستدلال بالانفس من تامل في ذاته وفرض شخص من هو الطائق لا يحس فيه بتضاد والتفكر الخواص عن انعاله الحاوجد شيئا هو
هو وبذلك يجمع اجزائه ونفسه اللطيفة التي تنسبها الى بدنه فبنية الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف شاء ومهما انقطعت علاقته عن اجزاء صاحبه
والخواطر في مسالك الجهات فكما ان البلد لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وبقائه الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها اكثر افتقارا
بسنة لا محالة الى ما هو اشرف منها وذلك ما وجوده من تلقاء نفسه هو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لبطل نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا اثر
وجه ثاني عشر وهو انوا الوجوه واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك ان نورا ويعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان
ظهوره في نفسه نفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره لا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا
لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه نفسه فهو المطلوب والا فيحتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون
ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه نفسه
فذاك والا احتاج الى ما يظهره ولا يدان ينتهي طرف التصاعد الى ما يكون ظهوره في نفسه نفسه والا لدار او تسلسل وكلاهما محال فيتعين الامر في طرف النزول الى الظاهر
المفروض ولا نهاية له لانها لو كانت لكان ما بحذاء نهايته في جانب فرض لا ينتهي فنقضا عليها بناء على انها مسبوقة بوجودات لا يتناهى فان لا
تناهيها في جانب الازل محال عندنا وكانا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الى نقيض الواجب قلت النقيض الواقع
في زمان الحال مسبوق بما فاض عن غير متناهية لا محالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لذاته وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات
ذاته ومقتضى ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية نقيضا نابعة للمسبوقة بغيره وكون وجوده من اثره ولا يلزم من
كون مطلق القبض ازليا ان يكون القبض الخصوصي ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه نفسه ثبت المطلوب
وهو وجود نور الانوار تعالى شانه وبرهانه وهو نهاية الممكنات في جانب الازل وبدايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي وكان وجوده مقتضى ذاته
وما بالذات لا يزول فهو ابدي الدوام هذا ما لخص من التنبيهات لهذا الضعيف اثبتها في هذا الكتاب الشريف ليشفي انشاء الله على وجه الدهر ويظن
فيها من هو من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فذلك اللطم يدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف
وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة النبي اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا بشهادة فطرته على ان هذا اللطم لما حدث
بعد عدمه فلا بد من ان يكون حدوثه لاجل فاعل مختار ادخلها في الوجود واذا كان هذا حال الحادث مع حقارته هكذا فاظنك بجميع الحوادث الكائنة
في عالم العلوي والعالم السفلي واما قوله لا نهاية على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي بما ذهب يصيح ويقول له ضربني ذلك الضارب وفيه دلالة على
ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلق ليفعل اي شيء اشتهى واما قوله لانها على الجزاء فلا نسلم بل ذلك اللطم ولا
يتركه ما امكنه واذا كان الحال في هذا الفعل القليل كذلك فكيف يكون في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانه يحتاج فيه الى انسان يبين لهم ان
العقوبة الواجبة على ذلك الفعل من الجناية مكروهة ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرائع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدأ والمعاد
اتراهم افرطوا في ذلك الامر على خلاف فلا ضرر فيه البتة واما اذا انكروا التكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقة ففي انكارها
اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعرف بعد هذا الامر اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك
تفنن الاولى قوله يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالاية من جوز نهاده من الاصوليين على الاثبات وذلك لقوله تعالى في موضع اخر انه
يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لاشخص محمد صلعم غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من التبعيض تميزا بين
الفريقين في توبيخ ما ذكرنا استغفار الانبياء فانها ما جاءت الكافرين الا مغفرتهم كما في هذه الاية وفي سورة الاحقاف قال الخطاب المؤمنين في
سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقبل اراد ان يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من الظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفور
بدلا عن الذنوب ضعيف لتعلم يوجد لهذه اللغة نظير وعن الاصم انه اراد اذا تبتم يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فالحاجة الى
غفرانها لانها مغفورة وزيفه القاضي بان الصغيرة ما تكون مغفورة من الموحدين حيث يزيد ثوابهم على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا
يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل المراد ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب
منه وقال الامام فخر الدين الرازي في الاية دلالة على انه تعالى قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير
اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك
البعض هو ما دون الكفر من الذنوب لقائل ان يقول لم لا تحمل الاية على ان شرط التوبة في الاية لان قوله يدعوكم اي الى الايمان معناه امنوا يغفر لكم فكانه

قبل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون ذلك البعض هو الكفر الخاتمة الثانية قوله وقولوا كما قال في آجل مسمى عن ابن عباس لا يعلمكم في الدنيا بالملائكة والطيبات الى الموت الطبيعي والاعلجكم بعذاب الاستيصال وقد مر تحقيق الاجلين في اول الانعام ثم شرع في حكاية شبه الكفار وطعنهم ثالث الاوثان قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاختصاص الانساني مساوية في تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا الحد مع اشتراك الكل في ضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغيرها الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم هاتوا بمعجزة اصلا لاعتقادهم ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا سلطانا مبينا اي برهانا باهرا ومعجزا قاهرا ثم ان الانبياء سلموا انهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا انفسهم بمنصب من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطاء من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا فضائلهم النفسانية والجسمانية تواضعا منهم ولانه قد علم انه لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها لخصائص فيهم واما الشبهة الثانية فاما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة قاعدة التقليد واما الشبهة الثالثة فجوابها ما كان لنا الى قاصح منا ان نأتي بآية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر يتعلق بمشيئة الله والظاهر ان الانبياء لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا في السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبياء وعلى الله فليتوكل المؤمنون الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعاني الاول لاستحداث التوكل والثاني للتسعي في ابقائه وادامته وقيل معناه الاول ان الذين يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثاني ابقاء التوكل على الله في دفع شر الكفار وسفاهتهم وفي قولهم وقد هدانا سبلنا اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريق التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر على متاعبها فان تاثير نفوسهم في عالم الارواح كتاثير الشمس في عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس الشريفة بالانوار الالهية وبالوحي الصريح انه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفي قولهم ولنصبرن على ما اذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومتمم التعاون اما قول الكفار للرسل لتعودن في ملتنا فقد مر البحث عليه في سورة الاعراف في قصة شعيب وقال صاحب الكشاف لعود هينا بمعنى الصيرورة حلفوا ان يخرجوهم البتة لان يصيروا كافرين مثلهم فاوحى الله اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجروا الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه واضمر القول عن النبي صلعم من اذى جاره ورثه الله داره ذلك لمن خاف مقامي اي من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامي بين يدي موقف الله الذي يقف عباده يوم القيمة وهو موقف الحساب والمقام مصدر اخاف فيما عليه بالحفظ والمراقبة كقوله افمن هو قائم على كل نفس او بمعنى العدل والصواب مثل قائما بالقسط او المقام مفعل من اخافني بمعنى اسأل الله على الجلال العالي ان يخافني وعيدي قال الواحدي هو اسم من الايعاد للتهديد قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من عند الله كما ان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذا فائدة عطف احدهما على الآخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على اعدائهم واستحكموا الله وسألوه القضاء بينهم او لفظ الحكم واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار عنيد معاند واصل العنود الميل من العند الناحية والجانب كان كلا من المتعاندين في جانب غير قبل الجبار وهو المتكبر اشارة الى ان فيه خلقا لاستكبار والعند اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق منحرفا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب الكفرة بان سبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه من بين يديه بعد الموت وراء كل احد وذلك ان قدام وخلف كلاهما متواردان على الشخص كما ان لفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما يتناول الآخر وهذا وصف حاله في الدنيا واما في الآخرة حين يبعث فيوقف للحساب قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ما يلقى ويسقى من ماء صديد اي من ماء يسيل من اجسام اهل النار وصفته هذا والصديد ما يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن دنوه او تناوله وقيل يجمع في جهنم ما شاء الله من صديد اهل النار وغساقها وغير ذلك من انواع عذابها يتجرعه يكاد يسيغه اي يقارب الاساغة فصار الاساغة قليلا ليس المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به في بطونهم وانما المراد جريان المشروب في الحلق بالاستطابة ويقبل التفصي بالكلية هذا هو الذي قالت المعتزلة ان المراد بالاساغة مجرد الحصول والاتيان على قوله يصهر به لا تدل على الحصول لقوله قبله يصب من فوق رؤوسهم الحميم وبانه الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت محدقة به من جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت بها ولا يحيى ثم اخبر تعالى انه اعد لهم بعد ذلك عذابا شديدا وقت بفرض من الاوقات المستقبلة يكون اشد وانكى مما قبله فقال ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا الاستسقاء فاتاهم المطر في سنة القحط التي سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلعم فلم يسقوا فقيل لهم ذلك وانتم تجدون جبارا عنيدا وانتم تسقون في جهنم بدل سقياه ما هو اشد منه وصديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما منقطعا عن حديث الرسل وامم التأويل بسم الله اسم الله الذي هو الاسم الاعظم ابتدأ بخلق عالم الدنيا اظهارا لصفات الرحمانية التي هي للمبالغة لاشتمال الحيوان والجماد والمؤمن والكافر في الرحمة وبخلق عالم الآخرة اظهارا لصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة قوله الر اي بالاني وبلطفي القرآن انزلناه اليك لتخرج

الثانى بكلا لهذوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة باذن ربهم الذى بربهم هو لا انت وفى قوله الى صراط اشارة الى الفعل هو طريق الوصول الى المراد حيث يجب العزة واستتر باستار مظاهر القهر واللطف فى الاختفاء بقوله الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض اشارة الى المربى فى افعاله المدبر للمكونات لما يصل الى صفاته يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته لم يخرج عن اثباته الى هويته انتهى جمع صفاته وافعاله هو ويل للكافرين من شدة الما لا نقطاع عن الله ثم اخبر ان الكافر الحقيقى هو الذى منع بالايمان التفاته الى الدنيا واعرض عن المولى فضل الاهل الا بلسان قومه اى يتكلم معهم بلسانهم ولقد ارسلنا بواسطة جبريل الجذبة موسى القلب بايات عصا التذكر واليد البيضاء من الصدق والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر الخفى من ظلمات الهوى الحجازى الى نور الوجود الحقيقى وذكرهم بايام الله التى كان الله ولم يكن معه شئ وهو يحبهم بلاهم ان فى ذلك لتذكرة لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقى بدل الوجود الحجازى ولئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم فى القرب اليكم لازيدنكم فى مجلى لكم لازيدنكم فى الخدمة لازيدنكم فى الوصول لازيدنكم فى التجلى ولئن شكرتم فى التجلى لازيدنكم فى الفناء عنكم ولئن شكرتم فى الفناء لازيدنكم فى البقاء ولئن شكرتم فى البقاء لازيدنكم فى الوحدة ولئن كفرتم يعنى فى المعاملات كلها ان عذابى لشديد قطعنى لشديد وقال موسى لقلبك ان تكفروا انتم انها الروح والسر الخفى بالاعراض عن الحق والاقبال على تبعته النفس ومن فى ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة جميعا ان تكفروا انتم ايها الروح والسر الخفى بالاعراض عن الحق والاقبال على تبعته النفس ومن فى ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة جميعا ان تكفروا انتم ايها الروح والسر الخفى بالاعراض عن الحق والاقبال على تبعته النفس ومن فى ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة جميعا فان الله لغنى عن عالم الخلق وبتوكيد الخلق باخلاص العبادة الى اجل مسمى هو وقت الفناء فى الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون للتوكل مقامات توكل المبتدى قطع النظر عن الاسباب فى طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المنتهى قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام بباب الحق فانى مقامى وهو مقام الوصول الى الله وهذا مقام الاخص واما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام عن مقام النار وخاف عبيد الفطنة واستبصر القلب والروح من امر الله على النفس والهوى من ورائه اى قدام النفس فى متابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة وسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات والاخلاق من الافعال الرديئة يسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات يسقى منه صاحب النفس الامارة يجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه لانه ليس من شربه وبابه اسباب الموت من كل مكان من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله اعلم بالصواب مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شئ ذلك هو الضلال البعيد الم تر ان الله خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شئ قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص وقال الشيطان لما قضى الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموونى ولوموا انفسكم ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخى انى كفرت بما اشركتمونى من قبل ان الظالمين لهم عذاب اليم وادخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل ما يشاء الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين امنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار واتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار

القراء الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلى وخلف الباقون بلفظ الفعل سلنا باسكان الباء حيث كان ابو عمرو ولى عليكم بفتح الياء حفص بصرخى بكسر الياء حمزة الاخوون بالفتح اشركتمونى بالياء فى الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو يزيد وقنبيه واسمعيل فى الوصل البوار مالا ابو عمرو وعلى بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بضمها لعبادى الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلى ويعقوب الاعشى الباقون بالفتح من كل بالتنوين يزيد وعباس الباقون بالاضافة لا خوف عليهم بنى على ان ما بعده مستانف كان سائلا هل يقدرون من امرهم على شئ فقيل لا خوف بالخفض جديد بدلا لان ما بعده تمم معنى الكلام بعزيز من شئ لهديناكم بصرخى فاخلفتكم فاستجبتم لى لاختلاف الجملتين انفسكم لا يبدل النفى بصرخى لحق ان ومن قال ان الا يبدل له بقوله انى كفرت بمجىء ان الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل اليم باذن ربهم سلام فى السماء

ابراهيم

ربنا هذا كرر في السبع الرابع من قراءته وفي الاخوة لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كلا منهما مستقل بخلاف قوله ويفعل الله الآية لتعلق

بيان قوله ويضل الله ما يشاء الخ لان ما بعده يصلح استيناف ايرادها لامر فاعل حلوا او من مفعوله او من كليهما وصلوا فرارا

عن سبيله الى النار ولا محل لذرفا لكونه بلا مرجع الا بفارج دائبين في والنهار لحسن هذا الوقوف مع العطف لتفصيل انعم نبيها على اشكر

سائلوه لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا لخصوصها كفار التفسير لما ذكر في الآيات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غايته حسرته

وبقاءه بينهم فقال مثل الذين كفروا ربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد

كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم وقال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا كما جاء في

استغنا بذكره ثانيا وقيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة المراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله

غير مخزون ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا والخبر كرماد والمراد باعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفك

الاسارى وعقر الابل للاضياف اغاثة الملهوفين وتعاونهم على شتى المكارم فانها لبنائها على غير اساس التوحيد والايمان بوادي طيبة

الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم وهو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء وان شئت قلت في يوم ذي

عصوف اي ريح يوم عاصف اي ريح فحذف لذكره مرة وقيل المراد من اعمالهم عبادتهم الاصنام وبره صحرهم انهم انما عبدوها لظنهم انها

تقربهم الى الله زلفى ثم لم ينتفعوا بذلك بل ستضر وا به وقوله مما كسبوا على شيء على التمثيل عكس كما في البقرة لان على من صلة القدرة وهاهنا كسبوا صفة

الشيء ولكنه قدم في هذه السورة لان الكسب اعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذات وكرر وهذا اشارة اليه بقوله ذلك هو الضلال

البعيد اي عن الحق والثواب ثم كان لسائل ان يسأل كيف يليق بحكمته اضاعة افعال المكلفين فقال ألم تر ان الله خلق السموات والارض

بالحق مستمر للفوائد والحكم دالة على وجود الصانع القدير فجبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين وكونها غير مبنية على قاعدة الايمان اما الاحداث

الامر تسخيرا بمكان ان يوجدها فعالا عيث ادخل الاوسط بين كاف تدر ند استغنا عن اعادة الناصب والفعل عن عامل عامل فقال ان يشأ

يذهبكم ويأت بخلق جديد مثلكم في سورة النساء وما ذلك على الله بعزيز بمتعذر لا تزر وازرة وزر اخرى الآية اختصاصه بهذه الدار ودون مقدار فان قيل الغرض من

الاتيان اظهار القدرة وزجر المكلفين عن المعصية وذلك انما يتم بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله ويأت بخلق جديد وهل فيه دليل على ان الصانع

لا يوجد بدون الفيض قلنا على تقدير تسليم ان لا تحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تأكيد التخويف فان التائم من نحو العدم المحض لبس كالتائم

من تصور عدمه مع اقامة مقامه غيره مقامه على ان الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شيئا بعد شيء فيتخلص منه مقامه والحكيم ان يستدل بقوله

يذهبكم على ان مادة الجوهر لا تعدم وانما تعدم الصور والاعراض والجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام ولو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام

ههنا امتناعه في جميع الصور وفيه انه الحق ان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبع احوال الآخرة فقال وبرزوا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع

مثل وسهل وادى والتركيب يدل على ظهور بعد الخفاء ومنه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس وبرز فلان ان على الفرار اذا فاقهم ومعنى برزوا لله

وصفوا سبحانه لا يخفى عليه شيء انهم كانوا يستترون من اعدائهم عند ارتكاب القبائح ويظنون ان ذلك يخفى على الله فاذا كان يوم القيامة انكشف لهم الله

فاذا كان الغيبة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله وحكمه قال ابو بكر الاصم قوله وبرزوا

فيه هو المراد من قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد وعلى قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء وكشف الوطاء وظهر عليها آثار الملكات

الخبيثة التي كان يمنعها عن الشعور بها اشغالها بالجسم وذلك هو البروز لله فان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال بصفاتهم القديمة

وهيئاتهم النورية فيا اجل ذلك الاحوال وباطوبى لاهل النوال وان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال باوصافهم الذميمة وهيئاتهم المظلمة

فيا عظم تلك الفضيحة وما اشنع تلك الرسوايا تركب الضعفو بوا وقيل الهمزة على لفظ من يفهم الالف قبل الهمزة فيها لغة الوارد ومثله علوا بني اسرائيل

والضعفاء العوام والادلاء الذين استكبروا سادتهم واشرافهم الذين استكبروا عن عبادة الله تعالى فضلوا واضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على

ان التبع جمع تابع كخدم وخادم وحرس وحارس ويجوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا استعمل استعمال الاتباع فالمعنى الكفرة في الامور الدنيوية فقال انتم

مغنون هل يمكنكم دفع عذاب الله عنا ومن في من عذاب الله للتبعيض والمعنى هل يدفعون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب

الله او كلها للتبعيض يعني هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله لارشدناكم فقال الواحد منهما اتهم ابتداء عوهم الى الضلال لان الله اضلهم ولو هداهم لدعوهم الى الهدى وقال في الكشاف لعلهم قالوا

ذلك مع انهم كذبوا فيه كقولهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم واعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانه لا يجوز

صدور الكذب عن اهل الفهم كما مر في اوائل الانعام في قوله والله ربنا ما كنا مشركين وجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف

فلطف بنا ربنا واهدنا هديناكم الى الايمان وزيف بان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله وقيل لو هدانا الله

طريق النجاة من العذاب لاهتدينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة وقوله هذا التفسير قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا او اعتراضه كقوله

سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم اوردوا افناطهم من دفع العذاب بالكلية اوادوا ان عذاب الضعفاء لهم وتوبيخهم اياهم نوع

ردا

عمر وسهل وج

زيد وعتابا را

بعلهم على شيء

سكم لابتداء

بهم سلام في

من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر جزوعة الكشاف لان يكون قوله سواء عليهم اخ من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظرا لوصل كلام الانسان بكلام انسان اخر وقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض او مكان كالمبيت والمضيف لما ذكر مناظرة شياطين الانس تبعها مناظرة شيطان الجن ومعنى قضى الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء الحساب والاكثرون على انه بعد الحساب ودخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق وعدا ايتاعد الخلائق فيه بينهم يقول الكافرون فقد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فما هو الا ابليس فهو الذي اضلنا فانه ليس لنا ذنب ويسألونه عند ذلك بقول هذا القول وَوَعَدَكُمْ الحق من اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع وناولبلة وعد الوعد الحق وهو البعث والجزاء على الايمان والعمل الاضافة ان الاولى وعدكم وعد الحق فوفى لكم بما وعدكم والثانى وعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدون وليس وراء العيان بيان ولان ذكر نقيضه وهو اخلاف الوعد من الشيطان يتبعه ووجه الثانى ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته عند ادراكهم ضلالهم فقال وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصى الا ان دعوتكم فاتم النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فالمراد لكن دعائى اياكم الى الضلال بوسوسة وهكن ان يوجه لاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل الايمان تارة يكون بالقسر تارة بتقويته الداعية فيه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم اسمعتم منى الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم كلام الله وشاهدتم مجئ انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولى ولا تنقادوا الى قبائح امرى فى الاهية ولا له على الانسان هو الذى يختار الشقاوة او السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان عدم انكار الله تعالى عليه مع هذا مع ان اول كلام اللعين مبنى على الاضافة والصدق فكذا ينبغى ان يكون اخره قال المحققون الشيطان الاصلى هو النفس وذلك ان الانسان اذا لاحت له شئ او ادركه ترتب عليه شعوره بكونه ملائما له او بكونه منافرا له ويسمى هذا الشعور الجازم بالفعل او بالترك وكل هذه الاشياء من شان النفس الانسانية ايضا جوهر علوى مجرد فلا يبعد حصول اثر احدهما الى الاخر وقد ذهب بعض الحكماء الى ان كل روح من الارواح البشرية فانه يناسبه روح معين من الارواح السماوية وانها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحسنة والنوم والهواجس الصالحة هذا اذا كانت النفس شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والفحشاء كانوا يسمون كلا من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء احتمالا اخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت بدانها تتوب فى تلك الصفات التى اكتسبتها فى تلك الابدان وكملت فيها فاذا احدثت نفس تلك النفس المفارقة من بدن مشاكلة لتلك النفس المفارقة حدثت بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فيقصر ان يكون هذا البدن مدبرا لتلك النفس المفارقة معا ونظير هذا التعلق بعد البدن وبعضه على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى فى ابواب الجبر والشرك كان الهاء فى انى كفرت بما اشركتمونى للشيطان والمعنى انى كفرت بما اشركتمونى من قبل فى الدنيا مع الله فى الطاعة وفى ان لله شريكا وناصرا فى هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من ان ما فى معنى من كقوله سبحان ما سخركن لنا فالمراد انى كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالله الذى اشركتمونه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا اثير لوسوستى فى كفركم بدليل انى كفرت بالله قبل ان كفرتم وما كان كفرى بسبب وسوستى اخرى والاوم التسلسل فثبت بهذا ان سبب لوقوع فى الكفر شئ اخر سوى الوسوسة وهذا التقرير مناسب لاصول الاشاعرة اما قوله إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فالاظهر انه كلام الله وشمل ابليس ومن تابعه من الظالمين ليس بعيد ان يكون من بقية كلام ابليس قطعا لاطماع اولئك الكفار عن اعانته ثم شرع فى احوال السعداء وقال وَأُدْخِلَ على لفظ الماضى تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اى ادخلهم الملئكة الجنة باذن الله وامره وقرئ الحسن ادخل على لفظ المتكلم قال فى الكشاف فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعنى ان الملئكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ فى اول سورة يونس ثم لما بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال اضدادهم اوردان بدء كل من الفريقين مثلا فقال ألم تر الكشاف كلمة طيبة نصب بضرب اى جعل كلمة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا او ضرب بمعنى جعل اى جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة وفى جعل العقد اظهر ان الوجه ان يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعولا ثانى عن ابن عباس الكلمة الطيبة هى قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة فى الجنة وعن ابن عمر هى النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيح والتحميد والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة ثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب او رمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغى لكل عاقل ان يبتغى تحصيلها

ابراهيم

وادخارها لنفسه سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة وتشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب الفواكه المتولدة منها وطيب منافعها والثانية اصلها ثابت راسخ امن من الانقطاع ولا شك ان الشجرة الطيب اتما يكمل الفرح بحصوله اذا امن انقراضه وزواله والثالثة وفرعها في السماء اعني جهة العلو وهكذا اذا كبر وسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى واشمخ ومن فوائد ارتفاع الافنان بعدها عن عفونات الارض ونقاوتها عن الغلاظ والدرات فان في الكثافة فرعها اعلاها وذا سها يجوز ان يريد وفرعها على الاكتفاء بلفظ الجنس له الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين سنة اشهر لان من حملها الى صرامها ستة اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولا سيما النخلة اذا تركوا عليها الثمر يقوم من سنة وقال الزجاج الحين الوقت طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يعرض لها لا وقت اصيغار شيء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى لا تحصل في جنة ولا عند شجرة الطيبة ولا لذة لا هي لان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة للملائمات شيء من المحسوسات بل الحاسة انما تدرك ملائمها لانها من حيث هي ملائمة لها فاما ما يتعذر ويتعسر في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يخذ بها ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا يكاد ينتهي الى حد وان عروق هذه الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة وهي اصل شعب واغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني بجملتها العظيم لامر الله ومنشأ لها القوة النظرية وغايتها الحكمة العملية باقسامها وانواعها وفروعها واغصانها ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومبدئها القوة العلمية وفائدتها الحكمة الخلقية التي بجملتها التشفة على خلق الله عموما وخصوصا واثر رسوخ شجرة المعرفة في القلب ان يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعه للحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ونظقه بالصدق في الاقوال والصواب في الافعال وكذا الكلام في سائر القوى والاعضاء وهذا كله راجع الى تحصيل مراتب الاستعداد واما صاحب هذه المرتبة فكما لا يحصى فضائل نفسه يكون مكمل الغير وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان التوفيق لجميع هذه المراتب بجذبات يكون على المحض لا على القبض وعلى المنع لا على النعم ويضرب الله الامثال لعلهم يتذكرون المبدء والمعاد وانما نبه بالتذكر على الكمال على النقصان واثر العرفان للعارف لا للعرفان فيكون روح جوهر نفسه كلمة طيبة كما قال نعم عيسى كلمة من الله واذا عرفت ان الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة سهل عليك معرفة ضدهما فان الكلمة الخبيثة كالشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل او كل شجرة لا طيب لثمرها او كثير الحظ والتوهم ونحو ذلك ومعنى اجتثت سوصلت في حقيقة الاجتثاث احد الجثة كلها ما لها من قرار اي من استقرار مصدر كالثبات والبناء ومن فائدته ان قيل لبعض العلماء ما يقول في كلمة خبيثة نقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنوصا الجهنمي حتى يولد لها القبيحة قلت وفي ذلك ان الباطل لا قائل له ولا هوية فمن هو مصدود عن الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق يفيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه ولا يحصل له برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمانينة ولا وقار تراها ابدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال المفرقين بما شبه بين حال حالها فقال يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لا يمكن التشكيك فيه مجال هذا في الحيوة الدنيا فالجواب اذا قنوا ذهبوا لم يرجعوا كاصحاب الاخدود والذين فروا بالناشرة مشطن لحومهم بامشاط الحديد وثبتهم في الاخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يهتموا عن ابن عباس ما لهم على الشهادة في الحيوة الدنيا بتثبيته لهم عليها وفي قبورهم بلقنها اياها وقد ورد في حديث سوال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العقلي يوجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار واما فسر الاخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا ويدخل في احكام الاخرة فمعنى لا يزلهم يثبتهم الله الذين امنوا بالله وبما جاء به الايمان بعلى ما امنوا به في الدارين او يثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت على القول الثابت وقيل معنى الاية يثبتهم الله على الثواب الكرامة بسبب القول الكرامة الثابت لانه كما كانت بصددهم حال كانوا في الحيوة الدنيا وسيصدد عنهم حال لا يكونون في الاخرة لهم ورد عليها ان الاخرة ليست بدار عمل وان كان قوله في الحيوة الدنيا متعلقا بقوله يثبت اي يثبتهم على الثواب الذي بسبب القول ورد عليها ان الدنيا ليست بدار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في الدارين فالجواب اذا سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من اثبيت في الاضلال ولا اعتراض لاحد عليه او من منع الالطاف ومنها كما يقتضيه الحكمة ثم عجب ظالمي مكة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمة كفرا اي وضعوا مكان ان تشكر الكفران بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة فلم يشكروها الا الكفر وذلك انه تعالى اسكنهم حرمه وسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلعم فلم يقوموا بشكر ذلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين وقالوا يوما بدا في الكفر طوفا في اعنائهم واعنان من تابعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي الهلاك وقوله جهنم عطف بيان لبئس القرار اي المقر مصدر سمي به قوله ليضلوا من قرا بضم الياء فاللام للغرض والعاقبة ومن قرا بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد ضلال نفسه ولكنه قد يريد ضلال الغير لحظ نفسه فيتوهم انه حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها شبه الغاية والغرض من قبل حصولها في انواع المراتب المشابهة احد الامور الصحيحة للمجاز قل تمتعوا امر وعيد وتهديد قال جار قبيح بهذا بان بانهم لا نعماء لهم في التمتع بالحاضر ما مورون به قد امرهم امر مطاع هو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما سمي عيش الكفار

الى السنة صح

بل الطيب صح

للتاريخ صح

لمنفعة صح

على المعاد صح

ممنعا لان امهالهم في الدنيا على اي وجه يفرض يكون اسهل مما اعد لهم في الدنيا الآخرة من العقاب فمن ثم روي عن عمر انه قال هم من الاحمر من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا حتى حين وقيل هم مشيخة العرب جبلة بن الايهم واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعم الدنيا هدد بامر ينبه على بعث المؤمنين على خلاف ذلك وهو الاقبال على ما ينفعهم في الآخرة فقال قل لعبادي الذين المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم آمنوا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوز بعضهم ان يكون المذكور هو المقول بناء على انه امر غائب محذوف اللام وانما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والحال الحالة اذا انفقوا اموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك انفاقا في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بما يعد ولا مصافة وانما ينفع بالانفاق لوجه الله وفي الحالة هذه الابتداء في قوله في البقرة لا بيع فيه ولا خلة لا بناء في اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المتقين هي التي نسبها مبل الطبيعة وعنيه النفوس المثبتة هي التي يوجبها الاشتراك في الايمان والعمل الصالح ولما ختم احوال المعاد عاد الى المبدأ فجره الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان ربما كان وانفا على فلة جبل فمال وبره الغيم اسفل منه وانما نزل من ذلك الجبل برد الغيم حاطرا عليه وسخر لكم الفلك كقوله في اواسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقد مر ومعنى بامره بتسخيره وتيسيره لانه خلق موادها والهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل على مجريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بانه يفعل وانما يقال انه امر بكذا ومنهم من حمل الامر على الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم الانهار وجه المنة فيها ان البحر قلما ينتفع به في العمارة والزراعة للملوحة فجر الله الانهار والعيون والابار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى وسخر لكم الشمس والقمر اي صيرهما بحيث تطرد وتتخير بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخير والترتيب في الاضاءة والانارة لانهما من الآلات للانس وقوله دائبين نصب على الحال والدؤب مرور الشيء على العمل على عادة مطردة اي يدأبان في سيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما وهكذا معنى التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار اي قدرهذين العرضين المتناقضين لواحة الانسان ولمعاشه ولما فصل طرفا من النعم اجمل الباقية منها بقوله واتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه ومن فرقا بالتنوين منا اما ناقة وجملة نصب على الحال اي اتاكم من جميع ذلك غير سائليه موصوفا بجعله واتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين ان نعم الله على عبيده غير متناهية فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تقدرون على تعدادها الكثرتها بل لعدم تناهيها فان الواحد من النعم ههنا اسم اقيم مقام المصدر كالتقفة بمعنى الانفاق ولهذا لم يجمع ومن تامل في تشريح الابدان ضروب اعضاء الحيوان واجزائها من العروق الدقاق والاوردة والشرايين وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف بعض دقائق نعم الله تعالى عبثا واذا جاوز الانفس الآفاق وبدائع فكره في احوال الاجسام السفلية والعلوية وقف من بديع صنعتها وعظم منفعتها على ما يقتضيه عنه العجز واعتبر الملك الى الملكوت وفي دقيقة الحيرة والدهشة وتلاشى عقله عند ادنى سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما الذي قبلها فكم تحمل الطحن والزرع وغير ذلك من الآلات المهنة والاسباب الفاعلة والقابلة حتى ينتهي الى الافلاك والعناصر واما الذي بعدها فكم القوى المعينة على الجذب والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء الحاملة لتلك القوى وكسائر الامور النافعة في ذلك الباب خارجة عن الحد او داخلة فيه فانها لا انكار تحصر واذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت في عالم الاجسام فاذا تخطيت الى عالم الارواح والجلت طرف عقلك في سماء القدس وحظائر الانس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات والمدخرات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تغرق في لجة المنة او تغرق من نعم المخدوم النعم هنالك على وفق الاستعداد وادراك النعم بمقدار الفهم والرشاد فان كنت اهلا لها فانك والا فلم الا نفسك ان الانسان اي هذا الجنس لظلوم بظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وذلك انه مجبول على النسيان والملال فالبدان يقع في اغفال شكر النعمة ان وقع في كفران النعمة افاملها وقبل ظلوم في الشدائد يائس بالشكاية والجزع كفار في السعة بخيل ومنع واعلم ان ختم الآية بهذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله ان الله لغفور رحيم وكانه قال ان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم فلا اقابل تقصيرك الا بمزيد لا اجازيك جفاك الا بالوفاء تلك صفتك في الاخذ وهذه صفتي في الاعطاء التاريل ويبرز والمراد من الغشور والفاجرة بيجمعا من القوي والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدة للذين استكبروا من المتبوعين انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من العذاب حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قال الذين استكبروا من المتبوعين انا كفرنا بما آمنتم به من التوحيد وانكرنا البعث والنشور فكيف نغني عنكم شيئا وقد اشركتمونا في الكفر والعذاب وقال الذين في قلوبهم مرض من المنافقين او الذين في قلوبهم شك من ضعفة المؤمنين ما غرهؤلاء دينهم استفهام انكار اي ما غرهم في امر دينهم الذي هو الاسلام ان امنوا بالله ورسوله وصدقوا بما جاء به من عند الله وعملوا بما امرهم به ونهاهم عنه فغرهم ما هم عليه من امر دينهم فاستحقوا ما استحقوا من العذاب ولو توكلوا على الله لعلموا ان من توكل على الله فهو حسبه ولو رأيت اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله ليس بظلام للعبيد ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فانى تؤفكون فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون افغير الله ابتغي حكما وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون افمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اوليائهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امن ما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين امن ما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا اجد في ما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ما حملت ظهورهما او الحوايا او ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ اشده واوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا الا وسعها واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن اظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما امرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين قل اغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

الاعراف

ابراهيم

النفوس ح

الالهية فانها صفة قائمة بذاتها وفرعها في سماء القلوب نوع الكلها من انوار المشاهدات والمكاشفات كل حين يتقرب العبد الى ربه بتقرب الرب
تعالى اليه ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون الحالة الاولى فيسعون في ادراكها ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اجتثت
من فوق ارض البشرية ما لها من قرار لانها من الاعمال الفانية كلها من الباقيات الصالحات يثبت الله الذين امنوا بايمانهم في مقام الايمان بملازمة كلمة
لا اله الا الله والسير في حقايقها في الجهة الدنيا وفي الاخرة لان سير اصحابها الاعمال ينقطع بالموت وسير ارباب الاحوال ينقطع ابدا الا واحلوا
قومهم اوراطم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم انزلوا ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدكاكة وقلوبهم العمى والصمم والجهل واوراحهم العلوية اسفل
سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاحوال في الجحيم كفرا لاوصاف الذي جعلهم الله الذي خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلوب ماء
الحكمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا لاوراحكم وسخر لكم فلك الشريعة تجري في بحر الطريقة بامر الحق لارباب الطلب من سفن
انكسرت بنكباء الهوى وسخر لكم انهار العلوم الدينية وشمس الكشوف ثم المشاهدات ولبل البشرية ونهار الروحانية ومعنى التسخير في الكل
جعلها اسبابا لاستكمال النفس الانسانية وانا كم من كل ما سالتموه من سايرالاسبابية المعينة على الله جميع العالم بالحقيقة تبع لوجود الانسان
وسبب لكماله وهو ثمرة شجرة المكونات فلذلك قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته غير محصورة وكلها مخلوق لاستكمال الانسان
لظلوما فانسا استعداده كفارا لا يعرف قدر نعمة الله في حقه وإذ قال ابرهيم رب اجعل هذا البلد امنا و
وبود كردان ابراهيم — بروردگارا كردان بكردان — اين شهر مكه را ايمن
اجنبني وبني ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني
و دور دار مرا و پسران مرا از انكه بپرستيم بتان را — اى پروردگار من بدرستيكه ايشان گمراه كردند بسيارى از مردمان — پس هر كه پيروى كرد مرا پس بدرستيكه او از من است و هر كه نافرمانى
فانك غفور رحيم ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا
پس بدرستيكه تو آمرزنده مهربانى — اى پروردگار ما من بدرستيكه من ساكن گردانيدم — برخى از فرزندان خود را بوادى غير ذى زراعت — نزديك
كه حرام كرده شده است بر
ليقيموا الصلوة فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون
تا برپا دارند نماز را — پس بگردان دلهاى برخى از مردمان را كه مشتاق باشند بسوى ايشان — و روزى ده ايشان را از ميوها شايد كه ايشان
شكر گزارى كنند
ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء الحمد لله الذي
پروردگار ما بدرستيكه تو ميدانى انچه پنهان ميداريم و انچه آشكار ميكنيم و نيست هيچ چيز — بر خداى پوشيده در زمين و
وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء ربي اجعلني مقيم الصلوة ومن ذريتي ع
در آسمان بر من از پيرى اسمعيل و اسحق بدرستيكه پروردگار من هر آينه شنونده دعاست — اى پروردگار من گردان مرا برپا دارنده نماز و از فرزندان من
ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا
اى پروردگار ما و قبول كن دعاى مرا — پروردگارا بيامرز مرا و والدين مرا — و مؤمنان را روزى كه بپا ميشود حساب — و مپندار البته خدا
عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم
از انچه ميكنند ستمكاران جز اين نيست كه تاخير ميكند ايشان را براى روزى كه خيره ميماند در آن چشمها — شتابان گردان سرها را بسوى آسمان برگشته
وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب
و دلهاى ايشان هيچ — و بترسان مردمان را از روزيكه بيايد ايشان را — عذاب — پس گويند آنانكه ستم كردند اى پروردگار ما باز پس بر ما بسوى مدتى نزديك
نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين
تا اجابت كنيم دعوت ترا و پيروى كنيم رسولان ترا را يا نبوديد — كه سوگند ميخورديد از پيش در شام آمدن روزوالى — و ساكن شديد در مسكنهاى آنانكه
ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله
ستم كردند بخويشتن و ظاهر شد بر شما — كه چگونه كرديم با ايشان — و زديم براى شما داستانها را — و بدرستيكه حيله كردند حيلة خود را و نزد خدا
مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز
جزاى مكر ايشان و اگر چه — مكر ايشان كه زايل شود از آن كوهها — پس مپندار البته خدا را خلاف كننده وعده اش را پيغمبرانش بدرستيكه خدا غالب
ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ
صاحب انتقام است — روزيكه بدل كرده شود اين زمين — بغير اين زمين و آسمانها — و ظاهر شوند از براى خداى يكتاى غالب — و ببيني گناهكاران را آن روز
مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله
بسته شدگان در غلها پيراهنهاى ايشان از قطران — و فرا گيرد روهاى ايشان را آتش — تا جزا دهد خدا هر نفسى را بآنچه كسب كرده است بدرستيكه خدا
سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب
زود حساب كننده است — اين رسانيدن است مردمان را — و تا بيم كرده شوند بآن — و تا بدانند كه او خداى يكتاست — و تا پند گيرند

القراءة ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا سكنت بفتح الهاء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصاني بالاماله على
وعلى بالهاء في الحالين ابن كثير ويعقوب وقراء ابو عمرو وهبيرة وورش وحمزة وسهل والبرجمي والحرمازي عن هبيرة واحمد بن فرج عن ابي عمرو
عن اسمعيل بالهاء في الوصل والباقون والطاشي عن ابن فليح بغير هاء في الحالين توخوهم بالنون عباس والمفضل في رواية ابي زيد الاخوان
بالهاء لنزهل بفتح الاول ورفع الاخر على الباقون بكسر الاول ونصب الاخر الفهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء
مكسورة منونا ان على انه اسم فاعل زيد عن يعقوب والوقف على قرأ ان بالهاء الوقوف الاصناما من الناس منهم فصلا بين النقيضين مع تخالف
الكلام رجيم المحرم الان قوله ليقيموا يتعلق بقوله اسكنت وكلمة ربنا انكم اربشكرون وما نعلن وما في السماء او استحوذ الدعاء ومن ربنا في
قد قبل والوصل وفي للعطف وربنا انكر ردعاء الحسنا الظالمون ط الابصار الان ما بعد حال طرفهم لاحتمال ان قوله وافئدتهم يكون
من صفات اهل المحشر وان يكون من صفة الكفار الذين هواة ط قريب لان قوله يجب جواب اخر انا نسلط اوان للعطف على اقسم لانشاء
وعند الله مكرهم الجبال رسله ط انتقام ط فان انتقام لا يختص بوقت والتقدير اذكر يوم الفهار الاصفاد للاينو لان الجملة بعد
صفات المجرمين لتاو للعطف لام كي ما اكسبت ط الحساب الالباب لتقبل قصد ابرهيم يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة وان يكون
دعاء الى التوحيد وانكار العبادة الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعم على عبيده فان وجود الصالحين ولاسيما الانبياء والمرسلين
رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابرهيم ومن نسله صه وعلى بنيه اصم حكى الله سبحانه عنه
طلب امور منها قوله رب اجعل هذا البلد امنا وقد ترى البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنا لان لا ريبات في مكة مزيد امن
بمركز دعائه حتى ان الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجاء بمكة امن ولا يوحش هنا
استيناس لبني في غيرها وانما قدم طلب الامن على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشيء اخر من مهمات الدين والدنيا ومن هنا جاء
التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء ان الامن افضل ام الصحة فقال الامن بلا شك اوما انكر جلها فانها تصح زمانا ثم انها
تقبل على الزيح والاكل وانها اوربطت في موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تتناول شيئا الى ان تموت فدل على ذلك
على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام قال جار الله اهل الحجاز يقولون
جنبني بالتشديد واهل نجد جنبني واجنبني وفائدة الطلب الاجتناب حاصل للثبت والادامة اقل من هضم النفس واظهار الفقر والحاجة
والناس العصمة من الشرك الخفي اما قوله وبني ففيه اراد بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا صنما بركذ عانه وقيل اولاده واولاد اولاده ممن كانوا
موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عتيبة لم يعبد احد من ولد ابرهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان يعني
احجار المخصوصة كانت لكل قوم زعموا ان البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار و
لذلك استحبان يقال طاف بالبيت لا بكى دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانا اذا عبدنا غير الله فالوثن والصنم سيان على ان سبحانه
وصف اصنامهم بما ينبئ عن كونهم مصورين بقوله ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم الاية الى قوله وترهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل قوله فمن تبعني فانه مني اي من اهل ديني ومن لم يتبعني في ديني فانت
ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل تم الدعاء الا انه اجيب في البعض كقوله وقال ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال الاشاعرة
لو لم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لالتماس التبعد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على ما لا يطاق ما قوله رب انهن اضللن كثيرا فانهم قالوا
على ان نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم اي صارت سببا للفتنة والاغترار بها فمن يتبعني يبقى على الملة
الحنيفية فانه مني اي هو بعضي لفرط اختصاصي به ومن عصاني فانك غفور رحيم قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان
قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل اراد انك قادر على ان تغفر له وترحم بان تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل اراد ان يهلهم حتى يتوبوا و
قيل ومن عصاني فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة باطلاقه من غير اشتراط التوبة على انه شفاعة في اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت
هذا في حق ابرهيم ثبت في حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد ان يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة و
ان يرزقهم من الثمرات فعل ذلك مقدمة فقال ربنا اني اسكنت من ذريتي اي بعضهم بواد غير ذي زرع اي لم يكن فيه شيء من زرع قط كقوله
فلا عار بها اغير ذي عوج اي لا عوج فيها اصلا ولم يوجد ذلك في زمن من الازمان وقد سبق في سورة البقرة قصة مجيء ابرهيم بهاجر واسمعيل
وانه هاجر الى هنا لذلك وفي قوله عند بيتك المحرم دليل على ان قد عا هذه الدعوة بعد بناء البيت لان في حين مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما
ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حراما جعل حرمته وانما لم يزل ممتنعا عزيزا ممنوعا بها بر كل جبار كالشيء المحرم الذي حقه ان يجتنب
وقيل سمي محرما لان الطوفان لم يتجاوز عنه كما سمي عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه احد من الملكين ان يقربوه بالدعاء والافتدار
ولانه امان الصابرين الى ان يجعلوا على انفسهم اشياء كانت تحل لهم من قبل ربنا ليقيموا الصلوة اي ما اسكنتهم هذا الوادي الا لاقامة
الصلوة عند البيت وعمارته بالذكر و[illegible] افئدة من الناس من التبعيض اي افئدة من افئدة الناس قال مجاهد لو قال افئدة

ابراهيم

الناس وحنكم عليه فارس والروم والترك والهند وعن سعيد جبير لو قال افئدة الناس تحج اليهود والنصارى والمجوس لكنه اراد افئدة المسلمين وجوز في الكشاف ان يكون من للتبعيض كقولك الغلب منى سقيم وعلى هذا فانما يحصل البعض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس ومعنى هوى شرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تخط وتخدد الاصمعي هوى يهوي هويا بفتح الهاء اذا اسفط من علو الى سفل وفي هذا الدعاء فائدتان احديهما ميل الناس الى تلك البلدة للتنسك والطاعة والاخرى نقل الافئدة اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم وبكثر ارزاقهم ومع ذلك قد صرح بها فقال وارزقهم من الثمرات فلما جرم اجاب الله دعاءه فجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ وقيل اراد ان يجعل حولها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الآية بقوله لعلهم يشكرون ليعلم ان المقصود الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق هو التفرغ لاداء العبادات واقامة الوظائف الشرعية ثم اتبع ذلك الدعوة اخرى وتعرضا بقفية الحاجات فقال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم الذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب الفرقة بيننا وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء والدعاء او اراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له دعوة عند الوداع الى من تكلنا فقال الى الله اكلكم قال المفسرون وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل يضد بقا لابرهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابرهيم ومن الاستغراق اي لا يخفى على الذي يستحق العبادة لذاته شئ ما في الجملة مكان يفرض الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق ذكر اولا كونه تعالى عالما بالضمائر والسرائر تمهيدا على هذه الموهبة لان المنتهبة الولد في حال نوع الناس من اولاده اعظم لانها تنتهي الى احد الحوارق فكانه من الى انه يطلب الله سبحانه ان يهبهما بعده وهذا ختم الآية بقوله ان ربي لسميع الدعاء وهو من اضافة الصفة الى مفعولها اي مجيب الدعاء او الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاستعارة المجازية والمراد سماع الله تعم ويحتمل ان يكون قوله ان ربي لسميع الدعاء رمزا الى ما كان قد دعا ربه وسئله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن سبع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لستين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الآية بقوله رب اجعلني مقيم الصلوة اي مديمها ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي كذلك لعلمه بان الكل لا يدع الكل علما بعلام الله تعالى انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعاء عن ابن عباس اي عبادتي وحمله على تقبله الاعمال السابقة والاولى ان يحمل على طلب المغفرة لابويه بعد ربنا اغفر لي طلب المغفرة لابوي بشفاعة الذنب لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على ان زلل الاولى لا يمنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله ولوالدي فانما عترض عليه بانه كيف استغفر لابويه وهما كافران وأجيب بانه قال ذلك بشرط الاسلام ويدفعه ما تلونا قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك مستثنى من الاشياء التي ينوي فيها بابرهيم لو كان استغفاره مشروطا باسلام ابيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه ادم وحواء والصحيح في الجواب انه استغفر له بناء على الجواز اذ لعله والمنع النهي بعد ذلك لانه بين بقوله بقوم ما يحسن اي يثبت مستعار من قيام الانسان على الرجل ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها او اسند الى الحساب قيام اهل اسناد مجازيا او المضاف محذوف مثل واسئل القرية ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم ع فذا تخرج اذكر الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا فان كان الخطاب لكل مكلف والنبي والمراد امته فلا اشكال وان كان للنبي ص فمعناه التنبيه على ما كان عليه من انه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات او المراد لا تحسبه بامهالهم معاملة الغافل عما يفعل ولكن أوقيهم علمهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة لتسلية المظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم يتقم للمظلوم من الظالم لزم ان يكون غافلا عن الظلم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظلم وكل ذلك منافٍ لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصار هم كقولهم اشتعل راس شخص بصره اجل اذا ابيضت عينه مفتوحة لا تطرف او انما ذلك اذا كان عند غاية الحيرة وسقوط القوة ومهطعين مسرعين قاله ابو عبيدة والغالب من حال من يبغي بصره شاخصا من شدة الخوف ان ينوي قافيا نحو الله تعالى انه لا يحار هذا المعنى لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلد وقال احمد المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع وقيل هو الذي لا يرفع رأسه ولا يطرف بصره وهذا ايضا بخلاف المعنى لان الغالب من يشاهد البلاء ان يطرق راسه لكنه ابلغ لانه لا يرتد اليهم طرفهم الطرف تحريك الاجفان على الوجه الذي خلق وجعل عليه وسمي العين بالطرف تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء والهواء الخلاء الذي يشغله الاجرام وصف قلوبهم بذلك لانه لا فؤاد فيه يبقى للاحوق فيضاف اليه هواه والمعنى ان قلوب الكفار خالية يوم القيمة عن جميع الخواطر الا الافكار لعظم ما نالهم من كل جانب وامل المخوفون من العذاب والاظهر ان هذه الحالة لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هي عند ما يتميز السعداء من الاشقياء وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج اراد ان افئدتهم الكفار خالية من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لانذر اليوم يوم القيمة والكلام في العذاب المهول السابق من شخوص الابصار وغيره او المعلوم وهو عذاب النار ومعنى اخرنا امهلنا الى امد وحد من الزمان قريب ويوم هلاكهم بالعذاب المعاجل او يوم موتهم معذبين بشدة التكرب ولقاء الملائكة بالبشرى او لم تكونوا على اضمار القول اي فيقال لهم

ذلك واشالهم اما بيان الحال حيث بوا شدبدا واما بوا بعيدا واما بلسان المقال اشار بطرا وجهلا لوسفها وما لكم من زوال جواب القسم ولو قيل ما لنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث المعنى انكم بالموت والفنا لا تزالون بل لا بد ان تنقلوا الى دار اخرى هي دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم استقررتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة والبنا والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات وضربنا لكم الامثال قال جار الله اراد بصفات ما فعلوا وما فعل بهم وفي الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره ما اراد ما ورد في القرآن من ضرب المثل للقدرة على الاعادة والابداء وعلى العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكرهم ولذلك الظلم فقال وقد مكروا مكرهم اي مكروا المكر العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل اراد ما نقل ان نمرود حاول الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع نسورا وكان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعا وعلق على كل واحد منها قطعة من اللحم ثم اقعد فيه صاحبه وفي ذلك التابوت فلما بصرت النسور ذلك اللحم تصاعدت في جو الهوا ثلثمائة اثنام وغابت الارض عن عين نمرود وراى السماء بحالها فعكس ذلك العصا التي عليها اللحوم فبطئت النسور الى الارض وضعف هذا الوجه لان الاكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه باعظم من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعند مكرهم الذي يمكر به وهو عند اهل الحق يستحقون به ان يمكر بهم حيث لا يشعرون اما قوله وان كان مكرهم لتزول قرئ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان يكون ان مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل لعظم مكرهم وشدته اي وان الشان كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما ان يكون ان نافية واللام المكسورة لتاكيد النفي كقوله وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى محال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لايات الله وشرائعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن قرا بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انزيحانه اكد كونه محالا بالاهل المكر على مكرهم بقوله فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شانه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي ونحوهما من الايات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر تفسيره اول ال عمران يوم تبدل الارض قال ابو حاج انتصابه بوم على البدل من يوم ياتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل وتغييرها عباس بانها تسير بها الى الجنة او الى النار وتغير على هذا جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابن هريرة ان النبي صلعم قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات لا تبطل البتة العدم وانما يعدم صفاتها واحوالها نعم جوز وا انعدام الصور مع انها جواهر عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب اوجه الاول قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطا عليها احد خطيئة وعن علي تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف قبل ان يعصى الله على الارض وجهها وتبرز جهنم وبرزت لمن يرى قد ذكرناه في السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع تعظيم وتهويل والمراد استغاث وفتنة الغير ولا حكم يومئذ لاحد الا لله يقضي بحكمه وبقهره ما سواه ومن نتايج قهره قوله وترى المجرمين يومئذ مقرنين قرن بعضهم مع بعض لان الجنسية علة الضم ومع الشياطين الذين اضلوهم قال الحكماء هي الملكات التي اكسبوها في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي الغلول اما ان يتعلق بمقرنين او بما قبله على ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى ارقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما يحصل بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب بالطبع من شجر يسمى الابهل فيطبخ فيهنا به الابل الجربى فتحرق الجرب بحره وحدته وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شانه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يشتد سرعة به وهو اسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجمع عليهم الدبغ والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان التفاوت بين الفطرتين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكما يحصل للنفس من الالام والغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس بفوز الشهوة والحرص والغضب وسائر اخلاق الملكات الردية فهذا وجه من تمزيز فطرة النحاس والصفر المذاب والاذى المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال ولا تنهبه وكالا يهلك النار اجسامهم والاغلال التي كانت عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه معبر به عن الكل قوله ليجزي اللام متعلقة بتغشى او بمجموع ما ذكر وقيل بفعل يليق بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل ما كسبت قال الواحدي اراد

نفوس الكفار لان ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس محرفة ومطبعة لانه تعالى اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يطبع على قلوب المطبوعين لطباعهم ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكير والموعظة ليبلغوا وليتذكروا بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله وليتذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به عدلوا عن المخافة الى استكمال النفس بحسب القوتين والله ولي التوفيق التأويل اذ قال ابرهيم الروح ربي اجعل بلدا القلب مما من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وافات الهوى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله نصم النفس لتبتنا ونصم القلب لتعقبني ونصم الروح الارتجابات العلى ونصم السر العرفان والقربات ونصم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصانا فانك غفور فيه تكتمان احديهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والثانية لم يقل فانا اغفره وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافاة وانما المغفرة والرحمة من شان الغني المطلق ثم كنى من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي واغرس زرع وهو وادي النقرة عند بيتك المحرم على ما سواك وهو كعبة التفضل القلب حرام ان يكون بيتا لغير الله لا سيما ان يتخذ فيه عبد المؤمن وقيل انه توسل في اجابة الدعاء بجده وكانه قال ان ضيعت هاجر اسمعيل فقد ضيعتها وفي قوله ليقيموا الصلوة اشارة الى ان سر الروح بالجسد كحلول المرض القالب فكما ان استكمال الروح بالاعمال البدنية انما يحصل عرض هذا الاستكمال لم يحصل الا بالتعلق فاجعل افئدة الصفات النفسانية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من الصفات الالهية لعلهم يشكرون لهذه النعم التي ليس بنا لها الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ورمز انك تعلم ما نخفي من الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شيء في ارض المعاملات لصور ولا في السماء القلوب من المحبوب على الكبرى بعد بقاء الروح بالقالب ليعقلوا السر والخفي الحقي بفهم الصلوة دائم العروج فان الصلوة معراج المؤمن ربنا اغفر لي ولوالدي وانجني بصفة معرفتك ولوالدي الابا العلوية والامهات السفلية لئلا يحجبوني عن رؤيتك يوم يقوم حسابك بكاملية كل نفس وفضائها لا كون في حسابك الكاملين ولا في حساب الناقصين ولا تحسبن اي لم يكن الله غافلا في الازل بل لكل بقضائه وقدره وانما يؤخرهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها موعدة في الاعمار وبذلك يعمل كل من اهل الاستعداد والاستفادة الى مصائرهم ما لكم من زوال فيه من انطاق الذين زعموا ان نفوسهم لا تزال تتعلق بالابدان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بابدان مثل ابدانهم ممكنين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعندما مقدر مكرهم وان كان مكرهم بحيث تزول منه الجبال عن اماكنها ولكنه لا يحرك شعرة الا باذن الله بقضاء يوم تبدل الارض الشريفة بارض القلوب فيعلم حال ظلمانها بانوار القلوب وتبدل سموات الاسرار بسموات الارواح فان سموات الارواح اذا تجلت لكواكب الاسرار تمحق انوار كواكبها فتطوي اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته محيطا بانوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها ووضع الواحد لها فان شموس الارواح بصيغة هو زوال الا لوقت قرن المجرمين يوم التجلي مقرنين في حبوا الصفات الذميمة لا يستطيعون الرد شيئا سرابيلهم من قطران العماد تغشى وجوههم النفوس بهما محجوبون بهما عن الله وتغشى وجوههم نار الحرص والطمع هذا بلاغ للناس الذين هواعالم الوحدة وليعلموا انما هو اله واحد فيتحدوا به قبل ان لا ينفع ولينذروا انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الها غيره من الدنيا والهوى وليتذكر اولوا الالباب اعالم الشهود فيخرجوا من قيد الوجود ويتركوا الجبر كله بالاجماع وفيها الف وسبع مائة وواحد وثمانون وسبعون كلماتها ثلثمائة واربعة وسبعون اياتها تسع

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك اياث الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل
این ایتها از کتاب خدا و قرآنیست روشن بسا که آرزو کنند آنان که کافر شدند که کاشکی ایشان مسلمان بودندی واگذار ایشان را
فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون وقالوا
پس زود باشد که بدانند و هلاک نکردیم هیچ دیهی را مگر مر او را نامه دانسته هیچ گروهی از مدت خود پس نمانند و گفتند
يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة
ای که فرو فرستاده شد بر او قرآن جز این نیست که تو دیوانه چرا نمیاری ما را فرشتگان اگر هستی از راستگویان فرو نیاریم فرشتگان را
الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين
مگر براستی و نبود شدنی ایشان را مهلت داده شده بدرستیکه ما فرو فرستادیم یاد کرد و بدرستیکه ما مر او را نگاه داریم نگاهبانیم و بدرستیکه فرستادیم از پیش تو را در گروهها پیشینیان
وما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت
و نمی آید ایشان را هیچ رسولی مگر که بدان او را مسخره میکردند همچنین در میاریم آنرا در دلهای گناهکاران ایمان نمیاورند بدان و بدرستیکه گذشت
سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن

قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم
گروهی سحر کرده شده گان وبدرستیکه گردانیدیم در آسمان برجها و آراستیم آنرا برای نگرندگان ونگاه داشتیم آنرا از هر شیطان رانده شده
إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء
مگر آنکه بدزدد گوش فرا داشت پس بدنبال رفت اورا شهابی روشن وزمین وسعت دادیم اورا وافکندیم در آنکه کوههای ثابت وروئانیدیم در آن از هر چیز
موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر
سنجیده شده وساختیم برای شما در آنها معیشتها و کسانرا که نیستید مر اورا روزی دهندگان وهیچ چیز نیست مگر نزد ماست خزینهای او ونمی فرستیم آنرا مگر باندازه
معلوم وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن
معلوم وفرستادیم بادها را بارکنندگان پس فرو فرستادیم از آسمان آبرا پس نوشانیدیم شمارا آن ومیستید شما مر آنرا نگاهدارندگان وبدرستیکه ما البته زنده میکنیم
ع نحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وإن ربك هو يحشرهم إنه
ما وارثان ومیرانیم و دانستیم پیشروان شما را از شما ودانستیم واپس ماندگان را وبدرستیکه پروردگار تو اوست محشور میکند ایشانرا
حكيم عليم ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار
درست کار داناست وبدرستیکه آفریدیم ما آدمی را از گل خشک شده از لجن بوی گرفته شده وبدرستیکه آفریدیم پیش از آدمی
السموم وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من صلصال من حمإ مسنون فإذا سويته ونفخت
سوزنده ودر بیاد کن چون گفت پروردگار تو مر ملائکه را بدرستیکه من آفریننده ام آدمی را از گل خشک شده از لجن بوی گرفته پس چون راست کردم اورا و دمیدم
فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين
در او از روح خود پس بیفتید مر او را سجده کنان پس سجده کردند فرشتگان همگی مگر شیطان که ابا کرد که باشد با سجده کنندگان
قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ
گفت ای شیطان چیست ترا که نیستی با سجده کنندگان گفت نیست مرا که سجده کنم مر آدمی را که آفریدی او را از گل خشک شده از لجن
مسنون قال فاخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين قال فأنظرني إلى
بوی گرفته شده گفت پس بیرون شو از آسمان پس بدرستیکه تو رانده شده وبدرستیکه بر تو لعنت است تا روز جزا
يوم يبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم قال رب بما أغويتني لأزينن لهم
روز برانگیخته شوند گفت پس بدرستیکه تو از مهلت داده شدگانی گفت پروردگارا بسبب آنکه گمراه کردی مرا البته بیارایم مر
في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم إن عبادي
در زمین و هر آینه بگمراه کنم ایشانرا همگی مگر بندگان تو از ایشان که خالص شده اند گفت این راهیست بر من راست بدرستیکه بندگان من
ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل
نیست ترا بر ایشان تسلطی مگر کسیکه پیروی کرد مر ترا از گمراهان وبدرستیکه جهنم وعده گاه ایشان است همه
باب منهم جزء مقسوم إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على
مر او را از ایشان بخشی جدا کرده شده گان بدرستیکه پرهیزگاران در بهشتها و سرچشمه ها داخل شوید بسلامتی ایمن و بیرون کشیدیم آنچه بود در سینهای ایشان از کینه برادران
سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم
بر تختها روبروی یکدیگر نمی رسد ایشانرا در آنها رنجی و نیستند ایشان از آنها بیرون کرده شدگان خبر ده بندگان مرا که منم من آمرزنده مهربانم وبدرستیکه عذاب من آنست عذاب دردناک

القراءة وبما بفتح الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الثموء وربما بضم الباء خفيفة الثمون الباقون بالفتح والتشديد ما تنزل بالنون الملائكة
بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاي المشددة الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن
بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزي وابن فليح وكسر خفيفة ابن كثير فحنا بالتشديد بدا الباقون بالهمز على التوحيد حمزة وخلف على اصله بكسر الهاء ورفع
الباء على النعت يعقوب الاخرون على جار او مجرور او عيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها
بني عبادي مثل بنتنا عبادي الى بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والاخرون بالاسكان الوقوف الجزء الرابع عشر الف مبين مسلمين
يعلمون معلوم ويستأخرون ويجنون لان المخصص له صدر الكلام الصادقين منظرين محافظون الاولين يعمهون مسحورون
للناظرين رجيم مبين موزون وزارقين وخزائنه لانتفاء المجلتين مع الفصل بين معينين الجمع والتقدير والتفريق في التنزيل فاسقيناكموه
لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال بخازنين الوارثون المستأخرين يحشرهم عليم مسنون لانتفاء المجلتين مع تقدم المفعول في الثاني
الثموء مسنون ساجدين اجمعون الا ابليس الساجدين مسنون رجيم الدين يبعثون من المنظرين المعلوم اجمعين المخلصين مستقيم

الغاوين

العاذرين بجعين ابواب مفسوحة وعيون طلارادة القول بعد امتين منفابلين مخرجين الرحيم الاليم النضير قال جار الله ذلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الايات والكتاب القرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال اخرون الكتاب القرآن المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلعم ان ينزله عليه وقيل ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وذكره قرآنا مفيد البيان اما قوله تعالى ربما يود فان كلا ان فيه سبع لغات اخر بعد الشهور ربما بالتاء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مشددة ورب بالتاء مفتوحة والباء مكسورة او مضمومة مخففة او مشددة وتاء دخلت على المضارع مع انه مختص بالماضي لان الترجي اخبار بامر مستقبل ممكن حصوله فكأنه قيل وربما ودادهم كانوا يكفون ربما عن العمل فينبغي ان لا يكثروا من الاشتغال بالدنيا وقيل ان ربما بمعنى شيء اي شيء يود الذين كفروا ورب للتقليل فاورد عليه ان تمنيهم يكثر وتواصل فما معنى التقليل واجيب بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا ارادوا التقليل ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار التوقع والاقتضاء عن التعريض بالتهديد فيقولون ربما ندمت على ما فعلت وربما ندمت على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك اذا كان الندم قليلا او مشكوكا فيه فيحق علينا ان لا نفعل هذا الفعل لان العقلاء يحترزون من الغم القليل كما يحترزون من الكثير ومن الغم المظنون كما من المتيقن فبغي الا يتركوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وفوله لو كانوا مسلمين اخبار عن ودادهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومنه يكون هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلمين ودادلو كان مسلما على هذا فقد قيل في وجه التقليل ان العذاب يشغلهم عن كثير التمني فكأن قلة ذلك قلة وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهدوا ما لهم من العذاب وقيل اذا سودت وجوههم وزرقت اعينهم وقيل اذا كان يوم القيامة فزع اهل النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فقال الكفار لهم انتم مسلمون فالوا بلى فالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيأمر لكل من كان من اهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرء رسول الله صلعم الاية وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال ما بين الله رحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى اخر الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فعند ذلك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ردهم ظاهر امر رسول الله صلعم بانه يخلصهم وشاهد ما احتجت الاشاعرة به على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالكافر ما يكون كالمفسد في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا ولا يجوز ولا تمامه لهذا بد وعيد وقطع طمع التي تمنى ارتفاعهم وفيه انهم من اهل الخلود ان ولا يجتمع منهم الاماهم فيه ولا ازاجلهم ولا اعظم مما ينالهم ما يتمنون بسببه لا ينفعهم الوعظ وفي الاية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتمتع وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين ومعنى يلهم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة يقال فلان يلهو بالكرة اذا سلوت عنه وتركته وهو واضح عنده والهاني عنه عن ابن زيد يأكلوا ما يأكل الانعام ويتمتعوا بالدنيا كما تتمتع البهائم وقيل

كانوا إذ منظرين فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يعجلهم الامر وبهلهم لما علم من ايمان بعضهم او ايمان اولادهم وقال الاشاعرة الابالتحويل الآبا والوعد والعذاب قال صاحب النظم لفظ اذن يركب من اذ ومن ين بمعنى حين ومن ان الدال على مجيء فعل بعده تحققت الخبر بحدثها بعد فعل وكانه قيل وما كانوا منظرين ان كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر وقال على سبيل التوكيد انا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه اية معزلة من عنده وقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر لم يكن ان يبقى محفوظا من التغيير والاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله ثم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول اوضح ووجه حفظ القرآن قيل هو جعله معجزا مباينا لكلام البشر حتى لو زاد واحد فيه شيئا ظهر لكل العقلاء ولم يخف فلذلك يبقى مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث لم يزل طائفة يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو تفوه لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض الصبيان اخطأت ومن جملة اعجاز القرآن وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة فلم يبق للوحدثي في اعجازه وهمنا انكته هي انه سبحانه لما وعد حفظ القرآن ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لما وكل حفظها والقيام بحفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية النبي ص وفي الكلام اضمار التقدير ولقد ارسلنا رسلا من قبلك رسلا فحذف ذكر الرسل لدلالة ارسلنا عليه ومعنى في شيع الاولين في امم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال الجبائي معناه ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين من اضافة الموصوف الى الصفة كقولهم حق اليقين وبجانب الغربي وقوله وما بانهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة في كل قرن لان الطعام عن المالوف شديد وكون الانسان مسخرا من مثله اوائل ما الفه في المال والجاه والقبول اشد على النفس الكل فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم مظاهر الفهر في الازل فوله كذلك نسلكه اسلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط في الخرز وقال الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى اقرب المذكور ان وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزئون واما الضمير في قوله لا يؤمنون به فيعود الى المذكر لانه اول عاد الى الاستهزاء وعدم الايمان بالاستهزاء حتى وصوابه بتوجيه اللوم على الكفار وكلا الامرين من تعاقب الضمائر يعودها على شيء واحد وان كان الاحسن في ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع مانع اعتباره وقال بعض الادباء منهم قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه اي نجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به ثبت بذلك ان لا اباء على ان الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال كلها بخلق الله وايجاده وقال المعتزلة الضمير ان يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بعمل الخرز فيه وليس الا تنزيل الذكر والحفظ منزل ذلك الفعل نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير مؤمن به وهو بيان لطول كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول نظيره اذا اتوك يكلمونك اي جاؤك حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك انزلها باللئام يعني مثل هذا الانزال انزلها مردودة غير مقضية وانما عرض بان النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلال ومثل هذا التعظيم انما يحسن منه اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون مناقضا ومعارضا لما علمه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك اسماع القرآن وتحفيظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالعدم الضائع وصار الشيطان كالغالب الدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل الى طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا بناسب تفسير العزلة وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا قول الزجاج وبناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون اي يصاعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا هو من سكر الشراب ومن سكر سد النهر اذا شد وحبسه الجري والتركيب يدل على قطع الشيء من سنة الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه يقطع عما كان عليه من الصفاء وحال الصحو فيخيل الاشخاص وقرئ سكرت ابصارنا وقرئ بها من سما ان نظر ما يقع بالرجل السكران وحبس عن فعله بحبث لا ينفذ نوره او هو ان يبدل الاشياء على خلاف ما عليه عن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون في ذلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشككوا في ذلك ولقوله وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا اساء المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي ص من القرآن المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس ان ياتوا بمثله قال الكشاف ذكر الظلول بعني انه قال فظلوا ولم يقل فيظلوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت لبدل على انهم يهتون القول بان ذلك ليس الا لسكر اللابصار وقيل الضمير في ظلوا للملائكة اي لو اراهم الملائكة يصعدون في السماء بنا لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا يخيل الينا حفظنا الله من ذلك وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من حق عفران يصر واشاكين فيما يشاهدونه بالعين المستلزمة للنهار الواضح واجيب بانه قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا قليلا قليلا العدد فجاز تواطئهم على المكابرة والعناد لا سيما اذا جمعهم غرض مشترك يدفع مجتمعا وعلة خصمه ولما اجاب عن شبه منكري النبوة بما اجاب كان القول بالنبوة مقررا

الحجر

على القول بالصانع البعيد ولا دليل فيه قال ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر عند اهل النجوم وذلك اثنا عشر منزلا من منازل القمر وهي منطقة الفلك الثامن عندهم باثني عشر قسما مشاركة ثم اجزاء بتهي كل قسم وباز له مبتدئة من اول الحمل بضعة طرفة عظيمة مارة بمنطقة الفلك فصار الفلك بها منقسما باثني عشر عشرة قطعة كل منها تشبه ضلعا من اضلاع البطيخ بتهي وبروجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطبائع كل ثلثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الاربعة فللك بتهي الحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزا والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التأثير كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة او بتأثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دليلا على صانع حكيم ومدبر قدير الدليل الثاني قوله وزينا ها اي التمرد للنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار قال المجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا لا بأس به على ما يمكن ان يستدل الوهم لا تقاسيم كان في سماء الدنيا او في سموات اخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا فتكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله في سورة الملك الدليل الثالث قوله وحفظنا ها اي بالبروج والسماء من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من استرق وجاز ان يكون محفوظا اي الا ممن استرق وعن ابن عباس رضي الله عنه بعد الحفظة البشر فانها ترى اي تدركه وتحفظه شهاب مبين ظاهر للبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يبتى الكوكب شهابا لاجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون الخبر الغيوب عن الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما لو حفظ احد ناحية من بيته من نجاسة وبحثي منه الفساق والشراق للسعي في استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار دخاني فاذا بلغ النار الذي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنية فيه فيحدث منها انواع من الشهب جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الا انها لم تكن مسلطة على الشياطين واما قبض كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى عليه السلام فسئولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان او اكثر من جنهم يسترقون السمع فيحرقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قبض الله لطائفة منهم الحرق الطغيانها فقد زله من الذي هي الطمعة في درك المقصود عاقبة بها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار فتعود الاخبار متباينة كل سماء مشحونة بقوم جن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع اسرار الملائكة من ذلك البعد ولا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الارض راجين بانا سلمنا ان بعد ما بين الملائكة والانس الا ان نحن الفلك لعله قد يقلل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من اصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا تعالى اذا قضى امرا في السماء سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر اهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون ويخلطون الشياطين من نار فكيف يحترق النار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف ان كان من جنسه اخرج هذا الوجه لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه ابطال الكهانة اخوان الشهب قد يحدث بالقرب من الارض والا لم يمكن الاحتراز بها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاسترقي واجيب بان البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى اجرى عادته بانهم اذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة اخر لو كان تمكنهم تمكنهم فعل اخبار الملائكة الى الكهنة فكيف بعد روا على نقل اسرار المنيع واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء واجبرهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل والقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الوحي انهات اكثر اذ جوز في الجملة اطلاع الجن على بعض الغيب فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى اخبر انهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبي لانا نقول لصدق هذا الكلام مبنى على صحة نبوته فلو اثبتنا صحة نبوته بهذا الدور والجواب تأخر صحة نبوته بهذا لا ثاني اخر حتى لا يدور ولكن لا ريب ان اخبار بعض الغيب موكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله والارض مددناها والقينا فيها رواسي وقد مر تفسيره مثله في اول سورة الرعد الدليل الخامس قوله انبتنا فيها اي في الارض وفي الجبال الرواسي من كل شيء موزون يعلم ان الحكمة ومقدوريها بمقدار الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرف المقدار فاطلق اسم السبب على المسبب وقيل الحاصل موزون وقدر في ابواب النعم والمنفعة وقيل اراد ان مقدار من العناصر معلوم فكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها وقيل اي مناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحدس اللطيفة يقال كلام موزون اي مناسب فلان موزون الحركات وقيل اراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها مما الموزونات كالثمار والفواكه والنبات وجعلنا لكم فيها اي في الارض وفي تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة وقدر في اول الاعراف ومن عطف على معايش اي جعلنا لكم من لستم له برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور فقط فانه لا يجوز في الاكثر الا باعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وارادة العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وجعلهم الآباء والسادات والمخادم وبدخل فيه بحكم التغليب غير ذوي العقول من

الانعام والدواب الوحش والطير كلونه وما من دابة في الارض الا على تقدير ذكرها وقد يذكر غير من يعقل بوصف من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله تعالى يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشمل ذوي العقول من جهة اختلاطها بالناس او لزلفها عند الحاجة كما قيل مياه الاودية في بعض السنين واشتد بها عطش الوحوش رفعت راسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غايته فقدر ونهايته حكمه فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه قال جمع المفسرين الراد بالشيء ههنا المطر الذي هو سبب لارزاق عباده وسائر ما ينتفعون به وغيرهم من الطير والوحش وذلك انه لما ذكر معايشهم من ان خزائن المطر الذي هو سبب المعايش عنده اتى في امره وحكمه وتدبيره قوله وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحلبي ما من عام بأكثر مطرا من عام آخر ولكنه يطر قوم ويحرمون وربما كان البحر واعلم ان لفظ الابن لا يتدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح امكن ان يقبلهما العقل والا كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن بمثل لاقتدار على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى الوجود كيف شاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام في الاجناس وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وقدر وكم معين والى جهة معينة دون الجهة دون اضدادها لابد ان يكون بتخصيص مخصص ويقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة في ان المعدوم شيء قالوا المراد ان لله تعالى المقدورات والممكنات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقايق وماهيات ثم انه تعالى اخرج بعضها من العدم الى الوجود والدليل الناس قوله وارسلنا الرياح وقرئ الريح فالالف للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقح لانها تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء ويجوز في السحاب لانها تلقح الشجر اي تقويها وتحملها الى ان يخرج ثمرها قال الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام العرب فاعل بمعنى مفعل قال وتخبط بما تلقح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري يقول العرب ابل لبون فهو بانل الى مبقل قال الزجاج معناه ذوات لقاح لان الريح تعصر السحاب وتدرره كما تدر اللقح التي يقي رأسها ذنبها ذوي ذوي ولابن قتادة ايضا لواقح كما قيل لضبها الريح العقيم فاسقيناكموه اي جعلناه لكم سقيا قال ابو علي يقي سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يروي وأسقيته نهرا اي جعلته شربا له والذي يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله وسقاهم ربهم شرابا طهورا وفي قال سقيته لما شربه وارضه وما انتم له بخازنين نفي منهم لما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه اي نحن الخازنون لها الا انا اردنا عظم قدرته وعجز من سواه الدليل السابع وقوله وانا لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال باحصاء الاحياء والاماتة فيه على انه واحد في ملكه وملكه قال اكثر المفسرين اتى وصف المنبات فيما قبل لهذا الاحياء خص بالذكر هنا او منهم من حمله على القدر المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون نجازي من بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر في اخوال عمران في قوله وتلله ميراث السموات والارض والاول قوله ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطا المستقدمين من يريد اهل طاعة الله والمستأخرين من يريد المتخلفين عن طاعته وروي انه صلى الناس في الصف الاول في الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني في صف القتال وقال ابن عباس في رواية اخرى كانت امرأة حسناء تصلي خلف سول الله صلعم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها ويأخرون يتخلفون لئلا يروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا ابديهم لينظروا من تحت اباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم امة محمد صلعم وقال عكرمة المستقدمون من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة ولا ينبغي ان يخص الآية بحالة دون اخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر امر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو فقال وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فلحكمته يأمر العباد على التكليف والجزاء ولعلمه قدر على توفية مقادير الجزاء الدليل الثامن الاستدلال على خلق الانسان خاصة وذلك انه لابد من انتهاء الناس الى انسان اول ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون على ان ادم صلعم هو ابو البشر الا ما روي عن محمد بن علي الباقر انه قال انقضت قبل ادم الف الف دهر او اكثر وكيف كان فلابد من انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلق اولا من الارض ثم من طين ثم من حمأ مسنون ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة او لما كان فيه من لذا الملائكة والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب خلقا من شكله وجنسه اصلا الطين اللازب الذي يلصق اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو متغير صل اذا انتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سننت الوجه اي صورته قال سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسانا كما يفرغ الصورة من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول معناه متغير منتن وكانه من سنن الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل منهما سنين ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حمأ صفة صلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمأ مسنون ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه من حمأ قال وحق مسنون ان يجيء مصورا ان يكون صفة لصلصال كما تقول خلق الحمأ مصورا مثال انسان لبوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير بعد ذلك الى جوهر اخر فقوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة وهو رواية عطا عن ابن عباس في رواية اخرى هو ابو الجن كادم ابي الناس وهو قول الاكثرين والتركيب

الحجر

يدل على التسوي والتوازي عن الاعين وقد ورد فيها سلف الاسماء لا تفسير الاستعاذة في اول الكتاب خلقها من قبل قال ابن عباس اي من قبل خلق ادم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام يكون في النهار وقد يكون بالليل ومساء البدل والحرف الخفية التي يوزن منها العرق ويجاور البدن الباطن ولا شك ان تلك الاربع فيها نار ولها نفع على ما ورد في الخبر انه نفع جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان ولا استبعاد في خلق الله الحيوان من النار فانا شاهد السمندر قد يتولد فيها وعلى ولادة فاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن ان يغلب عليه احدها وح يكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مغوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه قادرا مختارا ذكر بعده ما يعضد والمراد منه كونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر بالحس كما في الملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشر ظاهر الجلد من كل حيوان فاذا سويته اعدلت خلقته واكملتها او سويته للجزاء بدل من بعد بدل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعدلا لانه يصلح او شخصتها ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في بخاريف جسم اخر فمن زعم ان الروح جسم لطيف كالهواء سار في البدن فعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد لا حال في مختار فمعنى النفخ عنده لهذا البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتصور ما يجري بين يدي تمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسئلونك عن الروح والاختلاف في ان الاضافة في قوله روحي للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله والقاء في قوله فقعوا ندل على ان قولهم في التجوه كان وجابا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير توان قال المبرد قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجد وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا لوكان منصبا لافادة المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف في جملة الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استانف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين اي ابلى استكبر ثم قال سبحانه خطاب تعريف وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه اي حرض لك في الامتناع من التجوه قال لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي لا يصح مني وبناني حالي ان اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه رد على الطف ادم جسما كثيفا اصله نور الى شريف اصل ادم ظلماني خسيس ضارض النص بالقياس فلا جرم اجيب بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضمير يوم الدين اي يوم الجزاء حذف للغنى عنه على عادة العرب في امثاله كما مر في قوله ما دامت السموات والارض واراد باللعن الطرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم صدر بما ينسى اللعن معه قال صاحب الكشاف قول هذا ان اريد به اللعن مجردا الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من اثبت لابليس وجنا العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر ادم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق بشرا والما خصص ادم بالاضافة الى نفسه في سورة ص حيث قال لما خالفت به خصص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي فافهم قال رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى انظرني اعلم ان ابليس لما علم انه مرصد للعن واشار اليه بعينه صار كالمعلوم واراد به وقت النفخ الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجب الى ذلك وانظره الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما اغويتني قد مر مباحثه في الاعراف مفعول لازين محذوف اي لازين لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور او دار اثاقة قد رغب الاكثرون في هذا المعنى فهو على التقديرين لا يلائمه وهم في الارض قد راوا ذلك لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان ازين الارض في اعينهم واحدهم ان ازينه هي في الارض وحدها كقوله ضربي هما او ان يعتذر بالحمل من نبي ضرب عما لم يقع فيها ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق احترز بابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فعلم منه ان الكذب في غاية الاستهجار والاخلاص فعل الشيء خالصا لله من غير شائبة الغير لا اقل من ان يكون لله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او علي مروءته اي على رضائي وقبل لما ذكر اللعين انه يغوي بني ادم الا من عصم الله بوفيه نعم هذا الكلام تفويض الامور الى مشيته تعالى فاشار اليه بقوله هذا اي تفويض الامور الي ارادتي ومشيتي صراط علي اسديه وتاكيد ومن قرأ علي بالتنوين فهو من علو الشرف اي الاخلاص اوطريق التفويض الي الله والايمان بقضائه طريق رفيع مستقيم لا عوج له وقال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان قال الكلبي المذكورون في هذه الاية هم الذين استثناهم ابليس بقوله الا عبادك منهم به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله في الاستثناء فانه ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك اي لكن من اتبعك من الغواة فلك تسلط عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال اخرون هذا تكذيب لابليس وذلك انه ادعى ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا الا الغواة لا بسبب الجبر الفسر يا من جهة الوسوسة والتزيين بظهر قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين قال ابن عباس يريد بابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها فوق بعض اعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة

فصل الراجح على ما فيها من الصلاح

النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قعر جهنم مقسوم بسبعة اقسام لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس معلوم في قسم الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فالجرم صاحب مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عطف الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون وهم جمهور المعتزلة انهم الذين اتوا بجميع المناهي والاوامر بقيد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واجتنبوا عليه بانه اذا اتقى واحد صدق عليه انه اتقى وكذا الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه اتيا بجميع اصنافه وافراده الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى على الشرك شرط في حصول هذا الحكم والاية بظاهرها ورد عقيب قوله الا عباد الله منهم المخلصين اذ ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر ان الاية وردت عقيب قوله الا عباد الله منهم المخلصين اذ ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظاهر ان الاية وردت عقيب قوله الا عبادك

سورة الحجر

الخلفه فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وانا نحن نحيي قلوب اوليائنا بانوار جمالنا ونبث نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فنا
وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشرهم المستفيدين من الخطاب قدسه والمستفيضين الى اسفل سافلين الطبيعة خاطب بلبس النفس بقوله
وان عليك اللعنة الى يوم الدين الى ان تطلع شمس شواهد نامن مشرق الروح ويصير رمس النفس مشرقة ويتبدل صفاتها الذميمة المظلمة
بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون اى يبعث الارواح فى قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذى يتجلى الوقت فيه لارواح العشاق فيشكر
نور التجلى من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة بما اغويتنى لاضلنهم من طريق الامانية لازينن الارواح فى ارض البشرية من الاعمال الخسيسة
التى بورث الاخلاق الحميدة وبها تزينها الارواح وترقيها ولاغوينهم اجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية الا عبادك
لعبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط اى هو طريق اهل الاستقامة الى السير فى الله المنقطعين عن غيره ان
عبادى ليس لك عليهم سلطان حجة يتعلق بذلك الحجة طلبتهم واغوائهم فانهم بالله وان من خصوصية العبودية المضافة الى الحضرة الحرية
عما سواه لها سبعة ابواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر والابواب لاستيعاب اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى
الوهم والخيال فانهما اصلا الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعانى والثانى يدرك الصور والبانية اعنى المفكرة والحافظة والذاكرة من
اعوانها واكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها فى الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلاجرم صارت ابوابا لجهنم فاذا استعملها
فى تحصيل السعادات الباقية بحيث يصير العقل العزيز مصونا مع العقل ابوابا بل اسبابا لحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله تجلى
امنين من رفع موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان التخلى الا يمكن الا بالله وحده بانه وحده قال جبرئيل لبلة المعراج لو دنوت انملة
لاحترقت وزعنا فيه ان نزع العلل من الصدور لا يمكن الا بنزع الله وات الارواح القدسية مطهرات عن علايق القوى الشهوانية والغضبية
مبرات من جوارث الوهم والخيال ومعنى قابلها ان النفوس المصفات عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها
انوار جمال الله وجلاله انعكست منها الى من مثل درجاتها كما ينعكس المرايا الصافية المحاذية بعضها بعضا فيزداد كل منها فى نفسها صفاء وفى قوله
نبئ عبادى اشارة الى ان سلوك السالكين وطيران الطائرين يجب ان يكون على قدمى الرجاء والخوف دعاى الانس والحزن والله الموفق بالصواب

ونبئهم عن ضيف ابرهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل
وبخبر دهان مهمانان ابرهيم كفتند بدرستيكه ما فرستاده شدگانيم بسوى قوم لوط تا هلاك كنيم ايشانرا مگر زن او مقدر كرديم كه او از باقى ماندگان است پس چون
انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتمونى على ان مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا
كفتند مژده دادند ترا بپسرى دانا كفت آيا مژده ميدهيد مرا بر آنكه رسيد مرا پيرى پس بچه چيز مژده ميدهيد مرا كفتند مژده داديم ترا براستى پس
تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا
مباش از نوميدان كفت كيست نوميد شونده از رحمت پروردگار او مگر گمراهان كفت پس چيست كار شما اى فرستادگان
انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما
بدرستيكه ما فرستاده شديم بسوى گروهى بزهكاران مگر خاندان لوط بدرستيكه ما رهانندگانيم ايشانرا همه مگر زن او مقدر كرديم كه او باشد از باقى ماندگان پس چون
جاء ال لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وآتيناك
آمد آل لوط فرستادگان كفت بدرستيكه شما گروهى ناشناخته كفتند بلكه آمديم نزد تو با چيزى كه در آن شك ميكردند واورده آمديم نزد تو
بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا حيث
بحق و بدرستيكه ما هر آينه راستگويانيم پس ببر خانه خود را در پاره از شب وتابع شو پشتهاى ايشانرا و نباشد كه التفات كند از شما احدى و برويد بجائى كه
تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون
كرا مورشما را بدهد و گذارديم بسوى او اين امررا بدرستيكه ريشه اينها بريده شدنى است بوقت صبح و آمدند اهل شهر بسيار شادمان
قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا اولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء
كفت بدرستيكه اينها مهمان منند پس رسوا مكنيد مرا و بترسيد از خدا و خوار مسازيد مرا كفتند آيا منع نكرديم ترا از جهانيان
بناتى ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا
دختران من اگر هستيد شما كنندگان بجان تو كه ايشان هر آينه در مستى خود حيران مى بودند پس فرا گرفت ايشانرا آواز مهيب وقت روز كه داخل شدند
عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم
زبرين ايشان را زيرين ايشان و باريانيديم بر ايشان سنگها از سنگ گل بدرستيكه در اين هر آينه نشانهاست مر فراستيان را و بدرستيكه اين هر آينه راه ثابت
ان فى ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين

الجزء الرابع عشر

وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ
وتحقیق دروغ زن کردند اصحاب حجر رسولان را ۝ و دادیم ایشان را نشانهای خود پس بودند از آنها اعراض کنندگان ۝ و بودند میتراشیدند از کوهها
بُيُوتًا آمِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
خانهای ایمنان ۝ پس گرفت ایشان را فریاد در حالتی که داخل شدگان بودند ۝ پس کفایت نکرد از ایشان آنچه بودند که کسب میکردند ۝ و نیافریدیم آسمانها را
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ
و زمین و آنچه میان آنهاست مگر براستی و بدرستیکه قیامت هر آینده است پس درگذر درگذشتنی خوب ۝ بدرستیکه پروردگار تو اوست آفریدگار
الْعَلِيمُ ۝ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ۝ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا
دانا ۝ و تحقیق که دادیم ترا هفت آیه از سوره که چون خوانده شود دو بار نازل شده و قرآن عظیم ۝ مگذران چشمان خود را بآنچه برخورداری دادیم گروههای
مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ
از ایشان و اندوه مخور بر ایشان و فرود آور بازوی خود را از برای کسانیکه ایمان آورند ۝ و بگو بدرستیکه منم بیم کننده آشکارا ۝ مانند آنچه فرو فرستادیم بر تقسیم کنندگان
الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ
آنانکه گردانیدند قرآن را پارها پارها کردنی ۝ پس بپروردگار تو قسم که البته سؤال خواهیم کرد ایشان را همه ۝ از آنچه بودند که میکردند ۝ پس آشکار کن آنچه فرموده میشوی
وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
و روی بگردان از مشرکان ۝ بدرستیکه ما کفایت میکنیم ترا استهزا کنندگان را ۝ آنانکه میگردانند ۝ با خدا خدای دیگر
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ
و تحقیق میدانیم که تنگ میشود سینه تو بآنچه میگویند ۝ پس تسبیح گوی بستایش پروردگار خود باش و بسجده کنندگان باش ۝ و بپرست پروردگار خود را تا بیاید ترا مرگ

القراءة اذ دخلوا بابه مدغما ابو عمرو وحمزة وخلف غير هشام انا بشر بكون الباء وضم الشين حمزة الاخرون بالتشديد بشرون بالتشديد وكسر النون الحفص نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير انا فون بفتح النون على انها علامة الرفع بغير بسكر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلى وخلف كذلك ابو الاخرون بالفتح ال لوط مدغما حيث كان شجاع لمجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلى وخلف لمنا نون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد تبشرون ان بفتح الباء ابو جعفر ونافع انا بفتح باء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابو قرة وهبيرة لما بصبرن ادغموا ظرفا بالشين فانه محال سلاما وجلون عليم تبشرون الفاطئين الضالون المرسلون مجرمين للاستئناف ال لوط اجمعين الا امرأته بعذاب مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين كان ما بعده جواب لما منكرون نمرون تؤمرون مصبحين يستبشرون فلا تفضحون للعطف ولا تخزون العالمين فاعلمن لا ابتداء القسم يعمهون مشرقين لا اتصال انفلا بالصيحة من سجيل للمتوسمين مقيم المؤمنين لتمام القصة لظالمين لا اتصال الانتقام بظلمهم تمام كان الواو للابتداء فلو وصل لشبه الحال وهو محال مبين لتمام قصتهم المرسلين لان الواو بعده للحال اي وقد اتيناهم معرضين للعطف منحتون مصبحين للاتصال معنى يكسبون لتمام القصص الا بالحق الجبل العليم العظيم المؤمنين المبين لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم وبقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف اي عذابا مثل ما انزلنا عليهم العذاب كما انزلنا وتمام البحث سيجيء في تفسير المقتسمين عضين اجمعين يعملون المشركين المستهزئين اخر للابتداء التهديد مع الفاء يعلمون بقولون لاتصال الامر بالتسبيح لئلا يتوهم السجود للعطف لبعض التفسير سجانه عطف قبيحهم على وبني عبادي ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الابرار ومحذرا من المعصية المستجلبة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ما ذكر من انه تعالى غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم للكافرين وعند المعتزلة للمذنبين معذب بلغتهم وقد مر تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود فنذكر الا ما هو مختص بالمقام نضوده وجلون معنا مخافتون خافهم لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن في غير وقت انا نبشرك استبشاب في معنى تعجيل المسرة عن الوجل لتبشره بالولد الذي يكون منه علما فقيل اراد وا بعلمه بشره وقيل العلم مطروح وقوله على ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكرا للولادة في حالة الطهر لانها امر عجيب عادة لا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي امر عجيب تبشرونني او انكم لا تبشرون بشيء تحقيقا لان ذلك امر غير منصرف والعامل فيها قال فيكون تولد بما صلة للتبشير ليكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعا فبأي طريق تبشرونني بالولد فذلك قالوا في جوابه بشرناك بالحق اي بالكائن لا محالة لا بالممتنع بطريق هو حق وذلك قول الله وعده واقتداره على خلق الولد من غير اب من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه لما حذف الالف اكتفى بالكسرة دون الواو فانها لم يرد ها كما اورد في قراءة التهديد وانما كسر نون الجمع لاجل الياء وكلنا اللغتين فصيحة قيل عظم ذرعه بذلك لمشارفة قدوم اضيافه فدهش عن الجواب لمنتظم تكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب منه الطمأنينة فقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق

فضى الله ان يخرج من صلبه ابرهيم اسحق ومن صلب اسحق اكثر الانبياء وقوله فما لكم من الغابرين لا يبدل على انه كان قاطنا فقد بقي من التي ابقاه كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك اكد ابرهيم بهم بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق الصواب والكافرون وفيه انه لم يستنكر ذلك فنوطا من رحمة ولكن استبعاده له في العادة التي اجراها الله هما الغنان فنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم وزعم الفارسي ان الاول اعلى اللغتين ثم سئل عما لاجله ارسلهم الله جنث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم فسئل انهم لما بشروا بالولد الذكر العليم فاوجه التعوال عن مجيئهم واجاب الاصم بان المراد بما الامر المتقدم مجيئهم فيه سوء البشرى وقال القاضي اقر علم المخصوص وكان التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اول ما خاطبوا فقيل ان يوجل ابرهيم منهم خيفة فلذلك لعله استصغر امر التبشير اما لاجل التواضع واما لانه وقف خاصة فسئلهم عن الامر الذي هو اعظم من ذلك واعم نفعا فاشار انهم قالوا انا ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا في معنى التعذيب والاهلاك كارسال الجراد والسهم الى المرمى وقول كاتبه لا حاجة الى هذا التجوز لقوله في سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا ال لوط وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنسين فان القوم موصوفون بالاجرام دون ال لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن كانه قيل لكن قوم لوط سنجيهم ويكون قوله الا امرأته استثناء اما ارسلنا اليهم لنهلكهم الا امرأته كقول المفرقلان على عشرة الا ثلثة الا واحدا ويجوز في الكشاف ان يكون قوله الا ال لوط مستثنى من الضمير في مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا اي الى قوم قد اجرموا كلهم الا ال لوط وحدهم ولم لا يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان ال لوط مستثنى من معمول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من معمول ينجوهم وقد عرف ما فيه على انا اذا جعلنا الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو ان الامر اذا ما ذكرنا فالاداة لم استبعد مع وفور فضله فاعمل الخبرة فقد رت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل جعل الشيء على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات اي جعلها على مقدار انكفاء ونحوه قدر الامور اي جعلها على مقدار ما يكفي في ابواب الخير والشر وقيل في معنى قدرنا وقال كتبنا الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقاربة والمشدد في هذا المعنى اكثر استعمالا وانث جواب سنوال كانه قيل فما بالها استثنيت من الناجين فصل لنا تعنتا انها لمن الغابرين اي الباقين في الحوالك بقي الماضي ايضا غابر وهو من الاضداد قال في الكشاف علق فعل التقدير مع ان المعلق من حصائص افعال القلوب لانه في معنى العلم وانما استدوا وانفعل الى انفسهم مع ان التقدير لله عز وجل بيانا لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا ولعل المدبر والامر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابرهيم بالولد الخير بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وقد لك قوله فلما جاء ال لوط المرسلون قال اي لوط انكم قوم منكرون تنكركم فضيعوا نفسي منكم وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قال فقالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما تنهوم بل جئناك بما فيه فرجك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وهم يشكون في وقوعه وآتيناك بالحق البين الثابت وقال الكلبي بالعذاب الذي لا شك فيه وانا الصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اي في اخره وقدم في سورة هود وزاد ههنا قوله واتبع ادبارهم لا تتاذا سائق هو كان من ورائهم علم بحالهم ولا يخفى عليه حالهم ففي الاثر زيادة بيان لكيفية الاسراء فمر زاد في ابيان فقال ولا يلتفت منكم احد وقوم امتثل امر الله بالسير من السورة من قوله الا ال لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قال جار الله انما امر باتباع ادبارهم ونهاهم عن الالتفات ليكون فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم احد فيصيبه العذاب ولئلا يشاهد وا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع انهم لسوء حال اولئك عليهم وليهونوا نفوسهم على المهاجرة ولا يحتسروا على ما خلفوا ويجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني كان من يلتفت لا بد ان يقع له وقفة واضطجعت لو مررن قال الجوهري مضى الشيء مضيا ذهب وفي الامر مضى انفذ وفي الكشاف عدي وامضوا الى حيث تعد بهذا الظرف المبهم لان حيث يبهم في الامكنة كذلك الضمير في لو مررتم قلت حاصل الكلام يرجع الى قولك اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون به والذي هاب ابدا وانفذ والامر الذي هاب الى ههنا ان من ابن عباس اقر الشام وقيل مصر وقال المفضل حيث يجوز لكم جبريل وكانت لوط معتقة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم مجملا فقال وقضينا ضمن معنى اوحينا ولذلك عدي بالى كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقتضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اي لما قصدوا واصفا نذر عن انوهم حال ظهور الصبح ونحوه ههنا وفيه ونحو هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم تمكى عما بدء قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال وجاء اهل المدينة اي اهل سدوم التي هي بقاضيها المثل فعهل الجور من قاضي سدوم يستبشرون بظهور الشر ويجيء الملائكة لانهم رأوهم مراهقا حسانا الوجوه لوط فقال لوط لما قصدوا اضيافه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا استحى البيت دار المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة المضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحا اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون من الخزي مرتع هود فلما في جواب لوط أو لم ننهك عن العالمين اي السنا نهيناك عن ان تكلمنا لاشان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يعترضون لكل احد وكان لوط لم ينههم عن ذلك فاوعدوه بنظيره لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقبل الخوه عن ضيافة الناس وان الهم قال هؤلاء بناتي من الصلب وارد بنساء امته كما مر في هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شرط حذف جوابه لدلالة كلامهم قال وما اظنكم تفعلون قبل

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور
الله الأول والآخر
من الاستثناء
لبياض ولعله

وقبل ان كنتم تزيدون فضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم ثم قال الملائكة للوط لم تعرف مبتدأ محذوف والخبر لكثرة الاستعمال اى منبغى او هو مما اقسم به العرب بالفتح والضم واحدا الا انهم خصوا القسم بالمفتوح او الاخف فان الحالف كثيرا الدور على السنتهم انهم لفى سكرتهم غوايتهم الذاهبة عقولهم حتى لم يتميزوا بين خطائهم وصوابه يتحيرون فكيف يعقلون قولك والذى ثامرهم به من ترك البنين الى البنات وقيل انه سبحانه خاطب سول الله ص واقسم بحياتهم كرامة له ص وما اقسم بحياة احد قط وذلك يدل على اتراكوم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة مشرقين داخلين فى الشروق وهو وقوع الشمس كان ابتداء العذاب من اول الصبح لقوله مصبحين اليس الصبح بقريب وغلبته كانت عند طلوع الشمس قال المفسرون هى صيحة جبريل قلت ويحتمل ان يكون صيحة قلب المدن وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفى سورة هود وامطرنا عليها لان اراد هنا ما شمل من الغربة منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو هنا القصد على قوله انا ارسلنا الى قوم مجرمين ان فى ذلك لآيات للمتوسمين للمتفرسين وحقيقة التوسم التثبت والنظر حتى يعرف حقيقة سمة الشئ فيعتبر عن التامل والتفكر وانها يعنى تلك القرى وآثارها ليسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون آثار عذاب الله وعظيم انتقامه ان فى ذلك لآيات للمتوسمين لانه اشارة الى ما تقدم من خبر ابراهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها وعلى من غاب منهم وقال الثعلبى وانها لبسبيل هذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال ان فى ذلك لآية للمؤمنين وقيل ما جاء من القرآن من الآيات فجمع الدلالة والعلامة من لا يرتاب لوطا انه الحق لما علم فيها اذ كر عقيبها المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية انظر وفى لعنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان فى ذلك لآية للمؤمنين ثم اجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين ان مخففة عن الثقيلة واللام دخلت للايذان بان المخففة لم تزل عن عملها كما قالوا اصحاب عنا ض وهو اضع ذات شجر فنسبوا اليها الايكة الشجر الملتف والضمير فى قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فذكر بذكر احد الموضعين هيهنا وهو الايكة على الاخر ليامام مبين لطريق واضح قال الفراء والزجاج سمى الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة كان المسافر يأتم بهم حتى يضع الى الموضع الذى يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان تكذيب نبى واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء لان الكل ارسل ارادوا صالحا ومن معه من المؤمنين وآتيناهم اى اعطيناهم رسولهم آياتنا ارادا الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها لغير ولدها كما حكينا فى الاعراف وكانوا عنها اى عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وهيا تا لتفليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا امنين من ان ينهدم او ينقلب بنيانها او يقع سقفهم عليهم او امنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم او دفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من بناء البيوت الوثيقة من جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى مصاحبة بالقول والغايات الصحيحة منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى نوثرها واعرضوا عنها وجب فى الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض منهم لهذا النظم بناسب اصول الاعتزال قال الجبائية مذهب الجبرية الذين يزعمون ان اكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصى باطل واجيب بان افعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يوثق فى وجه النظم ان هذا ابتداء شروع فى تسلية النبى ص وتصبيره على اذيات قومه بعد فصل احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم وبوتيد هذا النظم قوله وان الساعة لآتية يعنى كان الله سبحانه قد اهلك من قبلهم من عدائك وبجاز بانبيائهم على حسناتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق والعدل فكيف يبقى بحكمته وفضله اهمالك وامرك والصبر على اذى قومه ورغبه فى الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فامره هذا النوع من الصفح لا الذى يشتمل على حقد واجمال ومكروان كان للعهد فلعل المراد امره قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ بايات السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالقة مامور بها ما امكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق الكثير الخلق العليم الكامل العلم بعلم ما يجرى بين الخلائق من الاحوال والاعمال وان كثروا وكثرت فجازيهم يوم القيمة على حسب ذلك وقيل اراد انه الذى خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فامره يوم الصفح اصلح فاصفح الى ان يكون السيف اصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بتذكر النعم الجوارى العظام التى خصها فقال ولقد آتيناك سبعا من المثانى اكثر المفسرين على ان المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول على وابن مسعود وابى هريرة والحسن وابى العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وذلك انها سبع آيات والمثانى جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانما ثنى فى كل صلوة وقال الزجاج تثنى مما يقرأ بعدها معها او لانهم قسمت بنصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث فى هذا المعنى قسمت الصلوة بينى وبين عبدى نصفين وقد مر فى اول الكتاب وانها كلما ثنيت مثناة مثل الزعفران زعم ابان وابان الصراط صراط على عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتمجيده مقررو مما يتفرع على هذا القول ما نقل لفظه عن ابى بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب فى مصحفه فاتحة الكتاب وقيل كانه راى انه تعالى عطف عليه قوله والقرآن العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان يكون السبع المثانى غير القرآن والجواب انه قد يكون بعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل

او بالعكس كما في الآية والمفصل في الوصفين يميز البعض عن الكل فيهما على من يزعم ذلك البعض شرفه فان قلت ليس لطعف الكل على البعض نظير والاستدلال بالآية استدلال لصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك الخ دليلا على انه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد جبير في رواية ان السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك لانها تثني على الله تعالى العظيم وصفات الحسنى وانكر الزجاج هذا القول لان هذه السورة مكية واكثر تلك السور مدنية واجيب بان المراد من الايتاء انزالها الى السماء الدنيا او المكية والمدنية لا ذلك مبتدأ وضعفت ان المراد الطاق لفظ الايتاء على ما يصل بعد الايتاء خلاف الظاهر وقال ابو السبع المثاني هي الحمد دون الطول والمائين دون المفصل واحتجوا عليه بما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع المثاني مكان التوراة واعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني بالمفصل قال الواحدي والقول الاول في تسمية هذه السورة مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروي عن ابن عباس والبعض هو الذي عناه الله تعالى بقوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني وانما سبعة لسبع آيات فيها دلالة لان الموجود هو النيف والتكاليف ومعنى العطف على هذا القول الجمع كقوله الى الملك القوم وابن الحمام وكانه قيل اتيناك سبعا هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرانا عظيما قال الزجاج وقال صاحب الكشاف ومن في المثاني للتبيين او للتبعيض اذا اردت بالسبع الفاتحة او الطول والمئين اذا اردت الاسباع وما عرف رسوله نعمة الدنيا وزينتها ورغبه فيها فقرر من اللذات العاجلة الزائلة لان كل نعمة وان عظمت فانها بالنسبة الى نعم القرآن مثله حقيرة وضيعة ومن لم ينتفع بالقرآن اعمله بشغفه فليس متاع صغير اقل ولا ابقى من الدنيا وفي القرآن قولان احدهما انه خير مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القرآن الواقف على معانيه ان لا يشغل سره بالالتفات الى الدنيا وزهرتها قال الواحدي ما يكون ما ذا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر نحوه واطامة النظر اليه يدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف معنى لا تمدن لا تطمح بصرك طموح راغب فيه متمن له الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار قاله ابن قتيبة وقال الجوهري الازواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك اي لا تحسدن احدا على ما اوتي من الدنيا وضعف بانه الحد منهي عنه مطلقا فكيف يحسن تخصيص الرسول به ويمكن ان يجاب بان المراد منه نهي التكوين كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد النظرة فهي محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لا منصبة لان كانت جائزة لامته وروي انه مر في بعض اسفاره من بلاد الشام سبع قوافل لليهود بن قريظة والنظير فيها انواع البر والطيب الجوهر فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لفرقنا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال لهم الله تعالى جعل الله اعطيتكم سبعا آيات هي خير من هذه القوافل السبع وانما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو والعطف كما ترى بخلاف ما في سورة طه لما نافى عن الالتفات اليهم انفهم ان يحصل لهم في قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم اي على انهم لم يؤمنوا فتفوز بكانهم الاسلام وتتعسهم وكما امره بالتكبر على الاعتداد والترفع عنهم اذا كانوا كفارا امره بالتواضع للفقراء اذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الانسان يداه وخفضهما كناية عن اللين والرفق وانما قال في سورة الشعراء بادئ لمن اتبعك لانه قال قبله وانذر عشيرتك الاقربين فاول من كوهذا انذار لكان الظاهر ان اللام للعهد فخصها الامر بخفض الجناح مختصا بالاقربين من عشيرته فوجب ان يتبعك لنعلم ان هذا التشريف شامل للجميع منتهم من لا تمد ما بتة على الرفق باهل الايمان امره بالانذار لكل المكلفين فقال وقل اني انا النذير المبين وبدخل تحت كونه نبيا لجميع المكلفين لان كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب وبدخل في كونه شارحا لجميع مراتب اهل التكليف من الجنة والنار فالانذار بالنار والاعذار بالجنة هو الاخبار عما يوجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على المقتسمين ومن هم قبل اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اي اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اجزاء واعضاء او فعلة من عضهه اذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو ومن عكرمة العضة التحريش بالسحر قريش يقولون للساحر عاضه ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة فينفصل انها الهاء ايضا وجمعت العضة بالمعنى جمع العضلة لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا لما لحقها من الحذف كسنين لحق الابن ان اليهود اقتسموا القرآن الى حق وباطل وجزوه فقالوا ببعضه حق موافق للتوراة والانجيل وببعضه باطل مخالف لهما ويجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبالاقرار ببعضه والتكذيب بالبعض كقولهم نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض ونحو هذا المسلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وعداوتهم وطعنهم وسط بين المتعلق بقوله لا تمدن لانه ممد للمسلية لما فيه من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الاقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني ان يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام اضمار او زيادة اما الاضمار فان يكون التقدير انا النذير عذابا كما انزلنا كقولهم رايت القمر بين احسن اي وجها كالقمر واما الزيادة فان يكون الكاف زائدة كقولهم ليس كمثله شيء ويمكن ان يبقى الكاف بمعنى مثل كما هو الى التزام والتقدير انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم اما اليهود وانذارها انذار بالعذاب ملجوء على قريظة والنضير فيكون قد جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان واما غيرهم من اهل مكة او من قوم صالح قال ابن عباس المقتسمون طرق مكة وهو انهم كانوا ايام الموسم فيعدون كل مدخل منفرقين ينفرون الناس عن الايمان بالله ورسوله بقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر وبقول الآخر كذاب الاخر شاعر هم فاهلكهم الله يوم بدر قيل بافناف وكانوا ظاهرا من اربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص

وابل والاسود بن عبد المطلب فقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة آل عمران لي وقال مقاتل اقتسموه وقال بعضهم سحر وبعضهم شعر بعضهم كذب بعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله ليبيتنه واصحابه كما يجيء في سورة النمل فرهط صالح منهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اي انذر العضين الذين جزءوا القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسئلنهم لا بد وقد مر تفسيره مثله في اول الاعراف وذلك قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شبح بنبيه فانذا فاصدع اي اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل ومنه سمي الصبح صبحا كما سمي فلق فاصدع بالجهاد اذا تكلم به الجمهور قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذي تؤمر ومن الشرائع مثل امرك الخ وجوز ان يكون ما مصدرية اي بامرك وشانك مصدر من لفظ المفعول وقالوا وما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال وقيل عن المشركين اي لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا الاية في اية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم اكد النهي عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة وشوكة فدد واعلى الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والاية لا تفيد الا هذا العدد لكن المفسرين ذكروا عددهم واسماءهم مع اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من اشراف الولد من المغيرة والعاص وابل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ما تواكلهم قبل يوم بدر وقال جبريل صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكه فاومى الى ساقه فمر بهما فتعاوى بثوبه سهم فلم يعطف تعظما لاخذه فاصابه في عرقوبه فقطعه فمات وامر الى انخص العاص وابل فدعا عليهما بشوكة فقال لدرعه فانتخى حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عيني الاسود بن المطلب فعمي واشار الى رأس الحارث فامتخط قيحا ومات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد في تسليته بقوله فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفي القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانساني يقتضي ذلك تم امر بكشف ما به بامور اربعة اسباب بالتسبيح والتحميد والتهليل والتعبد الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت حتى يدل ذلك الامر منتفيا ولا يجب ما دام المكلف حيا وهذا كما قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم طلب العلم فان اصل العلم لا يكتسب بصرف الهمة الى تحصيله بل هو من الفضل الالهي فمن كشف له ضوء علم الربوبية فهو من ذوي المسالك الذين لا يستوحش من فقد اشياء ولا يستانس بوجدانها وقال اهل السنة اذا نزل الى العبد بعض المكاره فعليه ان يفزع الى الله بالذكر والدعاء والسجود وسائر انواع العبادة فكانه يقول وجب على عبادك سوء اعطني الخير او الهمني في المكاره وقالت المعتزلة من اعتقد ان فعله من الفبائح سفه فعليه يدخل النسائي لا تتعلم ان تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطلب المكلف الثواب وليل الاشارة ان الطالب الصادق وان كان مستاصفيف القوى كما قيل الصوفي بعد الاربعين بارد فانه ينبغي ان لا يفتر من ورد الله فيقرب المكلف بالاعمال القلبية لتقرب البهيمة رياضتها الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب وجوده رحم قلبه فلا علما علما بالعلوم اللدنية وهو راعطاه الله تعالى في قلب مؤمن ان في ذلك لآيات لاصحاب القلوب المؤمنين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق اي الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان الخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة يعني قيام الشوق لاهل النفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان انفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح ايها الطالب الصادق عن النفس المراضة بان تداويها وتواسيها فان في فهم الشوق يحصل من تزكية النفس في لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة في سنين كثيرة ومن هنا فهل جد بنا من جد بنا الرحمن بواسطة عمل القلبين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها ولحظاتها الا ليعبدوني ليعلم لم خلقهم مستعد المظهرية فانه وصفانه ومظهر بينهما وليس ذلك الا بين السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغير مختص بظهرية الصفات دون الذات وان كان ملكا فملك قال ولقد اتيناك سبعا اي سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحيوة والعلم والارادة والقدرة من المثاني اي من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والاخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك الى ما وصلت اليه المقتسمين الذين قسموا القرآن على انفسهم فصاروا مظاهر الفهار الذين جعلوا القرآن عضين اي جزاؤها في الاستعمال نقوم قراءته لبطال لهم القراءة بها كون وقوم حفظوه لبقال تحفاظا به بحرمان الرزق وقوم حصلوا نفوسهم قراء ولبلد اظهارا للفضل وطلبا للشهرة وقوم استنبطوا معاني وفهموا على قوانين علومهم فكفروا اذا فسروا القرآن برأيهم انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين يجعلون مع الله الها اخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لا انك لست منهم وكن من الساجدين بعبد الشكر واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اي الاية لان كل مقام يحصل باليقين بالعبادة والعرفان فانه يحصل فوقه مقام اخر وهكذا الى ان يحصل اليقين فيما ينتهي فلا مقام بعده فاليقين يكون اشارة الى الاية سورة النحل مكية غير ثلاث اية واعاقبتم فصبروا فهي مدنية وهي مائة وتسع وعشرون الف وثمانية وخمسون حرفا وان عدت البسملة فمائة وثلاثون الف وثمانية وخمسون حرفا وثمان عشرة كلمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا
آمد فرمان خدا پس مطلبيد شتاب كردن او برتر است از انچه شريك مي سازند فرو مي فرستد ملكها را با روح
أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا
از امر خود بر هر كه خواهد از بندگان خود كه بيم كنيد از انكه معبودي نيست مرا پس بترسيد از من آفريد آسمانها و زمين را براستي برتر است از انچه شريك مي اورند آفريد انسان را از نطفه پس
هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون
او ناگاه دشمن آشكار و چهارپايان را آفريد براي شما در انها پوشش گرمي و منفعتها و از انها مي خوريد و شما را در انها زينتي است هنگامي كه باز مي اوريد
وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم
و هنگامي كه مي فرستيد بچرا و مي برند بارهاي شما را بشهري كه نباشيد رسندگان انرا مگر بمشقت نفسها بدرستيكه پروردگار شما البته مهربان است
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر
و اسبها و استران و خرها را سوار شويد انها را و زينتي و مي آفريند انچه نمي دانيد و بر خدا است راه راست و بر خي از آن كج
ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت
و اگر خواستي هدايت كردي شما را همه او ذات كه فرو فرستاد از آسمان ابر را از آن نوشيدني و از آن درختان كه در ان مي چرانيد
لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر
براي شما باران كشت را و زيتون و درختان خرما و انگور را و از هر ثمرها بدرستيكه در اين البته نشانه است براي گروهي كه انديشه مي كنند و مسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم
براي شما شب و روز را و آفتاب و ماه را و ستارگان مسخر شده بفرمان او بدرستيكه در اين هر آينه نشانها است براي گروهي كه تعقل مي كنند و انچه آفريد براي شما
في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما
در زمين گوناگون است رنگهاي او بدرستيكه در اين هر آينه نشانه است براي گروهي كه پند گيرند و او ذات است كه مسخر گردانيد دريا را تا بخوريد از آن گوشتي
طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون
تازه و بيرون آريد از آن پيرايه كه مي پوشيد انرا و مي بيني كشتيها را شكافنده آب در آن تا طلب كنيد از فضل او و باشد كه شما شكر كنيد
وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا
و افكند در زمين كوههاي استوار را كه مبادا كه بجنبد شما را و نهرها و راهها تا شما راه يابيد و نشانها و بستاره هم راه مي يابند آيا پس آنكه مي آفريند چون كسي است كه نمي آفريند پس آيا
تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون
پند نمي گيريد و اگر بشمريد نعمت خدا را نتوانيد آورد شمار آن را بدرستيكه خدا البته آمرزگار مهربان است و خدا مي داند انچه پنهان مي داريد و انچه آشكارا مي كنيد
والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم
و آنان كه مي خوانند از غير خدا نمي آفريند چيزي را و ايشان آفريده مي شوند مردگانند نه زندگان و نمي دانند كه كي برانگيخته شوند خداي شما
إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما
خداي يكتا پس آنانكه نمي گروند بروز واپسين دلهاي ايشان ناشناسنده است و ايشان سركش اند ناچار بدرستيكه خدا مي داند انچه پنهان مي دارند و انچه
يعلنون إنه لا يحب المستكبرين القراء تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على الغيبة نزل بالفتحات
آشكار مي كنند بدرستيكه او دوست نمي دارد سركشان را الثلث الملائكة بالرفع سهل ويروح ويزيد وابن بدة مثله لكن بضم التاء القوا بتشديد الجيم نزل بالتخفيف
الإنزال الملائكة بالنصب ابن كثير وأبو عمرو وروح والبافون بالتشديد من التنزيل لشق الأنفس بفتح الشين يزيد البافون بكسرها أنبئكم
بالنون يحيى وحماد الآخرون بتاء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفصا في النجوم مسخرات البافون
بنصب الجميع على أن مسخرات حال يسرون وتعلنون بالتاء الخزاز عن هبيرة الآخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل
ويعقوب وعاصم غير الأعشى البافون على الخطاب الوقوف لا تستجابوا له الوقوف مشركون ه فاتقون ه بالخطاب تشركون ه مبين ه خلقها ه لاحتمال
تمام الكلام واحتمال أن يكون لكم متعلقا بما بعده والوقف على لكم ه يأكلون ه للعطف تسرحون ه لذلك لأنفسكم رحيم ه لأن الجعل مفعول خلق وزينة
ما لا تعلمون ه جائر ه أجمعين ه تسيمون ه النمرات ه تتفكرون ه والنهار ه لمن قرأ والشمس ما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر
ومن وقف على الكل وقف على بأمره ه يعقلون ه لأن ما بعده مفعول سخر أو لأنه طريا ه تلبسونها ه لأن قوله وترى فعل مستأنف مع اتصال المعنى
تشكرون ه يهتدون ه لأن قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات يهتدون ه لا يخلقون ه تذكرون ه لا تحصوها ه رحيم ه ما يعلنون ه بما
يعلمون ه لأن التقدير هم أموات غير أحياء ه لاختلاف الجملتين ه ما يشعرون ه لأن ما بعده مفعول يبعثون ه واحد ه لأن ما بعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون

وتابعلمون المستكبرين التفسير هذه السورة تسمى سورة النعم أيضا وحكى الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية وقال الاخرون من اولها الى قوله لكن الذين اتقوا ربهم مدنية وما سوى ذلك مكى عن ابن عباس رضى الله عنه قال اهل النظم ان رسول الله كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وبالقتل الاستيصال اهلهم كما حصل في يوم بدر وتارة بعذاب الآخرة لما شاهدوا شيئا من ذلك قالوا على تكذيبه ركانوا يستعجلون وما وعدوا به استهزاء وروى انه لما نزل اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة قالوا فترقبوا فاسكوا بعض ما نعلون حتى نظر ما هو كائن فلما نزل قالوا اما ترى شيئا فنزلت فيهم اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا فوقها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فلا تستعجلوه وقيل لما نزل اقترب للناس حسابهم قالوا بيننا وبين رسول الله ومن دسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبههم جواز لما يجب ان يوقع بمجرى توقع كما يقول لمن طلب الاغاثة وقرب صوتها جاء الغوث فلا تجزع او المراد ان امر الله بذلك حكمه فلا وقوع والى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى حكم بوقوعه وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يجوز الى الوجود فلا تستعجلون ولا تطلبوا حصوله قبل حصول ذلك الوقت ثم ان المشركين كانوا يقولون هب يا محمد انا سلمنا صحة ما تقول من ارتفاع حكم بانزال العذاب علينا افلقائل ان يقول ان هذه الاصنام لا تنفع ولا تضر فما بالها تشفع فلا جرم بكتهم سبحانه وتعالى بسبب هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه عن الاضداد والانداد وان يكون لاحد من الارواح والاجسام ان يشفع عنده الا باذنه ارضا بحكمه في حكم من احكامه او قضية من قضاياه ثم كانهم قالوا سلمنا ان ارتفاع حكم يقضي على طائفة بالعذاب للطف على الآخرين بالقهر ولكن كيف صرت واهنا على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته ودنا وان حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبههم بقوله تنزل الملائكة الايه والمراد انه لما كان من مختص عبيده بانزال الوحي عليه وبامره بان يكلف سائر العباد بمعرفة الله توحيده لم يبعد ان يظهر بعض الايات مستظهرا على حسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن عباس تنزل بالملائكة هنا جبريل وحده وضمه الوليد بالجمع اذا كان نبيا مطاعا جائزة والذي على هذا التقدير فالمراد بالروح كلام الله تعالى كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي به تبيان المبدأ والوسطا والمعاد فبه يحصل استراق العقل بالعقل بكمال ضيا جوهر الروح وبالروح بكمال حال الجسد فهو الاصل والتابع فوع عليه وبهذه المناسبة سمي جبريل روحا وعيسى روحا وعن ابي عبيدة ان الروح فيهما جبريل والباء بمعنى مع اي تنزل الملائكة مع جبريل بذلك اتى في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه اقوام من الملائكة كما كان يوم بدر وحنين وكان ينزل على رسول الله ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وضربهم فان في الكشاف بالروح من امره اي بما يحيى القلوب الميتة بالجهل من وجيه او بما يقوم به الدين من فقاء الروح في الجسد وقال غيره من امره معناه ان ذلك التنزيل والتنزل لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل الا بامر ربك قال الزجاج ان تنذروا معناه من الروح اي ينزلهم بان تنذروا وان ما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول والمخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف اي بان الشان لا اله الا انا فاتقون وما الى استكمال القوة النظرية بقوله فاتقون وما الى استكمال القوة العلمية وضمه يعلم ان لا تقنطوا من هاتين الجملتين حصل لها روح حقيقي وجوهر يدبر وسعادة سرمدة تبر قال الامام فخر الدين الرازي ما لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوم من الكذب فلعل التلبيس لا بالدلائل التمييزية وصحة الدلائل التمييزية موقوفة على صدق محمد وصدقه موقوف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبريل صادق بريء من التلبيس فحال الشياطين وحي بلزوم التدرج وهذا مقام صعب اقول قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجز والسحر هو ان صاحب المعجز يدعو الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس به واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه المعجز بالسحر وجبريل بابليس ومن ابن يلزم التدرج وروح الاجسام هو ان يعرف الحق لذاته لا لاجل ان يعرف له ما بعده كالامل المؤيد بسند يمتد من الاشرف وهو السموات بانها الى الادون وهو الارضيات فقال خلق السموات والارض بالحق وقد مر تفسيره مثله مرارا وقوله تعالى تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عمن يشاركه في الالهية والقدم والتدبير والتاثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا الكلام عين الفائدة المطلوبة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا التكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب الكلام المذكور بقوله خلق الانسان من نطفة قال الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحر بصير جزء من العضو المغتذي شبيها به عند استيلاء الحرارة على البدن وقت الهجوع التهوع يحصل وبان جملة الاعضاء ويجمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلفا الاجزاء والطبايع وان كانت مختلفة في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيف ما كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة وربما الظن كان الطبيعة تارة بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة مشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الترتيب عول الحكماء في قولهم البسيط يجب ان يكون افلاكا الطبيعة هي الكرة واذا عملت في مادة مخالفة الاجزاء وكل مركب فانه يحل الى بسائطه فانه يلزم ان يكون المجموع على شكل كرات مضمومة بعضها الى بعض وكلا الامرين غير ظاهرين فعلمنا ان خلق هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير اعلم مختار وهو الله سبحانه وهو كيف لا والنطفة رطوبة سريعة الاستحالة

فالاجزاء الموجودة فيها لا يحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب يحصل في الفوق فلا يكون حدوث اعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص ابدا ولا اكثريا حيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة خرقاء وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير اما قوله فاذا هو خصيم مبين فقد ذكرنا وجه جهله في الاول فاذا هو منطبق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان نطفة لا حس به ولا حراك به وتقرير ذلك ان التفوس الانسانية في اول الفطرة قابل لهما وذكاء من نفوس الحيوانات الا ترى ان ولد الانسان اذا جاعه كما يخرج البيضة يعرف الصدفة من العدفة ويهرب من احدهما ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذي لا يوافقه وبين الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك الحالة الخسيسة الى ان يقوى على معرفة الاجسام والفلكيات والعنصريات وعلى ابراد الشكوك والشبهات على البراهين والمقدمات انما يكون بتنبيه ربه الذي اختار تدبيره بفضله الاكرم من النفوس الى الكمال من الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا هو خصيم مبين منكر على خائفه قائل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول يجوز ان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وان يكون بمعنى مخصم وعلى الوجه الثاني تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الآيات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع الحكيم وقدرته لا لاجل وصف الانسان بالتمادي في الغي والكفران وقد يرجح الثاني بما روي ان ابي بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى رسول الله ص فقال يا محمد انزعم الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم ارد ف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غضون ذلك امر الاعراض التي تحسن به التزين والجمال فقال والانعام خلقها هي الازواج الثمانية المذكورة في سورة الانعام وهي الضان والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ على الابل قلت ويمكن ان يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل اثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي فاخلقها الا لكم ولصالحكم بجنس الانسان قال صاحب النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها بدليل انه عطف عليه قوله لكم فيها دفء والدفء اسم ما يدفأ به كالملاء اسم ما يلاء به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف وبر او شعر قال الجوهري الدفاء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها والدفاء ايضا التحنن وقوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة اعم من ذلك فقد ينتفع بها بالبيع والشراء بالنقود والاثواب وبالحجاج اما قوله ومنها تاكلون بتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل الذي يقع الناس فيه ما كلهم عادة واما الاكل من غيرها كالدجاج وصيد البر والبحر فيكون بالعرض بجري التفكه ويحتمل ان يراد ان غالب طعامكم انما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكتسبون باكرها الابل وتتزينون بلبانها والبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله ولكم فيها جمال حين تريحون الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تاوي اليه ليلا وتسرح الغنم اليهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها اظهر حين تقفل ملاء البطون حافلة الضروع ثم تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله بشق لم تكونوا بالغيه الشق نصف من قرأ بفتح الشين فمعناه المشقة يكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجع الى الشق الذي هو الصدع ومن قرأ بالكسر فمعناه النصف كانه يذهب نصف قوته لما بها لمن الجهد فان جاز الله بمعنى المضي في قوله لم تكونوا راجع الى الفرض والتقدير اي لو لم يخلق الابل لم يكونوا الا كذلك واتما ربط لم تكونوا حاملية الى ذلك البلد بما بعده في قوله وتحمل اثقالكم لاجل المبالغة كانه قيل قد حملتم اكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة وذهاب قوة فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون العامل في الا بانفس محذوفا اي لم تكونوا بالغيه الا بالشق والمراد بالانفس الاجساد عن ابن عباس رض لم تكونوا بالغيه بلدكم الا بجهد انفسكم قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها اكثر متاجر اهل مكة ان ربكم لرؤف رحيم والا لم يخلق هذه الحوامل لاجل هذه المصالح حج منكر والكرامات بالاهوية على امتناع طي الارض كما نقل عن بعض الاولياء والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هو لاء للركوب والزينة فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها واتما لم يقل وللتزين بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وفيه ان التحقيق فيه ان الركوب احد الامور المعتبرة في المقصود بخلاف التزين بالشيء فانه قلما يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لا نه يورث العجب والبخل فكانه قال خلقها لتركبوها فقد تنفعوا عن انفسكم بواسطتها ضرر الاعداء والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتج المعتزلة القائلون بان افعال الله معللة بالمصالح بان قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصالح والجواب ان استتباع الغائدة والفايدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج الحنيفة بالاية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها ان افراد هذه الانواع الثلثة بالذكر يجب ان يشترك الكل في الحكم لكن البغال والحمير محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل اعظم منه من الركوب والتزين فلو كان اكل لحم الخيل جايزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها ان قوله فيما قبل ومنها تاكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز اكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله

الجزء الرابع عشر

لتركيبها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلثة هو الركوب والزينة فلو كان حل اكلها مقصودا لزم ان يكون هو اكثر تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل محل النزاع وتحريم لحمها نص الكتاب ممنوع لما روي عن جماعة من الصحابة انه صح عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للابد لا على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك لعام لان الابهز مكية عند الاكثرين ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن لحم الخيل محرما لم يكن لتحريم البغال المتولدة منها وجه وايضا كون معظم المنتفع به في الاكل بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة بها اعظم المنافع فيها ولهذا جعلا تمام المقصود منها فكانا هما اعظم الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر في قوله ومنها تأكلون ممنوع بل لعل الظرف قدم لرعاية الفاصلة ثم ان انواع الغرائب العجائب الخلوقة في هذا العالم لا تحصى ولا تحصر فلهذا اشار الى ما يقع منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون الكشف وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها روى عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش لملكا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل نفضة يقع من رأسه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور والكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغ فهم احد علما وهم وانما ذكر بعض الانامل التوجد بين انملتيه ذكرها اذا حثه للعذر ازاله للتهمة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل الجنس والقصد مصدر بمعنى الفاعل بقي سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كما تقول طريق جائر بوزن السائل لا بعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتج المعتزلة بالآية على مسئلتين من اصولهم احديهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف اي وصوب الله بيان قصد السبيل فالمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه والا لفعل وعلى قصد السبيل وعليه جائرها اور وعليه الجبر فلما غير اسلوب الكلام فقال ومنها جائر دل على انه اراد ان بين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم افادة كلمة على الوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست دلالة المطابقة بقي ان لزوم الضلال من السبيل سبل مخوفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فاما ان فاعل تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا على ان قوله ولو شاء لهداكم اجمعين ينافض ما ذكرتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر بالهداية الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل او بشراب خبر له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد ان الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو المحسوس في الابار والعيون منه كقوله فاسكناه في الارض وبعضه يحصل منه شجر وعاء المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم ببعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب الكلأ وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر الابهز الكلأ لقوله في حديث عكرمة لا تأكلوا من الشجر فانه سحت اراد الكلأ وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر ما له ساق والجواب يجوز ان يكون الشجر ما له ساق واجيب بان عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت اسامها صاحبها وهو من السومة العلامة لانها تؤثر ما ترعى علامات في الارض يقتضي ان يكون الشجر هو العشب لان الرعي ورد بالابل قد يقصد على رعي الاشجار الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي هو فاكهة من وجه ودواء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب اللذين هما اشرف الفواكه ثم اشار الى ساير الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما جعل الحيوانات التي ذكرها بقوله ويخلق ما لا تعلمون قال في الكشاف انما ابهمه من التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة واعلم انه قدم الغذاء الحيواني على الغذاء النباتي لان التغذي فيه اعظم لانه تارة يشبه بدن الانسان وتارة يذكر الغذاء الحيواني وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق وهو ان يكون اهتمام الانسان بحال من يخدمه اكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب في قوله كلوا وازرعوا انعامكم بناء على ما هو الواقع في نفس الامر كقوله صنائعه ابدا بنفسك ثم بمن تعول فقوله وسخر لكم الليل والنهار معناه تسخير هما للناس تسخيرها انفعين لهم بحسب مصالحهم على سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف وفي سورة ابرهيم وهذا حسم لمادة شبهة من زعم ان حركات الفلكيات الافلاك هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هي المسندة عنها الحوادث السفليات فانه ان سلم لهم فلك فلا بد للفلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرء عن الحدوث والتقضي وهو الله سبحانه وتعالى ذلكم الآيات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الآيات لتطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة في موضع آخر مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات والقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم اثر في نفسه فالتباين بين الليل والنهار وتخالف مسيرات

الكواكب

النحل

الكواكب كما هو مقرر في علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فان مطلق الانبات انما هو واحد وكذا قوله وما ذرأ لكم في الارض اي خلق لكم فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلفا الوانه فان ذرء هذه الاشياء على حالة اختلاف الالوان والاشكال مع تساويها في الطبيعة الجسمية وفي تاثير الفلكيات فيها امر واحد وهو على وجود الصانع تعالى واستدل به متى لا امكان هذه الاعتبارات والا فقد كل شيء له اثر يدل على اثر واحد وانما خص المقام الاول بالتفكر لامكان ارادة التنبيه المذكور وخص المقام الثاني بالعقل لان كره بعد ما لحظ الشبهة واراحة العلة فمن لم يعترف بعدها بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة لان شك بعد ذلك فلا حيلة له ومن جملة الايات التي في البحر تسخير الانسان فيه للركوب عليه والانتفاع به اكلا ولبسا والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الاعرابي لحم طري غير مهموز ومصدر طراوة بقي شيء طري اي غض من الطراوة وقال قطرب طرأ اللحم وطرئ طراوة والمراد في الآية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لان الفساد اسرع اليه فيسارع الى اكله قبل فساده قال المتكلمون انه لما خرج من البحر المالح الزعاق الجوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه لم يحدث بحسب الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث اظهر الضد من الضد قال اكثر الفقهاء ومنهم ابو حنيفة والشافعي من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث لان اللحم لا يتناوله عرفا وصبي الايمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار عليه وردّ عليهم الامام فخر الدين الرازي بانه اذا قال لغلامه اشتر لحما فجاء بالحم العصفور كان حقيقا بالانكار مع انكم تقولون انه يحنث باكل لحم العصفور فثبت ان العرف مضطرب والرجوع الى نص القرآن متعين فليس فيه بيان والقائل ان يقول لعل الانكار في هذه الصورة لعلمه بانه لم يرد بقوله اشتر لحما من قبل ندرة شراء العصفور او شراء لحمه فانما يشتري كله ولم يجئ من اطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا واراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولا يرد تزيين الاجلام ولقائل ان يقول لا مانع من تزيين الرجال بالآلي ونحوها شرعا فلا حاجة الى هذا التكلف استدل الامام فخر الدين بالآية على ابطال قول الشافعية انه لا زكوة في الحلي قال لان اللام فيها وهي عند انه قال لا زكوة في الحلي ينصرف الى المعهود السابق ولا معهود الا ما في الآية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكوة في الحلي وهذا باطل بالاتفاق ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اللام للجنس فيشمل المصوغ من الذهب والفضة ايضا فيكون الحديث مخصصا بالآية ان ثبت صحته وترى عجائب البحر ومنافعه فوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال اهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن ابن عباس انه صوت هبوب الريح بالرياح وقال ابن عباس مواخر اي جواري وانما حسن هذا التفسير لانها لا تشق الماء الا اذا كانت جارية وقوله لتبتغوا من فضله اي لتجروا فيه فتطلبوا الربح من فضل الله واذا وجدتم فضله واحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم ان قوله مواخر فيه جاء على القياس لان موضع الظرف المتعلق بمواخر بعد مضي مفعول ترى واما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقا لقوله ومن كل تاكلون بحذف لفظة منه هناك والواو وهي لتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتاكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في السورتين بمجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقيل وبعد رجع الى لوحظ فيها المخاطب اولا بعد الصفة ويمكن ان يقال انما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر ولم يكتف بمتعلق المتعلقين واتما بهنا الكلام على ان قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا وبعد ذاك والله اعلم قوله ان تميد بكم اي كراهة ان تميل الارض بكم والميد التمايل يمينا وشمالا او للمضايقة والميد الحركة والاضطراب يمينا وشمالا يروى انه تعالى خلق الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد رسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين ان السفينة اذا القيت على وجه الماء فانها تميل من جانب الى جانب وتضطرب فاذا وضعت الاجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا الارض لما استقرت على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بان السفينة انما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب ومسامها اما الارض فجسم كثيف ثقيل من شانها الرسوب في الماء على ما هو مشاهد من حال اجزائها المنفصلة عنها فان كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها حتى توجب الجبال ارسانها وثباتها وان لم تكن طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافيا بذاته وقد رساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ انما يتصور على جسم واقف ليس كذلك الماء المتنقل الكلام في وقوف الماء في حيز المعين فان كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف لتقديرنا القول بالطبائع الموجبة لهذه الاحوال والا لم يكن بالطبع بل كان والعالم بخلق الفاعل المختار وتسكينه في حيزه المخصوص فلم لا نقول مثله في تسكين الارض هذا الحيز المخصوص قاله الامام فخر الدين الرازي وتسبب الفاء الى الصعوبة الاشكال وسخر لحمله وجسامته على قولين الحكمة وهو ان الارض جسم كري والكرة اذا كانت صخمة الاستدارة فانها تتحرك باذن سبب فلما احدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الاوتاد منعها عن السلاسة والحركة فلذلك هذا الحمل خلقا لا لان الارض بالكونه مبتنيا على غير قواعد اهل التسخير واما ثانيا فلما ثبت في الحكمة ان نسبة اعظم جبل في الارض وهو ارتفاعه فوق سطحها الى جميع الارض كنسبة خمس عشر عرض شعيرة الى كرة قطرها ذراع ولا ريب ان ذلك القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة الحركة فكذا ينبغي ان يكون حال الجبال بالنسبة الى كرة الارض والجواب الصحيح على قاعدة اهل الشرع ان يقال لانا لم ان الارض بكليتها لها الطبيعة الموجبة لحالة من الاحوال وعلى التسليم فلانا لم ان لها طبيعة الرسو بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت الى الرواسي وانا قوله تعالى وانهارا وقوله الم تر ان الله انزل من

حيزه ولم يوقف الارض من غير السماء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فلو سبط الاسباب مدخل في الامور العادية وان لم تفعل باثرها هذا وان حركة الارض عند الزلازل لا تنافي حكم بعدم اضطرابها لان اثبات الحركة لجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كله وشبهوا الزلزلة وهو حركة قطعة من الارض لاختلاف البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان لو اسبحانه وانفاذا معطوف على رواسي اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله وَاَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّيْ وكذا قوله وَسُبُلًا اي اظهرها وبينها لاجل ان يهتدوا بها في اسفارهم ولما ذكر انه اظهر في الارض سبلا معتادة ذكر انه اظهر فيها تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السائر من جبل وسهل وغير ذلك بحكم ان جماعة يتهتدون الى الطرق بمعرفة هذه العلامات فان الانفس تم الكلام عند قوله وَعَلَامَاتٍ وقوله وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُوْنَ كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما يقال كثر الدراهم اي اكثر الدراهم في البلد ان اريد الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال بعض المفسرين اراد بقوله هُمْ يَهْتَدُوْنَ اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومناسبته وقيل اراد اعم من ذلك فان اهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعود الى السائرين لان الدال عليهم ذكر السبل وقال في الكشاف كانه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم في اسفارهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا بتقديم النجم والخطاب لفظا هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هم يهتدون ثم ساعد الايات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال الاذهان بوجه اهل الشرك والعناد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا الا انه اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من لتنزيلها لاولي العقل بناء على زعمهم انها اهلة اوقعت المشاكلة بينه وبين من يخلق او اراد من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولو العلم منهم واعلم ان اهل البيان يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه الشبه من المشبه ليلتحق الاضعف بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجه كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس ووجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كانهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واعرف من الخالق قال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوها بها حيث جعلوا غيره في التسمية والعبادة فانكر عليهم ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حتى قال آفلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه لجلائه كالحاصل الذي يحصل عند العقل اذا تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة الايتان دالتان على ان العبد غير خالق لافعال نفسه لان الايتين سيقتا لبيان امتيازه بصفة الخالقية جوابا لمعتزلي زعم ان المراد ان من يخلق هو المتقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم او جزء منها لا يتناول افعال العباد لان كل من كان خالقا لهذه الاشياء يجب ان يكون عالما بها ناظرا فيها وافعال العباد لا يعلمها الا الله تعالى فوجب ان لا يكون خالقا لها فنظر قوله اَلَهُمْ اَرْجُلٌ يَمْشُوْنَ بِهَا اراد به ان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبي لفظ يخلق لا يطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله وَاِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّيْنِ فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحابنا لما شاهدوا يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان اباعبدالله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله مجاز كان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الايات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وَاِنْ تَعُدُّوْا نِعْمَةَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوْهَا وقد مر تفسيره في سورة ابراهيم قال العلماء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لنغص العمر على الانسان وتمكن بتفكر الذهني لو كان ملكا حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده ولكن هذا المثال حاضر في ذهنك وخس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر اداء نعمة فضلا عن جميعها وبهذا ختم الايات بقوله اِنَّ اللّٰهَ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ بغفر التقصير الصادر عنكم في اداء شكر النعم ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتقريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كما لو منع اشتغالهم بعبادة غير الله بسبب من الكفر والمكابرة حق الوصول الى فاوعدهم بقوله وَاللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ وفيه تهديد وتوبيخ بسبب ان اله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي عبدوها جمادات لا شعور بها اصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال وَالَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ اي الاصنام الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله لكن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلق الله تعالى بالحق والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدهم فيفيد هذا الايجاز زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء يستلزم دوامهم سواء كان من الاموات ما يعقب حياة كالنطفة والحبة او لا يعقب كالانسان الذي مات او الجماد فان الروح واما الجماد فاموات لا تقبل الحياة اصلا وفيه ان الاولى بالحي ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار غاية الغباوة وقد تقرر في اللغة ان الواحد مع النفي الجاهل يعم فلهذا اختلفت فيهم اعلى بلادة هم ام لا يشعرون الضمير للاصنام اما بان يبعثوا فاما للاصنام فلما روي عن ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار وامالله اعني اي لا يشعر الاصنام بوقت بعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان الظاهر لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف واما الاحياء فمتى بعث الاحياء الخ كما مر الا ان شعور الجماد محال فكيف تشعر وما لا يعلم حيا الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار

الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم ومعناهم اموات اى لا بد من الموت عن قريب ثم بالبعث يوقف بعثهم ولا يعلم طريقة عبادة الاصنام صرح بما هو الحق فى نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال والذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية اولكل ما يخالف هواهم وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يتوقع الثواب والترهيب فينقاد للحق اما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما يوافق رايه وهواه طبعه فيبقى فى ظلمة الانكار لا جرم اصحقان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الاستكبار واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد فيختص بالمشركين او كل مستكبر فيدخل هو فى نحوه اولا لان الكلام فيهم الثانى يدل الناس طبقات ثلث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب لانهم كانوا مشتغلين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب النفوس والغافلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم فى الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل الارباب لاشتهائهم الى جمال ذى الجلال فحين ذكر فى الازل انى اريد ان استجعل روح كل طبقة منهم المخروج من العدم الى الوجود ليميل المقصود المفقود نحو جانبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له فى القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن ان يشاركه فى الحكم احد فلا مبدل لكلماته بالروح من امره اى بما يحيى القلوب من المواهب الربانية من اراده الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس باداب الطريقة وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة المكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات المشاهدات وعلى الخفيات بتجلى الصفات افنا الذرات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا اعلموا اوصاف وجودكم بالفناء انه لا اله الا انا فاتقون عن انانيتكم بانانيتى خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهرا لافاعيله فهو الفاعل المطلق على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون الارواح والاشباح فى احاله افاعيله الى غيره خلق الانسان من نطفة لا عمل له فاذا هو خصيم مبين يدعى الشركة معنى فى الوجود والافاعيل والانعام الى الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة فى جبلتكم ومنافع ومنها تاكلون باستفادة علم ما يحل لكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون القرائد ازمنة الاستراحات وتحمل اثقالكم ارواحكم وهى اعنيها الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم اذا افنيتم انفسكم فى حبه يبقيكم ببقاء عظمته والخيل والبغال والحمير اى صفاتها لتركبوها ايها المحبون عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند وجود الجذبة الى مستقر الذات اهبط منه وتخلق لكم ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل يجذبك الى حضرته ومنها جائر يعنى نفوسكم تحيد عن الفناء وبين الوجود هو الذى انزل من السماء سماء الكرم ماء الفيض منه شراب الجذبة لقلوبكم ومنه شجر الوصل البشرية ترد وابها فيه ترعون مواشى نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات وزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات الربانية ومن كل الثمرات المعقولات والمشاهدات والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة وقانون الطريقة وما ذرا لكم فى ارض جبلتكم من الاستعدادات بتلون فى كل عالم بلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر العلوم لتاكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه حواهر المعانى فتلبسوا بها اراحكم النور والبهاء وترى الفلك السوابح فيه مواخر جوارى فى بحر العلوم لتبتغوا الاسرار الخفية عن الملائكة والقى فى ارض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون فيخرجون من ظلمات الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيقى افمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهى فيمان نعمة الاعطاف وهى ما يتعلق بوجود النعمة ظاهره وباطنه ونعمة الالطاف وهى ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات والله يعلم ما تسرون من اداء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الطوى والله تعالى لا يخلقون شيئا من المنافع وهم يخلقون بتجلى الله تعالى الطالب فى تحصيلها وهذا فان اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون اى دعاوى البشرية والذين لا يؤمنون بالآخرة بما فى عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يحبون ان عالم الحق يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار انه لا يحب المستكبرين

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ

وچون گفته شود مر ايشانرا چه فرو فرستاد پروردگار شما گويند افسانهاى نخستينان ﴿٢٤﴾ تا بردارند بار گناهان خويش تمام روز قيامت و از بارهاى

الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ

كسانى كه گمراه ميكنند ايشانرا بدون علمى آگاه باشيد بد است آنچه برميدارند ﴿٢٥﴾ مجتمل كه مكر كردند كسانى كه پيش از ايشان بودند پس آمد فرمان خداى بناهاى ايشانرا از بيخ

فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ

پس فرو آمد بر ايشان سقف از بالاى ايشان و آمد ايشانرا عذاب از آنجا كه نميدانستند ﴿٢٦﴾ پس روز قيامت خوار ميكند ايشانرا و ميگويد كجا

شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ

انبازان من آنان كه با ايشان دشمنى ميكرديد در باره ايشان گفته شود آنان را كه داده شدند دانش كه بدرستى كه رسوائى امروز و بدبختى بر كافران است ﴿٢٧﴾ آنان كه

تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا

أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ۝ وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم
دروازهاى دوزخ جاودانيان در آن پس هر آينه بد است جاى تكبر كنندگان ۝ وگفته شد مران را كه پرهيزگار شدند چه چيز فرو فرستاد پروردگار شما
قالوا خيرا للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ۝ جنات
گفتند چيز يعنى فرو فرستاد بگويد گفتند در اين دنيا نيكوئى كردند در اين دنيا آنرا خوب پرداشت و هر آينه خوب است سراى پرهيزگاران ۝ بهشتهاى
عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزي الله المتقين ۝ الذين
دائمى در آيند آنرا مى رود از زير آنها آنچه خواهند آنجا مر ايشانرا خواهند آنچنين جزا دهد خدا پرهيزگاران را ۝ آنانكه
تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۝ هل ينظرون إلا أن تأتيهم
مى ستانند ايشانرا فرشتگان پاكيزگان مى گويند سلام بر شما در آئيد بهشت بسبب آنچه بوديد مى كرديد ۝ آيا انتظار مى برند مگر آنكه آيد بايشان
الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
فرشتگان يا بيايد فرمان پروردگار تو همچنين كردند آنانكه از پيش ايشان بودند و ستم نكرد بر ايشان خدا ولكن بودند كه بخود ستم مى كردند
فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ۝ وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما ع
پس رسيد بايشان بدهاى آنچه كردند و فرو گرفت ايشانرا آنچه بدان استهزا مى كردند ۝ وگفتند آنانكه شرك آوردند اگر مى خواست خدا نه
عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل
مى پرستيديم ما از هيچ چيز و نه پدران ما و حرام نمى كرديم بغير حكم او هيچ چيز را آنچنين كردند ۝ آنانكه پيش از ايشان بودند پس
على الرسل إلا البلاغ المبين ۝ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت
بر رسولان مگر رسانيدن آشكار ۝ و هر آينه برانگيختيم در هر امتى رسولى را كه بپرستيد خدا را و دور شويد از طاغوت
فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
پس از ايشان كسى بود كه راه نمود خدا او را و از ايشان كسى بود كه ثابت شد بر او گمراهى پس سير كنيد در زمين
إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ۝ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا
پس بنگريد چگونه بود انجام كار تكذيب كنندگان ۝ اگر حرص در راه راست آوردن ايشان پس هر آينه خدا راه نمى نمايد كسى را كه گمراه مى كند و نيست مر ايشان را هيچ ياورى كنندگان ۝ و سوگند خوردند بخدا سخت سوگندهاى خويش
يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ۝ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم
برانگيزد خدا كسى را كه مى ميرد آرى وعده اى است بر او حق و ليكن بيشتر مردمان نمى دانند ۝ تا بيان كند از براى ايشان آنچه اختلاف مى كنند در آن و تا بداند
الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين ۝ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ۝ والذين هاجروا
آنانكه كافر شدند كه ايشان بودند دروغگويان ۝ جز اين نيست گفتار ما مر چيزى را چون بخواهيم ايجاد او را كه بگوئيم مر او را باش پس هست شود ۝ و آنانكه هجرت كردند
في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ۝ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
در راه خدا از بعد آنكه ستمكرده شدند هر آينه جاى دهيم ايشانرا در دنيا جاى خوب و هر آينه مزد آخرت بزرگتر است اگر بودند كه مى دانستند ۝ آنانكه صبر كردند و بر پروردگار خود توكل مى كنند

القراءة شركاي مثل هذا رسمه عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرأ الخزاز عن هبيرة شركاء الذين مهموزا الباء الباقون بفتح الباء وكذلك في الكهف الفصل تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تنوبهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف ليصدّ بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع الوقوف تكم لان ما بعده جواب اذا الاولين لنعلق اللام يوم القيمة لان قوله ومن اوزارهم مفعول ليحملوا بغير علم مابزرونه لا يشعرون ۝ بناء على ان ما بعده صفة انفسهم لطول الكلام من سوء بعملون ۝ خالدين فيها المتكبرين ۝ منصف الجزء انزل ربكم خبر اما حسنة خبر ما المتقين ۝ لان ما بعده بدل يشاؤن المتقين ۝ طيبين لان ما بعده حال اخر سلام عليكم لان قوله ادخلوا مفعول يقولون يعلمون ۝ امر ربك من قبلهم يظلمون يستهزؤن ۝ من شيء الثاني من قبلهم للاستفهام مع الفاء المبين ۝ الطاغوت ۝ لا منقطع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ۝ المكذبين ۝ ناصرين ۝ ايمانهم لان ما بعده جواب القسم يموت ۝ لا يعلمون ۝ لنعلق لام كي كاذبين ۝ فيكون ۝ حسنة ۝ اكبر ۝ لان جواب لو محذوف اى لو كانوا يعلمون ۝ لما اختاروا الدنيا على الاخرة ولو وصل لصار قوله ولاجر الاخرة معلقا بشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ۝ بناء على ان الذين صبروا بدل من الذين هاجروا او منقطع

التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد اردفها بذكر شبهات منكري النبوة مع اجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اى شيء انزل ربكم او ما مبتدأ وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدأ وعلى التقديرين فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار لانه لا يكون الحق انزل ربنا اساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو ابتداء كلام منهم ثم قيل هذا يدعون انزاله متزلا بل هو اساطير الاولين وقال في الكشاف معناه المنزل اساطير الاولين وذكر في دفع التناقض على

النحل

التسخير بقوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وجوز كونه منصوبا او مرفوعا بمضمر ابرد واخلى وانه للسائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ اذا سألهم وفود الحاج عما نزل على رسول الله ﷺ فانوا احاديث الاولين واباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم انه تعالى اقتص في جواب شبههم على محض الوعيد لانه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره ومرارا ان القرآن معجز بنظمه وبالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فجز واعن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد واللام في قوله ليحملوا ليس لام الغرض لانهم ما وصفوا القرآن بكونه اسباطيل لغرض حمل الاوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه انه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا وفيه دليل على انه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لان هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا الكمال فائدة قال الواحدي لفظة من في قوله ومن اوزار الذين ليست للتبعيض فانه لا يخفف عن الاتباع بعض اوزارهم لقوله ﷺ ايما داع دعى الى الضلال فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من اثامهم شيء ولكنها للابتداء اي ليحملوا ما فدتشاء من اوزار الاتباع او للبيان اي ليحملوا ما هو جنس اوزارهم ومعنى بغير علم ان هؤلاء انما يقدمون على هذا الاضلال جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد على ذلك الاضلال وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث ويتنظر بعقله حتى يميز بين الحق والمبطل ثم اوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال الا ساء ما يزرون ووزرهم ثم حكى حال اضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب اكثر المفسرين الى ان المراد به نمرود بن كنعان بن صحار عظيما ببابل طوله خمسة الاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود الى السماء ليقاتل اهلها فاهلك الله البق فخر عليه وعلى قومه فهلكوا والقت راس الصرح في البحر فاحدث نمرود وبلبلت يومئذ السن الناس من الفزع فتكلموا بثلثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله بعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والاصح ان الاية عامة في جميع المبطلين الذين يحاولون الحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الاول معنى قوله فاتى الله اي امره وحكمه بنيانهم من القواعد وهي اساطين البناء التي يعمد او الاساس انه اسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على ان الابنية هدمت وهم ما توا تحتها وعلى انها كانت عالية جدا بحيث يكون الكلام محض التمثيل او المراد انهم سوروا منصوبا وجعلا ليمكروا بها رسل الله هذا كله في ذلك الجعل كجعال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لاخيه فقد وقع فيه وبعبارة اخرى من حفر لاخيه حيتا وقع فيه منكبا ثم بين ان عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيمة بادخالهم النار انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول مع ذلك لاجل الاهانة والتوبيخ اين شركائي الاضافة لادنى الملابسة او هي حكاية لاضافتهم استهزاء وتوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين مشاقة الله ثم ذكر على سبيل الاستيناف قال الذين اوتوا العلم عن ابن عباس هم الملائكة وقال الاخرون هم الانبياء والعلماء من امم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون اليهم فيقولون ذلك يوم القيمة شماتة بهم قال الزجاج قولهم ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على ان ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم اما قوله فالقوا السلم فعن ابن عباس المراد انهم اسلموا وقروا بالعبودية عند الموت وقيل انهم يوم القيمة وقولهم ما كنا نعمل من سوء اراد وا الشرك فالوه على وجه الكذب والجحود ومنه يجوز الكذب على اهل القيمة قال الواحدي اذا شهدت عليهم جوارحهم فرجعوا عن انكارهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فعند ذلك يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون فحينئذ يعلمون ان الله لا يقبل منهم عذرا ولا ينفعهم كذبا وقوله بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وانتم اليوم على الكفر الذي علمناه منكم قال في الكشاف وهذا ايضا من الشماتة وكذلك فادخلوا ابواب جهنم وفي ذكر الابواب اشارة الى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما امت به الانبياء والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتاكيد يجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لهما في كل القرآن ثم اتبع اوصاف الاشقياء احوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الاية واتما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكتفيا بنفسه غير ملتفت الى ان نزل خيرا او قالوا اخبارا لاشتراكهما لان الكفار قالوا قولا اخبارا ولو رضوا لاوهم انه كلام مستانف كما في جواب الكفار وليس بمنزل روي ان احياء العرب كانوا يعتمون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فاذا جاءه الوافد كفر المقتسمون وامروه بالانصراف كما مر ذكره فكان الوافد يقول كيف ارجع الى قومي دون ان استطلع امر محمد ﷺ واراه فيلقى اصحاب رسول الله ﷺ ويخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وجوز في الكشاف ان يكون للذين احسنوا وما بعده بدلا من خيرا كانه فسر الخير بهذا القول وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدا على سبيل الوعد فيكون قولهم الخير من جملة احسانهم اما قوله في هذه الدنيا فاما ان يتعلق بالفعل فالمعنى الذين جاؤا بالاحسان في هذه الدنيا لهم في الاخرة حسنة هي الثواب العظيم والمضاعف اسبعمائة او اكثر واما ان يتعلق بما بعده والتقدير الذين احسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح والثناء او بالظفر على اعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد له او بفتح ابواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل لهم في الدنيا مكافاة ما حسانهم وللدار الاخرة خير منها ثم بين الخير بقوله ولنعم دار المتقين دار الاخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن

اى هى فيكون للبدل محذوفا والجنات بدله وما بعدها خبرا وجنات عدن هى المخصوص بالمدح فالجنات يدل على القصور والبساتين والعدن على الدوام والاقامة وقوله تجرى من تحتها الانهار على انه حصل هناك انهار على انه حصل هناك انهار تجرى من تحتهم وقوله لهم فيها ما يشاؤن ابلغ من قولنا فى موضع اخر فيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وفى تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا فى الجنة وقوله الذين تتوفاهم الملائكة المفسرين على ان هذا التوفى هو قبض الارواح وقوله طيبين طاهرين عن دنس الكفر والمعاصى او دنس الكفر وحده وهذه كلمة جامعة تشمل انواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت وما بعده قولهم سلام عليكم يروى انه اذا اشرف العبد المؤمن جاء ملك يقول السلام عليك يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة فعند ذلك يقولون ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفى هو وفاة الحشر لانه لا توفى عند قبض الروح فى الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون الا تأويله جواب شبهة اخرى لمنكرى النبوة فانهم طلبوا من النبى ان ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه فى ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون فى تصديق نبوتك لولا ان تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال انهم لما طعنوا فى القرآن بانه اساطير الاولين اوعدهم الله بما وعدهم من وصف القرآن بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المنفقين ثم ذكر ان اولئك الكفار لا يخرجون عن كفرهم بسبب الآيات التى ذكرناها أو اتيانهم الملائكة بالقبض الارواح او اتيانهم امر ربك وهو العذاب المستأصل والفتح كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المجمل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا اى جزاء سيئات اعمالهم او هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اى نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكرى النبوة انهم تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا لو شاء الله ما عبدنا الا بمشيته وقد تقدم تفسير مثلها فى اخر سورة الانعام وذكرنا اسرار الجواب هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة وعنها وزاد بعض الاشاعرة وقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال اخرون انه سبحانه اجاب عن شبههم وهى انه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعنى انهم اعترضوا على احكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من الكفرة فهل على الرسل الا البلاغ المبين اى ما عليهم الا التبليغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا فى كل امة رسولا الى قوله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبهذا دلالة على ان امر الهداية والضلالة موافق لارادته فانه الكل بامر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا لبعض اقوام وارادها للكل لم يكفر احد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب فقال لرسوله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل لا بمرشد احد اضله قاله ابن عباس وقال الفراء لا يهدى معناه لا يهتدى ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا يقدر احد على هداية من اضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى ان اول الآية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة اما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى الآيات فانهم قد صاروا فيها الى التأويل فقالوا معناه ان متقدميهم اشركوا وحرموا بحار البحيرة والسائبة فلما بعث الله فيهم رسولا يأمرهم بالحق الذى هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذى هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه من اهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الحكم لانه علم انه لا يرتدع ومصمما على الكفر والمراد منهم من حكم الله عليه بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال لظهور ضلاله ومنهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا فى الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انه لا قدر للشر ولا اشاء ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه ان منهم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل لانه تعالى متعال عن العبث فهذا تقرير هذين الفريقين لاشتمالهما على مسئلة الجبر والقدر على المجبرة بين علينا الاختيار بعقلك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم فى الحشر والنشر لزم ابطال النبوة وقالوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم اى اغلظ الايمان كما سبق فى المائدة كانهم ادعوا على ضرورة بيان الشئ انا فنى وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا اخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فاجاب الله عن شبههم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان بعثهم وعد من الله تعالى اى وعد البعث وعدا عليه حقا لا خلاف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون وان وعد الله حق ثم ذكر لبعثه حكمة البعث فقال ليبين لهم اى يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين لهم الحق الذى اختلفوا فيه بيانا عيانا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصى والمحق بالمبطل والظالم بالصادق بالكاذب وجوز بعضهم ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب فى ادعاء الشريك له ونفى قوله ما هم مجردا هو هم هذا حال الله وهذا الجواب ثم برهن على امكان البعث بقوله انما قولنا وهو مبتدأ خبره ان نقول وقد فسرنا مثل هذه الآية فى سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عن لفظة كن ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا يتوقف تاثيره الا على مجرد الارادة والمشية فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو اهون من الابداء قال فى الكشاف وهيئ فيكون بالنصب عطفا على نقول فان قلت لا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه جوابا للامر بعد الفاء وقد

فی البقرة احتج بعض الاشاعرة بالآیة علی قدم القرآن قال اذا لو کان حادثا لافتقر الی ان یقال له کن ثم الکلام فی هذا اللفظ کالکلام فی الاول و تسلسل والجواب بعد تسلیم ان هذا لیس مثلا وان ثم قولا ان اذا لایفید التکرار فلا یلزم فی کل ما یحدث الله تعالی ان یقول له کن وکیف یصح ان یکون لفظ کن قدیما والکاف مقدم علی النون بزمان محسوس ولو سلم فلا یجوز من قدم لفظ کن قدم القرآن علی ان قولنا انما قولنا لشیء اذا اردناه یقتضی کون القول واقعا بالارادة وما کان کذلک فهو محدث وانما علق القول بکلمة اذا لاشتمالها علی ان تقول ثم ان کلمة ثم متعلقة علی المکون بزمان واحد والمتقدم علی المحدث بزمان یکون محدثا فالخلص من هذه الادلة ان الکلام المسموع لایجوز ان یکون محدثا هذا ملخص ما قاله الامام فخر الدین او زید ولعل لنا فیه نظرا والله سبحانه احکم من ان کفار مکة بعد انکارهم البعث والجزاء یبعدهم والحالة هذه ایذاء المسلمین وایقاع الضرر والهوان بهم وح یلزمهم بهاجروا تلک الدیار فذکر ثواب المهاجرین فقال والذین هاجروا فی الله ای فی حقه وسبیله من بعد ما ظلموا النبوتهم فی الدنیا بان جعلت حسنة او مبناه حسنة هی المدینة او ارادهم اهلها وبضروهم فقال الحسن الشیخ فتادة وقیل لنزلتهم منزلة حسنة هی الغلبة علی اهل مکة الذین ظلموهم بل علی العرب قاطبة بل علی اهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الایة فی جماعة منهم صهیب وبلال وعمار وخباب جعل المشرکون یلقونهم بعد بوتهم لیردوهم عن الاسلام فقال صهیب لبلال رجل کبیر ان کنت علیکم اصغر فافتدیتهم بمالک فهاجر فلما راه ابوبکر قال له ربح البیع یا صهیب فقال له وانت یا عبد صهیب لم یخص الله بهذه البشارة غیری فقال له ابوبکر نعم فق

لا يستكبرون عنه ما تؤمرون به بعده اثنين للابتداء بالتمام مع اتحاد القائل واحد للعدول مع الفاء فارهبون واصبا ينفون ويحاربون ويكان ثم لزيد الاخبار مع شدة اتصال الخبر يشركون لتعلق اللام كي بنهاهم طلاقا للعدول والغاء الاستيناف يعلمون ورزقناهم تفترون سبحانه للاولى بعد من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه يشتهون وكظيم لاحتمال ان ما بعده وصف لكظيم او استيناف فبشر بالتشديد ملانا للتقدير متفكرون في نفسه المسئلة الى التراب يدسه يحكمون والسوء لتضاد الجملتين معا العطف لفظا على الحكيم القبيح الشنيعة الخامسة ان قريشا كانوا يقولون الله على واجل من ان يكون رسوله بشرا فاجابهم سبحانه بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول الزمان الخالق والتكليف وزعم ابو علي الجبائي انه لم يبعث الا الانبيا الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله اراد الملك الذي يرسل الى الانبيا بحضرة امهم كما روي ان جبريل ع كان ياتي في صورة دحية وفي صورة سارة وانما قيد بالحضور لانه لا يمكن ان الملائكة قد يتشكلون على صورهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة من الله الى البشر كما رووا انهم رأوا جبريل على صورته التي هو عليها مرتين وعلى هذا قالوا قوله ولقد رآه نزلة اخرى ثم انهم كانوا مقرين بان الله يوحي الى النبيين كما رووا انهم قالوا لنصارى اصحاب العلوم والكتب فارهم الله اعني قريشا بان يرجعوا في هذه المسئلة الى اهل الذكر ليتبين لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا اهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد اخر فيما يشتبه عليه اذ حق نفاة القياس بالاتفاق لو كان حجة لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى من ظاهر النص اما قوله بالبينات ففي متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا والا وانكر الفراء ذلك قال ان صلة ما قبل الا لا تتخطى الى ما بعدها والا لان المستثنى عنه هو محكوم ما قبل الا مع صلته كما لو قيل ما ارسلنا بالبينات الا رجالا اولما لم يصر هذا وما اشبهه من هذا الجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا لا صفة له اي رجالا ملتبسين بالبينات ومنها ان يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما ترى الا خولك ثم تقول مررت بزيد قال الفراء ومنها ان يتعلق بيوحى اي يوحى اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق بالذكر بناء على ان يعني العلم ومنها ان يتعلق بالعلمون اي ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا قال في الكشاف الشرط ههنا نحو معنى التبكيت والالزام كقولك الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي قلت لا دان عدم علمهم مقرر كما ان عمل الاجير ثابت وسلم جار الله ان مثل قوله فاسئلوا جواب الشرط على هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فجزم الشرط اعتراض بناء على ان جواب الشرط هو ما دل عليه قوله وما ارسلنا وعندي ان هذا الجزم ليس بحتم ويجوز على كل الوجوه ان يكون مثل فاسئلوا جابا والله اعلم واهل الذكر اهل التوراة والانجيل قال في الكشاف انزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم من بعد الذكر بعني التوراة وقال الزجاج سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظ جامع لكل ما يتكامل به الرسالة لان مدارها على المجيء الدالة على صدق من يدعي الرسالة وهي الاتيان على التكاليف التي بفتح باب العبادة وهي للتوراة ثم قال وانزلنا اليك الذكر الى القرآن الذي هو موعظة وتذكير لاهل الغفلة والنسيان وبيان العقائد المرتبة على الاقوال وهي تبين الاحكام والشرايع بالتسبة الى الوصول وارادة التامل والتفكر في البدا والمعاد بالاضافة الى المكلفين في ظاهر هذا النظم لا لانه على ان القرآن كله مجمل ومن ههنا ذهب بعضهم الى انه نسخ وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب تقديم الخبر لان القرآن مجمل والخبر مبين له واجيب بمنع الكلية فان القرآن ما هو محكم وقوله لتبين القرآن محمول على المتشابهات فان الجملات قال بعض من نفى القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما انزل الله عليه من الاحكام بل كان له ان يفوض بعضها الى راي القائس واجيب بانه لما بين ان القياس من جملة الحق فالقياس ايضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع اجوبتها شرع في التهديد والوعيد والانذار والتبشير فقال أفأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات او اهل مكة وحول المدينة قال الكلبي عنى بهذا المكر اشغالهم بعبادة غير الله طلبا لاقرب ان المراد سيعهم في ايذاء الرسول واصحابه على سبيل الخيفة ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او باتيهم العذاب او ملائكة العذاب من السما من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او ياخذهم في تقلبهم كما هم بمعجزين فانتم مثلهم في هذا التقلب وجوها منها انه تعالى ياخذهم في اسفارهم ومتاجرهم فاقدر فاد على ان يهلكهم في السفر كما اقدر على ان يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب ضربهم في البلاد البعيدة ومنها انه ياخذهم بالليل والنهار في احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحيث ما صرفهم في الاوقات التي يتصرف فيها امثالهم ومنها اقدار في حال ما يتقلبون في قضاء اوطاطهم بيجوز الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى الاول ماخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور او ياخذهم على تخوف على حالة تخوفهم وتوقعهم للهلاك بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فكان اقوا الخوف بما قبلهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف النقص والمعنى انه ياخذهم بطريق النقص شيئا بعد شيء في ديارهم واموالهم وانفسهم حتى ياتي الفناء على الكل عن عمر انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف النقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم شاعر زهير يتخوف الرجل منها تامكا قرددا كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قرددا اي سنا مرتفعا من احقاب سمنت بالشحم والسفن بالتحريك ومنه السفينة لانها تسفن وجه الماء كما تقرد البعير فقال عمر ايها الناس علينا بديوانكم فقالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الا ان يقول او ان ربكم لرؤف رحيم فذهب المفسرون الى ان معناه انه يمهل في اكثر الامر لا نه رؤف رحيم فلا يعجل بالعذاب اقول يحتمل ان يكون قوله فان تغليبا لقوله افامن

كقوله ما غرك بربك الكريم وما خوفنا المتأخرين بما خوف به عبده زكريا يدل على كمال قدرته وبديع حكمته العلوي والسفلي وسكانهما
فقال أولم يروا إلى ما خلق الله قال مجاهد الله ما صنعه بما ترون من شيء وقال أهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله اخبار عن شيء ولم يرد به وصف له ويتفيأ
يتفعل من الفيء والاصل الرجوع ومنه قفل الموالي وقال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما ذهب
عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة ظل وقال ثعلب اخبرني عن ابن الاعرابي ان العرب تسمي كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو في
ظل وما لم تكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال الى المفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه
واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله الى ما خلق نظيره لتسوين على ظهوره اضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد
اريد به الكثرة وهو ما يمكن ان يكون قال الجوهري تفيأت الظلال اي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال اهل التفسير ومنهم الفراء اتى وحد
اليمين لانه اراد واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمائل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق الله لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت شيئين جمعت
عن احدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النفظ التي هي مشرق الشمس وانما وحد والشمائل
عبارة عن الانحراف لوافق قال الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان اقوى جانبي الانسان يمينه ومنه نظهر الحركة
القويه وكذا جانب الشرق هو في جوانب الفلك ومنه نظهر الحركة اليومية التي هي اسرع الحركات وانواعها وبكون ان يقال ان الانسان اذا توجه الى الشرق الذي
هو اول الجهات بالاعتبار الشرعي كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب ان وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقاله
من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد واذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في
جنوب سمت الرأس وقع ظلها الى جانب الشمال وان كانت في شماله وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها في هاتين الجهتين و
الله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب تحرك الشمس على خلاف طبعه ومنه و
مفاده بمعلوم ذكرنا بعضها في كتبنا النحوية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وذكر بعضهم في
تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال وان قعت على الامر ملصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون
لانهم اشبهوا العقلاء من حيث طاعتهم لله سبحانه وقال مجاهد الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله وجانبي المشي اذ ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في نفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا يمتنع ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش اي من الدواب واحدها بالهاء كما يقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من اوجال و
قال ابن عباس ويريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه علم من ابراز الظلال ان الجمادات بأسرها منقادة لربها فبين في هذه
الآية ان الحيوانات بأسرها ايضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما تشريفا واما لانها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة
لقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شأنها الحركة والدبيب قال جار الله
من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان ما في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الانا سي في الارض ولن يكون بيانا
لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يعقل له الروح ان يكون بيانا لما في الارض وحده او يراد بما في السموات الملائكة خصوصا من بين
الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات الملائكة ويقول فقال ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع يتكلم
في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال لهم وهم لا يستكبرون يخافون على انحاء مختلفة منهم ابو بيان لنفي استكبارهم لان الخوف اثره عدم الاستكبار
وقوله من فوقهم اما ان يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من الرب اي يخافونه غالبا
قاهرا ويجوز ان يكون الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف
وحصول الخوف يجوز الاقدام على الذنوب وهب انهم فعلوا كل ما امروا به فمن اين علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما
يخافون من العذاب لقوله تعالى انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم فمن هذا الخوف يكون التنبيه على ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال
كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله اتم كانت الطهبة والخشية اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء امر بضده
الا بد دلالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر بناء من كل المخلوقات
والا لما خصهم بالذكر من بينها والحق بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانتماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية وعلى الاول ورد في حقه قيل
الانسان ما اكفره وقال ما منا الا من له مقام معلوم وهم بعصمة غير مجبرين ذكره ابو علي وقال ابو بكر الصيرفي في قوله كانا تينا طائعين ان الله تعالى
عهد وطول مدة ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين منطاولة وقرون فما دينوا انهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في اول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر
والنهي والوعد والوعيد راجعين خائفين وفيه بيان ان كل ما سوى الله تعالى الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه انتهى
عن الشرك فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فدل ان التثنية والواحد حيث كانا بدلا كان على العدد الخاص فما

الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتاخيرا اي لا تتخذوا اثنين الهين ومنها ان ذكر ان العبادة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول الاهل المعاني ان فائدة الوصف والبيان هي ان يعلم ان النهي راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين مابه الاشتراك في الوجوب الذاتي ومابه الامتياز ولكن التركب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب وايضا بعين على المطلوب كما لو اراد احدهما اخر جسم معين واراد الاخر تسكينه او نوى احدهما على مخالفة الاخر او لا نوى واحد منهما على ان يسبق ارادته ارادة صاحبه ثم نقل الكلام عن الاخر او لا يقدر ثم نقل الكلام عن العبيد الى المكلم على طريقة الالتفات فالتفات فايای فارهبون وقدم مفعول اتقوا وقدر بعد فرهبون ليجب ان يخص بالوهية ومنه والرغبة اليه ذكر ان الكل ملكه وملكه فقال وله ما في السموات وما في الارض فقال الاشاعرة لبيان المراد من كونه الها فانه مفعول الاجله والغرض طاعته لان فيها الثواب المطلوب الذي يوتى بها لغرض الثمود والذة لا لغرض اطاعة فالمراد ان كلها بخلقه وتكوينه ومن جملتها تكليف العباد ثم قال وله الدين واصبا فالدين الطاعة والواصب الدائم ومعناه واصبه بعبده لانعامه طول دوامه على المريض وصب لكون ذلك المرض لازما له ودائما بحسب الحال والعامل فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك عنه في حال الحياة او الموت الا الحي سبحانه فانه واجب ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملك اي وله الدين فاكتفى بمشتقه ولذلك سمي تكليف الله وامره الجزاء سريعا لان نزول بعض الثواب والعقاب قال بعض المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل البقاء حال حدوثه وقوله وله الدين اي الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة الى فيضه وجوده في حال وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال افغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله ثم بين ان الشدة اذا مست احدا منهم لجا الى الله وحده ثم ان فريقا منهم اذا كشف الضر عنهم اشركوا به وقوله فمن الله الخبر وقبله ما شرطية ونعمة فعل الشرط محذوف اصلها كان وقال جار الله معناه ما يكن بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله فقال الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والا بتة بفضل العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجة كالاستعدادات المالية وغيرها وكل واحد من هذه الجنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله تعالى فالعاقل لا يشكر الا اياه ثم بين ان حال الانسان بعد استقراره في بحار نعم الله قائلا ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ما تضرعون الا اليه والجوار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر بهم اثم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قول واظهر الوجهين الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفرع الا الله وفريقا ينفرد عن حاله فيشرك بالله ولعل هذه صفة الاكثر من الجهال الانسانية ولهذا قال ليكفروا بما اتيناهم اي ليكفروا كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعم ويجوز ان يكون لام العاقبة كالتي للتضرع فان كانت لاجل الكفران والمراد بقوله ما اتيناهم كشف الضر وازالة المكروه او القرآن والشرائع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي اسبغها الله على الانسان ثم قال على سبيل التهديد تمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما سبق واما في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا بالعطف على الفعل الذي هو حكم نوعا اخر من قبائح اعمال بني آدم فقال ويجعلون لما لا يعلمون الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا يوصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم عن الجماد مجاز وبان جمع السلامة للعقلاء الا ان قد يرجح الثاني بان الاول يقتضي الاضمار كما قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نصيبا والاعراض عنه ضرارا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او يجعلون لما لا يعلمون الهيتها او السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي عن الحسن وقيل هم المجوس الذين يزعمون ان هذا العالم على الكواكب السبعة فهم يقولون لكل كذا ولكذا من العناصر والنبات والحيوان والمشترى كذا الى اخر الكواكب ثم اوعدهم الله بقوله تالله لتسئلن عما كنتم تفترون على الله من ان له شركاء وان الاصنام تقربهم اليه مع انه لا شعور لها بشيء اصلا والمراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير ان شرعا وقولهم ان لغير الله تاثيرا في هذا العالم وقيل يكون هذا السؤال قبل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر والاظهر انه بعد الاخرة وهذا يعم هؤلاء الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون في الايمان عامة نزوله ويجعلون لله البنات نوع اخر من القبائح وكانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي الظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء وضعف هذا الظن بانه على التسليم لا يستلزمها عن ان يدركها بالابصار لقوتها الباهرة ونورها القاهر وسبحانه نزه نفسه اولا عن نسبة الولد اليه او يجب قولهم ومحل ما في قوله ولهم ما يشتهون اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون بعد البنين لما لاحتياج جواز النصب قال لان العرب لا تقول جعل له كذا وهو يعني نفسه انما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التي جعلوها

النحل

فیزیدہ الوجع

من زیادتی

الله تعالی فقال وزاد الشر احدهما بانه تظل وجهه ای صار مسودا ویحتمل ان یکون استمل ظل لان وضع الحمل یتقی باللیل غالبا فتظل نهاره مسودا لوجه وهو کظیم ممتلیء حزنا وغیظا علی المرة قال اهل المعانی جعل اسوداد الوجه وهو کظیم کنایة عن الغم والکابة لان الانسان اذا قوی فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الی الاطراف والاستماله الوجه لما بین القلب والدماغ من التعلق الشدید فاستنار الوجه واشرق واذا قوی غمه انحصر الروح فی داخل القلب لم ینفذ منه اثر قوی علی الوجه فلذلک یصفر او یسود ویستخفی من القوم من سوء ما بشر به من جعل سوء البشری وهو ان یظهر انها ما حدثت نفسه بها وما اصنع بها وذلک قوله امسکه ای یحبسه علی هون ذل وهوان والظاهر ان هذا صفة المولود بمسکها علی هوان منه لها وقال عن ابن عباس انه صفة الاب ای بمسکها مع الرضا بهوان نفسه ام یدسه فی التراب ای یئد والدس اخفاء الشیء فی الشیء واتمام الضمیر فی یمسکه وفی یدسه باعتبار ما بشر به کانوا یحتقرون قتل البنات فنهم من یحفر الحفیرة ویدفنها الی ان یموت ومنهم من یرمیها من شاهق جبل ومنهم من یغرقها ومنهم من یذبحها وکانوا یفعلون ذلک نارة للغیرة والحمیة واخری خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة وروی ان رجلا قال یا رسول الله ان بنتا لی بقیت فلما اجد حلاوة الاسلام وقد کانت لی فی الجاهلیة ابنة وامرأة فدعتها واخوجتها فلما انتهیت الی واد بعید اظفر لقیتها فقال لها انی فقئت فکلما ذکرت قولها لم ینفعنی شیء فقال ما فی الجاهلیة فقد هدم الاسلام یعمل ما شاء فاستغفر ولا یبعد ان الانثی الذی هذا حالها عندهم کانت فی غایة الکراهة والتنفیر ومع ذلک اثبتوها لله تعالی عن الصاحبة والولد فلذلک قال الاساء ما یحکمون للذین لا یؤمنون بالاخرة ولهذا یقدمون علی القتل والایذاء مثل السوء وصفة السوء وهی الحاجة الی الاولاد الذکور وکراهة الاناث وقیل خشیة الاملاق والزام الشحة البالغة ولله المثل الاعلی وهو اضداد صفات المخلوقین من الغنی الکامل والجود الشامل وهو العزیز الذی لا یغالب فلا ینتصر بان ینسب الیه ما لا یلیق به الحکیم فی خلق الذکور والاناث او فی الوعد علی قتل البنات قال القاضی ان هؤلاء المشرکین استحقوا الذم بانهم نسبوا البنات الی الله وهو اسهل من اضافة الفواحش والقبائح کلها الیه وهذا شان الجهلة واجاب الاشاعرة بانه لیس کل ما قبح متا فی العرف فانه یقبح من الله لانه یحسن منه ان یحمل الوزن اماءه وعبیده ویلغی فی بعضهن صورهن وتقوی شهوة نهم وفیهن من یجمع بین الکل والمانع الحائل والمانع فان هذا بالاضافة الی الله تعالی وبیع من کل الخلق فعلمنا ان التعویل علی هذه الوجوه المبنیة علی العرف انما یحسن اذا کانت مسوقة بالادلة القطعیة الیقینیة وقد نبهنا البراهین القطعیة امتناع الولد علی الله تعالی فالرجوع حینئذ الی هذه الوجوه الاقناعیة اما افعال العباد فقد دلت الادلة القطعیة الیقینیة ان خالقها هو الله تعالی فکیف یکون الخالق احق بصورتین بالاخری والله اعلم التاویل ان یخفف الله بهم ارض البشریة ویدکات المستعلی او بانهم العذاب بالکبر والاستدراج من حیث لا یشعرون اترکهم بین اتاهم من قبل الاعمال الدنیویة او من قبل الاعمال الاخرویة او یاخذهم فی تقلبهم من اعمال الدنیا الی اعمال الاخرة بالتوبة ومن اعمال الاخرة الی اعمال الدنیا بالهوی او یاخذهم علی تخوف تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعور منهم فان ربکم لرءوف رحیم بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد رحیم حین لا یاخذهم بعد ما استعدوا للحال لعلهم یتوبون فی المال فیقبل توبتهم بالفضل والتوال ما خلق الله من شیء وهو عالم الاجسام فقط لان الارواح خلق من لا شیء یتفوق الله فان الاجسام ظلال الارواح فناسب قبل بعد الاستعادة الاصحاب الیمین واخری قبیل بعد الاهل الشقاء الی اصحاب الشمال یتجدد الله منافقین لامر سخر بن لا خلق الاجلد واتما وحد لهین وجمع الشمال لکثرة اصحاب الشمال وسجود کل موجود بنا سبحانه کما ان تسبیح کل منهم بلا یم لسانه وقال الله لا تتخذوا الهین اثنین اراد بالاله الاخر الهوی لقوله ص ما عبد الله بغض علی الله من الهوی ویحملون بعض اصحاب النفوس والاهواء ما لا یعلمون لان علمهم باحوالهم بسبب بالرتبا متمارنفاهم من الاطلاع علی ما لا تسئلن عما کنتم تفترون والسؤال عن الاعمال انما هو بعد بدل الصفات وتبدل الاحوال من سمة السعادة الی سمة الشقاوة وبالعکس ویحملون لله البنات اظن ان البنات اشارة الی صفات فیها نوع نقص کالتجسم والتشبیه والحلول والاتحاد ونسبته الی الظلم والجور والتعطیل وعدم الاستقلال بالتاثیر وغیر ذلک مما لا یلیق بغایة جلاله وغایة کماله فلهذا قال سبحانه ولهم ما یشتهون یعنی ان کل احد یحب ان یوصف بغایة الکمال وینعت وجهه اذا نبه علی عیب فیه ولا یعلم ان مطلق الکمال لا یلیق الا بالواجب بالذات وبقی الامکان یستلزم جمیع النقصان

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

وگر مواخذہ میکرد خدا مطالبا بستمہا کہ میکنند بر مردمی زمین ہیچ جنبندہ ولیکن پس میدارد ایشان را وقتی نام برده شده پس چون آید اجل ایشان

ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا جرم

ساعتی ونہ پیش می افتند ومیکروانند از برای خدا آنچہ ناخوش میدارند ووصف میکنند زبانہای ایشان دروغ را کہ مر ایشان را نیکوئی ہست

أن لهم النار وأنهم مفرطون تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو

کہ مر ایشان را آتش دوزخ است وایشان اندیشہ کردہ شدگانند بخدا کہ فرستادیم بسوی امتہا پیش از تو پس آراستہ کرد بر ایشان شیطان کردارشان را پس او

وليهم اليوم ولهم عذاب أليم وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة

دوست ایشان امروز ومر ایشان راست عذابی دردناک ونفرستادیم بر تو کتاب را مگر از برای آنکہ بیان کنی مر ایشان را آنچہ اختلاف کردند در آن وہدایت ورحمت

لقوم يؤمنون والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون

مر قومی را کہ ایمان میآرند وخدا فرستاد از آسمان آبی پس زندہ کرد بآن زمین را بعد از مردن آن بدرستی کہ در این البتہ نشانی ہست مر قومی را کہ میشنوند

الجزء الرابع عشر

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ
وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

القراءة لا جرم لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة من بدد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة ينسقيكم بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب الكوفيون وحماد الآخرون بضمها الوقوف مسمع للظرف مع الفاء ولا يستطعمون ه الحلبي وقبل على الاتم بدلا بجرم وهو تكلف مفرطون الهمز فيه للعطف على موضع لتبين بعده الا تبنا وهدى يؤمنون ه موتها يسمعون ه لعبرة الا تروى تشبيها بعده بالوصف للشاربين حسنا يعقلون ه يعرشون ه للعطف للالة للعدول للناس يتفكرون ه شيئا قدير ه التفسير الحكم عن القوم عظيم كفرهم وفظيع قولهم بين غاية كونه وسعة رحمته حيث تركها عاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الا يترك على ظهرها من دابة عصمة الانبياء انتصاف الظلم الى ضمير الناس والا نبياء من جملة الناس فوجب ان يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله ما ترك عليها من دابة فانه لو لم يصدر من الانبياء ذنب لم يكن لاغنائهم وجه صحيح لم يصدق انه يهلك على الارض واحد والجواب لانهم عموم الناس في الابتلاء بالتأسي في موضع اولئك ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والتائبين ليسوا ظالمين فالمراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب والذين يتقدم ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس اراد من شر ما يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب عليها فلعل الحمالات لحق الظلمة يكون عذابا وفي غيرها امحاء فقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح ع وايضا من المعلوم انه لا احد الا وقد اتى بأنواع من المعاصي فلو اهلكوا بالعطش لسلم ولا يؤدي الى فناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد وصالحهم عن ابن عباس انه مسخ هذا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه بالله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع القطر وفي انقطاعه انقطاع التذكير في انقطاع البشاشة الدواب قلت المعتزلة لا يبعدون الا يبعد لانهم يقولون ان الظلم والمعاصي ليست من افعال الله تعالى والا لم يؤخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك في قوله بظلمهم دليل على ان الظلم هو الموقع في العقاب فان قالوا المعلل بالشر شر ومعلوم ان هذا لا يستقيم عما بفضل وايضا المعارضة بالعلم والداعي وجوب انتهاء الكل اليه فقال بعض الاصوليين الاصل في المضار الحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله ص لا ضرر ولا ضرار في الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء على جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره فالآية تقتضي انتفاء اخذ الناس بظلمهم واترك على ظهرها دابة كما هو الشاهد اذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به لقيامها للنص على العام والا فقضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء على جرم سابق والآية لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه لا يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا دليلة قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما كرهه الانسان لزم ان يكون محرما لان وجوده ضرر والضرر غير مشروع فالذي ينتسب هذا اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول باطل لان هذا الاصل ممنوع عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس ولقائل ان يقول نوارد الآية على المدلول الواحد غير ممنوع اما قوله ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطاء تريد اجل الفيمة لان معظم العذاب بوائهم يوم القيامة وقيل اراد منتهى اعمارهم لان الشر كثير يؤاخذون بالذنوب اذا جاوزوا ان الدنيا وبالي الآية قد تقدم تفسيرها في اوائل سورة الاعراف واعلم انه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها من دابة وقال في سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالظاهر كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب يجوز ذلك في كلام المخصوص بين يدي كل متكلم وسامع منها الارض والتمر فالان افضل من عليها واكرم من يحتها ومنها العذاب فيها اليوم الثاني ومنها الاصابع يقول والله تشتهي عنبا

من واحد بعض الاصابع من ابعد واتمار بين كون الظهر في هذه السورة للدابة من بظهر الارض وكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الارض سورة الملائكة
فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله أو لم يسيروا في الارض وفي قوله وفي الارض فلم يكن ملتبسا ويمكن ان يقال انما قال ههنا بظلمها لدل على ظهرها وحين
قال هناك ما ترك على ظهرها احتراز عن الجمع بين الظاهرين لانها ثقل في الكلام وليست كقولنا الامر مورد العرب فلم يجمع بينهما في شطر واحد
ثم عاد الى حكاية كلام الحمقاء فقال ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في
الرياسة ومن الاستخفاف بالنهاون برسلهم ورسالتهم واتهم يجعلون اكثر اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لرجل من ثقيف اما
كفى بكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى لها ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتون بالاثواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال لها انوا
ما دفع الى فيؤتون بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف ثم قال ويضعون لسنتهم الكذب قال الفراء والزجاج ابدل منه
قوله ان لهم الحسنى عن مجاهد ان الحسنى ان النبوة كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون
وحكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن كما
يحكمون بذلك وكانوا ممكنين للقيمة الجواب انما كان قولهم من فقرهم بالبعث ولذلك كانوا يرجون البعث على قراءتهم وبتركونه ان هو ثم
منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه ما كوبه وينقد بوانهم كانوا ممكنين فلعلهم قالوا ان كان محمد صادقا في دعوى الحشر والقيمة فانه يحصل
لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من رجح هذا القول لانه تعارضه
عليهم بعد ذلك بقوله لا جرم ان لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي حقا لهم كما وصفوا جزم له كسب ذلك القول ان لهم النار فان مع ما بعده
في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال غيره ان في موضع رفع والمعنى حق وثبات لهم النار وانهم مفرطون من فرط يفرط بكسر الراء المخففة فهو من
الافراط في المعاصي ومن قرأ على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من افرط اي صار ذا فرط مثل ألجب اي صار ذا لجب ومن قرأ بفتحها مخففة
فهو من افرط فلانا اذا خلفه واسبقه فالمعنى انهم متركون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء مشددة فهو من التفريط في الطاعات و
قرئ بفتح الراء مشددة من فرط في ذلك اذا افرط فيه وجاوز فرطه بمعناه ايضا فالمراد انهم يقدمون الى النار ويعجلون الى البهائم بين سبحانه ان مثل
صنيع مزين قد صد عن سائر الامم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك الى سائر من ذكرهم الشيطان اعمالهم فان المعنى لو كان
جائزا لكان الاعمال هو الله تعالى فاصغى زين الشيطان ومن اين وجه توجه علينا الذم وان جاز ذلك لجاز ان يقال ان الله اجبرهم بان يكون ولا يلام من اداعى
اليه واجيب بان لو اسباط معتبرة وانتفاء الكل لانه ضروري قال ابن جار الله فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطا
اعمالهم فيها والمراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او اليوم عبارة عن يوم الاخرة الذي بعد تبوئهم
في النار فهو حكاية الحال الآتية ولو الناصر اي هو ناصرهم يوم القيمة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور
منه النصر اصلا واذا كان الناصر مختصرا فيه لزم ان لا يضره بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش والمراد بزين للكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما اهلك من هلك الا بعد
اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكا
له وتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصبا على انهما مفعولا اجله او حالان اي
لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وهذا دخل على اللام قال الكعبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة
لقوم يؤمنون لا ينافي كونه كذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به كما افتتح الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الامر
فقال والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها وفي العنكبوت من بعد موتها الا ان هناك سؤال تقرير وانكار يحتاج الى التخصيص
فيحذف الظرف بين الاستيعاب وبعضا حذف من هذه السورة موافقة لقوله عما قريب ليكيلا يعلم بعد علم شيئا وانما حذف من هناك بخلاف ما في
الحج لانه اجمل الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر في الحج فقال خلقكم من تراب ثم من نطفة فاقتضى الايجاز الحذف والاطناب
الاثبات ان في ذلك لآية لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر من لم يسمع لم يدر فاكتفى بذكر احدهما ثم استدل ببعض احوال الحيوانات فقال وان
لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي سورة المؤمنين مما في بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد
معناها جمع كالرهط والقوم والنعم فجاز تذكيره حملا على اللفظ وتانيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شايع في القرآن قال تعالى فلما رأى القمر
بازغة قال هذا ربي يعني هذا الشيء الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اعتبر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة
الواردة على افعال وجوز في الكشاف ان يكون ناشئة على انه تكسير نعم وقيل انما الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يحولان الاحاد بالجمع والجمع
بالاحاد قلت ما ذكره لا ينفع جوابا عن التخصيص ولعل السر في ذلك التعبير في هذه السورة بعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون
للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وانما في المؤمنين فانه لما عطف عليها ما يعود على الكل ولا يختص بالبعض وهو
قوله ولكم فيها منافع ومنها تاكلون وجعلها لم يحتمل ان يكون المراد بالبعض فانه لم يكن مناسبا على ان المراد بها الكل روى عكرمة عن ابن عباس

عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا خالصا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو فذا لمعنى قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث واذكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان الانعام تذبح ويحلب ما في ضروعها من اللبن ولا اثر في كرشها دم ولا لبن ولما التجربة فلان الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا هاج ان ينبعث الدم ولبس كذلك بل الحق ان اول العلف يحصل في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم الذي يحصل في الكبد ينضج فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فيذهب الى المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكليتين ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق الثابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد والضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع وهو لحم غدي رخو ابيض فيطبخ الدم هناك فيصير اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان لان الحكمة الالهية اقتضت ان يكون على الوجه الذي به والذكر من كل حيوان اسخن واجف والانثى ابرد وارطب من بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة ليصير مادة للولد ولهذا يتسع مدخلها ثم ان ذلك الرطوبات التي كانت تصير مادة للولد بعد الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد نفصال الجنين الى الثدي ليصير مادة لغذاء الطفل واعلم ان تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء وشرب شرابا فقد انطبق ذلك المنفذ انطباقا كاملا الى ان تكمل انهضامه في المعدة ويجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك فيحتقن ويمتلئ المنفذ وينزل منه ذلك الثفل فعند الانطباق والانفتاح يحس الحاجة ويحدث المنفعة فالانبات الاول بتقدير الفاعل الحكيم وايضا انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك المأكول والمشروب طاهرة لطاهرتي بقلب تمادون الاجزاء الكثيفة وفي المعدة بالعكس واودع في المرارة قوة جاذبة تزيل زيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذا الاعضاء بفعله الخاص لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوقفها على جميع البدن في غير ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في حملة ثفوبا صغيرا يخرج اللبن الخالص منها وقت المخاض والحلب فهي بمنزلة المصفاة للبن يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف بهذا الطريق بصير خالصا سائغا للشاربين كما اشار سهل المروزي الحلواني حيث قيل له ما بال احدها باللبن فقط من عجائب حال اللبن اجتماع من اجسام مختلفة مع اتحادها في الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة وطبيعة ومنها الجبن وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب حدثه الله تعالى الطعم الطفل الصغير حين انفصاله من الام وكل ذلك دليل على علم الله تعالى كاملة وحكمة شاملة وقدرة باهرة قال المحققون في تعليب هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سائغا دليل على ان الله تعالى قادر على تقليب الانسان في اطوار الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله مرة في تطويع المتبعض ومن قوله من بين فرث ودم لبنا فرث للابتداء الغاية فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قال المتأخرون ليس يمتنع ان يسلك الخ مسلك البول وهو ظاهر كما ان مخرج اللبن من بين الفرث والدم ظاهر واما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب اي ومن ثمرات النخيل والاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي وننبتكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب او حذف لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه تكريرا للظرف لاجل التأكيد نظير قولك زيد في الدار فيها واما ان يذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور اولا الى المضاف المحذوف الذي هو العصير كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه واحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله ومنا دون ذلك اي ومنا ناس دون ذلك او ومنا الا له مقام معلوم اي ومنا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمرا تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم كانوا يتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الآية قولان احدهما وبه قال ابن عباس والشعبي والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهو مدني وثانيهما انها محكمة معنى بين العتاب والتذكير لكن المنفعة لا تبالي الحرمة على ان في الآية تنبيها على الحرمة ايضا لانه تعالى بين انها وبين ان ترك الحس الذكي وجب في السكران لا يكون رزقا حسنا لا بحسب الشهوة بل بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة احتج السكر احتج بان الآية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ورد الحديث على ان الخمر حلال حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل من اثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن ابي علي الجبائي انه صنف كتابا في تحليل النبيذ فلما اخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما يقويك على تحليله فقال نشاور فيه ابليس فقال الشيطان فتح عندي في المرقات ولا اختار ان اقول قبل السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقبل السكر الرزق الحسن وبعده كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن ومن عجيب احوال النحل لحال النحل المناسب لحالها والعتب للبتر في موافقة اللذة في الخروج من البطن فلذلك افردها بالذكر وعقب ذلك بقوله وأوحى ربك اعتمادا بها ان الفضل الى النحل لما علمها علما يعجز عنه جميع الحيوانات ولقد حق لغريب امرها ويعجب صنعتها ان يطلق عليه لفظ الايحاء دون انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساوية التي لا يمكن للعقلاء تركيب امثالها الا بالمساطر والمقادير ولقد علم من الهندسة ان

النحل

تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى العسل شاقة رعيها بالضرورة فيها بينها فوجد خالية ضائعة فهذا دليل الجهل الضعيف لهذه الحكمة الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من البقية وهم يجدونه ويتبعون نهيه وامره ومنها انها اذا انفرت عن وكرها وجمعت مع الجمعة الى موضع اخر فاذا اراد واعودها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي والات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها الى وكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان اكثر من ان تحصى واشهر من ان تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة شبيهة بالوحي بعني الالهام قال الزجاج يجوز ان يكون سميت نحلا لان الله تعالى الهم النحل العسل واسطتها وهي مؤنثة في لغة اهل الحجاز ولهذا قال تعالى ان اتخذي وهي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون اي يبنون ويرفعون البعض لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن يوافقها ويليق بها وكثيرا ما يتخذها الناس ويصلح احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي بعضا من كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق التي الهمك في عمل العسل للاجمة ولولدها وحالها من السبل لان الله تعالى الهامها وسهلها عليها ومن المفسرين فاسلكي اي وانت ذلك منقادة لما امرت به غير ممتنعة او المراد فاسلكي ما اكلت سبل ربك المذللة اي مسالك التحيل فيها بقدر ما تتوالد النور المرعسلا وهي اجوافك منافذ ما كلت واذا اردت اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى انهار بنا الجدب عليها فاخرجها فانسافرت الى البلد البعيد فطلب النحل وبحوزان يريد بقوله ثم كلي اكل الثمرات فاسلكي اي طلبها فتطلبا سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ان اتخذي ثم كلي فاسلكي امر من قال لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها من الله امر نهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع يوجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل اما حدوث العسل من النحل فلا يصح عند الاطباء ان الله تعالى قادر ان يحدث في الحلو طعم العسل او يخلق في اللهب او يقع على اوراق الاشجار فقد يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة وهي التي تجبن ونحو موقد يكون قليلا مستقرا على الاوراق والازهار وهو الذي الهم الله تعالى النحل ان تلتقط تلك الذرات بافواهها وتاكلها وتغتذي بها فاذا شبعت لفظت من افواهها وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع في بيوتها شيء محسوس من تلك الاجزاء الطيبة فذلك هو العسل ولا يبعد ان يحصل تلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير وطبخ فيها فلذلك قال يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان النحل اكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرية ما شاءت ثم ان الله تعالى قلب تلك الاجسام في داخل بدنها عسلا ثم انه يفني مرة اخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة النحل مباينة من العسل في الطعم والشكل والاشكال لا تدخل تحت الحدوث في الحلو ويقع على اطراف الاشجار والازهار وكذا العسل وايضا النحل اذا تغذت بالعسل ولهذا يؤمر منه بقتله بعد الاشتداد ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب اي ما يشرب بعض القول الثاني وقوله مختلفا الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن وامزجة النحل واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه شفاء للناس لانه من جملة الاشربة والادوية المشهورة النافعة ولهذا يقع في اكثر المعاجين وتذكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان بعض الشفاء فان كل داء كذلك وعن ابي سعيد ان رجلا اتاه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال قال اهل المعاني لما تم كان عالما بانه سيظهر نفعه فلهذا قال كذب بطن اخيك حتى يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم انه سبحانه ختم الاية الاولى بقوله لقوم يعقلون لان ازال الماء من السماء واحياء الارض بسببه امر مشاهد محسوس فمنكر ذلك فاقد الحس فاما خص الاية الثانية بالذكر حس السمع لان لفظ القرآن المتبع على الاية مسموع وختم الاية الثالثة بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وقصتها اعجب من انتشار الماء لاحيائها والتخاذها البيوت على اشكال معجز عنها الحاذق من ثم تنبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا او بولا بقضيه فكر وبالغة والمأذكر بعض عجائب احوال الحيوان ابتدء بخلق الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم عند انقضاء اجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره عن علم هو خمس وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف ليعلم بعد علم شيئا اي يصير الى حالة شبيهة بحال الطفل في النسيان وعدم التذكر وقيل ليعقل بعد عقله الاول شيئا او يعلم زيادة على علمه وقيل ان الرد الى ارذل العمر لبقي في المسلمين والمسلم لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الاية قوله ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان في اربع اولها سن النشوء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي الغير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكروا ان الاطباء اجمعوا على ان بدن الانسان مخلوق من اربعة من دم الحيض ومن المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا عملت في الجسم الرطب فلا بد وان تجففه شيئا فشيئا بقدر ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة فبقدر ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط وسائر الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل بعد ذلك بتفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبة البدن بعد

زائدة على حرارة فيكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن الشبوبية وغايته الى ثلثين سنة ثم تبصر رطوبات البدن اقل ويكون رافعة بحفظ الحرارة العزيزية الاصلية لانها لا يكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبعدها تتم الاربعون ثم تقل الرطوبات بحيث لا يكون رافعة بحفظ الحرارة العزيزية روح يظهر النقصان قليلا الى ستين وهي سن الكهولة ثم تظهر جدا الى ما فوق عشرين سنة قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونها منبتا كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة العزيزية معمورة ثم اتفاق ذلك كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات حتى نقلها من حد التمويه والتنوية الى ان صارت عظما وعضروفا وغضروفا باطنا فعند ما تولدت الاعضاء وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى الحرارة العزيزية فوق ما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمني الى ان صار عظما وعصبا اما بعد تولد البدن فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما تولد بتدبير قادر حكيم لاجل ما قالوه ويوجبه اخر الحرارة الحاصلة في بدن الانسان الكامل العزيزية اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ان بدنا كانت والاول باطل لان الحار العزيز على الحاصل في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن اثر اصلا واما الثاني فعند تسليم ان الحرارة تتزايد بحسب تزايد بدنها لكنها لا تزايد بها بوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فلزم ان لا ينهدم البدن الجثوا ابدا وليس كذلك وبوجبه ثالث هذه الرطوبة العزيزية صارت معادلة للحرارة العزيزية فلم قلت ان الحرارة العزيزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى يتقلل الانسان من سن الشباب الى سن النقصان قالوا السبب فيه انه اذا تحصل هذا الاستواء فالحرارة العزيزية بعد ذلك تؤثر بتجفيف الرطوبة العزيزية فتقل الرطوبات العزيزية حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة العزيزية واذا حصلت هذه الحالة ضعفت الحرارة العزيزية ايضا لان الرطوبات العزيزية كالغذاء للحرارة العزيزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فبقي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبة شيء كان الحرارة العزيزية توجب قلة الرطوبة العزيزية وقلتها توجب ضعف الحرارة العزيزية فلزم من ضعف احدهما ضعف الاخر فتنطفئ الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تجفيف الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز ان يورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي واذا علمت ان القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة العزيزية ضعيفة وذلك انما يكون الحرارة العزيزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة العزيزية وانما يحصل هذا القدر اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فتعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم وهذا ختام الابحاث بقولنا ان الله على كل شيء قدير بعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما الطبيعة فجاهلة عاجزة فلا تشارك بنسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجعل لها قسيما لواجب الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى والطبائع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط والآلات لما فوقها من المبادئ والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد ثبت بالبراهين الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية لان القوة الغاذية اذا كانت بقدر الغذاء الذي يتحلل فيحتاج الى تقدير العلم القادر المدبر والا لتحللت الاجزاء الاصلية ولو فرضنا انها لا تتحلل فالحاجة الى تقدير القوة الغاذية اظهر لان الاجزاء المتحللة قليلة والاجزاء الباقية كثيرة ولكن يوجد اهل الشقاء الى اجلهم وانتفاء صفات النفس بصفات القلب الروح في جنة واوانها ويوجد اهل الشقاء الى اوان العكس من ذلك ويجعلون رزقهم ما يكذبون اي بما ماوى الله باعمال كاذبة يكذبون ان بعاملهم بها غيرهم ويقول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة ملء بيان القرآن فاحيا بها ارض قلوب الامم بكم بعد موتها باختلافهم على انبيائهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الاطعام الرباني سائغا للشاربين جاء الاهل هذا الشراب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا وهو ما يجعل منها شراب النفس فسكر النفس فارة تميل عن الحق والصراط المستقيم مبلدان السكران وفارة تظهر دعوانها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة والوان الحسن ما يكون منه شراب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شيئا فشيئا فانفد الشراب وما رويت واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر ان اتخذي من الجبال بيوتا اي الاعتزال عن الخلق والتبتل الى الله كان رسول الله صلعم يتحنث في غار حرا اسبوعا واسبوعين وشهرا ولا بد ان ينتظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا نظير قوله كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والاطلاع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها اغذية لنحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك السبل الى الله الى المقعد الصدق عند مليك مقتدر فيكون غذاؤها مكاشفة الحق ومشاهدته فتنبعث عند ذلك بها طعما وبيضها الحكم يخرج من بطونها شراب الحكم والمواعظ مختلف الالوان من العلوم والاسرار والدقائق والحقائق وفيه شفاء للقلوب الناسية الفاسية عن ذكر الله خلقكم ثم يتوفيكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد علم شيئا بعلم يزيل علمه شيئا كما هو الله اعلم بالصواب

وَاللّٰهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلٰى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلٰى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ
وخدا افزونی داد شمارا بر خور در روزی پس نیستند آنانکه افزونی داده شدند برگردانندگان روزی خود را بآنچه مالک شده‌اند دستهای ایشان پس ایشان در آن برابر
أَفَبِنِعْمَةِ اللّٰهِ يَجْحَدُونَ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
پس بنعمت خدا انکار میکنند وخدا کرد برای شما از خودهای شما جفتها و کرد برای شما از جفتهای شما پسرها ونوادگان و روزی داد شما
مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا
از پاکیزه‌ها آیا بدروغ میگروند وبنعمت خدا ایشان کافران میشوند ومیپرستند از غیر خدا
مِنَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلّٰهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ضَرَبَ اللّٰهُ
از آسمان وزمین چیزرا ونوانی ندارند پس مزنید برای خدا مثلها را بدرستیکه خدا میداند وشما نمیدانید خدا
مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ
مثل بنده دوم خریدی که قادر نیست بر چیز وکیکه روزی دادیم از خود روزی خوبی پس او انفاق میکند از او پنهان وآشکارا آیا یکسان میشوند
الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلٰى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلٰى
ستایش مر خدارا بلکه بیشتر ایشان نمیدانند وزد خدا مثل مردی گنگ است که قادر نیست بر چیز واو گران بار
مَوْلٰيهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلِلّٰهِ
صاحبش هر کجا که متوجه میکرداندش نمی‌آرد خیری یا نمیآید او وکسیکه میفرماید بعدالت واو راست بر راه راست ومر خدارا
غَيْبُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللّٰهُ
نهانی آسمانها وزمین وچیست فرمان قیامت مگر چون نظر انداختن چشم یا آن نزدیکتر بدرستیکه خدا بر هر چیز توانا است وخدا
أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ
بیرون آورد شما را از بطون مادرانتان که نمیدانستید چیزرا وگردانید برای شما گوش ودیدها ودلها باشد که شکر کنید
أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللّٰهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللّٰهُ جَعَلَ
آیا ندیدند بسوی پرندگان رام شده در میان آسمان نگاه میدارد ایشانرا مگر خدا بدرستیکه در اینها هر آینه آیتهاست برای گروهی که ایمان میآورند وخدا گردانید
لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ
برای شما از خانهای شما آرامگاه وگردانید برای شما از پوستهای شتران خانه‌ها که سبک میابید آنرا روز کوچ شما ودر روز ماندن شما از
أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلٰى حِينٍ وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ
پشمهای آنها وکرکهای شان پوشش وفرش ومایه بهره‌مندی تا هنگامی وخدا گردانید برای شما از آنچه آفرید سایه‌ها و
جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ
گردانید برای شما از کوهها خانهای پنهان شدن گردانید برای شما پیراهنها که نگاهدارد شما را از گرما وپیراهنها که نگاهدارد شما را از آسیب شما همچنین تمام میکند نعمت خود
عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللّٰهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ
بر شما باشد که شما منقاد شوید پس اگر روگردانند پس نیست بر تو مگر رسانیدن آشکار میشناسند نعمت خدا را پس انکار میکنند وبیشترشان کافرانند

القراءة بتجدون بناء الخطاب أبو بكر وحماد والأخوان على الغيبة من بطون أمهاتكم ونحوها بكسر الظاء وفتح الميم على أمهاتكم بكسرها حمزة البافون بضم الظاء وفتح الميم الأخوان على الخطاب عاصم وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر البافون بفتحها الوقوف ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ه من الطيبات ط يكفرون ه للعطف لا يستطيعون ه لابتداء النهي مع فاء التعقيب الأمثال ط لا يعلمون وجهل ط يستوون ط الحمد لله ط كلا بل للاعراض عن الأول لا يعلمون ه مولاه لان الجملة بعده صفة احدهما بخير ط لا للوقف الى مستقيم لاتحاد الكلام والأرض ما أقرب فديره شيئا للعطف لا تفقه لا تشعلق لعلكم تشكرون ه التمام للفصل بين الاستخبار والاخبار لا الله يؤمنون ه افانكم لا للوقوع جعل على اثاثا الى حين باسكم ط تسلمون المبين ه الكافرون ه التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار مراتب العلم اراد ان يذكر طرفا من أحواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام الأزلي بكن الغافل وغى البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والتعزز والتسفل وغير ذلك فقرب ملك بقاد الجناب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها وربما اخضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شئ منها وبمانزى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملاء بطنه طعاما والمفترش ذلك الاهتر قولان احدهما ان المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي بعضهم مماليك وليس المالك والمملوك في العبد والحر الا في الرزق فالعبد والحر

هو الله فلا تضربوا لله الامثال المفضلون انتم ترزقون مما ملكتم من عندهم شيئا من الرزق فما لذلك رزقناهم حتى يشركوا معنا في رزقنا اياهم وقيل معناه ان المراد الرد على من اتخذ لله شريكا كالصنم او كعيسى فضرب له مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت عليكم ولا ترزقون رزقكم عليهم حتى تساووا فيه المطعم والملبس فالفاء في قوله فانتم فيه سواء للتعليل والمعنى لا ترضون لانفسكم ان يكون عبيدكم معكم سواء في الرزق فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء عن ابي ذر رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلعم يقول العبيد اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رأيت عبدا بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره من غير فتاوت أفبنعمة الله وهي ارزاقه جعلها موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون ام جعل عدم التسوية بينهم وبين عبيدهم من جملة ما يجحدون والتعدد وجعل اعنفاد اهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود معنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال ابو عبيدة وابو حاتم قراءة العبيد وهي الكبرى اولى لقرب المجرور عنه ولانه لو كان خطابا لكافرهم لكانوا يخاطبون بجحد نعمة البتة الحالة الاخرى من احوال الانسان فواعم طوله والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا ليكون الانس بها اتم ولاريب ان تخليق الذكور والاناث مستندا الى قدرة الله وتكوينه والطبيعتون فذيذكورون له وجها قالوا ان المتى اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر تم انصبابه الى الجانب الايمن من الرحم كان المولود ذكرا ما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان المولود انثى ما في الانوثة واذا انصب اليمنى الى الايسر كان ذكرا في الطبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الوازي هذه العلة ضعيفة فقد رايت في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة والقائل ان يقول الكلام في المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الاخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل اراد بها في الاية الاختان على البنات وقيل الاولاد ولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم الجامعون بين الامرين النبوة والخدمة وقيل الاول دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم بالمطعوم الطيب لان لذة المنكوح لا تهناه الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او بعد الفراغ من تحصيل اسبابها او ورد على البعيض لان لذة كل الطيبات لا يكون الا في الجنة ثم ختم الاية بقوله افبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعم الله ما احدث في الايات الشاهدة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله هم يكفرون وفي اخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الايات استمرت على الغيبة فلم يجز الخروج الى زيادة ضمير الغائب واما الاية فقد سبق مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب لئلا يلتبس بالخطاب واما حذف بعض الايات الدالة على الاقرار بالتوحيد انكر بعض اهل الشرك عليهم قائلا ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا في اجاز الله ان كان بمعنى المصدر بضعف شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اريد المرزوق كان شيئا كان بدلا منه بعني قليلا او يكون تاكيدا لا يملك شيئا من الملك من السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفتان ان كان اسما لما يرزق اما الضمير في ولا يستطيعون فعائد الى ما بعد من قبل لا يملك على اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام العقلاء والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا فقد يكون موصوفا باستطاعة ان يتملك بطريق من الطرق فبين تعالى انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء مبصرون فكيف بالجماد الذي لا حس له فالا تضربوا لله الامثال اي لا تخالفوه فان ضارب المثل مشبه الا بجهال وقصته بقصته وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان لله العالم اجل من ان يعبد من دون واحد منا فكانوا يتوسلون الى الاصنام والكواكب كما ان اصاغر الناس يتخذون اكابر حضرة الملك دلالا لانهم اكابر يخدمون الملك فنهوا عن غير الحقيقة والاخلاص وعلل النهي بقوله ان الله يعلم ما عليكم من العقاب في ان تشركوا وانتم لا تعلمون ما في عبادتهم من العذاب وقيل ان الفيلسوف الذي توهموه لئن يصح والنصوص يجب تقديمها على ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا ثم ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا لا حر افان جميع الناس عبيد الله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شيء يخرج العبد المأذون والمكاتب فانهما يقدران على التصرف احتج الفقهاء بالاية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب وصف مناسب دال على ان العبد بهذا وجد فيه علة للذل والمهانة وعدم القدرة فتثبت العموم وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وايضا قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للفقير الا ما هذا الوصف فلو ملك العبد شيئا ما صدق عليه ان الله قد اتاه الرزق الحسن فلم يثبت الامتياز والاكثرون على ان عدم اقتدار العبد مخصوص بما يتعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر من قوله ومن رزقناه موصوفة كانه قيل وحر رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه اراد الاخير والمفسر في مضرب المثل اقوال فالاكثرون على انه اراد اناسا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وفرضنا كم حرا غنيا كثير المال رزقناه رزقا حسنا فهو يعمل منه انفاقا سرا وجهرا فهيهات ان يعتقد عاقل انه يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله القادر على الرزق والافضال وبين الاصنام التي لا يملك ولا يقدر البتة وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والاخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله

(النحل)

والتفقه على خلق الله والغرض انهما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف كما لا اول فما ورد هذا الانسان فكيف يجوز الحكم بان الاول مساو لرب العالمين الحمد لله بن عباس اراد الحمد لله على ما فعل بادلياء انعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شيء من الحمد للاصنام لانه لا نعمة لها على احد بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد لله وقيل اراد قل الحمد لله يا محمد الخطاب اقاما للرسول صلى الله عليه وسلم مقام امته لانه رزقه الله رزقا حسنا وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبيد الذين لا يصلح فيما ذكر مثلا لما بطا بالغرض كما شفا عن المقصود قال الحمد لله اي على قوته هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل ضررها الى من يعبدها اعظم المضار اما تفسير الالفاظ فالابكم الذي لم يولد اخرس والمخدوم بكما وبكما مرة قبل هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصل من الغلظ الذي هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت فلم يقدر على الكلام فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه اي ثقل عيالا على من يلي امره وبقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يأتي بخير لم يجئ في مطلبه والتوجيه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي هو والموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم عبر صرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الامر بالعدل يجب ان يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور قادرا حتى يتأتى منه الاتيان بالخير والامر وكلا الوصفين ينافض كونه ابكم لا يقدر فقال مجاهد هذا مثل لا له الخلق وما يدعى من دونه اما الاصنام فلا تقدر على شيء وهو كل على عابده لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اي مهم يوجه الصنم لا يأتي بخير واما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الآية في رجلين من بني مخزوم هشام بن عمرو هو الذي ينفق ما يسر وجهر وهو لاء ابو الحوار الذي كان ينهاه عنه وهذا لا يتوافق في سبب نزول الآية فقد ذكر في عثمان بن عفان مولاه والاصح ان المقصود من الآية كل عبد موصوف بالصفات المذكورة ومن الاولى الثانية كل رجل جاهل عاجز كل من هو بضد ذلك من كونه شامل العلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض اي يختص به علم ما غاب عن العباد فهما اوارد بغيبهما يوم القيمة لان علم غائب عن غير الله وبه يتبين هذا التفسير قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان ينقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان بل للتخيير فلذلك قال وهو اقرب وليس هذا من قبيل الالغاز وانما هو كلام في غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة منتاهية ومنتهاة الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي وقيل معنى امر الساعة ان امانة الاحياء الاموات كلام يكون في اقرب وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم زاد في التأكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية نزاهته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا قال جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسوى بكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا لآيات لازالة الجهل الذي ولد عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر النعم وعبادة المنعم بطوقه والترقي الى ما يسعدكم والاشدة في فؤاد كالاعزة في اعزاب هو من جموع القلة التي يستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها واعلم ان جمهور الحكماء زعموا ان الانسان في مبدأ فطرته خال عن المعارف العلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر الفؤاد وسائر القوى المدركة حتى اذا تمت في حياله بسبب كثرة ورود المحسوسات عليه حفائق تلك المعيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان بمجرد حضور تلك الحقائق ان كانت في جزم الذهن بثبوت بعضها لبعض او انتفاء بعضها عن بعض تلك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل كانت موقوفة على علوم سابقة عليها ولا محالة ينتهي الى البديهيات قطعا للدور والتسلسل فهي علوم كسبية وظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو ان الله اعطى الحواس والقوى المدركة والمصورة الجزئية وعند ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة وهي التي ينبغي ان يسمى بالبديهيات وانما الابد ظهر اثارها عليها عند انفصالها الجبين من الام لضعف البدن واشتغالها بتدبيره حتى اذا قوي وتهيأ ظهرت اثارها شيئا فشيئا وقد برهنا على هذه المعاني في كتبنا الحكمية فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر انه تعلم شيئا من العلوم التي توقف على الحواس الظاهرة والباطنة بكسب العلوم الموقوفة على الخلق ومعنى لعلكم تشكرون اراد ان تصرفوا كل آلة فيما خلقت له جلة وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على اخرج ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من البطون قد مر في اول البقرة تفسير ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم يرد حد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا اخر على كمال قدرته فقال ألم يروا الى الطير مسخرات معه تلك للطيران بما خلق لها من الاجنحة وسائر الاسباب الموانية لذلك كرفة قوام الهواء والهامة من بسط الجناح وقبضه بعمل الله في الملكوت جو السماء اي في الجو المتباعد من الارض في سمت العلو وهو ضد عيف كلامه والا وما يمسكهن الا الله بقدرته او باعطاء الآلات التي لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة احوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا هي القباب والابنية من الادم والاظاع لتستخفونها اي تعدونها خفيفة الحمل في الضرب والنقل يوم ظعنكم اي وقت ارتحالكم و

شعر يوم الظعن والاقامة

الجزء الرابع عشر

والظعن بفتح العين وسكونها سير اهل البادية للجعة ثم استعمل في كل شخوص لسفر وقوله ويوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها وثقلها من مكان ويمكن ان يكون اليوم على حقيقته اي يوم ترجعون خف عليكم حملها وثقلها ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لا يثقل عليكم ضربها ومن اصوافها وهي الصنان او بارها وهي للمعز اثاثا وهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال ابو عبيدة الاثاث المال جمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة قال ابن عباس الاثاث الطنافس والبسط والبارد كسوة وقال الخليل اصله من اث البناء والشعر يئث اذا كثر قيل انه عطف قوله ومتاعا على اثاثا فوجب ان يغايرا فالفرق وجيه لان الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمل من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش في المنازل وبه قلل لا يبعد ان يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه اثاثا او كونه متاعا ينتفع به الى حين اي الى ان تقضي اوطاركونه اولى ان يتلى بتقضي الى الموت والى القيامة ثم ان المسافر قد لا يكون له خباء وانبيته ليتظلل بها الفقير او العارض اخر فيحتاج الى ان يستظل بشجر او جدار او غمام ونحوها فلذلك قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا او قد يحتاج المسافر الى حصن يأوي اليه من عدو او لص او ما يدفع عن نفسه فان الحر والبرد وسائر المكاره وكذا المفهم فلذلك من قوله وجعل لكم من الجبال اكنانا هي جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة في الجبال وكالغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهي القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر اهم عندهم لغلبة الحر في بلادهم على ان ذكر احد الضدين يغني في الاغلب عن ذكر الاخر لتلازمهما في الخطور بالبال غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشتمل الزغبي والكتف والساذج والمحشو من الثياب وسرابيل تقيكم باسكم كالدرع والجوشن كذلك يتم نعمته اي مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وانعم بها وانعم عليكم فاته يتم نعم الدين والدنيا لعلكم تسلمون قال ابن عباس تعلمون يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعام سواه وعنه اتم قرأ بفتح التاء والام من التسليم اي يسلم قلوبكم من الشرك او تسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرك فانما عليك البلاغ المبين وليس البلاغ الحد الذي ثم ذكرهم بانهم يعرفون نعمة الله التي عددناها حيث يقرون بها وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادة غيره من انعم بها وبقولهم هي لله ولكنها بشفاعة الهتنا ومعنى ثم بعيد دبته الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من اباننا او وصل الينا بتبني فلان او انهم لا يستعملونها في جانب ضوان الله وقيل يعرفون نبوة محمد ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال واكثرهم الكافرون لانه استعمل الاكثر مقام الكل او اراد البالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين او اراد كفر الجحود ولم يكن كفرهم كذلك بل كان فيهم من كفر للجهل بصدق الرسول والباقي لم يقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفرقون قلت يحتمل ان يراد بالكافرين المصرون الثابتون على كفرهم وقد علم الله ان في مطلق الكفر من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى اعلم التأويل فضل الارواح على القلوب في رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والزوال الى البقاء وفضل القلوب على النفوس في رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل النفوس على الابدان في رزق التزكية والتخلية وفضل ابدان المؤمنين على ابدان الكافرين بحمل اعباء الشريعة فالارواح تزاد رزقها على القلوب والقلوب على النفوس والنفوس على الابدان افبنعمة الله التي انعم بها عليك اولياءه تجحدون يا منكري هذا الحديث والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعني ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من ازواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهم النفوس انبا لباطل وهو الزخارف الوساوس تؤمنون بنعمة الله التي انعم بها على ارباب القلوب بكفرون وبعبدون من دون الله كالدنيا والهوى والايمان لهم رزقا من سموات القلوب وارض النفوس شيئا من الكمالات التي اودع الله فيهن ولا يستطيعون منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تريدوا ان تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى والدنيا ومن رزقنا ولا يتكاسله يتصرف بها في بواطن المستعدين وظواهرهم بل اكثرهم لا يعلمون اولياء الله لا تهم تحت قباب الله لا تهم بحر احدهما ايكم هو النفس الحيوانية التي لا يقدر على شيء من العلم والعقل والايمان وهو تغل على مولى الروح المسمى بالنفس الناطقة لا بات بحر لا نقاما دة بالشيطان وجنوده عجبت سموات الارواح والارض النفوس لا يقف على خاصيتها غيره ولو وكل كلا منهما الى طبعه لم يرجع الى ربها ورجوعها بكون بالاماتة والاحياء وبيانها عن اوصافها وبحيها بصفاته وهو المراد بالمساعدة لان الاماتة تجلي صفات الجلال والاحياء تجلي صفات الجمال واذا تجلى الله عبدا لم يبق له من زمان ولا مكان فلذلك قال او هو اقرب وح يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا من امور الدنيا والاخرة ولا مما كانت الارواح تعلمه في عالم الارواح ولا مما كانت تعلم ذراتكم من فهم خطاب الست بربكم وجواب بلى وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كما للحيوانات ولارواحكم كما للملائكة ولاسراركم سمعا يسمع به من الله ويبصر به من الله ونورا يعرف به الله وبوجاد ونور والله اخرجكم من العدم وهو الام الحقيقي لا تعلمون شيئا قبل ان يعلمكم الله سبحانه اسماء كل شيء فتجلى لكم بربوبيته فنور سمعه اعطاكم سمعا تسمعون به خطاب الست بربكم ونور بصره اعطاكم بصرا تبصرون به جمال ونور عقله اعطاكم فؤادا تعرفون به كماله ونور كلامه اعطاكم لسانا تجيبون به فولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تستعملون هذا السمع الا كما امرتم ولا تبصرون بهذا البصر الا بما له ولا تخبرون بهذا الفؤاد الا اذا تم ولا تكلمون بهذا الكلام الا معدا لما يرد الى الطير الارواح من سخائر ما تجد سماء القلوب مما تكمن في سفل الاجسام الا الله بحكمته فلذلك قال والله جعل

النحل

لكم من جلود الانعام التي هي احسار لتركبوها اثاثا تستخفون احداثها وهي النفوس الحيوانية وقواها وقت السير الى الله والتقرب
للاسترواح والترييد ومن اصوافها الصفات الحيوانية والحواس والقوى اثاثا الآلات للتمتع ومتاعا ينتفع بها الى حين الوصول الوصال والله
جعل لكم مما خلق ظلا الا وجعل عالم الخلق ظل عالم الامر ينبسط ايها الارواح به عند طلوع شمس التجلي والا لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره
وجعل لكم من جبال القلوب اكنانا بكن به الارواح وجعل لكم سرابيل من الصفات البشرية تقيكم حر نار المجد وسرابيل من الصفات الروحانية
من بها الوسارس الهوى اذلك يحفظكم من الافات وبرئكم بالكرامات حتى يتم نعمة الوصول عليكم وتسلموا من قطع الطريق بهم فوز نعمة الله بتعريفك وكثرهم
بلد بنعمة الله اظهارا لله فهم والله اعلم ويوم نبعث من كل امة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون

الكافرون

وروز يكه برانگيزيم از هر امتي ش بدهد پس داده نشود نا نكه كافرشدند ونه ايشان طلب خوشنودي كرده شوند

واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا
وچون بينند نا آنكه ستم كردند عذاب را پس سبك كرده نشود از ايشان وچون مهلت داده نشوند وچون بينند نا آنكه شركت آورده اند انبازان خود را گويند
ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون وألقوا إلى الله
پروردگارا اينان شريكان مااند كه بجاي تو مي خوانديم از غير تو پس بيندازند بايشان گفتار را بدرستيكه شما دروغ گوئيد وبيندازند بخدا
يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب
آن روز صلح را وگم شود از ايشان آنچه بودند كه افترا ميكردند نا آنكه كافر شدند وباز داشتند ازراه خدا افزوديم ايشان را عذاب بر بالاي عذاب
بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء
بسبب آنكه بودند كه فساد ميكردند وروز يكه برانگيزيم در هر امتي شاهدي برايشان از خودشان واورا بيارم ترا شاهد برآنكسان
ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين إن الله يأمر بالعدل
وفرستاديم بر تو كتاب را بيان كننده همه چيز وراه نمودني ورحمتي وبشارتي مسلمانان را بدرستيكه خدا ميفرمايد بعدالت
والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله
ونيكوكاري ودادن بصاحب قرابت وباز ميدارد از زشتي وناپسند وظلم پند ميدهد مرشما را باشد كه شما پند گيريد ووفا كنيد بعهد خدا
إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون
چون عهد كرديد وشكنيد سوگندها را بعد از استوار كردن وبگيريد كرديد خدا را بر خود گواه بدرستيكه خدا ميداند آنچه ميكنيد
ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هي أربى
وميباشيد چون زني كه گرداند رشته اش را از بعد محكم تابيدن پاره پاره ميكند سوگندهاي خود را ميان خود بسبب آنكه باشد گروهي
من أمة إنما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة
افزون تر از گروهي بدرستيكه ميآزمايد شما را خدا بآن وهرآينه بيان كند براي شما روز قيامت آنچه بوديد در آن اختلاف ميكرديد واگر خواسته خدا هرآينه گردانيده بوديد شما را امت واحد
ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد
وليكن گمراه ميكند هر كه را خواهد وهدايت ميكند هر كه را خواهد هرآينه پرسيده ميشويد از آنچه بوديد ميكرديد وفرا مگيريد سوگندهاي خود را ميان خود پس بلغزد قدم
ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا
بعد از ثابت بودنش وبچشيد بدي را بآنكه باز داشتيد ازراه خدا واز براي شما عذابيست بزرگ وعوض مگيريد بپيمان خدا بهاي اندك
إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا
بدرستيكه آنچه نزد خداست آن بهتر شما را اگر باشيد كه بدانيد آنچه نزد شماست بسر ميرود وآنچه نزد خداست باقي ميماند والبته جزا دهيم صابران را
أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم
مزدشان بهتر از آنچه بودند كه ميكردند هر كه كار نيكو كند از مرد يا زن واو
ما كانوا يعملون فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا
مؤمن باشد پس هرآينه زنده گردانيم او را زندگاني پاكيزه وهرآينه جزا دهيم ايشان را مزدشان بهتر از آنچه بودند كه ميكردند پس چون بخواني قرآن را
وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون
پناه جو بخدا از شيطان رانده شده بدرستيكه نيست او را تسلطي برآنكسان كه دوست ميدارند او را وبپروردگار خود شان توكل ميكنند
وعباس والبقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالياء قرأت القرآن شل الشانا الوقوف يستعتبون ه ولا هم ينظرون ه من دونك ه لاختلاف
الجملتين مع الفاء لكاذبون ه للعطف مع اتراس يفترون ه يفسدون ه على هؤلاء الواو الاستيناف للمسلمين والبغي ه لاحتمال ما بعد

الجزء الرابع عشر

الحال والاستيناف تذكرون ٭ كهيئة ٭ تفعلون ٭ انكاتا بنا على ان التقدير لتختلفون من اتخطبة ٭ يختلفون ٭ وهكذا من بناء ٭ يعلمون عن سبيل الله لانطباع النظم مع افضال المعنى عظيم فليلا ما يعلمون ٭ ما في يعلمون ٭ طيبة ٭ للعدول عن الوحدان الى الجمع مع انها ضمير امن يعلمون او لانهم هو كاذبون مفترون ٭ التفسير لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبع اصناف وعيد يوم القيمة والتقدير واذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا او يوم وقوعها وقوعها ٭ شهيدهم ٭ وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا اي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر او في كثرة الكلام او في الرجوع الى دار الدنيا او الى التكليف لظهور امرهم وكونهم ايسين من رحمة الله تعالى او المراد ان يسكت اهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود ولا هم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب فلهذا قيل شعر اذا ذهب العتاب فليس ود ٭ ويبقى الود ما بقي العتاب ٭ وقال في الكشاف اي لا يقبل لهم اعتذار ولا هم يسترضون لان الاخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم ان المنع من الكلام اصعب شهادة الانبياء عليهم واذا رأى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب لعينهم ثقل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ليتوبوا فان التوبة هناك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن النفع دائما كما يقول المتكلمون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم وهي الاصنام او الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم في النار قال الحسن فتوا رتبا هو لاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك من عبدهم من دونك قال ابو مسلم الاصح انهم مقصوا المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص منهم منه وزيف القاضي بان الكفار يعلمون في الاخرة على اضرورة بان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة في هذا القول والانصاف ان الغرض تبعيق بكل ما يمكن فيه قول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضروري الذي ادعاه القاضي ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انهم كانوا عبدوها واعترفوا بانهم كانوا مخطئين في عبادتها فالقوا اليهم القول اي قال الاصنام او الشياطين للكفار انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين ما شاروا الى الاصنام ان هو لاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك وقد كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هو لاء شركاؤنا هو لاء شركاء الله ٢ المعبود بحق فكذبتهم الاصنام في اثبات هذه الشركة وفي قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يلوبوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبي استسلم العابد والمعبود وافردا لله بالربوبية وبالالهية ٭ اشركاء من الشركا ٭ والانداد وقال اخرون الضمير الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء ٢ الذين وصل الى غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان شركاء الله او ان الاصنام تشفع لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاشهر العموم وزدناهم عذابا لاجل الاضلال فوق العذاب الذي استحقوه للضلال وايضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ومن عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي حية انهار من نار تسيل من تحت العرش بعدد بون بها ثلثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت في عقارب شباه البغال انيابها كالنخل الطوال تلسع احدهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيدرون من شدة برده الى النار من علل بانه عذب بكفرهم مفسدة امور الناس بالقتل والاضلال فيعلم منه ان من قتل الذين القوم بالهدى واللسان فانه يزيده الله تعالى اجرا على اجر اعادة حكاية بعث الشهداء لما ينطبق بها من بادئة فائدتين احديهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبي فهو من جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون شاهدا في الامة لا مفارقا اياها وفسر الاكثر الشهيد في هذه الاية بانه تعالى يبعث في كل عصر من اعصار الانسان حتى يشهد عليه وهم الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد اللسان وهذا ذكر لفظ الجمع ووصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلعم بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء اي على امتك ولا ريب في تخصيصه بعد التعميم لانه على فضل نظره قولي في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الاية انه لا بد في كل عصر من اقوام يقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول لا نسلم ان في الاية ما يدل على ان الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى اخر زمان دعوته فيكون بعث تلك الامة وحده شهيدا عليهم ولا دلالة للاية على هذا القدر فمن اين حصل لك ان اجماع اهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين ان الله تعالى راجع عليهم فيما كلفوا فيه فالحجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اي بيانا له والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء والتبيان غير هما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء اتما كان القرآن تبيانا جميع الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها مستندة الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وورد فيه من يتبع غير سبيل المؤمنين وجماعة اعتبروا وقال اخرون ان علم اصول الدين كلها في القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن وان بين جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل البيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في اقوالهم والرحمة في سطلهو هو دعوة العمر بعد الاسلام والبشرى في الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله ثم قالوا وابشروا والله اعلم بمراده ولما ذكر ان في القرآن تبيان كل شيء ذكر في تفسيره جامعة لاصول التكاليف كلها فقال ان الله يأمر الاية عن ابن عباس ان عثمان

ابن مظعون الجمحي فقال ما اسلمت الا لان رسول الله صلعم لم ينكر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثنا اذ رأيت بصره شخص الى السماء ثم خفض عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسئلته فقال بينا انا احدثك اذ جبرئيل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد قال الله تعالى بالعدل الاية فقال عثمان فمن ثمة استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلعم وعن ابن مسعود هي اجمع اية في القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل به ويستحسن الا امر الله تعالى به في هذه الاية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو اداء الفرايض وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات عرفا وعرفها صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى والفحشاء هي الامور والمتزايدة في القبح فلذلك افردها بالذكر وهي الكبائر وقد يخص بالزنا او بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة والبغي الاستطالة قال جار الله حبس اسقط من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي عليه السلام وعلى بنيه الصلوة والسلام انتهت هذه الاية مقاما واعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط واتر واجب اوعاية في جميع الاشياء ولهذا قد اشتمل اما على الاعتقادات فالقول بنفي الاله يعطل محض واثبات اكثر من اله واحد يشرك وتعجز العدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه ارباب المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات الكمال من الحي والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرها وبوجه اخر نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات ازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا جبر محض والقول بانه مستقل في التصرف قدر محض ونفي بعض العدل امرين بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وايضا القول بان الله تعالى لا يؤاخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار عبده العارف به المعصية الواحدة شديد عظيم العدل انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلي يقول العدل في هذه الاصول نوع اخر وقد مر ذلك واما عاية العدل فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان ان يجتنب عن كل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع اليه حتى النزوج والاولى للمرء ان يختص بهذا الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلعم لان التشديد غالبا في دين موسى فليس شرعه على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل الا القصاص ولا يحرم وطي الحائض والعدل ما حكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية ووجوب وطي الحايض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلعم في العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولما اخذ قوم في المساهلة نزل افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد بعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الحث بانه قال بعض العقلاء والحكمة بيدان راس ذلك العضو جسيم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي راس عار بارز يصلب بكثرة ملاقاة الثياب غيرها فيضعف حسه ويقل شعوره بقبل لذة الوقاع فيقل ارعبته فيه فالاختصاء وقطع الالات كما ذهب اليه المانوية مذموم وايضا تلك الجلدة مبالغة في تقوية تلك اللذة مذمومة والوسط العدل هو الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الخشفة والا فعلل اللذة بعد الختان اكثر لملاقاة الحاس المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قوام السموات والارضون ومعناه ان مفاد هذه العناصر لو لم يكن معادلة مكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب بتفاعل الطبايع كلها الى الطبيعة الجرم الغالب لو كان بعد الشمس من الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان اكثر استولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب مراتب سرعتها وابطائها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وقوامه وفي هذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في اداء الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص في اداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى نفسه بالحقيقة يدخل في الاحسان انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلاجرم افرد بالذكر كما مر ثم انه تعالى اودع في النفس البشرية قوى اربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه الاخيرة لا يحتاج الى التهذيب لانها من نتايج الارواح القدسية واما الثلاث الاول فيحتاج الى التاديب والتهذيب بمقتضى الشريعة والطريقة والعقل والتهذيب والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الحاصلة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط الحاصل في اثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير ما استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس اهلا لذلك واخص هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية واوسطها الغضبية واعلاها الوهمية فلهذا بدا سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان اصول الاخلاق الذميمة كلها مذكورة في الاية لا جرم ختمها بقوله يعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية في باب الموعظة والمذكور والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة قال الكعبي في الاية دلالة على ان الله تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم ويعرض لهم العلم والداعي كما مر والجواب ان الاية

هذا ما قابل به عثمان الكعبي وغيره

من اراده الله تعالى بالعبد والنذر من فعل العبد ان يطلب الله به النذر وان طلب الله به النذر وسعه مجال اعني لعله كذا نذر اراده ان تكونوا على حالة النذر لا اراده ان تخصلوا النذر ثم تخص من جملة الما مورات الوفاء بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله بالبيعة لرسول الله ص لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه جميع ما فرض الله في الاموال من حق الشرايع وقيل هو اليمين والاصح العموم وهو كل عهد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه ان يكون قوله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اعني بعد توثيقها باسم الله تكرارا لما اكد وكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل الواو والهمزة بدل من الالف لان الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وايضا الالف من الحروف التي تدخلها التخصيص لما روي انه ص قال من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير ثم ليكفر وقد يحث الايمان في البقرة وفي المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا وقيل الكفيل مراعي لحال المكفول بر ان الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسبه ان خيرا فخير وان شرا فشر ترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وحرم النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة اي من بعد قوة الغزل بامرارها وفتلها قال الزجاج انتصب انكاثا على المصدر لان المعنى تنقض فتكثه وتفتله بان انكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما يقول كسوته ثوبا واطعمته رغيفا اي جعله قطاعا واجزاء كذا ههنا اي جعلت غزلها انكاثا قلت ويحتمل ان يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذا لابنة متصلة بما قبلها والتقدير اوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امراة غزلت غزلا واحكمته ثم جعلته انكاثا فعلى هذا المشبه امراة غير معينة ولا حاجة بنا الى التشبيه الى ان يكون المشبه به موجودا في الخارج وقيل المراد امراة معينة من قريش وبيعة بنت سعد بن تيم كانت خرقاء اتخذت معزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وهي الحديدة في راس المغزل وفلكة تعلق على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لا تتخذ اي لا تنقضوا ايمانكم متخذين دخلا بينكم اي مفسدة ودغلا وقال الواحدي اي خديعة وخيانة وقال الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقوله ان يكون اي كان يكون امة يعني جماعة قريش هي اربى اي ازيد عددا وافرعدد وما لامن امة هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء ثم يجدون من هو اعز منهم واشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز واسع منعا مما يبلوكم الله به اي بما امركم به ونهاكم وقد تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله ان يكون لانه في معنى المصدر اي بتخيركم بكونهم اربى لينظر اتستكون بحمل الوفاء مع قلة المؤمنين وفقرهم ام تغدرون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة الاسلام وانذرهم بقوله ليبينن لكم يوم القيمة باظهار الدرجات والكرامات للاولياء وبغير الدرجات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمومنون على الباطل فتنقضون عهدهم ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المومنين والكافرين على الوفاء وسائر ابواب الايمان ولكنه يحكم الا لهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء والمعتزلة حملوا المشية على مشية الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سوالهم عبثا اجاب الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل روى الواحدي ان اعرابيا قال يا رب خلقت الخلق فمنهم من شقي وتهدي من شئت فقال يا اعرابي اعرض عن هذا فاعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا والا محوت اسمك عن النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض طلوع الايمان اراد ان ينهاهم عن نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله ص والدليل على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا لا يليق بنقض عهد فيما اذا ما يليق بنقض عهد النبي ص قال جار الله وحد القدم ونكر لاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف اقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى الدركات الهاوية بدليل قوله وتذوقوا السوء الدنيا بما صددتم بصد كم غيركم عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدي به غيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الذي تذوقونه هو عذاب عظيم قال جار الله كان قوما اسلموا بمكة ثم رجعوا لظن الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن مثل ما كان بعدهم فريش من عرض الدنيا ان رضوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الاية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد وما عند الله باق من خزائن رحمته باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهلها لا ينقطع وقال جهم صفوان انه منقطع والاية حجة عليه ولنجزين الذين صبروا على ما امروه من شرائع الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها ولا عقاب على تركها ويجزيهم بجزاء اشرف واجل من اعمالهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم عم الوعد على اي عمل صالح كان فقال من عمل صالحا كائنا ما كان ولا كلام في عموم الا ان قوله من ذكر او انثى تاكيد وازالة لوهم التخصيص والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح منجيا للثواب حيث قال وهو مومن فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشيء يجب ان يغاير الشيء والحياة الطيبة قيل هي في الجنة عن الحسن سعادة جيرانه لان الانسان في الدنيا لا يخلو من مشقة وان تنعم ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك

النحل

كادح الى ربك كدحا فملاقيه بين ان هذا الكدح وهو التعب في العمل باق الى ان يصل الى ربه وانما بعد ذلك مخلوه بالموت وغيب بلا انقطاع وحجب بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السدي ان هذا الخطاب للكافرين على انهم في الدنيا فالفاء بعد ذلك للتعجيب بتهم اي ما احسن ما كانوا يعملون وعلى هذا فاطيب الحيوة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع الاكل الحلال وقيل القناعة او رزق يوم بيوم وكان النبي ﷺ يقول اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال المحققون وهذا هو المختار كان المؤمن الذي صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فعيشه من القنوع والعفة والرضا بالقضاء بطيب عيشه واما الكافر الفاجر فان الحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه ابدا ويعظم اسفه على ما يفوته لانه عاش الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما يهرع لحب الدنيا مالها وجاهها ويستوي عنده وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلوح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من اهلها ثم ان ظاهر الآية يقتضي ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فلنحيينه حياة طيبة يدل على ان العمل الخير مطلقا يفيد اثرا مطلقا فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التي هي من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال وإذا قرأت القرآن اي اردت قراءته اطلق الاسم المسبب على السبب وقد بحث الاستعاذة مستوفى في اول هذا الكتاب انه ليس له سلطان تسلط ولا يقدر على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن عباس اي يطيعونه وتوليته اياه اطاعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه اما الضمير الواحد في قوله والذين هم به مشركون فيقال راجع الى الرب وقيل الى الشيطان اي بسببه الثاني وهو يوم يبعث فيه اشارة الى ان ارواح الانبياء اشرف على امتهم في حال حيوتهم وبعد وفاتهم وفيه ان الدنيا مزرعة الاخرة فلا يقبل في القيمة اعتذار واذا اراد الذين ظلموا اي وضعوا الكفر واعمال الطبيعة موضع الايمان واعمال الشريعة فلا يخفف عن ارجلهم اثقال الاخلاق الدنية ولا هم ينظرون لينتبهوا من نومهم فيجدوها واذا رأى الذين اشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في ادعوائكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته وصد واعن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زينا لهم عذاب الحرمان عن الكمال فوق خسران النفس بانسداد الاستعداد الفطري وجنايك شهيدا لان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب لنفوس لقوله اول ما خلق الله روحي نبينا والكل شيء يهتدي الى الحق السالك في اثناء سلوكه ان الله يأمر بالعدل وهو وضع الاشياء باسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال والاحسان وهو ان تحسن الى الخلق بما اعطاك الله كقوله واحسن كما احسن الله اليك في قوله وابتغ فيما اتاك الله الدار الآخرة اشارة الى ان من جملة العدالة رعاية حال الاقرب فالاقرب بتكميل نفسه ثم بما هو اقرب اليه فرضا مكتوبا او ضروريا وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما اتاه الله شيء غير مصروف فيما هو المنكر وهو ضد المعروف وهو ان لا يحسن الى غيره والبغي وهو ان لا يراعي الترتيب المذكور في باب الارشاد والتكميل واوفوا بعهد الله يوم الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تنكثوا كالذي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد ان تكون امنيته في الدنيا على حال امثالهم اهل الاخرة ولا تتخذوا ايمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة نصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل اقدامكم عن صراط الطلب من ذكر اوانثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحيوة الطيبة للنفس ان تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي الى ربك وللقلب ان يصير قلبا عن انانيته باقيا بشهود الحق وجماله روح بطيب عن دنس الاثنينية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله ظاهرا وبالحقيقة لامته لانه مثل ان شيطانه اسلم على يده فلم يحج الى الاستعاذة من شيطانه بل هو خواص امته كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وفيه ان الشيطان ليس له تسلط على اولياء الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المؤمن فان ابرز اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بانبار الوسوسة لان المؤمن يطلع على بقايا صفات نفسه بما يكون الوسوسة من جنسه فيزيد في رياضته ومجاهدته الذكر حتى ينجي ذلك البقايا والله تعالى اعلم بالصواب

ع

وإذا بدلنا آية مكان آية والله اعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس

وچون بدل كنيم آيتي را بجاي آيه وخدا داناتر است بآنچه فرو فرستد گويند جز اين نيست كه تو دروغ بافته اي بلكه بيشتر ايشان نميدانند بگو فرو آورد اورا روح پاك

من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان

از پروردگار تو براستي تا ثابت كند كسانرا كه گرويدند راه نمودني است وبشارتي است مسلمانان ومي دانيم بدرستيكه ايشان ميگويند جز اين نيست كه مي آموزد اورا آدمي زبان

الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله

كسيكه كج ميكنند باو زبان عجمي است واين زبان عربي روشن بدرستيكه كسانيكه نميگروند بنشانهاي خدا

ولهم عذاب أليم إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون من كفر بالله من

راه نمي نمايد ايشانرا خدا وايشانراست عذابي دردناك جز اين نيست كه مي بندند دروغ را كسانيكه نميگروند بنشانهاي خدا وآنگروه ايشانند دروغگويان كسيكه كافر شد بخدا از

اى اخص ممن كفر وجوز بعضهم ان يكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليه غضب الا من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء المكره من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء قال ابن عباس نزلت فى عمار بن ياسر وذلك ان المشركين بمكة اخذوه واباه ياسرا وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت بين بعيرين وجئ قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل الرجال وفعلت وقتل زوجها اول قتيل فى الاسلام فاوتاد عمار فاتر اعطاهم ما اراد وابى ان يسلم انه مكره فاخبر رسول الله صلعم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم يبكى فجعل رسول الله صلعم يمسح عينيه وقال صلعم ان عادوا لك فعد لهم ما قلت فان الله قد انزل عذرك وامرهم ان يعذبوه بعد ذلك فنزلت هذه الآية وفيها دليل على ان حكم العمل بان الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وعدم الاكراه ان يعذبه بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل او الضرب الشديد وسائر الايلامات القوية واجمعوا على ان قلبه عند ذلك يجب ان يكون مطمئنا بالايمان غير راض بالكفر وان يقتصر على التعريض ما امكن مثل ان يقول انا محمد اكذب يعنى عند الكفار او يعنى به محمد الخزاعى او يكرره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا احتمله من اكرهه من احضار هذه النية اولا تتأتى خوفه زال عن قلبه كره هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقعا ولو ضحى المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير توريه وطلب منه ان يقول لا اريد بقلبى سوءا انكره بلسانى فهينا يتعين اما الكذب واما توريط النفس كذبا للعذاب فمن الناس من قال يباح لما الكذب ومنهم من قال ليس له ذلك واختاره القاضى لان الكذب انما يباح لكونه كذبا توجب ان يقبح على كل حال ولو خوج الكذب عن القبح لما عاينه بعض المصالح لم يمتنع ان يفعل الله الكذب لمصلحة ما فانا لا يثق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها ان يجب الفعل المكره عليه كما لو اكره على شرب الخمر واكل الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم اضرار بالغير ولا اهانة لحق الله ومنها ان يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو اكره على التلفظ بكلمة الكفر لما روى انه بلا لا صبر على العذاب وكان يقول احد احد حتى علوه وتركوه ولم يقبل رسول الله صلعم بذلك ولا فعلت بل عظموه وان فى ترك التقية والصبر على القتل او التعذيب اعزاز للاسلام ومنها ان لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكره على قتل انسان او على قطع عضو من اعضائه فيهما يبقى الفعل على الحرمة الاصلية ح لو قتل قال العلماء فلو كان احدهما لا يلزم القصاص وبه قال ابو حنيفة والشافعى فى احد قوليه لانه قتل عن نفسه فاشبه قتل المقابل ولانه كالة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وقابلهما وبه قال احمد والشافعى فى اصح قوليه ان عليه القصاص لانه قتله عمدا وانا لاستيفاء نفسه قصاصا كما لو قتل المضطر انسانا فاكله ومن الافعال ما لا يمكن الاكراه عليه كالوجوب الخوف الشديد وذلك يمنع من انشاء الاله فلو دخل الوقت فى اثنائه وعلم انه وقع بالاختيار لا بالاكراه والاصح ان الاكراه يتصور وان الحد يسقط وعن ابى حنيفة انه ان اكره السلطان لم يجب الحد وان اكره بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين فى قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على ان محل الايمان هو القلب فاما الاعتقاد ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز او اصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب للمبالغة وابنا الكلام على الابهام ثم التفسير فى قوله ذلك بانهم اى ذلك الارتداد بسبب انهم رجحوا الدنيا على الاخرة ولاجل انه تعالى ما هداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم حذف لان الله يكفرهم وهذا البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف فى تفسيرهما والمعتزلة قد مر ذكرها فى اول سورة البقرة وغيرها فلا حاجة الى الاعادة او لئك هم الغافلون اى الكاملون فى الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب لاجرمانهم فى الاخرة هم الخاسرون وقال فى اوايل سورة هود هم الاخسرون لان اولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا واضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الاخسرون وهؤلاء صدوا بانفسهم فهم الخاسرون ويمكن ان يقال ان ما قبل الفواصل فى تلك السورة لم يعتمد على الف قبلها مثل يبصرون يفترون وفى هذه السورة اعتمد على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء رجل فى كل سورة على ما ينبغى وما ذكر حال من اكره ثبعه حال من هاجر من بعد ما فتنوا قال جار الله معنى ثم ان ربك ثبات بعد حال هؤلاء من حال عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لا علم لهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل ان يكون خبر ان الجار متعلقا بالخبر على تنزيل التأخير وتكريره ان لطول الكلام من قرائن ما من بعدها فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهان فتن وافتتن بمعنى واحد والمراد ان اولئك لضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكانهم فتنوا انفسهم لان التحصن فى اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد واراد ان اكابر المشركين لئن اذنوا فقراء المسلمين لونا بواوهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء مبنيا للمفعول فالمراد ان المستضعفين المعذبين الذين حملهم الخوف على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر قال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا فى الرسول ثم اسلموا وهاجروا فنزلت الاية فهم فيعنى ثم بعد حالة الغفران والاتهام عن حالة الارتداد والشك امر الرسول الا انه سبحانه يكرههم بغفرانهم اذا تابوا وقيل نزلت فى عبد الله بن ابى سرح ارتد فلما كان يوم الفتح امر النبى صلعم بقتله فاستجار له عثمان فاجاره رسول الله صلعم ثم اقبل على اصحابه فقال اما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حين رانى كففت يدى عن بيعته فيقتله فقالوا ما ندرى ما فى نفسك الا اومأت الينا بعينك فقال انه لا ينبغى لنبى ان يكون له خائنة اعين فلما اسلم حسن اسلامه وهذه الواقعة انما تصح لو جعلنا الاية مدنية ومثله ما روى عن قتادة انها لما انزل الله ان اهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى يهاجروا كتب بها اهل المدينة الى اصحابهم من اهل مكة فلما جاءتهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم احسب الناس ان يتركوا

سورة النحل ١٦

ان يقولوا امتارهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فلما بعثوا بها اليهم ظنوا انهم قد رجوا فان لحق بهم المشركون من اهل مكة فاتلوهم حتى يتبعوا او يلحقوا بالله فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل هذه الآية الا بلغ الضمير في قوله من بعدها يرجع الى الانعال المذكورة من الهجرة والجهاد والصبر فالحاصل ان الآية اما نازلة فيمن عذب على دينه فارتد ومعذلك هاجروا وجاهدوا واما نازلة فيمن اظهر الكفر تقية فبين تعالى ان حاله اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به نحو عدو الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم يأتي كل نفس يوم القيامة وهو يوم تجادل فيه كل نفس عن نفسها لا يهمها شأن غيرها ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم هؤلاء اضلونا واما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم تزوير وتجنيز فرارا لا يخفى على ملك مقرب ولا نبي مرسل لا جشا لوكيته بقول بارب نفسي حتى ان ابرهيم الخليل ص يفعل ذلك ثم اوعد الكفار بافات الدنيا ايضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل ان يكون مقدرة ان يكون مفتدرة وان يكون معينة موجودة اما مكة او غيرها وذهب كثير من المفسرين الى انها مكة وقال الاقربون انها غيرها لان مثل مكة يكون غير مكة فضربها الله مثل المكة اندار من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلثة لبس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم بالاطمينان اشارة الى ان هواء تلك البلدة لا عدل له ملايم لكل من جاءها حتى اطمانوا واستقروا ولم يخرجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها رزقها رغدا من كل مكان لان كلا من الصفوف الكفاف لم يأتها رغدا فان الكفاف لا نعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كذرع وادرع او جمع نعم كبؤس وابؤس فان نعمة على فعلة طلبا للضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف وكذا اطلق الاكثرون ان جمع فعلة يجيء على افعل قبل انا ذكرنا جمع النعمة فيما بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعمة القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لاهل مكة كانوا في الامن والطمانينة والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد ص فكفروا بها وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عند هم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا الجيف والعظام المحرقة والقرد وكان النبي ص بعث اليهم السرايا فيعترضون عليهم فقال ابن راوندي قال ابن الاعرابي الاديب هل يدل قال لباس الجوع والخوف على ان محمدا كان نبيا فقال ابن الاعرابي لا باس بها فقيل له ان محمدا كان عربيا كافة طعن في الايذان المناسب هو ان لو قيل فكساها الله لباس الجوع او فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابي والذي اجاب به علماؤنا ان هذا من باب الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر لوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف جريا عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد سلف منا تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان التجريد ترجحا من حيث النظر الى جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعريف والاختبار فيقول انا ظرفا فاذوقك ما عندي شعرا ثم من بدائع الدنيا فاقي طعنها ؛ وسبقي اياها عند بها وعذابها ؛ فجعلت لباس الجوع والخوف على فلان تعرف ما ظهر عليه من الضمور وتغير اللون وتغير الحال وكسوف البال فجعل الاذاقة عبارة عما اثر لباس الجوع وقيل جعل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مماس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد شغلهم بالتجر عن المكتوب والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات اجريت على القرية الا قوله يصنعون فانه يعني اهلها ولما ذكر المثل ذكر الممثل فقال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم من انفسهم يعرفون نسبه وصدقه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون بالظلم قال ابن عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقبل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس رض والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم فانزكوا الكفر فكلوا امارزقكم الله من الغنايم فاكل الغنايم بعينها ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله ص حتى دعا لهم فاخصبوا زمانا فلما اصابوا الخصب كفروا فعابهم الله بذلك وو

وقوله متاع قال الزجاج اى متاعهم وعن ابن عباس اراد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيها هم عليه من اضال الجاهلية
اوان نعيم الدنيا كلها لو زال عنهم عما قريب لعقاب الدائم الابد ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعنى فى سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هناك ذلك جزيناهم
ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يضرهم من المتوب وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة فى موضع الحال اى عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متأملين فى وخامة عاقبة لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك السيئة والتوبة او الجهالة
ولما بالغ فى ابطال مذاهب المشركين وفى الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابرهيم ص رئيس الموحدين وقدوة الكل بالتنويه بذكره الله
تعالى فى اخر هذه السورة فقال ان ابرهيم كان امة اى هو وحده اقام من الامم لكماله بجميع صفات الخير وكيس لله يستكثر ان يجمع العالم فى واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه امة وكان رسول الله ص يقول فى زيد بن عمرو بن نفيل يبعث الله وحده
وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الاوفيه اربعة عشر يدفع بهم الله عن اهل الارض الا ان ابرهيم فانه وحده وقيل انه بمعنى ماموم اى يؤمه
الناس ليقتدوا منه افعال الخير وبمعنى مؤتم به كقوله انى جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب فيه خصلة
لمنه الامتياز عن سواهم فانيا لله قانتا بما امر الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا الى الاسلام مبلا لا يزول عنه وقال ابن عباس
المراد اتراول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى وقيل من المشركين قط لا فى الصغر ولا فى الكبر شاكرا لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن
النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى
الطعام فجعلوا له ان يهب جدا ما فقال الان وجبتم اكلكم شكرا لله على اتخاذى وابتلائكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى
صراط مستقيم اى ملة الاسلام واتيناه فى الدنيا حسنة عن قتاده هى ان الله حببه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل
قبول قول المصلى متاكما صليت على ابرهيم وانه فى الاخرة لمن الصالحين اعلى مقاما نهم من الجنة بخفيف الدال عاصم والخفية بالصالحين قال فى
الكشاف معنى ثم فى قوله ثم اوحينا اليك بعيد هذا النعت من بين سائر النعوت الى اثنى الله بها على ابرهيم لعلم ان اجل ما اوتى خليل
الله اتباع نبينا ملتنى الاصول من التوحيد والمعاد بخبرها كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل فيه قال اهل النظم كان لسائل ان يسئل
لما اختار الهود السبت مع ان ابرهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه واختاره بعضهم
للفراغ واختار بعضهم الجمعة وروى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا فى كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان
يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت شدد عليهم فجاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا
نريد ان يكون عندهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبى ص ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله
له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف انما سبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول
الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغ فيه ويمكن ان يقال لعل فيهم من اختار الجمعة فلما رأى الدهر ثم وقع الاختلاف فى ان النصارى
يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق والنكوين على ما اتفق عليه اهل الملل الا تعالى خلق العالم فى ستة ايام اولها الاحد فجعله عيدا معقولا
اليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذى فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فى فعله وجعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو ان يوم الجمعة
يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا لا يليه ثم اوحد اليهود بقوله وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة الخ ولما امر محمدا باتباع ابرهيم ص وحثه
المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الاية وفيه ص فى الدعوة كافة هكذا وتقرير دلالة الاية على مذهب مخالفة الابدان يكون
قوله مبتدأ على حدة وهى اما ان يكون بقية قطعة مبتدأة من شائعة احتمال النقيض واما ان يكون مفيدة للظن القوى والاقناعى الا لما يكن
ملتفتا اليها فى العلوم وقد يكون الجدال والخصاما فيما يعد المدعو فيحتاج الى الزامه والخاصم بدليل تركب من مقدمات مشهورة وتسلمة
عند الجمهور او من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجميع او من مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحج القطعية المفيدة
للعلم بين والملائمة بهذا الطريق اما يكون مع الطالبين البالغين فى الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال
الادلة الا قناعية الموعظة المضمون بمقدمات مقبولة واهل هذه المكالمة قوام اخطت درجتهم عن درجة الطائفة الا ولى لانهم يأتون على القشر
الاصلية ظاهرون عن دنس التعصب كدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان لكن الداعى قد يضطر مع الخصم
الالدالى استعمال الحج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتى هى احسن بكان طريق
الجدال لم يكن مسلوكا مقصودا بالذات وانما اضطر الداعى اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعى محفاظا
وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جداله حسنا ويستحيل ان يقال معاطئة هكذا ينبغى ان يتصور تفسير هذه الاية فان كلام المفسر
الظاهر بين فيه غير مضبوط وجوز فى الكشاف ان يريد بالقرآن اى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق المجادلة

من الوثنى والذين وثنوا فكما طافة ولا ضيفة والحث على الدعوة بما الطرق المذكورة بينات الرشد والهدى ليس الى النبى والحاد ذلك الى الله تعالى فقال
ان ربك هو اعلم الآية اى هو العالم بضلال النفوس وهداها وكيفيتها وصفاتها وبين جعل الدعوة سببا لسعادتها او واسطة لشقائها
ثم ان الدعوة قد يضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين الباطل والقيام منه شديد وربما يجر العباد الى المقاتلة فلهذا ذكر امر القتال بعد امر الدعوة
برعاية العدل والانصاف فى حال القتال قال قاتلوا ان عاقبتم اى ان رغبتم فى استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه لان
عاقبوا فعل يختص بما روى انه لما مثل المشركون بقتلى حمزة قالوا ان ظفرنا بهم يوما لنمثلن بثلاثين منهم فلما كان يوم احد ومنحوا بطونهم وقطعوا انوفهم واذانهم
الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقال لمثلن بسبعين رجلا مكانك فكف عن مثلته وكفر عن يمينه وكف تماثاله فانزل الله تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله الآية
ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا
يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يفعلونه بهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال الجاهد
والمنتخع وان تعزروا انه نهى للمظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفى قوله وان عاقبتم زمام الى ان الاولى للرجل ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت
لا بد فاعلا فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح فقال ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اى صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء
من الله عليهم او وصفا لهم بالصفة التى يحصل لهم او جلس الصبر خيرا لهم الصابرين على جلتهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يعينه على الصبر فقال
وما صبرك الا بالله اى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا اسلوب كلى مفيد للصبر وانا التأسب الجزئى القريب من ذلك قوله ولا تحزن عليهم
ولا تك فى ضيق من ان قدام الاشقياء على كفرهم لا يكون الا عند هيجان الغضب بما لا يهيج الا عند فوات نفع واشارة اليه بقوله ولا تحزن عليهم
فيل اى على ما لى لحدوده على الكافرين كقوله فلا تأس على القوم الكافرين والاحزن توقع مكروه فى المستقبل واشار الى ذلك بقوله ولا تك فى
ضيق من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذى يشبع عليه من الالباس كالآن الضيق وصف لهم فهو يكون فى الانسان
ولا يكون الانسان فيه وقيد لطيفة اخرى وهى ان الضيق اذا عظم وقوى صار كالشئ المحيط بهم من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على انه مصدر
ايضا او على انه مخفف ضيق فمعناه فى امر ضيق وانما لم يقل ولا تكن بالنون كما فى اخر النمل موافقة لما قبله ولم يكن من المشركين كان الحزن بهما
اكثر بناء على انهما وردت فى قتل حمزة ومقتل بالحاد فى النهى عن الحزن ثم ختم السورة بانه جامع لجميع المأمورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين
اتقوا المعاصى كلها والذين هم محسنون فى الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين غير رائين الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة
والذين هم محسنون فى اصل الانتقام فان لم يمكنهم ان يكونوا معانا بالنصر والتأييد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه ان الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل لذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى
الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحضر هذين حضر فقيل لبعض الاولياء انا
لوفيته من المال ولا مال لى وصيكم بحوائيم سورة النحل انا وجدنا اياته تعالى يعالج بدواء القرآن امراض القلوب فى كل وقت يوقع احدا على ما
يعلم من الصالح فلذلك تعالى والله اعلم بما يترك وبشر المسلمين الذين استسلموا للطبيب معالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلم بشر فيقدر كما
ان طب القلوب وعلاجها من شأن البشر بنظر العقل لانه مبنى على معرفة الامراض وكيفيتها وكيفية اسبابها
ومعرفة الامر مختلف اختلاف احوالها وان القلوب بيد الله يقلبها هو كيف يشاء فيضيق عن معالجتها ظن معقول البشر ولهذا قال ابراهيم
واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول لمن يحكم بالظاهر لعلك ان يكون الذى
لا يفهم من كلام الله اسرده وحفاظه والمرجع صدقه كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يتقبل الكذب بلسان الافتراء من شأن النفس الامارة الكاذبة الى
يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون اى هم الذين استمروا على الكذب لان الموصول قد يكذب فى بعض الاحوال الا انه لا يصر على ذلك وهلك
سالما الباطن وانحراف سحيق البشرة فلم يرد اضاءة ما حوله وبذل فى الاجتهاد جهده وحوله هبت نكبات المضدين مزقت قلبه و
القلب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت ما حوله وبذل فى الاجتهاد جهده وحوله هبت نكبات المضدين مزقت قلبه و
ذهب الله بنوره وانخمدت نار الطلب السالك المشهور الى طبعه الامارة كره على مباشرة فعل او قول يخالف الطريقة من معاملات اهل الطبيعة فيقول
فيها فى الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يخلص من شؤم مجتهم استحبوا اختيار الدنيا وشهواتها على محبة الله ولهذا قال الله تعالى
بانهم الكاذبون بعينه وانهم لهم لاعنون اعدا لله بلعنون اعداء الصالحين هم الخاسرون لان الاعضاء على الجوارح تبور بتبور خسران القلوب عن
مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا هو سهم وهواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة امر الحق ثم جاهدوا النفوس بحوث الرياضات
وصبروا على تزكيتها وتحليتها مستكين بذليل راذله الشيخ يوما بالجهاد رياضا للنفوس مجاريا عن نفسها على قدر بقاء زبونها رفعا لمضارها

وجعل بالمنافعها حتى ان كل شيء يقول نفسي لا تحمد اصحاب فانثر فان بالكلية عن نفسه زان بيقاء وتبرفهول اته امتي لا ته مغفور ذنب وجوده المتفقد
في الدنيا والمتاخر في الاخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ احمد بخطاب سلام عليك ايها النبي ففتح عن وجوده بالتسليم وبقي بوجوده بالرحمة
فكان رحمة مهداة بعد كانه الناس كافة ولكن رفع الدرجة من تلك الضيافة وجب لهم بعد فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
يعني الذين صحوا لبذل الذين الوجود في طلب المقصود فهم هي فوز شخص الانسان كانت منتهاه اهله وهو اوج الانسانية مطمئنة
بذكر الله بانها زرقها من المواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكرمت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق
فاكلوا من جيفة الدنيا وهمة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الواقع فما تخلفوا باخلاقه
وكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة هذا حلال وهذا حرام على عادة اهل العبادة الا ما حة وعلى الذين هادوا اي تابوا عنا
من موانع الوصول ما قصصنا عليك في بدو بوتك حتى كنت محمرا عن صحبة خديجة وتحملت اجراسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بحرمان
ذلك عليهم بل انما بدعليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا وكم بك من المشركين ممن له شركة مع الله في
الوجود اتبع ملة ابرهيم الظاهر حتى يتبعك هو في الباطن وهذا ذهابك الى ربهم شابا اني ذاهب الى ربي واسرع بحمد ذاكرا سبحان الذي اسرى
بعبده فهو خليل وانت حبيب اتبع الخليل في الدنيا فيتبعك الخليل في الاخرة الناس محتاجون الى شفاعتي يوم القيمة حتى ابرهيم وان
عاقبتم بنفس الامارة فعاقبوا اي بالغوا في عقابها بالقطام عن مرادها لو فانها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب
ولئن صبرتم على سعاتهم لهو خير لان عنان الحبيب على قدر عقاب البعد وزاد عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على
معاتبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله ولا يقدر احد ان يتصف بصفات الابرار بان يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن
على النفس وجنودها عند المعاقبة فان بنيانها صلاح حالهم ومالهم فلا تنكث ضيقا مما يكرون فان مكرهم يندفع بصونه الله عند الفرار اليه

سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا الى قوله وقل جاء الحق وهي مائة واحدى عشرة آية الا آيتها مائتان واحدى عشرة
الف وخمسمائة وثلثمائة وستون بسم الله الرحمن الرحيم
سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه
من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا
من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي
بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال
وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها فاذا جاء وعد الاخرة ليسوء
وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان
عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين
الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما
ع ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل
وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا

لا الى الصفات ع

سورة بني اسرائيل مكية

وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتٰبًا يَلْقٰىهُ مَنْشُورًا اِقْرَأْ كِتٰبَكَ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ

وهر انسان را لازم گردانيده ايم اورا عمل وكردارش در گردنش و بيرون آريم براى او روز قيامت نامه كه خواهد ديد او را گشاده بخواند نامه خود را امروز

عَلَيْكَ حَسِيبًا مَنِ اهْتَدٰى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرٰى وَمَا

بر تو حساب كنندة انكه هدايت يافت پس جز اين نيست كه هدايت مى يابد براى خويش و انكه گمراه شد پس جز اين نيست كه گمراهى او بزيان خويش است و برندارد هيچ برندارندهٔ گناه بار گناه ديگرى و نيست

كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولًا وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ

ما عذاب كنندگان تا بفرستيم رسولى و چون خواهيم كه هلاك كنيم شهرى را بفرمان دهيم توانگران آن را بطاعت و نماز و نعمت پس فرمان نبرند در آن شهر پس ثابت شود بر ايشان

فَدَمَّرْنٰهَا تَدْمِيرًا وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفٰى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا مَنْ كَانَ

پس هلاك كرديم آن را هلاك كردنى و چه بسيار هلاك كرديم از قرنها از بعد نوح و بس است پروردگار تو بگناه بندگان آگاه بينا كيست خواهد

يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلٰهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَ

ان شتابنده را بشتاب مى دهيم برايش در دنيا آنچه مى خواهيم از براى كسى كه مى خواهيم پس مى كرديم براى او دوزخ درآيد نكوهش كرده شده راندا شده

مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعٰى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا كُلًّا نُمِدُّ هٰؤُلَاءِ

كسيكه خواست آخرت را و كوشش كرد براى آن كوشش خوبى را و او مؤمن است پس اينها باشند كوشش ايشان پسنديده هر يكرا مدد مى كنيم اينها را

وَهٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجٰتٍ وَأَكْبَرُ

واينها را از بخشش پروردگار تو و نباشد بخشش پروردگار تو باز داشته شده نگر چگونه افزونى داديم برخى از اينان را بر برخى و هر آينه آخرت بزرگتر است درجات و

تَفْضِيلًا القراءة بتخذ وابناء الغيبة ابو عمرو وعباس مجرا الباقون بناء الخطاب ساثم بالمد ابو عمرو وبن بدد والضبعي عن ورش والاعشى وحمزة

از جهة فرود آرند فى الوقف ليسوء بنا الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد ولنسوء بالنون على النون الباقون ليسوءا على الجمع ويبشر مخففا

حمزة وعلى ويخرج بالياء مجهولا ابن بدد ويخرج لازما يعقوب الاخرون بالنون متعديا بالفاء مشددا ابن عامر وبن بدد وروح والنقاش عن

ابن ذكوان بالامالة الباقون محققة وقرا حمزة وعلى وخلف بالامالة افرا كتابك بغيرهمز الاعشى وادغمه حمزة فى الوقف امرنا من باب المفاعلة

يعقوب الوقوف الجزرى والخامس عشر اياط البصرى لمن قرا تتخذ وابناء الخطاب لامكان ان يجعل دينه مناديا نوح ط شكورا كبرا الدياط

مفعولا نصيرا فلياط لان ما بعده عائد الى قوله فاذا جاء وعدا وليها مع اعتراض العوارض تبترا ه بحكم الابتداء بالشرط مع العطف عندنا

حذرا من توهم العطف حصيرا كبرا م للعطف ايضا بالخبر ط عجولا ه والحساب ط تفضيلا ه عنصرا مشكورا كتابك ط حسيبا ط لتعذر الشرط لفقد

الشرط مع العطف عاياط اخرى ط رسولا ه تدميرا نوح ط بصيرا ه جهنم لاحتمال ما بعد الحال والاستيناف مدحورا مشكورا ه عطاء ربك ط

محظورا ه بعض ط تفضيلا ه التفسير العزم على نبيه فى خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق فى حكم فرقانا حضه به من المعجزات فقال سبحان الذى

وهو اسم علم للتسبيح وقد مر اعرابه فى قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله وآثر سرى وسرى لغتان بمعنى

اقر لما وصل النبى صلى الله عليه وسلم الى المراتب العلية فى معراجه اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك فقال يا رب تنسبنى الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان

الذى اسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف وفيه تاكيد لان الاسراء فى النكرة تقليل مدة الاسراء لان النكرة فيها معنى البعضية اخبر

انه اسرى به فى بعض الليل من المسجد الحرام عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اتاه جبرئيل عليه السلام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذا تاه جبرئيل بالبراق

قيل المراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والمناسبة به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا اسرى به

من دار هانى بنت ابى طالب قبل الهجرة بسنة وعن انس انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس بالانفاق سمى بذلك

بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد الذى باركنا حوله بثمر الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء

من وقت موسى ومهبط الوحى وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات الزيرى

من اياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال اراه ابو هم ملكوت السموات والارض واراه محمدا بعض اياته فيلزم ان يكون معراج ابراهيم افضل

الجواب لعل بعض الاياة المضافة الى الله تعالى اشرف واجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا ختم الاية بقوله انه هو السميع لاقوال

محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فكره على حسب ذلك واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على ان اسرى بجسد رسول الله صلعم

والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانا ما فقد جسد رسول الله صلعم

لكنه عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها ان الحركة الحسية البالغة فى السرعة

الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الى السموات يوجب خرق الفلك ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بحضرة

من الجم الغفير حتى يسندوا اليه ذلك على صدقه وما الفائدة فى اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الاسراء عبارة عن الروح وحده

لانه ما فى من اول عمره الى اخره والاجواء البدنية من التغير والانتقال واليها مغايرة للتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا

عشر الجزء الخامس

عن جميع جوارحه واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما نالك الا حديث المعراج وانما كانت فتنة للناس لان كثيرا من امن برحين سمعها ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره بماء زمزم وركوب البراق وايجاب خمسين صلوة فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء اجاب الاكثرون عن الاول بان حركة الرسول ﷺ من مكة الى فوق العقل الاعظم لم يكن الا نصف القطر الى نصف القطر ودسنة الواحد الى ثلثمائة وستين هي نصف حركة العقل في يوم وليلة واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان اولى ولو كان القول بمعراج محمد ﷺ في ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول جبرئيل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول بحركات الجن والشياطين وقد سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان عرش بلقيس في اقصى اليمن وسليمان في الشام وعلى قول من يقول ان الابصار يخرج الشعاع وعلى قول من يقول ان الابصار انما ينفعل شعاع العين من البصر الى الكواكب الثابتة في ان واحد يثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه اقصى ما في الباب الاستبعاد وهو في العادة ولكنه ليس محظورا بحسب القوة وانما قال امر احاصل في جميع المعراج وعن الثاني ان الخبر انما قال عند حكما لاسلام وجائز وعن الثالث ان فائدة الاسراء قد عادت الى بحث شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيها وعلمها الحاصل في قلبه زيادة قوة وطمانينة بها انقطعت علقة شغل الكون ولم يبق مشغول القلب بشيء من امور الدنيا والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي خبر حكاية المعراج كما سبق وتفسيره ولو سلم انها هي المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من افعاله وانه على كل شيء قدير واعلم انه ليس في الاية ولا في الاية الاولى العروج من بيت المقدس الى السموات والى ما فوق العرش الا المرور والحديث بهم ومنهم من استدل على ذلك باول سورة النجم او بقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعيه روى انه كان ﷺ نائما في بيت ام هانى بعد صلوة العشاء فاسرى به من بيته وقص القصة على ام هانى وقال مثل ذلك للنبيين وصلى بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانى بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس ابو جهل فاخبر برسول الله ﷺ بحديث الاسراء فبهر من مكذب الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء ورأى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب لوه هلم نجحدهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فمن اجل ذلك سمي الصديق وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعوه المسجد فجلى له كم بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعتهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل ادرق فخرجوا شدا في ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائلهم هذه والله الشمس قد اشرقت وقال اخر هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل ادرق كما قال محمد ﷺ ثم لم يؤمنوا قالوا ما هذا الا سحر مبين والحكمة طرفا من اكوام موسى فقال واتينا موسى الكتاب اي التوراة وجعلناه هدى لبني اسرائيل اخرجناهم بواسطته من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين الا تتخذوا ومن قرأ على الغيبة فان ناصبة وكلام العافية محذوف اي لئلا يتخذوا ومن مزيدة للتاكيد على الخطاب فان مفسرة معناها النهي لا تتخذوا كقولك كتبت اليهم ان افعل كذا او زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا ربا تكلون اليه امركم يا ذرية من حملنا مع نوح قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح لانه كان معنى السفينة ثلثة بنين سام وحام ويافث والناس كلهم من ذريته او لانك فقوله يا ذرية فاتم مقام قوله يا ايها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القراءتين احتمل ان ينتصب على انه مفعول اخر لتتخذوا او على الاغراء فلا يجعلوهم اربابا كقولك ولا ايامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين ارباباً او من ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزيرهم على النهي عن الاشراك بقوله انه كان عبدا شكورا اي بتم ذرية من حمل معه فاحملوا سوتكم كما حملوا اباكم اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاص بني اسرائيل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فلهذا استاهلوا الاختصاص وجوز في الكشاف ان يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد روي من شكره انه اذا كان اذا اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عنه اذاه في عافية ولو شاء حبسه كان اذا اراد الانظار عرض طعامه على من مر به فان وجد محتاجا اثره به ثم ذكر ان كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التوراة فقال وقضينا الى بني اسرائيل اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التوراة وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف او الوحي القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين وتعلن لتعظمن وتستولن على الناس غلوا كبيرا استطالة عظيمة وبغيا شديدا فاذا جاء وعد عقاب اولاهما اردنا اولى المرتين بعثنا ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا اولي بأس شديد هم اصحاب بختنصر وشدة قتالهم فجاسوا تردوا للغارة خلال الديار اوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس وكان وعد العقاب عدم

نظام العقل لسراج صفحه

محمد ﷺ ذكر متبعا من اكرام

مفعولا لابد من وقوعه ثم ردد ثانيا الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين بغيتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتج الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء
والقدر وان الفساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله واجاب المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس
واحراق التوراة وقتل احفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء
الكل اليه والحكم عنهم انهم حين عصوا سلط عليهم اعداءهم مهدد فاعدة كلية في الاحسان والاساءة قائلا ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اسأتم فلها اي فعليها وقابلها للمقابل مع ان حروف الاضافة تقوم مقام البعض قال اهل الاشارة اتراعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا
فهد دليل على ان جانب الرحمة غالب فاذا جاء وعد عقاب المرة الاخرة بعثنا هم حذف جواب اذا الدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم
ليجعلها الله اثر الوعد او البعث وليصلوها بادية اثار المساءة والكآبة فيها لان اثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب تمانظهر على
الوجه وليتبروا ما علوا ليهلكوا اكل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان يكون ما بمعنى المدة اي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله
تعبير اذكر للمصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر روي ان بني اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك
اول الفساد بن فسلط الله عليهم بختنصر او سنحاريب جنوده اوجالوت عن ابن عباس قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وسبوا منهم سبعين
الفا وبقوا في الذل الى ان فيض الله عليهم الكرة من اهل بابل وتزوج بامراة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس
ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى مريم وهذا تالف
الافساد بن فانتقم من اليهود بسبب هو كاه ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك قال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا
والاخرة قتل يحيى زكريا وقصد قتل عيسى واعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القرآن
هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم اعداءهم وفيه تحذير للعصاة من مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم ان يرحمكم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة عدنا طما قال اهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد
كتمان ما ورد من نعته في التوراة والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع وهو
خبر جاري من القتل والاجلاء ثم البافون منهم مقهورون بالجزية لا حشمة لهم ولا عزة فهم في عذاب الى يوم القيمة واما بعد ذلك
فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لا يتخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج
ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد وموسى وعيسى وفي حق عبيده العاصين كالكثرين من بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب
كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وعرامة عظم شان القرآن المبين للاحكام الهادي للانام فقال ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
او للشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة بعرفها اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب اوهام كل مذهب قيل هذا
الشيء اقوم من ذلك انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون للاول فضل على الاخر وكيف يتصور في غير هذا الذي
شيء من الاستقامة حتى يستقيم التفضيل واجيب بان افعل ههنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدل
لابني مروان اي عادلا بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات والاقرار
لاصول الاخلاق ومكارم العادات وفوائد السياسات الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل منهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن
هاديا الى الاعتقادات الاصوب والعمل الاصلح تتجذ واثر ذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم وقد
جبرت لفظ البشارة بمعنى الانذار ليستعمل للتهكم اذ البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة فكانه قيل الذين لا يؤمنون بالاخرة ان لهم
عذابا وجوز ان يبشر المؤمنين بشارتين احديهما ثوابهم والاخرى بعذاب اعدائهم فان في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا صنفين اما من اهل التقوى واما من اهل الشر وانما احدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك قلت هذا الجواب من عجيب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا ان حكم بيان بدائع القرآن الذي
فيه اصول الاحكام على ان ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد بالعباد
الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن واردا وانه تعالى بعد ههنا اوصاف
القرآن على جهة المدح فاي مقام ادعى لذكر هذا الوصف من ههنا والجواب الحق ان كانوا يكونون الفسقة جعلوا نابين اهل الايمان
والله اعلم قيل هذه الاية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالاخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فانهم بالاخرة
كالايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال ههنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف
اجرا حسنا رعاية للفاصلة والا فالاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القرآن كاف في الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل
عن التمسك باحكام فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين انه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو

الحق فاضرب عنقه فاجاب الله دعاءه وضرب رقبته صبرا وكان بعضهم يقول اتينا بعذاب الله واخرون منهم هذا الوعد بها لا منهم و
لعنقادا ان محمدا صادق فيما يدعوا الله عند غضبه وضجره فيلعن نفسه وولده وماله ولو استجيب له في الخير لهلك ويروى انه صلعم
دفع الى سودة بنت زمعة بعيرا فاعيل بان بالليل فقالت له مالك ثلاث فشكا اليه العقد فارخى من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما
اصبح النبي صلعم دعا به فاعلم بشانه فقال صلعم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها بتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلعم
الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لان بشرا غضب كما يغضب البشر فالزم سودة يديها وكان الانسان عجولا يستعجل
بالعذاب مع انه اذا تنبه او يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله معتقدا ان خيرا فيه وان كان ذلك عند التامل مضرا له وميل
راد بهذا الانسان ادم وذلك انه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما راى فذهب لينهض فلم يقدر ولهذا عبر هذا العقل بالخفة
مغايرا للاول لان اصل الادمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه منصفا بهذه الحالة قال اهل التنظم لما ذكر نعمة الدين وهو القران اردفها
بنعمة الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار ايتين وفيه ان القران لا يتم المقصود منه الا بتوجيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع
به الا بتوجيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه بمنزلة الليل في خفائه وبوجه اخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد واكد هما بدليل
اخر من عجائب الزمان وبوجه اخر لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين ان كل احوال هذا العالم
كذلك فينتقل الهواء من الانارة الى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد فمحونا اية الليل هي من اضافة الشيء الى
نفسه لان الليل كقولك نفس الشيء او اذا اريد بالليل ما يعم الليل كجعلنا الليل يحوا الضوء مطموسة مظلما لا اشتباه فيه شيء كالابيضاض
ما في اللوح المحو وجعلنا الاية التي هي النهار مبصرة ذات ابصار وذلك باعتبار من ينصر فيها اي ينصر فيها الاشياء ويتبين اوابد بالابصار الاشياء
لانها سببه وقيل المضاف محذوف اي اية النهار وجعلنا نير الليل والنهار اثنين فمحونا اية الليل التي هي القمر حيث لم يخلق له شعاع اكتفاء
بشعاع الشمس فرى به الاشهار وتبتغوا بدل من جعلنا التقدير وجعلنا التمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتسعوا صالحوا بابتغاء ارزاقكم او
بشعاع الشمس لتستدلوا بالتصرف في وجوهه معاشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد السنين والحساب
او القمر المركب من الشهور ولتعلموا جنس الحساب المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل اراد بمحو القمر الكلف الذي في
وجهه سببه في الشرع ما روي ان القمر كانا سواء في النور والضوء فارسل الله تعالى جبريل فامر جناحه على وجه القمر فاذهب عنه اثر الضوء
وسببه عند الفلاسفة اثار وتكاثف في وجه القمر اجسام قابلة للضوء كالتكاثف في كواكب الجوام الافلاك ولما كان ذلك في الجوام اقل ضوا من جرم القمر
لاجرم شوهد ذلك الاجوام في وجه القمر كالكلف ومحو الانسان ونحن قد ذكرنا له وجها اخر في الهيئة فال اهل النجا ان اختلاف احوال القمر في مقادير
التنور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه لا سيما في احوال البحار والبحارين على ما بينوه الاطباء الا ان الكلف ليس له مدخل في ابتغاء فضل
الله وفي معرفة الحساب بالفصل لعم ولقيل ان الكلف نقص من نور القمر فحيث لم يقو على ازالة ظلام الليل بالكلية فبقي في وقت السكون والواحة بحالة
ووقت التردد في طلب المعاش بحالة وصار بغالب الليل والنهار سببا لمعرفة الايام وما يركب منها كان فيها ثم قال وكل شيء مما يفتقر اليه الخلق في دينكم
ودنياكم فصلنا تفصيلا بيناه بيانا لم يبق معه لبس حتى انواع العلل وزوال الاعذار فلا يطلب من يطلب الا عن بينة فلذلك قال وكل انسان الزمناه
طائره اي عمله في عنقه وبوجه اخر لما شرح احوال الليل والقمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللاستعداد للحشر ولمعرفة المواقيت وكان الغرض الاصلي من
الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتهذيب الافعال واصلاح الاقوال ذكر ان الانسان مؤاخذ في عرصة القيمة بافعاله الرديئة واعماله السيئة واحوال
باطنه اشهر الى مما هو المقصود من خلقه ام الاقال اكثر اهل اللغة ان العرب اذا رادوا الالزام على عمل من الاعمال اعتبروا احوال الطائر التي بطير
بنفسه او يحتاج الى زاجره واذا طار فصل يطير منها منا ومتياسرا وصاعدا في الجو فيتفاءلون بها ويشدون كل
واحد منها على ما يسوقهم عليها من خير او شر فاطلق الطائر على العمل الذي يتشاءم للشيء باسم الآلة وقال ابو عبيدة الطائر عند العرب الحظ
الذي قد له الخير فالطائر ما وقع للشخص في الازل مما هو منسوب من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كانه طائر يطير اليه من وكر الازل
وظلمات عالم الغيب لجريانه الا نهاكر ولا غابر الا ان انتهى الى ذلك الشخص وقته المقدر من غير خلاف ولا مناص وفي هذا دليل على ان لا يظهر
في الابد الا ما حكم الله به في الازل والكتابة الابدية لا بد من الايمان بها الا ان لا بد وان سبحانه اكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله في
عنقه ثم جعل هذا الالزام في عنقك لتكمل لزومك لانه اذا لزم العنق فقد لزم كل البدن وان كان شر اشد كان كالغل ومن امثال
العرب بقلادها طوقي الحمامة ويخرج له يوم القيمة بالفتح منشورا صفة كتابا والفاه منشورا حالا من مفعول الفاه وقرا بالبناء للمجهول الالزاما للضمير الطائر وكتابا حال منه بقي لفيف الشيء والفاه نشره عن الحسن يا ابن ادم بسطت الصحيفة وطويت في قبرك
معك ثم اذا بعثت فلذ نشرها في عنقك اقرا كتابك على اضمار القول قال قتادة يقرا ذلك اليوم من لم يكن قارئا ويفصل فاعل يكفي
حسيبا بمعنى حاسبا لانه اكثر من فعل بالضم كفريب بمعنى مجيب ولكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قالوا سبوبة ضربت القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم وصلة متعلق بيجب فولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى الكافي ثم وضع موضع الشهيد تعدى بعلى لان

الشاهد

الشاهد يكفي المدعي ما اتهموه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه يريد الشهيد والغالب ان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء والامارة والنفس مايدل بالتشخص وجعل فعيل بمعنى فاعل كعليم بمعنى مفعول قيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن يعدل الله في حقك من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت علي بظلم لتعبيدي فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وروى ابو هريرة ان المؤمن يؤتى القيامة صحيفة وحسناته في ظهرها فيغبطه الناس عليها وسيئاته في جوف صحيفته وهو يظنها هي حتى اذا ظن انها قادرة قال الله تعالى قد غفرتها لك فيما بينك وبين عبادي فعظم سروره ويبصر من الذين قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم الترمذي يجب تقرير الاثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا وشرا فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص الا ان ذلك الاثر يخفى مادام الروح متعلقا مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن وفارقه فانه لا تنفك تلك الاثار عنه بل تكون مستقرة في الجسد وعند ذلك فاما ان تتوجه عن الصعود الى العالم العلوي فيبقى محجوبا عن الاطلاع على الحقائق وهذا هو العذاب الروحاني واما ان يظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا يبقى ما ورد النقل ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعداه الى غيره بقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى قال الجبائي انها دالة على ان الاطفال لا يعذبون بكفر اباءهم وان الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يأخذ العبد به كما لا يأخذ بوزر غيره بل كان يجب ان لا يوصف الا بالعدل لان العبث لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة ان الوزر مختص بافعال المكلفين من الثقلين وقد دلت عليه تلك الاية وصحت ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في الامتناع من ضرب الجرة على العاقلة ويمكن ان يجاب بانه ما من عام الا وقد خص اما قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فقد استدل به الاشاعرة على ان وجوب شكر المنعم لا يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا يتقرر ما لم يتعلق به العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الاية اجاب الحكيم بانه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجز فهل يجب على المستمع قبول قوله والتامل في معجزه او لا يجب الثاني باطل بالاتفاق وعلى الاول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم اثبات النبي بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه اخر اذا اوجب النبي بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب على الترك والفعل ثم ترتيب على المكلف ان يحترز عن العقاب ولا يجب الا بسبيل الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي والا لزم الدور او التسلسل ثم ان مذهب اهل السنة جواز العفو عن عقاب الكبيرة ماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب لا مع جواز العفو فلم يبق الا ان ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب ولا يكون هذا الخوف الا بحصول العلم بثبوت الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان يخرج الامر على ظاهره او يبقى العقل هو رسول الله الحاق بل هو اولى والذي يدل على ان العقل لا يقرر بمفرده رسالة احد من الرسل ويحتاج الانبياء الى التنبيه على النظر كما لا يخفى من رقد الغفلة والجحود وان كانت لا تخلو منها قبل بعثة الرسل الا انها بعد البعثة الزم واما ان يخصص عموم الاية بقياس المراد وما كنا معذبين بنفي الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع وبما ارتضاه الامام فخر الدين ان الزام ان مجرد العقل سبب لان يجب عليها فعل ما ينتفع به وترك ما يستضر به اما مجرد العقل لا يدل على ان يجب على الله شيء من ذلك انا نجد العقلاء يعملون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك ولقائل ان يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع بالاستضرار الا انه حكيم جواد فلم لا يقبح من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم لا يترك الا الحسن فيصدر ذلك الحسن منه البتة هو الذي ذهب اليه الاشاعرة من ان شيئا من ذلك لا يجب عقلا ولا يقبح بل كل ما وصف به نفسه في قوله كان على ربك حتما مقضيا وكم من اية في القرآن دالة على ان الفعل قد يصدر منه مصدورا لا يحمل النقيض من ذلك قوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها الا ان المفسرين في معنى امرنا قولان الاول ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المامور به فاكثرون على انه الطاعة والخير وقال في الكشاف معناه واذا اردنا اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم بالفسق ففسقوا فاما كان من اصول الاعتزال ان الله تعالى لا يامر بالفحشاء ذكروا ان الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه ان نصب عليهم التغلب فجعلوها مادة لهم الى المعاصي واتباع الشهوات فكان ايتاء التنعم سببا لاشتغالهم بالفسق على الاستمرار فكانهم مامورون بذلك ثم جعل تقدير امرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكليف بعلم الغيب ولم يجوز ان تكون من قبيل الامر فقضى فانه يفهم منه ان المامور به طاعة ولكنه حكم به مثل امرته فقام وامرته فقرأ فانه يفهم منه لا محالة ان المامور به قيام او قراءة ولقائل ان يقول كما ان قوله امرته فقضى يدل على ان المامور به شيء غير المعصية منافيه للامر فقضى له فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المامور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المامور به فكونه فاسقا ينافي كونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونه مامورا به وهذا ظاهر قال ابو مسلم اصله امرناهم امرا بالطاعة على لغة من يضع ما لفظ اصله الفعول الثاني ان معنى امرنا مترفيها اكثرنا فساقها قال الواحدي تقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا اكثرهم وامرهم بضم الميم واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بقولهم خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة فالسكة النخل المصطفة والمهرة المامور بها النتاج وقيل

حمل بعضهم الحديث على الامر صلة النهي اي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم اترسبا اي سبكثر وسبكبر والمترف في اللغة المنعم الذي قد بطرته النعمة وسعة العيش فسقوا فيها لوجوه اعتاد ارهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب قدمرنا اهلكناهم على سبيل الاتصال قال الاشاعرة ظاهر الاية يدل على انه تعالى اهلكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق وبهذا قوله فحق عليها القول اي بالكفر ثم التعذيب قال الكعبي ان سائر الايات دلت على انه تعالى لا يبتدي بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فتلك الايات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك فلا في التفسير الكبير احسن الناس كلاما في تاويل هذه الاية الفضال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علم عجزه عنه الا من علم انه عصا بل يامر حتى يظهر عصيانه للناس مع عاقبة ومعنى الاية واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور العصيان منهم امرناهم بها جلهم بالعذاب اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالايمان عن ذلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعم الله عليهم اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يوجدوا صر واصبح عليهم البلاء صبا وزعم الجبائي ان المراد بالارادة الامر نحو قولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة ليس معناه ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما معناه انه سيصير الى ذلك فمعنى الاية واذا قرب وقت اهلاك قرية فسقوا فيها امرنا مترفيها بالطاعة فعدلوا عن الطاعة فحق عليهم القول فدمرناها ونقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى انه عدول عن الظاهر ثم ذكر ان هذه الجارية مع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له اراد بهم عادا وثمود ونحوهما ثم خاطب سوله بما هو ردع للتاركين فقال وكفى بربك الاية قال الفراء انما يجيء ادخال الباء في المرفوع اذا كان بمدح به صاحبه او بذم كقولك كفاك برءوكوم به رجلا وطاب بطعامك طعاما وكفاك بالله وليا ونصيرا وقد يزيد قام الخولاني وفي الاية اشارة وعظة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضي ايصال الخير الى كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعنى المذكور من قوله وكل انسان الزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه بقوله من كان يريد العاجلة اي المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد العجل بقيدين احدهما قوله ما نشاء والثاني قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان القيد يرجع الى من وهو للعموم ولهذا ترى كثيرا منهم يتمنون البعض الميسر من الدنيا ولا يتمنون بجميع عليهم فقر الدنيا وحرمان الاخرة بل عد ابها لقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الاخرة بان يعتقد بها هتدى بهداي عن دار الغرور وسعى لها سعيها الحق السعي لاجلها وذلك ان يكون العمل الذي يوسل به الى الفوز بثواب الاخرة من جملة الفرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى وهو مؤمن لان شيئا من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان فاولئك كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع امور ثلثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال تدل على كونه معظما عند ذلك المثاب والله سبحانه وتعالى عامل المطيعين بهذه الامور الثلثة لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه وبعاملهم المعاملات الدالة على كونهم معظمين عنده والى قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الاخرة اشارة الى ان مريد نفع الدنيا لا يكون مذموما الا اذا كان غالبا في ذلك ثابت القدم فسيح الامل ومريد الاخرة يكون ممدوحا وان التفاته بعد وجود الشرط فان الاشارة الى ان مجرد القصد مع الداعي هو الموجب للفعل ويحتمل ان يشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان العمد واستتبع الطاعات الباقية صار العبد ايضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة يجب على الله الايمان لان المدح على عمل لا يعد المدح قبيح قال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا من القدرة والعقل وانزال الكتب وارسال الرسل واعلم انه تعالى ذكر صنفين من الناس قصد خيرات الدنيا وقاصد خيرات الاخرة وههنا ثلثة اقسام احدها ان يكون طلب الاخرة في عمل راجحا فقط لانه غير مقبول ايضا لما روي ان النبي صلعم قال حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وقيل بعارض المثل بالمثل ويبقى الفضل زائدا عنه خالصا لطلب الاخرة فيقع في خير القبول الثاني ان يكون طلب الدنيا وطلب الاخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا والتفقوا على ان هذين القسمين ايضا لا يقبلان الا انهما على كل خير من ارباب الحض ثم بين كمال واقدره وشمول رحمته فقال كلا اي كل واحد من الفريقين نمد اي نزيدهم من عطائنا على ما لا حق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء بدل من كل ومن عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من المكلف بعضا انظر بامحمد وبامن له اهلية النظر الى اعطائنا المباح للفريقين من الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فاوصلناه الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن لنوادصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر لنوالكون بعضهم تحت تسخير بعض للاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لان نسبة التفاضل في درجات الاخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الاخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون النار فيظهر تفضيلهم المؤمنين على الكافرين وعن بعضهم انها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الاخرة وهي اكبر وافضل انظر كيف نزه نفسه بقوله سبحان عن الاتحاد الكلي ولكن اخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله اسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الاغيار

وقوله

وقوله بعبده اشارة الى مقام تنحى لنسبة العبد بها الى ربه اخر مقامات السالكين وقوله ليلا اى من ذلك الجذب كما يكون خفيا عن المجذوب ان كان ذاهلا عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء فى الله الذى باركنا حوله بالبقاء بالله لنريه من اياتنا التى لم تسمع اذن ولا ابصرت عين انه هو السميع البصير فلا يصل احد اليه الا اذا سمع بربه وابصر به وما خطر ببال الضعيف تاويل هذه الآية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه والا فمنى ومن الشيطان فخاسوا خلال الديار الجسد اى بنية بالفعل وفات التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة فخربت بيت حفد من القلب ثم ردد ناكم اى تكرة عليهم باستيلاء داود القلب قتل جالوت النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الاولى حين ارتدعن القبائح ليسوؤا وجوه قلوبكم بحجب سوء اعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل اولان عدتم الى العدم عدنا الى الكرم اوان عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية اوان عدتم الى النفرقات عدنا الى الجمعيات وجعلنا اهل البشرية ورهبانا الروحانية فحوناية الليل وهى قلم القلب فمحى نور العقل حين تطلع شمس شهود الحق وهى ابتهار النهار فاذا طلع الصبح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو مجلى ذاته وصفاته وقد اختص الانسان من بين المخلوقات والعلوى ايام الطلب حسنا الترقى من مقام الى مقام وكل شئ يحتاج اليه السالك بقناه بالاشارات من كان يريد العاجلة اى القلب الانسان بين اصبعين من اصابع الرحمن وقلبه وجعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا لمن اراد الاخرة وسعى لها سعيها الوصال والله المستعان على ما تصفون

ع لا تجعل مع الله الها اخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه

مگردان همراه خدا خدائى ديگر پس بنشينى نكوهش كرده شده وا گذاشته شده وحكم كرد پروردگار تو كه نپرستيد مگر او را

وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما

وبا پدر ومادر نيكوئى كردن اگر برسند نزد تو يا هر دو ايشان پس مگو مر ايشان را اف وزجر مكن ايشان را وبگو مر ايشان را سخن

واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا ربكم اعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين

وفرود آور مر ايشان را بال خواري از مهرباني وبگو پروردگارا رحم كن بر ايشان چنانكه تربيت كردند مرا در خردي پروردگار شما داناتر است بآنچه در نفسهاى شماست

فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين

پس بدرستيكه او هست مر بازگشتگان را آمرزنده ودهى خويشاوند را حقش ودرويش را وپيش مانده را

كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك

باشند برادران ديوان وهست شيطان مر پروردگار خويش را ناسپاس واگر اعراض كنى از ايشان براى طلب رحمتى از پروردگار كه اميد بدارى

فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا

پس بگو مر ايشان را گفتارى آسان ونكن دست را بسته بگردن خود ومگشاى آنرا گشادن تمام پس بنشينى ملامت كرده شده محروم

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية

بدرستيكه پروردگار تو فراخ ميكند روزى را براى كسيكه ميخواهد وتنگ ميكند براى كسيكه ميخواهد بدرستيكه او هست بندگانش آگاه

املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا

از درويشى ما روزى ميدهيم ايشان را وشما را بدرستيكه كشتن ايشان هست گناهى بزرگ ونزديك مشويد بزنا بدرستيكه او هست كارى زشت وبد راهى

ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف

ونكشيد نفسى را حرام كرده خدا مگر بحق وكسيكه كشته شد بظلم پس بتحقيق كه گردانيديم از براى ولى او تسلطى پس نبايد اسراف كند

فى القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا

در قتل بدرستيكه او هست يارى كرده شده ونزديك مشويد بمال يتيم مگر بآنكه آن بهتر است تا برسد بكمال قوتش

بالعهد ان العهد كان مسئولا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير و

بپيمان بدرستيكه پيمان بودنى پرسيده شدنى است وتمام كنيد پيمانرا چون پيمانه كنيد وبسنجيد بترازوى راست وبا قيان درست اين بهتر است

احسن تأويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه

خوبتر بحسب عاقبت وپيرو مشو آنچه نيست ترا بآن دانشى بدرستيكه گوش وچشم ودل همه آنها

مسئولا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان

پرسيده شونده واز راه مرو بر زمين از روى كبر وخوشحالى كه تو هرگز نخواهى شكافت زمين را وهرگز نخواهى رسيد بكوهها دراز بالا همه آنها

سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى

في جهنم ملوما مدحورا افاصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما القراءة
در رجوع ملامت کرده شده رانده شده یا این که خصوص کرد شما را پروردگار شما به پسران و گرفت از فرشتگان دختران بدرستیکه شما هر آینه میگوئید سخن بزرگ بیلفان
مشی حمزه و علی خلف قتا بالجزم والنون ابو جعفر و نافع وحفص الفا بالفتح ابن کثیر وابن عامر و سهل و یعقوب غیر مجاهد خطا والمفضل وابان فون بالکسر تبطها کل البصریین مثل ربط خطا بفتحتین من غیر مد یزید وابن ذکوان غیر ابن مجاهد خطا بالفتح ثم السکون ابن مجاهد عن ابن ذکوان خطا بالکسر والمد ابن کثیر وابان فون بالکسر ثم السکون فلا شرف علی الخطاب حمزه وعلی وخلف ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذکوان بالقاس مکسور الفاء حیث کان حمزه وعلی وخلف وعاصم غیر ابی بکر وحماد والمفضل وقراء ابو شعیط والتقوی غیر النقار بالصاد مشبعة علی اضافة ستی الی ضمیر کل حمزه وعلی وخلف وعاصم وابن عامر وسهل الا خرون سیئة علی التانیث الوقوف محمد وکلاه احسانا لکی یصاحبا فی نفوسکم عفوراه بندهراه الشیاطین کفوراه مبسوراه ویقدر طهیراه املاقا واباکم کبیراه فاحشة سبیلاه الا بالحق ط لان الشرط فی امر قد یقع نادرا خارجا عن النهی الفضل ما منصوراه اشد بالعهد علی تقدیر فان مسئولاه المستقیم ط تاویلاه برعلم مسئولاه مرحا ج لاحتمال اضمار الفاء او اللام طولاه مکروهاه الحکمة ط مدحورا ه اناثا عظیما التفسیر اجمل اعمال الترک قوله وسعی لها سعیها وهو مؤمن اخذ فی تفصیل احدی التفصیل تلک مبتدا باشرفها الذی هو التوحید فقال لا تجعل مع الله الها اخر والخطاب للنبی ص فی الظاهر ولکنه فی الحقیقة عام للکلفین وبحسبان بکون الخطاب للانسان کانه قیل یا ایها الانسان لا تجعل ایها القول ضمیر ای قل لکل مکلف لا تجعل وتما یؤید ذلک قوله وقضی ربک فان ذلک الخطاب لا یلیق بالنبی ص لان ابوبه ما بلغا الکبر عنده وانتصب قوله فتقعد علی ارتجواب للنهی والفاء فی التحقیق عاطفة والتقدیر لا یکن منک جعل فقعود ونبه وجوه منها ان المراد به المکث بقی کما یضع فلان فی بقی هو فاعدا سوحال ای ماکث سواء کان قائما او جالسا ومنها ان من شان المذموم الخذول ان یقعد نادما متفکرا علی ما فرط منه فالقعود علی هذا حقیقة ومنها انه کنایة عن عدم القدرة علی تحصیل الخیرات فان السعی فیها بالقیام والعجز عنه یلزمه ان یقعی قاعدا عن الطلب ومنها انه کنایة عن الصیرورة من قولهم تحمد الشفرة حتی فعدت کانها حوبر یعنی صارت ولا ریب ان المشرک جامع علی نفسه لذم والخذلان لانه لشرکه یضیف بعض النعم الحاصلة له حقه من الله الی غیر فیستوجب الذم بالکفران ویستحق الخذلان من جهتین ثم لما فوض امر الشرک الی العدم او العاجز الناقص یغلب بلا ناصر ومعین وایضا الکمال فی الوحدة والنقصان فی الکثرة فثبت الشریک واقع فی جانب النقصان یورث الذم والخذلان ولما ذکر ما هو الرکن الاعظم فی الایمان اتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال وقضی ربک ای امر امرا جزما وحکم حکما قطعا ان لا تعبدوا ای بان لا تعبدوا فان ناصبة ویجوز ان یکون مفسرة والفعل ه نهی معناه ای لا تعبدوا وقد روی الضحاک وسعید بن جبیر ومیمون بن مهران عن ابن عباس انه کان الاصل فی هذه الایة وقضی ربک وبه قرا علی وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرء وقضی ربک ثم قال ولو کان علی القضاء ما صح الله احد قط لان خلاف قضاء الله ممنع وضعف هذا القول باثبات وجوب مجهول وقوع الخبر والتصحیف فی القرآن امر یعبادة نفسه ثم ادغمه بالامر بالبر الوالدین ونقدیر الکلام بان تحسنوا بالوالدین او احسنوا بالوالدین احسانا لا یجوز ان یتعلق الباء فی بالوالدین بالاحسان علی ما ذهب الیه الواحدی لان المصدر لا یتقدم علیه صلته وقد مر فی اوائل البقرة تفسیر قوله وبالوالدین احسانا وانما یجعل الاحسان الیهما قائما لها بعبادة الله بحکی ان واحدا من المتعبدین بالحکمة کان یضرب اباه ویقول هو الذی ادخلنی فی عالم الکون والفساد وعرضنی للضرر والعمی فی زمانه وقیل لابی العلا المعری ما ذا کتب علی قبرک فقال کتبوا علیه هذه جنایة ابی علی وما جنیت علی احد وقال قوم الزوج والولد وزکت بهم نعمة العدم التی سبقت وصدرت عن نعیم العاجل ولوائهم ولد والعابوا شدة توحی بهم فی موبقات الاجل وقیل للاسکندر استاذک اعظم منة علیک ام والدک فقال الاستاذ اعظم منة لانه یحمل انواع الشدائد والمحن عند تعلیمی او فضحی فی نور العلم فاما الوالد فانما طلب بحصیل لذة الوقاع لنفسه فاخرجنی الی افات عالم الکون والفساد ومن هنا قیل خیرا لاباء من علک وقال العقلاء وهبک الوالد فی اول الامر لذة الوقاع ثم ما زال یصلح الخبر الی الولد ویدفع الافات عنه من اول دخول الولد فی الوجود الی ان ذکره بل الی اخر عمره لا یتکدر ولا یکفر ولهذا ذکر احسانا الی احسنوا الیهما احسانا عظیما کما یلیق الجزاء علی وفور احسانها الیک علی ان النادی بالبر لا کافی لا تراسبوه منه ثم فصل طرفا من الاحسان المامور به فقال اما یبلغن وان الشرطیة زیدت علیها ما الابهامیة لتاکید معنی الشرط ثم ادخلت النون المشددة لزیادة التقریر والتاکید کانه قیل ان هذا الشرط مما سیقع البتة عادة فلیکن هذا الجزاء مرتبا علیه والا فالتقریر والتاکید لیس یلیق بالشرط الذی مبناه علی تردد الحکیم وقال النحویون ان الشرط المتی من حیث الجزم وعدم الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤکدة فیه ومن قرا یبلغان فعلی التوحید فقوله احدهما او کلاهما فاعل له لکن الاول بالاستقلال والثانی بتبعیة العطف ومن قرا علی التثنیة فاحدهما بدل من الف الضمیر الراجع الی الوالدین وکلاهما عطف علی البدل لاستلزام العطف المشارکة دون المباینة وکلا مفرد لفظا مثنی معنی والفرق بینه وبین کل المفید للاحاطة فیخفف بحذف احدی اللامین وزید الف التثنیة لتعرف ان المراد الاحاطة فی المثنی کما فی الجمع وضعف بانه لو کان کذلک لوجب ان یقال الحفض والنصب مریدت بکلا الی

بدل مشارکة یصح ان یکون توکیدا للمضمر معطوفا علی الالف ح

بکر

بكسر الثاء كقوله طرقا التهاد يا صاحبي التجر قال في الكشاف معنى عندك هو ان بكرا وبعيرا نكانا كالعلمين لولدهما لا كاقال لهما غيرهما عندي وفي بيته وكنفه وهما اسما الاقعال وفي اف لغات ضم الهمزة مع الحركات وفي الفا الثالثة بالتنوين وبدونه وواو بكسرتين بلا تنوين وافي مما لا كسر فيه واف لخذ افه منونة وقد تتبع المنونة نقه بفتال اقه ونقه وهي من اسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء يقول العرب فلان يتأفف من ريح وجدها اي يقول اف اف قال الاصمعي الاف وضع اه اذن والتف وضع الاظفار يقذ لك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون به وقيل معناه قلة من الاتفيف هو الشيء القليل ونفث اتبلع له نحو شيطان لبطان وحبث دبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان الاف الفضر وقال الفتيبي اصله اتراب اذا سقط عليه تراب ونحوه نفه لبن بله فالصواب الحاصل عند ذلك النخ هو قول الفائل اف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه يصل اليهم وقال الزجاج معناه التنن وبه فسر مجاهد الا بداي متقذرا حين كنت تخرجه وتبول وتدروا بزاخر عن مجاهد اذا وجد منهما رائحة تؤذيك فالهما تقل اف اي تقل تضجرا وانضجر وقال بعض الاصوليين منع التافيف يدل على المنع من سائر انواع الاذية لان لفظة ومعنى الاية لا تتعرض لهما بنوع من انواع الايذاء والاجاثر كما ان قولك لا يملك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على انه لا يملك شيئا اصلا وقال الاكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى فاذا اردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون الحكم في محل المسكوت اخفى من الحكم في محل المذكور وهو الكثير الغباس واما ان يكون بالعكس وهو ان يعتق بعضهما من عبد وهو معلبا في فان الحكم في الامة والعبد بالسواء وان واما ان يكون الحكم في محل المسكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التافيف فانه معنا بالمنع من الضرب عقلا لان الملك الكبير اذا اخذ ملكا اخر عبده فقد يقول الجلاد اباك وان شتمني واشتاقهر كلمة موحشة لكن اضرب بعضه هذا معقول في الجملة الان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع عن جميع انواع الايذاء ثم اكد هذا المعنى بقوله ولا تنهرهما والنهر والنهي اخوان تقول نهرته وانتهر اذا استقبله بكلام يزجره وقل لهما بدل التافيف والنهر قولا كريما جميلا مشتملا على حسن الادب وروى ابن ابي مليكة والحسن والاحنشام وقال عمر رضي الله عنه الخطأ القول الكريم ان يقول له يا ابتاه يا اوتاه ان يسميهما باسمهما وقول ابرهيم لابيه اذ ربا القسم على النداء تقديم لحق الله على حق الابوين قال والواو لا يأس بها هذا الغيبة كما قالت عائشة يحملن ابو بكر كذا وسئل سعيد المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد المذنب للسيد الفظ واخفض لهما جناح الذل ذكر الفراء في معنى خفض الجناح وجهين الاول ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكانه قال للوالد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك والثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد النزول خفض جناحه وصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الاول انها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل والذلول والثاني سلوك سبيل الاستعارة كانه تخيل للذل جناحا ثم اثبت لذلك الجناح خفضا كقول لبيد اذا اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت للشمال يدا ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله من الرحمة في من معنى التعليل اي من اجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالامس ولا تكلف برحمتك اليهما ادوام لهما ولكن وقل رب ارحمهما كما ربياني لتبين الواو ورحمة مثل رحمتهما علي واما الكاف لا فزان الشبهين في الوجوه كما وقع ذلك فلنقف هذه الاشارة لتنبيه ربما الشيء اذا انتفخ وزاد قال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل مخصوص لان التخصيص اولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا كافرين فلهما ان يدعوا الله بما لهما به والارشاد ان يطلب لرحمتهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي في العمر مرة واحدة ترحمهما وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في كل يوم مرة او في كل شهر او في كل سنة فقال نرجو ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهد لان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وكانوا يرون الصلوة عليه في التشهد وكما قال الله تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يذكرون في ادبار الصلوة فلذلك ينبغي ان يدعو لهما ايضا كلما اذكرهما واذكر شيأ من انعامهما وسئل ايضا عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك اصل اينه ولا شيء ينفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به الابوين وعن النبي صلعم رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلعم ان ابوي بلغا من الكبر اني اتولى منهما ما ولدا في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقائك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله صلعم اباه واراد اخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسئله فقال اتركان ضعيفا وانا قوي فقيرا وانا غني فكنت لا امنعه شيئا من مالي اهو مع ذلك ضعيف هو قوي وانا فقير وهو غني وبخيل وهو عني وبخيل وهو عالم فبكى صلعم وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك مرتين وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن ستة الخالق حين حملت شعرا شعر قال انها ستة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها ستة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت ليلها واظمأت نهارها وقال لقد جازيتها قال ما فعلت قال بلى جزيتها على اعوانها ثم قال ما جازيتها ولو طلقها وقال الفقهاء لا يدين هبت بها الى البعد واذا بعث اليها مع محرم فعل ولا بأس ان يحمل ولا بأس باخذ الاناء منها اذا شربها ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه

وغير منونة صح

لا تنفقن رهما كما انهما لم ينفقا ذلك صح

فى كل الطاعات ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر الى الوالدين ثم فرط منكم مادرة تحفزهما فاتبتم الى الله واستغفرتم منها فانه كان للاوابين غفورا الامام المهدى كاروى عن عبد خير رضى الله عنه البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير والخطر تشمل كل من فرط منه جناية ثم تاب وبندرج تحته الجانى على ابويه التائب من جنايته لورود وعد الله تعالى اياه ثم وصى بغير الابوين من الاقارب بعد التوصية بهما فقال وآت ذا القربى حقه فهل الخطاب لرسول الله ﷺ ان يؤتى اقاربه الحقوق التى وجبت لهم فى الفئ والغنيمة او وجب عليه اخراج حق المساكين وابناء السبيل ايضا من هذين المالين والاظهر انه خطاب لكل انسان كما فى قوله وقضى ربك واما الحق المامور به للاقارب فهو اذا كانوا محارم كالابوين والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب كان اوجل موسرا ان ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعى لا ينفق الا على الولد والوالدين وان كانوا مياسير ولم يكونوا محارم كابناء العم يخصهم صلتهم بالمودة والآثار وحسن المباشرة على السراء والضراء وعطف المساكين وابن السبيل على ذى القربى دليل على ان المراد بالحق الحق المالى وقد تقدم وصف المساكين وابن السبيل فى البقرة وفى التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما يفرق البذور وهو الاسراف المذموم كانت الجاهلية تتحابا بالمباذير وتتباسر عليها وتنفق اموالها فى الخمر والسمعة كما ذكر واذلك فى اشعارها فنهوا عن ذلك وامروا بالاقتصاد فيما تقرب الى الله قال ابن مسعود التبذير انفاق المال فى غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا فى باطل كان تبذيرا ثم بالغ فى تقبيح شان التبذير فاذا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اى امثالهم فى الشرارة واصدقائهم من حيث اتهم يطيعونهم فى الامر بالاسراف اوهم قرناؤهم فى النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا لانه يستعمل قواه التى ركبت فى المعاصى والافساد والاضلال وكذلك من رزقه الله مالا او جاها فصرفه الى غير مرضاة الله كان كفور النعمة الله ثم علم ادابا حسانى رد السائل اذا فاته الامر اذا ذلك ضرورة فقال وامالكاف ترضين عنهم وكان البتة اذا سئل شيئا وليس عندك اعرض عن السائل وسكت حياء والقول الميسور الرد بالطريق الاحسن وقيل اللين السهل قال فى الكشاف فسر ابن عباس القول اى بقية القول المعروف كقوله قول معروف وغفر خير وذلك ان القول المعارف لا يحلم الى تكلف وقيل ادع لهم بان يسهل الله عليهم اسباب الرزق اى دعاء فيه شرف لجار الله فوله ابتغاء رحمة اما ان يتعلق بجواب الشرط فتقديره ما علة اى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله ترجوها بسبب حسنك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك توجوان يفتح لك فرجهم رد جميلا فتى ارزق رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فالفقد سبب الابتغاء فاطلق المسبب على السبب جوز ان يكون الاعراض كناية عن عدم الاعطاء فان من اجل ان يعطى اعرض بوجهه ولما ذكر ادب المنع ونهى عن التبذير صور بادب الانفاق فقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وهو لغة مثل لغاية الامساك بحيث يضيق على نفسه اهله فى سلوك سبيل الانفاق ولا تبسطها كل البسط اى لا توسع فى الانفاق بحيث لا يبقى فى يدك شئ وعين نهى عن طرفى التفريط والافراط المذمومين بقى الخلق الفاضل المتوسط بالجود وهو العدل الوسط ثم بين غاية استعمال الطرفين قائلا فتقعد ملوما عند الناس بالبخل محسورا بالاسراف اى منقطعا عن التصدق بسبب الفقر بحيث لا حسو ولا منقطع عن التحسر والاشتهاء ان المال مطية الحوائج والآمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وابقاء الاهل والولد فى الفقر والحسرة عن جابر بينما رسول الله ﷺ جالس اذا اتاه صبى فقال ان امى تستكسيك درعا فقال ما عندى شئ اعتزله ما اعتزلك فذهب الى امه فقال له قال لى ما عندى شئ اعتزله فقد خلع داره وثوبه فبعث اليه وعذره وقال اعطها قميصك الذى عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظره افلم يخرج للصلوة فنزل الاخبار فيما اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصين فجاء عباس مرداس فانشا يقول اتجعل نهبى ونهب العبيد بين عيينة والاقرع وما كان حصن ولا حابس يفوقان جدى فى مجمع وما كنت دون امرئ منهما ومن يضع اليوم لا يرفع فقال ﷺ يا ابا بكر اقطع لسانه عنى اعطه مائة من الابل فترك ثم اتبعه ﷺ بان الذى يرفعه من الاصاغر ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه تابع المنهج الخالق الرازق فقال ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اى يضيق لمن يشاء ويعطيهم جميعا فى الاقتار والتقتير لحكمة لا يعلمها الا هو فلا يدل بسطه على كرامة ولا قبضه على هوان وانما الكل من شان ارباب الحجر الصغير لبس للعبا الا الانتفاع ويحتمل ان يراد انه تعالى غاية قدرته وسعة جوده يرى احوال الخلق فلا يبلغ بالبسط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته وتخلقوا باخلاقه وفى الآية رد على المعتزلة حيث قالوا ان الصلاح قد يكون فى الفقر والغنى وايضا لما علم ان الصلاح فى البر بالوالدين ان يعلم كيفية البر بالاولاد فبر الاباء مكافاة وبر الابناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء النوع الانسانى كان قتل الاولاد ان كان لخوف الفقر فهو اسوء الظن بالله وان كان لاجل الغير فهو سعى فى تخريب العالم والاول ضد التعظيم لامر الله والثانى ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن تحبب الولد فكانه رغب عن تحبب الله تعالى اياه ولهذا المعنى جاء ما حاله اثر بوعد القرى منه جوا ﴿ وكانوا يقتلون اولادهم لعجز البنات عن الكسب لقلة الرجال عليه بسبب اشتغالهم على القتل والغارة وايضا كانوا يخافون ان تفقرها فتضطر الى انكاحها من غير الاكفاء وذلك عار شديد فبين الله سبحانه ان الموجب للحمد والشفقة هو رزق الاولاد لا قتلهم فقال نحن نرزقهم وايانكم ان الخوف من الفقر لا وجه له لان الله هو الرزاق لكل واحد منهما كما يكون الابن اقوى من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين شريكان فى الانفاق عليهما قبل البلوغ وما نهى عن قتل الاولاد المسند عن اثناء الكلام الذى ذكرنا انه معترض عن آتى المعترض الى مثل ذلك ولا افراد من اختلاط النسب فقال ولا تقربوا

الزنى وهذا الكلام ان يؤل لانه توهم علل النهي بقوله انه كان فاحشة اى خصلة مفرطة في القبح وساء سبيلا سبيله فاستدل القائلون بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل على ان الاشياء لا تخلو عن ان يقبح بذواتها بل لوجوه عائدة اليها في انفسها او ان تكليف العباد واقعة على وفق مصالحهم في المعاش والمعاد من مفاسد الزنى اختلاط الانساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص معين لم يكمل لعدم التزام تربيته اولا من الاخوة وكذا المرأة الزوجة اذا لم توجد بسبب شرعي للمرأة في صارت هي ايضا مأوى جل لم يحصل الالف والمحبة ولا تم السكون الازدواج وتنوب كل رجل على كل امرأة فاراد بحسب شهوته ومقتضى طبعه فيهيج بالفساد والحروب بعد التشبه باليهائم وايضا ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلي هو ان يكون شريكة له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد العبيد ولن يتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة في الجملة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره ايضا الوطي يوجب التناسل والعادة ولهذا لا يرتكب الا في الايام المسنونة وفي الاوقات المعلومة فاقتضاء المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقابل ذلك العمل وكفى في قبح الزنى ان مرتكبه لم يرتكب الا والتشاغل بقضاء كل عقل سليم ويخطئه ذلك عن رد جنة الاعتبار وقد زعم النفسير الكبير انه تعالى وصف الزنى وأنه اخوه بكونه مقتا الا ان الزانية تصير ممقوتة مكروهة وهو هم لان ذلك قد ورد في اول سورة النساء في نكاح منكوحات الاب فانه قال ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما يتعلق عليه لئلا يقتدي غيره في التهور لما فيه من التكليف الاحباط فاخر عمره فقال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله وفي التصريح بالتحريم بعد النهي تأكيد للحظر لان ربما دخل قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل في المضار الحرمة ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحياة وكمال الحياة ثابت لكن الحد انما يثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق وهذا جمل فبين ذلك الحق بقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اى تسلطا على استيفاء القصاص فظاهره يدل على انه لا سبب لحل القتل الا قتل مظلوما وظاهر قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضي حصر شيئين اعني الكفر بعد الايمان في قرنا على القول بتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل ان يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف والحديث بتمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا يلزم التوزيع المذكور ثم انه دل بذلك بخروج على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وأنه اخوه على سبب خامس وهو الكفر الاصلي أقاتلوهم حيث ثقفتموهم هذا وقد ابدل الفقهاء اسبابا اخر منها ان تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي حنيفة رد كذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز بعضهم قتل من يمنع الزكوة اذا بقي البهيمة والذين منعوا القتل في هذه الصور قالوا الاصل عدم القتل كما بيناه فلا يزول هذا الدليل الا لمعارض اقوى ولا اقل من ان ما روي ومواظبة المتواترة ثم انه سبحانه اثبت اولا الدم سلطانا ولم يبين ان هذا السلطان يحصل فيما ذا فقيل انه لما قال فلا يسرف في القتل عرف ان قتله انما تحصل في استيفاء القتل فقيل معناه فلا يسرف في القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بعفو [illegible] يملكم القصاص في القتل الى قوله فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف فلا يجوز له استيفاء القتل وان يكتفي بالعفو واخذ الدية فثبت ان هذا لا يجوز التمسك بعمومه في مسئلة ان عفو العبد القصاص عن الشافعي ان التنوين في قوله مظلوما للتنكير فيدل على ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يحل تحت هذا النص فعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي مستأمن فان ذبيحته غير معفو كالمشرك وكان النصارى قاتلوا بني تغلب وقد قال تعالى اقتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الاية وايضا ليس فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام من قبل ان اشتراك الفوقانية فعل خطاب المولى او فاعل المظلوم ومن قرأ على البناء للفاعل فالضمير للولي اى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير في قوله انه كان منصورا فانما للولي اى حسبه ان الله قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزاد عليه او نصره بعموم نيابة السلطان والمؤمنين فلا يتبع ما ورد حضه واما المظلوم فان الله نصره في الدنيا بايجاب القصاص على القاتل وفي الاخرة باعطاء الثواب واما الذي يقتل ولي غير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف المضمون في المبادي وفي ما روانها اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها بالحفظ واولاها بالصيانة مال اليتيم فقال ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وهي تثميره وانماؤه وروي مجاهد عن ابن عباس اذا كان احتياج الولي اكل بالمعروف فاذا افرقضاه وان لم يوسر فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده بان يكمل قواه العقلية والحسية كما مر في اخوانه وافوا بالعهد ويتناول كل عقد جرى بين اثنين على وفق الشرع وقانونه في المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا دل دليل خاص على ضده ان العهد كان مسئولا اى مطلوبا بطلب المعاهد ان لا يضيع ويفي به او هو على حذف المضاف والمراد صاحب العهد مسئول او هو تجهيل كانه يقال للعهد لم نكثت كقوله واذا الموؤدة سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالفرسطون وقيل كل ميزان صغيرا وكبيرا والاصح انه لغة العرب القسط العدل وقيل دعوى شيء ذلك لا يفيد والوزن العدل خير من التطفيف واحسن تأويلا عاقبة من اذا رجع اما في الدنيا فلان اشتهر الاحسن عن الخيانة فالقلوب اليه وعقول الناس عليه فينفتح عليه ابواب المعاملات واما في الاخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل

والوصيد عليه شدد والعار فيه عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب فقال ولا تقف اى لا تتبع من قولك قفوت فلانا اذا اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو اكل بيت القصيدة المشهورة بالقافة لانهم يتتبعون آثار اقدام الناس ويستدلون بها على احوالهم والنسب المراد النهى عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة فقيل نهى المشركين عن تقليد اسلافهم والاطناب والتذييل والتحريم والمعاد كقوله ان يتبعون الا الظن وما هم الا يخرصون الا نفس هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك وسمعته اذناك ووعاه قلبك قيل اراد النهى عن القذف ورمى المحصنين والمحصنات بالاكاذيب كانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها فى الجاهلية بالعوفهر وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو فى معنى الغيبة لا ترتقل بقال فى قفاه وفى الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج اى بتوب ورد غة الخبال بفتح الدال وسكونها هى عند اهل النار من القيح والصديد اتجمع نفاة القياس بالآية زعما منهم ان الحكم فى دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم قد يراد به الظن قال تعالى فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار ولا ريب انه اذا تعذر العلم بايمانهن بنى على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن سلمنا ان الظن وقع فى الطريق لكن الشرع قد اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وترتيب ما تقدم دليل قاطع على وجوب العمل بالظن الغالب لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه اما ان كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكان دالا على ثبوت هذا المطلب كان قطعيه غير محتملة للنقيض فلو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونقض بان الدليل الذى عولتم عليه وهو هذه الآية نمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد فى القبلة وفى قيم المتلفات وارش الجنايات وكذا الحكم بكون الشخص المعين كالدابة مؤمنا المحل ذبحه او الوارث لحصول التواتر والميت لبعد فى مقابر المسلمين بالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة فى الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الاجال المعتبرة والاعتماد على صدق الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الآية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه الآية وكل ما يقتضى ثبوته الى يقين يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد ﷺ ان التمسك بآيات القرآن جائز وبان كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهى بقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك اشارة الى الاعضاء الثلثة وان لم يكن ذوات العقول كقوله والعنبر بعد اولئك الا تام كان عنه مسئولا فان الكتاف عند فى موضع الرفع بالفاعلية مثل غير المغضوب عليهم وفيه نظر لان المسند اليه الفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب ان بقى اثر فاعل مسئولا المحذوف والثانى مفسره وكيف يسئل عن هذه الجوارح قيل يسئل صاحبها عما استعملها فيه لانها الات والمستعمل لها هو الروح الا ترى ان استعمال الجوارح استحق الثواب والا فالعقاب وقيل انه تعالى يخلق الاعضاء ثم يسئلها عن افعالها كما يشهد الارض مرحا نصب على الحال مع انه مصدر اى ذا مرح وهو شدة الفرح وفى وضع المصدر موضع الصفة نوع من التاكيد مثل ذلن ركضا وهو نهى عن مشية اهل الخيلاء والكبرياء انك لن تخرق الارض لن تثقبها بشدة وطائك ولن تبلغ الجبال طولا مصدر فى موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الادمى بانه فى حال الخفاء لا يقدر على خرق الارض حال ارتفاعه لا يقدر على لوصول الى رؤس الجبال فلا يليق بمن يتكبر ويصاول ان يتكبر بما هو فى نفسه حال ضعيف محصور بين عجزه من فوقك وتراب من تحتك فلا يفعل بفعل المقتدر القوى وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض فى مشيك ولن تبلغ الجبال طولا فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك فيه يأس للانسان من بلوغ ارادته كل ذلك كان سيئه من قرأ بالاضافة فظاهر ان المذكور فى قوله لا تجعل مع الله الها آخر بعضها حسن وهو المأمورات وبعضها سيئ وهو المنهيات فالمعنى ما كان من ذلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند الله ويمكن ان يراد بهذى ذلك الخصائص طرف الافراط او التفريط ومن قرأ سيئة على التانيث فقوله ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان الكلام قد تم عند قوله ولا تجعل ثم ابتدأ وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهى عنه فى قوله ولا تقف الآية وانما قال سيئة على التانيث مع قوله مكروها على الذكير لان تجعل السيئة فى معنى الذنب والاثم قال المعتزلة الكراهة تنفيض الارادة فيجب الا يريد الله الا ما امر به لان المنهيات لا تكون مرادة لله تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن مخلوقة لان الخلق بدون الارادة محال اجاب الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها منهيا عنها وترتب الذم عند وعن الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهية واجيب بانه لا باس بالتكرار لاجل التاكيد ذلك الذى ذكر من قوله لا تجعل الى هذه الغاية وهى الى خمسة وعشرين تكليفا مما اوحى اليك ربك من الحكمة سمى حكمة لان تركه كالمحكم لا مدخل فيه للفساد وبوجه روى ابن عباس انها كانت فى الواح موسى وباصطلاح الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل لا ريب ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهى الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه التكاليف المنهى عن الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وصلاحها ومن فقده لم ينفعه شئ من العلوم وان بلغ الاقران والاكفاء حد الياس فقوله تعالى وقد اراد عجز هذا التكرار فيقبح فرتب على الاول كونه مذموما ملحدا وذلك اشارة الى حال المشرك ثم الله تعالى انما رتب على الثانى انه

الفضيلة والخيانة من المعاملات وكذا الخ

بالغي في جهنم ملوما مدحورا وانما حالة الاخرة وقد الغوه هناك والالفاء ههنا اشارة الى ان الانسان في الدنيا مصور باختيار خلاف الاخرة
والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو ان يكون الفعل الذي اقدم عليه قبيح منكر واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل
وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين الخذول والمدحور بان الخذول عبارة عن التضعيف
بقي ان يقال لم عصاه اي ضعفت المدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين الفاظهم بان الملائكة بنات
الله فقال أفأصفيكم اي اختصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اولادا انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد الى من لا يتجه له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة بالادون والاردى ثم بجعلكم الملائكة الذين هم اعلى
خلق الله على الاطلاق اوبالتعبيد على المذهبين اخس الصنفين وهو الاناث التأويل خاطب بنيه ليقطع تعلقهم عن الكونين من بين
الثقلين فقال واقضى ربك لا تجعل مع الله الها آخر من الدنيا والاخرة ثم شرف امته بتبعيته فقال او قضى ربك الا تعبدوا الا اياه واتما فان
ربك لا اصل في الربوبية والالهية لغيره فمن حكم في الاول انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله ومن والى الدين طلبا للروح ووالى الدين
الاحسان بهما ان يؤديهما في العبودية بعبد الله كانهما يريانه اما تبلغن عندك يخاطب القلب بوصفهما بان يواسي والدا الروح عند كبره وهو
بلوغه على مراتب القرب وعجزه عند سطوات تجلي صفات الالوهية وبدايته والدة البشرية في الاستعانة عند العجز والاستراحة
وافق بهما عند استعمالهما في العبودية ولا تنكر عليهما فانك احدث التربية منهما لان الفلك طفل لولد بازدواج الروح والبدن وقد بعد المتربية منهما صوفي
الى ان صفا بلا تجلي الخلق ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للمخالفة فانه كان للاوابين الراجعين من
اثاثية الى الموية دون من كان مفتديا بنفسه غفورا ساترا بانوار جماله اخبر عن ادب الخلافة فقال والاوابين وهو التضرع فان تنفسك عليك حجاب
من تحسر وتغير ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا
بكو اگر بودي با او الهان چنانكه بكو بند انكاه ونجنيف كرديم دراين قران تا بند كيرند وبخود راه راست زا كه نزديك
لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن
راه حيله بجانب بوصاحب عرش راهي منزه است او وبرتر بسيار از انچه بكو بند برتري بزرك
فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا
در آنهند وهيچ چيز نيست كه تسبيح نكند بستايش او وليكن نمي فهميد تسبيح ايشان زيرا كه بردبار است بر ايشان آمرزنده
بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم
ميان تو وميان انانكه نميكروند بآخرت پرده پوشيده وكردانيديم بردلهاشان پوششها مبادا كه بفهمند آنرا ودر كوشهاشان
وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون
كرانه وچون ياد كني پروردكار خود را در قران تنها پشتها شان بر كردند كريزان ما داناتريم بانچه كوش ميدارند بدو چون كوش ميدارند
اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال
بتو در راز كوئي انكاه كه ميكويند ستمكاران نميكنند مكر مردي را افسون كرده شده بنكر چكونه زدند براي تو
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا
پس كمراه شدند پس نميتوانند يافت راهي وكفتند آيا چون باشيم استخوانها ودريزه ريزه آيا ما برانكيخته شدكانيم بآفرينش تازه بكو باشيد
حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة
سنكها يا آهن يا خلقي از انچه عظيم تر آيد در سينهاشان پس زود باشد كه كويند كه باز ميكرداند ما را بكو آنكه بيافريد شما را بار اول
فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده
پس برفشانند بسوي تو سرهاي خود را ويكويند كه كي خواهد بود بكو شايد كه نزديك باشد روزي بكويد خواندن ايشان پس اجابت ميكنيد بستايش او
وتظنون ان لبثتم الا قليلا وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان
وكمان ميبريد كه درنكيديد مكر اندكي وبكو مر بندكان خود را كه بكويند انكه نيكوتر است بدرستيكه شيطان
الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا
ميانكيزد ميان ايشان بدرستيكه شيطان هست مر انسان را دشمن آشكارا پروردكار شما داناتر است بشما اكر خواهد رحمت كند شما را يا اكر خواهد عذاب كند شما را وما نفرستاديم ترا بر ايشان
وربك اعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا
كارساز وپروردكار تو داناتر است بانكه در آسمانهاست وزمين وبتحقيق برتري داديم بعضي از پيغمبران را بر بعضي ديكر وداديم داود را زبور بكو

الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى
ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا وإن من قرية إلا نحن
مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا وما منعنا أن نرسل
بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا
وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا
خلف الأخوين بتشديد التاء والكاف من التذكر كما يقرأ
في العنبة أبو بكر وحفص فما نقرؤن على الخطاب حمزة وعلي وخلف بتاء التأنيث أبو عمرو وسهل ويعقوب ونحوه وعلى وخلف وقالون
غير البزي بكرو وحماد والمفضل والخزاز عن هبيرة الأخوين على الذين كفروا أنا الفول فيه كما مر في الرعد وكذلك ما في آخر هذه السورة وفي سورة
قد أفلح وفي سورة المدثر الوقوف ليذكروا وألفوا سبيلا كبيرا بين بتحقيقهم مستوفوا للعطف وقوله أنهوا أسبيلا أحمد بإشباع هاء الضمير
صدورهم للقاء مع أن واللتين للاستيناف فسيقولون ما قل ما فلنا هو هو مرتبا قليلا أحسن منهم مبينا أعليكم كيدا لا أو أرض يوم
تخويلا أعدابه محذورا شديدة مسطورا الأولون كان لواو للاستيناف فظلموا بها تخويفا بالتاء من القرآن الكل لما مر في نحوهم
لصحة عطف المستقبل على المستقبل كبيرا التفسير لها بين أنواع الحكم ومكارم الأخلاق وكرغاية مطلوبة الأنث وجهولية فقال ولقد
صرفنا أي بينا أحسن بيانا لأن من حاول بيان شيء فاته يصرف كلامه من نوع إلى نوع ومن مثال إلى مثال حتى يتناهى بذلك ما هو مراده من
الإيضاح ومفعول التصريف متروك أي وقعنا التصريف في هذا القرآن أو يحذف المعلم به والمراد صرفنا فيه ضروبا من كل مثل وأراد بهذا
القرآن انهال صافهم لبيانات الله لا نه ما كرر ذكره والمقصود لقد صرفنا القول في هذا المعنى وقيل لفظة في زائدة كقوله واصلبكم
في جذوع قال الحبائي فكر ليذكروا لكي لتذكروا دلالة على أنه أراد منهم فهما والإيمان بها والمراد بالذكر ههنا فيمن قرأ مخففا هو التذكر والتأمل
لا التذكر الذي هو نقيض النسيان وقالت الأشاعرة قوله وما يزيدهم إلا نفورا دل على أن ذلك الحكيم إذا أراد تحصيل أمر من الأمور وعلم
الفعل الملائم لذلك الأمر يسبب لعسره وتعذره والنفرة وطريق الحكمة فيه يقتضي هذا الأمر يدل لك الفعل ولما أخبر أن هذا التقرير يزيدهم نفورا علمنا أنه
ما أراد الإيمان منهم عن شفيان لتوري أنه كان إذا قرأ هذا قال زادني لك خضوعا ما زاد عادلوا نفورا ثم دل على التوحيد الذي أمر به في
قوله ولا تجعل مع الله إلها آخر فقال قل لو كان معه آلهة كما يقولون أي كما يقول المشركون من إثبات آلهة من دونه كما تقولون أنها الكفرون
وفي قوله لا بتغوا دلالة على أن ما بعد إذا هو لا بتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو والله أعلم الكشاف قلت ولعل إذا ههنا
تدل على معنى التعليل أي لطلبوا إذ لا سبيل لهم إلى ذلك وقرئ سبيلا بالغائبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض مثل لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
ويسمى أهل العرف المتكلمين دليل التمانع ويجيء بحثه في سورة الأنبياء إن شاء الله العزيز وقيل معنى الآية لو كانت هذه الأصنام كما تقولون من أنها
تقربكم إلى الله زلفى لطلبت لا نفسها سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وضع الظاهر موضع المضمر وهو الجاري موضع التشبيه وهو التعالي كقوله تسبح
من الأرض بناء ثم وصف لعلوا بالكبر بما لغة في التنزيه ودليها على أن بين الواجب لذاته وبين الكفء المطلق والفقير المطلق مباينة لا يعقل أزيد
عليها ثم بين غاية ملكه وفخامة عظمته بقوله تسبح له السماوات السبع الخ الكلف كون دلالة بالسان بأن يقول سبحان الله وتعالى بدلالة الحال
على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون الا من القبيل الثاني وقد تقرر في أصول الفقه أن اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا حالا واحدة
فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليحمل لكل هذا ما علينا المحققون وأورد عليه أنه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لما قيل ولكن لا تفقهون
تسبيحهم لأن التسبيح بهذا الوجه مفقود معلوم واجيب بأن دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الاجمال دون التفصيل لأنا ما أحدث
نفاخة واحدة فلا شك أنها مركبة من أجزاء لا تتجزى لكن قد تلك الأجزاء وصفة كل منها من الطعم واللون والحيز والجهة وغيرها لا يعلمها
إلا الله ولنفرض الخصم المشركين وأنهم وإن كانوا مقرين بالخالق لا أنهم لما أثبتوا له شريكا وأنكروا قدرته على البعث لا لعاقة ولم ينظروا إلى الحجارة الله
على بتوته مجدا فكانهم لم يفهموا التسبيح إذا لم يتسلوا بل إلى تجهيز القدر التصحيح لها وأعلم الآية بقوله إنه كان حليما غفورا يعني لا يعاجلكم بالعقوبة على عظيم
وسوء نظركم وفهم بعض الناس من قوله ما سوى الحي المكلف يسبح الله بلسان المقال كل بلغته حتى الأصوات والحروف المسموعة من كونه مسبحا فكذلك صياح الديوك ونهاق الحمير وما نعلم

بعد تكم التفسير

عن التسبيح وكذا كسر الغصن ويمكن ان يجاب بان تسبيح كل شئ لعلم يختص بتركيبه الذي خلق عليه فاذا ابطل تلك التركيب فذلك التعظيم يبقى مسبحا
مكونه وعلى ذلك النحو اعترض عليه ايضا باترا ذا جاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله سبحانه وتعالى فلم لا يجوز ان يكون مسبحة لله مع انها ليست قادرة
باب العلم بكونه تعالى حيا لانا نستدل بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن ان يجاب بانا نستدل على حيوته تعالى بالاذن الشرعي ولو سلم ان العلم بذلك
الحيوة عقلا فقد قيل ان لكل موجود حيوة يليق به ولما نوع من الاصطلاح شرعي في الثبوت فقال واذا قرأت القرآن الخ قوله كانوا يوذون رسول
الله ص اذا قرأ القرآن عليهم يروى انه كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره اولاده فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وعن انه كان رسول الله ص جالسا ومعه ابو بكر اذا قبلت امراة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول ص وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله ص انها معها حجر اخشى عليك فقال رسول الله ص وهي تقول هذه الابيات فجاءت ثم ولت راجعة فقالت قد علمت اني ابنة سيد وان صاحبك هجان فقال ابو بكر لا ورب هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحرث وابا الحارث ج ر
جهل وغيرهم كانوا يجالسون رسول الله ص ويستمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد ص غير اني ادري شقشقة هذا كان جنيا وقال ابو سفيان اني ارى
بعض ما يقول حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال عتيبة بن عبد العزى هو شاعر فمشى اليه رسول الله ص اذا اراد ان يأتيه الفرار
ثلاثة قبلها ثلاثة ابيات وهي في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا في النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم
وحم الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه وكان الله تعالى يجيبه ببركات هذه الابيات عن عيون المشركين وذلك قوله وجعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة ج
بالاخرة حجابا مستورا اي ساترا وقد جاء مفعولا بمعنى ذا كذا حجابا فاعل على ذلك كثير الخولاني وتأمر ذلك قولهم رجل مطلوب اي مطلوب ومكان
مهول ذو هول وسيل مفعم ذو اعلام وجوز الاخفش مجيء فاعل بلفظ المفعول مثل مشئوم ومشؤوم وقيل اي حجاب يخلقه الله في عيونهم بحيث يمنعهم
ذلك الحجاب عن رؤيته فحسب وذلك الحجاب شئ لا يراه احد فهو مستور وعلى هذا يخرج قول الاشاعرة انه يجوز ان يكون الحاسة سليمة والمرئي
حاضرا والرؤية غير حاصلة لاجل ان تعالى الخلق العيون شيئا يمنعه عن الرؤية ويحمل ان يراد بحجابا من دونه حجابا او حجبا فهو مستور بغير اداة حجاب يبصر فكيف يصير الحجاب به والقول الثاني في الآية ان المراد بالحجاب الطبع والختم واستدلت الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الآية على صحة
من يهيم في خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا والحجاب الحجبا بان المراد انهم يطلبون موضعه
بالليل ليقتلوه ويحتالون عليه باستماع قراءته فامنه الله من شرهم بان جعل في قلوبهم ما شغلهم عن فهم القرآن وفي اذانهم ما صمهم من سماعه تقول
قال الكعبي اراد به الخذلان والحرمان كما تستعمل اذا لم ير لعبد وفعلت احوالا في العبد يقول انا افعل بك في هذه الحالة كيت وكيت خذلك وحرمان
وقال جار الله هذه حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا غلف في اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحتجون
ان يدعوا الهتهم كلما ذكروا الله فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر الهتهم نفروا وانفضوا عن المجلس فذلك قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
وهو مصدر سد مسد الحال والتقدير بحد وحده مثل وارسلها العراك ولوا على ادبارهم نفورا مصدر من غير لفظ الفعل او جمع نافر كقاعد
وقعود فاوعدهم الله على ذلك بقوله نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن قال جار الله به في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء
مصاحبين بالهزء واهائين واذ يستمعون نصب بما دل عليه اعلم وقت استماعهم به يستمعون اذ هم نجوى اي وبما يتناجون به اذ هم ذوو
نجوى اذ يقول الظالمون او بدل من اذ هم اذ تتبعون اي على تقدير الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله الا رجلا مسحورا سحر فاختلط عقله
زال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذي فسد من قولهم طعام مسحور اذا افسد عمله ارض مسحورة اصابها من المطر اكثر مما ينبغي فافسدها
وقال مجاهد مسحورا مخدوعا كان السحر يخيله وحدثني عموان محمدا يتعلم من بعض الناس او ذلك الناس كانوا يجدون نعته في الكتابات الاولى وعموا
ان الشيطان يجد عرفيتمثل له بصورة الملك وقال ابو عبيدة يريد بشرا ساحرا وهو الرئة به قال ابن قتيبة لا ادري ما حمله على هذا التفسير المستكره
مع ان السلف قد رموها بوجوه الواضحة انظر كيف ضربوا لك الامثال تشبيها لكل منهم بشئ اخر فقالوا انظر كيف مثل لك منهم بشئ اخر وقالوا انما هو شاعر وساحر ومعلم ومجنون فضلوا
في جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى وابهاما ضلالا من يخترع الى البئة الذي لا مساغ به وحين وقع من شبهات القوم في
النبوات حكى شبههم في امر المعاد وابهاما ذكر ان القوم وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان في زعمهم دالا على اختلاط العقل وهو دعوى
الانسان انه صار حيا بعد ان كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة من كل شئ يبكر وهو اسم كالرضاض والفتات وقيل منه رفت عظام
الجزور رفتا اذا كسرها وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات صفت اعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت بها وانظمت بامثالها
من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها بالحياة ثم سموا الحيوة الى ذلك الجمع فاجاب الله تعالى عن شبههم بان اعادة بدن الميت احالة
الحيوة امر ممكن ولو فرضنا ان بدنه قد صار بعد شئ من الحيوة وطوبة الحي عضا من جنس ما ركب منه البشر كالجارة او الحديد فهو كقول
القائل الطعام قد اوانا فلان فيقول كن ابن الخليفة او من شئت فساطلب منك حقنا قولا خلفا مما يكبر في صدورنا فاما فرضوا اشياء اخر بعد
عن قبول الحيوة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحيوة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشئ وقال مجاهد اراد بما
السموات والارض وعن ابن عباس انه الموت اي لو صار ابدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحيوة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما

يقال هو روح مجسم او جوهر محض والاول باطل لان الجسم عرضة للحال وبتقدير التسليم فالموت كيف يعقل الجهوة لان الضد يمتنع ان يقبل الضد وفيه قال الله يحفظه اول مرة بيان كاف وبرهان شافٍ لانه لما سلم ان خالق الحيوة هو الله فذلك الاجسام في الجملة قابلة للحيوة والعقل لان العالم يجمع الحيوانات والكلبات فلا يشتبه عليه الاجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جمعها متصفة بالحيوة في اول الامر فلان يقدر على اعادتها الى الحيوة في ثاني الحال اولى لانهم اولا بامكان البعث لم يمكن وان فرضتم بذلك البتة اي شيء اردتم بانكارهم سلموا امكانه ولكن بخلهم وتعنتهم فلوا عن تعيين الموعد فقالوا من يعيدنا فاجاب بانه الفاطر الاول ثم زاد في الاعتراض فسئلوا عن تعيين الوقت بقولهم ومتى هو فذلك قوله مستغضين إليك رؤسهم اي فسيحركونها تعجبا واستهزاء قال ابو الهيثم تقول للرجل اذا اخبر شيئا فحرك راسك الى فوق والى اسفل انكارا له انغض راسه قال المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقته على التعيين مما استاثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض اكثر من سبعمائة سنة ولم يظهر لانا نقول كل ما هو آت قريب واذا كان ما مضى اكثر مما بقي فان الباقي قليل فقوله يوم يدعوكم منتصب باذكروا والمراد يوم يدعوكم كان ماكان او هو بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة وروي ان اسرافيل ينادي ايتها الاجساد البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت والاستجابة موافقة الداعي فيما دعى اليه وهي مثل الاجابة بزيادة تاكيد لما في السين من طلب الموافقة فان في الكشاف لان تعاطيه والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين وقوله بحمده حال منهم اي حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بامر يثق عليه ستجابر وانت حامد شاكر اي ستهيئ لي الحالة بحمد الله وشكره على ان اكتفوا مثل ذلك العمل وهذا بدل على معرض التهديد وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال اخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم حين عاينوا الاخرة ومثله قول الحسن معناه تقربت وقتا بعد وقت كما تقلب بالدنيا لم تكن وبالاخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين الاولى والثانية فانهم يرون عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصارا لبثهم في عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم امر المؤمنين بالرفق واللين رجع عند ابراد الحجة على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد يختص بهم في اكثر القرآن فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه يريد يقولون الكلمة الاحسن وهي ان لا تكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد بين المؤمنين جميعا فيوقع بينهم العداوة والغضب بتكامل النفرة ويمنع حصول المقصود ثم قال ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم ايها المؤمنون بالاهتداء من كفار مكة ومن اباكم او ان يشا يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم وكيلا اي حافظا موكولا اليك امرهم انما انت نذير وما عليك الا الانذار والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله قولوا ربنا اعلم بكم الى اخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها كان يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك ثم بين بعد غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقر بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي احسن وهي كلمة التوحيد والبراءة من الشرك والاضداد لان ذلك احسن يالبد بهة من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر احسن منه وصفه بالعزة عنها والحامل على مثل هذه العقائد هو الشيطان المعادي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم بتوفيق الهداية لو ان يشا يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان ذلك المشيء غائبة عنكم فلا تقصروا في الجد والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام وما عليك الا البلاغ على سبيل التوفيق والمداراة وهذا قبل نزول الآية السيف قيل نزلت في عمر بن الخطاب شتم رجل فامر الله بالعفو وقيل ازعاج ابناء المشركين المسلمين فشكوا الى رسول الله صلعم فنزلت وجهر قال ربكم اعلم بكم اعلم بحالكم فقال ورتبل اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وفيه رد على اهل مكة في انكارهم ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلايق بتبادرون صناديد قريش واكابرهم وانما ختم الآية بقوله وآتينا داود زبورا لان العلم ان التفضيل ليس بالمال والملك وهو العلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه الا بمزيد الثناء الكتاب وفيه ايضا اشارة الى ان محمدا صلعم خاتم الانبياء وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي محمد وامته ومعنى التكثير في زبور انه كامل في كونه كتابا والزبور وزبورا كالعباس وعباس والحسن حسن والمراد بعض الزبر او الزبور كما يسمى بعض القرآن قرانا وقيل ان كفار قريش ما كانوا اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات وكانت اليهود يقولون ان الله لما بعد موسى لا كتاب بعد التوراة فنقض الله كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين زعمتم نفرا من الجن عندهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا انما خصصت الآية باحد هؤلاء الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب وتقرير الزام المعبود الحق هو الذي قدر على ازالة الفقر وتحويله من حال الى حال ومن مكان

بنی اسرائیل

الی مکان وهذه التی زعمتم انها الهة لا یقدرون علی شیء من ذلک فوجب القطع بانها لیست بالهة سؤال ما الدلیل علی ان الملائکة لا قدرة لها علی کشف الضر فان قلتم لانا نرهم ان اولئک الکفار کانوا یتضرعون الیها ولا یحصل الاجابة قلنا ان المسلمین ایضا یتضرعون الی الله ولا یجابون ویتقدیر الاجابة فی بعض الاوقات فالکفار ایضا قد یحصل مطلوبهم احیانا فیقولون لتر می الملائکة جوابه ان المذکور مقرون بان الاله الاعظم خالق العالم فکمال قدرته معلوم متفق علیه وکمال قدرة الملائکة غیر معلوم ولا متفق علیه بل المتفق علیه ان قدرتهم بالنسبة الی قدرته الله قلیلة حقیرة واذا کان کذلک وجب ان یکون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم اولی واجدر واخذا بالمعلوم المتیقن دون المظنون الموهوم علی ان اهل السنة قالوا لا تاثیر لشیء فی الوجود الا لله تعالی بقول مؤلف هذا التفسیر ضعف عباد الله تعالی واحوجهم الیه الحسن محمد الشهیر بنظام النیسابوری نظم الله احواله فی ولاده ولواه ولواء دایته فی بعض الکتب مرتاعا من امر الموسمین علیهم من وقع فی ملة او طلب کفایتهم فلیسجد فی خلوة ولیقل فی سجدته الهی انت الذی قلت ادعوا الذین زعمتم من دونه فلا یملکون کشف الضر عنکم ولا تحویلا فما من هلک کشف الضر عنا وتحویلا کشفا عاجلا فاذا قال ذلک کشف الله عنه ضره وکفی مهمه وقد جربت فوجد کذلک ثم انه تعالی اکد عدم اقتدار معبودیهم بیان غایة افتقارهم الی الله تعالی لجذب المنافع ودفع المضار فقال اولئک وهو مبتدأ والذین یدعون صفته ویبتغون خبره یعنی ان اولئک المعبودین یطلبون الی ربهم الوسیلة ای القربة فی الحوائج وابتغی بدل من واو یبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف ای یبتغی من هو اقرب لوسیلة الی الله فکیف بغیره الاقرب والدلیل علی هذا الافتقار اقرار جمیع الکفار بامکانه الذاتی وجوزنا فی الکشاف ان یضمن یبتغون لوسیلة یعنی یحرصون ایهم یکون اقرب الی الله وذلک بازدیاد الخیر والطاعة والصلاح ویرجون رحمته ویخافون عذابه کغیرهم من العباد وقیل اولئک الذین یدعون هم الانبیاء الذین ذکرهم الله فی قوله ولقد فضلنا بعض النبیین علی بعض الذین عظمت منزلتهم وهم الانبیاء الداعون للامم الی الله لا یعبدون الا الله ولا یبتغون الوسیلة الا الیه فانهم احق بالعبادة واحتج هذا القائل علی صحة قوله بان الله تعالی قال یخافون عذابه والملائکة لا یعصون الله فکیف یخافون واجیب بانهم یخافون عذابه لو اقدموا علی الذنب لقوله ومن یقل منهم انی اله من دونه فذلک نجزیه جهنم ان عذاب ربک محظورا ای حقیقا بان یحذره کل احد من ملک مقرب نبی مرسل فضلا عن غیرهم فان لم یحذره بعض الجملة فانه لا یخرج عن کونه واجب الحذر ثم بین بعض احوال الدنیا واهلها فقال وان من قریة الا نحن مهلکوها قبل یوم القیمة بالموت والاستیصال ومعذبوها بالقتل وانواع العذاب کالسبی والاغتنام وقیل اهل الطاعة والتعذیب للعاصی والکتاب ذلک فی الکتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا فلا یوجد له تبدیل قط ثم ذکر نوعا اخر من سننه فقال وما منعنا ان نرسل بالآیات الا ان کذب بها الاولون من اهل مکة کما کذبها من تقدمهم من الامم فاهلکناهم فنهلک هؤلاء ایضا ان لم یؤمنوا وذلک ان اهل مکة سألوا رسول الله صلی الله علیه وسلم ان یجعل لهم الصفا ذهبا وان ینحی عنهم الجبال فیحرثوا ویزرعوا فلک الارض فطلب الیه ربه ان یفعل ما سألوه فان شاء ان یؤتیهم ما اقترحوا فعل ثم ان کفروا بعد ذلک اهلکهم فقال الرسول ان شئت فعلت لکنهم ان کفروا بعد ذلک اهلکتهم کما اهلکت من قبلهم من الامم فقال بل استانی ربی یا محمد لعلی ادعو لهم فیتوبون فانزل الله تعالی وما منعنا ان نرسل بالآیات التی اقترحها قومک الا ان کذب بها الاولون من امثالهم من المطبوع علی قلوبهم کعاد وثمود وانها لو ارسلت لکذبوا بها کتکذیب اولئک واستوجبوا عذاب الاستئصال علی ما اجری الله تعالی عادته والحاصل ان المانع من ارسال الآیات التی اقترحوها هو ان الایتاء مع التکذیب موجب للهلاک الکلی وقد عزمنا ان نؤخر امر بعثنا ایاهم الی یوم القیمة ویحتمل ان یراد انهم مقلدون لآبائهم فلا یؤمنون فیکون ارسال الآیات صانعا ثم استشهد علی ما ذکر بقصة صالح وناقة لان اثارها کانت فی بلاد العرب فرآها بصرهم وادرکها وهذا معنی قوله مبصرة اطلق الادراک الذی هو سبب البصر للمتامل بها ارشادا بانفسهم بقتلها او فکفروا بها بمعنی انهم جحدوا کونها من الله قاله ابن قتیبة وما نرسل بالآیات المقترحة الا تخویفا من نزول العذاب العاجل بمعنی ان من انکرها علیه او المراد وما نرسل بآیات القرآن وغیرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الاخرة علی المعنی المذکور وحین امتنع من ارسال الآیات المقترحة علی رسوله المضاف المذکور فوی قلبه بوعد النصر بالغلبة فقال وان ربک احاط بالناس ای انه تعالی احاط بالناس ای انهم فی قبضة قدرته فلا یقدرون علی خلاف ارادته فینصرک ویظهرک حتی تبلغ الرسالة عن الحق الی جمیعهم وبینه ان یقتلوه کما قال والله یعصمک من الناس وقیل اراد بالناس مکة واحاط بمعنی الاستقبال الا ان خبر الله تعالی لما کان واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضی فی عدته بانه سیهلک قریشا فی وقعة بدر اما قوله وما جعلنا الرؤیا التی اریناک الا فتنة للناس ففیه اقوال الاول انه تعالی اراه فی المنام مصارع کفار قریش حتی قال والله لکانی انظر الی مصارع القوم وهو یرمی بانه الارض ویقول هذا مصرع فلان غدا ان شاء الله ومصرع فلان فسمع قریش ذلک جلوا وراءه سخریة وکانوا یستعجلون بما وعد الثانی انکروا ما رآه الذی رآه ان یدخل مکة وذلک اصحابه واخبر فلما منعوا من البیت الحرام عام الحدیبیة کان ذلک فتنة لبعض القوم وقال عمر لابی بکر فلم اخبرنا رسول الله صلعم انا ندخل البیت ونطوف به فقال ابو بکر انه اخبرنا انا نفعل ذلک فی هذه السنة فسنفعل ذلک فی سنة اخری فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالی لقد صدق الله رسوله الرؤیا بالحق الثانی قول سعید بن المسیب وابن عباس فی روایة عطاء ان رسول الله صلعم رأی بنی امیة ینزون علی منبره نزو القردة فساءه ذلک الرابع هو قول اکثر المفسرین ان المراد بهذه الرؤیا هی حدیث الاسراء ثم اختلفوا فاکثرون علی ان الرؤیا بمعنی الرؤیة بالعین بمعنی رؤیة رآها الله سبحانه وتعالی علی قول الاکثرین حین قالوا انها رؤیة رآها وهو نائم لیلة اسری به وقیل بل اسری به وهو یقظان ثم اختلفوا

کان ہم

کلام نو ہوا

السورة قوله والشجرة فيه تقديم وتاخير والتقدير وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القرآن الا فتنة للناس فقال الا كثرون انها شجرة الزقوم لعنت في القرآن حيث لعن طاعموها قال عز من قائل انّ شجرة الزقوم طعام الاثيم ووصفت بالمر لانها الابعد وهي اصل الجحيم وابعد مكان من الرحمة والعرب يقول لكل طعام مكروه صار ملعونا والفتنة فيها ان ابا جهل وغيره قالوا زعم صاحبكم ان ناركم تحرق الحجر ثم يقول ينبت فيها الشجرة فان الله تعالى هذه الآية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السندل والتمر كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا يعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امية وعنه هي الكشوث الذي يلتوي بالشجر يجعل في التراب ويجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل ابو سفيان اي تعالى لحديث الرؤيا والشجرة اما قبله من الكلام جوابا كانه قيل انهم لما طالبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه الشبهة لا ينبغي ان يكون سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها ما وجب ضعف في امر لهذا لا فتورا في اجتماع الخلق على ذلك ثم ذكر سببا اخر انه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال ونخوفهم بالمخاوف المتنابعة والاخوة فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا مناديا بالتاويل لا يبتغوا الى ذي العرش سبيلا تشتمل معجزتين لانهم ان كانوا اكبر منه او امثاله طلبوا طريقا الى انصاح صاحب العرش ونزع الملك منه فقد اوان كانوا دونه منه طلبوا اليه الوسيلة بالتخويف والعبودية على ان التناقض لا يصلح للالهية وهذا قريب من التقسيمين من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله سبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الاخوة والاخوة حيوان الاحياد لقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان فلكل ذرات ملكوني ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما الاه من نعمه وبعد اللسان بنطق الحصى في كف النبي وبه ينطق الارض يوم القيمة يوشد بتحديث اخبارها وبه ينطق الجوارح انطقنا الله الذي انطق كل شيء وبه ينطق السموات والارض قالتا اتينا طائعين ان كان حلمك الا زل اذا خرج من العدم من يكفر بوجوده غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرأت القرآن فيه اشارة الى ان من قرأ القرآن بتمامه وصل الى اعلى معارج القدس وافضى مدارج الانس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق قال ابو سليمان الخطابي جاء الاثر ان عدد آي القرآن على عدد درج الجنة فمن استوفى جميع آي القرآن استوى على اعلى درجات الجنة قال المحققون استيفاء جميع آي القرآن هو ان يتخلق باخلاقه وصفاته بل باخلاق الله وصفات الله وهذا يكون بعد المحبوب عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون معه وبهما الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا الم يقل سبحانه وتعالى ان الحجاب يستر الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع لو على ادبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يفقهون الغذاء الصالح فالحلاوة في مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من ظلمهم لانهم رضوا المسيح مكان ابيهم وخلقا ما يكبر في صدورهم الا كونوا ما يكبر في صدوركم اشد من الحجارة والحديد فالله قادر على احيائه وليبعثنه فيهم العشق هو الواصل لانه هو احسن شرف من عبده فبشر به الاضافة نظم منه القول الاحسن هو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الاحسن هو ان يكون منادبا باداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن هو ان يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويبشرهم بالتصحيح بامرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم يبشروا بالتصحيح وآتينا داود زبورا فيه ان فضل النبي صلعم على داود كفضل القرآن على الزبور وان من قرأ من قوله الى قوله الانسان الا نخلهم كونها بموت قلبه وروحه قبل موت قالبه فمن مات فقد قامت قيامته ومعادنوها بانواع الرياضات والمجاهدات نفى السراية الله وبيان الاستفهام وهذا السر بالله الذي احاط بالناس علم مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس ان كان الوحي يصل الى النبي صلعم في مبدا امره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار للناس من وقد يظهر الوافي من المرائي والصدق في من ارتد في وهكذا كان الشجرة وجودا بليس ابتلاء للناس ولم يكن المحيط باحوال الناس حاجزا الا بتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله اعلم بالصواب

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ
وچون گفتيم فرشتگان را سجده كنيد مر آدم را سجده كردند مگر ابليس گفت آيا سجده كنم مر كسي را كه آفريدي از بهر من از گل گفت با خبرده مرا كه اين كسي كه تفضيل داده
عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ
بر من چرا بازپس داشتي مرا تا روز رستخيز هر آينه بيخ او برگيرم مگر اندك را گفت برو پس هر كه پيروي تو كند از ايشان پس بدرستيكه دوزخ جزاي شما است
جَزَاءً مَوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي
جزاي تمام ولغزنش وكسي را كه توانائي ازايشان بآواز خود فرا بدان ايشان سواران و پياده گانت وانباز شو با ايشان
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
در مالها و فرزندان وعده ايشان را و وعده نميدهد ايشان را شيطان مگر فريب بدرستيكه بندگان من نيست مر تو را
وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا
بس نيست بر ورد گار تو كارساز و كفيل پروردگار شما آنست كه مي راند مر شما را در دريا تا بجوئيد از فضل او بدانكه
مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا أَفَأَمِنْتُمْ
رسد شما را رنجي در دريا گم شوند آنان كه بخوانيد مگر او را پس چون برهاند شما را و بر كران رساند روي بگردانيد و باشد آدمي ناسپاس آيا ايمن شديد

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ

که فرو برد با شما طرف بیابان یا فرستد بر شما بیک بر ازسنگ ریزه پس نیابید برای خود حافظی را یا بفرستد بر شما

فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا وَلَقَدْ

باد دیگر پس فرستد بر شما بادی شکننده پس غرق کند شما را بکفر شما پس نیابید برای خود بر ما بآن از پی آمدنی و بتحقیق

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ

گرامی کردیم فرزندان آدم را و برداشتیم ایشان را در بیابان و دریا و روزی دادیم ایشان را از پاکیزها و بنا دادیم ایشان را بر بسیاری

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ

از آنکه آفریدیم فرو فروتر دادنی روز بخوانیم هر گروهی را بپیشوای ایشان پس هر که داده شد کتاب وی بدست راست پس اینها بخوانند

كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا القراءة اثنتي

نامهٔ خود را و ستمکرده نشوند مقدار رشته و کسیکه باشد در این دنیا کور و گمراه تر است در راه کور و گمراه تر است در راه

بالبناء للحال ابن كثير غير الطائي عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع ابو عمر في الوصل الباقون بالحذف وجلك بكسر الجيم خفص ابو زيد عن المفضل الاخوين بسكونها ان تخفف ونرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمر والباقون على الغيبة الا يعقوب ويزيد فتاتا فنغرقكم بالتاء الفوقانية على ان الضمير للريح من ارياح على الجمع ويزيد هذه اعمى بالامالة اعمى بالتفخيم ابن عمر ورويس ونصير والبرجمي ورويس فراجزه وعلى غير بصر وحلف يجيء وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم الوقوف بليس ط طبناه لا لاتحاد فاعل فعل بدله وفعل بعده بالواو عطف على لحق المحذوف مع اتحاد الكلام فلبلاه موفوراه وعدم تحكم المعدول عن زداه سلطان ط وكيلا ه فضلناط رجماه الآيات ج اعرضتم ط كفورا ه وكيلا ه للعطف تبيعا ه تفضيلا ه بامامهم ه فتيلا ه سبيلا ه التفسير قال اهل النظم اذا ذكر ان الرسول لهم كان من قومهم في بلدة عظيمة ومحنة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى ادم عم وايضا ان العوام كان منشأ تعنتهم واقتراحاتهم الفاسدة الامر من الكبر والحسد فبين الله سبحانه ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنه الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخفيف اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى في سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص وقد استقصينا هذا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ فاقول حمادا لله طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد معناه أسجد كان له وهو طين في الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره اسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار الامر الاشرف على زعمه بخلقه الادون ولذلك قال اراءيتك اي اخبرني عن هذا الذي كرمته اي فضلته على لام كرمته فان اخر منه فاخصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يقال هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر ومعناه اخبرني اهذا الذي كرمته على والاشارة هنا بقصد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول اراءيتك لان الكاف لمجرد الخطاب كما تقول على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا بجعله لوا يضرفا وعلمته لكان يجب ان تكرم علي ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني فاللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ماذكر سيبويه احنك الشاتين اي اكلهما وقال ابو مسلم هو افتعال من الحنك بقي منه حنك اذا بقي بحنكها اذا بعل حنكها الاسفل جبلا تقودها به كانه يملكهم كما يملك لفارس فرسه بلجامه واتما ظن ابليس ذلك لانه سمع قول الملائكة في حقهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فوسم انه خلق شهوانيا فقال لئن خليت من قواه التميزية والوهمية والبهيمية او قاس ذرية ادم على عمل وسوسة فيه وضعفه جاز ان ذلك الظاهر اذ قال قبل اكل ادم من الشجرة قال اي الله تعالى اذهب ليس لك منه نقيض المجيء وانما المراد امض لشانك الذي اخترته لا تاو نخلينه وامهالا تم ترتب عليه الامهال قوله لمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اراد جزاؤهم وجوازا غلب الخاطب على الغائب لان الاصل في المعاصي وغيرها تبعله ويجوز في الكشاف ان يكون التقاتا بعد على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر والمدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر قوله فرلصاحبك عرضه فره وبخل هو معنى الوافر ثم اكد الامهال والخذلان بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك اي استفزه الخوف استفزاز عجل واستخفه وصوته دعاؤه الى معصيته الله وقيل الغناء اللهو واللعب احلب عليهم بخيلك ورجلك قال الفراء وابو عبيدة احلب من الحلبة والصياح اي صح عليهم وقال الزجاج اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك فالاجلاب الجمع والباء زائدة وقال ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال تعالى بخيلك ورجلك يا خيل الله اركبي وعلا الفارس جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب بكسر الجيم صفة معناه وجعلك الرجل وتضم جيمها ايضا مثل ندس وندس وحدث وحدث وحدر عن ابن عباس كل راكب وراجل في معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وقيل يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب بعضها راجل والاقرب ان هذا كلام ورد تمثيلا فقد بقي الرجل المجد في الامر جنثا بخيلك ورجلك قال في الكشاف مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بحال قوم

بنی اسرائیل ۱۱ ۱۲

فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم وبغلبتهم عن مراكزهم واجلب عليهم بخيلك ورجالك حتى استاصلهم اما المشاركة في الاموال
فهي كل تصرف في المال لاجل وجه الشركة سواء كان اخذا من غير عوض او وضعا في غير حق كالزنا والغصب والسرقة وقيل هي ان يشتك اذان الانعام
وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب بخصلة بالدعاء الى الزنا او تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى ونحو ذلك
لا كما ينبغي حتى يشاوا غير راشدين ولا مولودين ولا ممتدين بين بدي الحق وعدهم بتزيين المعاصي في اعينهم وترهيبهم فيها وتثقيل الطاعات
والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما يخصص المقدرون فمن بعضهم ان المراد وعدهم بانه لا جنة ولا نار ولا قبيل والكرامة
على الله بالانساب والاحساب وقيل تسفيه الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الاجل ثم يقال ان يكون لوعد الشيطان عاقبة
حميدة فقال وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه انما يعدهم الملذات البهيمية او السبعية او الخيالية وهي اكثرها وهي الاثم وكلها لا اصل
لها ولا دوام ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين الخ الامام نجم الغزالي رحمه الله
لما قال للشيطان فاذا على سبيل الوعد والتهديد افعل ما تقدر عليه وبطاعاتك سائر المكلفين بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
قال لكن المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه في غير هذا الموضع فانه لا امن بعدك وقال الا عبادك منهم المخلصين ثم زاد في تقويته
جانب الحلف فحلف مخاطبا له بقوله وكفى بربك وكيلا فهو يدفع كيد الشيطان وبعضهم من اغوائه ثم عدد على بني آدم بعض انعامه عليهم ليكون
تذكيرا لهم ويحذرهم فقال ربكم الذي يزجي لكم اي يسير لاجلكم الفلك في البحر والازجاء سوق الشيء جملا بعد جمل لتبتغوا من فضله الربح
بالتجارة انه كان بكم رحيما فلذلك هداكم لمصالح المعاش المؤدية الى منافع المعاد واذا مسكم الضراء خوف الغرق في البحر ضل من تدعون
ذهب اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعتقدون برحمته نجاتكم والمراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم
ولكن الجملة هو الذي ترجونه وحده فكان الاستثناء منقطعا فلما نجاكم من تلك الضرورة واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص وكان الانسان
كفورا لنعم الله لا تعتد الشدة بسببها برحمة الله وفي الرجاء بعرض عنه ثم انكر عليهم سوء معاملتهم فقال افامنتم فقدير ايجوز فامنتم
فحلكم ذلك على الاعراض ان يخسف اصله دخول الشيء في الشيء منه عين خاسفة التي غارت حدقتها او الارض وخسف الفرس تحت الحجاب و
هو دائرة الظل عند الحكماء ربكم حال وانما قال جانب البر لانه تذكر البحر في الابتداء وهو جانب البر جانب خسف جانب البر بهم فقلبه وهم عليه
فالخسف تغييب تحت الماء فعبروا انكم نجوتم من هول البحر فلا تامنتم من هول البر فانه قادر على تسليط اقل البر عليكم اما من جانب تحت الخسوف
او امن جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك او يرسل عليكم حاصبا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء قال الزجاج الحاصب التراب
الذي فيه حصباء فالحاصب والحصبا كالدين والقاسم ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من عذاب البحر ثم لا تجدوا لكم وكيلا يصرف
ذلك عنكم ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان يقوي دواعيكم ويوفر حواجزكم الى ركوب البحر فيرسل عليكم قاصفا ريحا لها قصيف اي
صوت شديد والقاصف الكاسر فتغرقكم بما كفرتم بسبب كفركم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا بتبعنا
لانكارنا ما نزل بكم او ناصرا عنكم فهو كقوله ولا يخاف عقبيها ثم اجمل كرامة التعقل بقوله ولقد كرمنا بني آدم وقد ذكر المفسرون في تكريمه وجوها
منها الخط فيه بقلم الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو وغيره الدفاتر فتبقى على وجه الدهر صونة عن الاندراس محفوظة عن
الانطماس اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم ومنها الصورة الحسنة وصوركم فاحسن صوركم ومنها القامة المعتدلة لقد خلقنا الانسان
في احسن تقويم ومنها ان كل شيء يأكل بفيه الا ابن ادم يحمل عن الرشيد ترحضر له بطعام فاحضرت الملاعق وعند ابو يوسف فقال
له لمجانة في تفسير حبك ابن عباس ان هذا التكريم هو ان جعل لهم اصابع يأكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه ومنها القامة المعتدلة لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ما فان الفعال انما النطق والتمييز فان الانسان بكنه تعريف خبره كل ما عرف بخلاف سائر الحيوانات و
يدخل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة او الكتابة ويخرج البناء ونحوه لانه لا يفيد على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها
تسليطهم على ما في الارض وتسخيرها لهم فالارض لهم كالانام الحاضنة منها خلقنا كم وفيها نعيدكم وهي لهم فراش ومهادا والماء ينتفعون بشربه
والزراعة والعمارة وما البحر ينتفع بريه في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحيوة ولولا هبوب الرياح لاستولى العفن على المعمورة والنار ينتفع
بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة هذا العالم باسره كفرش معمول
او حيوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فلما تكرم بكون ابدع من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مستجمعا للقوة
العقلية القدسية والقوى الشهوية البهيمية والغضبية السبعية ولقوة الحس والحركة الارادية والقوى النباتية وهي الاغتذاء والنمو والتوليد
يكون اشرف تماما من سائر الجمع سوى الجواهر المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق ادم بيده وابدع غيره بواسطة ما روي عن وهب
اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني ادم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تطعنا ذلك فاعطنا في الاخرة فقال وعزتي وجلالي
لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض انواع التكريم بالذكر فقال وحملناهم في البر والبحر قال ابن عباس في البر على
الدواب وفي البحر على السفن ورزقناهم من الطيبات من كل غذاء بناني او حيواني الطف واللذ واعلم ان التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم زيد لا ينافي

تكريم غير بازيد من ذلك ولذلك خصهم بالذكر بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا فتربعض هنا الكثير هنا بمعنى الجميع فشنع عليه جار الله بأنه يتجنى في الخلق وفي العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف ان كون الكثير بمعنى الجميع هذا التشنيع لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ اخر بمعنى انه يرجع الحاصل الى ذلك بدلالة الالتزام او بحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ موضعه ويطلق به على ان التفسير لا يقوم مقام المفسر لبنة لان هذا مجزوم بذلك فكيف يتوالى ذلك بحاله وايضا فالحاصل هو قولنا على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هو ان كثيرا من الاشياء افهم مقام كل ذلك الشيء لا كل من ذلك الشيء حتى يلزم البشاعة عن وضع الجمع بين لفظ الكل ومن التبعيضية هذا وان الحق في المسئلة هو الوجه الكلام على اطلاقه ظاهرا ولا يدل على انه حصل في محلوقات الله شيء لا يكون الانسان بفضل عليه كما ذكره سبحانه وهذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يفهم من الله تعالى الا اقتضاء على ذكر البعض وكل من اثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة بل بعض الملك افضل من اكثر الانسان وان كان بوجد في خواص الانسان من هو افضل من جوام الملائكة بل من خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان الملائكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله وامثاله فانه تحكم محض لما ذكرنا من انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاتهم في الاخرة فقال يوم ندعو وهو منصوب باضمار اذكر وبقوله فضلناهم على عادة الله في الاخبار عن اهوالهم وتفضلهم بهذا اليوم بما عظمهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكوير في الدنيا والتفضيل في الاخرة ولا وقف على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي ومقدم في الدين او كتاب او دين والباء في قوله بامامهم للملابسة كما تقول ادعوك باسم ابي هريرة مرموعا انتهى ويوم القيمة يا امة موسى يا امة عيسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فياخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادي باتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو كل اناس متلبسين بامامهم اي بدعوتهم وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وورد في الصحاح وابن زيد ينادي في القيمة يا اهل القرآن يا اهل التوراة يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وابي عالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بديع التفاسير ان الامام جمع امم وان الناس يدعون يوم القيمة بامامهم وحكمة ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى ثم قال وليت شعري اية بدعة اصحة لفظا وام بها حكمة وقال في التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعقد والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى افعال الاعمال خالق باطن كالامام لها كالمتبع والمنشأ يوم القيمة اما يظهر الثواب والعقاب بناء على الاعمال الناشئة من تلك الاخلاق فمن اورد هذه الجمع ولذلك جيء بامم فاولئك يقرؤن وخص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم وفيه من الخجل والفضيحة ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا العمى عمى القلب اما قوله فهو في الاخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشرهم يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وفي هذه الزيادة العفو بزيد ويحتمل ان يراد به عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عدد ها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الاخرة التي لم يروا فيها ان اعمى بالطريق في الدنيا لان الضلال عن معرفة احوال الاخرة اقرب وقوعا فعلى هذا يكون الاعمى في الموضعين في الدنيا ومثله روي عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من قدرة خالق السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن امر الاخرة وتحصيل العلم به اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افضل التفضيل ودليل قراءة ابي عمرو بالالف الاولى وتفخيمها انها كانت الاولى الفرد والتفخيم في الطرف فكانت عوضا للالف المحذوفة بخلاف الثانية فان تمام البيت وكانت الفتحة في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي وفي قول ابي وجه نظر لان الالف ليست مختصة بالواو الكلمة مثل شبان والكافرين ونحوها ولهذا فرق قوم بالف تكليمها مع قيام هذا الاحتمال والثاني ولعل من لم يمل الثاني داعي المشاكلة بينه وبين اصل والله اعلم وقال الحسن في الاخرة اي في الدار الاخرة وذلك انه في الدنيا يقبل توبته وفي الاخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى الاخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى طيبها ولا ينتهج بها ولا يمكن ان يراد بها الجهل بالله لان اهل الاخرة يعرفون الله بالضرورة التأويل من استطعنم منهم بصوتك بكل المبتدعة ومقالات اهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم بخصوصية العبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعالى العالمين وكفى بربك وكيلا في تربيتهم وتهيئة صالح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما نجيكم الى بر التوصل والوصول اعرضتم بحجب الهجر ودواعي الاعمال حاصبا من سطوات القهر فاصفاكم بريح الابتلاء ببليات البدع والاهواء فيغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني ادم بالكرامات البدية للعامة المؤمنين والكافرة هي تخصهم لخلعة بيده وتصويره الرحم بنفسه وبالكرامة الروحانية الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرنا بهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى بر الولاية ورزقناهم من طيبات المواهب وفضلناهم على كثير ممن ركب الكشوف وفضلناهم على الملائكة لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان تفضيلهم حس استعدادهم لقبول فيوض الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والاخرة وغيرهما فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الاخرة ويا اهل الله فرادى وفي كتابه بيمينه فيه اشارة الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون

حسابهم واهل الشمال يقولون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة يحتاج الى الابصار بالابصار وبالبصائر والله اعلم

وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَن

وبدرستيكه نزديك بود وخواهند فتنه كنند ترا از آنچه او حي كرديم بسوي تو تا دروغ بر ما بدهي وآنگاه ترا بگيرند دوست

ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ

گردانيده بوديم ترا استوار نزديك بود كه بسوي ايشان چيزي اندك آنگاه ايشانرا بچشانيدمي ترا دو چندان عذاب زندگي و دو چندان عذاب مرگ پس نيابي براي خود

عَلَيْنَا نَصِيرًا وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ

برابر كسيكه ياري كند ما و نزديك بود كه برگردانند ترا از زمين تا بيرون كنند ترا از آن وآنگاه درنگ نكنند پس از تو مگر اندكي سنت

مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ

كسانيكه فرستاديم پيش از تو از رسولان ما وهيچ بدل نيابي مر سنت ما را تغيير پاي دار نماز را نزديك زوال آفتاب تا تاريكي

اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ

شب وخواندن صبحگاه بدرستيكه خواندن صبح باشد حاضر شده وازشب پس بيدار شو بآن نافله مر ترا شايد كه بر انگيزد

مَقَامًا مَّحْمُودًا وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا

پروردگار تو را بجاي پسنديده وبگو پروردگارا داخل كن مرا داخل كردني راستي و بيرون آور مرا بيرون آوردن راستي وبگردان از براي من از نزد خود

نَّصِيرًا وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

يار كننده بگفتند آمد حق ونابود شد باطل بدرستيكه باطل

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا

وبگردانند ومنافق را مگر زيان

مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَن هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا وَيَسْأَلُونَكَ

مرگردانند وبچون بشود بيك طرف وبچون

عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا

از روح بگو روح از امر پروردگار منست وداده نشديد از علم

إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا قُل لَّئِنِ

بس پيدا نكني براي خود بآن بر ما كارسازي مگر رحمتي از پروردگار تو بدرستيكه فضل او بر تو بزرگ

اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا

جمع شوند آدميان وپريان بر آنكه بيارند مانند اين قرآن را واگر چه باشند بعضي شان مر بعضي را

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

وبتحقيق گردانيديم براي مردمان در اين قرآن

الفرق خلف

ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابو بكر وحماد الاخوون خلافك بكسر الخاء وبالالف بعد اللام من خالف ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد

وبأبجانبه مثل باع بن يزيد وابن ذكوان وناي بفتح النون واماله الحمزة مثل رمى حمزة غير خلف العجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير

مثله ولكن بكسر النون على غير نصير وخلف العجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كريحي او نوف خليلاه قليلاه لتعلموا اذا نصيراه قليلاه

عويلاه وقرآن الفجر مشهوداه فافلة لك الوصل او لان عنى وعد على التهجد محموداه نصيراه وزهق الباطل زهوقاه للمؤمنين لا لان ما بعد

من صلة ما حسنا ان يجانبه لعطف جملة الظرف بهو ساء شاكلته ط سبيلاه عن الروح ط قليلاه وكيلا الا من ربك ط كبيراه ظهيراه نصف الحزب

مثل لعطف المتغيرين لفظا المختلفين معنى كفوراه النفر لما عدد في الآيات المتقدمة اقسام نعمه على آدم وشرح احوال السعداء اردفه

بما يجري مجرى التحذير ليحذر بها السعداء من الاغترار بوسوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء ان وفد ثقيف قالوا للنبي ص لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا تشرنا ولا تحشرنا ولا تعشرنا ولا تحشرنا ولا تعشرنا ولا تحشرنا ولا تع

وهذه القصة وقعت بعد الحجر فلهذا قال المفسرون انها البسملة وروى ان قريشا قالوا لو انه اجعل اليتيمة فنزلت وقال الحسن ان الكفار اخذوا رسول الله صلعم بمكة قبل الحجر فقالوا يا محمد عن ذم الهتنا وشتمها لو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب رسول الله صلعم بكف شتم الهتهم فهموا ان يكف عن شتمها فنزلت هذه الآية فكف عن شتمها فلما فرغ من قالوا الآن عد حتى نشتم الهتك فوقع في نفسه من فعل ذلك كراهية فنزلت قال الفقال من المعلوم ان المشركين كانوا يعبدون في ابطال رسول الله صلعم بما فيه ما يعتقدون عليه فانهم كانوا يقولون نعبد الهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وقولوا ونذر من فيه هذون وعرضوا عليه الاموال الكثيرة والنساء الجميلة لينزل دعاء النبوة فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا وعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون ربهم وكل ذلك دليل على انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه ويحملوه عن منهجه فلو لم يكن شئ من الروايات المذكورة موجودة لكان للآية محمل صحيح والمعنى والله اعلم ان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب اذا عمل في كل من ازال الشئ عن جهته وجعله وذلك انهم لما سألوه مخالفة لحكم القرآن وافتراء على الله من تبديل الوحد بالوعيد وغير ذلك وَاِذًا لَّاتَّخَذُوكَ اى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم ولياً وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك لولا تثبيتنا وعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم اى تقارب ان تميل الى مرادهم شيئا قليلا قال ابن عباس رضي الله عنهما حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي صلعم اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد الوعيد فقال اذا لاذقناك اى لو قاربت ان تركن اليهم اذن لكنا اذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات اى عذابي الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن ضم الشئ الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد بعذاب الممات وهو عذاب القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب الآخرة اى عذابا يلقى المتارد والمعذب بوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار يعني مضاعفا فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيف الصفة كاضافة الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليهم لاستحقت بضعف لعذاب عليها في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثل عذاب الشرك في الدنيا ومثل عذابك في الآخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان قسام نعم الله تعالى في حق الانبياء اكثر فكان ذنوبهم وكذا عقوبتها اعظم نظيره بالنساء التي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي ما زاد عليه لان دليل الخطاب لا عبرة به فقد يرتقي الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ومن عمل بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا يعني لو دنوت من ذلك لم تجد احدا يخلصك من عذابنا واعلم ان القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل على الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن في عصمة النبي صلعم فيما تركه من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد بهذا التثبيت الالطاف التي لو انضاف شئ منها الى ما فعل الله به لما ترك الفعل المحذور وهي ما اظهر الله به لرسوله من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجبيا ما نزل اليه ولو علم المقتضي للاقدام على ذلك الفعل المحذور ولم يكن الى ايجاد المانع حاجة ولا شك ان ذلك المقتضي لا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا داعية اخرى معارضة للداعي الاول فاذا وجدها الله تعالى عصمني لذلك ثم ذكر طريقا اخر من مكائدهم فقال وَاِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ ان تخففه من الثقيلة واللام هي الفارقة كما في الآية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في قوله واستفزز والارض اما ارض مكة كما قال قتادة ومجاهد وبرهانه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وَكَاَيِّنْ مِّنْ قَرْيَةٍ هِيَ اَشَدُّ قُوَّةً الَّتِيْ اَخْرَجَتْكَ وبين ان بقاءهم هو بامر الله وحفظه لكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بامر ربه فاطلق الاخراج على ارادة الاخراج بجواز ان يؤتى به قوله وَاِذًا لَّا يَلْبَثُوْنَ وهو معطوف على يستفزونك اى لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا لو اخرجوك لاستوصلوا لكنه لم يقع الاستيصال فدل على ذلك على عدم وقوع الاخراج ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا بعد ربعد اخراجه بقليل واما ما روى عن ابن عباس ان رسول الله صلعم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم وقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلعم على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ورواه الناس عن ما على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه الخروج الى الشام لرصد دخول الناس في دين الله فنزلت الآية ويحمل على هذا القول يكون هذه الآية ايضا مدنية والخلاف في معنى الخلاف كما مر في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ وانا لا يلبثوا بحذف النون على الجازم اذن فيكون الجملة برأسها معطوفة على جملة قوله وَاِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ ثم بين ان عادته تعالى اجارية بان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم فقال سُنَّةَ مَنْ قَدْ اَرْسَلْنَا وهو منصوب على المصدر المؤكد اى سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الاسباب الكلية لا تزال اقتضت وقوع كل من اجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فتبديل احد الحوادث وتحويلها الى وقت اخر يقتضي تغير الاسباب عن اوضاعها وهو محال عقلا وعادة قال اهل النظم لما ذكر الاصحاب والمعاد والجزاء اردفها بذكر اشرف الطاعات وهي الصلوة وايضا لما قال وان

يستقر ذلك امرا بالاشتغال بعبادته تفويضا للامور الى الله وتوكلا على فضله في دفع شر اعدائه نظيره قوله في سورة طه فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابي تميمة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك الشمس هو غروبها وعلى هذا الاقتصر الاية صلوتي الظهر والعصر واكثر الصحابة والتابعين على ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء وتوليه ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر فالدلوك والشفق من الاضداد لان الانسان يدلك عينه اذا نظر اليها وهي في كبد السماء وعلى هذا التفسير تشمل الاية جميع الصلوة الخمس وحمل كلام الله على ما هو اكثر فائدة اولى والام بعني الوقت والتعليل اي ادم الصلوة في هذا الوقت الى غسق الليل اي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اي اظلم والاسم الغسق بفتح السين والتركيب يدور على السيلان ومنه يقال غسقت العين اذا سالت وكان الظلام اسم على لدلتها وتراكمها وهذا عند سيبويه الشفق الابيض واستدل به بعض الشافعية على ان اول وقت العشاء الاخرة يدخل بزوال الشفق لان الامر للوجوب والغاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان الغاية لا يدخل في ذي الغاية وعلى ان الاية يجب ان يشتمل جميع الصلوة والخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بقران الفجر هو صلوة الصبح لتسمية بعض اجزائه ومثل تسمية الصلوة ركوعا وسجودا ونوقا قال جار الله انه رد على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن قلت اجزاء الصلوة اعم من اركانها وهذا مما نص الفقهاء الى الاركان وابعاض وهيئات فلا يتم هذا الاعتراض وفي الاية مسائل الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا واجيب بان الاية مخصوصة بفعل الرسول او بقوله صلوا كما رايتموني اصلي وبستثنى منه عند السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الاصلي الثانية استدل بعض الشافعية بها على ان التغليس بصلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه منها انه اضاف القران الى الفجر والتقدير اقم قران الفجر وظاهر الامر للوجوب لا اقل من الندب حتى لا يكثر مخالفة الدليل والفجر انما يجاز ظلمة الليل فيلزم ان يكون اقامة الفجر في اول الوقت افضل ومنها انه خص الفجر باضافة القران اليه فدل على ذلك ان طول القراءة في هذه الصلوة مطلوب لان تمام هذا المطلوب لا اذا شرع في اداءه في اول الوقت ومنها انه وصف قران الفجر بكونه مشهودا فقيل يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر المفسرين معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلوة الصبح تنزل هؤلاء فيتلقون اخوذ بوان الليل واول بوان النهار وقيل انهم يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة قبل ان يعرج ملئكة الليل فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملئكة الليل ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة النهار اذا صعدت قالت يارب اتيناك وكنا عباد بصلون لك فقول ملائكة النهار ربنا اتيناهم عباد وهم يصلون فيقول الله لملائكته اشهدوا فاني قد غفرت لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في اخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلوة بسبب تطويل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكلية او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار وهذا المعنى يحصل اذا ابتدئها وقت التنوير قال اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها انقلاب الظلام من الظلمة التي هي مظنة الموت الى الضياء الذي هو مظنة الحيوة فان تفكر عقله من هذه الحالة الى عجيب صنع الخلاق المدبر للانفس والافاق فيزداد بصيرة وايمانا ومعرفة وايمانا وينفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المتقابلة المتعاكسة اضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورا وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب انه اذا شرع في الصلوة اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية التي كان اولى فان الانتباه ما يعتوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة وابن الاعرابي هجد نام وتهجد سهر وقال ابو اسحاق الهجود في الاصل النوم بالليل لكن قد يفعل لاجل التجنب ومنه ناتم وبخرج اذا الفي الاثم والحرج عن نفسه فكان المتهجد يدفع الهجوع عن نفسه وبوجبه اخيرا كان غرض المصلي بالليل ان يجلب فائدة وهو جوده بعد الهجود سمي بذلك الاعتبار متهجدا وربما بقي سمي تهجدا كان الاصل فيه ان يقوم فيصلي فهو صلوة بعد رقاد كما كان لرسول الله صلعم ولداود كما جاء في الحديث افضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به اي بالقران ومعنى نافلة زائدة كما مر في اول الانفال ثم مر بنا الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي صلعم زعم ان معناها كونها فريضة زائدة على الصلوة الخمس والمراد ان فريضتها نسخت عنك فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ورد عليه ان الامر ظاهره الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض على قول من يقول ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد التذكر ان كل طاعة يلتمس بها النبي سوى المكتوبة فان ثوابها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تاخر وانما يكون موثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب لا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لانك حقق غفران الله عنك بخلاف الباقين فكيف استبشارك ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم الصلوة عام له ولكل امته وان كان ظاهر خطابه

سبحان ربك رب العزة

معه ثم وعد على اقامة الفرائض والنوافل بقوله عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا أي يبعثك يوم القيامة فيلهمك مقاما محمودا أو يضم بعثك معنى يقيمك وهو حال أي يبعثك ذا مقام محمود وقيل الترجي مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات والأولى أن يختص ذلك بالشفاعة لأن الحمد إنما يكون بإزاء انعام ولا انعام للنبي على امته في الآخرة الا انعام الشفاعة ولا انعام اجل منها لان الناس في تخليص الغير من العقاب اهم من الساعي في ايصال الثواب اليه وبهذا روايات كثيرة عن النبي ﷺ هو المقام الذي اشفع فيه لامتي واما ما روي عن محمد بن كعب انه قال المقام المحمود هو ان يجمع الناس في صعيد واحد ولا يتكلم نفس فاول من يدعى محمد فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديته عبدك بين يديك وبك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت فليس بشيء لان هذا القول من محمد لا يوجب حمدا له من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل اراد مقاما يحمده فيه الخلق كلهم وروى الواحدي عن ابن مسعود ان ذلك حين يبعثه محمد معه على العرش وترتفع بذلك التخوم لقوله تعالى فاول من تنشق الارض عنه فاكون اول من يخرج فاجد موسى متعلقا بقائمة من قوائم العرش ولا ادري اكان فيمن صعق فحوسب بصعقة الطور او كان ممن استثنى الله تعالى فقال ولكن صعق فاكون اول من يفيق

عن الاولين والبهم الثالثة فهو بين لان تذكر الروح مبهم في التوراة وان اجاب عن المكي وسكت فليس بين فيهن لهم الفتيين وابهام امر الروح من امر ربه اعيا امتا استأثر الله بعلمه فقد مواعلى سؤالهم ومن الناس من طعن في هذه الرواية لوجوه منها ان الروح ليس اعلى شانا من الله تعالى واذا كانت معرفة الله تعالى ممكنة بل حاصلة فالعلم بمعرفة الروح ومنها ان هذه المسئلة يعرفها الفلاسفة والمتكلمون فكيف يليق بالنبي ان يقول انه لا اعرفها مع وفور علمه وكمال معرفته وكيف يحتج بما روي عن ابن عباس يريد لقد مضى النبي صلعم وما يعلم الروح ومنها ان جعل الحكاية دليلا على النبوة غير معقول ونحن نتفحص عن المسئلة فنقول السؤال عن الروح اما ان يكون عن حقيقته او عن حال من احواله كونه متحيزا او قديما او حادثا او باقيا بعد البدن او فانيا وعلى التقدير بالبقاء ما سعادته وشقاوته وبالجملة فالمباحث المتعلقة بالروح كثيرة ونحن نعلم انه تعالى ويسئلونك عن الروح ليس فيه ما يدل على تعيين شيء من هذه المسائل فلا بد ان يحمل السؤال على السؤال عن الحقيقة لان معرفة حقيقة الشيء اهم واقدم من معرفة حال من احواله فيكون قوله قل الروح من امر ربي راجعا الى ان الروح جوهر بسيط مجرد حصل بمجرد الامر وهو قوله كن فيكون كان الاية دلت على ان الروح من امر الرب وقال في سورة يس انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فيلزم ان الروح اذا اراده فانما يقول له كن فيكون ومنه يعلم ان شيئا مغايرا للاجسام المتوقفة على المادة والمدة والاعراض الموقوفة على الاجسام والتركيب محض والا لتوقف على انضمام اجزائه ولا يلزم من كون الروح كذلك كونه مشاركا للبارئ تعالى في الحقيقة فان الاشتراك في اللوازم لا يقتضي الاشتراك في الملزومات وليس في الاية دلالة على حدوث الروح الا بحسب الاثبات بل لمستدل ان يستدل بها على قدمه بالزمان اذ لو كان متوقفا على الزمان لم يكن حاصلا بمجرد الامر المفروض خلافه ولما كان امر الروح مشتبها على الناس كلهم ولهم ختم الاية بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وذلك ان الانسان وان كمل علمه وكثرت معرفته بحقائق الاشياء وخفائها فان ما علم يكون اقل مما لم يعلم فاذا نسب معلوماته الى ما لا يعلم بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقوله ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي فانه لا نسبة للمتناهي الا اصلا وقال بعض المفسرين هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلعم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل في جنب علم الله وذكر الامام فخر الدين الرازي ان قوله الروح من امر ربي يدل على ان الروح حادث لان الامر قد جاء بمعنى الفعل قال تعالى وما امر فرعون برشيد اي فعله وقال والله امرا اي فعلنا واذا حصل الروح بفعل الله وتكوينه كان من المحدثات قلت هذا هين النزاع فان الخصم لا يسلم ان كل ما هو من فعل الله وايجاده فانه حادث ثم ذكر رحمه الله وجها اخر على حدوث الروح مستنبطة من قوله سبحانه وما اوتيتم من العلم الا قليلا وهو حق غير ان الانسان بل روحه في مبدأ الفطرة خال عن العلوم والمعارف ثم لا يزال يحصل له المعارف فهو دائما في التبدل والتغير من النقصان الى الكمال وكل متغير محدث ومنع كلية هذه القضية عند الخصم مشهور على ان حمل قوله تعالى اولا على الفطرة تخصيص من غير دليل مع ان ظاهر الاية يدل على ان الانسان وان اخطأ من العلم والمعارف قليل بالاضافة الى علم الله تعالى وقيل الروح المذكور في الاية هو القرآن الذي تعجب الجن لما سمعوه وكان القوم استعظموا امره فسئلوا انه من جنس الشعر او من جنس الكهانة فاجابهم الله تعالى بانه ليس من جنس كلام البشر انما هو كلام ظهر بامر الله وحيه وتنزيله وقيل هو ملك من اعاظم الملائكة وهو المراد من قوله تعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا ويقال عن علي رضي الله عنه ان له سبعين الف وجه وكل وجه سبعون الف لسان لكل لسان سبعون الف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها ويخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة يوم القيمة ولم يخلق الله خلقا اعظم من الروح غير العرش ولو شاء الله ان يبلع السموات السبع والارضين السبع بلقمة واحدة لفعل واعلم ان هذه الروايات مسرحها بعد الامكان ولا وجه للاعراض عن قال المحسن في قتاده هذا الروح جبريل كانهم سئلوا الرسول كيف جبريل في نفسه وكيف بناؤه فيبلغ الوحي فاجابهم بقوله الروح من امر ربي اي من نزوله بامر الرب كقوله وما نتنزل الا بامر ربك وقال مجاهد الروح خلق ليسوا بالملائكة على صورة بني ادم لهم ايد وارجل ورؤس ياكلون كما ياكل الناس ويلبسوا بالناس وزيف هذه الاقوال بان صرف السؤال عن الروح الانساني الذي تقرر واعي العقلاء على معرفته الى اشياء مجهولة الوجود مستنكر واعلم ان للعقلاء في حقيقة الانسان اختلافات كثيرة واذا كان حال العلم بأقرب الاشياء الى الانسان وهو نفسه هكذا فما ظنك بما هو الا بعد ولنذكر بعض تلك المذاهب فله ان الذي يلوح في بادي الرأي ان يقال العلم الضروري حاصل بوجود شيء يشير اليه كل واحد بقوله انا ولذلك المشار اليه اما ان يكون جوهرا مجردا عن المادة او جسما او جسمانيا داخلا فيها او خارجا عنها او عرضا اما المتكلمون فالجمهور منهم ذهبوا الى ان الانسان هو هذا الهيكل المحسوس وزيف بان كل بدن فانه يتبدل ويتغير والمشار اليه بانا واحد من اول العمر الى اخره وبان الانسان قد يغفل عن نفسه حين ما يكون عالما على الجزء بديهة وبان التصور الوارد في القرآن والخبر كقوله عز من قائل ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء بانها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك وقوله صلعم ادفنوا موتاكم في مضاجعها وقوله صلعم اولياء الله لا يموتون ولكن ينقلون من دار الى دار القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله في خطبة طويلة حتى اذا حمل الميت على نعشه فرفرف رأسه وعرفوا النفس بقولها الهي وبا ولداه لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله وعن حله فالهناء لغيري والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي فوجب مغايرة النفس للبدن وبان جميع ذرات الدنيا من اول الملك والنحل يتصدقون عن موتاهم ويزورونهم ويدعون لهم بالخير وبان الميت قد يرى في المنام فيخبر عن امور غائبة ويكون كما اخبر وبان

الانسان قد يقطع عضو من اعضائه ويعلم بقينا انه هو الذي كان قبل ذلك وبثبوت المنع في حق من انفرد من اهل الكتاب وليس المنع الا
لغير البينة مع بقاء الحقيقة وبان جبريل قد اراه في صورة دحية وابليس راى في صورة الشيخ النجدي فعلم ان لا محيرة بالبينة وبان الزاني يرى
بفرجه فيضرب على ظهره فعلم ان المتلذذ والمتالم شيء آخر سوى المقصود وبانا نعلم ضرورة ان العالم الفاهم المخاطب انما هو ناحية القلب ليس
جملة البدن ولا شيئا من الاعضاء اما ان قيل الانسان جسم هو داخل البدن فاعلم ان احدا من العقلاء لا يقول بان الانسان عبارة عن الاعضاء
الكثيفة الصلبة التي غلب عليها الارضية كالعظم والغضروف والعصب او الرباط والشحم واللحم والجلد ولكن منهم من قال انه الجسم الذي
غلب عليه المائية من الاخلاط الاربعة اعني الدم بدليل انه اذا خرج لزم الموت ومنهم من قال انه الذي غلب عليه الهوائية والنارية وهو الروح
الذي في القلب دون الذي لا يخرج في الدماغ ومنهم من يقول اختلطت بهذه الارواح القلبية والدماغية اجزاء نارية سماوية بالحرارة الغريزية
وهي الانسان ومنهم من قال اذا كان بدن الانسان وتم استعداده نفذت فيه اجرام سماوية نورانية لطيفة الجوهر على طبيعة ضوء الشمس
قابلة للتبدل والتحلل ولا للتفرق والتمزق تنفوذ اشبه نفوذ النار في الفحم والدهن في السمسم وماء الورد في الورد وهذا التنفوذ هو
المراد بقوله ونفخت فيه من روحي ثم اذا تولد في البدن اخلاط غليظة منعت من سريان تلك الاجسام فيها فانفصلت لذلك عن البدن
فحينئذ يعرض الموت لجوهر قال الامام فخر الدين الرازي هذا ما ذهب اليه ثابت بن قرة وغيره وهو مذهب قوي شريف يجب التامل فيه فانه شديد
المطابقة لما في الكتب الالهية من احوال الحياة والموت قلت اما نفوذ الجوهر النوري في البدن كنفوذ الدهن في السمسم واما انه اجرام اولا جسما
ففيه نظر واعلم انه لم يذهب احد الى ان الانسان جسم خارج عن البدن ولا الى انه عرض حال في البدن الا ما نقل عن الاصطخري وعن ابي الحسين البصري
من المعتزلة ان الانسان عبارة عن مجموع اجزاء العناصر بمقدار مخصوص وعلى نسبة معلومة تخصه هذا التصنيف ومن شيوخ المعتزلة من
قال الانسان عبارة عن اجزاء مخصوصة بشرط كونها موصوفة باعراض مخصوصة هي الحياة والعلم والقدرة ومنهم من قال انه عبارة عن سائر الحيوانات
بشكل جسده وهيئة اعضائه والصحيح من المذاهب عند اكثر علماء الاسلام كالشيخ ابي القاسم الراغب الاصفهاني والشيخ ابي حامد الغزالي ومن
قدماء المعتزلة معمر بن عباد السلمي ومن الشيعة الشيخ المفيد رحمه الله ومن الكرامية جماعة ومن اتفاق اسفة الاطباء كلام ان الروح الانساني جوهر
مجرد ليس داخل العالم الجسماني ولا خارجه ولا متصل به ولا منفصل عنه ولكنه متعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف كما ان الله العالم
لا تعلق له بالعالم الا على سبيل التصرف والتدبير ومهما انقطعت علاقته عن البدن فلا يبقى البدن معطلا ممتنعا واستدلوا على هذا
المطلوب بحجج منها ما اختاره الامام فخر الدين الرازي وهي لو كان الانسان جوهرا مجردا فاما ان يكون ذاته مخصوصة او لا يكون صفة قائمة بها لان يكون
الشيء الواحد مختارا مرتين ولزم اجتماع المثلين وايضا لم يكن جعل احدهما ذاتا والاخر صفة اولى من العكس وايضا التجرد الثاني ان كان عين الذات فهو
المقصود وان كان صفة لزم التسلسل واذا كان التجرد عين ذاته لزم اما تعرف ذاته بتجرده لكنا قد عرفنا ذاتنا مع الجهل بالتجرد والامتداد
في الجهات الثلث وذلك ظاهر عند الاختبار والامتحان واذا كان اللازم باطلا فالملزوم منتف فعورض بانه لو كان الانسان جوهرا مجردا
لكان كل من عرف ذاته عرف تجرده وليس كذلك واجيب بالفرق بين التجرد وهو صفة ثبوتية وبين التجرد وهو صفة سلبية ومنها ان الشيء الذي
يشير اليه كل واحد بقوله انا واحد بالبديهة وكان الغضب مثلا حالة نفسانية يجد عند محاولة دفع المنافي معاونا لوقوع المنافي
مشروطا بالشعور بكون الشيء منافيا فالذي يغضب لا بد ان يكون هو بعينه مدركا وكان اشتغال الناس بالغضب اضبط اليه بمنعه من
الاشتغال بالشهوة والانصباب اليها فعلمنا انهما صفتان مختلفتان لجوهر واحد اذ لو كان لكل منهما مبدء مستقل لم يكن اشتغال احدهما
بفعل ما فعلا للاخر وايضا اذا درکنا شيئا فقد يكون الادراك سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا للغضب فعلمنا ان صاحب الادراك
بعينه هو صاحب الشهوة والغضب وايضا النفس لا يمكنها ان تحرك بالارادة الا عند حصول الداعي ولا معنى للداعي الا الشعور بجر رغبة او دفع
هذا يقتضي ان المحرك بالارادة هو بعينه المدرك للخير والشر واللذة والمؤذي والنافع والضار وهو المبصر والسامع والشام والذائق واللامس
والمتخيل والمتفكر والمتذكر والغاضب والشاهي ساقط لان مختلفة وقوى متغايرة واذا ثبت ذلك فلو كانت النفس عبارة عن جملة البدن كان للكل
اثر واحد ولو كانت هذه من اجزاء البدن كانت قوتها ساقطة عن جميع اجزاء البدن والوجود يخالف كل ذلك فحصل البقين بان النفس شيء مغاير لكل
البدن ولكل جزء من اجزائه ومنها ان الاستقراء يدل على ان احوال النفس بالضد من احوال الجسد فان قبل شكل التثليث مثلا امتنع ان يتبدل
بشكل التربيع ولا كذلك حال النفس فان ادراك كل صورة يمنعها عن ادراك ما عداها ولذلك يزداد الانسان مهارة في ادراك العلوم
وايضا كثرة الافكار توجب قوة النفس ويستدعي استيلاء النفس على الدماغ وقد يصير الانسان ارباب رياضة في غاية الحفاظ والحزم وقوة
نفوسهم بحيث لا يلتفتون الى استيلاء الاعضاء واصحاب الشوكة والقوة وتمام البحث بهذه الاية التي نحن في تفسيرها ان الروح لو كان جسما مستقلا
من حالة الحياة لكان مساويا للبدن في كونه متولدا من اجسام متغيرة من صفة الى صفة فحين سئل رسول الله صلعم عن الروح كان الانسب
ان يقول انه جسم كان كذا ثم صار كذا وكذا كما ذكر في كيفية تولد البدن انه كان نطفة ثم صار علقة ثم مضغة الى اخره والاحاديث
الواردة في ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد تؤكد ذلك الذي ادعيناه من ان النفس شيء مغاير للبدن ولاجزائه والله اعلم بحقائق

ح لكن يرد عليه

ح يرغب في جذبه او يتجرع

ح لان الجسم

الامور فان اهل النظم لما بين تشرما انا هم من العلم الا القليل اذا طن بيتر انه لو شاء ان ياخذ منهم ذلك القليل لقدر عليه فقال وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ
بالذي اوحينا اليك فلك في تسبيح علم القران الى الغلز خوج من الادب فالاولى في وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسئلة الروح و
بين ان ذلك من العلوم الا لهية لانها بنظامكن العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى وبقضاء علم الانسان اراد ان يبين
غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب القران ونحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك اخوان ما كان جاء
في الروايات لا يجعل الذي الذي هو اكمل انواع الانسان من يتوكل على الله باستزاده فضلا عن غيره الا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ استثناء منقطع الا ان يجعل
ربك فيرة عليك كان رحمة يتوكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن رحمة من ربك توكنه غير بل هو بِلْ رَحْمَةً فَضْلَهُ بايجاء القران اليك ثم انعامه
عليك او بهذا وبساق التخصيص والمراد بكان عليك كبيرا وبيان نعمة القران وبقائه محفوظا في الصدور مستورا عن الدخائن من اجل النعم واشرفها
فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بحقها جعلنا الله من يراعي حق القران ويعمل بمقتضاه واجمع الكيد بالابد على ان القران مخلوق
لان ما يمكن ان الذهاب به يستحيل ان يكون قديما واجيب بان الذهاب بعين القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصحف لا يوجب
حدوث الكلام الذي النفسي الذي هو محل النزاع ثم قال تعالى ان الذي اوحى اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
والآية قد مر وجه اعجاز القران في اوايل سورة البقرة فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف يعرف عجز الجن عن معارضته ولا يجوز
ان يقال ان الجن اعانوه على هذا التاليف سعيا في ضلال الخلق واخبار محمد بانه من كلام الجن يوجب الدور وايضا لاحد ان يقول ان الجن ابسط فصاحة
فكيف يعقل ان يكون القران كلامهم لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه
معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القران فسقط السؤال بالكلية
على انه سبحانه قد اجاب عنه في سورة الشعراء بقوله هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ وسوف يجيء تفسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدي
بالقديم محال واجيب بمثل ما مر ان محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ التي يقع التحدي بها وبفصاحتها ثم بين انهم مع ظهور عجزهم بقوله مصروفين
على كفرهم فقال وَلَقَدْ صَرَّفْنَا ردد ناوكررنا لِلنَّاسِ في هذا القران من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد
والنبوة والمعاد كالفصول الآيلة وغيرها من المواعظ والنصائح فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ وغيرهم بعضا التفكر كما تامل فلم يرضوا الا كُفُورًا وجحودا قال اهل البرهان
انما ذكر الناس واوايل السورة حين قال ولقد صرفنا في هذا القران لبدء كرنا والمتقدم ذكرهم في السورة وذكرهم في الكهف انما يجزء كرهم وذكر
الناس ههنا وان جزء كرهم رفعا للالباس لان ذكر الجن ايضا قد جرى وقدم للناس على قوله في هذه القران كما قدم في قوله قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ واتعاب الكهف وغيرها وقد اوضحها الله تعالى البينة في هذا القران فكانت اعنابه بالقران اكثر فكان تقديمهم اجدر التاويل ولن كادوا يفقنونك
اي من عمى قلوبهم وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى اد يلفت حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا انما وصف بالقلة
لان بشريته مغلوبة بروحانيته غالبة بضعف الجبلة وضعف الجبلة اي بحسب نفسك واذا فمالك عذاب حيوتها واسهل انفاعلى الروح ونبيت قلبك
واذ فمالك عذاب ممانه وضعف وهلك وبعده عن الحوت ثم من قال ارسلنا اي جرين عاد فالله تعالى بان يجعل كل بيت عدة ابوذ بهم وبهم ترتيب طريق
خلاص الانبياء والاولياء عن ورطة الابتلاء فقال اقم الصلوة اي ادمها بالقلب الحاضر نهارا وليلا اِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا الشواهد الحق بل الحق مشهود
له ثم اوحى الى محمد في بعض اسرائه بالله والخير جيء من موحد وانا بيء واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا من لدنك بشيرك وبشان كل ذي مقام فانه لا يصل
الى مقامه الا بسعي يلايم الوصول الى ذلك المقام كقوله وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا روي ان رجلا جاء الى النبي ص بعرض حاجة فقال ص ما تريد فقال ما اقنعك
في الجنة فقال ص او غير ذلك فقال الرجل بلام اقنعك في الجنة فقال النبي ص فاعني على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد
ويخلي صفات الجمال والجلال وَزَهَقَ الْبَاطِلُ وهو كل ما خلا الله من الموجودات ومن الخواطر كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ
مَا هُوَ شِفَاءٌ لان كلام الحبيب طبيب القلوب ان الاحاديث من سلسبيل قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر
الذي خلق الامن شيء وعالم الخلق الذي خلق من شيء ويعبر عنهما بالاخوة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن
والظاهر الارواح والاجسام وما روي انه ص قال اول ما خلق الله جوهرة وواحدة فنظر اليها فاذاب اول ما خلق الله الروح اول ما خلق الله
روحي وفي رواية نوري واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله القلم وما قيل من بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي فالا
مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبي ص فبالنظر الى انه كان درة صدف الوجود سمي درة وجوهرة وباعتبار نوراينه سمي نورا وباعتبار وفور
عقله سمي عقلا فان قيل له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ارجع الى ربك فادبر عنها ورجع الى المعراج ثم قال له
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك اعرف وبك اعبد خذ بعضا عن اخذ منك الدين والشريعة وبك اعطي واي بشفاعتك اعطي
الدرجات العاليات وبك اعاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور على وفق مناسبته والا فقد اسرى بالبشر وباعتبار غلبات
الصفات الملائكة عليه سمي ملكا كروبيا لان كل الارواح خلقت من درصة كان ام الارواح وجهها فلهذا قيل له امي وقد ورد في الحديث
ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيمة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالانزيد ون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فنا لروح

فواصد فيما لم يكن الجد لا ذلبا ولا ابدا الا بعثة الوحي ثم اخبر عن عزة القرآن وغيرة الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الآية وفيه انه لا يقدر على الاتيان والذهاب به الا الله تعالى لكنه اكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن كل ما هو مسطور عن العيون فيتناول الملائكة ايضا وفيه انه لا مثل له صفة حتى الكلام كما انه لا مثل له ذاتا والله تعالى اعلم بالصواب وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا

والمراد بالجن

مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ

از زمین چشمه یا باغ مرورا بوستانی از خرما وانگور پس روان سازی جویها در میانش روان ساختنی یا پاره پاره

كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ

آنچنان که دعوی کردی بما پاره پاره یا بیاوری خدا را و فرشتگان را گروه گروه یا باشد مرورا خانه از طلا یا برآیی در آسمان و باور

نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ

نداریم هرگز برآمدن تو در آسمان تا آنکه فرو آری بما کتابی که بخوانیم او را بگو منزه است پروردگار من نیستم مگر آدمی رسول و منع نکرد مردمان را

أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ

که بگروند چون آمد ایشان را هدایت مگر آنکه گفتند آیا برانگیخت خدا آدمی را فرستاده بگو اگر بودند در زمین فرشتگان

لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا

راه نمایندگان فرو فرستادیم بر ایشان از آسمان یک فرشته رسول بگو بس است خدا گواه میان من و میان شما به درستی او بندگان خود را دیناست

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى

وکسی را که هدایت کند خدا پس او راست راه یافته و کسی را که گمراه کند پس هرگز خواهی یافت مر ایشان را یاوران از غیر او و محشور کنیم ایشان را روز قیامت بر

وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا

روهاشان کوران و گنگان و کران ماوای ایشان دوزخ است هرگاه فرو نشیند زیاده کنیم ایشان را از جهة افروختن این جزای ایشان است بسبب آنکه ایشان کافر شدند بنشانهای ما

وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ

گفتند آیا چون باشیم استخوانها و ریزه ریزه آیا ما هر آینه برانگیخته شدگان باشیم آفرینشی نو آیا ندیدند که خدای که

الْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ

زمین را نوانست بر انکه بیافریند مانند ایشان را و کرد ایشان را وقتی نیست در آن پس سر باز زدند ستمکاران مگر ناسپاسی بگو شما اگر مالک میبودید

خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي

خزینهای رحمت پروردگار مرا آنگاه البته امساک میکردید بیم انفاق از ترس آخر کردن بخیل و بتحقیق دادیم موسی را نشانه پس بپرس از بنی

ع

إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ

اسرائیل چون آمد پیش ایشان پس گفت مر او را فرعون بدرستیکه من هر آینه گمان میبرم ترا ای موسی جادو کرده شده گفت بتحقیق دانسته

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ

آسمانها و زمین دیدهای روشن و بدرستیکه من هر آینه گمان میبرم ترا ای فرعون هلاک کرده شده پس خواست که بر کند شما را از زمین پس غرق کردیم او را و هر که

مَعَهُ جَمِيعًا وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا وَبِالْحَقِّ

با او همه و گفتیم از پس او مر بنی اسرائیل را که ساکن شوید آن زمین را پس چون آید وعده آخرت آوریم شما را گروهی

أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ

فرو فرستادیم او را و بحق فرو آمد و نفرستادیم ترا مگر مژده دهنده و بیم کننده و قرآنی که جدا جدا کردیم او را تا بخوانی او را بر مردمان بآرام و فرو فرستادیم او را

تَنْزِيلًا قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا وَ

فرو فرستادنی بگو بگروید بدان یا نگروید بدرستیکه آنانکه داده شدند علم را پیش از آن چون خوانده شود بر ایشان بر روی افتند بزنها

يَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا قُلِ ادْعُوا

میگویند منزه است پروردگار ما هر آینه کرده شده وعده پروردگار ما و میافتند بر روی بزنها گریان و میافزاید ایشان را فروتنی بگو

اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا وَقُلِ

خدا را بنامید یا بخوانید بنام رحمن هر کدام را که بخوانید او را است نامهای نیک و مبندید نماز خود را و آهسته مکنید آن را و بجویید میان آن راهی و بگو

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا الفراء بفجر

ستایش خدا را است که نگرفت فرزندی و نبود او را انباز در پادشاهی و نه یار او را بدو از خواری و بزرگ دان او را بزرگ دانستنی

من الفجر يعقوب عاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن الغاب الآخرون من التفجير تكثيرا للفعل وان كان الفاعل والمفعول مفردا حتى تنزل بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب الآخرون بالتشديد كسفا بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سبحان بلفظ الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر لله المضدد باثبات الياء في الحالين سهل ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء وقي اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وحبث ندغم هم بادغام التاء ابن ذكوان وابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل اذ هما علل بضم التاء على التكلم على الآخرون بضمها للاتباع اوادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة ودوس بقفان على اياتم بيتدئان ما بعده اويتم هذا الوقف وقف ايبان الكوفيون على كلمة واحدة الوقوف بينوعا نفجر فيلا في التاء ابتداء النفي بعد طول الفصل وسهل الاتحاد الوصل لان قوله وان نؤمن لرقيك من كلامهم نفقره طرسوله رسوله وبيكم طبصيرا المضدد لعطف جلتي الشرط على الجزاء من دون الواو لا يحتمل الاستيناف رجاء جهنم طسعيرا جعلها لاريب فيه لتناهي الاستفهام الى الاخبار كقوله الانفاق ط فتوراه مسحورا بصائر ط للابتداء له بان مع اتحاد القائل شيوراه جميعا للعطف امتنعا لانقطاع النظم المعنى نزلنا الابتداء النفي وتذكيراه احترازا من ايهام العطف تنزيلا اوكلا نؤمنوا سجدا المفعول خشوعا مخشوعا ضعفه الرحمن بالضم الشرط الحسنة لانقطاع نظم الشرط الى التي مع اتحاد المراد سبيلا تكبيرا ليس من شرط كون النبي صادقا فوان المجزات وقيل الا بان كلا تح هذا الباب يوجب نقض المقصود وهو ان لا يثبت نبوة ابدا ولكن الحجر الواحد يكفي في صدق النبي وافتراح الزيادة من جاء العناد فلا جوم لما بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بيانا لتصميمهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلعم وهم جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسر جبالها لتتسع وفجر لنا فيها ينبوعا نزرع فيها فقال لا اقدر عليه فقال قائل منهم او تكون لك جنة من نخيل وعنب تفجر الانهار خلالها تفجيرا فقال لا اقدر عليه فقيل له او تكون لك بيت من زخرف اي من ذهب نغنيك عنا فقال لا اقدر عليه فقيل له فاذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فقال عبد الله بن امية لن نؤمن لرقيك حتى تاتينا بكتاب من عند الله معه اربعة املاك يشهدون انك رسوله فلا والله لا اعلم والله لا اكلمك ابدا ما دمت بين ظهراني ومن ربك حتى تاتي بنا نقرؤه ونعلم امرك وان لم تفعل فسل ربك ان يبعث معك ملائكة يصدقون قولك ويراجعونا عنك فقال رسول الله صلعم لا افعل ما انا بفاعل حتى ياتيني من الله ما بدا له فانزل الله سبحانه وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ثم ذكر سبحانه ما اقترحوه من الآيات وما اجيبوا به فقال وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والارض وهو يطعم ولا يطعم قل اني امرت ان اكون اول من اسلم ولا تكونن من المشركين قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى قل لا اشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحى الي قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهؤلاء من الله عليهم من بيننا اليس الله باعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق الا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن انجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وامنع الناس ان يؤمنوا الا الايمان بالقرآن وبنبوة محمد انجاهم الحمد وهو الوحي المجز الهادي الطريق النجاة الا ان قالوا منكرين بعث الله بشرا رسولا ثم اجاب عن شبههم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا لان الرسول لا بد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانت اعز الرسل الرسول من جنس الملائكة امر بان احدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران بامتحانهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا وسمعوا من اهلها ما يجب معرفته وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قوله بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا بل زعم ان المخبر له اجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفا بحالة البشرية لا الملكية واذا كان احد الصنفين المتقابلين حالا لزم ان يكون الآخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فانا نقتني بالله الا بتوفيقه ان اظهار المعجز على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على الصدق فاذا لم يسمع هذه الشهادة وهو عليم بسرائر الامور وخفيات الضمائر فكيف يظهرها على ان هذا مجرد الحسد والعناد من

والعناد فيجزيهم على حسب ذلك ثم بين ان الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته وتقديره فقال ومن يهدي الله فانه وقد مر الكلام من الكشاف في نظائره في مثله في آخر الاعراف وغيره وقوله فهو المهتدل على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حمل على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي او لكل من يصح الخطاب والاولياء والانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم اما بمعنى المشي عليها كما روي انهم سئل عن ذلك فقال الذي يمشيهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد اخبر الله تعالى عنهم بانهم يمرون ويتطوفون ويسمعون حيث قال وراى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها تعيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا يتطوفون بحجة تقبل منهم لا ينفعون مايلذ مسامعهم وفي رواية عطا انهم عمي عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه بكم عن مخاطبته ومخاطبة الملئكة المقربين صم عن سماع ما اعد الله على اوليائه وقال مقاتل عند الاحوال بعد قولهم اخسؤا فيها ولا تكلمون وبعد ان يجاوبوا فيجيبونهم الى النار وانما جعلوا موتى في الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي والتصام عن الحق ومن عدم النظر بكلما خبت اي سكن لهبها عنى النار يجوخوا واخباثا غيرها اي اخمدها عنهم فصاروا سعيرا قال ابن قتيبة اي تتغار اي تتغار هو اللهيب ولا ريب ان خبو النار تخفيف لهيبها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب واجيب بانه يحصل لهم في الحال الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيستمر العذاب وبقي لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين مشعورا به ويحتمل ان يقال المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس او معتد به بين الخبو والتسعر وقال في الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم باكلها وبقيها ثم يعيدها وبقيادة في محنتهم وفي الانتقام منهم وتابيد لعلى هذا النفي قوله ذلك جزاؤهم الآية ثم ابدى لها حاضا بحجة تنبطر لها الحق اذا تامل فقال اولم يروا الآية وذلك ان من قدر على خلق السموات والارض كان على اعادة من هو دونها اقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابداء ومن قال المراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصورتهم لو صح ذهبوا عنه قوله ان يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد اي يفنيهم ويخلق بدلهم وحين بين البعث امر نبيه ان يقسم في نفسه كان لوقوعه وقفا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم يروا والمعنى قد علموا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم وقوفا يحتمل ان يكون الواو للاستيناف ويخبر النظم كما مر مثله طلبوا اجزاء الانهار والعيون في ارضهم ليتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي نعم الله وسائر نعمه على خاطر البشر لانها تبقى على بخلهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزائن نعمه بصدد الفناء والنفاد قال المحققون كلمة لو حقها ان يدخل على الافعال دون الاسماء لانها تجعل الكون على معناها الاصلي بعد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الاثار والاحوال لان الذوات وان تكون على معناها الاصلي بعد انتفاء الشيء لانتفاء غيره وتملكون انها ههنا بمعنى ان الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون مرتين فحذف احد الضمائر لدلالة الضمائر على شرط التفسير فصار الضمير المتصل منفصلا للسقوط ما كان يتصل هو به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسير وقال علما الى انما افاد هذا التصرف لذلك على الاختصاص انهم ممن المخصوصون بالشح المتناهي وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر ورد الكلام في صورة المبتداء والخبر من جملتي لا يفصل الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يفصل اللطم بل اللاطمة اي لو جرت لطمتني وقوله خشية الانفاق اي خوف المفضر من انفاقه اذا ذهب فامسكتم مترك المفعول معناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والقتر والاقتار والتقتير بمعنى في الانفاق وهذا الخبر بناء فيه على ان الانسان من طبعه جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس من شانه الشح اذا كان بانيا على طبيعته لا ترى حريصا جائعا الى المضرورات المسكين والمعسر والمطعون كالبدلة في تحصيل هذه الاشياء من المال فهو يبتدع حاجاته ويتم الامور المتوقفة على المعاونة فلا جرم يجد المال ويمسكه لايام الضرورة والفاقة ومن الناس من يجد المال مجتمعا بنته لا عن طبيعة فان الاصل في الانسان هو البخل والجود منه نادر هو امر تكلفي او عرضي طلبا للثناء او الثواب وقيل المراد بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فانهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا فيها ثم قال ولقد اتينا موسى تسع اياتنا فكانه اراد انا اتيناه معجزات نفسا وتبعد هذه الامور اليه افرحموها بل اقوى منها اعظم فلم يعلم الانتجابة الى ما طلبتموه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم استبلاغ الغاية لعلمنا باصرارهم والخ على قولكم عن ابن عباس ان الايات التسع هن العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والجدب والطوفان الذي نقعد على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات ان كان الجدب والطوفان وعن عمر رضي الله عنه رجلا سئل محمدا كعب عنهن فذكر من جملتها حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال له عمر كذبت لعقبة لا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرج فنفضه فاذا بيض مكسور بعضه بعض وجوز بكسور ونوم وحصر وعدس كلها مجازة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال رسول الله صلعم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا باري الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم ايها اليهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليه اليهود بان فقبلوا يده ورجليه وقالوا نشهد انك نبي فما يمنعنا ان نتبعك قال لا تامن فلما ذهب قال الامام فخر الدين الرازي هو اجود ما قيل في الايات التسع واقول الاحكام من الايات البينات فبعد الله لهم لا ان يقال انهم عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اتاهم النبي بتسع وزاد واحدة مختص بهم ذروي بود واود هذا الحمد ثبت له ولم يدرك ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة في انه من قول ابن عباس او قال ولا تقولوا الفرار وقيل انه كان لموسى ثمان اخر كانوا الحلو والسلوى عليه وعلى قومه وكالايات التي وعدها بعضهم مما لم يتسع ذكرها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذوق

وتملكون مع

البحر المحيط عشر

ان لا يكون التخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص هو مرجع جميع معجزاته الى تسع انواع كالسببين وفضل الثمرات مثل فانهما نوع
واحد وهو التخطو وقد تقدم ايضاح ما به الاشتراك ولكن لا بد عندي من اعتقاد الاختصاص في التسع لاجل خبر الصادق واما قوله فسئل بنو اسرائيل فالخطاب فيه
للنبي والسؤال هو الذي استشهد المزيد الطمانينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسؤولون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام
واصحابه وقوله اذ جاءهم يتعلق بابنا او بمضمر اضمر اذكروا وهو للتعليل فلما ادعاه لهم بجزمه لانه جاء هم جاء ابائهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى بتقدير
القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلمهم الي ايمانهم وعن حال بينهم وسلمهم عن ان يعاصدوك
وبما عدل في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤوم والميمون قاله الفراء وعن مجاهد وغيره الطبري ان معنا اعطى علم السحر فرد
عليه بعزة الناقة ظاهر لان موسى كان عالما بصحة الامر وان هذه الايات منزلة من رب السموات والارض قال الزمخشري لا اشك في انها اي بسبب تشكك مكذب مثلك ومن زعم
انها افعال ظاهرة للعادة وبقوله بصائر الى ان فاعلها فعلها لغرض يقصد بتوليد المدعى فمن خلق العجز مجموع القدر ثم قارع موسى طغاة فرعون بظنه فقال الى
لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك
ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان انكار ما علم صحته يستعقب لا محالة ذلا وبلاء وثبورا وحسرة وندامة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض
اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستيصال وبالنفي والاخراج والحاصل ان فرعون عوض بقبض المقصود عن
صدوره واسكن بنو اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيئ الا باهله ثم اخبر عن المعاد فقال فاذا جاء وعد الاخرة وهو قيام الساعة جئنا بكم يعني معشر
المكلفين كلهم لفيفا جاءت من قبائل شتى وديانات وذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والجزاء ولما بين اعجاز القرآن واجاب عن شبه
العوام اراد ان يعظم شان القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما انزلنا الا لتقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب في نصابه
قال مجاهد الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهدايا الى كل خير وما انزلناه من السماء الا
بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقال الحوفي الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا
ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة واقرار النبوات واثبات المعاد وعلى اصول الاديان
والملل التي يتولى اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها ما بقي بقاء الدهور وقال ابو علي الفارسي الباء في الموضعين بمعنى
مع كأنه قيل خرج بسلامة وانزل القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان يكون الباء الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد كأن
القرآن نزل براي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار ليس وراءهذين شيء من اكراه على الدين والاتيان بشيء مما اقترحوه
انا لعوام كانهم من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم نزل دفعة واحدة واجاب عن شبههم بقوله وقرآنا هو منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلناه مفرقا
مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قراه مشددا وقال انه لم ينزل في نيف وعشرين سنة وقال الحوفي هو ثلاثة بل كان بين اوله واخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على
فصل مقارب قال ابو عبيدة التخفيف يجيء للاقل يقيمه ويبينه والتشديد يحتمل معنى الا انه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده قاله واحد
فغلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بينا بين الاجسام وفرقت بين الاجسام واقول ان ابن عباس عبر الفصل بين اول نزوله وبين اخره فراى التشديد اولى و
لعل المراد الفصول المتقاربة الى فيما بين المدة بدليل قوله لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة ولقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب
المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه بيان يقول المفرحين امنوا به اولا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به فقد امن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من
قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا انزل على محمد صلى الله عليه وسلم واسحاقهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام
وفي قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن فقال الزجاج لان الذقن يجمع
اللحيين وكما يبتدأ الانسان بالخرور للسجود قال ما يحاذي من الارض من وجهه الذقن فلت هذا يصح للمعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال
غيره المراد تغفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله تقرنيا سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما ان
لم يقل يخرون على الاذقان كما هو ظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور واخصوا الخرور باذقانهم ثم حكى
انهم في سجودهم انهم يقولون شرائط التنزيه والتعظيم قائلين سبحان ربنا ان كان وعد ربنا انه لمفعول فيه تنبيه على ان الاخبار بالمغيبات من اعظم
وان لخفته من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبرها ثم ذكر انهم كما خروا للاذقان فهم في حال كونهم ساجدين يقدمون الوجه على الذقن وفي هذا حال كونهم باكين ويجوز
ان يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرير الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلب وطمأنينة عن تدبر ثم اراد ان يعلمهم كيفية الخشوع في الدعاء
فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها اخر فنزل ان اهل الكتاب قالوا انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة من ذكر هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية كالنداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوت زيدا
ثم تنزل احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا والمنجز والمعنى على السببية لاي سمه لهما الاسم وبهذا دار على السبب الثاني اذكروا الله هذا واما هذا ايا ما

يعني به هذين الاسمين يميم وذكرهم في التنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير في فله يرجع الى احد الاسمين ولكن الى ايهما وكان اصل الكلام ان يقال فلهما ولكن الى لاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن الاسماء استدلالا بها بعموم الجلال والاكرام وقدم في اخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اى بقراءة صلوتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر والمخافة من عوارض الصوت لا الصلوة افعالها فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء منه لتخفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه لضعف وسكن وخفت الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعد جبير عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ كان يرفع صوته بالقراءة فاذا سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا يسمع اصحابك وابتغ بين ذلك الذي كون من الجهر والمخافة سبيلا وسطا وروى ان النبي ﷺ طاف بالليل ورأى ابا بكر يخفي صوته في صلوته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر النبي ﷺ ابا بكر ان يرفع صوته قليلا وامر عمر ان يخفض قليلا فزال الامر على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل وتخافت بصلوة النهار وعن عائشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلوة هيهنا الدعاء وقد روي هذا مرفوعا قال الحسن لا يرائي بعملك انها علانية ولا يسيء بها صوته وابتغ في الجهر استماع غير الذنوب وهو الموجب للتغيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال جار الله ابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القراءة ولما امرانه لا يذكر ولا ينادى الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله وقل الحمد لله الاية قال في الكشاف كيف لا وفي وصفه بنفي الولد والشريك والذل كلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد واصل الولد والشريك والذل كلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه يتولد من جزء من اجزاء الوالد فالولد مركب كالوالد والمركب كالمحدث والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد يخجل والبخيل لا يستحق الحمد والشريك في الملك انما يستولي على الشقل بالملك فيتقاسم الى من يتم بمشاركته امورا لمكنة ومصالح تمة وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضا نه فلا يستحق الحمد على الاطلاق وهكذا حكم من كان له ولي من الذل اى يتخذ حبيبا من اجل ذل به واستفاده لامن عزة وقوة وافاضة او الولي بمعنى الناصر اى ناصرا من اجل مذلة يرتفع بها الانة وايضا قد يمنع الشريك من اصابة الخير الى اوليائه والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فيمنع عليه دون من استغنى عنها اذا كان منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي يعضده ويلي امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين الرازي التكبير انواع منها تكبير الله في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته ان يعتقد ها كلها من صفات الجلال والاكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات الغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعند بعود مسئلة الجبر والقدر قال سبحان الامتناع ابا اسحى الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب عباد فدخل القاضي عبد الجبار الهمداني فلما راه قال سبحان منزهه عن الفحشاء ففال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبير الله في احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة ووضيعة الانتقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي ﷺ اذا افتتح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم الثناء وقيل وقالوا الى نؤمن لك كانوا ارباب الحس فلم يصدروا شواهد الحق وقيل البنوة ولم يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتجلية الارواح وتجهيزها بتبايع الحكمة من ارض القلوب ببنات تخيل المشاهدات امنار المكاشفات في جنات المواصلات ابعث الله بشرا رسولا لتجبوا من كون البشر رسولا حين ظن ان الملك على حالا من البشرية غفلوا عن بشرية الانسان الكامل حيث جعلوه مسخر الملائكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ما وهم جمعية الحرص والشهوات كلما سكنت نارشهوة باستيفاء حظها ازدادت سعيرا باشتغال طلب شهوة اخرى تسع ايات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين المعروف بدايه اراد الايات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه خاصة كالقيام في الليل واخراجه منه وتربيته في مجمل لعه ... عليه ويحوذ لك وبالحق انزلناه الان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي احتاجت بالعلوم الى العالم العلوي الجليل منه هو القرآن كقوله وحمله ... وبجعل الله جميعا وبالحق نزل للتمييز بين اهل السعادة والشقاوة بالاتباع وعدم الذين لا يؤمنون قبل نزوله الى الارض اذا تتلى عليهم في الارض عند غفلتهم عن السنة بريكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان في عالم الصوت يبكون فالتواضع والسجود من شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الاحشاء ثم بين ان الارواح انما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اى كل اسم من سمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء وسمعة ولا تخافت بها بان تخفيها بالكلية فجوزوا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الاية وهي مائة واحدى عشرة اية وثلثمائة وسبعون كلمة والفها الف وخمسمائة وسبعة وسبعون حرفا وثلثمائة وسبعون بانتها مائتان واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم
به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع نفسك
على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم
أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف و
الرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة
وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين
أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى و
ربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا
إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن
افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم
من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و
إذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن
يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين و
ذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و
لملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما
أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر
أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا
عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن
وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا

ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا ۝ سيقولون ثلثة رابعهم
خدا بهتر داند شمار ایشان را کسانی که غالب شدند بر کار ایشان آینه گریم بر ایشان مسجدی زود گویند سه اند چهارمین
كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي
ایشان را و میگویند پنج ششمین ایشان است گمان بردن نابینا و میگویند هفت هشتمین ایشان است بگو پروردگار من
اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ۝ ولا
داناتر است بشمار ایشان کم کسانند را که میدانند پس مجادله مکن در ایشان مگر مجادله آشکارا و مپرس در ایشان از ایشان کسی را
تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي
مگو البته چیزی را که من کننده آنم فردا مگر آنکه خواهد خدا و یاد کن خدای را چون فراموش کنی و بگو شاید که راه نماید مرا پروردگار من
لاقرب من هذا رشدا ۝ ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا ۝ قل الله اعلم بما لبثوا له
نزدیکتر ازین راه راست و درنگ کردند در غار خود سیصد سال و افزودند نه
غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا
پنهانی آسمانها و زمین بینا گردانید بدو و شنوا گردانید بدو نیست ایشان را جز از او هیچ کسی و انباز نگرداند در حکم او یکی
القراءة من لدنه باشمام الدال شيئا بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الاخرون بضم الدال وسكون النون وضم
الهاء ويشر مخففا حمزة وعلي الباقون بالتشديد يهيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمز فيهما الا ورشا والاعشى في الوقف وابدال الهمزة الفا
ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والرحيمي الاخرون على
العكس ترا وخفيفا مدغما ذال الفاعل عاصم وحمزة وعلي وخلف نزر بتشديد الراء ابن عامر مثل يحزن ويعقوب بالياء تزاور بتشديد بالزاي
لادغام التاء فيه المهدي كامرخ في سبحان الملتف مشددة للبزي غير ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش
وحمزة في الوقف غير مموزبور تكم بسكون الواو ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز عن يحيى بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الاعرج
بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهدين ربي وان يؤتين وان تعلمن ما بناءات في الحالين يسهل
ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعر وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وانفقوا
ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلي وخلف بالتنوين بلا تنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وزيد
الاخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف الوقوف عوجا ۝ لان قبلا لين بصفته ولكسر تصنعه تجدون دل عاير الملتوي وهو ازراي ازرا لزيتا و
للوصل وبدو وهو ان يكون حالا عن الكتاب والعبد وما بينهما اعتراض حسنا ۝ ابدا ۝ ولدا ۝ لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء واخبار والوقف
اوضح ليكون ادعاء الولد مطلقا كما هو الظاهر لا بانهم طفقوا من اقوالهم كذبا اسفاه عاما ۝ جزاء ۝ لتمام القصة وما بعده استئنافهم تقرير وتعجيب عجبا
رشدا ۝ عددا ۝ للعطف امدا ۝ بالحتم طفقا ۝ والوصل اولى للعطف شططا ۝ الهمز لابتداء الخبر بين طفقا ۝ بالهمز فيهما فجوة منطرا يات الله ۝
هو المهتدي مرشدا ۝ وقوفه فرا والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي رقدوا ونحن نقلبهم الشمال اذ الوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسطا ذراعيه ۝
رعبا ۝ بالهمز ۝ لكم لبتم ۝ بوصل احدا ۝ ابدا ۝ لا وبه فيها ۝ لان ازيصل ان يكون ظرفا للاعتبار على بهم وان يكون منصوبا باضمار اذكر بينا ناظرا
بهم ۝ مسجى ۝ اذ بعهم كلبهم ۝ وصلا بين المقالين مع ائتلاف الجملتين بالعيب لوقوع العارض كلبهم ۝ قليل ۝ ظاهرا ۝ احدا ۝ الا ان شاء الله ۝ لائتلاف الجملتين مع عارض
الظرف والاستثناء رشدا ۝ دثارا ۝ لبثوا ۝ لاحتمال ان ما بعده صفة او استئناف او حال باضمار مستانفا او الا وسط لابداء النعي اسمع من ۝ لا ولي قرا ولا
تشرك على النهي ومن قرا على العيبة اخبارا جوز وقصد لاختلاف الجملتين احدا ۝ التصيير الصوفي الحي ۝ والنكير المذكور في اخر السورة المتقدمة بالحمد على
اجزل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على محمد ﷺ قال بعض العلماء نزه نفسه في اول سورة بحان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته ومحمد
في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على ان مقام التسبيح مبدا ومقام التسبيح ختام موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله
والحمد لله وفيه ان الاسراء اول درجاته كالمعراج لان فيه تكميل الارواح البشرية وتطهرها من حضوض انفسها متهيئة الى روح الملكية ولا شك ان المنافع المتعلقة بالاضافة
من نفاسة ما كان وفي الجزء من علم وعلم فذاك بدعي عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته
على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي
بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالاخر واما انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه ايضا مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفصلة الى
صلاح المعاش والمعاد وفي انتصابها وجوه فاختار صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر اي جعله قيما ولم ينزل عوجا ويجوز ان يكون حالا لان العطف يدل على انهما
الكلام وجعلها لا بدل على نقضها وقال الجامع لا صفتها حالا ان منوا بان الاولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له
فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التاكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخ عن عوج ما في الجملة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل ان يراد انه قيم

سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وانه قيم بمصالح العباد وما لابد لهم من الشرع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه كامل فذاته مبرأ عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو في نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه مكمل لغيره ومصلح لمحاسن بما انه وارث لاحوال معاشه ومعاده فيكون الاية نظير قوله في اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمله في قوله قيما فقال لينذر بأسا شديدا من لدنه وحذف المنذر والمعلم به لعمومه ولتظهر اللسان عن ذكره اى لينذر الذين كفروا عذابا اليما صادرا من عنده والاجر الحسن الجنة بدليل قوله ماكثين فيه وهو حال من اضمير لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر بخصوصه وحذف المنذر به لتقدم ذكره وقد يذكر قضية كلية ثم يعطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كونه اعظم جزئياتها كقوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم والمعطوف عليه الآيات الكلية ففي عطف الانذار الخصوص على الانذار المطلق دليل على ان افحش انواع الكفر والمعصية اتخاذ الولد لله ثم على ما زعم بعض كفار قريش من ان الملئكة بنات الله وقالت اليهود عزير بن الله وقالت النصارى المسيح بن الله ثم قال ما لهم بهذا القول ولا لآبائهم الذين اتخذوا لله اياه من علم ولا لآبائهم وانتفاء العلم بالشئ اما بالجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك وهو المراد في الآية اى فوله هذا القول صادر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد لآبائهم الذين هم مثلهم في الجهالة قال جار الله الصغير في قوله كبرت تعجب الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى مضمر ذهني يفسره الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعم امرأة عندي قال الواحدي انتصب كلمة على التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة فغرت بها من عندها وانتها وقرأ ابو رزين على الفاعلية كما يعظم قولك لاهل البيان انصب قوى وابلغ لافادته التعجب بجهتين من جهة الصفة ومن جهة التمييز كأنه قيل ما اكبرها كلمة وفي وصف الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من جهتين الاولى ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا يتأتى للمتعلماء ان يتفوهوا بها جهلا وعمدا فبين الله تعالى ان هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم جرمهم الثانية ان هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة كونه في غاية البطلان وكل شئ يجري على ألسنتهم بطريق التقليد احتج النظام على ان هذه الكلام جسم بان الخروج عنها ان عن الحركة والحركة من خواص الاجسام والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فمنها الى الحال الخارج هو من شان المحل مجازا ثم زاد في تقبيح صورتهم فقوله ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذي لا يطابق المخبر عنه مع علم قائله بانه غير مطابق وذلك لان القيد الاخير عبث موجود فيها مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسول الله ﷺ بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصله البخع الجهد يروى ان عائشة ذكرت عمر فقالت لم يخع الارض اى جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائي بجعه الارض الزراعة اذا جعلتها ضيعة بسبب مبالغة الحراث وبخع الرجل نفسه اذا انكبها واسفا منصوب على المصدر اى تاسف نفسا وعلى الفعل لان الكلام يدل عليه وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال ومفعول له اى لفظ الحزن يشبهه اياسهم حين لم يؤمنوا بالقرآن واعرضوا عن نبيهم برجل فارقته احبته وهو ناقم عليهم والحاصل انه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فاما تحصيل الايمان فهم فليس لك فالآية الحالية تدل على ان القرآن قديم لان غير القديم واجب اتصافه بالحدوث والاصوات دائما القراع في الكلام النفسي فوجب ان يكون جملة ما على الارض بهذا النظر كانه قيل انا جعلنا ما على الارض زينة لها ونبلوهم ايهم احسن عملا ام نحن فانا قادرون على ان نجعلها صعيدا جرزا ثم زهد في المبالغة في زينة الارض بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اى مثل ارض بعضا لا نبات لها بعد ان كانت خضرا معشبة فالذي في ازاء الزينة هو الصعيد الصعيد المستوي لا الارض التي لا نبات فيها من قولهم امرأة جرز وذراع جرز اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا كان قاطعا صلبا وجرز الجراد والشاة والابل الارض اذا اكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسألوا عنه الرسول ﷺ على سبيل الامتحان فقال سبحانه احسبت يعني بل اظننت ايها الانسان انهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان ما بثثنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها نعمة للصعيد اخيرا على الكل كيف يستبعد ان فتية وحفظهم ورحمتهم بالتنبيه الى طائفة مخصوصة وقال جار الله يعني ان ذلك الزين وغيره اعظم من قصة اصحاب الكهف يعني انه تذكر اولا عظيم فدونه ثم اضرب عن ذلك ووبخ الانسان والحاصل انك لو تعجب من هذا الاية فكيف تفعل اذا قرأت الكهف العالي والواسع الجبال والرقيم اسم كلبهم وعن عبد بن حميد مجاهد انه لوح من حجارة او رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيل بمعنى مفعول ومثله ما روى ان الملائكة مواجد بهم نفهم الى الجبل وعن السدي انه القرية التي خرجوا منها وقيل هو الوادي والجبل الذي فيه الكهف والمراد ان عجب قولهم اذ اوى الفتية الى الكهف صار ايتا وعجبا ما واليم منصوبا باضمار اذكر لا بحسبت لفساد المعنى ولا بعجبا لان بعجبا والتنوين فخمة اما للتعظيم او للتنوع وتقديم من ذلك للاختصاص اى فخمة

مخصوصة بانها من خزائن رحمته وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اي اصلح لنا من قولك هيأ الامر فتهيأ من امرنا الذي نحن عليه من مفارقة الكفار ورشدا اي امرا ذا رشد حتى نكون بسببه راشدين غير ضالين فيكون من الابتداء ويجوز ان يكون للتبيين كما في قولك رايت منك الاسد اي احمل امرنا رشدا كله وضربنا على اذانهم قال المفسرون اي نمنا والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الحجاب كانه بنى على الامر الذي بنى عليها القبر وسنين ظرف لضربنا وعددا اي ذوات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف القلة لان الكثير قليل عند الله وانه ما عند بك كالقليل مما تعدون وانما الكثرة قال الزجاج اذا قيل لهم مقدار عدده فلم يحج الى العد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم يعتنى بامر حفظها لهم لنعلم ليظهر معلوما وفعل العلم معلق لما في اي من معنى الاستفهام فارتفع اي الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض وما في لما للتبيين مصدرية اي احصى امد اللبثهم فتكون الجار والمجرور صفة للامد فلما قدم صار حالا من امد وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذي والامد تمييز والتقدير احصى للبثوهم امدا والامد الغاية زعم بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما في قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستصوبه في الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا في يعثهم الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين نازعوا في المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من اصحاب الكهف وذلك انهما ابتنيا مسجدا عليهم فلما اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال آخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين حدسوا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء ان طائفتين من المسلمين في زمان اصحاب الكهف اختلفوا في مدة لبثهم نحن نقص عليك نبأهم بالحق اي على وجه الصدق انهم فتية آمنوا بربهم اي في وضع الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى اي بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على فراق الاحباب والاوطان والفرار لئلا يفتنوا الى بعض الغيران اذ قاموا فقالوا هذا الهام افوا لعن مجاهدهم انهم جمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبرهم انى لاجد في نفسي شيئا ما اظن احدا يجده احد ان ربي رب السموات والارض فقالوا لن ندعو من دونه الها فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال اكثر المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فبث الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء وقتادة انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط في الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد والمراد فولا اذا شططا اي بعيدا عن الحق هؤلاء مبتداء وقومنا عطف بيان او بدل والخبر واتخذوا هو اختيار في معنى انكار وفي اسم الاشارة تحقير لهم لولا يأتون عليهم هلا يأتون على حقيقة الحال عليهم او على حقيقتهم عيانا بسلطان بين بحجة ظاهرة اسند الاحبار الدليل على عدم الشركاء والاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فان المعلوم ان لا اتيان بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد وبكذه فوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه فخاطب بعضهم بعضا حين يئسوا عنهم على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنخفض يعني واذ اعتزلتموهم معبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبر من الله تعالى عن الفتية انهم لما بعدوا عن الله فارين اليه قال الفراء فاووا الى الكهف جوابا لاذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه ماويكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم ويفيضها عليكم في الفرائين مشتق من الرفق وهو الانتفاع وقيل فتح الميم افيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر ما ترتفق به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائي ينكر في مرفقا لابد الاكثر فيهم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما الاخبار عنهم في عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور اصله من الزور بفتح الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما الاخبار عنهم في عصرهم الاول وهو المهل ومنه زاره اذا مال عنه والمراد ان الشمس تعدل عن سمتهم الى الجهتين فلا يقع عليهم والتجوز في المتسع من المكان ومن الحديث فاذا وجدته تزور عن كذا للمغرب في الابتداء قولان احدهما انهم في ظل باب كهفهم لا تصيبهم الشمس في طلوعها ولا غروبها مع انهم في مكان واسع منفتح والى هذا الجواب اشار بقوله ذلك من آيات الله وثانيهما ان باب الكهف كان مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمينه واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك في منفسح من الغار يبلغهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان علم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه حفظهم في ذلك الغار مدة طويلة والمخصوص من بيان وضع الغار يتعين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بصونهم ابدانهم عن الفساد في تلك المدة المديدة كالطف بهم في اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشيئة الله وعنايته الازلية وبلطفه وقهره الذي سبق القلم وقال الجبائي الله فيه تنبيه على ان من سلك طريقة الراشدين الممدوحين فهو الذي اجاب الفلاح ومن تعرض للخسران فلن يجد من يليه ويرشده ثم حكى طرفا آخر من غرائب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف كالكفار في جمع كفر وهو فوعل جمع راقد كقعود في قاعد وامتداد النفيس الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة في يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على انهم تسع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم ظاهرة وهي ان لا تاكل لحومهم الارض قاله ابن عباس وتجب عنه الامام الفخر الدين قال وان الله تعالى هو حافظهم من غير تقليب فما فوائد التقليب والجواب لا ريب في قدرة الله تعالى ولكن الوسايط معتبرة في اغلب الاحوال وكلامهم باسط حكاية الحال الماضية ولهذا عمل في المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة والباب قال السدي الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب ببنه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هو بالبلاس من ملكهم فروا بدوابهم مع كلب فتبعهم

على دينهم ومعركلبه وقال كعب عزوا بكلب فيضع عليهم فطردوه فعادنفعلوا ذلك ثلث مرات فقال لهم الكلب ما ترهبون منى انا احب احباء الله فناموا حتى احرسكم وقال عبد عمر وكان ذلك طلب صيدهم والاطلاع على الشئ الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية وسبب الرعب هيبة المهيمن الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم منه حكى ان معوية غزا الروم فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لواطلعت عليهم لولليت منهم فرارا فقال معوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف ضرب الله على اذانهم فناموا رقودا والرقود النوم فى الليل خاصة وكذا الهجود وقيل النوم مطلقا ومنه قوله تعالى وهم فى مرقدهم ذلك النوم وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الاماتة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا اى ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع فى مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور اثار القدرة قال قائل منهم كم لبثتم قال ابن عباس هو رئيسهم يملخا وعلم ذلك الى الله ثم حين راى التغير فى شعورهم واظفارهم وبشرتهم والفاظهم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم فلما راوا ان قد حصل التباس من بعضهم مدة اللبث فحذوا فى شئ اخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة والورق عند العرب المال الصامت من الدراهم ودليل على ان مسائل بعضهم عما يحتاج اليه الانسان فى سفره وحضره لا ينافى التوكل على الله والمدينة طرسوس قال فى الكشاف ايها معناه اى اهلها ازكى طعاما واولى ان يحل الضمير الاطعمة هنا كقولك زيد طيب بالعلى ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اى طعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور عن ابن عباس ويدل عليه حل الذباح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وبهم قوم يخفون ايمانهم وقال مجاهد احرزوا من المعتصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل ايها الطيب والذوق الرخص ليتلطف ولا يكلف اللطف فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن والاظهار انهم طلبوا اللطف فى امر التخفى حتى لا يعرف بوجه قوله ولا يشعرن بكم احدا اى لا يفعلن ما يؤدى الى الشعور وبسببهم ان يظهروا يطلعوا على مكانكم او عليكم برجمكم يقتلوكم اخبث القتلة وهى الرجم وكانت عادتهم او بعبد وكره فى ملتهم بالاكراه العنيف وقال فى الكشاف العود فى معنى الصيرورة اكثر شئ فى كلامهم يقولون ما عدا فعل كذا يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلى لاحتمال ان يكونوا اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم الله وفى اذن معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا ابدا قال المحققون لا خوف على الفاء ويدل عليه لعظم من هدى بن فى الاولى هلاك الدنيا وفى الثانى هلاك الاخرة وانما نفى الفلاح على التابيد مع ان كفر الملوك لا يضر لانهم خافوا ان يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبى وكما انعامهم ويعتنائهم عرفا عليهم سمى الاغلام اعتبارا والعلم عشورا الان من كان غافلا عن شئ تعتبره نظر اليه وعرفه وكان الاعتبار سببا لحصول العلم واليقين وفى مبالغة اشعار قولان احدهما انه ظالك شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك والاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق الى السوق وكانت دراهم دقيانوس التى ضربت باسمه وبالغ فى الكشاف فقال لم ير من هذه الدراهم قال بعتها امس بشئ من التمر فعرف الملك انه قد وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص على الملك قصته ثم ذكر سبحانه غاية الاعتبار فقال ليعلموا ان وعد الله حق يريد ان ذلك العصر ممن كان ينكر البعث لانه كان مع كفره منصفا فجعل الله امارة القيمة دليلا للملك وقيل بل اختلف الامة فى ذلك الزمان فقال البعض الجسد والروح يبعثان جميعا وقال اخرون الروح يبعث واما الجسد فياكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له اية يستدل بها على ما هو الحق فى المسئلة فاطلعه الله تعالى على امر اصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل اشبه من بعوث ثم بعث فالمراد بها التنازع هو اختلافهم فى حقيقة البعث والضمير فى قوله اذ يتنازعون يبنهم امرهم يعود الى ذلك الامر وقيل اراد اذ يتنازع الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويكلمون فى قصتهم او يتنازعون بينهم لدينهم امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسيدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا يرى انه ظلل الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على اتمامه الدلالة على البعث ثم قال الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك بهم من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه واعز فجعل لكل واحد ثوبا من مذهب فراهم فى المنام كاريهن الله فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا غائبين بالله تعالى ومعترفين بالعمادة وقيل ان الكفار قالوا لا نرضى الا ان نتخذ عليهم بنيانا والمسلمين قالوا بل كانوا على دينا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا فى عددهم واسمائهم فاجاب الله سبحانه عن كل واحد من هذه الاقوال وانصف المؤمنين بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتنافلوا الكلام فى اسمائهم واحوالهم فلما اهتدوا الى حقيقة قالوا ذلك وهو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين فى عدتهم من اولئك المتنازعين ومن الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب الذين غلبوا على امرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبنا عليهم حفظا لاثارهم لها ظنا بها سيقولون يعنى الخائضين فى قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان مجاهد يرى ان السيد العاقب اصحابا من اهل نجران كانوا عند النبى صلى الله عليه وسلم يجزى كون اصحاب الكهف فقال السيد وكان العاقب هو ابيهم ثامنهم رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان سطورا بهم خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب اى قذفا لها بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفى بان قال ارجا به بالكلام رميا اى تكلم من غير تدبر وتفكر ما يرجم بالظن كان قولهم ظنا وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا قول يعرف صحته المسلمون باخبار رسول الله عن ذلك جبريل عليه السلام والذى يدل عليه امور منها ما روى عن على رضى الله عنه انهم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومسلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره

مرنوش ودبرنوش وشادنوش وكان يستشيرهؤلاء الستة وهو السابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشطوطوش واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وقيل جهان عن ابن عباس رأسا اصحاب الكهف تصلح للطالب الهرب والطفاء الحوبن تكبيف خرقة ويربي بها في وسط النار ويكاء الطفل يكبب بوضع يحمد اساسه في المهد والحوت يكبب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع والمضربان والحمى الثلثة والصانع والغني والجاه والدخول على السلاطين ويشير على الفخذ اليمنى والعسر بالولادة يشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من الغسل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم حي الخ تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه آخر كما يدخل على الجملة الواقعة حالا من المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدة تأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان انصافه بها امر ثابت مستقر لان الواو مقتضاها الجمعية وكانهم وصفوا بكونهم سبعة قرنين بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بها وصفوا مرة واحدة ولقائل ان يقول ان العاطف لا بوسط بين الوصف والموصوف البتة لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو وهو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو انما للعطف عطف الجملة على الجملة والحال وجاز لانها لما كانت في معنى ذي الحال لكونها لامكان لباس الحال بالصفة نحو قولك رأيت جلالا كبيرا وههنا الالتباس مرتفع لكن الواو دخلت قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون بعده للهود والجمع للتعظيم ومنها قول ابن عباس صبر وقعت الواو انقطع العدة اي طريق بعد لها عدة عاد يلتقت اليها وثبتنا بهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص القولين الاولين بزيادة قوله رجما بالغيب بخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فمن البعيد ان يذكر الله تعالى جملة الاقوال الباطلة ولا يذكر الحق على انه سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علم حكم هذه الواقعة وايضا الله تعالى انما لم يعلمهم الا قليل وبعيد ان لا يحصل العلم بذلك للنبي ﷺ ومحصل لغير النبي ﷺ كعلي وكابن عباس حيث قال انا من اولئك القليل وقد عرفت قولها في هذا الباب واذا حصل فالظاهر انه حصل لهذا الوحي لان الاصل فيما سواه العدم وقيل الضمير في يقولون لاهل الكتاب خاصة اي يقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله رجما في الموضعين الاخيرين ويقولون بغير السين كما يجب انهما للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل ان يكون لاجل الصيغة التي تصلح لهما وان يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد كرمكم وانعم اي وقد انعم اما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفت انفا وقد يقال ان لعدد السبعة عند العرب شأنا ولا عبرة في السنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود فاذا وصلوا الى الثانية ذكروا العقد بدل على الاستيناف كقولهم في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيدت الفعال هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في الثامن والاضافة ان هذا الترتيب ليس في موضعه لان وجود الواو هو الذي يفتقر الى التوجيه اما على رأي فعلى الاصل وبين التوجيه الاحتجاب بدون بعيد والقائل بصدقه لا وجه دون الاخير ثم نهى نبيه ﷺ عن الجدال مع اهل الكتاب في شأن اصحاب الكهف ثم قال ولا تستفت فيهم منهم احدا اي جدلا غير متعمق فيه وهو ان لم تطلعك فيهم على ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تحميل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا يكن بهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا القدر لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شأنهم لان المفتي يجب ان يكون اعلم من المستفتي وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما يتوقف هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فيفعيل بمعنى فاعل وقد يرد بمعنى مفعول كقتيل وجريح بمعنى مقتول ومجروح وذلك ان تولي الله تعالى عبده يحتمل معنيين احدهما ان يكون عبده مطيعا له والثاني ان يكون الله تعالى متولي حفظه وحراسته وقرب منه بالفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون يظهر على يده الخوارق وكما يعقل ان الدجال سيكون من ذلك فهذا القسم يجوز ان يسميه الاشاعرة لان شكله وخلقه يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة فان كان صادقا فيها وجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب بحكم ان يؤيد الكاذب بما يخيل انه يظهر منه الفعل الخارق والبرهمية مجوزون المعجزات لكن الغالم ابو الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي يجوز ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموها بالاستدراج وقد يفرق بين النبي الصادق والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير او الى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي دعوى الولاية لانه مأمور بالاخفاء حتى ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء واثبتها اهل السنة مستدلين بالقرآن والاخبار والاثار والمعقول اما القرآن فكقصة مريم وابتداء اصحاب الكهف قال القاضي لا بد ان يكون في ذلك الزمان نبي بسبب انه ظهر تلك الكرامات واجيب في التعجب الكبير بانا قادرون على النوم اما غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لاحد واما قادرون على النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم فيها فالواقعة لا تكون الا كونهم صادقين في هذه الشرائط لكن قد امتنع جعل هذه الواقعة لدعوى الا ان يقال طول هذه المدة وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤا بعد هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد الا بنبي فلم يبق الا ان يجعل كرامة لهم ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون بعثهم معجزا لنبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فغير بادر اذ رأى اخر كما مر من بعث الدرهم وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي ﷺ انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلثة عيسى ومريم وصبي في زمان جريج وصبي اخر اما عيسى فقد عرفته واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام وكان يوما يصلي اذ اتته فدعته فقال يا رب الصلوة ام ربي وهو في صلاته

ان الله تعالى

صلى في عشرة ثانيا مثل ذلك ثلثة اراد وكان بعقلي وبدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى ترزقه المومسة وكانت في بني اسرائيل زانية فقالت انا افتن جريجا حتى يزني بها فاتته فلم يعد عليه شيئا وكان هناك راع يأوي الليل الى اصل صومعته فاراد الراعي على نفسها فاتاها فولدت غلاما فقالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته قال ك ابو هريرة كاني انظر الى النبي ص حين قال بيانا غلام من ابول فقال فلان الراعي فندم القوم على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة قال بل اعيدها كما كانت واما الصبي الاخر فان امراة كانت منها صبي ترضعه ازمرها شاب جميل وشارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مرت امراة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقال اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثله افقالت لم امرني ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق وزنت ولم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روى عن ابن عمر ان رسول الله ص قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فاواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران فكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بي طلب شجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي استظر استيقاظهما حتى ظهر الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت تعلم ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الاخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى المت سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا ازن لك ان تفك الخاتم الا بحقه ففجرت من ذلك العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفجرت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله ص ثم قال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاء بعد حين فقال يا عبد الله ادالي اجرتي فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله ص لكم من اشفعه اعز ذي طمر لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شيء وشيء ومنها رواية سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي ص قال بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها اذا التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي ص امنت بهذا وابو بكر وعمر ومنها رواية ابي هريرة عن النبي ص بينما رجل سمع رعدا وصوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان فمال فتبع الى تلك الحديقة فاذا رجل قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسئل عن ذلك فقلت اني سمعت صوتا في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذ قلت فاني اجعلها اثلاثا فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثا واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثا واما الاثار فمن كرامات ابي بكر الصديق انهما حملت جنازته الى باب قبر النبي ص ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد فتح فاذا هاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي انه بعث جيشا وامر عليهم رجلا يدعى سارية بن حصين فبينما عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب عليه السلام وكتب تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين عدونا يوم الجمعة في وقت الخطبة قد هزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاسندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي ص لانه قال لابي بكر وعمر انما صاحبه بمنزلة السمع والبصر لا جرم قد رأى علي وغيره الجيش من بعد ومنها ما روي ان نيلا مصر كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر على الخوف من عمر امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فاجر على بركة الله وامر ان يلقى الخنفساء في النيل فجرى ولم يقف بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض فقال اسكني باذن الله ثم قال لعلوها في النار فانظفت في الحال ويروى ان رسول ملك الروم جاء الى عمر وطاف داره وذهب الى داره مثل قصور الملوك فقالوا للرسول ذلك انما هو في الصحراء بين اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعا درته تحت راسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال لنفسه اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه خفية فاخرج الله اسدا من الارض فقصده فخاف فالقى السيف فانتبه عمر واسلم الرجل قال اهل السير لم يتفق لاحد من اول عهد ادم الى الان ما يتفق لعمر فانه مع غيبته بعده عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فمن اين قال لمن رآه في طريق وقعت عيني على امراة ثم دخلت على عثمان فقال مالي اراك تدخلون علي واثارا لزنا ظاهرة عليكم فقلت او ما نزل بعد رسول الله فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل انما طعن بالسيف فاول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان بعض الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها في ركبته فوقف لا كلفة ذكروا ذلك وانا على سلوان الله عليه ويروى ان واحدا من اصحابه سرق وكان عبدا اسود فاتى به الى علي عليه السلام فقال اسرقت فقال بلى فقطع يده فانصرف من عنده علي ع فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعتو المسلمين وخذل الرسول وزوج البتول فقال لقطع يدك ومدحه قال فلما امدحه فقطع يحق وخلصني من النار وسمع سلمان ذلك فاخبر به عليا ع فدعا الاسود ووضع يده على ساعده وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتا من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت اذ لله تعالى واما سائر الصحابة فمن محدثين

والكهف سورة

المنذر انه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الي اسد فقلت يا ابا الحارث انا مولى رسول الله قال فتقدم ودلني على الطريق فجعل يهمهم فظننا انه يودعني ويرجع وذكر ثابت عن انس ان اسيد حضير وعباد بن بشر كانا عند رسول الله حتى ذهب من الليل قطع وكان ليل مظلم وكان بيد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله وقيل لخالد بن الوليد ان في عسكرك من يشرب الخمر وركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فرأى جملا على فرس معترضا من عمر فقال ما هذا فقال الخمر فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها فلما فتحوا اذا هي خل فقالوا لوالله ما جئتنا الا بخل فقال بعد هذه والله دعوة خالد ومن لو قائع المشهورة ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم على اسم الله وماضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقوه جماعة على طريق فاعترضين من السبع فطردوا السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وروي ان النبي بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب فخاضوا من البحر وقالوا باسم الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب وابات كثيرة ولا يمانع كتاب ندكرة الاولياء ومن اراد ها فليطلبها وانما المعقول فهو ان الوجيب الغليان والعبد يجيب الوجب لغوله يجهم ويجثو فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كلما امر الله فاي بعد في ان يفعل الوجيع غاية قدرته وسعة وجوده مرة واحدة ظاهرا لعبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعالى لم يرد اظهارها له فذلك قدح في قدرته واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوجه على طاعته اشرف الغايات واجلها واذا لم يجعل الفاضل الشريف فلان لا يجعل بالادون اولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس انما توجب بحسب قوتها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما يتصرف في جسده قلت وذلك ان النفس نور ولا شيء اشد بنورية واشراقا بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليها حتى ينبسط ويقوى على اثارة غيره والتصرف فيه والوصول الى مهمه المقام هو المعنوي بقول علي بن ابيطالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدية ولكن بقوة ربانية مجدد المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة وجوابه الفرق بين المعجز والكرامة بان المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية اما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبي مأمور بالاظهار لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار والفخر المنهيين عنه فانه يفرق بينهما بان المعجز سبق بدعوى النبوة والكرامة غير مسبوقة بشيء من الدعاوي قالوا ايضا حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرايض لا يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب اليه باداء الفرايض والنوافل جميعا قالوا ايضا لو كان الكل الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فكيف بطي الارض للاولياء طويت الارض لداود وطويت لمحمد حتى صليت له بمكة الاقاليم واجيب بان الاشهر ورود الاول على ما هو المعهود والمتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيخصص المستثنى من ذلك العموم وان لم يكن قاصرا على بعض الاولياء ولكنه ينفق له ذلك ولعله انفق له السفر فالوا ايضا اذا ادعى الولي على انسان دينا فان اتى ببينة كان تاركا للدعوى البينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه ليس قاطعا على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب مثل ما مر من ان النادر لا يحكم به فاذا لوجاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم واذا كثرت الكرامات تقابلت عن التعارض وتساقطا واجيب بان الجميع فيهم قائل بالقول ثم وقليل من عبادي الشكور والولي فيهم اعرض الكبريت الاحمر واتفاق الكرامة للولي ايضا على سبيل الندرة فكيف يجب ان يظهر عليه معتادا في الفرق بين الكرامات الاستدراج هو ان يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكرا وكيدا وضلالا واملاء والفرق ان صاحب الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج ليس كذلك اذا رأيت الولي على انسان دون ثمانين ذراعا في الهواء فلا تعتقد انه ولي حتى تعرف حاله عند الموت فان مات على الايمان والتقوى فهو ولي والا فلا وقيل ان الكرامة لا تظهر الا على من يكون عالما بالله وبصفاته عارفا بما يجوز عليه وما لا يجوز عالما بالشرع وبما يوافقه ويخالفه عاملا بمقتضاه مجتنبا عن المحارم والشبهات مواظبا على الطاعات معرضا عن الانهماك في اللذات والشهوات

الحقيقة فاذا حصل هذا الامران وعرفنا الانسان ذلك عرف لا محالة الزكوة منه ولبابها وعلامتها ان يكون فرحه بطاعة الله واستيحاشه بسببها كسرة الله فلذلك
لا ريب ان مدخل الاغلاط في هذا الباب كثيرة ودون الوصول الى غائلة الرياء تنبيه عجيب فاسارس من بزان وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالخيبة
عسر والله تعالى اعلم قال المفسرون ان اليهود بعثوا الى قريش سلوا محمدا عن مسائل ثلث عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فلما وفد قالوا
اجيبكم عنها غدا ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوما ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الى قوله واذكر ربك
اذا فاعلن ذلك غدا اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ان نقوله بان نقول لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحا اي
لكنه لا يكون موافقا للسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع الحال اي لا تقولنه الا متلبسا بان يشاء الله يعني قائلا انشاء
الله وهذا نهي تاديب لنبيه ﷺ لان الانسان اذا قال سافعل الفعل الفلاني غدا فلعله يعجز عنه او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقيد
انشاء الله صار كاذبا فيه هذا الوعد والكذب منهي عنه وجوز في الكشاف ان يكون انشاء الله في كلمة ما بعد كانه قيل ولا تقولن ابدا قال اهل السنة
في صحة الاستثناء دليل في وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة وبوكده انه اذا قال المديون القادر على اداء الدين غدا ثم
قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض طلق بحنث بالاتفاق وما زال الا ان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين وانما يقع الطلاق في
قول الرجل لامراته انت طالق ان شاء الله لان مشيئة الله عز معلومة فيلزم الدور لو توقف علم المشيئة على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس ايضا
الفائلون بان المعدوم شيء يقولون ولا نقولن لشيء وذلك ان الشيء الذي يفعله غدا معلوم مع انه سماه شيئا في الحال واجيبوا بانه مجاز
كقوله اصبح ليل واذكر ربك اي مشيئة ربك اذا اردت كلمة الاستثناء ثم ثنيت لها وللعلماء في مدة الثنيا الى اي الذكر خلاف فعن ابن عباس انه
وعن طاوس هو على ما يثنيه ناثم في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام ما لم يكن
موصولا قالوا ان الاثار الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاه الا لفظ هذا الدليل
فيما اذا كان منفصلا ولم يمكن هذا النوع من الجواب فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل اراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء
وقيل بعث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكر المنسي واذكره اذا تركت بعض ما امرك به وليس هذا من القولين في شيء
ارتباط بما قبله وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف
ان المراد اذا نسيت شيئا فاذكر ربك وذكر ربك عندي ان يهديني لشيء اخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشدا وادنى بخير ومنفعة
وقيل ان نزل قوله انشاء الله ليس بحنث وذكر احسن فقوله هذا اشارة الى النزل واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى ابتاء اصحاب الكهف
ومعنا لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على انبي صادق فيما اخبر به من امر الغيب ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من بنيانهم وقد فعل ذلك حيث اتاه من قصص الانبياء
والاخبار بالمغيبات ما هو اعظم وادل عن قتادة انه قوله سبحانه وليتوا في كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده
قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على انه بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا والمراد من قوله قل الله اعلم ان لا تجادلوا
الحق الذي اخبر الله به ولا تلتفتوا الى ما سواه من اختلاف اهل الاديان نظيره قوله قل ربي اعلم بعدتهم لعدد نهم بعد قوله ربعة وثامنهم كلبهم قال العلوون بين
عطف بيان الثلثمائة لان تميزها مفرد ولفظها مجرور ومفرد وقيل تميز بتقديم وتاخير اي وليتوا ثلثمائة سنين تسعا ومن قرا بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد
في التمييز كما مر في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطا اما قوله وازدادوا تسعا اي تسع سنين لان ما قبله مبني على بقول وليتوا ثلثمائة سنين
وتسع بالسنين القمرية وهذا شيء تفرد به وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة شمسية وقربا مرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك
تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اي ليس لغيره ما خفي فيهما من احوالهما وحوال سكانهما هو مختص بذلك
ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على النهي من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير في قوله مالهم لاهل السموات والارض وفيه بيان لكمال قدرته وان
الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا يشرك في حكمه وقضائه بل اصحاب الكهف احد امنهم ومن قرا الا تنزل على النهي فهو معطوف على
تقولن والمراد انه لا يسال احدا عما اخبره الله به من بنيا اصحاب الكهف واقتصر على بنيانه وقيل الضمير في مالهم لاصحاب الكهف اي انه هو الذي حفظهم
في ذلك النوم الطويل دونه لا مولى امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل
فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا في هذا الباب اقوالا على خلاف قول الله فقد منعوا العقاب عن الله تعالى انه ليس له من دونه ولي يمنع العقاب عنهم
واعلم ان الناس اختلفوا في زمان لبث اصحاب الكهف في مكانهم فقيل كانوا قبل موسى وانه ذكر بوشع فهذا سالت اليهود بامر لواوقبل هلا
الكهف قبل المسيح واخبروه بخبرهم ثم ليتوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى الفقال عن محمد بن اسحق انه دخلوا كهفهم بعد عيسى وقيل
انهم يبعثوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر ابو علي بن سينا في باب الزمان من كتاب الشفا ان اوسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من الناس الهيئة
حالة شبيهة بحال اصحاب الكهف ثم قال ابو علي ويدل التاريخ على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف وان المكان يحكى الفقال عن محمد موسى الخوارزمي
المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف احوال اصحاب الكهف فوجهه مع طائفة الى ذلك الموضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فرعني من الدخول
عليهم فدخلت فرايت الشعور على صدورهم قد عرفت انه كثير واجتهدت واذا الناس كانوا قد عالجوا ذلك البحث بالاذن وفي الجملة الحافظة لابدان الموتى

سورة الكهف

عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يمكن الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم لبسوا اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكيناه عن ابن عباس
حين غزا الروم حصل ظن غالب بانهم منهم والله تعالى اعلم **الناويل** الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب والعبد الحقيقى من يكون مترجما
عن الكونين وهو محمد ﷺ اذ يقول امتى امتى يوم يقول كل نبى نفسى نفسى لانه هو الذى صح نسبة العبودية كما ينبغى اطلق عليه اسم العبد فطلقا
وفيه لسان ابنيا كما قال اعبده زكريا واذكر عبدنا داود ولا مرية ان خاتمة القرآن قيل ولم يجعل لمرائى ان يقابله عوجا لا يستقيم بنبأ القرآن ومن
استقامة قلبه قال ليلة المعراج ربنا فرأى وحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة جبريل ونال قلبه الاستقامة بامر المكونين بقوله فاستقم كما امرت اى
حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته عليه الصلوة والسلام ان يبالغ فى الامور حتى ينهى عنه بالغ فى الدعوة
والشفقة على امته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ فى الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط انا جعلنا
ما على الارض من زينة الدنيا وشهواتها للخلق ملاعا لطباعهم وجعلناها محل ابتلاء للحق وللسائل لنبلوهم ايهم احسن عملا اى نزهناها عما
هو حظ نفسه طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا ليبلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان
فى امثل من هو اعجب حالا منهم فتيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة بنور المحبة فانهم اووا الى الكهف خوفا من لقاء قوم
وفرارا منه فهؤلاء اووا الى الخلوة شوقا الى لقائه وفرارا الى ربانيتهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقولهم ربنا اتنا الآية فهؤلاء
طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار المجازى للوصول الى نور الوجود الحقيقى فضرب بناء على ايمان باطنهم وحواسهم الاخرى مدة
الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الدينية بتبدل الانوار الالهية ليفهمهم الله عنه ويفهمهم سره وهو سر قوله ثم بعثناهم
اى احييناهم بنا لنعلم اى الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب الخلوة احصى لما اكثر فائدة واتم عائدة لامتهم فى الدنيا التى هى مزرعة الاخرة وزد ناهم
هدى فانهم كانوا مهديين بالايمان الغيبى فاتمناهم ثم بعثناهم حتى صاروا بالايمان ايقانا والغيب عيانا انتهى وامنوه بنور الطمر من الدنيا والهوى وزاغت
اذا طلعت قال الشيخ المحقق محيى الدين المعروف بابن هذا اخبار عن اصناف الطائفة باصنافهم وغيرهم اشارة الى ان نور ولايتهم يغلب نور الشمس بدليل
عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله ان المؤمن اذا ورد النار يستغيث النار ويقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى ودخانى فجوزه منه فى
مشى وفراغ من ذلك النور يدفع عنهم كل ضرر وبرد اعهم عن بلى اجسادهم وبشاشهم فلم يحتمل ان يراد ان شمس الرفع او المعرفة او الولاية اذا طلعت من
افق الهداية واشرقت فى سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا يعرف فى حال خلوتهم الى امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا
غربت اى سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو ليلتفت بهم ارواحهم الى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل تحرف عن الجهتين الى المولى
وهم فى حال دفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله ويحجبهم ايقاظا منصرفين فى امور الدنيا ونوم رقودهم عنها لانهم منصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس
او يحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الاخرة لان الناس بنيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود منصرفون فى امور الدنيا لان الناس بهم يرزقون ويطعمون
وفى قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم فى التسليم لمقلب القلوب فى الاحوال كلها كالميت بين يدى الغسال فهل فى الاية
دلالة على ان المريد الذى يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل رشده فى ثلثمائة وتسع سنين والذى يربيه بواسطتهم ثم امره فى اربعين وعوده
وهذا يكون ثمرة البساتين الذهبية ثمرة الجبال فى قوله وكلبهم باسط اشارة ان كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الاعمال بهار بية القلوب والارواح
معنى ان هذا النوع من التربية من قبل القدرة الالهية التى اختصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم فى جميع الاحوال وترتسم
عما يصرهم ويلمسهم منهم رعبا بما شاهد عليهم من اثار الانوار التى ورد بها ويحل بهيبة الهيئة والعظمة التى البسناهم ليثبتنا بوما او بعض يوم لان ايام
الوصال قصيرة فلما رأوا انهم فى هشة الوصال وجوة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم بورقكم هذه
انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم اى يقتلوكم بالحجارة او يعيدوكم فى ملتهم اى يصيروكم كفارا مثلهم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها
انفسهم اما جاوا الى الغذاء الجسمانى الذى طعامها مارجعوا الى العالم الجسمانى تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى ملك الملاطفات
بلطائف الاغذية الجسمانية وذكاها ولا يشعرن بكم احدا فيه بيان ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شهوات اهل الغفلة والسلوة ليعلموا ان رعاية الله حق رعايته
القلوب المنيبة حق قدره الامر فيها اظهر وابدى واسر اخفى يعلمون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية
التى تشاهد فى القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة
هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعانى والخيال المدرك للصور ثامنهم كلبهم هو النفس المدرك للكليات قل ربى اعلم بعدتهم لان القوى
الباطنة والظاهرة وافاعيلها وغاياتها لا يعلمهن الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله اعلم بالصواب

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ

وخوان انچه وحى كرده شد بسوى تو از قرآن ضمير تو بيچ تغيير نيست سوى آن پناه گاهى وبنا بر اين تو نيز بايد كه بيچ تغيير نكنى سخن حق را وبيابى غير او پناه گاهى وشكيبا كن جان خود را با آنكه

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

ميخوانند پروردگار خود را بامداد وشبانگاه ميخواهند خوشنودى او را ودر گذار چشمهاى تو از ايشان ميخواهد آرايش زندگانى دنيا

وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ
و فرمان مبر از آنکه بیخبر کردیم ... و پیروی کرد از روی خویش کار او بیهوده و گم شده ... و بگو راستی از پروردگار شما ... پس هر که خواهد
فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا
بگرود و هر که خواهد ... پس کافر گردد که ما آماده کرده‌ایم بر ستمکاران آتش را که احاطه کرده بایشان سراپرده‌اش ... و اگر آب خواهند
يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
آب دهند چون مس گداخته بریان کند رویها را ... بد آشامیدنی ... و بد تکیه‌گاه ... بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کار
الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ
شایسته بدرستیکه ما ضایع نمیکنیم ... انگیزه مزایای نزاد است بهشتهای عدن ... که میرود از زیر آنها نهرها
يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا
پرایه‌ستوده‌شوند در آن از دست دربندها از زر ... و بپوشند جامهای سبز ... از دیبای نازک و درشت ... تکیه‌زده اند در آن
عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا
بر تختها ... و نیکو تکیه گاهی ... و بزن برایشان مانند حال مرد
جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا
که گردانیدیم هم مر هر یکرا ... دو بوستان از پوستانها ... و گردانیدیم میانشان کشتی ... هر دو بوستان آوردند ... برخورش
وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
و نستمکرد از آن چیزیرا ... و در میانشان جوئی ... و باشد مر او را میوه پس گفت ... مر یار او را و او سؤال کرد او را که من بیشتر
مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا
از تو مال ... و غالب بر نفرت ... و در شد در بوستان خویش و او ستمکار بود بر نفس خود ... گفت نمی‌پندارم که هلاک شود این هرگز
وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ
و گمان نبرم ... قیامت را ایستاده ... و اگر باز گردیده شوم ... بپروردگار خود ... هر آینه یابم بهتر از این بازگشتی ... گفت مر او را یار او ... و او
يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
سؤال و جواب کرد او را آیا کافر شدی ... بآنکه آفرید ترا از خاک ... پس از آب منی پس ... از راست کرد ترا مردی ... لیکن او الله خدای پروردگار من ... و نباشم
بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ
بخدای کسی را ... و اگر نه چون در شدی بستان ... گفتی بخواست خدا ... نیست نیرو مگر بیاری خدا ... اگر بینی مرا اندک‌تر از تو
مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ
در مال و فرزند ... پس شاید خدای من که بدهد مرا بهتر ... از بوستان تو ... و فرستد ... بر آن آتشی از آسمان
صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ
زمین خشک کفران ... یا صبح شود آب آن فرو خفته ... پس نتوانی مر او را جستن
كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ
حسرت خورد بر آنچه خرج کرد در آن ... و آن نو افتاده بر سقف خود ... و بگوید ای کاشکی نکردمی
تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ
نگردانید او را گروهی که یاری کنند او را از غیر خدا ... و نباشد کینه کشنده ... آنجا یاری شاید مر خدای را راست ... او بهتر ثواب
خَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ
بهتر سرانجام ... و بزن مر ایشان را مثل زندگانی دنیا ... مانند آبی که فرو فرستادیم از آسمان ... پس بیامیخت بآب روئیدنی زمین
فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ
پس صبح کند خشک پراکنده ... باد ... و باشد خدا بر هر چیز ... توانا ... مال و پسران ... آرایش زندگانی
الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً
دنیا ... و خصلتهای شایسته ... بهتر است نزد پروردگار تو ... بهتر دارنده امید ... و روز که روان کنیم کوهها را ... و بینی زمین را
وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ
و گرد آوردیم ایشان را ... نگذاشتیم از ایشان ... و عرضه کنند بر پروردگار تو ... صف صف ... هر آینه آمدید نزد ما ... چنانکه آفریدیم شما را ... نخستین

ويخلف الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير ألف في الحالين قنبل وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالألف في الوصل بغير همز ألف وقفوا على الألف في الوقف يوقف احمد مفتوحة أيا أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن ذكوان بفتح الهاء الساكنة بعدها عن قبل غير أبي نشيط وكذلك الملك الرحيم أيا ما كانوا بفتحها ولم يكن له بيا الغيبة الأول يا مكسورا ويا مفتوحا وعلى يخلف الآخرون بناء الثانية وفتح الواو والله الحمد بالرفع أبو عمرو وعلى الأول بالجر عفا بسكون الفاء عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الروح على التوحيد حمزة وعلى يخلف الوقوف من كتاب سبك الاختلاف الحمد لله الذي هدانا لهذا عنهم لأن ما بعده يصلح حالا وإن استغنى ما محذوف الا لقد لأنه حال العتاب فرحاه فليكفر لأن الأمر للتهديد بدليل أنا أعتدنا فلو وصل صار مطلقا ناداه لأن ما بعده صفة سرادقها لوجوه للشراب مرتفقا عمدا لاحتمال كون أولئك مع ما بعده خبر إن الذين وقوله إنا لا نضيع جملة معترضة الأرائك الثواب مرتفقا وزعا تمييزا للعطف بغير واو للعدول مع الفاء نعمة لتضمنه لاتحاد العامل بلا عطف بدا فاتحة الآن ما بعده مثل من قول الكافر في البعث منقلبا وجلا لاتمام لاستفهام احداهما فما شاء الله لا تمام المعول لا قوة إلا بالله لابتداء الشرط المحذوف وجوابه مع اتحاد القائل والمعول لم وولدا لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط زلفا للطيبا احداهما منقطرة وقبل يوقف على هنالك والآخرين بتبدلها أي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ أمره الحق على القراء بين عقباه الرياح طمقتدرا وزينة الحيوة الدنيا فصلا بين المجمل الفاني والمؤجل الباقي مع اتفاق الجملتين املاه التفسير لما جاب عن سؤالهم بما أجاب لم يتبيه ان يوالب على تلاوة الكتاب الموحى إليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين آمنوا بما أنزل عليه واحتمل ان يكون أفعل امر من التلاوة أي اتبع ما أوحي إليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي وحى إليك مبتدأ بين سبب اللزوم فقال لا مبدل لكلماته أي لا يقدر أحد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فلذلك ولا يغرنك الا المواظبة على العمل والعمل به وكذا قوله ولن تجد من دونه ملتحدا أي ملجأ العدل اليه ان همت بذلك فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في أسمائه لمن سؤله في سورة الأنعام من طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الآية واعرض عنهذه السورة بحسب النفس معهم ومر أفئدتهم عن قبوله ولا تعد عيناك فعال جار الله انما يقبل ولا تعدهم عيناك من عداه اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كأنه قيل ولا تفتحهم عيناك مجاوزين الى غيرهم ثم نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال ولا تطع من أغفلنا قلبه قال أهل السنة معنى الاغفال الخلق الغفلة وخلقها فيهم وهو من غفلها اذا تركها بغير سمة أي لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن الذكر لو كانت بايجاد العبد والفعل الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا ينصرف الامر بذلك لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى أغفلناه وجدناه غافلا بالحدثان والتخلية بينه وبين الامتناء المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هويه بالواو دون الفاء ان لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة في القلب لفصل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر نتيجة الشيء ان يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا متحيرا وكان أمره فرطا أي مجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره وانت اذا تأملت وجدت حال الاغنياء المخيرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغداة والعشي ابتغاء وجه الله ولما لم ير منه فاقبل على الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء فارغ صوا عن الحق واقبلوا على الدنيا فوقوا في ظلمة الهوى وقوا في تيه الجهل والعمى وانما لم يجز طرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء من ترك الايمان احترازا من محال لسنة الفقراء كلا ايمان فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو فقال وقل الحق من ربكم اي الذي حصل الاغنياء لان ووجد من عنده الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى هذا الحق فلم يبق الا اختيار الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحمله الاشاعرة على امر التهديد وقالوا ان الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد فنقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار في صورة هذا الخبر لا ينتفع به الا من سبقت له العناية بالايمان والمؤمنين ولا يضر بكبر الكافرين ثم بين وعيد الظالمين الذين وصفوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيأنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاثبت تم للنار شيئا يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها ولا فرج ولا منفذ ولا طمع من نار يحيط بهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله يغاثوا بماء وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس فلذا بو عبيدة والاخفش وقيل في تعذيبه مرفوع انزدري ان يشد وقيل الصديد والقيح وضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله نسقى من عين آنية واما لدفع الحر والاجل التبريد كقوله حكاية عنهم افيضوا علينا من الماء ويروى انهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد يفسر هذا قوله سرابيلهم من قطران عن النبوي هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب لينه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب ذلك لان المقصود من الشراب ازالة العطاء وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا مكانا لاهلها ومنه المرفق لانه يتكئ عليه قال الجار الله هذه المشاكلة قوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار الا ان يوضع معنى ارتفق انتصب فرقه ورفع بريحه كعادة المتعنتين

وقال قائلون ان الشياطين زفقاء اهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجتمعا الاولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين امنوا الآية فان جعلت انا لا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا والمبتدأ خبرا اخر وكلاما مستأنفا للاجر المبهم فمعنى العموم فيمن احسن يقوم مقام الرابط المحذوف والتقدير من احسن عملا منهم ويفسره آيات عدن قد مر في سورتي التوبة والرعد واهل الجنة لباسا سان لباس التجمل ولباس الستر لما يسترلما عليهم للتعظيم وهو اسد جل وعلا والملك باذنه ومن في من اساور للابتداء وفي من ذهب للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن اساور اهل الجنة بعضها ذهب كما هذه الآية وبعضها فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ كقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس السندس وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبرك مثل اما لم يسم فاعله بحلون اشارة الى ان الحلي بفضل الله بها عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على انهم اتوجوه بعلمهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على الارائك جمع اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بجدهم وحشمهم واموالهم واصناف تمتعاتهم على الفقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين ينبهها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافر والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافرا اسمه قطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فنشأ احدهما فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني جعلت الفاصداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الوذان الخلد بالف فتصدق بها ثم اصابته خلة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فعرض له وطرده وبخره على التصدق بماله وقيل مما شاكل الاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة قبل رسول الله وكافر هو الاسود بن عبد الاشد اما قوله وحففناهما بنخل فقال صاحب الكشاف انه بنى بعد الى المفعول الثاني بالباء ومعناه جعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤيد الذاهبين في كرومهم ان يجعلوها موزرة بالاشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخل اذا امكن وجعلنا بينهما زرعا فهما جامعتان للاقوات والفواكه وفيرانهما ناتي كل وقت بمنفعة غير متوانية منه بكذ وكل منهما ممنوع قبل وفاء الثمار انما لم يؤت كلتا الجنتين لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد ههنا وجرتا من فريا بالتخفيف ظاهر لانه من فرى احد ومن قرا بالتشديد فللمبالغة لان النهر يمتد في وسطها فهو كالانهار وكان لثمر قال الكسائي الثمر اسم الواحد والثمر جمع وجمعه اثمار ثم ثمر كشغل وكتب بالحركة او بالسكون وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجرة وقال فطرب كان ابو عمرو بن العلاء يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اثمارا من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض ومرتبا بالتمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة الكلام من حاوره اذا راجعه والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كان اخذ بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويعديه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دون ذلك فقوله وهو يحاوره دخل جنته قال اجار الله معنى اقرار الجنة بعد التشهد انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملك في الدنيا هو جنته لا محالة لم يفصل الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد ان يكون قد دخل مع اخيه جنة واحدة منهما او جعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة منهما او جعل مجموع بؤبده توحيد الضمير على اكثر القراءات في قوله لاحدهما خيرا منها واما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وساء بها مقدورا لله كان واضعا للنعم في غير موضعها على ان لفظة الجنة بخصوصها مما يجب ان يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحي الموتى عكس الكافر القضيب ان زعم دوام جنته التي هي بصدد الزوال فائلا ما اظن ان تبيد اي ظلم هذه الجنة ابدا دون ذلك المطول املا وابتلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر المحسوس وادعى غلبة الظن بامتناع النشور مع قيام الدلائل العقلية والحسية على امكانه ويجوز ان الدلائل الشرعية على وجوبه قائلا وما اظن الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا وكابر عن صاحبه ان له ردا وانه سيرد اليه وجد خيرا من جنته في الدنيا كانه قاس الغائب على الشاهد اوادعى ان النعم الدنيوية لان يكون مستدرا جا خيرا اصلا واولا يكون مستحقا فاكراما وصقيلا نصب على التمييز اي مرجع ذلك وعاقبته لكونها فانية زهوقا فانية نهزة حسا او في اعتقاده كما قال بعض العلماء الرد يتضمن كراهة المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت اي عن جنتي هذه التي اظن ان لا تبيد هذه ابدا الى ربي ولما لم يسبق مثل هذا المعنى في حم قال هناك ولئن رجعت الى ربي فقوله اكفرت ذلك زعم الجهول ان اخاه انما حكم بكفره لانه انكر البعث واقول يجوز ان يكون كافرا بامر سابق بل بشركه لقوله بعدلك بالتي لم تبن لها التي شرك بربي احدا وقول اجهم معترضا بهذا لكنا هو الله ربي وليس في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان غارقا بربه كما ان يكون قد قال لذي يزعم صاحبه كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلق اصلك وهو اشارة الى مادته البعيدة وقوله من نطفة اشارة الى مادته القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حالا كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين ويجوز ان يكون رجلا ذكرا لعل الستر في تخصيص الله سبحانه وتعالى فيهذا المقام لهذا الوصف هو ان يكون دليلا على وجود الصانع اولا لان الامتدلال على هذا المطلوب بخلق الانسان اقرب لامتدلال الا ان وفيه ايضا اشارة الى امكان البعث لان الذي قدر على الاعادة وفيه انه خلقه فيما لا عين فيما لا منه خلقه

للعبودية والاقرار له بالفخر والانكار ثم استدرك بقوله أكفر كافر فقال لا بل أنت كافر بالله لكني هو من موحد واصل الكلام لكن انا احذفت الهمزة بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وادغمت في الثانية وضمير الغائب للسان والجملة بعده خبر للسان والمجموع خبر انا والراجع بالضمير بتقدير الكلام لكن انا اقول السان الله ربي قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف لكن قرأ به ابن عامر وورش بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا التخصيص وفعل فلت وادخلت ظرف وقع في البين توسعا وقوله ما شاء الله خبر مبتدأ محذوف وجملة شرطية محذوف جزاؤها بتقدير الكلام الامر ما شاء الله او اي شيء شاء الله كان ما مثل الهل التسنه بالابنة في انه لا بد في الوجود شيء الا بامر الله ومشيته واجاب الكعبي بان المراد ما شاء الله تمانولي فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب ان هذا انما يخرج الكلام عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا واجاب المقفال بانه اراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان وتوابعه وقوله لا قوة الا بالله اي ما قوينا على عمارته وتدبيره الا بمعونة الله وتقديره فهو تحضيض للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان العظيم حصلت بالظلم والعدوان فلم يحضه على عمارته وتدبيره الا بمعونة الله وتنبيه بانه تحضيض للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان العظيم حصلت بالظلم والعدوان فلم يحضه على عمارته وتدبيره الا بمعونة الله وتنبيه بانه لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله وافاده عن عروة بن الزبير انه كان بتيماء حائط لابيه الرطب فيه دخل من شاء وكان اذا دخله رد هدية حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الامر الى مشيئة الله اجابه من افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترني انا اقل منك مالا وافل معقولتان وما لا وولدا نصب على التمييز يقضي بان يؤتيني في الدنيا او في الاخرة جنة خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر كالغفران بمعنى الحساب اي مقدارا قضى في حساب الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذابا حسبانا وهو حسبانا ما كسبت يداك وقيل هو جمع حسبانة وهو السهم الغير يعني الصواعق فتصبح صعيدا زلقا ارضا بيضاء لا نبات عليها فتزلق الاقدام عليها او غورا ذاهبا في الارض لا تناله الدلاء وصف بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم اخبر سبحانه عن تحقق ما قدره المؤمن فقال واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح يقلب كفيه اي يندم على ما انفق فيها لان النادم يفعل ذلك غالبا كما قد يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم وقدم في البقرة في قصة عزير وقوله يا ليتني لم اشرك تذكير لهول عظم اجرامه وتنبيه على ما قاله من ان كفران غير عارف بالله بل كان عائدا وصدر في ومن ذهب الى ان جعل كافرا للانكار البعث فسره بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكانه اثبت لله شركاء في اعطاء الغنى او انه لما عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا له في هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على الشرك ورغبة في التوحيد المحض لكنه رغب في الايمان ورغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر نادما مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم يكن له فئة طائفة من دون الله لانه وحده قادر على نصرة العباد وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة كانت للمؤمن على الكافر علم ان الامر هكذا ابدا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية الحق لله او الولاية بالله وقرئ الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي والكل السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتوب الى الله ويلجئ اليه كل مضطر يعني قول الكافر الا يتني انما صدر عنه الجاء واضطرار وجزعا ومما دهاه من شؤم كفره ولو لا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الاخرة كقوله لمن الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخسر فظهر ضرب مثل اخر لحياة الدنيا وزينتها فقال واضرب لهم الاية وقد مثله في اوائل يونس انما مثل الحيوة الدنيا كماء ومعنى فاختلط به النبات بسببه وقيل معناه روي النبات وريه اختلاط الماء به وذلك لان الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما هشم ومحطم والذرو النظر والاذهاب يقال ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وكان الله على كل شيء مقتدرا كالمن تكون بنبات اولا وفي تمهيد وسطا واذهابه اخرا ولا ريب ان احوال الدنيا ايضا كذلك فظهرا ولا في غاية الحسن والنضارة ثم يتوالى ان يتكامل ثم ينتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل ان ينبهج به وجعل هذه القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية فقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات هي اعمال الخير التي يبقى ثمرها خيرا عند ربك ثوابا اي يعطي ثوابا خيرا مما يؤمله الكافر لان الجزاء المطلق افضل مسئول واكرم مامول وقيل هن الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وفي التسبيح تنزيه لله عن كل ما لا ينبغي وفي الحمد اقرار له بكونه مبدئا لافاضة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شيء في الامكان منتصفا بالوصفين الا هو وفي التكبير اذعان لغاية عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وحده قال قتادة الباقيات الصالحات هي واتل عليهم نفسك ما اوحي اليك من كتابك نهمك ربك في الازل لا مبدل لكلماته الى الابد يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح والخفي عذا الازل الى عشي الابد فانهم مجبولون على طاعة الله كما ان النفس جبلت على طاعة الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عينا همتك عنهم فانك ان لم تراقب احوالهم بصرف النفس الامارة ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا اهوى نار القهر والغضب لحاظ بهم سواد قلبها يعني من اراد في الغرة بماء كالمهل كالماهو لاهل اللطف تبا لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لاهل القهر سببا لصعوبة الامن وشدة التعلق حتى شوت الوجوه اي حرقت سوادا لتفاتهم الى عالم الارواح وصدت استعدادا تهم فبقوا في اسفل سافلين الطبيعة يحملون فيها من اساور الظلمة بالاساور واشارة الى ظهور اثار الملكات عليهم وقوله من ذهب دمز الى انها ملكات مستحسنة معتد لة راسخة وبلسن ثيابا فيه ان انوار العلم والحال تلوح عليهم وتشتمل بهم وقوله خضرا اشارة الى انها انوار غير قاهرة ومن سندس اشارة الى ما لطف من الرياضات واستبرق الى ما شق منها منكبين فيها على

لاولاد لانهم فرغوا لها وكلفوا وفضوا ما عليهم من المجاهدات وبقي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافرة والقلب المؤمن
جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من عناب الشهوات وحففنا هما بنخل جبل الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من الشغلات الوهمية
وفجرنا خلالهما نهرا من القوى العشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يجاوره يجاذب النفس القلب فقال انا اكثر منك مالا واى صلبا واعز نفرا
من اوصافها المذمومة وهو ظالم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على فوات الهوى لاحد ندخر منها لانه غر بالله وكرمه فلا يجرم بقي له ما غر به تراب الكواكب
هذا قلت ما شاء الله اى تصرف بجنة الدنيا كما شاء الله على ما انفق فيها من العمر وحسن الاستعداد كما انزلناه هو الروح العلوي الذي نزل الى الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فاصبح هشيما تذروه رياح الاخلاق الرديئة وما ثبت منه نداوة الاخلاق الروحانية تذروه رياح الاهوية المختلفة فيكون نظير الخلاف
روح ادركته العناية الازلية فبعث اليه هفتان من اهل الكمال فرباه بما العلم والعمل حتى يصير شجرة طيبة والبا قيات الصالحات اى ما فيهن مثل وبقي يا
والله اعلم ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك
بالصواب وروز كه برداريم كنيم كوهها را وبينى زمين را بيرون آمده وگرد كنيم ايشان را پس نگذاريم از ايشان يكرا
صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب
صف وه بحقيقى كه آمديد ما را چنانكه آفريديم شما را اول مرتبه بلكه گمان كرديد كه نگردانيم براى شما وعده كاه
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا
پس بينى گناهكاران را ترسندگان از آنچه در او ست ومى گويند اى واى بر ما چيست مر اين را نامه را نمى گذارد
كبيرة الا احصيها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملئكة اسجدوا
بزرگى مگر شمارنده كرد او را يافتند آنچه كردند حاضر وستم نكند پروردگار تو احدى وچون گفتيم مر فرشتكان را كه سجده آريد
لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دوني
مر آدم را پس سجده كردند مگر ابليس كه بود از پريان پس برون شد از فرمان پروردگار خود آيا پس گيريد او را وفرزندان او را
وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم
وايشان مر شما را دشمنند وبد است مر ستمكاران را بدلى حاضر نكردم ايشان را آفريدن آسمانها وزمين
وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا
وآفريدن نفسهاى ايشان وروز يكه گويد بخوانيد انبازان مرا آنكه گمان كرديد پس بخواندند ايشان را پس اجابت نكنند
لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا
مر ايشان را وگردانيديم ميان ايشان بازدارندى وديدند گناهكاران آتش را پس گمان كردند كه ايشان در افتندگانند بدان وجاى نيابند از آن گريزگاهى
ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع
وبگردانيديم در اين قرآن مر مردمان را از هر مثلى وباشد آدمى بيشتر چيزى بر پيكار وباز نداشت
الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تأتيهم سنة الاولين او يأتيهم
مردمان را كه بگروند چون آمد ايشان را راه راست ويامرزش خواهند از خداى خود مگر اين كه بيايد ايشان را راه پيشينان
العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل
يا بيايد ايشان را عذاب روبرو وفرستيم پيغمبران را نيكوكاران را بمژدگانى وبيم نمايندگان را وستيزه كنند كافران بباطل
ليدحضوا به الحق واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض
تا بلغزانند بدان راستى را وگرفتند نشانهاى مرا وآنچه بيم كرده شدند بدان هزو وكيست ستمكارتر از آنكه پند داده شود بآيتهاى خداى خود پس روى گرداند
عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا وان
از آن وفراموش كرد آنچه پيش فرستاده بود دستهاى او در كه ما كرديم بر دلهاى ايشان پوششى كه نفهمند آن را وبگرانى در گوشهاى ايشان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا
بخوانى ايشان را بسوى راه راست پس نيابند راه هرگز وخداى تو آمرزنده بخشايشگر است واگر گيرد ايشان را بآنچه كردند
لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما
بشتاب ايشان را عذاب بلكه مر ايشان راست وعده كاهى كه نيابند از غير او پناهى وآن دهها هلاك كرديم ايشان را چون
ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا القراءة بنصب الجيم على بنا الفعل للمفعول ورفع الجيم ابن كثير وابن عامر وابو
ستم كردند وكرديم مر هلاكت آن را وعده اى بنصب الجيم على بنا الفعل للفاعل ونصب الجيم ابن عامر وابو
عمرو والاخرون على بنا الفعل للفاعل ونصب الجيم ما اشهد نافع ويزيد الاخرون ما اشهدهم

تمت الكتب

وما كنت على الخطاب روى ابو زيد ان عن هزيدا الباقون على التكلم ويوم نقول بالنون حمزة الباقون على الغيبة لهلكهم بفتح الميم وكسر اللام حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى وحماد والمفضل الباقون بضم الميم وفتح اللام الوقوف باروة لان المقدير وقد حشرناهم قبل ان احدا للابتداء مع العطف صفاة للعدول والنفاي بؤام لقد جئتمونا اول مرة ذلان بل قد بدبدة بر مع ان الكلام محدد موعداه احصيها لا متبنا ان الواو بعد تمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضرا احداه الا ابليس امر ربه طعد واط بدلاه انفسهم عضداه موبقا مصرفا وثيل احدا هلاكه مهلاه وصندبين لاحتمال ما بعد الحال والاستيناف هزواه بداءة وقراءة ابداه الرحمة العذاب سوءلاه موعداه التفسير المبين خاسر الدنيا وشرف الاخرة اردفه باحوال يوم القيمة واهوال الرد وفيه رد على اعتيا المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد على فقراء المسلمين والمقدير اذكر يوم كذا عطفا على واضرب ويجوز ان ينتصب بالقول المضمر قيل ولقد جئتمونا وفاعل التشبير هو الله تعالا انه سمى على احد القراءتين ولم يسم في الاخرى فشيرها اما الى العدم لقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا ويبست الجبال بسا فكانت هباءا منبثا واما على موضع لا يعلم الا الله وترى الارض بارزة لانه لا يبقى على وجهها شئ يسيرها من العمارات وكل من الجبال والاشجار واما لانها بارزة صالحة لبطنها من الاموات لقوله والقت ما فيها وتخلت فتكون الاسناد مجازيا اى بارزا ما في جوفها وخرنا بهم الضمير للخلائق المعلوم حكما فلم نغادر منهم احدا من الاولين والاخرين بغادره واغدره اذا تركه والزلال غير لا يون ومنه الغدر ترك الوفاء والعهد بر بها غادره السيل لان الزلال لا يخلو المعجل ان يذهب بالماكلة ولا يخفى ان اللا يق بحال رب العزة ان لا يترك احدا من خلقه غير محشور والا كان فيها في علمه وحكمته وقدرته قال المتشبهة في قوله وعرضوا على ربك دليل على انه بجانبه تعالى مكان يمكن ان يعرض عليه اهل القيمة وكذا في قوله لقد جئتمونا واجيب بانه تعالى شبه وقوفهم في الموضع الذي يسئلهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه والمجئ الى حكمه كما يعرض الجند على السلطان وانتصب صفا على الحال اى مصطفين ظاهرين نرى جماعاتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احدا احدا والصف اما جمع كقوله يخرجكم طفلا اى اطفالا وقيل صفا اى قياما وبه فسر قوله فاذكروا اسم الله عليها صوافي قال الفقال يشبه ان يكون الصف مجيئا الى الظهور والبروز ومنه استصفت الصحراء وهذا اذهب من الاول وقد قرئ الانعام ان وصر التشبيه في قوله خلقناكم انهم يبعثون عراة لا شئ معهم والمراد بعثناكم كما انشأناكم وزعم ان لن نجعل الله لهم موعدا اى وفاء لانجاز ما وعد واعلى السنة الانبيا ان يكون صفة والما لان اعالم يشبه فعل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اى نصبه وهو صفة عمال والوضع اما صوفي وهو ان يوضع كتاب كل انسان في يده اما في اليمين او في الشمال واما مغلولة ومعناه الشر والاعتباد وفرقه الجرميين مشفقين خائفين مما في الكتاب لانا لمخاين خايفة خوفا لعقاب وخوفا لافتضاح ومعنى النداء في يا ويلتنا قد مر في المائدة في قوله يا ويلتى اعجزت وقوله صغيرة وكبيرة صفتان للهنة او المعصية او الفعلة وهي عبارة عن الاحاطة وضبط كل ما صدر عنهم لان الاحياء اما صغاير او اما كاير فاذا حصر الصنفين فقد حصر الكل وعن المغيرة سئل ضحاك الله من الصغاير قبل الكاير قلت وذلك ان الله الصغاير هي الخطرات من الخطرات على الكاير وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز في الكشاف ان يريد ما كان عندهم صغاير وكاير وتمام البحث في المسئلة اسلفناه في اوايل سورة النسا في تفسير قوله ان تجتنبوا كاير ما تنهون عنه فتذكروا وجدوا ما عملوا حاضرا في الصحف مثبتا فيها او وجدوا جزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات احوالهم ولا يظلم ربك احدا مندل الجباي به على بطلان مذهب المعتزلة في ان الاطفال يجوز ان تعذب بذنوب اباهم فان ذلك ظلم والجواب ان الظلم انما يتصور في حق من يصرف في غير ملكه فاما لو ثبت ان له تعالى المالكية ان يفعل ما يشا من غير اعتراض عليه لم يكن هذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية لعدالة دليل العقلية علمت من مشاهدة الابنا عن سوء اعمال الاباء كما يحاسب الناس في الجملة على ثلثة يوسف وابوبي سليمان بدعوا للملوك فيقول له ما شغلك عني فيقول جعلني عبد الادعى فلم يزعني فبدعوا يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدك فيؤمر به الى النار ثم يدعى بالمبتلى فاذا قال اشغلني بالبلاء دعا بايوب فيقول فما ابتليته بهذا با شاهد من دلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتي فيؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك الدنيا مع ما اتاه الله من الغنى والسعة فيقول كما ذا علمت فيما ابتليتك فيقول شغلني الملك عن ذلك فيدعى سليمان فيقول هذا عبدك سليمان ابتليته اكثر مما ابتليتك فلم يشغله ذلك عن عبادتك اذهب فالحق لك فيؤمر به الى النار ثم ان الله تعالى عاد الى الرد على ارباب الجزاء من قريش فذكر فضائح وامتنكارا بليس عليه فقال جار الله قوله كان من الجن كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثنا ابليس من الساجدين كان قائلا قال فما له لم يسجد فقيل كان من الجن فعصى والفاء للتسبيب لكونه من الجن في عنصره ولو كان ملكا لم يعص لثبوت عصمة الملئكة وقال آخرون استثنا فا الجن من الاستثنا عن العيون فيشمل الملئكة والنوع المسمى بالجن ثم من لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن اوجبها كان يجعل ضمير اى مسخ عن جملة الملئكة الى جملة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه في اول سورة البقرة ومعنى ففسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه لما امر فعصى كان بين فسقه هو ذلك الامر الشاق فلما حصل ذلك الفسق فلهذا حسن ان يقال فسق عن امر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف اى فسق عن قول امر ربه ثم عجب من حال من اطاع ابليس في الكفر والمعاصي مخالفة امر الله فقال افتتخذونه وذريته كانه قيل اعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من دوني وتستبدلونهم بي وفي قصة آدم وابليس عبرة وقرئ من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلذلك لم يصح الاحتجاج بها علينا هم وان لم نعتقد واكون محمد نبيا بل الظاهر كما اى يجب المبدل من الله ابليس لمن اباه بدل طاعته قال الجباي في الآية دلالة على ان الامر لا يريد الكفر ولا يخلق فيه العبد والا لم يصح هذا الذم والتوبيخ وهو ض

بالعلم والداعي كما مر مرارا فاهل التحقيق انا الداعي لكفار قريش الى قرآن بين محمد هو النحوة والعجب والرفع والتكبر وهذا شانا بليس
ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم او العمل التحرز على الاقران والترفع على ابناء الزمان فانه مقتدى بابليس وذريته وهذا مقام صعب
نسال الله الخلاص منه ثم نمسك على فساد عقيدة اهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله ما اشهدتهم فالاكثرون على ان الضمير للمشركين والمراد انهم لو كانوا
شركاء لي في خلق السموات والارض وفي خلق انفسهم يعني لو كان بعضهم شاهدين خلق بعض شاركين في فنه كقوله ولا تقتلوا انفسكم لا يمكن ان
يكونوا شركاء لي في العبادة لكن الملزوم المساوي منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله وما كنت متخذ المضلين اي تتخذهم عضدا لقوانا
فوضع المضلين موضع الضمير تنبيها عليهم بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين لتمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد انهم ما كانوا شركاء في
تدبير العالم بدليل انى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كسائر الخلق يقهرهم
ان من افرح عليك افراحا عظيمة فانك تقول لم لست سلطان البلد ولا تدبر المملكة حتى تقبل منك كل افراحاتك وقيل اراد بان هؤلاء
الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من احوال السعادة وضدها لانهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم
عند الله وبترفهم وفقرهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قرأ ما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول والمعنى وما صح لك الاعتضاد
بهم وما ينبغي لك ان تعتبرهم ثم عاد الى تهويلهم باحوال يوم القيمة واضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم وتحري الكلام باعمادهم والمراد
القيهم يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا اي دعوا من زعمتم انهم شركائي فاهلكوهم للعبادة قال المفسرون اراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الاية انهم
كيف دعوا قال الشركاء ولعل المراد بما في الاية الشدة هلاكا كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم
في الدنيا هلاكا يوم القيمة وفي الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالموردي جعلنا بينهم وديا من او ذي بجعلهم مشتركا هو وكان الهلاك والعذاب
الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز ان يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم ويا لموبقا البرزخ اي جعلنا بينهم امدا بعيدا وهيلة فيه الشر
الفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان قوله فظنوا قبل علموا وايقنوا والاقرب ان الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم انهم
مخالطوها واقفون فيها في ذلك الساعة من غير تاخير ولا مهلة لشدة ما يستعجل من غيظها نظيره اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا الى غيرها لان الملئكة يسوقونهم اليها اخر الامر ولما ذكر ان الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة اموالهم ونصرائهم
واجاب عن شبههم واموالهم الفاسدة وضرب الامثال الكافرة وحكى اهوال الاخرة قال ولقد صرفنا وقد مر تفسيره في السورة المتقدمة وجعلنا للبيان
الكفار جدالهم وكانوا ابدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الاية بقوله وكان الانسان اكثر شئ جدلا يعني ان الايات التي بنا لي منها الجدال فصلنا
واحد بعد واحد فان الانسان اكثر هاخصوصا بقوله اكثر شئ كقوله اولم يروا في الانعام وكثرة جدل الانسان لسعة مضطربها بين اوضح الملكة
الى حضيض البهيمية فليس لهم في جانبي المصاعد والتسافل مقام معلوم قال اهل البرهان قوله تعالى في سورة بني اسرائيل وما منع الناس ان يؤمنوا
انجاء هم الهدى وقال في هذه السورة بزيادة وليستغفروا ربهم لان المعنى هناك ما منعهم عن الايمان مجيء الاقوالهم ابعث الله لنا رسولا او هلا
ملكا وحملوا ان الجاءهم بورث النوائب ومعنا في هذا الموضع ما منعهم الابان والاستغفار والاتيان بسنة المرسلين وانتظار ذلك وعن الزجاج
الاطلب سنتهم وهو قولهم انكان هذا هو الحق وارد في هذه السورة وليستغفروا ربهم لان قوم نوح امروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا
وكذا قوم هود وقوم صالح واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوم شعيب توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فلما خوفهم منه الاولين اجرى الخاطبين مجراهم والحاصل انهم لا يفعلون على الايمان والاستغفار الاعند نزول
عذاب لا يمتصال او عند تواصل اصناف البلاء عيانا ومن قرأ بضمتين اراد انواعا جمع قتيل قال المعتزلة في الاية دلالة على انه لا مانع من الايمان
اصلا وقال الاشاعرة العلم بانه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر يمنعانه فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين انما ارسل الرسل مبشرين
بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين ان مع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوه ويبطلوا
الحق من ادحاض القدم وهو ان لا يثبت واتخذوا اياتي وما انذروا اي الذي انذروا من العقاب والنذر وهو موضع استهزاء قال ابن
الله حذاهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة وما انتبذ لك قال اهل العرفان قوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بالقرآن بدليل
قوله ان جعلنا وقد مر تفسيره في الانعام الى قوله فلن يهتدوا اذا ابدا منسلخ الحجة وقلما يجد في القرآن دليلا لاحد الفريقين الا ومعه دليل للفريق
الاخر هذا مبتلاء من الله ولعله اراد بذلك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال وربك الغفور ذو الرحمة قال المفسرون الضمير في قوله لو يؤاخذهم
لاهلكهم الذين افرطوا في عداوة رسول الله والموعد يوم بدر واقول لا يبعد ان يكون الضمير للناس في قوله ولقد ضربنا للناس والموعد القيمة والموئل
الملجا يقال اوأل اذا لجا اليه قال الامام فخر الدين الرازي انما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ازالة الاضرار والرحمة ايصال

النفع وقدره الله ثم يتعلق بالاول لان الا معصار لا نهاية لها ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لا نهاية له محال اقول هذا فرد من فنون لوسع النقل على ان قوله ذو الرحمة ايضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك غير المتناهي ايضا نظر لان معدوداته متناهية لا قرن في ذلك بين المبقى والمفروك ثم اشار الى قرى الاولين اعتبارا لغيرهم فقال وتلك القرى باسم الاشارة مبتدأ وفيه تعظيم لشانهم وتبعيد لمكانهم والقرى صفته وما بعده خبره ولا يخفى ان المضاف اي تلك اصحاب القرى اهلكناهم ويجوز ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير وجعلنا لزمان اهلاكهم اولا اهلاكهم او وقت اهلاكهم موعدا وعدا لا وقت وعدا لا يتاخرون عنه كما تاخر عنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا اهلاكهم ومع ذلك لم ندع ان نضرب لهم وقتا يمكنهم التوبة قبل اتيانه او يوم نسير الجبال وهي الابدان الجامدة عن السلوك ونرى الارض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرناهم جمع القوى البشرية وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر تنزيلي بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس والقوى والحواس ولقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة على هيئة الفطرة وقيل لا نبيا في صف الاولين والمؤمنون في صف والكافرون والمنافقون في الصف الاخير لا بعادهم صيغة ما كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وانكان من المباحات ولا كبيرة هي التصرف في الدنيا على جهة الحب للدنيا راس كل خطيئة واشهدتهم لا اي لا اشهدا لا اولياء كما قلت سترهم ايانا في الافاق وفي انفسهم وداعي المحمومون النار واولي الدنيا اصحاب النار ومن الشهوات الاثام فوقعوا فيها ولم يجدوا ما يصرفهم عنها من الديانة والايمان الحقيقي فاذا رأوا النار في الاخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما يعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا فتارة مجادل في التوحيد واخرى في النبوة ومرة في الاصول ومرة في الفروع ولهذا كثرت المذاهب والاديان والملل والنحل وسال الصواب من ملهم وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم اسباب الهداية ويستغفروا ربهم انكانوا امنوا بنبيهم الا ان تاتيهم سنة الاولين من الانبيا والاولياء والمؤمنين وهي جبان العناية لاهل الهداية كقوله في حضرة النبي والله لولا الله ما اهتدينا او ياتيهم العذاب قبلا كقوله انا بنى المستضعفين واذ قال موسى لفتيه لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي ان افاق قال الناس حتى يقولوا لا اله الا الله وحين كفت موسى با الكه برسيد بدريا حقبا فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال روزگار دراز پس چون رسيدند فراموش كردند ماهي را وراه خود دريا پس چون گذشتند كفت لفتيه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني مر جوانرا اهسته بدوم ما رسيده ما را از سفر ما اين بسيار چون جاى گرفتيم بر سنگ پس كفت نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال فراموش كردم ماهي را واو فراموش كردانيد مرا ياد كردن او وگرفت راه او در دريا ذلك ما كنا نبغ فارتدا على اثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا اتيناه رحمة من عندنا ايشان را كه ميجستيم پس بازگشتند بر نشان خود پس يافتند بنده وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك از نزد ما وآموختيم او را از نزد خود دانشي كفت او را موسى آيا پيروي كنم ترا بر آنكه بياموزي مرا از آنچه آموختي راه راست لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا هرگز نتواني با من شكيبا را وچگونه صبر كني بر آنچه نگرفته باشد بآن دانش كفت زود باشد كه مرا يابي صابر وانه اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا و نافرماني نكنم ترا كاري پس كفت اگر پيروي كني مرا پس مپرس مرا از چيزي تا آنكه سخن كويم مر تو را پس برفتند حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال تا چون بر نشستند در كشتي بشكافت او را كفت بشكافتي آنرا تا غرق كني اهل آنرا بتحقيق كه آوردي چيزي منكر را قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا كفت آيا نكفتم كه تو نتواني با من شكيبا را كفت مگير مرا بآنچه فراموش كردم ودشوار مكن بر من در كار من پس برفتند حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل تا چون ديدند كودكي را پس بكشت او را كفت اوراكشتي تن پاكيزه را بغير تن بتحقيق كه آوردي چيزي منكر را قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني كفت آيا نكفتم مر تو را كه تو نتواني با من صبر كردن كفت اگر پرسم ترا از چيزي بعد ازاين پس مباش همراه من بتحقيق كه رسيدي از نزد من

عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا

بهانه پس برفتند تا چون آمدند بیکی ازشهرها وجوع بخوردن گرسنه شدند از اهل آن شهر پس بازرفتند که مهمان کنند ایشان را پس نیافتند دران دیواری

يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك

میخواست انکه بیفتد پس بپای داشت او را گفت اگر خواهی بگیر بر او گفت این جدائی میان من و میان تو

سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر

زود خبر دهم ترا به بیان انچه نتوانستی بر او شکیبا اما کشتی پس بود از بیچارگان که میکردند در دریا

فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين

پس خواستم که معیوب کنم ازا و بعد از بیرون شدن از پیش هر که میگرفت هر کشتی را اما کودک ولی کودک پس بودند پدر و مادر او گرویدگان

فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة واقرب رحما

پس ترسیدیم که بپوشاند ایشان را بسرکشی و کافری پس خواستیم که بدل گیرند ایشان را پروردگار ایشان بهتر ازان پاکی و نزدیکتر بخشودن

واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد

اما دیوار پس بود مر دو کودک را دو یتیم در شهر و بود زیر او گنجی ایشان و بود پدر ایشان صالح پس خواست

ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل

پروردگار تو که برسند بقوت ایشان و بیرون کنند گنج را بخشش از پروردگار تو و نکردم انرا از فرمان خود این است تفسیر

ما لم تسطع عليه صبرا القراءة اسنا بفتح الهاء حفص والمفضل وقرأ على بالامالة مع كسرها يبقى بالياء في الحالين

انچه نتوانستی برا و شکیبا ابتداء الخط المصحف رشد بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن كوان

الباقون رشد بضم الراء وسكون الشين مضى بفتح الياء حفص مجد في ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا تسالني بنون التاكيد الثقيلة وابتداء

الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر مجدوفا الياء ابن مجاهد عن ابن كوان والاحسن ابتداؤها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون لوفا تريد حذف

الياء ليعرف اهلها بيا العتبة وفتحها مع فتح الواء ورفع الاهل حمزة وعلي وخلف الباقون ببناء الخطاب مضمومة وكسر الراء ورفع الاهل اكيد

على فاعله ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون زكية على فعيلة نكر ابضمتين حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسماعيل وابن كوان وسهل ويعقوب وابو

بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الاخرون من المصاحبة بين لدني خففا ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل بضمتين من الاضافة المفضل

لتحدثن من التحدث ياغا ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بسكون الحاء وقرا ابن كثير بالاظهار لا تحذن من الاخذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمي مظهرا

يبدلهما من التبديل وكذلك في سورة التحريم ونون وانقم ابو جعفر ونافع وابو عمرو الاخرون مع الابدال وحما بضمتين ابن عامر وزيد وعباس وسهل ويعقوب

الباقون بسكون الحاء الوقوف خبرا سرا عذرا ناء لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا الموت لتمام الاستفهام النجم مع اتحاد الكلام وكون الواو

حالا ان ذكره ان ظاهره الاستيناف والحال في الجزء قيل عليه تم كلام موسى عجبا اي عجب لذي عجبا والوصل اجود اي يهبلا عجبا

او اتخاذا عجبا ينبغي قد قيل لتمام قول احدهما وابتداء فعلهما والوجه الوصل لعطف اللفظ وسرعة الرجوع على القرب وقصصا لانصال النظم و

اتحاد الحال علماء رشدا صبرا خبرا مراه ذكرا فانطلقا الى حتى اذا للابتداء خرقا اهلها خوفا لانقطاع النظم واتحاد القائل مراه صبرا علما فانطلقا

لما مر فقتله لان قول الخضر لم يغرض للفصل بين الاختبار والاختبار نكرا نصف السبع ونصف القرآن والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا فلا

تضاجعني لاختلاف الجملتين عذرا فانطلقا فركبا اجراه ويبلغ صبرا عصبا وكفرا للعطف مع الابتدا حما صالحا لما قبلنا من بلغ عذرا مع

صبرا لانقطاع القصة التفسير هذه قصة لوردها الله ثم ليعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الافادة اما تفسيرها في قصة اصحاب الكهف

فانوا ليهود ان اخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله ثم قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبي لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار فانفعها

في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فانوا ان موسى مع كثرة علمه وعلو منصبه استحام موجبا الشرف التام

في حضرة هذا الخضر فتواضع له لاجل العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور في الاية هو موسى بن عمران صاحب

التوراة والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال كذب عدو الله ابن عباس ان موسى هذا ليس بصاحب موسى بني اسرائيل وانما هو صاحب موسى بني منشا بن يعقوب

وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واجمع الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث اطلق في القرآن اريد به موسى بن عمران

فلو كان المراد ههنا شخصا اخر لوجب نصبه بحيث يتميز عن المشهور حجة الاولين والبرذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله تعالى

بالمعجزات القاهرة التي لم تتفق لاحد مثلها بيعد ان يؤمر بالتعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل في اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل

فيحتاج الى تعلمها الى من يخص بعلمها اما فتى موسى فالاكثرون على انه يوشع بن نون وروي بهذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن

كعب عن النبي ﷺ وعن علي وابن يوشع وكان مصاحبا لموسى في السفر وعن الحسن انه اراد عبده ويؤيده ما روي انه قال لبعض احد فتاي فتاتي ولا

يقل عبدي امني قال اهل السير موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعم فقام فيهم خطيبا فذكرهم نعم الله فقال انه اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى الله اليه بل اعلم منك عبدي بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى ع وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وروي ان موسى سال ربه اي عباده احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علم عسى ان يصيب كلمة تدل على الهدى وترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني وقد موسى ع فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاوزا قال لفتاه اغد الينا غداءنا فقد لقينا من سفرنا هذا نصبا فتاه بوقوعه في البحر فاذا رجل مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال وانى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فغمر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي اصلا ولا نرجع الى التفسير قال الزجاج وينبغي جاز الله لا ابرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة الحال الستر عليه ولان قوله حتى ابلغ غاية مضروبة فلا بد لها من ذي غاية فالمعنى لا ازال اسير حتى ابلغ على ان حتى هو الجر حذف المضاف وهو المسير وافهم المضاف اليه وهو الملكم مقامه فانقلب الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وجوزا ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح ما انا عليه اي لا ازال المسير والطلب حتى ابلغ مجمع البحرين يعني ملتقى بحر فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقيل اراد الخضر وقيل ابن بقيته ومن غرائب التفسير ان البحر موسى الخضر لانهما بحر العلم وهذا مع غرابته مستشنع جدا لان احد البحرين اذا كان موسى فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين بل فحاصل المعنى الى قولنا حتى ابلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم احدهما انا او امضي حقبا اسير زمانا طويلا قال ابن عباس الحقب بالضم ثمانون سنة وبنى اكثر من ذلك وقيل انه تعلم موسى حال هذا العالم وما اعلمه موضعه بعينه فقال لموسى اذا امضى حتى يجتمع البحران فيصير البحر احدا او امضي دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى ع بلذة وطن نفسه على تحمل التعب الشديد الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم يجب ان يسافر في تحمل المشاق في الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال ابن عباس المضمر بين الضمير للبحرين اي بحقق ما قال موسى وبلغ المكان الذي وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقي وسط ما امتد من البحرين طولا والاضافة بمعنى في اي مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى اولى منه بكلام موسى والبين بمعنى الافتراق اي البحران المفترقان بمجمعهما هناك ويحمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اي وصلا الى الموضع الذي وعد اجتماع شملهما هناك او البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيفيد معه بهذا التاكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم اجد لها في التفاسير فان كن صوابا فمن الله والا فمني ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تقرر جعل انقلاب الحوت حيا علامة على سكن الخضر وقيل ان الفوكان بغسل السمكة لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان بوشع توضا في ذلك المكان فانضح الماء على الحوت المالح فعاش ودب الى الماء وقيل انفجر هناك عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر وذهب الحوت الذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت امارة لهما على الطلبة التي نشاهدها من اهلها هو ان بوشع كان قد شاهد العجائب الباهرة فلم يبق لخوف السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب وقع عنده وقيل ان موسى لما استعظم على نفسه ان زال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري تنبيها لموسى على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظ على قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله سربا وموضع في الارض وذلك ان الله تعالى امسك اجزاء الماء عن الجري وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى وللخضر وقيل السرب هو الذهاب في الغيب يقال سرب يسرب الا انه اتبع قوله واتخذ سبيله مفاسرب فلما جاوزا اي موسى فتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا تعبا وجوعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب الا جاع قبل ذلك قال الفوق منجيا اراني وقوله محذوف لدلالة قوله فاني نسيت الحوت عليه كانه قال اراني ما دهاني ووقع لي اذ اوينا الى الصخرة قيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت الحوت عليه ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان وان اذكره بدل الاشتمال من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره قال الكعبي لو كان النسيان بخلق الله واراده لكان انساد ذلك الى الله تعالى اولى من انساده الى الشيطان اذ الجبر في وجه سعي ولا اثر وقال القاضي المراد بانسانيه الشيطان ان يشغل قلب الانسان بوساوسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك لا يصح ان يكون الا من فعل الله ثم قال اهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيلا في البحر مما كان ينبغي ان لا يذكر لكونه علامة لانه اقامة الظفر بالمطلوب عقيب النسيان ذكرا ولا فاتخذ بالفاء ولما جعل بينهما ثانيا بجملة معترضة هي قوله وما انسانيه زال معنى التعقيب وبقي العطف المجرد فقال واتخذ سبيله

بالواو وانقضاب عجبا كامر في سربا قال تم كان للحوت سربا ولموسى فتاه عجبا قال موسى لذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر كذا ينبغي اي انه الذي كنا نطلبه لانه اثارة الظفر بالمطلوب فارتدا على اثارهما قصصا حالا على طريقتهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان اثارهما اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي حالا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد كان نبيا لانه تكلم وصفه بقوله اتيناه رحمة من عندنا او الرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله ارهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع ان كل رحمة نبوة قالوا وصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به هو الوحي والاخبار بالغيب وايضا قال في اخر القصة وما فعلته عن امري اي عرفته وفعلته بامر الله وذلك يستلزم الوحي وروي ان موسى لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه اذا ضعفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة فوجب القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جواهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح انوار يتعذر بسببها لمن لاحظه اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون ابوا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي بذلك لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف قال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى من بني اسرائيل فان صح الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وينقد بهر كونه معاصرا له فانه اظهر المرتفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع له حين قال ولا اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل والا لم يكن اعلما لا من النبي وان لم يكن الرواية صحيحة لان لا يكون الخضر من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون بعض النبي فوق النبي في علوم لا يوقف عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله هل ابعك اتواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه ان المتعلم يجب عليه التحدث وتسليم النفس في الاتيان بمثل افعال الاستاذ وافعاله على جهة التبعية لا الاستقلال قال المتابعة هي الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوها بل لقيامها الدليل على قولها ولكنا متابعون في الصلوات الخمس للنبي لانا نأتي بها لاجل انه اتى بها ومنها ان استاذ في اتيان هذه التبعية ومنها انه قال اتبعك مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه انه ارتكب اصعب العلمين وطلب عسيرهما ان يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يرفع اليه جزءا من اجزاء ما له لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علم الله تعالى والاسعي في علمه وفيه استشعار بان انعامه عليه في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه وفيه ومن هنا قيل انا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع هذه المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب ضنا بالجاه والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على ان تعلمني فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كان اعلم كان احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بانها من الله بجهة والاستفادة اكثر فكان حرصه على ازدادتها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني و لعلمت اني علما ذا رشد اشار بذلك الى ان الرشد هو الامر الذي لو علمه حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال بظواهر الامور شرعا فلما انها لك ان تصبر عليها وخبرا بمعنى ما لم تحط به خبرا وهو مصدر لكونه في معنى الاحاطة انما لك الاستاعة بالاتيان على ان الانتظاعة لا يحصل قبل الفعل والا لكانت الانتظاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بمعنى الانتظاعة كن باوكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بانه اراد بمعنى الانتظاعة انه يثقل عليه الصبر لانه لا يستطيعه بقي في العرفان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي امرك ولم يجز ان يقول ستجدني غير عاص لك امرا ولا يجوز ان يكون قوله ولا اعصي جملة مستأنفة معطوفة على مثلها اي ستجدني ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق التبرك والصبر امور يرد ليل على انه تعالى لا بد له من العبد الا ما اوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب واجيبوا بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فاي ادب في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا اعصي لك امرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر هذه الاية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليط وتجهيل في قوله ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي امرك تواضع فدل ذلك على ان المعلم ان راى التغليط على المتعلم فيما تعبده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسألني شرط على موسى في اتباعه ان لا يسأل عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدي بتعليمه اياه واخباره عن وجه الحكمة فيه وانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة وقال اري وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوه بلا اجرة فلما حصلوا في اللجة اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اثبت شيئا عظيما بقي الامر اذا عظم وبقي الشيء العجب الذي لا يعرف له سبب امر اضخم الطاهون في عضه الانبياء بان موسى اعترض على الخضر بعد تأكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب واجيب بانه لم يقل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احب ان يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة او موصوفة او مصدرية اي بالذي نسيت وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت انه

قد ينبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي ينجى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ابو مسلم ان يكون المنسيّ بمعنى الترك اي بما تركت من وصيتك اول مرة ولا تؤاخذني لاني نسيت وقرأ ابو عمرو امرا بمعنى امر فلان بعينه اذا عصاه وترك المنافشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام بتنا وقال الشاب البالغ كانتا وقال الصغير ومنه قولهم راى الشيخ خرِف من شهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القرآن انهما كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان او كان منفردا وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا انه يجوز ان يكون بالغا لان البلوغ لا الصبوة يقتل قضاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة طاهرة عنده قتل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقتل النكر اشد لان ذلك كان خوفا يمكنه تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه وقرأ ابو عمرو الامر العجب والعجب يتعلق في الخير والشر والنكر ما ينكره العقول فهو شر وظاهر الآية يدل على ان موسى استبعد ان يقتل نفسا الا بالقصاص وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسبب آخر لاسباب ولعله اعتبر السبب الاغلب الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل قتله بغصة وقيل ضربه برأسه الحائط وعن سعيد جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه زاد على ان انكره ما عاهده عليه فقال الم اقل لك وانما زاد ههنا لك لان الانكار اكثر وموجب العتاب اقوى وقيل اكد الفقرة الثانية بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك اقول وابالي اعني وقيل بين في الثاني المقول له لما لم يتبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسئلة فلا تصاحبني فلا صاحبتك مع عذر على التعلم الظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك سبيل الانصاف عن رسول الله رحم الله اخي موسى استحيى فقال لو انا اصبرنا لرأينا عجبا وقيل انا اصل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض الله من السما استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقول استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتاكيد كقوله ليت الغراب غداة ينعب بينا كان الغراب مقطع الاوداج وانما لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والامتطالة فقالوا ان يضيفوهما يقال اضاه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدار على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يجيل الى المضيف عن البيع كانوا اهل قرية لئاما فقيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف فعلوا عليه وانما الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم حتى نقض عهده صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بانا لو جعلنا اضاعتهم بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف على الهلاك لو منعهم الاستطعام وذهبت اجابته لقائل ان يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لقدر على اصلاح الجدار وليجيب ان يقول اقترافهم الجدار معجزة فقدر وانه مسح يده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل بعضده وبناه ودروي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار وشر الرجل التي لا يضاف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الآية استحيوا وجاؤا الى رسول الله فقالوا يا رسول الله نشتري بهذا الذهب ان نجعل الباء اي فانوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله عن ذلك ولم يرد بان ينقض معناه ليرجع سقوطه من انقض الطائر اذا هوى في انطباره بمعنى فضة فانقض ويجعل ان يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون يكون اصلية واحدى الصادين مكررة زائدة عكس الاول وامتنع من الارادة للمداناة والمشارفة لتشبثها بالجدار بالاحياط به ولما مكث عن موسى الغضب فلما انبأنا بغبن ولما اقام الخضر الجدار وداوى وسوى من الحرمان وسبيس الحاجة قال لصاحبه لو شئت لاتخذت عليه اجرا لطلب على عمل جعلا حتى يستدفع بالسد وزوده وانخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر اشار الى الفراق المنصوص في قوله فلا تصاحبني وشبر الا السؤال والاعتراض هذا فراق بيني الاضافة بمعنى في او فراق وسبب فراق بيني وبينك وحكى الفقال ان البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تعبير الحكم التي تضمنتها افعاله وتلك الحكم تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت مساكين قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الآية على ان الفقير اسوء حالا من المسكين وكان وراءهم ملك وهو مسمى بالبندى والوراء ههنا بمعنى الامام وقد تقرر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اذا خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما كان همهم خبر باخذ كل سفينة اي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من التخريب اهون من فوات السفينة بالكلية والتخريب وان كان محرما نصر في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا زايدا لم يكن ببعيد ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في ذلك الشرع او لعله كان من خصوصيات النبي قال جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتاخر عن السبب لكنه قدم للعناية اي تنجب من هذا وهو ما اراه في انا مامور به وانما خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها لمساكين فوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كوسط الظن بين المبتدا والخبر في قولك زيد ظني مقيم وان يتعلق بالظرفين واما الغلام فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يهدم على الاقفال المنكرة وكان ابواه مضطرين الى التصدق به والذب عنه وكانا منهمكا في الفسق لذلك واحتمل ان يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا اي يرهقهما غشيانه ومثل انه كان صبيا الا انه تعلم من حاله انه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فاعلم الخضر بها الرواية

بقتله لئلا يرثه الابوان بسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحي فهل اراد فحفظنا ان يقتلا الولدين طغيانا عليهما وكفرا يعقوب
او حفظنا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر ويجوز ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى كراهة
كراهة من خاف سوء عاقبة امر فتجنبه والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب كأنه بازاء قول موسى أقتلت نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف يعني
الاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم ويروى انها ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسلم الغلام المقتول الحيسوب وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعد
قوله انها اهل قرية قيد دلالة على ان القرية لا تسمى مدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله وكان تحتهما كنز لهما
المفهوم منه عند اطلاقه هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا وقيل المال لا يبقى بأهل الصلاح وعورض بقول فتادة اهل الكنز
لمن قبلنا وحرث علينا وحرث الغنيمة عليهم واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال لوحان ذهب كنوزا فانه عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن و
عجب لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجب لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجب لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
اليها الا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية بأحوال الابناء عن جعفر محمد كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وذكر من صلاح ابيهما ان الناس يضعون الودايع عنده ويردها اليهم سنا لمدة قالت العلماء الاشبه ان
البيتين كانا جاهليين بخلاف الكنز وبهما كان غالبا بل الا انه غائب وقد اشترط الجدار على المسقوط رحمه من قبل ان مقصد منصوب اراده لا نفي في معنى
رحمها او مفعول له وما فعلته عن امري اي اجتهادي ورأيي وانما فعلته بأمر الله سؤال لم قال في الاول فاردت ان اعيبها وفي الثاني فاردنا وفي الثالث
فاراد ربك الجواب ان الاول اضافه في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث لما لم يحضر مسنده الى الله سبحانه وفي الثاني فاسند من حيث الفضل
والانعام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن ان يقال ان الفضل كان منه ولكن ان يهاق الزوج كان من الله ويحتمل ان يقال الوجه في الاول على
الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلماء المؤيدين بالعلوم الدينية والاسناد الى الله بالاخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ذلك الذي ذكرت من اسرار تلك الوقايع تأويلها لم تستطع عليه صبرا اي برجع المقصود من تلك الافاعيل الى ما فرأيتها واصل
تستطع تستطيع كما في قوله انبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا الا ان التاء حذفت لاجل التخفيف وهذا شاذ من حيث القياس ولكنه ليس بشاذ في
الاستعمال عن رسول الله رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر العجب ولكنه قال وما ذا فال لو سوغ لفيته فان المسافر لا بد له في الطريق من الرفيق
وفيه ان من شرطها ان يكون احدهما اميرا والاخر مأموورا وان يعلم الرفيق عزمه ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان لا يسأم من متاعب السفر
حتى يتم مقصوده وان لا يكون تأديب طلب الشيخ بقتدي به فان طلب الشيخ في الحقيقة هو طلب الحق وجمع الجمعين هو مجمع وكلا يتم الشيخ وولاية المريد وعنده
عين الحيوة الحقيقية فاذا وقف فطرة منها على حوض قلب المريد حمى واتخذ سبيله في بحر الولاية سريعا فلما جاوزا عنه استشارة الى ان المريد في اثناء
السلوك لو تطرق اليه الملال اصاب قلبه الكلال وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة الشيخ فهناك فان
ظن فاسد ومتاع كاسد الا اذا دركته العناية الازلية وورد اليه صدفا الارادة فيقول الرفيق التوفيق اتانا غداءنا وهو هذا الشيخ وبركة صحبته
لقد لقينا من سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا وقيل قال ارأيت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت الى قوله ما كنا
نبغي من حوت القلب الميت المالح بملح حب الدنيا وزيفها ان نحن سيبهله في بحر الاغترار بشيخ كامل فوجد عبدا من عباد الله اخذ من غير واسطة الشيخ وفي قوله و
علمناه من لدنا علما اشارة الى انه لم تطلعه على بواطن الاشياء وحقايقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس و
تجريد القلب عن العلايق الجسمانية وقد ذهب موسى الى تعلم العلم وكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد
موسى كان تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر بيان
علم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شيء واذا تأمل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسألني الخ
وجد اصول الشرايط التي شرطها الصوفية للمريد وللشيخ موضعة فيها وفي تفصيلها طول وقد اشرنا في التفسير الى طرف منها واراد بالكلمة
فعليه بمطالعة كتاب اداب المريدين للشيخ المحقق اي النجيب السهروردي نعمه الله بغفرانه حي ادار كاني السفينة الشريعة حرفها لهدم التأمين
في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وبينها وبين علام الغيوب وفي مثل هذا قد يفعل كثير المجتهدين طرا للعوام وعند رأس البناء هوى والعجب
آخرقها لتعرفها اهلها في دور الضلال اذا اقتدوا بك حتى اذا لقيتا غلاما هو النفس الامارة فتقتله بكبير الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا ابنا
اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما اهلها بطلب فاعيلها التي تخص بها فابوا ان يضيفوهما بالغطاء عن صفاتها
كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم الجبروت بربان ينقض بقطع العلاقة فاقامه بتقوية
البدن والترفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لم تحدث عليها جورا بالجزاء اي لو شئت لضربت على شدة الرياضة الى ان تضعف
الانوار وتسد الكشوف اما النفس فكانت مسكينة كانت من العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في بر عالم الربوبية سير ولا سلوك حتى تصلوا
الى ملوك بحر الظاهر فاردنا ان اعيبها في الظاهر ليسلطهم بالاخلاص في البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان اخذ كل سفينة صالحة غصبا الا ان كل

عبادة تخلو عن الانكار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان ابواه وسما القلب الروح مؤمنين فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة هو النفس المطمئنة والملهمة وكان مخترعا لهما موصوفا بالكمالات النظرية والعلمية وكان ابوه ما وهو العقل المفارق

صالحا كاملا بالفعل فهذا اردت بربك ان يبلغا اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا كنزهما علما وعملا

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَاَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ اِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْاَرْضِ وَاٰتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ

ومپرسند ترا از صاحب گوهر بگو زود برخوانم بر شما از آن یاد کردنی بدرستیکه ما جاداديم مر او را در زمین و دادیم او را از هر

شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَاَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتّٰٓى اِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا

چیزی علمی پس پرداخت مر علمی را تا چون رسید بفرو رفتن آفتاب یافت آنرا که فرو رفت در چشمه گرم و یافت نزدیک

قَوْمًا قُلْنَا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِمَّآ اَنْ تُعَذِّبَ وَاِمَّآ اَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ اَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ

آن قوم را گفتیم ای ذوالقرنین یا آنکه عذاب کنی ایشان را یا آنکه بگیری در میان ایشان نیکی را گفت اما آنکه ستم کرد پس زود

ثُمَّ يُرَدُّ اِلٰى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ﴿٨٧﴾ وَاَمَّا مَنْ اٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَآءَ الْحُسْنٰى وَسَنَقُولُ لَهُ

پس باز گردد بسوی خدای او پس عذاب کند او را عذابی ناشناخته و اما آنکه گروید و کرد کار شایسته پس مر او را است پاداش نیک و زود گوئیم مر او را

مِنْ اَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ اَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتّٰٓى اِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلٰى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ

از کار ما آسان پس پرداخت سببی را تا چون رسید بجای برآمدن آفتاب یافت آنرا برمی آید بر گروهی که نگردانیدیم ایشان را از

دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذٰلِكَ وَقَدْ اَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ اَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتّٰٓى اِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ

غیر آن پوشیده همچنین و هر آینه کرد فهم ما بچه نزد او است از اسباب پس پرداخت سببی را تا چون رسید میان دو کوه یافت

مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يٰذَا الْقَرْنَيْنِ اِنَّ يَاْجُوجَ وَمَاْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى

از غیر آن گروهی که نزدیک نیست که بدانند گفتار را گفتند ای ذوالقرنین بدرستیکه یاجوج و ماجوج تباه کنندگانند در

الْاَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلٰٓى اَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَاَعِينُونِى

زمین پس آیا گردانیم برای تو خراجی بر آنکه بگردانی میان ما و میان ایشان سدی گفت آنچه بگردانید مرا در آن پروردگار من بهتر پس یاری دهید مرا

بِقُوَّةٍ اَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ اٰتُونِى زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتّٰٓى اِذَا سَاوٰى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتّٰٓى

بقوتی بگردانم میان شما و میان ایشان بازداری را آرید مرا پاره های آهن تا چون برابر کرد میان دو کوه

اِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ اٰتُونِىٓ اُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا اَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ

گفت بدمید تا چون بگردانید آنرا آتش گفت بیارید تا بریزم بر او مس گداخته پس نتوانستند او را برآمدن بر آن و نتوانستند مر او را سوراخ کردن گفت

هٰذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّى فَاِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ

این بخشایشی است از پروردگار من پس چون آید وعدهٔ پروردگار من راست گرداند او را هموار و باشد وعدهٔ پروردگار من راست و واگذاشتیم بعضی از روز

يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ

که ایشان در بعضی دمیدند در صور پس گرد کردیم ایشان را و عرضه کنیم دوزخ را در آن روز بر کافران عرضه کردنی

كَانَتْ اَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَنْ ذِكْرِى وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ اَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا اَنْ يَتَّخِذُوا

که بودند چشمهای ایشان در پوششی از یاد کردن و بودند که نمی توانستند شنیدن آیا پس پنداشتند آنانکه کافر شدند اینکه بگیرند

عِبَادِى مِنْ دُونِىٓ اَوْلِيَآءَ اِنَّآ اَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْاَخْسَرِينَ اَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ اَلَّذِينَ

بندگان مرا از غیر من دوستان آیا ما آماده کرده ایم دوزخ را برای کافران فرودآمدنی آیا پس خبر دهیم شما را بزیانکارترین

ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ اَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ اُولٰٓئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ

گمشد شناخت ایشان در زندگانی دنیا و ایشان پنداشتند که ایشان نیکی کنندگانند در کار انکرده ایشان کافرشدند بآیات پروردگار شان

وَلِقَآئِهِ فَحَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوٓا اٰيَاتِى

و بدیدن او پس باطل شد کردار ایشان پس روا نباشد ایشان را در روز قیامت ترازوئی پس دوزخ است پاداش ایشان بآنچه کافر شدند و فرا گرفتند آیتهای

وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا

و پیغمبران مرا باستهزا بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته بهشتهای فردوس فرودآمدنی جاویدند در آن

لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ اَنْ تَنْفَدَ كَلِمٰتُ

نجویند از آن گردیدنی بگو اگر باشد دریا سیاهی مر سخن پروردگار من بر سد دریا باهم رسد سخن

رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ

بر ورد گارم و اگر آوردیم بمانند آن افزونی ۝ بگو آدمی مثل شما ام مرکه وحی میکرده بمن که خدای شما خدای یکی است پس هر که

يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝ القراءة فاتبع ثم ابتع مقطوعة

امیدوار باشد بدیدار خدای خود پس بکند کردار شایسته و نباید که انباز گیرد بپرستیدن پروردگار خود کسرا ۝ ابن عامر وعاصم وحمزه وعلی وخلف

الباءون بالتشديد وصولها تامة بالالف من غير همز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الباءون همزة بالهمزة من غير الف الخزاز

الحسنى بالنصب ونونا يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الاخرون بضمها يفقهون بضم الهاء وكسر القاف حمزة وعلى وخلف الباءون

بفتحها باجوج وماجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الثعلبي فهل نجعل ونابه ادغام اللام في النون على وهشام خراجا بالالف حمزة وعلى وخلف وعاصم

غير ابي بكر وحماد وجملة الباءون بضمها مكنى ابن كثير الباءون باذغام النون في النون ردما آتوني بمحى حماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم

الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب الفضل مخبرا بو بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الاخرون بفتح الصاد والدال قال

اتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد وقرا ابو نشيط والثعلبي فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقله

ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة الحسن الذين بسكون السين ورفع الباء يزيد ويعقوب والاعشى اختيار

رويس اولها بفتح الميم المتكلم ابو جعفر ونافع وابن عامر ان يقدبنا العنبة حمزة وعلى وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الوقوف والقرين ذكرا

سببا لاسباه فوماه حسناه نكراه الحسنى لاختلاف الجملتين جزاء لان ثم لترتيب الاخبار وسببا هاء سترا لكن للذال اى كذلك اى مثل الذين كانوا عند مغرب

الشمس وقيل بيند بكل اى ذلك كلنا والامر كذلك وقيل اى احطنا بما لديه من العدد والعدد كلا اى كملنا بقوم سبق ذكرهم خبرا ثم تبع سببا فوماه قولا

سداه ردماه الحديد انفخوا طينا الاتان جواب اذا فطرا لان ما بعده ابتداء اخبار بقضاه من ربي لعطف الجملتين المختلفتين وكذلك لذلك بقضاه

لانقطاع الفصة جمعاه للعطف عرضاه سمعاه اولياه طرزاه اعمالا للفصل بين الاختيار والاخبار لان لتقديرهم الدين ويجوز ان يكون

نصبا على الذم او جرا على البدل صنعاه وزناه هرواه نزلا اعمالا محولاه مدداه واحد لابتداء الشرط مع فاء التعقيب اجابا لتفسيرا جاب عن

سؤال ابن من سؤليه اليهود شرع في السؤال الثالث والجواب عنه واصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا

باسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد انكاظوا فيه ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى

انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في منبحه ثم

عطف الى ارمينية وباب الابواب وذا نيله العرابنون والغيط والبرزتم توجه نحو خراسان ابن ذاراوهرمز موالى الى ان قتله فتملك على مملكة الفرس

ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهرزور وتوفاه الله فاقام الامام فخر الدين

الرازي لما ثبت بالقرآن ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية وما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه فاكان الا الاسكندر وجب

القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فنعظم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب

ارسطو حق وصدق وذلك مما لا يهبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب في تسميته بذي

القرنين انه بلغ قرني الشمس اي مطلعها ومغربها وروى عن النبي انه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان صغيران وقيل

انه رض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انما سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس وفي رواية الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان

على راسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وقيل راى في المنام كانه صعد الفلك ونعلق بطرفي الشمس

اي بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجدها لم تحمل منه بالاسكندر فولدت

الاسكندر ولم يقع عند فيلقوس واظهر انها ابنته وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال ابو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه ان الازواء كانوا

من اليمن كذي يزن وغيره وبرى انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين وسليمان وبوختنصر ونمرود وبخت نصر وهما كافران واختلفوا في

فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والسيرة الحميدة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى بهديه النور من امامه ومحوطه الظلمة من ورائه

وكان على ميمنته ملك يسخر له السحاب مدت له الاسباب بسيط له النور واحبه والله واحبه وسالة ابن الكوا وكان من اصحابه ما ذو القرنين املاك ام بني فقال

ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله اي في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي

ذو القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله انا مكنا له في الارض

والتمكين المشهور هو النبوة ولقوله واتيناه من كل شيء سببا وظاهره العموم فكون قد نال اسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب

وتكليم الله سبحانه واسطة الا لنبي وقيل كان ملكا من الملئكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا ما رضيتم لانفسكم باسما الانبياء حتى سميتم باسما الملئكة قوله سالوه عليكم اي سالوا عنه وقفى الله قفاه وانزل فيه وجيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم

اليهود وفرشها في جعل واصل ابره وتيناه من كل شيء سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد هيهنا كل ما يتوصل الى المقصود من علم او قدرة

انه لا يريد ذلك انما اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا واصله اليه وكذلك اراد المشرق فاتبع سببا موصلا اليه ثم
انه سبحانه شرع في نعت مسيره الى المغرب فقال فاتبع سببا اى سلك طريقا افضى به الى مغرب الارض ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامئة اى حارة ومن قرأ بعد فالالف مهموز فمعناه ذات حمأة اى طين اسود وكلا القراءتين
قراءتان مشهورتان فان قيل كيف يجوز ان يكون للعين الموصوفة بهذه الصفة عند الغروب على جميل فزاى الشمس حين تغيب فقال الاندري
يا اباذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب في عين حامئة قال علماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرة وهي
في وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس في فلكها تدور وبدورانه الفلك وايضا قد وضع ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض
بمائة ومن وجه من مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الارض فنا وبل الا يرى ان الشمس تشاهد هناك اعني في طرف العالم كالها تغيب
وراء البحر الغربي في اماكن ان اكثر البحر يرى الشمس تغيب في الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يقل انها تغرب في عين ولا شك
ان البحار الغربية فيها السمكة وهي حامئة لكثرة ما في البحار من الطين الاسود اما قوله وجدها فمعناه وجدها في اعين الناس اما للشمس اما للعين
وذلك ان الانسان لما يخيل ان الشمس تغرب هناك ان كان ذلك الموضع كانهم سكنوا بالمغرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر
الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة فجرة الا من رحم الله فحينئذ يعذبهم بالقتل وان يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم
احياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال اما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا ثم يرد الى ربه في الاخرة عذابا منكرا منكرا فظيعا
روى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يقرأ سن كفر في الفرد وروهو العذاب المنكر ومن امن عطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب المنكر بعد ان يرد الى
ربه لا يمكن ان يكون من فعل ذي القرنين ومن قرأ جزاء بالنصب فقد فعله الحسنى جزاء ومن قرأ بالرفع اراد فله الفعلة الحسنى التي هي كلمة الشهادة
او فله ان يجازى المثوبة الحسنى حسب ما يقتضيه الرضى منا اى مهما نامر به الناس من الزكوة والخراج وغير ذلك نيسر اى نقول لا ايسر لهم بالصعب الشاق ثم حكى سيره
الى المشرق فقال ثم اتبع سببا اى هيأ اسبابا يأتى بها مطلع الشمس كان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم يجعل لهم من دونها
ستراعن كعبان السرو الابنية ولذلك ان ارضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية تمنع شعاع الشمس وتدفع حر عنهم فاذا طلعت الشمس
دخلوا في اسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فيما لهم بالصيد من احوال سائر الحيوان وعرفها هذا السر الذي اودعه الله كل الوحش وهذا
كل من سكن في البلاد الغربية من خط الاستواء كذا حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال لما خرجت حتى جاوزت الصين هناك من هو لا يقبل ثيابك
ويلبسهم ميسرة يوم وليلة فيلبسهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمع كهيئة الصاعقة فغشى على ثم افقت فاذا الخلق ميتون
واذا هو في الماء كهيئة الذباب فدخلوا سراديبهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم ويقتصر
في متعلق قوله كذلك على وجه واحد هاكذا امر ذي القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين هلكه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك
والاستقلال به الثاني لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذي جعلناكم من الابنية او الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذي بلغ من مغربها الرابع
نطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذي نغرب عليهم فقضى في هؤلاء كما قضى في اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد يبقى بعض
هذه الوجوه في الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالي بعد ما تم امر المشرق فقال ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين قيل السد اذا كان بخلق الله
فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول اى هو مما فعل الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله ابو عبيدة والفراء والاخفش
وانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية في قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازي الاظهر ان موضع السدين في ناحية الشمال
قيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل في منقطع ارض الترك وحكى محمد بن جرير الطبري في تاريخه ان صاحب اذربيجان ابام فتحها وجد انسانا من ناحية
الخزر فشاهده ووصف انه بنيان رفيع وذا عندق وثيق منيع وقيل ان الواثق راى في المنام كانه فتح هذا الردم وبعث بعض الحدم اليه ليعاينوه فخرجوا
من باب الابواب حتى صاروا اليه وشاهدوه ووصفوا انه بناء من زبر حديد مشدة من نحاس مذاب عليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما عاد
الرجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المجاورة لسمرقند قال ابو الريحان البيروني ومقتضى هذا الخبر ان هذا الموضع في الربع الغربي الشمالي من المعمورة والله
اعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين وجد من دونهما اى من وراءهما مجاوزا عنهما وتبا وقوما لا يكادون يفقهون قولا اى
يفهمون غيرهم قولهم لانهم لا يعرفون غير لغتهم سئل كيف فهم منهم وقيل فهم الترجمان بياجوج ومأجوج مفسدون في الارض الخ واجيب بان كان هناك ترجمان اد
لعله فهمهم بالقرائن والاشارات وبوحي والهام وقيل انهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من اجيج الظليم في مشيه اذا هرول
وتاجج النار اذا التهبت ومنه اجيج الزبد وموج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وقيل ياجوج من الترك ومأجوج من الجيل والله
ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب واضراسا كاضراس السباع اما
افسادهم في الارض فانهم كانوا يقتلون الناس وقيل يأكلون لحومهم وقيل يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
فهل نجعل لك خرجا اى جعلا تخرجه من اموالنا ونظيرهما التوال والنوال وقيل الخرج ما يخرج كل احد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل
سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج في الارض قال ابو الفرزدق ما بكى عبد يك اى جعلني منه بكيبا اذا مكنت من المال الدسائع عاملون لي من الخراج

قول سليمان فما اتاني الله خير مما اتيكم فاعينوني بقوة بالات ورجال وضياع وقيل بمال اصرفه فيهذا المهم ولا آخذه لنفسي فاردم اكبر السدين من ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ انون بالمد فظاهر ومن قرأ النون من ران الثوبي من الابنية بمعنى احمدت باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا اضمار اي فتوطيا فوضع بعضها فوق بعض حتى اذا ساوى بين الصدفين وما على القرارين جانبا الجبلين كل منهما يتصادفان اي يتقابلان ان افرغ عليه قطرا الحذف الاول لان الصب عليه النحاس المذاب وقطرا منصوب بافرغ والتقدير ان اوتني قطرا افرغ عليه قطرا الحذف فالاول للدلالة الثاني عليه وهذا مما يستدل به البصريون في ان المختار عند تنازع الفعلين هو اعمال الثاني لانه لو عمل الاول لقال افرغه عليه ويحكى انه حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله ﷺ ان رجلا اخبره بخبر فقال كيف رايته فقال كالبرد المحرط بفتح سوداء وطريقة حمراء قال فقد والله رايته قال العلماء هذا معجز من وجهين لان تلك الزبر الكثيرة اذا صارت كالنار لم يقدر الادمي على القرب منه وكانه تعالى ازال الحرارة العظيمة عن بدنه ولتلك النافخين فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لثخانته وتكرر لفظ الاستطاعة مرادا حذف عنها التاء تخفيفا في الموضعين واعاد ذكرها بالاخرة تثنيتها على الاصل ورجوعا الى البداية ثم قال وما لهذا السد اوهذا الاقدار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فاذا جاء اي ناجم الفتنة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالارض وكلما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأ دكاء بالمد فعلى الوصف اي جعله ارضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهذا اخر حكاية ذي القرنين ثم شرع سبحانه في بقية الجواب يريد فقال وتركنا بعضهم يومئذ اي يوم جوج ومأجوج يموج بعضهم في بعض خلقا وقيل الضمير للخلق والمراد بيوم القيمة اي جعلنا الخلق يضطربون ويختلط انسهم وجنهم حيارى في نفخ الصور من اياك القيمة وبسيجي وصفه ومعنى عرض جهنم ابرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا وهي ذلك نوع من العقاب للكفار لما تباعد امامهم من الغي وانقرع عن ذكري اي عن اباني التي خلقت الهداية فذكر بالمتغيظ فاطلق المسبب على السبب وعن القرآن وتامل معانيه وصفهم بالعمى عن الدلائل والآثار فاراد ان بصرهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو ابلغ من ان لو قال وكانوا صما لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهو لا ذا لهم عن الاستطاعة بالكلية اتجه الاشارة على ان الامتناع مع الفعل انما هو لما لم يسمعوا لم يستطيعوا واجتنابهم المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم اعاد في التوبيخ والوعيد فقال افحسب الذين كفروا والمراد فظنوا انهم ينتفعون بما عبدوه مع اعراضهم عن تدبر ايات الله وتمردهم عن قبول امره وامر رسوله وهيهات اضمار يقدره المحسبوا اتخاذ عبادي اولياء انا اعتدنا اعددنا لهم عند ما يحتاجون اليه عتادا اما عيسى والملئكة واما الشياطين الذين يطيعونهم واما الاصنام اقوال ومن قرأ بسكون السين فمعناه افكفاهم وحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على انه مثل الواو الزائدة ان هربان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل ما يوضع للنازل والمنزل وقيل النزل الذي يعد للضيف فيكون تهكما بهم نحو فبشرهم بعذاب اليم الذين ضل سعيهم اي ضاع وبطل فمن على انهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه ان منهم اهل حروراء وعن مجاهد اهل الكتاب والحق انه يتناول كل من باشر عملا يبتني على ايمان واخلاص عن ابي سعيد الخدري بانبي ناس يا عمال يوم القيمة ممن يحسب في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قال القاضي ان من غلبت معاصيه طاعاته صار مأخوذا من الطاعة كان لم يكن فلا يدخل في الوزن شئ من طاعاته وهذا مبني على الاحباط والتكفير وفي قوله فحبطت اعمالهم اشارة الى ذلك والمراد فلا نزن لهم وزنا ومقدارا وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذي ذكرناه من انواع الوعيد جزاؤهم وقوله جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه انهم ضموا الى الكفر بالله اتخاذ ايات الله واتخاذ محل هزؤ وتكذيب ويجوز ان يكون كل الامر من سببا مستقلا اي التعذيب بجهنم لكفرهم والوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس اوسط الجنة واعلاها وعن كعب لبني الجنة اعلى من جنة الفردوس وفيها الانهار وفوقها عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال اهل السنة حصل جنات الفردوس نزلا فالاكرام التام يكون وراء ذلك والمراد الرؤية ونظيره انه جعل جهنم باسرها نزلا لما وراءها هو العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كما انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه انه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تبغي نفوسهم التحول الى ثالث وانه يجوز ان يزاد به ثالث كما يزاد الخلود اي لا يريدون فيطلبون كقوله لا يبغون عنها حولا ثم لما ذكر انواع الدلائل والبينات وشرح احوال من سئل عنها اتبعه على كمال الحال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشئ كالحبر والزيت للدواة والسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وفرض ان معين البحر مداد لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثل البحر مددا لنفد ايضا وهو مبني من مثله كقولك عالم البصرة مثلنا وبلد المدينة والمدد واحد وقرئ ان تجئ بالخطاب قال لهم كأنكم من توقف الحكمة فقد اخذ اكثرها ثم تفرقون وما اوتيتم من العلم الا قليلا فرب سعيد الايه يعني ان ذلك بحر كتب منه نزر من بحر كلمات الله فما لكم تاشاعرة ان كلمات الله ثم

واحد واعرض عليه هذه الآية فانها صريحة فى بيان كلمات كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقاتها علم الله تعالى وزعم الجبائى ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربى يدل على ان كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على متعلقاتها تلك الصفة الا ان يثبت قلنا لا نسلم ان نفاد شئ قبل نفاد شئ اخر لا يدل على نفاد الشئ الاخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله تعالى بحيث لا يضبطها عقول البشر اما متناهية او غير متناهية فلا دليل فى الآية على احد النقيضين ولكن الحق فى نظر العبد ان كلمات الله تعالى لا تبلغ لانها بعدد معلوماته وهى غير متناهية بالبرهان ثم من تبعه ثم ان سبيل التواضع وهو ان يحاله مفوضا على البشر بة لا يخطاها الى الملكية الا انه اذا صار ينبغى الجاء اليه وكفى به برهانا وصابة ثم بين ان الموحى هو انما الهكم الرواحد وفى تخصيص هذا الوحى بالذكر فائدة وهى ان يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعى النبوة ان يدعو الى التوحيد ثم ان يدعو الى العمل الصالح المقرون بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجوا لقاء ربه اى امل لقائه او خاف لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب والعقاب عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهى عن الاشراك بالعبادة هو ان لا يرى بعمله ولا يبتغى الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله ﷺ انى اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروى انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به قال فى الكشاف عن رسول الله ﷺ من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له فى مضجعه نور حتى يبلغ الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نور ابتلا الا من مضجعه الى بيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى ينتبه والمراد بين ان الانسان كما لا مكونا وكرامة فونا يمكن له تحصيله بالرياضة والمجاهدة ادراك ان بين ان الانسان الكامل انما هو ليسعى الخلائق فى الارض واوقى اسباب كل شئ فى عالم الوسايط والاسباب فبذلك يصير كاملا فى نفسه مكملا لغيره فانبع سببا من اسباب الوصول الى عالم السفلى وهو معرفة شمل الروح الانسانى فوجدها تغرب فى عين حمئة اى عالم القوى والطبايع الاجسادية وجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان تقتل بهم بالقتل بسبكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها فى غير موضعها فسوف نقتله بقهره على خلافها هو مرآة وهو ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذى يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن شهواته او يرد الى الله ثم فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وهو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاسترواح بعد الفناء والمجاهدة ثم اتبع اسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمل النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوايق الساترة حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعشق والتمدن والجولان فى جوانب اقوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى اصلاح المعاد ونظام وجدانهم ونهوضا ما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين فطروا على امر مجمل بسيط ان ياجوج ومأجوج القوى الطبايع مفسدون فى الارض البشرية بامتعاط الخواص فى غير ما خلقت هى لاجله فهل نجعل لك خرجا هو ان ترد الوجود ردا الى موجود فاعينونى بقوة بهمة صادقة وعزيمة صادقة اتونى زبر الحديد ملكات راسخة وهيئات ثابتة او قلوبا هن كالحديد فى المضاء وكالجبال الرواسيات فى البقاء حتى اذا ساوى عرضها بين طرفى العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بتاثير حرارة الطاعة والذكر فى حديد القلب قال اتونى افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيميا الاخلاص النافذة فى سويداء القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يغلبه ما سوى الرحمن الله حسبى

سورة مريم مكية حروفها ثلثة الاف وثمانمائة وحرفان كلمها تسعمائة واثنتان وتسعون آياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند جان وخرد — كزين برتر انديشه برنگذرد

كهيعص ذكر رحمت ربك عبده زكريا ۝ اذ نادى ربه نداء خفيا ۝ قال رب انى وهن

بخش حروف هجى — ياد كردن بخشش پروردگار تو بنده او زكريا ۝ چون او را زد پروردگار خود ندائى پوشيده ۝ گفت پروردگارا سست شد

العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا ۝ وانى خفت الموالى من ورائى

استخوان از من ۝ وسفيد شد سر — وهيچ نبوده ام بخواندن تو پروردگارا بدبخت ۝ وبدرستى كه من بيمناكم از پس عم از پسران عم

وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا ۝ يرثنى ويرث من ال يعقوب واجعله رب رضيا

وباشد زن من نازا پس ۝ بمن بخش مرا از نزد خود ۝ حسنى — ميراث برد مرا ۝ وميراث برد از آل يعقوب

يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا ۝ قال رب انى يكون لى غلام

اى زكريا ۝ ما مژده ميدهيم ترا بپسرى — نام او يحيى است ۝ نكرده ايم مر او را از پيش همنامى ۝ گفت پروردگارا چگونه باشد مرا

وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ۝ قال كذلك قال ربك هو على هين وقد

وباشد زن من نازا پس ۝ وبدرستى كه رسيدم از پيرى خشك شدن ۝ گفت همچنين ۝ گفت پروردگار تو مر او را بر من آسان است و بدرستى

خلفتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلث ليال
كه آفريدم ترا از پيش و نبودي چيزي گفت پروردگارا گردان مرا نشانه گفت نشانه تو آنست كه سخن نگوئي با مردمان سه شبان
سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب
يعني پس درون آيد بر گروه خود از عبادتخانه پس وحي كرد بسوي ايشان يعني گفت بسبحه گوئيد بامداد و شبانگاه اي يحيي بگير كتاب را
بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم
بتمامي و داديم او را حكم در حال كودكي و بخشايشي از نزد ما و پاكي و باشد پرهيزگار و نيكي بپدر و مادر و
يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا القراءة كهيعص
نباشد گردنكش نافرمان و درود بر او روز كه زاده شد و روز كه بميرد و روز كه برانگيخته شود زنده باماله الها فقط ابو عمرو

كهيعص باماله الها فقط حمزة وخلف في قتيبة وابن كوان وقرا على عبد قتيبة ويحيى وحماد باماله الها وقرا ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي وابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب بتفخيمها صادر ذكر هذا ابو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من وراء بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير قنبل والخزاعي عن البزي وقرا رعه عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراء مثل عصا بترقيق وبرش بالجزم فيهما ابو عمرو وعلى الباقون برعهما بشر ثلثا ثانيا وكاف الخر السورة حمزة حيا وحيا وصليا وبكيا بكسر الاربعة حمزة وعلى وافق حفص الا في بكيا الخزاز عن هبيرة عيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلفنا لحمزة وعلى الاخرون خلفنا على التوحيد لي ابو بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلى الباقون برعهما بشد ثلثا كذلك وابن شنبوذ عن مكة الوقوف كهيعص وقف ذكر رحمة ربك لاحتمال انتصابه باذكر محمد وفاختياه شقيا ولم يعصي ويا موسى ويا يحيى والوجه الوصل لعطف الجملتين المتفقتين بحيي لان ما بعده صفة غلام والامتناف ليس بقوي سميا عيا كذلك بناء على التقدير الاركان سميا ايا سويا وعشيا بقوة الصبيا ثلعطف اي اتينا الحكم وحنانا منا عليه وزكوة طيبا وعصيا حيا انقسم حروف المعجم في الوقف ثنا بشر وثلثة وقد جرت عادة العرب باماله الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الزاي عبد الامران لانه قد يلحق باخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب ان التفخيم اصل والاماله فرع عليه فمن قرا باماله الها واليا سعا فعلى العادة ومن قرا بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرا باماله احدهما فراعا بالجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن انه قرا بضمهما وفيه نظر لانه نصوا ان غير الكلمة فيهما واو وفيه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول البقرة وما يخص هذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لاسمه والهاء هاد والعين عالم او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكوني مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع انس ان اليا من مجيرها هذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا ان يسند الى الوحي او الالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبر اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول الذكر وذكريا عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرا بذكر بلفظ الماضي مشددا نادى ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية ومخففا اخرى عبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكر على الامر وهي قراءة ابن معروف قيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبيناه ولا مشاركة ان طريقه في الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا وانبيا وفي خفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء ادخل في الحسنى وهذا فيه الحسن بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في غير وقته ومنها انه اسره من موالي الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما قال في صفة الشيخ صوت خفاء وسمعنا راف ولعله ان بافضى ما يفنى عليه من الصوم ومع ذلك كان خفيا لانه ما يكره ثم شرع في حكاية نداءه فقال رب اني وهن العظم مني فوهن اصله وهن رخو ضد الصلب ورتبه تنبيها على ان المعاني في الاية لطايف وذلك اصل الكلام بارب قد ضعف فان الشحمة مشتملة على ضعف البدن وشيب الراس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخي اداة التقرير فصار ضعف بدني وشاب اسي ثم في القرينة الاولى عدل الى التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار وهنت عظامي فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدا للقوي الحكم فحصل انا وهنت عظامي بدني ثم سلك طريق الاجمال والتفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني فقد فصلت ثم نزل توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص لان قلت ان وهنت العظام افاد ان عظاما بعينها وهنت عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلت ثم نزل توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام افاد ان عظاما بعينها تحصل انه وهنت العظام مني واذا حصل لوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقلب الدماغ والكبد للقلب ففي الاعضاء الاخر اولى واما القرينة الاخرى فركبت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيبي ولي في الاستعارة فيه ترشيح الشيب بشواظ النار في بياضه ونارية ونشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ذا حاذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل شيب اسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه اخر ويمكن ان يكون اشتعل بدل انتشر فيكون الاستعارة بتبعية نصب مميزه وفي تنكيره ما ذكر الشيب ثم نزلت هذه المرتبة الى ابلغ منها وهي اشتعل اسي شيبا وكونها ابلغ من جهات منها امتنا الاشتعال الى الراس كما قد تسمو الاشتعال الراس كما لو قلت اشتعل بمبني نارا كان اشتعل النار في مبني ومنها الاجمال والتفصيل

الواو فعان وفي بعض النسخ ومنها تنكير شيبا للتعظيم كما هو حق التعبير ثم عدل الى المرتبة اخرى هي اشتعل الرأس مني شيبا لتوخي مزيد التقرير ثم الى بيان على نحو وهن العظم مني ثم نزل لفظ مني لسبق ذكره في المرتبة الاولى ففي تلك الحالة تاديه المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين الحالتين مع ان مبنا الكلام على الاختصاص حيث قال ربي بجد وعرفا النداء وبنا المتكلم بناء الاختصاص في اخره وانما اطنب في هذا المقام لان هذه الاشارة لا يعلم بيانها بين علماء المعاني ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معرض الاستجابة فقال ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكى ان محتاجا قال لكريم انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته ظفر بها وشقي بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اي بدعائي اياك واعلم ان ذكريا قدم على السؤال امورا ثلثة الاول كونه ضعيفا والثاني انه لم يرد دعاءه والثالث كون المطلوب بالدعاء مبنيا للمنفعة في الدين وذلك قوله واني خفت الموالي قال ابن عباس والحسن اي الورثة وعن مجاهد العصبة وعن صالح الكلالة وعن الاصم بنو العم وهم الذين يلونه في النسب وعن ابي مسلم المولى بمعنى المدبر الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من تقدم ذكره من الكلالة والمختار ان المراد من الموالي الذين يخلفون بعده اما في السياسة او في المال الذي كان له او في القيام بامر الدين وكان من خاف منهم ان كل من كان الى صاحب الشرع اقرب كان منعه للجورة وقوله من ورائي اي بعد موتي لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اي الموالي الذين يخلفون من بعدي او بمعنى الولاية في الموالي خفت ولا يتهم وسوء خلافهم بعدي فان زكريا افضل مع النبوة الملك فخاف بعده على احد امرين او على امرين وسبب الخوف لقرائن والامارات التي ظهرت له من صفايح احوالهم واخلاقهم وانما قال خفت باعتبار الماضي لانه قصد به الاخبار عن مقارن الخوف ثم استغنى بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف في الحال وفي خفت الموالي بشديد الفاء على هذا معنى وراء اي خلفي وبعدي اي قلوا وعجزوا عن امر الدين والافاضة نوظا بفيه والظرف متعلق بالموالي ومعنا قدامي والظرف متعلق بخفت اي وجدوا ولم يبق من يقصد شرعا بالمسئلة فائدة لخبري واكده بقوله من لدنك اي لما صادر من عندك مضافا الى اخراعك لاني وامرأتي لا نصلح للولادة من قرائن شتى وبرش بالجزم فيهما جواب الدعاء ومن قرائنهما فالاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف وكانه قيل لم تطلب الولد فاجيب بقوله هب لي الخ اي كن مهما شئت لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف الهلال بحيي قبل زكريا واعترض بان حمله على الاستيناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب البتة امتنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بان عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب فقول الاعتراض باق لان المعنى يؤول الى قولنا هب لي ولدا موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة او هب لي وليا اخبر عنه بالمشتق ترشيحا وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب والحق في الجواب هو ما سلف لنا في قصة زكريا من سورة العمران ان النبي لا يطلب الدعاء الا الاصلح حتى لو كان الاصلح غيرا طلبه بصرفه الله تعالى عنه كان المصروف في الحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال لعل الوراثة قد تحققت من يحيى في بقية ذلك الكتاب والشرع معصوما بعد تكونه ايضا وقد روى صاحب الكشاف ههنا قراءة شاذة لا فائدة كثيرة في تعدادها الى قوله عن علي وجماعة وارث من آل يعقوب اي هو ترثني وهو وارث وههنا البحث في علم البيان فقيل هو ان بجزء الكلام عن ذكر الاول اعني بقول جاءني فلان فجاءني رجل لا يريد به الا الاول ولذلك لا تذكر اسمه في الجملة الثانية وبجزء الكلام عنه واقول يشبه ان يكون معنى البجزء هو ان بجزئه عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا في الابن كانه جرده عن منافيات الوارثية باسرها واختلف المفسرون في انه طلب الوارثة او طلب من يقوم مقامه ولذا كان وغيره والاول اظهر لقوله في آل عمران رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ولقوله في سورة الانبياء رب لا تذرني فردا جحد المخالف لما بشر بالولد المعظم وقال اني يكون لي غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد لما استعظم ذلك والجواب بما مر في آل عمران واختلفوا ايضا في الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هي وراثة المال وعنهم ايضا ان المراد هو ارث المال ويرث من آل يعقوب النبوة او بالعكس وفي رواية ابي صالح ان المراد في الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل في المال واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفي العلم واورثنا بني اسرائيل الكتاب للعلماء وورثة الانبياء وحجة الاولين ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا وما عليه من ورثه فان ظاهره يدل على انه اراد وراثة المال وكذا قوله انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وايضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد ارث النبوة لم يحجب الى قوله واجعله رب رضيا لان النبي لا يكون الا مرضيا واجيب بانه ان كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم بامر الدين جاز ان يبقى وورثته والمراد بكونه رضيا ان لا يوجد منه معصية ولا ذم بها كما جاء في حق يحيى قدم الحديث هناك ولا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كما لم يلزم من فضل بعضهم فضائل اخر تخصه بحث الاشاعرة بالمسئلة لانه في مسئلة خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل بعبده ربه وجوب الالطاف فيختار ما يصير رضا عنده وزيف بان ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبان فعل الالطاف وجب على الله فطلبك لك بالدعاء والتضرع عبث وفي اعلم ان اكثر المفسرين على ان يعقوب المذكور في الاية هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من آل سليمان بن داود من ولد يهوذا بن يعقوب واما ذكريا فقد كان من ولد هرون اخي موسى هرون وموسى من ولد لاوي بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة في سبط يعقوب وهو اسرائيل وزعم بعض المفسرين ان المراد هو يعقوب ماثان وهذا قول الكلبي ومقاتل وعن مقاتل ان بنت ماثان كانوا رؤس بني اسرائيل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه ابتداء من الله تعالى لغير نبينا الخاطب من قوله رب اني وهن العظم مني الى قوله رب اني يكون لي غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله في آل عمران فنادته الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا في عدم التعيين فقيل اراد انه لم يسم احدا بعد يحيى قبله وقيل اراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك انه جعل

وخصوصا ولم يعص ولم يهم بمعصية فكانه جواب لقوله واجعله رب رضيا وايضا سمي يحيى قبل ولوده في الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر فالنظر
لرفيعة الخواص قال بعض العلماء القول الاول اظهر لما في الثاني من العدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما في قوله فاعبده واصطبر
لعبادته هل تعلم له سميا الا انا نعلم ان مجرد كونه تعم لا يسمى له لا يقتضي عبادته فتقول المسمى هنا يراد به المثل والنظير ويمكن ان يقال التفرد
بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة في الاية ايضا قال جار الله انما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه الشكل
والنظير كل واحد منهما سمي لصاحبه قلت لا يفر بهذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمي يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعم
احيي عقر اصره وعن قتادة لانه تعم احيي قلبه بالايمان والطاعة ومن كان ميتا فاحييناه اذا وعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من امن بعيسى وقيل لانه
استشهد والشهداء احياء وقيل لان الله احياه حيوة لا يقع بعدها موت وقد بلغت من الكبر قال جار الله اي من اجل الكبر والطعن في السن
العاليين فمن للتعليل ويجوز ان يكون للابتداء اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عيبا وهو اليبس والجساوة في المفاصل والعظام ويسمى عيا
العود وعيبا اذا جف طولا ان يمان الى الحالة اليبس سؤالا نزل في ال عمران وقد بلغني الكبر امرأتي عاقر فلم عكس الزمخشري في هذه السورة وجاء
بان الواو لا يفيد الترتيب قلت ان زائد ورد على الاصل وهو تقديم نفض نفسه وههنا راعى الفاصلة قال الامركك تصديقا لقولك ثم ابتدأ فاثلا
قال ربك فمحل كذلك رفع ويحتمل ان يكون نصبا بوحي وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو اي خلق الغلام علي هين ويحتمل ان يكون اشارة الى
قول زكريا الى يكون لي غلام اي كيف تعطيني الغلام بان يخلقني وزوجتي شابتين او بان تنزكا على الشيخوخة فاجيب بقوله كذلك اي هب الولد لك
مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما لفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو فعيل من كاد هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد ولم
تك شيئا الان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كالنطفة او كالجواهر التي لم تنالها يد وقيل نفي استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغييرها في اطوار
الصفات اليس هون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في زكريا ومباحثة بعد ان لم يكن قال رب اجعل لي اية قد مر تفسيره في اول ال عمران الا
قوله سويا فيحتمل ان صفة للمبالغة اي تاما كاملا والاكثرون على انه صفة زكريا اي انت سليم الجوارح مستوي الخلق وما لك خرس ولا عي فخرج على قومه
من المحراب قيل كان له موضع يتفرد فيه للصلوة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلي فيه وهجع الا انهم كانوا لا يدخلونه للصلوة الا
باذنه فاوحى اليهم عرض اهدأوا ربيد ليدل قوله في اول عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض وان مي المفسرة وسبحوا اي صلوا او على الظاهر
وهو قول سبحان الله عند العالية ان البكرة صلوة الفجر والعشي صلوة العصر فلعلهم كانوا يصلون معها بين الصلوتين في محرابه وكان يخرج اليهم
ويأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه اخرج اليهم كعادته وفهمهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ بحيى المبلغ الذي يجوز ان اعتقل
يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التوراة لانها المعهود ح ويحتمل ان يكون كتابا مختصرا وان كنا لا نعرفه الان كقول عيسى اني عبد الله
اتاني الكتاب والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى وهو الفهم بمواجبه كما ينبغي وذلك يحصل ملكة يقتضي سهولة
الاقدام على المأمور به والاحجام عن المنهي عنه ثم اكده بقوله بقوة اي بجد وعزيمة وابتناه الحكم اي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التوراة والفقه الذي
ولد ذلك لما دعا الصبيان الى اللعب وهو صبي قال اللعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الجوارح كما
في حق عيسى فلا امتناع الا حيث العادة والحنان اصله تو فان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل ان يراد حنانا
منا على زكريا او على انه يحيى لا يساعده وجو الواو وقيل اذ اردنا منه الحكم والحنان على عبادنا كقوله في بيتنا فيما رحمة من الله لنا نظلم واراد بقوله
وزكوة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة ما يجب عليهم لان الرافة وحي الدين ربما يورث ترك الواجب لهذا قال ولا تأخذكم بهما رافة في دين الله
ولا يخفى انه لا يساعد هذا القول وجو لفظة منا وعن عطا ان معنى حنانا تعظيما من لدنا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج ان معنى زكوة
عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما بزكي الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق
عليهم ثم اخبر مجملا عن جملة احواله بقوله وكان تقيا بحيث لم يعص الله ولا تم بمعصية قط وبرا بوالديه لان تعظيم الوالدين تلو تعظيم الله ولم يكن
جبارا عصيا وذلك ان الزاهد في الدنيا قلما يخلو عن طلب ترفع والرغبة في احترام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق
وتحقق العبودية للحق قال سيجان الجبار الذي يقتل عند الغضب ليلة قوله لئن زدتني الا ان تزيدني كما قلت نفسا ان تكون جبارا في
الارض ثم انه بجانه سلم عليه في ثلثة مواطن مواطن وحشة المواطن واحوجها الى طلب السلامة فيها ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملئكة عليه الا
انه لما كان بإذن الله كان كسلام الله قيل انما قال ليحيى مع ان المبعوث هو المتأخر الى حال الحيوة بنيها على كونه مرجو الاهتداء وهم احيا الا انه بجانه سمى في قصة عيسى
ويوم ابعث حيا وذلك انه ورد في الاخبار ان عيسى يموت بعد النزول والظاهر انه اراد ويوم يجعل حيا فوضع الاخص موضع الاعم تاكيدا قيل السلام
عليه يوم ولد لا بد ان يكون تفضلا من الله تعم لانه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه واما الاخران فيجوز ان يكونا لاجل الثواب قلت اكثر اموره خارقة للعادة
فيحتمل ان يوجد منه في بطن امه عمل يستحق الثواب كما يحكى ان امه قالت لهم وما حاملان اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك ألا ويقال ان زكريا لما
نادى ربه نداء خفيا من سره قال رب اني وهن مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية وانحلت صفات النفس ان تغلب وكانت المرأة
يعني الجبلة التي هي روح الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من الله فطلب مني من لدنك سالما لقاما عطاء الله نبيا وهو في الحقيقة الغلب الذي هو معدن

العلم الذي فانه ولد الروح والنفس اعداء عديدة ويرثني ويرث من يعقوب اي يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رضيا بان
نوطئه من محل صفات ربوبيتك ما يرضى به ربطيره وليس يعطيك قابل فرضي اسمه يحيى ان الله احيا بنوره لم يجعل له من قبل سميا الامر الحيوانات ولا من
الملكة لانه هو الذي يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن بسعني قلب عبدك المؤمن وقد بلغت من الكبر ما يسبب طول
زمانه لغلق القلب بالغالب عنايبسا وجفافا من غلبات صفات النفس اي لك الا تكلم الناس لا مخاطبا لا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلث ليالي هي ثلث
مراتب الجمادات والحيوانات والروحانيات سويا متمكنا في هذا الحال من غير تلون فخرج ذكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه و
قلبه وانابته فاشار اليهم ان كونوا متوجهين الى الله معرضين عما سواه اناء الليل واطراف النهار وبل بكرة الازل وعشي الابد يا يحيى الغلب خذ كتاب
الفيض الالهي المكتوب لك في الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا واتيناه الحكم صبيا اذ خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
وزكوة وتطهرا من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والغالب اما بالروح فلان الغلب محل قبول الفيض الالهي لان الفيض يصيب الروح اولا و
لكن لا يمسك لغاية لطافته كما ان الهواء الصافي لا يقبل الضوء ويعذر هبر واما الغلب فهو صفا وكافر فيا الصفا يقبل الفيض وبالكافر يمسك وهذا
احد اسرار حمل الامانة وامر والدة الغالب فهو امتعاها لها على وفق الستر بعزة والطريقة وله لكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم
ولد في اصل خلقه ويوم يموت من استعمال المعاصي بالتوبة ويوم يبعث بالترقي الى مقام السلامة حبيبي اذكر في الكتاب

مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
مريم را چون كرانه كرد از كسان خود جاى برآمدن آفتاب پس گرفت از غير ايشان پرده پس فرستاديم بسوى او جبرئيل پس بنمود او را آدمى
سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا
درست بخشم كوزا كودكى خداى توام كفت بر ترسيكه من پناه جويم بكذار از تو اگر هستى پرهيزكار كفت براى اينم فرستاده
زَكِيًّا قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ
پاك كفت كجا باشد مرا ومن نخورده مرا آدمى وننباشم بدكار كفت همچنين كفت پروردكار تو بر من
هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا
آسان وتا بگردانيم او را نشانه مردمان ورحمتى از ما وباشد كارى حكم كرده شده پس برداشت او را پس بكشيد باز دور جاى جدا
فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا
پس آمدش درد زادن بسوى بن كفتاى كاش مرده مى پيش از اين وبهم فراموش شده پس آواز داد از زير اين
أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي
برنو اندوهناك مباش كرده است خداى تو زير قدم تو جوى ودر جنبان بسوى خود بن خرما تا افتد
وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ
وبخور وروشن كن چشم خود را پس اگر ببينى از آدميان كسى را پس بگو من نذر واجب كردم خداى را روزه پس سخن نكويم امروز
إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ
آدمى را پس آورد او را بر قوم خود برداشته مى آوردند اى مريم بيامدى چيزى بزرگ اى خواهر هارون
سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي
بد ونبود مادر تو زنا كار پس اشاره كرد بسوى او گفتند چگونه سخن گوئيم با آنكه
عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ
بنده خداى است داد مرا كتاب وكرد مرا پيغمبر وكرد مرا بابركت هر جا باشم
مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ
وكرد مرا كتابها ونماز وزكوة تا زنده باشم ووصيت كرد مرا بنيكى بادر خود ونكرد مرا ستمكار بدبخت وسلام بر من روز كه زاده شدم ودرود بر من
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ
روز كه زاده شدم را جبر كنند روز كه بميرم وروز كه زنده برانگيخته شوم زنده
مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
سزاوار نيست مر خداى را كه فرا گيرد فرزندى پاك است او چون كويد مر او را باش پس ميباشد وبدرستيكه خداى من وشما پس پرستيد او را
هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ
اين راه راست است پس اختلاف كردند احزاب از ميان ايشان پس واى بر آنكه كافر شدند از وقت حاضر شدن روز بزرگ

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لٰكِنِ الظّٰلِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلٰلٍ مُبِينٍ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ

إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ

الى اخره بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويهب للكل على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلواني عن قالون وحمزة في الوقف الامر دون لاهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على اصل حرفين وبحذف الياء الثانية ابو جعفر ونافع ونهل وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحها على ان من موصولة والظرف صلتها نسا فط بحذف تاء التفاعل حمزة والخزاز عن هبيرة نسا فط من المفاعلة حفص غير الخزاز نسا فط بياء الغيبة على ان الضمير للجنس وبادغام التاء في السين سهل ويعقوب بضم الواو والياء الباقون مثله ولكن بناء التانيث على ان الضمير للنخلة مالة مفتوحة الياء علي وفي حمزة مرسلة الباء مخمة في الوصل مالة في الوقف او صحابا مالة علي قول الحق بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب والله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن عامر وروح والمعدل عن زيد الوقوف مريم ليلا يبصرونها فالاذكر شرقيا للعطف ركيا بغيا كلها مدغمة الجواز كون لواو مخمة او معلقة بجدون كما يجي مثالا اختلاف الجملتين مقضيا وقضيا النخلة لترتب الماضي من غير عاطف والاولى ان يكون سريا فاسقيا سريا جنيا عينا للشرط مع الفاء احدا الان ما بعده جواب الشرط انسيا للعطف مع الاية تحملها وفيا بغيا البتة صبيا عبد الله طا الان الجملة لا يقع صفة للمعرفة ويمكن ان يجعل معنى التحقق في ان عاملا فيكون حالا فلا يوقف اينما كنت مطولا الكلام حيا لذلك والوصل اولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتي لتبدل الكلام من الاشارة الى النفي شقيا حيا عيسى مريم على القراءتين لاحتمال ان يراد بها قول الحق وان يجعل حالا واما في قراءة الرفع فاما ان يكون بدلا من عيسى ويكون التقدير هو قول الحق يمترون هو من ولد امتبنى الا للتنزيه سبحانه ط فيكون ثم لمن اراد ان يا بالكسر فعبده ط مستقيم من يتم لان ما بعده مبتدا مع الفاء خبره والابصر الان ما بعده ظرف للتعجيب مني وسمعني عن شاء يحي رحمه الله انا لو وقف على قوله قضى الامر لا وقف لا اقل من المطلوب لان ما بعده جملة مستانفة ولو وصل لاوهم ان يكون حالا من فضا وليس كذلك يؤمنون هو يرجعون هو التفسير هذا شروع في ابتداء خلق عيسى ولا ريب ان خلق الولد بين شخص فاجنبي قد يكون على المناهج العادات من تخليق الولد من غير اب فهذا احرى فقصة عيسى فرضت بحسب ما يزال المفهم من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من مريم لان الازمان مشتملة على ما فيها وفي هذا الابدال تفخيم لشان الوقت كوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كانها الفت نفسها الى جانب مغرب عن الناس في مكان بالشرقي من بيت المقدس او شرقي دارها قال ابن عباس رضي الله عنهما اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت من وهم حجابا لا مبدها الا احتجاب من غرض صحيح في المضروب من قال انها لما زال الحيض بانت عنها للمعتاد لكن تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما طهرت جاءها جبريل هو قيل هيئت الخلوة لاجل العبادة وقيل في مشرقة للاغتسال من الحيض محجبة بحائط او شيء غيرها وقيل كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب عليحدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها بابا فتمتنع ان يجد خلوة في الجبل لتخلي راسها فتخرج فتجلس في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعني جبريل لان الذين يحيى بوجوده والاضافة للتشريف والتسمية مجازا كما تقول لمن يحبه انه روحي فتمثل لها حال كونه بشرا سويا بانام الخلق واحسن الصور وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه وتدرع الروحاني كجبريل مثلا نارة بالهيكل العظيم واخرى بالصغير عند مستبعد والذي اعتقده ان جبريل جسم جوزوا ان يكون لاجزاء اصلية قليلة واجزاء فضلية فتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبيه بصورة الانسان ولندرة امثال هذه الامور لا يلزم منها قدح في العلوم العادية المستندة الى الاحساس فلا يلزم الشك في ان زيدا الذي نشاهده الان هو الذي شاهدناه بالامس فقوله ان كنت تقيا اي ان كان يرجى منك ان تتقي الله وتجعل بالاستعاذة به فائدة به رمضك وقيل ان كان في ذلك العصر اناس اتقياء كان يتبع لنشاتهم فظنت ان ذلك الشخص فمستعاذ بالله وقيل ان نافية اي ما كنت تقيا حين استحلت النظر الى وخلوتي وحين علم جبريل خوفها قال انما انا رسول ربك ارسلني لاهب لك او ليهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب بيموعلى الزاهد والعفة وكيف زال خوفها بمجرد التمثل احتمل ان يكون قد ظهر لها معجز من جهة زكريا او ارهاصا لعيسى او الهاما من الله سبحانه وهل يقدر الملك على تركيب الاجزاء وخلق الحيوة والنطق حتى صح قول جبريل لاهب لك قال اجمعت الامة على ان لا قدرة للاجسام على ايجاد الجواهر واعدامها والا فالاستبعاد في تاثير بعض الاجسام في بعضها لخاصية خصها الله بها وجبر صعف هذه القراءة ان جبريل صار سببا في الحبل بالنفخ في الدرع فلا استغراب من جهة العادة لانه تسبب كما في قدرة الله التي يكون في غالم لم تفعل فيها ربا ما لانها تخاطب جبريل واما اكتفاء بما سلف في ال عمران ولم يمسسني بشر الحال بغيا هي الفاجرة التي تبغي الرجال عن ابن عزان اصله بغوي على فعول قلبت الواو ياء ثم ادغمت في الياء وكسرت الغين للمناسبة عن ابن كثير فيقبل والا لفعل فعول كنهوء المنكر حضضت بعد ما عمل زيادة الاعتبار بهذا الخبري بزهير لسانها عن الفحشاء ولما جري في اول القصة من تمثل جبريل لها بصورة البشر خطت انه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن منه بخلاف هذه القصة في ال عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله واذ قالت الملئكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحج الى هذه الزيادة وقال جار الله لما سمع عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه بقوله من قبل ان يمسسهن او لم يسم

النساء وانما بقي ان نا مخرجها وجب لها ونحو ذلك ولا يليق بهذه الكنايات والاداب فلنا لو سلم هذا من حيث اللغة الا انه لا بد لزيادة قوله ولم ار احدا
في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سبق لنا والله اعلم قال كذلك قال ربك هو علي هين بقيد وكما مر في وهذه زكريا ولنجعله اي ولنجعل الغلام او خلقه
اية للناس يستدل بها على كمال اقتدارنا على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز ان يكون معطوفا على يقابل مضمر يتعلق به ما بعد لنجعله هين
اي مخلوقا لنبين به قدرتنا ولنجعله اية وقدم مثل هذا في قوله ولقد مكنا ليوسف في الارض لنعلمه ورحمة منا على عبادنا الان كل شيء رحمة لامته فيه
يهدون الى مصالح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في اللوح او امرا حتما بان يقضي به لكونه لبيا ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح واجبة على الله
وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمأننا الى قوله فدنى منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى فرجها وقيل
في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخنا فيه من روحنا وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبريل كما ضاع ولا يتيما في قراءة من قرأ لاهب لك فقيل حملته وهي
بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد حاضت حيضتين قبل ان تحمل وكمدة حملها عن ابن عباس في رواية لسعة اشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت محملا
لحق فيها العادة لما امتاز بذكرها الله تعالى في ثمانية اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه لا يعود
الى مثل تلك الغمرة وهو مغمر معفن لسرعة حركته وغلبة البرد والرطوبة عليه وعن عطا وابي العالية لبثوا لصاحك سبعة اشهر وقيل تسعة اشهر وقيل حملته في ساعة
وصوبت في ساعة وضعت في ساعتين ذات الشمال يومها وعن ابن عباس في رواية اخرى كحملة بنت قوله تعالى مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون
ولعل ان التعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فجاءها المخاض وعلى هذا فالمكان القصي هو اقصى الدار او وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى
انتبذت به اعتزلت مثل تبسر به وهو في بطنها وقضي مبالغة فاضر وروي الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فاول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانت
سميته لهم وكانا يخدمان المسجد ولا يعلم اهل زمانهما اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء ولا احب ان اكتمه عنك فقالت قل
فلا تكتمني قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر قالت نعم اتعلم ان الله تعالى انبت الزرع يوم خلقه من غير بذر او تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى
يبتدئ بالماء اتعلم ان الله تعالى خلق ادم وامر انه من غير ذكر وانثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء وذلك انه من قلبه
وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضعفه وابتلاء الضعف من الحمل فحين دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك كيلا يقتلوا ولدك
فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت ذلك البلد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة فالجاء الله لها منقول من جا الا ان استعمله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجا لا بوجب المكان والجا فهو زيد كما يوتى لمعنى وابلغيته ونظيره اني حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت
المكان واتانيه فلان قلت حاصله بخضيص ما التعدية بعد بعيم والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل
سمع سماعا فيقال طلبت الجذع لتستظل به وتعتمد عليه عند الولادة هروي انه كان جذع النخلة يابسا في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان
الوقت شتاء والتعريف اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة اريد بها النظم
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء اي طعامها الموافق لها وكان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا يتم الابا للقاح فكان ذلك الرطب من تلك
الجذع في الشتاء من دون لقاح وابارد ليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف اسم ما من حقه ان يطرح ويبنى كحرقة الطامث ونحوها ونظيره
الذبح لما من شانه ان يذبح وعن يونس ان العرب اذا رأوا نخلة او اراد اسفل من مكانها الان مريم كانت اقرب الى الشجرة منها وكان جبريل تحت الكمة
ويجوز ان تكون تتميمة بالمصدر كالحمل وقرئ تساقط بالتاء وهو الحليب المخلوط بالماء ينشا اهله لقلته وتزاريه فنادتها من تحتها الذي هو تحتها
او انسان تحتها يعني جبريل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة او اراد اسفل من مكانها الان مريم كانت اقرب الى الشجرة منه او كان جبريل تحت الكمة
وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير ان المراد به عيسى لان ذكره يسلي اقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة بجب
ان تكون معلومة للسامع والذي علم كونه خاصا لتحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة قوله
سريا جمهور المفسرين على ان السري هو الجدول وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم لما يجري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخيا في مروءة وبين
فلان من سراوات قومه اي من اشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سراوات عن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القول ان النهر لا يكون تحتها بل الى
جنبها ولا يمكن ان يقال المراد ان النهر تحت امرها بجري بامرها ويقف بامرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر واجيب بان المكان
المستوي اذا كان فيه مبدا معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت واراد ان النهر تحت الامة وعلى قولها وابقى حمل السري
على النهر موافق قوله وايتنا ما الى بوبة ذات قرار ومعين وقوله فكلي واشربي روي ان جبريل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار وقد
الاول اقرب لان قوله قد جعل ربك مشعرا بالاحداث في ذلك الوقت قال الفقال الجذع من النخلة هو الاسفل عاد دون الراس الذي عليه الثمر وقال
فطرب كل خشبة في اصل شجرة هي جذع والباقي في قوله يجذع النخلة كالزايد لان العرب تقول هزه وهزبه والمعنى حركي جذع النخلة او افعلي الهز بجذعها
تمرا او مفعول تساقط على حسب القراءات اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز ان تضعفها هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة اي على جذعها

والجنى لما خوف طوبا والظاهر انه ما اثمر الا الرطب فقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه اثمر مع الرطب غيره فانوا اذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب
والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا اليوم لما انه يجمع لها في الشرب والرطب احدهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع ان ذكر الشرب مقدم
لان احياء النفس الى اكل الرطب اشد من احيائها الى شرب الماء لكثرة ما سال من الدماء والثانية سلوة الصدر لكونهما مجربين لذكرهما او
امرها صاحب العيش وكراستين لمريم واشار الى هذه بقوله وقري عينا لان قرة العين تلزم قوة الغلب والتسلي من الهموم والاحزان وقيل ان الم
النفس اشد من الم البدن فلما قدم دفع الم البدن على دفع الم القلب واجيبان الخوف النفسي كان قليلا لتقدم اشارة جبريل كما انا نذكر كافيا
فاما ترين اصلها ابين مثل يتمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم ما الضمير للساكنين وذلك بعد الحذف نون التاكيد وقد مر في قوله
اما يبلغن عندك الكبر ان التاكيد فيه الصورة بقصد ان الشرط ما سيقع غالبا فان مريم لا بد ان ترى احدا من البشر عادة عن انس بن مالك
الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيدة كل ممسك عن طعام او كلام او سير فهو صائم وقيل اراد الصمت الا انهم كانوا لا يتكلمون
في صيامهم قال القفال لعل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاخبار عن كلام البشر مجرد الفكر لذكر الله تعالى وهو قربة فلعله لا يجوز لما فيه
من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهي رسول الله ﷺ عن صوم الصمت وروي انه دخل ابو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت
انها لا تتكلم فقال لها ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي معناها هذا النذر ومعنى ان كلام صبي قوي في ازالة التهمة وفيه ان تفويض الامر الى
الافضل اولى والثاني ان السكوت عن جدال السفهاء اصوب للعرض ومر ان الناس بعيسى لم يجد مسائلها وكيف اخبرتهم بالنذر وقيل بالاشارة ولا
لوم الغض وقيل خصص هذا الكلام بالغريزة العقلية وقوله انسيا اراد المبالغة في نفي الكلام او اراد اني كلام الملائكة دون الانس هذا اشبه بقوله
فاما ترين من البشر فانت بري لعيسى فوهب لها الجارية حال عروقها وهب قال انشاها كربة الميلاد وما سمعت من الناس من كلمة الملائكة فلما كلمها جاءها
مصداق ذلك فاحملته فاتيت به الى قومها وعن ابن عباس ان يوسف النجار انتهى بهم الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت
تحمله تكلمها عيسى في الطريق فقالت له اماه ابتر بي فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها بنايا كوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا يا بدعا من قومي
الجلد وليس في هذا ما يوجب تعيرا او ذما لان امرها كان خارجا عن المعتاد ويحمل ان يراد انه امر منكر خارج عن طريق العفة والصلاح فيكون توبيخا
ويؤكد قولهم يا اخت هرون الآية واختلفوا في هرون فقيل كان اخا لها من ابيها من مثل بني اسرائيل هذا الظاهر لان حمل اللفظ على الحقيقة اولى من
غيره وقيل هو رجل صالح من بني اسرائيل يقال له هرون وروي عن النبي ﷺ انهم عنوا هرون النبي اخا موسى عليهما السلام وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن ابن السدي
كانت من اولاده والمراد انها من واحدة منهم كما يقال يا اخا هذان اي يا واحدا منهم وقيل اراد رجلا صالحا في زمانها اي كنت عندنا مثالا في الصلاح
يحكى ان بغيا من زناة بني اسرائيل يسمى هرون تعبدت فمر بها يوما فقالت ان رجلا طالحا معلنا بالفسق فشموها به بالتشبيه بشيء بعينه وروي انهم هموا
برجمها فاشارت ليسألوا عيسى هو الذي يحبكم ويعرفن ذلك اما بان كلمها في الطريق او بالالهام او بالوحي الى زكريا او بقول جبريل على
انا مر ما بالسكوت بعد ما سبق البشارة اشكاله الى ان قال وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن البيسكلما اشار اليه غضبوا وقالوا لتسخر
بنا اشد بنا من زناه ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال جار الله كان لا يقاع مضمون الجملة في زمان ماض منهم بصلح الغريب والبعيد وفهمنا
للزمان الغريب غير الحال بعدا لان الحال او هو حكاية حال ماضية اي كيف نكلم الناس صبيا قال المدحي نكلم مستانف ويحتمل ان يكون كان زائدة
نظرا الى اصل معنى وان كان بعيدا رتباط مع رعاية الفاصلة او يتمامه وصبيا حال مؤكدة بمعنى انه يرضع فلما سمع مقالتهم نزل الرضاع واقبل
عليهم بوجهه وانكاري بهم واشار بيده قائلا اني عبد الله فكان هذا اول رد قول النصارى اما في الكتاب هو الانجيل او التوراة فهمهما
وقيل اكمل الله عقله واستنباه لطفا بل في بطن امه وقيل اراد انه سيؤتى في صغائره او جعل الاتي لا محالة كالكائن فقد وجد والاول اظهر وصغر الجثم يقتضي
في كمال العقل وخرق العادة فيه اكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متعددا على المدحي وهو غير جائز ولو كان نبيا
في ذلك الوقت وجب ان يشتغل بتبيان الشرايع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا يدان يكون مقرونا بالتحدي
اما الكل فممنوع ويعبارة اخرى لا يدان يكون مقرونا بعضها بالتحدي للعادة فانه لا يلزم اقتران البعض بالتحدي وكذا الكلام في بيان الشرايع فان بعض
النبي لا يدان يقترن ببعض دون كل او قاله على انه اشار الى بعض النكاليف بقوله واوصاني بالصلوة والزكوة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا
لقوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جا بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على البديع وضعف بان النبي في عرف
الشرع اخص من ذلك ومعنى كونه مباركا اينما كنت نفاعا حيثما كنت روي ذلك عن رسول الله ﷺ وقيل معلما للخير وعمل الكثير من اهل الكتاب
باخذ لازمهم فيه لا يقدح في منصبه كما قيل على تحت الغواني من معانيها وما على اذا يفهم البشر وهذا منه الله في انبيائه ورسله كلهم وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا ابرى ان مريم سلمت عيسى الى المكتب فقال المعلم اوقفه لنملي عليه الف باء فقال له اكتب فقال له اي شيء اكتب فقال
اكتب ابجد فقال لا اكتب شيئا لا ادري ثم قال ان لم تعلمها هو فانا اعلمك الالف للاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من دوام الحق
وقيل البركة اصلها من بروك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه لا ازداد الا خيرا وهو يحيى الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن
حملك وثدي ارضعه فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن لا كما بالله واتبع ما فيه ورجا جبارا شقيا واوصاني بالصلوة والزكوة اي اداءهما اما

في وقتها المعينة وهو وقت البلوغ واما في الحال بناء على انه كان مع صغره كامل العقل تام التركيب بحيث يقوى على اداء التكاليف وتوجه نواهيه مادة منحيا وقيل الزكوة ههنا صدقة الفطر وقيل تطهر البدن من دنس الاثام وقيل اوصاني بان امركم بها وفي قوله وبرا بوالدتي دلالة واشارة الى براءة امه من الزنا والا لما كان الرسول المعصوم مامورا ببرها قال بعض العلماء لا يجد العاق الا جبارا شقيا وتلا قوله وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا ولا يجد عيسى الملكة الا مخبرا وقرأ وما ملكت بمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا وانما نفى عن عيسى الشقاوة والمعصية عنه المعصية كما نفى عن يحيى لما جاء في الخبر ما احد من بني آدم الا اذنب او هم بذنب الا يحيى بن زكريا ومن عفا بداهل السنة ان الانبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر وقوله والسلام علي قال العلماء انما عرف السلام ههنا بعد تنكيره في قصة يحيى لانه اذا تكررت نكرة اعيدت على ان الثانية غير الجنس فيذهب من تنكيره وقيل ان الاول من الله والثاني عنه كثير قليل منك يكفيني ولكن قليلك لا يقوله قليل والى الارض منك باهبذا الذي لو ابصره الواشي لقرت بلابله بلا وبان لا استطيع وبالمنى وبالوعد حتى يجاء الوعد عامله والثاني من عيسى في الكثير منه لا يبلغ معشار سلام الله عن بعضهم ان عيسى قال ليحيى اتخبرني سلام الله عليك وسلمت على نفسي واجاب الحسن بان تسليمه على نفسه هو تسليم الله عليه وقال الجبائي فيهذا التعريف تعريض باللعنة على منهى مريم واعدائها من اليهود لانه انما ازعم ان جنس السلام خاصة فقد عرض ان ضده عليهم نظيره في قصة موسى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب بقولي دون انه كلهم بهذه الكلمات ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان وعن اليهود والنصارى فيه انهم انكروا تكلم عيسى في المهد قلنا بين ان هذه الواقعة مما يتوفر الدواعي على نقلها فلو وجدت لاشتهرت وتواترت مع شدة غلو النصارى فيه ومناقبه وايضا ان اليهود مع شدة عداوتهم له لو سمعوا كلامه في المهد بالغوا في قتله ودفعه في طفوليته واجاب المسلمون من حيث العقل بانه لو لا كلامه الذي دلهم على براءته من الذي قذفوه به لا فاموا عليها الحد ولم يتركوها ولعل حاضري كلامه قليلون فلذلك لم يبلغ مبلغ التواتر ولعل اليهود لم يحضروا هناك فلذلك لم يشتغلوا وقتئذ بدفعه والله اعلم ذلك الموصوف بالصفات المذكورة من قوله اني عبد الله الى آخره هو عيسى مريم وفي كونه ابنا لهذه المرأة نفي كونه ابنا لله على ما زعمت النصارى وكد هذا المعنى بقوله قول الحق فان الحق هو اسم الله فهو كقوله كلمة الله وانتصاب على المدح وانكان بمعنى قوله الثابت والصدق انتصابه على انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة المتقدمة كقولك هو عبد الله الحق وقول الحق مرتفع اما على انه موصوف الى الصفة مثل حق اليقين وقدم ابقاء ان ارتفاعه على انه خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ومعنى تمترون تشكون من المرية الشك والمراد بما يمارون من المراء اللجاج وذلك ان اليهود قالوا ساحر كذاب وقالت النصارى ابن الله وثالث ثلثة ثم صرح ببطلان معتقدهم فقال ما كان لله ما صح له وما استقام ان يتخذ من ولد كما لا يستقيم ان لا يكون له شريك وقد مر مثل هذه الاية في سورة البقرة والذي نزيده ههنا ان بعضهم قال معنى الاية ما كان لله ان يقول لاحد انه ولدي كما ان هذا الحجر كذب الكذب لا يليق بحكمته نقض وزعم الجبائي بناء على هذا التفسير انه ليس لله ان يفعل كل شيء لان قوله ما كان لله ان يتخذ ولدا كقولنا ما كان لله ان يظلم فلا يليق شيء منها بحكمته وكمال الهيبة واجيب بان الكذب على الله محال والظلم يصرف في ملك الغير فلا يتصور في حضرة الربوبية فلا نزاع وان اردتم شيئا اخر فاذكروه لنتكلم عليه ثم احتج بعض الاشاعرة بالاية على قدم كلام الله لان قوله كن ان كان قديما فهو المطلوب وانكان محدثا احتاج في حدوثه الى قول اخر ويتسلسل واستدل المعتزلة بها على حدوث كلام الله قالوا ان قوله اذا قضى للاستقبال وذلك القول مما خرج القضاء الحدوث والمتاخر عن المحدث محدث وايضا الفاء في فيكون للتعقيب والقول متقدم عليه بلا فصل والمتقدم على المحدث بزمان قليل محدث وكلا الاستدلالين ضعيف لانه لا نزاع في حدوث الحروف وانما النزاع في كلام النفس وايضا قوله كن عبارة عن نفاذ قدرته ومشيته والا فليس ثم قول ولا خطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصيل الحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قوله هو كن صفة التكوين فانها دالة على صفة القدرة لانه قادر على ما لم يوجد سوى هذا وغير يكون لها ولعل هذا الزاعم سمى تعلق القدرة بالمقدور تكوينا ومن قرأ وان الله بالفتح فمعناه ولان الله ربي وربكم فاعبدوه وقيل ان الربوبية هي سبب العبادة فمن لم يصح عبادة الله تعالى ربوبيته لم يستحق ان يعبد ولا رب بالحقيقة الا الله كما تقدم جميع الوسائط في الاسباب المؤثرة فلا يستحق العبادة الا هو وههنا نكتة وهي ان الله تعالى لا يصح ان يقول ان الله ربي وربكم فاعبدوه فالتقدير قال انا محمد بعد اظهار البراهين الباهرة على ان عيسى عبد الله ان الله ربي وربكم وقال ابو مسلم الاصفهاني انه من تمام كلام عيسى وما بينهما اعتراض وعرفوهب منبه عهدا لهم حين اخبرهم عن حاله وصفته ان كلنا عبد الله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم اي من بين اهل الكتاب قال الكلبي هم اليهود والنصارى وقيل النصارى اختلفوا ثم تفرقوا على ان يرجعوا الى علمائهم ويسألوهم ويستفتوهم وكانوا ثلثة نسطور ويعقوب وملكا فقيل للاول ما تقول في عيسى فقال هو ابن الله فانا بعد عنه ثم صعد الى السماء فتبعه على ذلك خلق كثير وهم اليعقوبية وسئل الثاني فقال هو ابن الله فتابعه عنه فرقة وهم النسطورية وسئل الثالث فقال كذبوا وانما كان عبدا مخلوقا نبيا يطعم وينام فضارا خصه وهو المؤمن المسلم وقيل كانوا اربعة والرابع اسمه اسرائيل فقال هو الله وامه الله والثلثة اقانيم والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فيه طول وقد يجيء الكلام فيه الى مقامات يصعب الترقي اليها فلذلك للفاضل فيه مزلة ومضل وذلك عند من ضل والله سبحانه اعلم من جميع ذلك واجل فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم هذا الجزاء والحساني ذلك اليوم او من زمان شهودهم او من مكان شهودهم غيره وهو الموقف ويحتمل ان يكون المشهد مصدرا بمعنى الشهادة اي من يشهد عليهم الملئكة والانبياء او جوارحهم فيه بالكفر والقبائح او من مكان الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى امر يوم ولادته ومعنى التعليل الى لولهم من اجل المشهد وبسببه لتمكنهم واصرارهم للتعجب والمراد ان هاتين

الحاسبين منهم حيران يتعجب منهما في ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا في الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشئ بسبب عظمه ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير سبب قال اصفهان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون فقال ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابرهيم النخعي فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه والمعنى انه صدر من الله فعل او صدق مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب فلو بهم وقيل معنى الاية انهم سيسمعون ويبصرون يوم يأتوننا فسوف هم وقيل اراد اسمع بهم وابصر بهم والمعنى انهم يعتبرون ويسوءهم فيهم والوجه هو الاول ويؤيده قوله لكن الظالمون اى الكافرون فوضع المظهر موضع المضمر ليرتب عليه ما يليق به وهو يوم التكليف ضلال مبين حيث اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد في تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة ليحزن اهل النار فيه وقيل اهل الجنة اذ ذاك اى اذ رأى الاشقى مقام الاعلى والاول اصح لان هذه الخواطر لا توجد في الجنة لانها دار السرور وانما بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة ومعنى قضي الامر فرغ من الحساب وصار الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي انه سئل عنه فقال يؤتى بالموت يذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرحهم واهل النار غما الى غمهم قال ارباب المعقول ان الموت عرض قال ويمكن ان يصير جوهرا فالمراد انه يؤتى بعد ذلك عرض الحسن وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين وقوله وانذرهم اعتراض ويحتمل ان يتعلق بانذرهم اى انذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل ان يكون ظرفا لانذر اى انذرهم حين قضى الامر بتبيان الدلائل وشرح الثواب والعقاب اثر حكايته انهم في غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن نرث الارض ومن عليها يزول وان الخلق كلهم يرجعون الينا حيث لا يملك الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه النار ويل وادرك الكتاب لانه يدرك من اهلها تقرب من اهل الدنيا منوها الى جانب شرف النور الالهي فاتخذته من دونهم حجاب الخلوة العزلة وارسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الرباني والخاطر الرحماني كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد يجردون الا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت اني اعوذ بالرحمن منك ظنا منها انه يشغلها عن الله قال انما انا رسول الوارد الرباني لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسية وهو النفس المطمئنة القدسية وهم يمسسني بشر خاطر من عالم البشرية ولما ابعدها الطلب غيرتها خلفت كاجلد وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا لانفكاره الى العبودية على منازل البشرية بعد الطريقة فجاءها المخاض الطلب التعب الجذع النخلة وهي كلمة لا اله الا الله التي كان اصلها ثابتا في ارض نفسها قالت يا ليتني مت قبل هذا قال بعض اهل التحقيق وهذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال علي لو علمت يوم الجمل ان يبلغ هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال ليت بلالا لم تلده امه وقيل لم تلم فانه لو علمها بامان لتمنى ان يدخل النار خلفا كثيرا بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير في جنابها قلت فهم القلب قالت يا ليتني مت عن الذات الجسمية قبل هذا الوقت الذي ورث بالذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان المحول زاجر والشهرة آفة فتاه بها بلسان الحال من تحت نصرها من الان لقوى الاخرى فدحل ربك تحتك اى تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود او جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزي اليك بجذع النخلة بالمداومة على الذكر بشاقة عليك رطبا جنيا من الشاهد الذي المكاشفات حالا فحالا فكلي واشربي من خوان الافضال وقري النوال من مادة ابيت عندي بطعمني ويسقيني وقري عينا مما نوار الجمال في حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما اي امساكا عن الدنيا وملابسها وعن الالتفات لغير الله فان بروزها من مادة الجمال انكار لحال اهل الكمال يا اختهرون النفس المطمئنة او الامارة بنا على ان هرون كان صالحا او طالحا ما كان ابوك وهو الروح المفارق امرأة وما كانت امك وهي القالب بغيبتها انسانا الى غير عالم الطبيعة التي خلقت لاجلها فاستارت المادة فيه ان هذا القوم من اهل الاشارات لما مهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح في مريم القالب ليس ابنا لله ولا محالا له ولا نفسه خلف لاجراب فقوم عبدوا الله لاجله وقوم عبدوه طمعا في جنته وقوم عبدوه للهوى وذلك قوله وقيل للذين كفروا اسمع بهم وابصر بهم يوما يأتوننا لانهم بالله ليسمعون ويبصرون

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا

ويا دكن در كتاب ابرهيم را بدرستيكه او هست راستكو پيغمبر چون گفت مر پدر خود را اى پدر بدرستيكه چيزرا كه مى پرستيد

يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ

دفع نميكند از تو چيزى را آمد مرا از علم پس پيروى كن مرا راه مينمايم ترا راهى راست اى پدر

لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ

بندگى مكن شيطان را بدرستيكه شيطان باشد مر خداى را نافرمان اى پدر بدرستيكه من مى ترسم اينكه برسد ترا عذابى از خداى پس باشى

لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ

مر شيطانرا دوست گفت آيا روگردانى تو از خداوندان من اى ابرهيم سنگسار كنم ترا از روى زبان دور شو

عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ

بر تو زود باشد كه آمرزش خواهم مر تو را خداى من بدرستيكه او هست بمن مهربان و كنارة گيرم از شما و آنچه مى پرستيد از غير خدا و بخوانم پروردگار خود را

أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

اميد هست كه نباشم بدعا بر پروردگار خود نااميد پس چون كناره كرد از ايشان و آنچه مى پرستيدند از غير خدا وبخشيديم مر او را اسحق و يعقوب

وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ
وهر یک را کردانیدیم پیغمبر وبخشیدیم مر ایشان را از رحمت خود وکردانیدیم مر ایشان را زبان راست بلند ویاد کن در کتاب موسی را بدرستیکه او
كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
بود پاک وبفرستاده پیغمبر وندا کردیم او را از جانب کوه طور دست راست وزدیک بخود او را راز گویان وبخشیدیم او را از رحمت خود
أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ
برادر وی هرون را پیغمبر ویاد کن در کتاب اسمعیل را بدرستیکه او بود راست گوی بود وعده وبفرستاده پیغمبر ودیگر
يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
بار میکرد اهل خود را بنماز وزکوة وبود نزدیک پروردگار خود پسندیده ویاد کن در کتاب ادریس را بدرستیکه او بود
نَبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا
پیغمبر وبلند کردیم او را مکان بلند انکسانند که انعام کرد خدا بر ایشان از پیغمبران از نسل آدم
مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا
با نوح وازفرزند ابراهیم واسرائیل وازانکه راه نمودیم او را وبرگزیدیم او را چون خوانده شد بر ایشان
سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
سجده کنندگان وگریان پس ترسید از بعد ایشان فرزندی که ضایع کردند نماز را ومتابعت کردند آرزوها را پس زود باشد که ببینند جزای بد
إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي
مگر انکه توبه کرد وبگروید ودر کار نیک پس انکسان درآیند بهشت ودرآیند بهشت را هیچ چیزی را
وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ
بهشتهای را که وعده کرده است خدای بندگان خود را بدرستیکه او باشد وعده او آورده شده لغو نمیشنوند در آن بهشت هیچ سخن بیهوده را مگر سلامتی ودرایشان
رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ
روزیشان در آن بامداد وشبانگاه این بهشت است که میراث دهیم از بندگان خود هر که باشد پرهیزکار ومرورد میاییم
رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
بفرمان پروردگار تو مر اوراست آنچه پیش ماست وآنچه در پس ماست وآنچه میان اینست ونباشد پروردگار تو فراموشکار پروردگار آسمان وزمین
وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ القراءة قرأ السري انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو
وآنچه میان آنهاست پس پرستید او را وصبر کن مر عبادت کردن او را آیا میدانی مر او را همنامی
مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل وابو
بكسرها ابراهيم وما بعده هشام والاخفش عن اليزيدي وان اذا بتلى بالياء التحتانية وكذا في سورة الحج وتنبت بورش بالتشديد ويبر الوقف لهم
بناه شنيده سوى لا تعبد الشيطان ط عصياه ولياه بابراهيم وقد يوصل ويوقف على الهوى عليا سلام عليك للابتداء بسين الاستقبال مع ان الفعل
واحد لان زكريا دعا وعوف لانقطاع النظم والوصل اولى لان عسى للطمع والاجابة فيوصل بالدعاء شقيا من دون الله لان ما بعده جزاء الحال ويعقوب
نبيا عليا موسى للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ومجيء اسمعيل للامر بنبياه للتبرع العطف ان كوة مرضيا اذ يتبين
عليا مع نوح على تقدير ومن ذرية ابراهيم وما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجر من وقف على ذرية آدم او على اسرائيل والاصح ان الكل عطف على ذرية آدم
والوقف على قوله واجتبينا لان الاجتباء يحتاج الى الحرف ويرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا عياء مرضيا الاتباء على ان جنات بدل من الجنة بالعطف بتبعيض
سلاما وعشيا تقيا بالرب لا لاختلاف الجملتين ذلك لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض بينهما لان ما بعده بدل او خبر
مبتدإ محذوف لعبادته سميا التفسير كان الذين اتبعوا معبودا سواه منهم من اتبع معبودا جمادا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الاوثان
وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثاني اضل وبين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني فنذكر اجمالا لان الاسهل الى الاصعب وانما بدء
بقصة ابراهيم عليه السلام لانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وكمال دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدة فقلدوه في ترك عبدة الاوثان وعبادتها وان كنتم
مستدلين فانظروا في الدلايل التي ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلوه ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبا ابراهيم والاظهر سبحانه
هو الذي بدأ ذكره في نبزه وقوله اذ قال بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض ولكان هذا الاعتراض صالحا للوقف على ابراهيم مطلقا وجوز في الكشاف ان يتعلق
ان يكون او يصدقا بنبيا ايكان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والصديق من ابنية المبالغة وفي مبالغة
صادق لان ملاك امر النبوة الصدق واما نبيا فغير مصدق وذلك لكثرة تصديقه الحق وهذا ايضا بالجهة نعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعصي تصديقه
الا اذا كان صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا في قوله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله وعند

الناس محبب جعلوا واسطة بينه وبين عباده وقيل انكان بمعنى صار والاصح انه بمعنى ثبوت والاستمرار اى انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة فى الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء فى يا ابت عوض من ياء الاضافة وقدم فى اول سورة يوسف ورد على ابيه الدليل والنصايح وصد كلا منهما بأشد المنضمن للوقوع واللين سنة الغلب بهما وامتثالا لامر ربه على ما رواه ابو هريرة ان رسول الله ﷺ قال وحى الله الى ابراهيم انك خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتى سبقت لمن حسن خلقه واطعم الطعام وطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام ادخله الله من حظيرة القدس وادنيه من جوارى فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر بمعنى المفعول لا منه برفان الغرض نفى الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة او موصوفة اى الذى لا يسمع ومعبودا لا يسمع وشيئا مفعول به من قوله اغن عنى وجعلها اى دفعه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اى شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اى لا يسمع شيئا من الاسماع الى آخره وحاصل الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا اشرف الموجودات لا اخسها وهو الجماد غاية عدم شعور فمن ذلك هى انها تماثيل اشياء بصور نفعها او ضرها كالكواكب وغيرها فيتوهم لهم التاثير كالكواكب وسائر الممكنات ينتهى الاحتياج الى الواجب لوجوه فاجعل شيئا من هذه الاشياء معبودا فقد تصور الممكن والواجب فى نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسايط من البين ادخل فى الاخلاص واقرب الى الخلاص وقوله يا ابت الى قد جاءنى نبأ يقينا وبصيرة وغيرانى هذا العلم يحتمل حصوله فيكون اقرب الى التصديق وفى نبإ العلم ما لم يأتك فائدة هى انه لم يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال انه معى طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب انا فى مغازة وعندى معرفة بالطريق دونك فاتبعنى اهدك صراطا سويا مستويا مؤديا الى المقصود وهو سلاح المعاش والمعاد استدل اولا بالمعلوم بالاية فانه لا بد من الاتباع واجيب بانه لا يلزم من اتباع النبى اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق اسهل ثم اكد المعنى المذكور بتصحيح اخر وزاد عما هو عليه قائلا يا ابت لا تعبد الشيطان اى لا تطعه فان عبادة الاصنام من طاعة الشيطان ثم اسفط حصة نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لبنى ادم بل قدم حق ربه فقال ان الشيطان كان للرحمن عصيا حين ترك امره بالسجود عنادا واستكبارا لا استيانا وخطأ بهم هذه البصيرة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وان الرحمن مصدر كاخوه الشيطان منظور كل شر بديه لانه الموضوع اللغوى هذا الذى كان من البين لمن تامل وانصف ثم بين لباعث على هذه النصيحة فقال يا ابت انى اخاف وغيره مع التخويف من سوء العاقبة انواع من الادب اذ ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال القراء معنى اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره لان ابراهيم عليه السلام لم يكن جاهلا بموت ابيه على الكفر والا لما اشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع انه لم يلم من ذلك كما يقول انا اخاف على ولدى ذكر وا فى الولى وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان فى النار واللعنة سبب الاهانة وسببها غالبا والطلان احدهما على الاخر مجاز وليس هناك ولاية حقيقية لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين من قبل ومنها ان نجعل العذاب على الحدلان ومنها ان الولى بمعنى التالى التابع قال جار الله جعل الولاية الشيطان ودخوله فى جملة اتباعه واوليائه اكبر من نفس العذاب لان ولاية الشيطان فى مقابلة رضى الرحمن وقال عز من قائل ورضوان من الله اكبر واذا كان رضوان الله اكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان اعظم من عذاب النار ثم ان الشيخ قابل ما لطفات ابراهيم بالفظاظة والغلظة فائلا اراغب انت عن الهتى يا ابراهيم فقدم الخبر على المبتدا اشعارا بانه عنده اغنى وفى هذا الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته فى قوله يا ابراهيم دون ان يقول يا بنى فى مقابلة يا ابت هناك وبين كيف كان وقد صرح بالاهانة قائلا لئن لم تنته لارجمنك باللسان اى لاشتمنك او باليد اى لاقتلنك واصل الرجم بالرجام ثم هيهنا اضمار اى فاحذرنى واهجرنى مليا اى زمانا طويلا من الملاوة او اهجرنى سالما من ملاوة الذنب بان مطهرا له فوبا عليه قبل ان اتحنك بالضرب فلما راى ابراهيم اصرارا بيه على الكفر والجاهلية قال سلام عليك يعنى توديع متاركة كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه ان متاركة المنصوح اذا ظهر منه امارات اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل ان يكون قد متاركه بالسلامة تشبثا لدرور فقابه بدليل قوله سا ستغفر لك ربى انه كان بى حفيا بليغا فى البر والالطاف وقدم فى اخر الاعراف احج بالاية بعض من طعن فى عصمة الانبياء فى انه استغفر لابيه الكافر وهو منهى عنه لقوله ما كان للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولقوله قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم الى قوله الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التاسى والجواب لعل ابراهيم عليه السلام لم يجد فى شرعه ما يدل على القطع بتعذيب الكافر او لعل هذا الفعل صدر من باب ترك الاولى او لعل الاستغفار بمعنى الاستبطا كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى سا سئل ربى ان لا يجزيك بكفرك ما دمت حيا والجواب فى الحقيقة تام فى اخر سورة التوبة فى قوله عز من قائل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والمنع من التاسى لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من فضايله كما ان كثيرا من الامور كانت مباحة للرسول وهى محرمة علينا ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم اى اهجرا لى الشام واعتزل فاندعوا اى ما تعبدون من دون الله وقد يعبر بالدعاء عن العبادة والدعا كما يجى فى سورة الشعراء وفى قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربى شقيا اغريض بشقاوتهم بدعا الهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس استشفا من لفظ عسى وقال العلما ما خاطبه على احد ان ابراهيم لما ترك اباه الكافر ونوح ولده المؤمن وزاد ابنه عوضه الله اولادا مؤمنين انبيا وذلك قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم شيئا من رحمتنا عن الحسن اى النبوة وعن الكلبى المال والولد الاظهر انها عامة فى ذلك كله جزيى ونبوى ان الصدق الثنا الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطول بها وهو العطية وقدم تحقيق الاضافة فى اول يوسف فى قوله قدم صدق ثبرا ابراهيم من ابيه لابتغاء رضاء الله فنسأل الله لنا ايها المؤمنين ملة ابيكم ابراهيم وقل ربه للجبين فعداه الله بذبح عظيم واسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا

وسلاما واشفق على هذا الامر فقال وابعث فيهم رسولا فاشكر الله في الصلوة على النبوة في الصلوات الخمس في حوشاره كما قال ثم وابرهيم الذي وفى فجعل موطئ قدميه ايثارا واتخذ من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم ففي قصة ابرهيم تعيير موسى لانه نلوم في الشرع والمخلص بكسر اللام الذي اخلص العبادة عن الشرك والرياء اخلص وجهه لله وبالفتح الله الذي اخلصه لله وكان رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا ان رعاية الفاصلة اقتضت عكسه ذلك كقوله في طه بربهرون وموسى الايمن من الايمن اي من ناحية اليمن من موسى وهو من اليمن صفة للطور او الجانب وقربناه حالكونه منجيا اي مناجيا تبر تكليمنا اياه من غير واسطة ملك يقرب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن ابن عباس ان الله رفعه الى السماء السادسة حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التوراة والاول اظهر ومنة نوالهم للعبادة تقرب للملائكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فكونوا بدلا وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا الحمار زيدا ونبيا حال من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فيضرب الحبة الى معاضدته ومؤازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي وخصا شمعيل ابرهيم بصدق الوعد وانكان لانبيا كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله اولانه اشق المتواصفين من خصال الرفق لما نذر ذلك وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره فمكان فانتظره سنة عن رسول الله انه واعد رجلا وبقي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد بعده الى اي وقت ينتظره فقال اذا واعد ولم يوقت فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء بالاحق الديني والدنيوي بمن هو اقرب وقوا انفسكم واهليكم نارا ايدابمن يقول ويجب ان يبدأ اهله امتثالا لقوله واباعد من حيث انه يلزم في جميعها ما يلزم المرء في اهله خاصة من قضاء حقوق النصح والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج الصلوة الصلوات المفروضة والمندوبة كصلوة التهجد وغيرها واما الزكوة فالاقرب انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص لان فيها طاعة الله وانا اوردس فالاصح انه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر اوانه اعجمي عربي بدليل منع الصرف كما مر اوانه اعجمي وفيل افعل من الدرس لكثرة دراسة كتاب الله ولعل معناها الاعجمية وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب اول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجاد اذ خ لانه يخرج ملل بن منوشلخ بن اخنوخ واهل البيضم بعضهم يموتون هرمى ولهم نوادر في استخراج طوالع الموالبد ينبئ البر وفيل ان الله تعالى رفعه الى السماء الى الجنة وهو حي لم يمت وقال اخنوخ رفع الى السماء وقبض وصعد عن ابن عباس انه سئل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاء ملك الموت خليلا لي الملك فقال ان يكلم ملك الموت حتى يؤذن في قبض روحه فذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح اذريس في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت اذريس فراى ملك الموت فقبض روحه هناك وعن ابن عباس انه رفع الى السماء السادسة وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شئ اعلى منها اولئك المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين انعم الله عليهم من النبيين من الذرية لان جميع الانبياء منهم عليهم من ذرية ادم سوى ابليس لبعضهم كذا في قوله ومن جملة من نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل هما ادريس هو من ذرية ادم ادريس لقربه من يحيى بن يرد من جملة نوح ابرهيم لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابرهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى منهم لان مريم من ذرية ادم ومن هدينا بحمل العطف على الاولى والثانية وفي هذا الترتيب دليل على ان هؤلاء الانبياء اجتمع لهم مع كمال الاجتباء شرف الانساب ان جميع ذلك بوا هذا الله وبمزيد اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلت الذين جزاء الوشرطا كان اذا يتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة لهم كان خبرا وقد عرفت في الوقوف سائر الوجوه من قرئ يتلى بالتذكير لان تانيث الايات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكي جمع باك كعجول في ساجد لبدلت الواوياء وادغمت وكسرها قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه فرق بينه وبين سجدا عن رسول الله اذا تلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم اراد بالايات التي فيها ذكر العذاب فان غير هذا الطراق الايات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل اية اذا تذكرها المتذكر رجي ان يسجد عنده ويبكي فلت لعل المراد باياته ما خصهم تعريفه من الكتب المنزلة لان القران لم يكن مزبلا واختلفوا في البكي فقيل هو الخشوع والخضوع وفيل الصلوة وفيل سجدة التلاوة على حسب اعتقادهم ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال ابن جريج الانسان في حال خروره لابكون ساجدا فاذا خروا منتهين للسجود عن رسول الله اقرؤا القران يحزن فاذا نزل يحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة قال سبحان الله لا تفعلوا ايما السجود حتى تبكوا فان لم تبك احدكم فليبك قلبه وقال العلماء يبدي في سجدة التلاوة بما مر في سجدة الصلوة فان قرا اية تنزيه قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا ما فيها السوء قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وهما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا للغير في سيرتهم وصفة اضدادهم تنفيرا للناس عن مثل فعلهم فانا لا نخلف من بعدهم خلف وهو عقب السوء كما مر في الاعراف فاضاعوا الصلوة في مقابلة الجزء وسجدا وابتاع الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت للاب وعن ابرهيم النخعي ومجاهد اضاعوها بالتاخير وعن علي في قوله واتبعوا الشهوات ان من بنا الشديد وركب الشهور وليس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة قوم يقولون غيا قال الجبار الله كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف اي ذا غي

كقوله ليلى اثاما اى مجازاة اثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد في جهنم تستعيذ منه اودية اجتمع بعضهم بقوله الا من تاب وامن على ان تارك الصلوة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون ثم الكفرة او اليهود كما يروى عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتمل الاشارة في ان العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير واجاب الكعبي بانه عطف الايمان على التوبة مع انهما من الايمان ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها شرطه لانها العزم على الترك والايمان قرار بالجنان واتيان بالشهادتين وقال في الفرقان وعمل عملا صالحا لانه اورد بعد ذكر المعاصي فلا وجه للتوبة واطال فاطال هنا وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب الكفرة ومن ولد بعد وقت الصلوة او كانت المرأة طاهرا ثم حاضت ثم ماتت فهو من اهل النجاة مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف ثوابها على ان تقديم الكفر لا يضرهم بعد ان تابوا ويحتمل ان ينتصب شيئا على المصدر اى شيئا من الظلم ومعنى جنات عدن قد مر في سورة التوبة في قوله ومساكن طيبة في جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلافا لما يعتقده اهل الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدل منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التي قال جار الله عدن علم لمعنى العدن والاقامة وهو علم الارض الجنة لكونها مكان المؤمنين ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي ومعنى بالغيب مع الغيب اى وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة او وهم غائبون عنها لا يشاهدونها او انها للتبيين اى وعدها عبادها بسبب يتصفون بالغيب والايمان خبر ان كان المتقين وقوله انه كان وعده مأتيا بالاولى اسب وهو مفعول بمعنى فاعل او على اصله لان ما اتى لا فقد اتيه وجوز في الكشاف ان يكون من قولك اتى اليك احسانا اى كان وعده منعولا بمعنى قوله الا سلاما استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا اطائل تحته كما تقدم في تأويل اللغو في البقرة وفي المائدة اى ان كان لتأثيم بعضهم على بعض او لتأثيم الملئكة عليهم لغوا فلا يسمونه لغوا الا لذلك كقولهم عتابا لسيف اسنثناء منقطع اى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز ان يكون متصلا بتأويل اخر وهو ان معنى لا يسمعون فيها الا سلاما لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ومعنى السلام الدعا بالسلامة واهل دار السلام عن الدعا بالسلامة اغنى فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفي الآية تنبيه ظاهر على وجوب انفاء اللغو حتى عن الدار التي لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما احبوه في الدنيا فلذلك ذكر اساور الذهب واللؤلؤ في الجنة التي كانت للعجم والاراك التي هي الجنان المثمرة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن ولا شئ كان احب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك فقال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا بكور ثم ليل ولا نهار ولكن على مقدار الغداة الى العشي وقيل اراد دوام الرزق كما تقول لنا عند فلان صباحا ومساء تريد به الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التي نورث كقوله في الاعراف ونودوا ان تلكموا الجنة اورثتموها وعبر استعارة اى يبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال المورث منه قال الفاضي الايذان بان الجنة تختص بمن كان متقيا غير مرتكب للكبائر واجيب بمنع الاختصاص وبانه يصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر سئل ههنا ان ق

قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في انزاله بكرر لفظ الرحمن في سورة تكرير وفيها السورة وتاتيها اهل يعلم سمي باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل كما لا تسمية الثاني وقيل وذكر في الكتاب الاول ابراهيم القلب انه كان صديقا للمصدق ومن ثم سمي بالصادق صدق في اقواله وصادق صدق في افعاله وهو الوصف بصدق في قيامه مع الله في الله بالله وهو الفاني عن نفسه الباقي بربه يراد فقال لا يبعد الروح الذي يعبد ضم الدنيا بتبعيته النفس قد جاء في مر العلم اللدني ما لم يأتك ان القلب محل للفيض الالهي قبل من الروح كالمرآة فانها تقبل النور لصفائها وتعكس النور عنها لكثافتها وصفالتها وهنا لما سمى السر ويعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور الايمن سمعنا موسى القلب من جانب طور الروح لامن جانب الوادي النفس الذي هو على اليسرة وكان يأمر اهله اي الجسم والنفس القلب الروح بالصلوة لم توجد كل منهم توجهها يليق بحالها وبالجملة اي تزكية كل واحد منهم من الاخلاق الذميمة ورفضناه مكانا عاليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر ضرعوا بقلوبهم على عتبة العبودية بتحقيق التسليم للاحكام الازلية وبكيا بكاء السمع بدوام الوجد على نار الشوق والمحبة عيانا وهبا الغيب بعتبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى المؤمنين اموالهم وانفسهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم ورضوانه على ما جاء في الحديث اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشيا وما تنزل الا بامر ربك الى قوله وما كان ربك نسيا اي ما كان الله ناسيا لاهل الغفران من ارادة قال الغفران يا اهل الطبيعة افيقوا من المنمنيات فانا ما تنزل من عالم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا يحتاج الى تذكير منه بل هو رب السموات الارواح وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار فاعبده بأركان الشريعة بجهدك وباداء الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله وبالبقاء بربك هل تعلم له نظيرا في المحبوبية لك والله اعلم بالصواب

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا

ومیگوید اورا آدمی لا او فهمیدکه بهم رود باشد بروان ایم زندگی آدمی لا بفکر میکند که ما افریدیم اورا از پیش و بنجه چیز

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى

پس قسم بپروردگار تو که فراهم کنم ایشان را و دیوان را پس حاضر سازیم ایشان را گرد جهنم بزانو درآمده پس بیرون آریم از هر گروهی کدام ترا بدتر

الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا

خدای آمرزگار بسیار کرم پس ما داناتریم بآنکه ایشان سزاوارترند بدرآمدن و نیست از شما مگر رسنده باشد بپروردگار تو جزم حکم کرده شده

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

پس رهانیم آنانکه پرهیزگاری کردند و بگذاریم ستمکاران را در آن بزانو درآمده و چون خوانده شود بر ایشان آیتهای ما روشن گویند کفار آنانکه کافر شدند

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا

مر آنانرا که ایمان آوردند کدام از دو گروه بهتر مکانی و نیکوتر مجلسی و چه هلاک کردیم پیش ایشان از قرنها بیشتر که نیکوتر بود متاع و هیئت

قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

بگو هر که باشد در گمراهی پس مهلت دهد برای او خدای مهلتی تا به بینند آنچه وعده کرده شدند یا عذاب دین و یا عذاب قیامت

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

پس زود بدانند هر که او بدتر است مکانش و ضعیف‌تر سپاه و زیاد میکند خدای آنانکه راه یافتند راه یافتنی و کارهای پسندیده

خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ

بهتر است نزد پروردگار تو ثواب و بهتر است بازگشت آیا پس دیدی آنکه کافر شد بآیتهای ما و گفت داده شوم البته مال و فرزند آیا مطلع شد بر غیب

أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا

یا اخذ کرد نزد خدای عهدی نه چنان است زود بنویسیم آنچه میگوید و دراز کنیم مر او را از عذاب دراز کشیدنی و میراث گیریم از او آنچه میگوید و بیاید نزد ما

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ أَلَمْ

و گرفتند از غیر خدا خدایان تا باشند ایشان را عزیز نه چنان است زود باشد که انکار کنند بپرستش ایشان و باشند بر ایشان دشمن لا

تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ

بر کافران حرکت دهنده بکفر پس تعجیل مکن بر ایشان جز این نیست ما میشماریم مر ایشان را شمردنی روزیکه جمع کنیم

الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ

پرهیزکاران را بسوی خدای فرخنده و بسوق رانیم گنهکاران را بسوی دوزخ تشنه مالک نباشند شفاعت را مگر

عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ

آنکه گرفت از خدای عهدی و گفتند گرفت خدای فرزندی بر چیز زشت نزدیک است که آسمانها شکافته شوند

مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا

از آن و بشکافد زمین و بیفتد کوهها نابجا که خواندند مر خدا را فرزندی و سزاوار نیست مر خدا را اینکه بگیرد فرزند

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصٰيهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ
هست هر کس در آسمانها و زمین مگر آید بخدای رحمن بنده را هر آینه بشمرد ایشان را و شمرد ایشان شمردنی و همه ایشان
آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فَرْدًا إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا فَإِنَّمَا
بیایند روز قیامت تنها و درین صفت کرامند بندگان ما هر آینه گردانند برای ایشان رحمن دوستی پس جز
يَسَّرْنٰهُ بِلِسٰانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ
نیست مگر که ما آسان کردیم قرآن را بزبان تو تا مژده دهی بان پرهیزگاران را و بیم دهی بان گروه ستیزه کار را و چند هلاک کردیم پیش از ایشان از قرنها
هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا الْقِرَاءَةُ إِذَا مِثْلُ انكم فى الانعام بذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم
آیا میبینی از ایشان کسی را یا میشنوی ایشان را آواز پوشیده

وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والحزاز عن هبيرة الباقون بفتحهن من النظر الوقوف حبّاه شيّاه جيّاه للا
بفتحهما رتبا بالتشديد ابو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة فى الوقف وعن حمزة ايضا بالهمزة فى الوقف ليدل على اصل اللغة
وللعطف عيناه لدن للصلياه واردها لانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقتضياة تقريبا للبخاة من الورود مع ان ثم لن يدل الجبا جباه امنوا
الاخرون بهمزة بعدها باء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلى الاخرون بفتحهما بكار على الذكر نافع وعلى بفتحتين مر الانفطار ابو
لان ما بعدها مفعول قال ندباه وردّاه مدّاة لان حرف النداء حذف لدلالة الاولى ابتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو امنوا الساعة الابتداء
النهد بجدّاه هدّاه مرّاه وولداه الابتداء الاستفهام للتقريع عهداة للمرجع كلاط مداة للعطف فراه نصف الجزء عزّاه كلاط ضدّاه ازالة الخجل
عليهم طعداه وفداه وردّاه لدلالة التشبيه الجملة بالوصف لهم عهداه حذر امن ابهام العطف لداه اذا الان ما بعده صفة هذا لان هذا التقدير لان
دعوا ولداه عبداه وفراه وداه لداه من قرن ط ركزا ه التفسير لما امر بتبشيره وانذاره بالتبشير ان يعبد والله ويصطبر والعبادة ترك الكفر لان المنكرين لغرض
بان هذه العبادات لا منفعة فيها فى الدنيا لانها مشقة ولا فى الاخرة لامتناعها حشر الاجساد الى حالها فالاجرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال
ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستفهام مركوز فى الطباع قبل النظر فى الدليل ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح ان يسند
الى بنى نوعه لانه منهم كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان شخص معين هو ابو جهل وابى بن خلف وقيل
بعض الجنس ولم الكفرة وانتصب انا بفعل مضمر يدل عليه اخراج المذكور لانه تفسير لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول لبوم لزيد قائم وانما جاز
الجمع بين حرفى لا متنافيان وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام هيهنا خلصت لجعل الناكيد كما خلصت الهمزة فى ايا الله للتعريض واصل محل
عنها معنى التعريف دعا فى اذا ما للتوكيد ايضا وكانهم قالوا مستنكرين احقا انا نخرج احياء حين نتمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج ما الخروج
من الارض والخروج من حال الفنا او الندود ومن قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا انى لعلم فكانه قال على سبيل الهزء ساخرج حيا نادرا
وانما قدم الظرف واولى حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت وهو وقوف كونها لحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك للرئاسة احين عزلت
عليك نعمة فلانا ساءتك لان الانسان لا يصدر عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر اولم يذكر النشاة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك اولا
يذكر وههنا اضمار تقديره ايقول ذلك ولا يذكر زعم جار الله ان الواو عطفت لا يذكر على يقول فى قوله ويقول الانسان ووسطت همزة
الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ايراد حجة البعث اوجز من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفا
اصعب من تغيير الذات فى اطوار الصفا وهذا معلوم لكل صانع يتذكر عنه عمل لان الاول لم يستقر بعد فى خزانة خيال والثانى قد ارتسم واستقر
له مثال واحتذاء واذا كان حال من يتفاوت فى قدرته الصعب والسهل كذا الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على محض تعلق الارادة الا ترى به
فى قوله ولم يك شيئا بحث قدم فى اول السورة مثله وحين نبه على النكتة الضرورية اكدها بالاقسام فاقال فوربك لنحشرنهم القالا ابتهنا وهو
يفيد الاعراض عن قصته والشروع فى اخرى عجيبها والواو للقسم شرفا للمقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه اضافة القسم الى المخاطب وهو سيد الله
باجماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو فى الشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كلا كافر مقرون مع شيطانه فى سلسلة واذا احشر
جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وانكان الضمير عائدا الى المنكرين للبعث فقط فلا اشكال
وكذا فى قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا اى جثاة على الركب عبر بها لما يداهمهم لما يداهمهم من شدة الامر الذى لا يطيقون معها القيام على الارجل وعلى
العادة المعهودة فى مواقف قطاع الطريق الملوك ومقاولا نهم ثم لننزعن من كل شيعة ما يفرشاعت اى تبعت قلوبا من الغواة وقد بنى بعضهم
فى الانعام ايهم اشد فرقى بالنصب وظاهر واما المعتزلة على الضم فقد ذهب سيبويه الى انها منفية كيلا يلزم خلاف المقطوع من وجهين احدهما اعراب
اى مع ان من حق الموصول ان يبنى والاخر حذف المبتدا مع ان الاصل فيهم ان يكونوا مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها
لم تنصب على ان يكون مفعولا لننزعن بل بقطع بتقدير الحكاية اى من كل شيعة مقولا فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعولا لننزعن كقولك اكلت من كل
طعام اى بعضا من كل ويجوز ان يقدر لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه ولو جاز ضرب ايهم افضل على الحكاية لجاز ضرب الفاسق الخبيث اى الذى هو

ولداه لاحتمال ما بعده الحال والاستقبال

لم الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصاب البتة فحسبك الكلام ومذهب سيبويه في مثل ان الفعل الذي قبل اي معلق عن العمل ويجيء المعلق في غير افعال القلوب ثم ان علقت قولك على الرحمن باشد كقولهم هو اشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فذلك لا سبيل اليه عند النحويين لان المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه ان تريد بيان للجحود فكانه سئل ان عنوه على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في اولى لها صليا فالعامل والمجرور بها فعل من غير لفظها وبل او بصلبا على النار بل صلى فلان النار بصلى صليا اذا احترق الخراز لا انه غير من كل فرق ضنا لئلا يتوهم ثم بين بقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انه ربط حكم اي اهل الضلال البعيد والنار الزبيب يقدره اولاهم بالعذاب فاولاهم ولا ريب ان الضال المضل يكونان في التقدم من الضلال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وانكانوا جميعا مشتركين في شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى بها كلهم كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وانهم اولى بالصلي لكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير النفاق او للالتفات المذكور فيكون للنفاق او على التقدير بن ان ما ربما الجنس كلم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا وندر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روي عن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد عدنا بان ورد النار غير لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه عن ابيه ان رسول الله قال لورود الدخول لا يبقى برا ولا فاجرا الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن عباس برد نبها كانها الا المتقين منهم من لم يقصر لورود وهبها بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه اقرب منه وبقي وردف القافلة البلد اذا قرب منه فالمراد بالورود جثومهم حولها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود على جهنم وعن مجاهد هو مس الحمى جسده في الدنيا قال الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى حظ كل مؤمن من النار وان ورد بالناس او بالانسان الكفرة فالاشكال في ورودهم النار ولكنه لا يظهر بقوله ثم ننجي الذين اتقوا ووجه بانه اراد ان المتقين لما قربوا الى الجنة عقيب ورودها كفاهم انهم يرونها ثم يخلصون اسئلة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند مجرد الورود بالدخول زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها مواضع خالية عن النار اشباه الطرق التي دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب ما الفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يتعذبوا بها فيه وجوه منها انه يزداد سرورا ازدارا والخلاص منها ومنها افتضاح الكافر بزيادة اطلاع المؤمنين عليهم ومنها ان يزيد الذام بالجنة فيضدها بين الاشياء هل يثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها قد ثبت ان المحاسبة يكون في الارض وفي موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم فربما يهيء من الارض والجنة في السماء فالاجماع يكون في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راي الفلاسفة الاسلامية بين ظاهر فالمحاسبة يكون في الارض ومرورا لكل على كرة النار ثم يرفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان اي الورود على ربك حتما اي محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا قضى بهروعزم ان لا يكون غيره وفذلك ان العبور من جميع الجوانب على كرة النار واجتمعت المعتزلة بذلك على ان العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة مثبته بالواجب من قبل استحالة النظر وقوف الخالف اليه وقد سبق ان المنفي عند المعتزلة من يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالاية قاعدة الفائل بعجز الله بين المعنيين واجيب بان تجنبه المتقين اعم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها وهب ان تجنبهم الى الجنة الا ان الذي نفاه عنه ومعصيته شيئا غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فبقي حكمه مسكوتا عنه ومر المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله وندر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بايات الوعد لما رد على منكري البعث وقرر كيفية الحشر قال اذا تتلى عليهم ايانا البينات الاية والمراد انهم عارضوا حجج الله بكلام اعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم في الدنيا الطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان نعيمكم لا يليق بهوان اولياءه وبغير اعداءه يرى انهم كانوا بهم جلون شعورهم ويدهنون ويطيبون ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم قال فيها والله معنى تبيانات مرتلات الالفاظ لخصائص المعاني مبينا المقاصد اما محكمات او متشابهات قد بينها البيان بالمحكمات وبين بالرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها او مجملا وبرهين وعلى التقادير يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا يكون الا هذه الاوصاف ومعنى للذين امنوا انهم خاطبوهم بذلك او بقولهم بركاجلهم وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اي المنزل ثم اتسع فيه موضع القيام والندي المجلس ومجتمع القوم حيث يتحدثون وقولهم اي الفريقين يعني المؤمنين بالايات والجاحدين لها مما مر الكلام المنصف على نفسه والمقصود تحكم او فرض خطاء على ما يظهر منا في احوالنا قيامنا وقعودنا وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والوفعة وضدها امارة على النقص والضعة فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا اي كثيرا من القرون اهلكنا قبلهم اهل عصرهم بيان المهلك ويجوز ان يكون زائدة للتاكيد وكم استفهامية لتقرير التكثير او خبرية تتعلق من يجوز زيادتها في الموجب وهم احسن في محل النصب صفة لكم او الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري من هز بتا جعله من رايت وهو ما رات العين من حال حسنة وقرئ بغير ظاهرة ومن لم يهمز فانما ان يكون على تخفيف الهمز اي قلب الهمزة ياء وادغم او يكون من رويت الماء جاوزت

ريا اى مثلان وهشت وقال جار الله الرى هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمزة قبلها ياء على القلب كقولهم راء فى رأى وقرئ بالزاى المنقوطة وتنقاه من الزى بالفتح وهو الجمع لان الزى محاسن مجموعة وفى الآية حذف وتقديره احسن من هيولاء والحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر وجاها منهم بذلك دليل على فساد احد مذهبيهم وهى ان كل من وجد الدنيا كان حبيب الله او على فساد المقدمة الاخرى وهى ان كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل اليه غاشم بهن ان مآل الضال الى الجزى والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر مخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال وانه مفعول له على ان اللام للتعليل او للصيرورة والمعنى لكم ما يندفع به ضرر من مكر اولينعم كما يندفع من مكر اولينهاد وا انما كقوله انما نملى لهم ليزدادوا اثما او هو فى معنى الدعاء بان يمهله الله عز وجل ويفسح فى مدة حيوته والغاية احد الامرين المذكورين على انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى اذا رأوا الى آخره فقد قال فى الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اى لغير يقين الى آخره وما بينهما اعتراض قالوا اى الفريقين خير مقاما واحسن ندبا حتى اذا رأوا ما يوعدون والمعنى لا يزالون يتوهمون بهذا القول مولين بهز الى ان يشاهدوا الموعود اى عين ما العذاب فى الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم بالقتل والاسر وغيرهما لهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالهم سوء مقالهم الى ان يعانوا عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى مقابلة قولهم خير مقاما واحسن ندبا الآن مقالتهم ومكانهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر مكان فى الدنيا ومكان عذاب النار شر مكان فى الآخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم فى الوقتين ناصر قوى لم يخفهم من الجزى والنكال ما لحقهم وحين بين حال اهل الضلال اراد ان يبين حال اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء يجرى الى البعض الآخر كالايمان يجرى الى الاخلاص وغيرها كما ان بعض الغوايات يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو فى ويزيد للاستئناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى فليمدد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية ونور قلوبهم وقد مر فى سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى استحقاق الثواب وفسرها بعضهم بما هى اعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير ثوابا وخير مردا مشاركة فى اصل الخيرية ويكون هذا اخبارا منه فان قد ورد ان للشيء الفلانى خيرية بعض الاعمال الدنيوية المباحة او كسائر الاعمال الصالحة عند من يعتد بالباقيات بمعنى الاخص فى احد الامرين خيرية ثوابا وخيرية مردا اى مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم هل لهذا الامر مرد وان قد ورد ان للشيء الفلانى لا ثواب فيه ولا خيرية كان عمم الله ان المراد من خيرية ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون الباقى الثواب على عقاب الكفار من قبيل الهكم ومن باب قولهم تحيتهم بينهم ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل فى ليمرما قبل فى قولهم الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حر من الشتاء فى برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها قائلا على سبيل التعجب افرأيت كانه قال اخبرنى بفضل هذا الكافر اذ كر حديثه عجيب حديثا وانما استعملوا ارأيت بمعنى اخبرانى لان رؤية الشيء مرادفة لسماع خبره عند عن الحسن نزلت فى وليد المغيرة والمشهور انها فى العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته وقيل صاغ له حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فانى اوتى مالا وولدا فاجر من فرا ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرأ بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب فى العرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اى ارتقى الى اعلاه وكان اختيار هذه الكلمة شأن كانه قال اوقد بلغ من عظم شأنه ان ارتقى الى عالم الغيب الذى تفرد به علام الغيوب ام اتخذ عند الرحمن عهدا اعتزالكلبى صل عهدا الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدم فهو يرجو به ذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة كلا ردع وتنبيه على الخطإ فيما تصوره لنفسه تمناه وفى قوله سنكتب يبين التشويه مع الحفظة يكتبون ما قاله فى الحال ليدل على ان السين مؤجلة لمعنى الوعيد او اراد سيظهر له يوما الكتابة بالتعذيب او الانتصاب يؤيده قوله ونمد له ونطول له من العذاب ما يستاهل امتثالا لمن يمد بنين ومزيد من العذاب ونضاعف له من المدد مدة واحدة بمعنى ثم اكد المدد بالمصدر وهو موزون بفرط الغضب اعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه ما يقول اى نمنع عنه منشأ ما زعم انه يناله فى الآخرة من المال والولد لانه تعالى على الله فى قوله لاوتين ومن ينال على الله يكذبه لان ذلك غاية الجزاء ونهاية الاستحقاق ما اشتهاه الا من ثم صنف فى العاقبة ويأتينا فردا بلا مال ولا ولد كلا كلام صاحب الكشاف فى الوجيز مخبط فليتأمل فيه وكذا فى قوله فردا على الاول حال مقدرة بمعنى فاردا خولوها خالدين كلهم وغيرهم سواء فى انهم فرادى بانى ثم بفنا ويوتون بعد ذلك وذلك الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول اما انفراده فمتحقق فى حالة الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل فى الاتيان منفردا لا مدخل له فى المقصود فلا ادرى ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا فضيناه حلنا بينه وبين ان يقوله ويأتينا منفردا عنه غير قائل له اوان اداء هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفة لنضربه به وجهه فى الموقف ونقرعه به ونأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لنعطيه سؤله ومتمناه فيجمع عليه خطيئات بتعذيره قوله وفقده سؤله وحين فرغ من الرد على منكرى البعث شرع فى الرد على عبدة الاصنام فبين لهم ان ذلك ان يتعذروا بآلهتهم وينتفعوا بشفاعتهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عما لهم بقوله سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملئكة كقولهم انا بنات الله ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن واما الاصنام فلا يبعد ان يخلق الله الحياة فيها لذلك كقوله والقوا الى الله يومئذ السلم اى انهم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

مستهما ص

والمراد ص اعطيناه ص

امّا التعبير بكونوا فللتغليب وقوله عليهم مستدرك لان قوله كانوا لهون كذلك لا لانهم عزا ويحتمل ان يراد بالضد العقوق لانه يضاد العدد ووحد لانه نعت كلهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقولهم هم يد على من سواهم ومعنى كونه للاصنام اضدادا اى اعوانا عليهم لهم وقوله كانوا ان المشركين عذبوا بسببها وتحمل ان يكون الضمير في يكونون للمشركين اى يكون المشركون كفرة بالهتهم واعدائهم بعد ان كانوا معهم وحسب بين مذاهب الفرق الضالة الاربعة بينت منشاها فالاولة اذا ارسلنا الا يتوجه الا الهمزة والتصحيح قال الاشاعرة في الآية وكذا في قوله تعالى انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم ان قول القائل لرسله خلقنا على فلان نهمسلطا عليه وضمنه قوله ارسل الله عليه ريحا يريد به قول تولهم اى يغريهم على المعاصي بحثهم عليها بالوسوسة والتسويل وقالت المعتزلة الارسال هنا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا منع الرجل من يخوفه بتخليته وما يريده ارسل الابناء وارسل الشياطين ثم خلى بين الكافرين وبين الانبياء والشياطين لانه خص اولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا من الانبياء ومنع اعداءه تلك الالطاف وهو الحق بالخذلان حتى قبلوا من الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا للهلاك الكفار بعد بعلى لا بالى قلت لا يجوز ان استثنا الكل الله تعز فراع الفريقين فقط فيرتفع فلا يحصل عليه بعذاب كذا اذا استعجل منازعا لا يحصل عليهم بان يهلكوا فيستريح انت والمسلمون من شرورهم فليس بذيك وبين ما تطلب هذا كم الا ايام يحصون وانفاس معدودة قال ابن عباس رض الله عنهما ثنتي عشر ساعة هي خمسة رهط وعنه معدودة انه كان اذا قرأها بكى وقال اخر العدد الخروج من نفسك اخر العدد خروج اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن الهما انه كان عند المامون فقرأها فقال ان كانت الانفاس بالعدد فلم يكن طعامنا في اسوء ما نعتد وقال اشعر ان الحبيب لا حبنا مخلد لا يمنع الموت ولا الحرس كيف يفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليها اللفظ والنفس ثم ما قدر امر الحشر واخا عزيز منكر يقول ان يشرح حال الملكين وقتئذ فقال يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا او مثاخر اى اذكر يوم كذا وكذا يفعل ما لا يحيط به الوصف ويجوز ان ينتصب بما يكون خبر المبتدا وهو لمن يشاء ان يتقدم او يتاخر بدل من قوله للطاغين مآبا او بمضمر اى يقول يوم يجمع المتقون الى محل كرامة الرحمن واحدا بمعنى وفدا على الامر فارة اى وردوا سوكا نهوا فاذا الجمع وقد كما صح عن علي رض ان الله تعالى يحشر الناس بالله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها زهدوا في الدنيا فركبوها يا تون وخص المتقون بالسوق الى جهنم ورد اى وراد وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كانهم نعم عطاش يساقون الى الماء وقال ابن عباس رض الله عنهما الوفد المسير الى الماء فمن يرد النار دون قال بعض العلماء في الآية دلالة على ان اهوال يوم القيمة يختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا النوع من الكرامة فكيف بما لهم بعد ذلك شد قلت يحتمل ان يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة زمرا وهذا بعد ما بين الفريقين فالامن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الينا من وضع الظاهر موضع المضمر فيه من البشارة ما فيه ولا يلزم من التعظيم والتاويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للكافرين المذكورين بقسميهم وفاعله من اتخذ على البدلية لا من في معنى الجمع ويجوز ان يكون الواو علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من اتخذ على الاستثناء او على تقدير حذف المضاف اى الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك عزهم ان يشفعلهم واتخاذ العهد الايمان والعمل او كلمة الشهادة وعهدها الاول بناسب الوجه والثاني بناسب اصل الاشاعرة وزاد بعضهم ان النبي ﷺ قال لابي بكر رض يوم ابعث احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عندك عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحياة اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فانك تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى منادا اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اى لا يشفع الا المامور بالشفاعة المأذون له فيها كقوله وكم من ملك في السموات الاية سمعا عنهم شيئا الا بعد ان اذن الله تعالى وحين رد على عبدة الاوثان عادا الى الرد على من اثبت له ولدا من اليهود النصارى والعرب منهم من خص الاية بالرد على العرب العاربة بان الملائكة بنات الله لان الرد على المتقدم في اول السورة وفي قوله لقد جئتم شيئا ادا التفات من الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراة والتعرض لسخطة الا الامر يعجب المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه ادت الناقة ونوق اداد اذا رجعت الحنين في جوفها او تقاطرها بالتخفيف اذا شقته ومطاوعه مما ومعنى تفطرهن يتشققن والتشديد للتكثير ومطاوعه تفطر وفي هذا التركيب بناء على المصدر لان الخر وج معناه وانما كاد لنفي قرب الفعل هنا وعلى الحال اى مهدا وعلى الحالية لا لها هدا وحمل ان دعوا اما مجرور بدلا من الهاء في منه واما منصوب بنزع الخافض اى هذا الان دعوا عطف الخبر وبالهمزة الهمزة بالتاء واما مرفوع بانه فاعل هدا اى هدا الدعاء وجاز الوجوه او سكتها كما مر في الوقف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا كما طلبا للعموم والاحاطة بكل ما دعي ولدا للرحمن والمعنى التسمية اى نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغي له بحسب ولا يستقيم وهو في الاصل مطاوع بمعنى انا طلبنا فلانا بالامر مطلوبا لانه محال اما الولادة المعروفة فلانها في استحالتها وامتناعها اظهر من ان يحتاج الى البيان فلان القديم لا يجانس المحدث حتى يماثله طبعا ليمثل الوالد الولد من اضاف البنوة والولد اليه جعله كبعض خلقته واجزيته للنصارى استحقاب اسم الرحمن الخصوص فليس صفو النعم وفرعها الا منه كما قيل لبيك يكشف عن ضر عظاوه فان جميع ما عندك عظاوه وهذا من قوارئ تكرير هذا الاسم في هذا المقام وسئل كيف تؤثر هذه الكلمة في الجمادات حتى تنفطر وتنشق وتخر جواب بانه كان يقول لكل شيء افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند عنادهم الولد لها عضبا مني على من يقول بها لو اطلعك على وهو سبحانه ان لا يفعل هذه الكلمة في الكافر الجاحد هذا الاعتقاد بوجب ان لا يكون هذا الاجزاء على ما يؤدي من النظام فقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم ان هذا الاجزاء لو كانت ممن يفعل كانت تفعل ذلك ثم بين ان الغائب والغيوب في السموات والارض بين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الاخرة وانه محيط بجمل احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن الا وهو مليء لحديث بيته مفترعيوبته ثم بجمل حال المؤمنين

بما لا مزيد عليه في باب الكرامة قائلا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ود الى سبحانه في القلوب مودة من غير اسباب الاسباب المعهودة كعزة او اصطناع وذلك كائن قد في قلوب اعدائهم الرعب الشديد اما الاولى فمكية وكان المؤمنون حينئذ بمكة موصوفين بين الكفرة فوعدهم الله الموده بينهم الناس عند اظهار الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة بجمعهم الى خلقه بما ابرض من حسناتهم وعن النبي ﷺ قال العلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل في صدور المؤمنين مودة فانزل الله تعالى هذه الآية وعن ابن عباس يعني يجمعهم الله ويجمعهم الى خلقه وعن رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحببه فيهبط جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل الله جل ثناؤه بقلوب العباد اليه وعن كعب قال مكتوب في التوراة لا احب الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ثم على اهل السماء ثم على اهل الارض تصديقا لذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد سيهبهم الجنة ما عبر واشتقاقا المصدر بمعنى المفعول كثيرا وانما صار الوعد بذلك اشد تحريكا للنفس لان السلم المتقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثرهم وقد يحصل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون ممن يميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم فكيف يمكن جعله بناء على حق المؤمنين وايضا ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء المنافع يزاوي اجيبان المراد محبة الملائكة والانبياء عليهم السلام الصالحين ومثل هذا لا يحصل للكافر والفاسق بل يتحول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرام في قلوبهم ثم عظم شان هذا السورة من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الكفرة الضالة فقال فانما يسرناه اي انزلناه بلسانك يا محمد بلغته سهلناه وفصلناه لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا جمع الالد كشديد وشداد والخصومة الباطل كقوله في البقرة وهو الد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية في الانذار وهاية في التخويف لانباء عن انقضاء القرون الخالية بالفناء او بالاضاءة بحيث لم يبق منهم شخص يحس ولا صوت يسمع فيعلم منذرين قال جار الله ان قلت ما معنى ذكر الركز لك فيجيبك قلت في تحصيل الزاد للمعاد ولا يعرفون هاهنا ما هو صائر الى الزوال والنفاد والركز الصوت الخفي وذكر الرتع تغييب طرفه في الارض كالركز ثم ان الله يدعو الناس الى الايقان بالآخرة بالدلائل السمعية والعقلية واما الدلائل السمعية فهي الآيات المذكورة في القرآن والعقلية هي التي تسمى بدلائل الانفس والآفاق وهي التي ذكرها الله تعالى في هذه السورة وهي قسمان احدهما ما يدل على ان الانسان لا بد له من صانع حكيم قادر عالم وهو المسمى بدليل الامكان والحدوث والثاني ما يدل على ان الصانع لا بد وان يكون منزها عن الجسمية والحيز والجهة وهو المسمى بدليل التمانع والتطارد وهو المسمى بدليل التوحيد والاول اقرب الى الافهام والثاني اشرف في المعقول واعلى في المرتبة ولما كان الاول اقرب الى الافهام ذكره الله تعالى في اكثر السور واما الثاني فانه لا يذكر الا في بعض السور ثم ان الله تعالى لما ذكر الدلائل السمعية والعقلية على التوحيد والنبوة والحشر والقضاء والقدر ذكر بعد ذلك ان اكثر الخلق معرضون عن الايمان بها مشتغلون بالكفر والطغيان فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي امة من الامم الماضية هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا والمعنى ان من اهلكناه بعذاب الدنيا والاغراق في بحار الشهوات والاحراق بنار المناصب للمرتبات فانه لا يبقى له اثر ولا خبر ولا يسمع له صوت ولا ذكر وهذا يدل على ان الاشتغال بالدنيا والاعراض عن الآخرة امر مذموم وهو الموصل الى الكفر والفسق والعصيان وهو الموجب للخسران في الدنيا والآخرة ثم ان الله تعالى لما ذكر الدلائل السمعية والعقلية على التوحيد والنبوة والحشر والقضاء والقدر ذكر بعد ذلك ان اكثر الخلق معرضون عن الايمان بها مشتغلون بالكفر والطغيان فقال وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي امة من الامم الماضية هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا اي صوتا خفيا والمعنى ان من اهلكناه بعذاب الدنيا والاغراق في بحار الشهوات والاحراق بنار المناصب للمرتبات فانه لا يبقى له اثر ولا خبر ولا يسمع له صوت ولا ذكر وهذا يدل على ان الاشتغال بالدنيا والاعراض عن الآخرة امر مذموم وهو الموصل الى الكفر والفسق والعصيان وهو الموجب للخسران في الدنيا والآخرة

سورة طه مكية حروفها خمسة آلاف وستمائة واحد واربعون كلماتها الف وثلثمائة واحد واربعون آياتها مائة واحدى وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى الا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الارض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى فلما اتاها نودي يا موسى اني انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلوة لذكري ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي اتوكؤا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب الى فرعون انه طغى قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري واشركه في امري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة اخرى

وكثيرا في كل

طه قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص وخلف وابو بكر بفتح الهاء والباقون بكسرها والاصل في الكسر ان يا عرفت الهاء لاستقلالها وامال الهاء والاخوان بعدها الالف الكسرة قبلها وكان ابو عمرو يقف بالهاء وكان ابن كثير يقف بالالف وكان نافع يقف بالهاء والالف جميعا لانا قد بينا ان الله تعالى يقف بالهاء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم غير حماد والمفضل على الاصل وقف حمزة والكسائي وحماد والمفضل بالالف على الاصل ايضا وقف هشام بخلف عنه بالهاء على الاصل وبالالف على الاصل ايضا

والاصبهانى عن ورش بخير فيها لوقف الاخوين بالهمز او وقوف طه كوقف من قال معناه يا رجل او يا طالب الهدى لم يقف للشقى لان استئنافه يحتمل بناء على ان تنزيل القرآن ابتدئ استئناسا للنبى ﷺ وتنزيله الاهوط الحبيب خشية موسى لئلا يهوم ان أظرف للايمان هذا يا موسى فعليك للاستئناف بازمع اتحاد القول طوى لانه تنزيل ربوحى فاحبك للعطف لذكرى متعلق فرد ذى يا موسى عصاك لامكان ان يجعل الوكما مستانفا اوحالا او اعتراضا واشير بناء على ان هو بمعنى هذا اخرى يا موسى لتتعه ولا تخف لحوق السين الاولى اية اخرى لتعلق اللام الكبرى لتريك الاية الاعلى ان القول متصل طفى صدرك اشرح مسلما وقولى كاطيل الكلام اهملا اخى لا وقفا لمن قرا شد بضم الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فلما لوصل ومن قرا اشدد بضم الهمزة فله الجواز لانه اتباع للدعاء بلا عاطف لذرى لا لترى لا لتعلق كبراه بصبرا يا موسى التقسير فلم تولا ان احدا لم يقرا الا بتسكين الهاء من رحرحى وقد سلف فى امه الهاء الذى هاد وههنا امو منها قولى لتغلبا ثيرة طوى الهملا هارون ذكانا قسم بالجبة والنار ومنهما مارى عن جعفر الصادق ان الهاء من اهله الذى والهاء هذا بهم وقيل اراد باطاهر امن الذنوب يا هادبا الى علام الغيوب ومنها قول بعيد جبير هو فتاح باسهل الطيب الفاء الجاد وقيل الطاء تسعة فى الحمار والهاء خمسة ومعنا بالبا البدء القول اثنان الفا كلية معبدة ومعناها يا رجل مروى عن ابن عباس الحسن يا هادى معتبد جبير وقتادة وعكرمة والكلبى ثم قال لمعتبد جبير بلسان الطبطبية وقال قتادة بلسان الونمانية وقال الكلبى بلسان الحبشة وقال الكلبى بلسان عك عدنان اخو معد هو اليوم فى اليمن والحسن طه واصله طاء امر ابا الوطى فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روى ان النبى ﷺ كان يقوم فى التهجد على احد رجليه وامر ان يطاء الارض بقدميه معا وبا كذ ما روى انه صلى ليلة حتى تورمت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان لها عليك وفرا نزلنا عليك القرآن لتشقى اى لتتعب نفسك ايها الانسان ولكنك بعثتها الحنيفية السهلة وعند الاكثر بمعنى لتشقى لتتعب بمعنى لا تشقى عليهم ويحزن على ان يؤمنوا او اشقى بمعنى اتعب من قولهم شقى من رماض هو اتعب وقيل كان ابا جهل والنضر الحارث قالا للرسول انك شقى لانك تركت دين ابائك فرد الله عليهم بان القرآن هو السبب فى كل سعادة قال رجاء الله ان جعلته قسما بعد الاسماء الحروف فقوله ما انزلنا كلام ابتداء الكلام وان جعلته اسما للسورة فمبتدا وما بعده خبره وقيل تم الظاهر وهو القرآن مقام المضمر الراجع اليه وان جعلته قسما فما نافية تلوه جوابا وكل واحد من لتشقى تذكرة علة للفعل الاول لا الاول جميعا بشرط مع اللام لانه ليس فعلا لفاعل الفعل المعلل والثانى جاز بقطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلال الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان تجعل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع لكن تذكرة لمن يخشى لكن انزلناه تذكرة وقيل هو مفعول له اى انزلنا عليك القرآن لتشقى لا لتكون تذكرة اى انزلنا عليك هذا التعب الشاق لا لهذا الغرض الذى هو كالعبث بل لتلك الغاية السنية وهى ان تذكر من يخشى فان تذكرة على هذا لا يصح ان يكون مفعولا له واذا كانت حالا او مفعولا له فلا بد من تنزيلا بدلا منها واذا كانت مفعولا لاجلها لم يجز ان يكون تنزيلا بدلا لانها من الشئ لا يعلل بنفسه فالانزل لا يعلل بالتنزيل فى الظاهر ويجوز ان ينتصب تنزيلا بمضمر يحسن ان تنزيلا او انزلناه الا تذكرة وانزلناه او على المدح والاختصاص او يخشى مفعولا به اى انزل الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل الى من يقول الى محمد ﷺ والمشفع به ومعنى كون القرآن تذكرة انه كان من عظيم بينا ومن خلق معلوم تنزيلا ممن خلق السموات العلى لعلوا فكانا له فيكون مستقرا وقاتا لا انتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا امو منها الافنان فى الكلام على عاداتهم ومنها مشى الصعلوك مع فقط الغيبة ومنها بالالتفات او الاضمار لمتكلم المطاع فى انزلنا ثم الى المخلص بصفة العظمة والتمجيد قيل انزلنا حكاية كلام جبريل فلا التفات والعلى جمع العليا تانيث الاعلى وصف التموات بها لانها اعظم قدرة من مخلوقاتها فى علوها وبعد مرتقاها وبحصل منه تعظيم شان القرآن بالضرورة وفى قد المرسل يكون حال الرسالة ومن قول الحكماء علو الرجا يحدث لسان فلانهم وارتفع الرحمن على المدح بهو مبتدا شائع بالامر الى من خلق والجملة فى الاستوى على العرش من جانبى المشبه والمشبه به قدر مشبعا فى الانعام فى قوله وهو القاهر فوق عباده وفى الاعراف فى قوله ان ربكم الله الذى خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم اكد كمال ملكه وملكه بقوله له ما فى السموات الاية تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدى هو الصخرة التى تحت الارض السابعة وقيل الثور او الحوت والتحقيق ان الثرى هو الرطب الندى وهو ما جاور البحر من جزم الارض فان الذى تحته هو ما بقى من جرم الارض الى المركز فيحتمل ان يكون هناك اشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب ان الكل لله سبحانه بين كمال علمه بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فالسر ما تسره الى غيرك واخفى من ذلك ما الهمك تريد اليه السر واخفى منه ما استسر وقيل السر ما تسره الى نفسك واخفى منه ما يخطر ببالك ولا تعلم انك ستسره فعلم ما اضمر له بعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما لم يعلم هو قلت هذا الخفى صحيح اذ قد يخطر بالبال شئ ثم يغيب عنه فلا يخطر ببال احد بعده ابدا فلا يطلع على عجوبة هذا الامر الا الله تعالى اللفظ يحتمل هذه البشاعة الا حمل على هذا التغيير فلهذا قال الصاحب الكشاف لهذا لك وكيف طابق ايراد الشرط الجواب بان معنى ان تجهر بذكرك فاعلم انه غنى عن جهرك فانا اعلم ان يجهر بها من يكون لها من الجهر كقوله واذكر ربك فى نفسك فما ان يكون تعليما للعباد او الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض اخر كان يعتد غيره من قوله الاية ذير الكلف من اتباع ظاهر كانوا او باطنة وترغيبه فى الطاعات ظاهرها وباطنها وقد شرحنا شيئا من حقيقة علم نعم فى تفسير قوله وعلم ادم الاسماء كلها وفى غير ذلك من المواضع المناسبة فلنقتصر الان على ان نذكر ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذى يستحق العبادة دون غيره واعلم ان مراتب التوحيد اربع الاولى الشائم الامتحانا بالعقاب ثم فاكيد ذلك الاعتبار بالجحر ثم الاستدلال فى بحر المعرفة بحيث لا يدرى فى خلوه سوى الاحد الصمد الاول بدء الثانى فناء والثالث بدء والاخر يعيد جملة كما ان نظر عين ما يرى ان ملك الموت مكتوب جبهته لا اله الا الله حتى اذا راه المؤمن تذكر كلمة الشهادة فيلقنه ويؤيده ما روى انه ما يخرج من الدنيا من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان او الاقرار بالله تعالى والثالث ايمان المقلد وغير خالد فى شهود والاصح انه مقبول وانما المقام الرابع فى شهود الصديقين والحق سبحانه وتعالى اعلم حسبنا الله ونعم الوكيل ونصلى على خاتم الرسل ونفضل على جائزة الحوض والكوثر الحمد لله على الفناء فى الله والبقاء به قال المحققون لا اله الا الله تقتضى

الاول لكونه بالواد المقدس وقد صح انه بوغ وقد صح ان البنوة في بعله ثم رحلها في الصلو فخلع الناس نعالهم فلما سئل قال انما امركم خلع نعالكم فالوا خلعت فخلعنا قال فان جبرئيل اخبرني فاني رايت ان موسى خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي قال الجوهري طوى يكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام ومن صرفه جعله اسم واد ومكان ومن لم يصرفه جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو لغة المثنى اي طوى مرتين اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين ويحتمل ان يراد بوادي طوى وقيل طوى معدول عن طاء عباس لانه ورد ذلك لوادي بيلا فطواه فكانما لفه بالواو والمقدس الذي طويه لها اي قطعه حتى ارتفعت الى اعلاه وانما اخترتك اصطفيتك قيل هذه كلمة على انفراد النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله تعالى وفي هذه الاخبار غاية اللطف في الرحمة ولكن في قوله فاستمع نهاية الجلال فتبارك الله احسن الخالقين فان قلت جاء لك امر عظيم فما هي واجمع جميع هممك مصروفة اليه لما ابوحي اي الذي يوحى والموحى مخلوق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا وترتب عليه فاعبدني لبعلم ان عبادة غير الله لا تنبغي ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون اخر البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز لانه مأمور بالعمل به ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هيأتها اجاب القاضي عن هذا الاعتراض بانه لا يمتنع ان موسى قد عرف الصلوة الحق بعبد الله قبلها شيخها وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بانه يحمل الخطاب على ما ليس اولى لعدم العلم قد يبن لم يصح الله تعالى سوى هذا القدر وبان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية ولقائل ان يقول سلمنا ان البيان اكثر فائدة للمخاطب لكن لا نسلم ان حكاية البيان اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغرض صورة بعض هيأت ذلك التكليف مجملا وان كان اصله باقيا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هي للتعليل والذكر اما بالبيان او هو ضد النسيان وياء المتكلم اما على الاصل او مفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فيها ان اللام للتعليل والياء منصوب اي لتذكرني فان ذكري ان اعبد فيصلي لها وازاد لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد الفرق ان اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية وفي الثاني مجاز او نقول في الاول نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر ايجادا للذكر خاصة لا لشيء يذكر لغرض ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها ان الياء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها اولانا ذكرك بالمدح والثناء واجعل الذكر لسانا صدقا ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري هي مواقيت الصلوة ومنها ان يجعل الذكر على ضد النسيان اي لتكون ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم ذاكرين في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وازاد ذكر الصلوة بعد تنبيهها وكان حق العبارة ان يقال لتذكرها كقولهم من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فصل المضاف اليه اي لذكر صلوتي او ذكر الصلوة هو ذكر الله فالياء في الاصل مضمونا والذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة والياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلوة يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو تركها الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان بدأ بصلوة الوقت جاز واذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلوة الوقت تمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة الوقت بعدها وقال ابو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر في الصلوة الوقتية صلوة فائتة وقد صلى اكثر من صلوة يوم وليلة بطلت الا ان يكون ضيق الوقت بحيث لو اشتغل بالفائتة خرج وقت الوقتية فانه يبطلها ويمضي فيها لان الوقتية تصير فائتة بخروج الوقت وقد تذكر فائتة فيسقط الترتيب لما امر موسى بالعبادة عامة وبالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك بقوله

للبنوة مر

والهيبة مر

مقوله

ظاهره لا ينوال لما يشاء بسببها فلو لم يكن اعمال العباد بسببهم لم يصح هذا الاستثناء ولم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن لباء السببية معنى والجواب ان
العبارة الوسطى لا ينافي انتهاء الكل الى الله واستناد الجزاء الى عناية الازلية التي لا علة لها ومعنى لقاء في فلا بعدة فلان انه اذا صح عندك اني خبرت ما ساءه
فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن القصد بالساءة كان قوله ناشئا عن الهوى واتباع سرور فجوابه مسلم ان يكون الصغير في عينها للصلوة والمرور
قد ذكر شيئين ثم ترى بصرها الى الساجع اعتمادا على انه بركل منهما الى ما هو وزيف بان هذا انما يصح عند الضرورة ولا ضرورة هنا واما الخطأ
فان ظاهر انه لموسى لان الكل اجمع معه وجوز بعضهم ان يكون لنبينا صلى والمعصوم الامة والنهي عن الصد في الظاهر لمن لا يؤمن بالساءة وهو بالحقيقة نهي
عن التكذيب والوجه فيه ان صد الكافر عن المقصد هو سبب التكذيب فذكر المسبب ليدل على السبب وصد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين وبين بتكسير
فذكر المسبب ليدل على المسبب كما نرقل لكن في العدول اصلا حتى لا يطمع في اقوال الكافر ما الذي دعا الى هذا النهي البالغ في معناه وهو ان في المبطلين
الجاحدين كثرة مزلة فعلى المرء ان يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد لئلا يغتر
بان الرؤساء والعلماء مع اتباع الهوى وههنا اسئلة الاصوليون على عشر علمهم ووجوب تعليم كيلا يمكن الخصم من تشكيكه ونعم القاضي في نسبة الصد
الى الكافر بالبحث دليل على ان العباد انما يهتدون عن العباد وعوض بالعلم والداعي كما من ما زاغ الا هل التحقيق قوله والا كالموسى خلع نعليك اشارة الى
التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعد اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغي تحصيله واصل ذلك ترجع الى علم المبدأ وهو قولنا اني انا الله والى
علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال الحسنى اينما توقوله لذكري وهو مشتمل على الاعمال الزوكية وما بعدها والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة
اتية وايضا انه افتتح الخطاب بقوله انا اخترتك وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى اخره وهو ترقي بينهما على ان رحمته سبقت غضبه فلن يكون العبد الا بد
ان يكون سلوكه على توسط الرجاء والخوف فقوله وما تلك مبتدأ وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة او الاستفهام وجوز الكوفيون ان يكون تلك
اسما موصولا وصلته بيمينك اي والتي بيمينك هتل لو يقتل بيد لا ينحتمل ان يكون في بساره خاتم او شيء اخر وكان يلبس على الجواب عوله ما الفائدة في
ذكر هذا السؤال وجوابه الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشيء الحقير بقطع من حديد شيئا مشرفا كالموسى المسرع عرضه على الحاضرين ويقول لهم هذا
حتى انه بعد اتمامها صنعته يلزمهم بقولهم ويقول خذوا هذا من ذلك فكانه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما في يمينك وانه خشبة لا قيمة
حتى اذا قلبه بعصا عظيما كان قد بهرهم على كمال قدرته الباهرة قال اهل المعاني انه سبحانه لما اطلعه على تلك الانوار المضاعفة من الشجر قال له الساعة واضمر
قبل الذكر تفخيما لشأنه وتعظيما لامره كلام نفساني حاصل بالتلطف والتهزء والتكاليف بخبر موسى وهو شرف كاد لا يعرف اليمين من الشمال فقال له وما تلك بيمينك يا موسى ليعرف
موسى ان يمينه هي التي فيها العصا وبقصد ان يتكلم معه بكلام الاهية ويتربص موسى ان يدهش بكلام البشر ازالة للملال الدهشة والحيرة الا ان السؤال
عنه ما يقع بسبب الغلط كما ان السائل لا يجوز عليه الغلط نظرا لحال المؤمن في الغيرة بغلبة الوجل والخجل والحياء فيسئل عن امر لا لبس فيه في الدنيا وهو التوحيد
وهذا للاتهاش وجلبا للاستيناس لهما لما عرف موسى كمال الاهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فقصا عن عصاه فذكر كاذكر فعرفه الله تعالى ان فيها منافع جمة
مما ذكر بينها على ان تحقق البشرية قاصر عن خفيات الامور ولولا التوفيق والارشاد الآخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا بواسطة جبريل فلم يلزم ان يكون
موسى افضل لجواز ان يكون بدل ما اوحي اليه هو انا اوحي اليه انا لا افضلية ان كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لدينا اهل الارض سواء وايضا حصل
في الدنيا شرف التكليم الحسي بما جرى بيننا وبين الكليم التسليم سلاما نحو لا مزيد رحيما بسبب ان موسى كان عند استغراقه في بحار المحبة مستغنيا عن
ومضاهيها ومحرما لم يلتفت الى الكونين حين عرضها عليه مازاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالتوحيد لها ولهذا المزيد وانشأ يتحدث عن قوله انك
انت على نفسك فهمنا منه ان سبحانه اما اشار الى العصا بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل في كل منها برهان باهر ومعجز ظاهر فضلا احدهما وهو
الجماد جنوانا والاخر وهو الكيف فوانا الطف انه نعم بنظره في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاي عجب ينقلب قلبه الجماد عالما حيا مستنيرا
ومنها ان العصا صارت بيمين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث تبلعت
سحرة كلهم فقلب المؤمن اولى ان يصير بمدد نظر الرب في كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ان جواب موسى هم بقولهم عصا الا انه زاد على ذلك
لانه كان يحب الكمال في المقام مقام انبساط وقرب فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال اخر كانه سئل لما تتوكأ
فاخذ في ذكر منافعها وتمثل خان ان ينكر عليه استعظامه العصا كالمغلين ومعنى توكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييتا ووقفت على راس القطيع عند اللهفة والتوكيء
بدر كالوسيلة الى درك واهش بها اخبط الورق بها على رؤوس غنمي ليأكلوا والتركيب يدل على الخباوة واللين ومنه رجل هش الكسر اي سهل الشأن فيما يطلب
من الحوائج وهو يدح وهش الجرح بالكسر اذا كان بكسر لخاوته قال المحققون ان موسى كان بتوكأ على العصا وحده كان يتكل على فضل الله ورحمته
مع امتر حسبنا الله ونعم الوكيل فورد في حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي حسبك وحسب من اتبعك والمعنى انه يريد بمصالح نفسه قوله اتوكأ عليها
بمصالح غنمه بقوله واهش بها على غنمي ومحمد يشتغل في الدنيا الا بما يصلح امر غنمه كان الله لبعثهم وانتفعهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول
موسى يوم القيمة يعني فضحني وخجلني بقولي اتوكأ عليها ومآرب هي جمع مأربة بضم الراء الحاجة وقد يفتح الراء وحكى ابن الاعرابي وقطرب بكسر الهمزة والباء
الاربة بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال الجزي كانها المآربة بضم جماعة ونظروا لانها تأنيث المحنى ومن اراها الكثرة قالوا انما قال موسى ليسأل عن تلك
المآرب فيطول كلامه فيقطع بالهيبة كلامه فجعل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن جناه بالمحجن اذا طلب كبر الوا بالشعبتين واذا ساء

القاها على اعاقته وخلق فيها ادراكا وتمييزا من العقول والكائنة والجمادات غيرها واذا كان في البرية تركها وعرض ان يذهب على شعبتها والقى عليها الكساء واستظل فاذا قضى شأنه وصلها واكان بقاؤها السباع عن غنمه وقيل لموسى ما كان احسن ما نرقعها ما سالة عن امر العصا لمنافع عظيمة فقال ما هذه العصا الا كغيرها ولكنك ما سالتنيها وكلمتني فيها عرفت انني فيها مارب اخرى قيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فيطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين بالليل واذا اظهر عدا وحاربت عنه اذا استرخى ثمرة وكرنها فاورقت اثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه في البرية كانها فيها فينبع الماء فاذا رضها وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه في البرية كانها فيها فينبع الماء فاذا رضها فيضها وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام وان كانت قبلها فهي صحيحة لو ابته بعد الا ان كان الكلام في تقدمها عند تعدد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها اوهاض ومن معجزات شعيب وبي امر كان قد اعطاها اياه قال اهل الكتاب موسى لما قال لهما ما بالكما لا تسقيان فقالتا لهما يا موسى بوجاء كان في جلد شيء وهو الفحل وفي يده شيء وهو العصا والرجل الظاهر في البادية الطالب لمرتعها يعلم انها للفحل فاذا رأى فحلا قد علا انثى الفحل الطرق فلا يحصل له كمال الاستمتاع في بحر العرفان وهذا ان موسى مع جلالة منصبه وعلو شانه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع العبد وقرن المعاصي كيف يمكنك الوصول الى جنابه قال الكلبي لا استطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا انما توجد عند القاء العصا فاذا توجد القدرة فذاك قولنا او توجد وهي خارجة عن اي وذلك تكليف بما لا يطاق من يده ما ليس في يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا قولنا فاذا جاءت تستعي في موضع آخر فاذا هي ثعبان وفي آخر كانها جان عباران عن معنى واحد لان الجان جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فيجوز ان تكون تلك العصا كانت ثعبانا عظيما ثم تنزوت وتنزايد جسمها حتى صارت ثعبانا اهول الا انها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي وهو الشيء الصغير وخفة حركة والعجب ان موسى قال لقومه فصل الله تعالى في ذلك فجعلها متحركة له بان كانت اعظم معجزاته وانما قللها حتى يكون معجزا على موسى بعد ان بلغ بها بنوة نصيف فان النداء والنور والكلام لم يكن في ظهوره الدلالة كهذه وكان تولي المعجزات كتابع الخلع وتكوناتها ومنفعة لانه عرضها عليه ليشاهد ويوطن نفسه عليها لانها عند مجيء قاولي بستر العقوبة والعذيب في صوت المثالب فكيف اذا وجد مجال الطعن وقد ترفي الاعراب ان الجبة كان لاعرابي كعرف الفرس فكان بين لحيتها اربع فراسخ فاذا راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والفرار ما يملك البشر عند لاهوال حتى نهل عن الله واخذ بشعره ولو انه بلغ ح مقام قرب الله لم يفزع عن شيء ما ولعله لما حصل له مقام المكالمة بقي في قلبه محبة فاذا الله تعالى انه بعد في منقل لا مكاني ولا بقاء في عالم البشرية وما القرب والتثبيت الا من الله وقد فقد روي انه قيل له ويحك لا تخف بلغ من هنا بخوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحيتها فان الشيخ ابو القاسم الانصاري ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقة النبوة لان الساحر يعلم اذا الذي اراه بسحره فلا يخافه البتة وعن بعضهم امر خافها الا من ما لم يدر ما هو قلت يحتمل ان يكون خوف موسى وهجرانها من فوات المنافع المعدة وهذا اعلى عند خوفه بقوله لمستعبل سيرها الاولى قال الله السيرة من السير كالركبة من الركوب يقال لسار فلان سيرة حسنة ثم توسع فيها فنقل الى معنى المذهب والطريقة وصنع سيرها الاولى فيجوز ان ينتصب على الظرفي في طريقتها الاولى فاذا كانت عصا او يكون اعادة منقولا بالهمزة من عاد يعود بمعنى عاد اليه فينتصب مفعولا ثانيا او يكون المراد بالاعادة الاحياء ثانيا وينتصب سيرتها بفعل مضمر موضع الحال اي سنعيدها في سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولان فيها المارب التي تعرفها فتوكا امره بمجرد ذلك فقال واضمم اليك جناحيك يقال لكل اليدين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان لجنبيهما والاصل المستعمل منه جناحا الطائر يعني بجمعهما عند الطيران اي ضم يديك تحت العضدين الى جنبيك فقوله تخرج وتعر اجر عبارة عن الصدق وضعف بانه لا مطابقة فيه لتخرج قلت لا شك ان الصدق مستور بالقميص فيظهر عند الخروج ويضعف قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك والسوء الرداءة والقبح في كل شيء فكنى به عن البرص كما كنى عن القوة والسوة والبرص لبعض شيء عند العرب بحيث صار اسما لهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها بتوقد كشعاع الشمس فالبياض في الكشاف من غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعله اراد ان من للتعليل اي ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته برجع الى الابتداء وانه حال الان معا او منتظرا حذفان واحتمل ان ينتصب اية بمضمر دل عليه الكلام نحو خذه ودونك فقوله لنريك من آياتنا فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندي ان يتعلق بالامر المذكور يعني الق عصاك واضمم يدك لنريك قال الحسن اليد الا يحاء اعظم من العصا لانه تقوم وصفها بالكبر وضعف بانه ليس في البلاء تغير اللون واما في العصا فضل تغير اللون والزيادة في الحجم وخلق الحية والقدرة على الاموات الخارقة فالمراد لنريك بها بعض اياتنا الكبرى ويجيء في الكشاف ان يكون المراد لنريك بها الكبرى من اياتنا ويرد عليه لزوم ان يكون الايات الكبرى محصورة فيها وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد اكبر من الكل وكفاك بالقرآن شاهدا على ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال انه طغى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة في ذلك فقال لانه طغى وعتى ان الله تعالى قال لموسى اسمع كلامي واحفظه وصدقني وانطق بما اقول لك فانا نبيك وربك وان معك بدي وبصيري وان البسك من سلطاني لتستكمل بها القوة فاذا بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر قدرتي والى اقتم بعزتي لاولاه الجبر والعذاب الذي ضعف بيني وبين خلقي لبطشت بطشة شديدة جبارا ولكن هان علي وسقط من عيني فلم اغترث بسطانه ولم احفل بعتوه وتمرده قوله لا تنيا لا يفتران يقال ما ونى يونى اذا فتر ولا تقصرا لا تعجزا في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعنده قال ربي اشرح لي صدري قال في المعالم ايها ولا يقولن ربي اشرح لي ويسر لي فعلم ان ثمة شرحا وميسرا ثم بين وضع الابهام بذكر الصدر والامر وكان كل من جهته الاجمالي التفصيل كان

صدره وسيصيق كما جاء في موضع اخر ويضيق صدري فسأل الله ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما انزل عليه من الوحي وقيل اراد بشرح صدره توسعته على مخاطبة فرعون وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا في البقرة في تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني قريب لنذكر ههنا نكتا اشرنا هناك الاولى ان تعلم كاملا في الازل فلا تكمل وذلك كما بقال انه سبحانه لا يعلم عدد مفصلا لاحكام اهل الجنة لان كلا منها لا متناهي الوجود اولا صفة من صفات الكمال الاجلى الله سبحانه على هذه المائدة بعض العدمات لانه لو جعل كل كمال منها لا متناهي الوجود منا لانها بترا ولا تتناهى العدة الثانية لاستلزام نحالها الموجود وكما ان رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض العدمات مادون بعض حتى صار ذلك البعض جامدا وكما للنافي وللملائم وللذة والالم والحر والشر فقال لاحياء عند ذلك بارب الارباب شرفنا بخلعة الوجود وخلعة الخلود ولكن ازدد حاجتنا الا الحاحا العدم وحال المجاهدة ما كانا محتاجين الى الملائم والموافق وما كانا يخافان المنافي والملوذي والان احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كما كان من المفعدين الطريق عرفة الافات وهدايتها البلايات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض العدمات بالوجود وتخصيص بعض الموجودات بالخلود فقال القادرون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الخلود بلا عقل لا يكون الا لهيا ولا لمعرفة في حمل الاثقال فافض علينا من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعط بعضهم العقل فحصل فاد راجم نور البصيرة ووجوه الهداية خناسه مسك كما ان خاتم النبيين ﷺ كان افضل المخلوقات فانظر العقل في نفسك ترى نفسك كالحقة المملوة من الجواهر بل كبناء من نبيذ بالزواهر وهي العلوم الضرورية البديهية الموكوزة في بداية العقول وهي لمع الاذهان يهتدي بها السائرون في ظلمات برالشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فعلمته وهشتا الا الازلية وكاد يغرق في بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التامل والتدبر ويقع في تجاذب بين الاعدا الداخلة والخارجة وشبا طين الجن والانس ضيق ذلك قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانتهاء جميع الخواطر البعيدة الاموال الكثيرة الجزئية من عنده هو الذي يعطي القابل قابلية والفاعل فاعلية انما انه نعم خالقه ولا مالك الوجود انني انا الله لا اله الا انا وثانيا بالعبادة فاعبدني وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة اتية ورابعا بمعرفة الحكمة فجملة افعالها وقائلك بيمينك وخامسا بمعرفة المعجزات الباهرة عليه لتريك من اياتنا الكبرى وسادسا بارسالها الى اعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا لضيق الصدر وانحلال عقدة الصبر فالجم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لي صدري وبسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر معدة لاستيلاء الانوار الالهية في القلب للاستماع معدة لافهم ولما اعطى موسى المقدمة فاستمع نبينا موسى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لي صدري الى الامر الى محمد وكان خاتم النبيين ومعقطوا من الكائنات ومخاطبا بقوله الم نشرح لك صدرك او الى النجم فقبل له وقل رب زدني علما وصف بقوله سراجا منيرا فشرح الصدر هو ان يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطي النور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين الاخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد ثالثا انه نعم ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنوا حدها ووصف تارة النور الله نور السموات والارض ومن وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفئوا نور الله وخامسها على الله واشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل الظلمات والنور وثامنها انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسوما قال اولا رب اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال كبريائك وثانيا رب اشرح صدري بالخلق باخلاق رسلك وانبيائك وثالثا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك واستنزال امرك وههنا رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيبتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمس معرفتك الى انوار جلالك وعزتك كما فعلت بابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري عن مطالعة جمالك وليملك الى مطالعة جمالك وفضلك وثامنا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع اياتك ومعاقد بيناتك في ارضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري في ان اكون خلف صدق نبيا لله وعاشرا رب اشرح لي صدري بان يجعل مرآة الايمان كالمشكوة التي فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن اشراق النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستودع السراج محتاج الى سبعة اشياء زند ومحمر وحرق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند قد الجاهدة والذين جاهدوا فينا والمحمر المتضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى ولهي النفس عن الهوى والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا صلحت هذه الادوات بلا بقول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لي صدري فهنالك تسمع قد اوتيت سؤلك يا موسى الحاها هذا النور الروحي المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه احدها الشمس يحجبها الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع البرصعة كالكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي اشد وطئا واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار هم الذين يبعد ليلا الليل للعاشقين سيرا بليتا وقائد قدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى وثالثها الشمس تغيب اذا الشمس كورت والمعرفة لا تغيب اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قامت القيامة انكسفت وشمس التوحيد وهي شهدان لا اله الا الله اذا لم يقترن بها النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله ﷺ بضل نورها في عالم الخلق وخامسها

الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه وجوه وسائر سماها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاخراق جنبا مؤمن فقد اطفا نورك
لهبي وسائر بها الشمس تصدع والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس ضعفها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فالتحيتهم
حيوطيبة ولخرتهم احسن مما كانوا يعملون ويوجد اخر الشمس في بيته لاهل الارض والمعرفة في بيته لاهل السماء وتاسعها الشمس فوقاني الصوت بحيا
لها المعنى والمعارف الالهية بحانية الصوت فوقاني الحسنى وفي بيت الحسنى مع التواضع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف احوال الخلق والمعرفة
يصل العالم الخالق والشمس يقع على الدنيا والعقبى والمعرفة لا تحصيل الا للدنيا كما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب ثلاث وصاحبان اشرف
من على من رتب الجسمانيات بدا موسى بطلبة فثلاث رتب شرح الصدر الشمس سراج وقدها الله نعم للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج استوقد
للبقاء يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق بحدائرها بارصدا والذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه
الشيطان رتبة شرح لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم لما مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك او لتزيل
ظلمة المعصية والكدر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهد ويمده الله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان
افلا يمده وهو معنى قولي رتبة اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه وانه سبحانه قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقربه
الشيطان منه رتبة اشرح لي صدري وايضا المجوس اذا اوقدوا نارا لا يجوز ان يطفاها فالملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يجوز ان يطفاها
رتبة اشرح لي صدري انه سبحانه اطلع على قلب المؤمن فاستكرمه لفاتحا حدها او من كان مبنا فاحييناه وقال تعالى من احيا نفسا فكانما احيا الناس جميعا فلما اطلع
على قلب المؤمن فاستكرمه لفاتحا حدها او من كان مبنا فاحييناه وقال تعالى من احيا نفسا فكانما احيا الناس جميعا فلما اطلع على قلب المؤمن فاستكرمه لفاتحا حدها
ارض القلب فحيا فاحيا بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب فشا فيها الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين وفي نار اذا وضع الشفاء في العسل يعبث تلك الخاصية فيه
ابدا فاذا وضع الشفا في الصدر فكيف لا يبحا بدا وثالثها الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفي نار الصائغ اذا امتحن الذهب من فعله ذلك
لا يدخل في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعد وزابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفي نار الرسول يهدي هذه نفسك الا تهتز
يهدي روحك المولى يهدي قلبك الاول قد حصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من احببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هداية القلب
فلا تزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفي نار القرطاس اكتب
في القرطاس لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي في القرآن وجمع احكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وايضا ان بيت الحاجي اكرم قرطاس فابراهيم
الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله اولى وثالثها اصبغ ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم قدس ولا يجوز للجنب والحائض
مسه فالقلب الذي فيه اكرم الموجودات كيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه وسادسها هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وفي نار ابا بكر لما انزل الله
عليه السكينة في الغار وقيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا يدان يقول عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفي نار الله هما اذا القي في الارض جنة فولا
يضدها ولا يهرقها فهو سبحانه جمع بين الفتيحة المحبة فارض القلب كيف تفرق وثامنها الالف بين قلوبكم وفي نار محمد احمين الف بين قلوب اصحابه ما تركهم خشية ولا
خصوا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمانينة الا بذكر الله تطمئن
القلوب وفي نار الحاجات غير متناهية وما سوى الله هو سبحانه متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي لهما لا يكون الا كما لا غير متناهيات بلا
بذهل قلوا الجوابح واضطراب الا الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات وردت في مقابلة الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم في قلوبهم مرض فزادهم مرضا
قاسية انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها وان على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والهرب من اضدادها
قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري لانه في حقيقة شرح الصدر ذلك ان لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب
الاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا هيبة بان يكون خائفا من الاعداء الناس عن فان القوة البشرية لضعفها كينبوع ضعيف فاذا
وزعت على جمادا وكثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثرها وقويت فائدتها فسأل موسى ربه ان يوقفه على معاني الاسماء
وفتح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومناجاة الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري وانقول انها كلف بضبط الوحي في
قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على عبادة الخالق في قوله فاعبدني وكانه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال بالآخر
فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري او نقول معناه النور هو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد الصندوق
والعدو بل الجنة والنار هو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب الى فضاء الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجائب الخلق وظائف تهن
صغر وافي عينه كالذباب والبق والبعوضة فلا يدعوه رغبته الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبته من شيء من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فضلا
ذلك يزول الحجاب وينفتح القلب بالكلية للنور وربة اشرح لي صدري الثاني تضرب مثلا لذلك فتقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالظاهر
والقوى كالصفة والقلب كالسيد والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب المغنم الى البلدة والغضب كالاسفهيد الذي
يشتغل بالضرب والتاديب والحواس كالجواسيس ساير القوى كالخزنين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك سطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة
والهوى الحرص ساير الاخلاق الذميمة جنوده فاذا اخرج الروح وذبره وهو العقل اخرج الشيطان في مقابلة الهوى فجعل العقل يدعو الى الله

تعالى والهوى الى الشيطان ثم ان الروح اخرج الغفلة اعانة للعقل فاخرج الخصم فى مقابلة الشهوة فالغفلة توقف على مغايب الدنيا والشهوة تحرز لذات الدنيا ثم ان الروح امد الغفلة بالفكرة لتوقف على الحاضر والغايب المغايب على ما قال افكر بها عاجز عن عبادة ستر فاخرج الشيطان فى مقابلة الفكرة والغفلة ثم اخرج الروح الحلم والسبات فان الحلم تزيى الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بالغفلة والسرعة فلهذا قالت ما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه وخلق السموات والارض فى ستة ايام ليتعلم منه الرفق والتثبات فنهاه هى الحصون لواقعين الصفين وقلبك صدلك هو لتعرفه ثم ان هذا الصد الذى هو القلعة خندقا وهو الذى هو حصن الدنيا ولسوره وهو الرغبة فى الاخرة وفى كل منهما تحصنت فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء الظن بالله من النهمة والغيبة وسائر الخصال الذميمة وتحصن الملك فى القصر ويضيق الامر عليه ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر من القلعة افتتح وانشرح وبتا شرح لى صدرك التكثر لغة فى الفرق بين الصدر والقلب فالفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام والقلب مقر الايمان حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى فى اللب يعلم التوحيد انما يتذكر اولوا الالباب الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى وبقوا لب الوجود الحقيقى ثم ان القلب كالروح المحتوى فى العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة التوفيق والقاها فى بحار امواج المعقولات من عالم الروح حانيا نسمات هبت من رياض العظمة والكبرياء رجا السعادة تارة ويبوء الادبار اخرى فى بحر الجلال فاذا وقع للقلب التفاتا اليها حصل له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحرق القلب ملؤن المحرق كلما كان اكثر كان الاحراق اتم فلهذا قال موسى رب اشرح لى صدرى حتى اقوى على ادناك درجات المكانات واصل الى مقام الانوار الجلالية كما قال لنبينا ارنا الاشياء كما هى وههنا سؤال فقد روى ان موسى لما اراد لفظة لى فى قوله رب اشرح لى وان يقول رب اشرح صدرك علم انه الاوان يحظو منعقد الشرح الهيا فلا جرم يقول يوم القيمة يعنى نفسى وان نبينا لما لم يتم فى مقام القرب اذ قبل السلام علينا ايها النبى فقال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة امتى امتى وشتان ما بين من يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لى صدرى وبين من يخاطب كلا بقول لم نشرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح التيسير عند اهل السنة هو خلقها وعند المعتزلة الخرق الذى هو البواعث بفعل الانسان المسهلة فانه يحتمل ان يكون هذا من الالطاف فلا يبحث عنها لانه بعد هذا السؤال انما قاله بسطا نواحلا عقد من لسانى فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة وموهبة جسيمة ولهذا قال الخلق الانسان علمه البيان بعد توسط العالمين كانه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفى لسان الشاعر وهو هير لسانا اى فصيحا نصف نصف فؤاده فلم يبق الا صوت اللحم والدم وعن على كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثولة وههنا مهملة وقالت العقلاء الدر باصغر قوة بجوف لسانه وفى مناقرة ادم والملكة لم يظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق هذا النطق وان كان فى التحقيق هو ادراك المعانى الكلية لكن النطق اللسانى لا ريب انه اظهر خواص الادمى وقد يتطير اسم منه والعبقرى فى صفة فقيل موسى رب اشرح لى صدرى اشارة الى الطلب الواقع فى قلبه وقوله ويسر لى امرى تنزل الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل عقدة من لسانى الى التكميل لان اللسان الذى لا افاضة والافادة وغير يسير ذلك الخطب الجسيم المنصب العظيم وحسبك بانى شرفا ومجدا سكوت الحاضرين وانت قائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قولهم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقلل الرجل بين ذكيرى توابع الكلام ابنى عن ذاك لانقراع قفاك ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذى ضرره خالص او غالب او مساو للنفع واجب الترك احترازا من المفسدة والعبث والذى نفعه خالص او غالب عسر الوصول اليه فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود ومعدوم معلوم لو موهو الا واللسان يدنا وله بازاء اثبات او نفى بحق او باطل بخلاف سائر الاعضاء فانها عين لا تتصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تتصل الى غير الاجسام وكذا باقى الجوارح اما اللسان فانه رحب الميدان واسع المضطرب خفيف الحركة سهل التناول لا يحتاج الى الات وادوات للمعتبر به فكان لا اولى بترك الكلام واسكات اللسان والاعضاء ان الصمت فى نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمى والنطق فى نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاشتماله على مفاسد فذلك القائل يرجح الخرس على النطق قال النبى رحم الله امرأ قال خيرا فغنم وسكت فسلم فالمراد بترك الكلام اما ترك الكلام الذى هو معاصى كقولهم ان النطق وضامت والسكوت وهو ترك الكلام من بعد على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا والاصاخة وهو ابلغ منه كالسمع والصوت من المكان البعيد اما العقد وقيل انها كانت فى اصل لغة موسى لثغة من جمر اخذها فى حال صباه حين ادخل يده فى فيه فاراد ان يبدى الياقوت مخول جبرئيل يده الى الجمر فاخذها ووضعها فى فيه فظهر به عقدة وتحلبس عند بعض الحروف

المؤمن موحد شاهد بطا الانوار الربانية وجلية المشاهدة والمكاشفة وحقايق العلوم اللدنية وهذا قال الصفية لله لا اله الا هو كان مظهر الالوهية
وصفاته العليا واسمائه الحسنى هو الحق الذى لا شئ اقرب الى الخضرة منه الا هو سر وعلم ادم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق ادم على
فنزه هل اتاك حديث موسى القلب الذى راى نارا هو نور فى الحقيقة مانوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا
فى ظلمة الطبيعة الحيوانية الى انوار الشريعة الواحد على النار هدى باذا بالطريقة الى الحقيقة فلما اتوها من شجرة القدس بخطاب الانس
فاخلع نعليك اى اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل فى الرجل بها او اترك الالتفات الى الكونين انك بالواد الجنابة القدس
اوهما المقدسة فى نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد وذلك انا اذا عرفنا فى لجة العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسائط
وانا اخترناك يا موسى القلب من بين سائر خلوقوجودك من البدو النفس والشر الروح فاستمع لما يوحى الطاعة والقبول انني انا الله لا اله الا انا
لانانية وجودك المجازى لا يبقى الا انا فاعبدنى بافناء وجودك دوام المناجاة معى ليتذكرنى بالتجلى ان قيامة العشق انيتى اكاد اخفيها
لعظم شانها الان متقاضى الكرم اقتضى اظهارها لاخص عبيدى لتجرى كل نفس بما تسعى فما لعبوبية من اسرار القلب النفس والقالب فلما
كان سعى الروح بحب الوطن الاصلى الرجوع الى مكمن اضاءة نفخ فيه من روحى فجراه من تجلى صفات الجلال بالعدم الناسوتية وكان سعى النفس
عن الاكوان لقبول فيض الكون فجراوه بافاضة الفيض الالهى وسعى القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلى صفات الجمال
والجلال فجراوه بدوام التجلى وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذى يزيل ظلوت الحدوث عن لوح القلوب لكشف
حقايق القلوب وسعى النفس بتبديل الاخلاق وانتقاء الاوصاف الحيوانية فجراوه باشراق نور ربها الازالة ظلمة صفاتها واعلمنا
الى ذكرها لنصير قابلة للجذبة راجعين الى ربنا وسعى القالب باستعمال الاركان الشريعة واداب الطريقة فجراوه بدرجات فضل
الكرامات فى الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التى لا تؤمن بها ويحمل ان يقال اكاد اخفى لشاعة وحلول
الجنة والنار لئلا يكون عبادتى مشوبة بطمع الجنة وخوف النار قالوا الخطاب موسى فى قوله هى عصاى وكان عليه ان يقول انت اعلم بحالها
منى وفى قوله اتوكا عليها وكان عليه ان يشكر على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له القها يا موسى وفى قوله واهش بها على غنمى اذ لا غنم
لا تكون فاسطة الرزق لفناء مرابنا الرزاق هو الله فتحذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يكن خوفك الا منه ولا
الا به واضمم يدك الى جناح قوتك تخرج بيضاء بقية عزدون السؤال وعار الطمع وباقى الحقايق مذكور فى التفسير وفى قوله
قاد مت بلفظ الماضى اشارة الى ان ذلك بالتقدير الازلى لا بالتدبير العقلى والله اعلم بالصواب وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً
اُخْرٰى اِذْ اَوْحَيْنَا اِلٰى اُمِّكَ مَا يُوحٰى اَنِ اقْذِفِيْهِ فِى التَّابُوْتِ فَاقْذِفِيْهِ فِى الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَاْخُذْهُ عَدُوٌّ
لى وَعَدُوٌّ لَّهٗ وَاَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلٰى عَيْنِىْ اِذْ تَمْشِىْٓ اُخْتُكَ فَتَقُوْلُ هَلْ اَدُلُّكُمْ عَلٰى مَنْ يَّكْفُلُهٗ
فَرَجَعْنٰكَ اِلٰٓى اُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنٰكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنّٰكَ فُتُوْنًا فَلَبِثْتَ سِنِيْنَ فِىْٓ اَهْلِ
مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلٰى قَدَرٍ يٰمُوْسٰى وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِىْ اِذْهَبْ اَنْتَ وَاَخُوْكَ بِاٰيٰتِىْ وَلَا تَنِيَا فِىْ ذِكْرِىْ اِذْهَبَآ اِلٰى
فِرْعَوْنَ اِنَّهٗ طَغٰى فَقُوْلَا لَهٗ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهٗ يَتَذَكَّرُ اَوْ يَخْشٰى قَالَا رَبَّنَآ اِنَّنَا نَخَافُ اَنْ يَّفْرُطَ عَلَيْنَآ اَوْ اَنْ يَّطْغٰى
قَالَ لَا تَخَافَآ اِنَّنِىْ مَعَكُمَآ اَسْمَعُ وَاَرٰى فَاْتِيٰهُ فَقُوْلَآ اِنَّا رَسُوْلَا رَبِّكَ فَاَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىْٓ اِسْرَآءِيْلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ
جِئْنٰكَ بِاٰيَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ وَالسَّلٰمُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى اِنَّا قَدْ اُوْحِىَ اِلَيْنَآ اَنَّ الْعَذَابَ عَلٰى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلّٰى قَالَ
فَمَنْ رَّبُّكُمَا يٰمُوْسٰى قَالَ رَبُّنَا الَّذِىْٓ اَعْطٰى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهٗ ثُمَّ هَدٰى قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُوْنِ الْاُوْلٰى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ
رَبِّىْ فِىْ كِتٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّىْ وَلَا يَنْسَى الَّذِىْ جَعَلَ لَكُمُ الْاَرْضَ مَهْدًا وَّسَلَكَ لَكُمْ فِيْهَا سُبُلًا وَّاَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ
مَآءً فَاَخْرَجْنَا بِهٖٓ اَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتّٰى كُلُوْا وَارْعَوْا اَنْعَامَكُمْ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّاُولِى النُّهٰى مِنْهَا خَلَقْنٰكُمْ وَفِيْهَا

لِاُولِى

نعيدكم وفيها نخرجكم تارة أخرى ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك
باز بميريم شمارا واز آن بيرون بياريم شمارا بار دیگر وتحقیق نمودیم او را همه آیات خود پس تکذیب کرد و ابا نمود کفت آمده ای ما را تا بیرون کنی ما را از زمین خود بجادو
يا موسى فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا أنت مكانا سوى قال موعدكم
ای موسی پس آوریم ترا بمجادو مثل آن پس بکردان میان ما و میان خود وعده کاری که خلاف نکنیم ما آنرا و نه تو بجای همواری کفت وعده شما
يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى فتولى فرعون فجمع كيده ثم أتى قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
روز اراش هست واکه جمع شوند مردمان چاشتکاه پس باز کشت فرعون و فراهم آورد حیله خود پس بیامد کفت مر ایشانرا موسی وای بر شما
فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا إن هذان لساحران يريدان
بیندیشید بر خدا دروغ را پس بکیرد شما را بعذابی و بدبخت شد هر که دروغ بست پس کشاکش کردند مر کار شانرا میان خود و پنهان داشتند راز را کفتند بدرستیکه این دو هر آینه ساحرند میخواهند
أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد أفلح اليوم من
که بیرون کنند شما را از زمین خود بجادوشان و ببرانند این شما را که خوبترست پس جمع کنید کرد خود پس بیایید صف کشیده و بدرستیکه کامیاب شد امروز هر که
استعلى قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من
غالب آمد کفتند ای موسی یا اینست که بیاندازی تو و یا اینکه باشیم اول کسیکه انداخت کفت بلکه بیندازید پس ناکاه رسنهای شان و عصاهای شان وانمود شد بموسی
سحرهم أنها تسعى فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما
از جادوشان که آنها میشتابند پس یافت در خود ترس هی موسی کفتیم مترس بدرستیکه تو فرو برتر و بیفکن آنچه در دست راست تست فرو برد آنچه
صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب هرون وموسى قال
ساخته اند بدرستیکه آنچه ساخته اند مکر ساحر است و رستکار نمیشود ساحر هر جا که آید پس انکنیده شدند ساحران سجده کنان کفتند کرویدیم بپروردکار هرون و موسی کفت
آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في
ایا ایمان آوردید او را پیش از آنکه دستوری دهم مر شما را بدرستیکه او هر آینه بزرکست شما که آموخت شما را جادو پس هر آینه ببرم دستهای شما و پایهای شما از خلاف یکدیکر و هر آینه بدار کشم شما را در
جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض
تنهای درخت و هر آینه خواهید دانست که کدام ما سخت تر است در عذاب و پاینده تر کفتند هرکز اختیار نکنیم ترا بر آنچه آمد ما را از نشانهای روشن قسم بآنکه پدید آورد ما را پس حکم کن
ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر
آنچه تو حکم کننده جز این نیست حکم میرانی در این زندکانی دنیا ما بدرستیکه کرویدیم بپروردکار خود تا بیامرزد مر ما را کناهان ما را و آنچه کراهت نمودی ما را بران از سحر
والله خير وأبقى إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأته مؤمنا قد عمل
و خدا بهتر است و پاینده تر بدرستیکه آنکه بیاید پروردکار خود کناهکار پس مر او راست دوزخ نمیرد در آن و نه زندکانی میکند و آنکه بیاید او را ایمان آورده کار
الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من
شایسته پس مر او راست مرتبهای بلند بهشتهای جاودانی میرود از زیر آنها جویها جاودانیان در آن و این پاداش کسی است
تزكى القراءة ولتصنع بسكون اللام والعين على الأمر بدليل الآخرين بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب بي ذكري اذهبا بفتح
که پاک شد یاء المتكلم أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وخلفه بفتح اللام على أنه فعل ماض لنا قون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف
عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الآخرون مهادا سوى بكسر السين أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعلى الآخرين بالضم لا
تظلفوا الجزم جوابا للأمر بدليل يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب حيث كان بالإمالة حمزة فتسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف
ورويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان خفيفة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذان أبو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير
الباقون بالتخفيف فاجعوا همزة الوصل وفتح الميم امرا من الجمع أبو عمرو والآخرون على لفظ الأمر من الاجماع وقد افلح بنقل الحركة الى اللام الجيم
كان ورش وعباس وحمزة في الوقف بخيها التاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والعدني زيد الباقون وابن مجاهد عن بزي ذكوان بالفاء
تلقف بالتشديد والرفع على الاستيناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقنبل البزي وابن فليح مشددة التأكيد سحر
على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال ائتم بالمد أبو عمرو وسهل ويعقوب ابن عامر وأبو جعفر ونافع وابن كثير
عن ابن مجاهد وابن عون عن قنبل قال ائتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد أبو عون عن قنبل الباقون ائتم بزيادة همزة الاستفهام ومن
باتيه مخففا لتاء الهاء يزيد قالون ويعقوب بخير مد وأبو عمرو عن طريق الهاشمي عن البزندي ومن يأته بسكون الهاء خلاد ورجاء والبجلي وابن مجا
والبزندي غير أبي شعيب وصحى وخارجة الباقون بالهاء في الاشباع الوقف أخرى لا لانا نقصر المرة. أبو حي لان ما بعد نقصر أبو حي وقد ولد
مني ج لان الواو قد تكون مقحمة وتعلق اللام بالفعل قبله وقد يكون عاطفة على محذوف أي فأتيا فصنع ولتصنع ومن جزم اللام وقف على يا لالتقاء

عينيه لئلا يوهم ان ظرف لتصنع من كلمة ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد القصة يجيز الوصل ولا ضرر
لابتداء منذر اخرى فونادينا يا موسى بغير فاء لانه استئناف الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكرت مثل ما قلنا والضمير راجع الى ما يخيل اليه
لان قد لتوكيد الاستيناف وقد انقطع النظم على ان اتحاد القول يجيز الوصل من حيث ان ذلك فان الواو والفاء يكاد لا يحسن اصلا الصفة و
الاستيناف ولا ينبغي بناء على ان الذي صفة الرب والاحسن عند بعضهم هو الذي اعني الذي ما اظلك الخ انتهى قرئ وفي يا موسى بحذف
حرف النداء تعذيب لاختلاف الجملتين اعني التي لم تستفتح بالفاء لفوات الان المقدر بها لفواتها وانما لم تحذف مع فاء التعقيب واذا الفجائية
المنابة عن الوقت لفوت موسى الا على ما صنعوا كيد ساحر اي وموسى لكم السحر للعلم المحذوف ولا نقطاع النظم مع فاء التعقيب واتمام معمول الكلام
الفصل لابتداء معنى التعجب لفظ استفهام يعقبه مع اتفاق الجملة واتحاد الكلام وابقى فاصل الحيوة الدنيا من السحر وابقى جهنم ولا يضع محيي اهلا لا
لان ما بعده بدل منها نزكى التفسير من علية سنا انهم ومن عليه منذ اي متن عليه كان الله سبحانه قال لموسى اني راعيت صلاحك قبل سؤالك
فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال وكنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك الحال مطلوبك لكان ذلك وانا بعد القبول وعدا نا بعد
الاحسان وذلك بناء في الكرم لان الذي قالوا المنة هدم القبيح وفي نوع من الاذى نفوله ولقد منا عليك يكون من الاول الى الآخر والى الاول من آخر ذلك
يحتمل ان لا يكون المنة من النعم المطلوب اثبتها ولما يكون تثبتها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعم بالشكر والطاعة وانما قال
مرة اخرى لان الجملة تقصد بالحكم وان كانت مشتملة على من كبيرة والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشمعون او على لسان
ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت الملائكة يا مريم او الهاما في المنام او وضع ولدها في التابوت وقذفه في البحر ثم تدوله
اليها او القاؤه بذلك او لعل الانبياء المقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك واتى خبرهم اليها ومعنى ما يوحى ما ينبغي ان يوحى لما فيه من
المصلحة الدينية ولا امر اعظم ولا نذر الا يعلم الا بطريق الوحي ان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع اي ضعيه
في التابوت وقذفه في تضعيه في البحر ظاهر معناه في البحر في تضعه ظاهرا والله الغفير ان الباقيان في قوله فاقذفيه في اليم فليلقه عدو الله الى موسى
ايضا لتلا يؤدي الى تنافر النظم فان القذف والالقاء اذا كان موسى وهو في حوف التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا مقذوفا وملقى ويؤيده
ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عدو التابوت غير معقول لزم اذا كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالاسلوب بالاعجاز القرآني ان
يكون الضمير الوسط ايضا كذلك لان المعنى صحيح اللفظ مناسب فالحمل على العهد ولما عطفا على الضمير وانيم هو اليم والمراد ههنا نيل مصر والساحل
شاطئ البحر واصل التحلل القشر ولهذا قالوا رطب يانع وهو مغلو بكلا ناه محلة وهو محمول قال اهل الاشارة من عطف تيسير الشراح الصدر بنور
الوحي ان يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو اعز الاشياء في التابوت لتوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل ارادة الله وشتيد بروز
انها حيلتي في التابوت نظما محلوجا او منضدا فيه وبعضه وفتر تهم القذف اليم وكان يترع منه الى نيل فرعون فرعون مركبه فينيا هو
جالس على رأس كرع استيقنا ما التابوت فامر بتابوت فاخرج ففتح فاذا صبي صبيح التابوت بحما فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يبقا لان يبصره صدفة
اللفظ بدل على ان التابوت لقط من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فرعون فاخذه التقاطا لكن ما ذكرنا اكثر اما كون فرعون
عدو الله من جملة كفره وعتوه فظاهر واما كونه عدو الموسى وهو صغير نابت المال ولانه لو ظهر له حاله قبله فيحتاج من يرى حبيبه في حجر
عدوه فانه لو كان بحضرته فرعون ربع ساعة علام وجاريته فحين اشار باخذ التابوت وعدم من يتبنى ذلك الى الاخذ فاخذوا بتوا جميعا ولم يطمع
باخذه الا واحد منهم فاطبق الكل ولم تكن غير ارادة عدو الله فعلم يجوز من كرم ان البعض انعم للكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يقع عزم
المؤمنين على الظاهر والخبر فالمرجو منه اعناني الكل من التابوت وان وقع لبعضهم تضييع العمل فتوليني اما ان يتعاونا الصبي ويكون صفة المحبة
امحبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبه القلوب واما محبة الناس التي زرعها الله في قلوبهم بقدر وزي
اشتراكا على جهة مسخ جمال وفي هيئته ولا حاجة لا بكاء بصر عند من راه قال القاضي هذا الوجه اولى لان الضمير لا يتوقف التصريح بوصف بمحبة الله التي
يرجع معناها الى اعمال الثواب ردا بان محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو اعم من ان يكون مقرونا على العمل او لا يكون ولهذا بين المحبة بقوله
ولتصنع على عيني اي لترني ويحسن اليك وانا امر اعينك وحراستك كما يراعي الشيء بالعين اذا عني بحفظه فلما كان المراعي يتوخى حارسا للعين قالوا
كما ان الناظر الى بحر يسمى ناظرا فاطلق لفظ العين على العلم لانها سببه من هذا الوجه وانما لم يقل لتصنع لعيني فاطلق السبب واريد المسبب يقال عين
عليك اذا عنى لك بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المنتي المفعول في لتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ شرطا
لتصنع وليس بذلك وانما هو ظرف لالقيت او بدل من اذ اوحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع بقول الرجل اتيتك اذ لقي فلانا ستدركه
ثم تقول وانا القيته اذ ذاك وبنا القيته صوني او قتها او انت في اخرها بر وانما افشا الطيران الى فرعون اخذوا اعلاما في اليم وانما لا يرتضع مرضعة
امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت اخت موسى مع امها مريم متفكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل ثديها
وذلك قوله فرددناك الى امك فان قال الى القصص فرددناه الى امه يضد بها القوله انا رادوه اليك كتيقرعينها بلقائك ولا تحزن بسبب
وصول الينا بعيرها الى معدتك وقلت سنا بن اثنتي عشرة سنة نفسا هو الفيطل الذي يجيء ذكره في القصص فجبنا من التم وهو الضعيف

فرعون منك وقيل الفهم والعقل ليغيظ فرعون وارد بالقوم خوف عباد الله وذلك قوله فاغفر لي فغفر لهم ونشأ فقوانا مصدر على فعول كالقعود والكهود والوجيع كالطهور او جمع فنسه على ترك الاعتداد بتاء التانيث كبدن بالتحريك وحجور في مجرة والفسقية المخندق والابتلاء بحار بشر قال نعم وسلوكها بالقر والحصر فسر وفيها مضى التخليص من قولهم فلتت اتتهاذا اردت تخليصه من سعيك جبيرا تهر سالا من غياث من قنوط فقال اي خلصنا لك من محنة بعد محنة ولدغ عام كان قتيل عبد الولدان والفسقية اتم في الجرم فرعون بقتله رقتل وتطيارا جر فسقية عشر سنين وصل الطريق وتعرفت عنهم في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة منهذه فتنة يا ابن جبير قال لعلها الاهبور اطلاق اسم الضان على الله تعالى وان جاء وفتناك لانه صفة ذم في العرف وبجوز قصد تلبسه في اهل دين واتعلى ثمان مراحل من معرف سورة القصص فتح العزيز قوله على قدر اي في وقت ستوني فضائي وقدر ان كملك واستبثك فيه اوعلى مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبياء وهو اربعين سنة او على موعد قدر فيه باخبار شعيب بعيره والصنع بالضم مصدر كصنع البير معرفا او بها فعل الاصطناع انتعال منه واستعمالك للخير اكثر واصطنع فلان فلانا اذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسي انا اصطنعه وخرجته ومعناه الحسنى اليه حتى انه يصانعك في قوله لفتوى اي لا صرفن جوامع همتك في اوامري حتى لا اشتغل بغيرها امرك به من تبليغ الرسالة والقاعة المجتمع وقال جار الله مثل حالة بحال من يراه بعض الملوك اهلا للتقرب والتكرم فيحضره بحضرته فيصطنعه بالكرامة ويخاصه لنفسه فلا يبصر الا بعينه ولا يسمع الا باذنه ولا يامن على مكنون سره سواه وقال غيره من المعتزلة انه سبحانه اذا كلف عباده وجب عليه ان يلطف بهم ومن جملة الالطاف ما لا يعلم الا سمعا فلو لم يصطنعه للرسالة التي في عهدة لفوات هذا امر وفعله الله لاجل نفسه ستحن بحرج عن جهده ما يجب عليه ولما عدد عليه المنن الشاقة باداء الاوقية المذكورة رتب على ذكر ذلك امره بها اما الامر هو قوله اذهب انت واخوك وبينه بيان ما لاجله اصطنعه وهو الابلاغ واداء الرسالة اما في اي مع اياي لانهما لو ذهبا او ذهبا لم يلزم الاتيان وهذا من اقوى الادلة على وجوب التقليد وهاهنا الايات قتل العصا واليد لانه لم يجز الا ذكرهما فاطلق الجمع على الاثنين او لان كلا منهما مشتملة على ايات اخر او لانه يدل كل منهما على وجود البقاء وعلى كل عالم بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر بقلب الجماد حيوانا والمظلم منيرا وقيل قوله فيه ايات بينات مقام ابرهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل اذا ذهبا اتي احدهما ايا بان واظهرهما على يد كما سئي وقع الاحتجاج اليها واما التمني فقوله لكي تسبحا بكسر الكاف من مثل تعدوفرق بينهما بكسر حرف المضارعة ايثارا للاتباع والنون بتخفيفين الضعف الفتور والكلال الاعياء والمعنى لا تنسيا بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل الفاصد واعتقدا ان امر امن الامور لا يثنيكما لاحد لا يذكرني فاتا لمدة وعلى ذكره توجب الخوف من جبروان يحضر في خاطره ما سواه لقوة نفسه واستغنا باطنه وقيل اراد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على كل العبادة فضلا عن اعظمها فائدة واتمها عائدة وقيل اذكرني عند فرعون وقيل لا تكرا في اداء ما امرتكما به ولا تضيا عليه واتيا عليه على الايمان وارتياضه بالجملة كل ما يتعلق بالترتيب والترغيب والفائدة في تكرير قوله اذهبا الى فرعون والخطاب بعد التغليب والتاكيد ان تشعلا باداء الرسالة معا لان يفرغ به موسى والا لزم الامر بالذهاب الى كل بني اسرائيل والفظ والتاني مخصوص بفرعون الطاغي ثم امتر خطب كلاما وموسى حاضر فقط لان اصل الامر هو كقوله اذهب فتلثم بفتاك والفاعل واحد منهم ويحمل ان يعيد فاذهب مضمرة فتتعدد تكليفات الله عز وجل اي اذهب الى فرعون وهو يصران يتلقى قومه وقيل الهم بذلك قيل سمع بجبره فلقاه سؤال الهما بتليين القول للعبد والمعاند خوابه لان عادة الجبابرة اذا غلظ لهم في الكلام ان يزدادوا غلوا وعلوا وقيل لما لم من حق تربيته موسى شيبه وحق الابوة وكيف ذلك القول اللين الاصح انه نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهر الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الداريز وقيل اراد عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا بالموت وان يتولى اذة الطعم والشرب والنكح الى حين موته حكي عمر بن ذر قال بلغني ان فرعون عمر اربعمائة سنة واربعين سنة فيها الله موسى ان اطعني فلك مثل ما عمرت فاذا مت فلك الجنة وقيل اراد كنيا وهو من ذوي الكنى ثلاثا بو العباس ابو الوليد وابو مرة ويحتمل ان يكون امرا بالقول اللين لا تركا ذي بوسي حدة وغضب ربما يحبب اذا غضب اشتعلت فلسنونة فاضاع الجد مرة باللين ليكون حلمها في اداء الرسالة اوجى فيقبل انكاره واصراره قالت العترة حذرا ارسالها اليه مع العلم بانه لن يؤمن قطع العذرة والزامه الحجة وقالت الاشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر وكالسبيل الا التسليم وترك الاعتراض والتسكوت بالطلب المتاقالوا لو اتركن بدفع سكينا الى من علم قطعا انه يمزق بطن نفسه ثم تقول له اردت بدفع السكين اليه الاحتراق بوعرفني انه قال والذي يحلف به كعب انه مكتوب في التوراة بيده لا بقوله لانبا وسا في قلبه فلا يؤمن فلانا بنا بدليل على ان هرون ايمانه كان ماخوذا وقلبه كان مرويا وسئل انه اشرح صدره ويسر امره فكيف قالا انا نخاف فان حصول الخوف يناقض شرح الصدر وضبط الاوامر والنواهي وحفظ الشرائع والاحكام بحيث لا يتطرق اليها خلل يحرجه وقد اشيء احرمقاما يزول الخوف فلت لعلهما علما ان لا يتمكنا من اداء الرسالة الا بدليل قوله ان يفرط علينا اي يبدي منا شانا وبادر فا لمقهوبرا وان يطغى اي يجاوز الحد وان يقول فيك ما ينبغي ان يجاوز حد الاعتداد في مقابلتنا ان لم يبادر فا قال لا تخافا فانكما ممكن من اقامة وظائف الاداء وايضا الدليل الخفي اذا انضاف الى الدليل الجلي زاده ايقانا وطمانينة ولهذا قال لا تخافا اني معكما اي بالنصرة والتاييد اسمع واري ما يجري بينكما من قوله وفعله فاعمل كما ما يوجب عنا بتي وحراستي فلا يتعدى مكما الى ان تولد كوامني اقتطف معكما اذا فاوا لما مقام الكلام فقتا مة الوهم نسب جزء كما وجوز ان يكون الفعلان مترتكي المفعول

المفعول كانه قيل اسامع مبصر اذا كان الحافظ والناصر كذلك تحفظ واكلت النصرة قال بعض الاصوليين في الامر لا يقتضي الفور ولا التكرار فعلها بالخوف معصية وتركها غير جائز على الترتيب في الاصح قال بعض المتكلمين فيها دليل على ان التمتع بالنصر صفة زائدة على العلم ولا لزم التكرار فان معتبر هي يا يعلم افاضل ان يقول الحاصر يا قابل العام ولكن لا يبالي به ثم كرر الامر ثانيا فاجاب فقوله فسل اتيهما الامر بان يقول له قولا لينا فكيف غلظاه اولا بقوله انا رسولا ربك فيه اعجاب بنفسه لها واكراه على طاعتها وهذا انما يعظم على الجبار وفاما بقوله فارسل معنا بني اسرائيل وفيه دخال النقص في ملكه لانه كان يتحدد بهم في الاعمال الشاقة وثالثا بقوله ولا تعذبهم وفيه منعهم عما يريده بهم واجيب بان هذا القدر من التغليظ ضروري في اداء الرسالة فقيل لهما لين الاولى ان يقولا انا رسولا ربك فقد جئنا لك بآية من ربك فارسل معنا بني اسرائيل ليكون ذكر المعجز مقرونا باداء الرسالة والجواب ان قوله فارسل من تمة الدعوى وانما ومد قوله فقد جئناك بآية ومعجزة شيان بل الآيات اقوله ان هب انت راحول يا بالي لا تزار الجنس كانه قيل فقد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه ايضا نوع من الادب كما لو قلت لانا رجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك علوم جمة على ان تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزايد عليه وايضا الاصل في معجزات موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما ان الاصل في معجزات نبينا كان هو القرآن فوضع لذلك تعجيز الخصم والسلام اي جنس السلامة او سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون هذا ايهاما ان امرهما بقوله له فرعون ويحتمل ان يكون الرسالة قد تمت عند قوله بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن امن وصدق قالت الاشاعرة في قوله ان العذاب على من كذب وتولى دليل على ان لا يعاقب احدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الاوقات فوجب ان ينجي على اصله في نفي الدوام على ان العقاب المتناهي لا يستلزم الى النعيم المقيم الذي لا نهاية له فكانهم لما صدقوا وايضا العارف بالله قد يتاخ الهدى فوجب ان يكون من اهل السلامة قال فمن ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء الى موسى لانه الاصل في ادعاء الرسالة وهو رئيس وزيره ويجوز ان يعرض موسى عليه السلام بالنداء لما ذكر من فضايحه هرون والوزير التي كانت في لسان موسى قال اهل الادب ان فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لما بعد بالشفاعة والشعب بدأ شرع في المناظرة وطلب الحجة قال على ان الشعب من غير حجة شيء ما كان يرضى به فرعون فرعون مع كمال الجهل وكبره فكيف يليق بمن يدعي الاسلام والعلم والاشتغال بموسى بافاضة الكلام على المطلوب دليل على بناء الفاسد على الفاسد وقد قال القائلون ان معرفة الله تستفاد من قول الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لكنه لا يبقى الشك في ان الحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها واعلم ان العلماء اختلفوا في كفر فرعون وفعل كان عارفا بالله الا انه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وطوتهم البنا لا يرجعون وليس الا انكار المعاد دون انكار المبدأ وقوله في الشعراء ومارب العالمين الى قوله ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب منه المهية وهو يشرح الوجود فدل على انه اعترف باصل الوجود وايضا ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لان موسى الماهر الى مدين قال له شيخ لا تخف نجوت من القوم الظالمين فكيف يعتقد مثل هذا الشخص انه اله العالم بل كل عاقل يعلم بالضرورة انه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وايضا انه سال فيهما عن ماهية الكيفية وفي الشعراء بما الى الماهية فكان موسى لما اقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمناقشة عند معرفة هذا المقام الظهور وشرع في مقام اصعب وهو العلم بماهية الله تعالى عما يصفه الظالمون وايضا انه قال في الجواب ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وصلة الدلالة ان يكون جملة معلومة الانسان ومن الناس من قال انه كان جاهلا بالله بعد ان قام عليه الدليل لا يجوز ان ينسب في نفسه انه تركه خالق السموات والارض وما بينهما فانهم من قال انه كان دهريا نافيا للمؤثر اصلا ومنهم من قال انه فلسفي قائل بالعلة الموجبة وهو من عبدة الكواكب او من الحلولية والمجسمة واما ادعاء الالهية والربوبية فمعنى انه يجب عليهم طاعته ولا نفيا لحكمه قال بعض العلماء انما قال فمن ربكما ولم يقل الهكما مع انه ما ادعى الا الالهية فيما قال لم ترتب موسى كما قال لم ترتب فيما قلت يحتمل ان يكون تخصيص موسى بالذكر لتنبيهها على هذا المعنى ولم يقل الكافرات او توبيخ الثاني دعاها موسى الله في قوله انا رسولا ربك عن هذه في الحقيقة ولا شاركه تنبيها الا في اللفظ وهذا كما اذا عرض عروض على ملوك وقيل هذا الذي اعطى كل شيء خلقه في قوله انا احيي واميت ولم يعلم ان احياء وامانته ليس من الاحياء والامانة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على اثبات الصانع باحوال المخلوقات وفيه دلالة على ان موسى كان اصلا في النبوة وان هرون راعى الادب فلم يشتغل بالجواب قبله لان الاصل في النبوة هو موسى ولان فرعون خصص موسى بالنداء من قبل خلقه ليكون اللائم فاما بمعنى الخليقة والقبيلة الجر وبالله وفهم المفعول الثاني ليفصل قوله ثم هدى والخليقة اي اعطى الخلائق ما به تواهم من المطعوم والمشروب الملبوس والمنكوح ثم هداهم الى كيفية الانتفاع بها فانتخبوا الحديد من الجبال والنار من الشجار وبركبوا الاغذية والادوية والاسلحة والاشعة ويظهر هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن ابرهيم الذي خلقني فهو يهدين واما ان يكون الخلق بمعنى التصوير والتشكيل اي اعطى كل شيء صورته شكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فاعطى العين هيئته التي يطابق الابصار والاذن ما يوافق الاسماع والانف للشم واليد للبطش والرجل للمشي بل اعطى رجل الادمي شكلا يوافق سعيه ورجل الحيوانات الاخر شكلا يطابق مشيها بل اعطى فم الطير ورجليه ما يوافق حاجتهن وكذا تخف والحافر ذوات المخالب مثل اذا اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل المحطاد والمجرور بين كذا

الجبير والمناقر والوحل والمراد خلقه بفتح اللام صفة للصنا او المضاف اليه والمفعول الثاني ذلك اي كل شئ خلقه الله لمنفعة عباده
وانعامه واعلم ان عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له وقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان
ههنا واحد امنها هي ان الطبيعة جعلت الثقيل هابطا والخفيف صاعدا فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه
جعل العظم والشعر اضلا على الطبيعة الارض جعل مكانها فوق البدن وجعل مخشنة الرقاع الذي هو بمنزلة الماء وجعل مخشنة النفس الذي هو
الهواء وجعل مخشنة الحرارة العزيزة فوق القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهرية والطبيعية وسائر الكفار وايضا
اختصاص كل جسم بقوة وتركيب هذا يتم اما ان يكون واجبا او جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك
المرجح واجبا لوجوده لزم قدم المطلوب ان كان جائزا لوجوده افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا يمتد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم
يستغني عن سائر المتعلقين ثواب الفقاء ولبيك لا الله الواحد القهار قال اهل النظام ان موسى لما قرر عليه امر العيد قال فرعون ان كان وجود
الواجب في هذا الحد من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا وما عارض الحجر بالتقليد والبال الحال والمنزلة ما هذه ما بعد ان في قوله
ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا فما عذبوا فاجاب بان هذا مما استأثر الله بعلمه وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما يخبرني علا
الغيوب وانما سالته عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصبر موسى على المضض ويشغله بالحكايات خوفا من ان يميل
قلوب ملائه الى محنة الباهرة وكلمة الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال اعلمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم ويجوز ان يكون الكلام
قد تم ضمنا او صريحا الى حاطة الله سبحانه بكل شئ فنازعه الكافر قائلا ما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط علمك
باحوالهم واجوالهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد لقلة البشر الضئيل وقوله
علمها عند ربي مع قوله لكتاب لا يضل ربي ولا ينسى فبان بل المراد انه تعالى عالم بجميع الغيبات مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات ومع
ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كانه قيل ان يقول لعلها اثبتت في اللوح لاحتمال الخطا والنسيان فقد ارشد ذلك بقوله لا
يضل ربي ولا ينسى قال المجاهد هما واحد المراد انه لا يذهب عنه شئ وكانه نبه على الفرق فقال الضلال الاول اشارة الى كونه غائبا
بالكل والنسيان اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه وليس يتغير علمه بقال ضللت الشيء اذا اخطاته في مكانه
فلم اجده له وقال مقاتل لا يخطئ الكتاب بي ولا ينسى ما فيه قال الكسائي لا يخطئ في وقت البعث كما لا ينسى وقال ابو عزيز ولا يغيب عن شئ ولا يعزب عنه شئ
وقال جرير لا يخطئ في التدبير فيفتقد عن الصواب صوابا واذا عزب عنه شئ علمه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وهو ان عباده لما
من كفره حتى ينتقم منه ولا يترك من رحمه حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام الشامل لجميع المخلوقات السماويات والارضيات من الانسان وما
يحيوانا وانواع النباتات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي
اختاره مهادا لا تناسب لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهاد جمع والمهاد جمع وقال الفضل هما مصدران وسلك اي حصل لكم فيها سبلا تدور لها
بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخرجنا اي اخرجنا بسبب ما بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين من انكر تاثير الوسائط رأسا وزواجا اي اصنافا مختلفة بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت
كمرضى ومرضى وصفة للنبات لا مصدر سمي به النبات كما سمي به المنبت فاستوى فيه الواحد والجمع بعني انها مختلفة الطعم والطبع واللون
والرائحة والشكل ثم بين ان الغرض من ذكر هذه الاشياء ان يتمتع بها المكلفون فقال كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان بعض النبات يصلح للبهائم وبعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم والناس
الاكل بعضهم من بعض ساير وجوه الانتفاع كقوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ومن نعم الله تعالى ان رزق الانعام يحتمل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها تارة
عرضا يتهيأ من غير ان يقصد زرعه على الكمال قال الجوهري المنتهى بالتاء واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا
كالهدى وخص اولي النهى بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض
وكان بنو ادم مخلوقين من النطفة ودم الطمث المولدة من الاغذية المنتهية الى الصفراء القابلة عليها الارض تارة والماء اخرى فلهذا السبب حسن
من هذا الوجه ان يقال منها خلقناكم وفيها نعيدكم كما كان الحديد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله الى السماء وهو
ايضا يحتمل ان يعاد اليها فيعاد لذلك ومنها نخرجكم تارة اخرى بالحشر والبعث اوان نخرجكم انواعا واطنابا ثم تصيبكم بعد الاخراج او المراد الاحياء
في القبر وبهما تمت وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تمام كلام موسى وهو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول اكثر
ان يجعل قوله فاخرجنا ابات المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء الجاري انواعا ازواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى
قوله ونخرجكم لا يطابقه وان قبل ان كلام موسى تم عند قوله وانزل لكم من السماء ماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لكان فاء التعقيب
فالصواب ان تمام كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدا فقال الذي جعل لكم الارض مهادا وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من قبيل
الالتفات افتنانا في الكلام وابتدانا بانه مطاع تنقاد الاشياء لتخصيصاته تنبيها على مثل هذا الابداء في قدرته احد سواه والحاصل انه
تعالى عدد عليهم ما على الارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا ينقلبون عليها عند الاقامة وسكنا لهم فيها مسالك ينقلبون بها في اسفارهم وابتدع فيها

امتنا النبات منا عالم ولا نعامهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشاوا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم تخرجون من الاجداث في آخر
الاجنة من الارحام وفي ثم قال رسول الله ثم تعودون اما الارض اي ترد وا وتجمع فيها من غير خلل ويتميزوا بها فانها تبلى كل الا كالام
ومنها خلقناكم فيها معاشيكم وفيها نعيدكم بعد الموت كما انكم قوله عز وعلا ولقد اريناه اياتنا اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف فيلزم وصول العرفة
فيكون كفره جحودا وعنادا كقوله وجحدوا واستيقنتها انفسهم الاكاد كفرهم جحالة وضلالة لان شؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا اكد
بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع الايات لان من جملتها ما اظهرها على الانبياء الاقدمين ولم يبق لموسى مثلها فالجواب هذا التعريف الاشارة الى احد
جنس التعريف العهدي او قيل الايات كلها وهي التي ذكرت في قوله ولقد اريناه موسى تسع ايات بينات ولو سلم العموم فالمراد ما تدل على الايات
الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات الظاهرة وعلى المقالات تسليم القدرة على الاشياء ليتناول
تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى والمراد انه اراه آيات محصورة بعدد معلوم شاهدها من الانبياء واجبا النبي الصادق جاز بحري النبي
اراءة بعض الايات كاراءة الكل كما ان تكذيب بعض الايات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب بالايات كلها والى متولي الحق قال لقد
الاباء الامثال لانه لا يوصف بالامن يتمكن من الفعل والترك لدلالة الام بتوجه الذم وجواب الاشاعرة انه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف
ان يميل قلوب ملائه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عن سوء قوله لاوغاء امكان معارضته فاملا اجلبنا لتخرجنا فان
الاخراج من الديار قرينة القتل بدليل قولهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم طالب المعارضة موعدا فان جعلته زمانا لوعد دل
قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان التقدير لا نخلفه نحن ولا انت فعلى هذا يوم الزينة مبتدأ والموعد خبره ويجوز ان يكون الموعد مبتدأ ويوم الزينة
الخبر ويجوز ان جعلته مكانا لوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه نحو ضرب زيد الظهر لا نخلفه نحن ولا انت ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مثلنا
لمعنى لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشتهر عندهم وكانه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا
لم يقع وصفه بعد الاخلاف من غير اضمار ويجوز ان ينتصب مكانا على انه ظرف تام من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر اي بعد كم الوعد
في يوم الزينة او وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم يحشر الناس هو ضحى اي ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فيقدر مضاف محذوف اي علم وعد
يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا ووسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد فوصف المكان بالاستواء بانيا المنتا وقال ابن عباد
اي مستويا لا يحجب بناء رفاعه وانخفاضه ليسهل على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي كما سوى هذا المكان الذي نحن فيه الان قال
القفال الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الاقرب انه من كلام موسى
ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب لان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق
بالغلبة لا بالمبطل المزور على ان موعدكم خطاب للجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يتكلف ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح
واما ان يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون لعظمها وبوم الزينة يوم عيدهم يتزينون فيه ومن قال يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم
سوقهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال ان يحشر من غير تعيين الفاعل لانه يجتمعون لذلك اليوم بانفسهم من غير امر احد لهم ومحل ان يحشر
رفع او جر عطفا على اليوم او الزينة غير ان اليوم ثم الشاعرة وهي ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وهو الحق اظهر
الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع امره ليجتنب في الانظار والاعصار والاطراف الاكاذيب فتي ذلك تقوية دين الحق
وتكثير اعضائه وقلة شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فعند ذلك يصرف فرعون الى مقام تهيئة الاسباب المعارضة فان صاحب التحير يحتاج في تدبير
السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال في مقابل عرض وثبت على اقراضه حتى جمع كيده اي سباب الكيد وادوات الحيلة والتقوية من معجزة
السحرة وغيرها ثم اتى الموعد عن اثني عشر الفا كانوا ثمانين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل اربع مائة وقيل اكثر من ذلك فحضر
لفرعون فنية طولها سبعون ذراعا محاطة بقرب الهم فبين الله تعالى ان موسى قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من اهل النصح
والاشفاق ولا سيما الانبياء المبعوثين برحمة الاسلام وليكم بتعجيل المصدر الذي لا يقبل الرفع على النداء لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا الناس ومعجزاته
سحرا فيحنكم التحنيك اهلك المجاز والاستئصال يقال عذ فلان بجذ بجيمهما ومعناه الاستيصال احذرهم ان يذهبوا بكم ذهاب الماحي الذي لا يبقي
الخبيثة والحرمان عن المقصود فان التمتع لا بقاء له فتسارعوا امرهم بينهم كقوله الكيفاء يتنازعون بينهم امرهم اي وقع التنازع بينهم واسروا النجوى
الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة وبه قال ما روي عن ابن عباس ان نجويهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل هما ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر وعن وهب قالوا ان كان يغلبنا بالليل علمنا انه ليس بشيء وان غلبنا بالنهار علمنا انه من السماء فلما كان النهار قالوا ما هذا بقول ساحر والاكرون على الاقل وذلك انهم تنازعوا وتشاوروا وانتهى استقرارهم على شيء
واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى آخر الآية لا اشكال في قراءة ابي عمرو وكذا في قراءة ابن كثير محققا مثقلا كقوله ان ذلك لبرهان فيه بحذف احد النونين
فاردد بين التخفيف والتشديد وهذان بالالف فاوجه على لغة بلحرث ان الزموا الالف المثنى في الاحوال كلها كقوله ان هذان لساحران وبيانه على لغة طيء ان كتب في مصحف
وبعض بني هذيل وسئل الزجاج الكناني ان بعض بني ربيعة جعلوا التثنية كعصى وسعدى ما الفرق الف فلم يعتبروها ياء في الجر والنصب فقيل
ان بعضهم راعى ان ما هو دون بعيد كقولك لام الحلبين لجواز شهرته ولا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر وانما وضع لام الابتداء في الخبر وفي المبتدأ

والجواب ان

والجواب ان القراء مجمعة على غيرهم وذكر الزجاج في جوابه ان التقدير ما ساحران فالام داخلة على صلة الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول على محمد بن يزيد وعلي بن سليمان فرضياه كل منهم وذكروا انه جيد ما سمعناه في هذا الباب وضعف بعضهم قول الخليل ان المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان الامر معلوما جليا وذلك لا يكاد يعلم الغيب الخاص اذا كان معروفا فقد استغنى عن تأكيده باللام واليمين فان حذف من باب الاختصار التأكيد من باب الاطناب فلا يجتمعان هذا مع ان ذكر المؤكد وحذف تأكيده احسن في المعقول من العكس ايهما اصنع البصريون من جعل النصب في قولك زيدا ضربت نفسه تأكيدا للمستكن وقد دل ذلك على ان تأكيد المنوي غير جائز وايضا لو كان هذا هو البصري لجاز حينئذ الاخبار عن المبتدأ وحده والواو تسلم فيذكر اللام بدلا على المبتدأ وقد ذكر المبتدأ لا يدل على تأكيد فكان حذف المبتدأ اولى وعن الثاني بان الكلام قد يكون موجزا من وجه ومطولا من وجه آخر فلا منافاة واما المنافاة اذا كانت الجهة واحدة وعن الثالث بانهم استعملوا ان حمل النقض على تأكيد التالي المذكور كانهم راوا السنا الفعل الى المظهر اولى من اسناده الى المضمر لان تأكيد المنوي ممتنع على ما بينا ان المؤكد ليس بمحذوف في الاية مطلقا فان احد طرفي الكلام مذكور وعن الرابع بان ذهول المتعقبين عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلا فكم ترك الاول للاخر ولرجح الى التغيير قال الفراء طريقة اسم لوجوه التي واشراف الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه وفي امر موسى هما عين الحاضرين وغيرهم عندما يذهب بالطباع نفوس القوم وبانه يقصد اخراجكم من ديارهم هذا ايضا بعيد لفاصد الكيد انما يريد ان يذهب باشراف قومكم وكبارهم فما لوا رهم بنو اسرائيل لقولهم وعلى هذا معنا بني اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف اي باهل طريقتكم المثلى وسموا اهل هم الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل خير تالية فرجون والمثلى تانيث الامثل اي الاشبه بالحق ومنهم من قال الطريقة هي هنا الجاه والنصب لوقاية ونون الاعراب يقال هم من قراهم اجمعوا من الجمع ظاهر هم من قرأ من الاجماع فعلى هذا اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا نظيره فاجمعوا امركم وشركاءكم سماهم عبيدا لانه على ان تقصروا اصل الزجاج فعال الزجاج معناه لكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم امرهم بان ياتوا صفا اي مصطفين بجمعين ليكون اهيب للصدور واوقع في النفوس عن ابي عبيدة ائتوا الصف المصلى اي مصلى من المصليات وهو علم المصلى بعينه كالناس يعطفون عيد لهم وعيدهم وقد فلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب هو اغرض واعلم ان قصة السحرة اكثرها اشبه بما مر في الاعراف وقد فسرناها هناك فنحن الان على ان نقتصر ان نقصر وقد كررنا هو المحتمل بهذه السورة اما ان ملقى اي اخبر احد الامرين اما القاؤك او القاؤنا فالقاؤك اولا فالقوا فاذا حبالهم هي اذا المفاجاة وعصاها الوقت اي فاجاه موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا اعين موسى عن حتى تخيل ذلك وقيل الله تعالى شاهد شيا ولا علم باته لا حقيقة لذلك التي لعن فيها انها تسعى فيكون تمثيلا فاوجس تعمر في نفسه خيفة هو مفعول اوجس وموسى فاعل اخر للفاصلة زوال الخوف اما من جبلة البشر تحرجين ذهل عن الدليل وهو قوله لا تخف انك انت الاعلى او لانه خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه فاله يقال اوجف اذا اضطرب وخاف شاهر نزول الوحي عليه في ذلك الوقت او خاف ان يتفرق بعض القوم قبل ان يشاهدوا غلبته او خافوا انما دعا الامر عليه وكرره فاقال الله تعالى خوفه مجملا بقوله انك انت الاعلى وفيه من انواع التاكيد ما لا يخفى ومحى الاستيناف والتصدير بان والتوسيط ما بالفصل وكون الخبر معرفا ولفظ العلو ومعناه التغلب وصورة التفضيل لا فضل لهم ومفصلا بقوله والقي ما في يمينك ايقل عصاك اعلم من الاعراف لما في هذه السورة وما تلك بيمينك وقال جار الله هو تصغير لشان العصا وهو بعيد ولا نه خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه فاله يقال اوجف اذا اضطرب وخاف شاهر صنعوا اي مدوا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغرها وعظمها او هو تعظيم لشانها اي تخييل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة كانه في يمينك شيا اعظم شانا من كلها انما صنعوا ان الذي فعلوه كيد ساحر فيمن قرأ على الوصف ليعلم ان المقصور هو الجنس كما قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد وانما نكروا ولا لان المراد تنكير الكيد كانه قال هذا الذي اتوا به منهم واحد من اقسام السحر او من اصناف السحر وجميع اقسام السحر واصنافه لا فلاح فيها ومن نظائره اني لا اكره ان اردى احدكم سهما لان امري ليس لا في امر اخرة ويعني بسهم الموت ثم بين في عجزه ومعنى حيث في اي مكان كان وايم سلك فالقي السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما اعجب امرهم هذا القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا وجوههم سجدا لله للشكر والتعجب فما اعظم الفرق بين الالقائين وقد انتهم ليرضوا ربهم حتى رأوا الجنة واثابهم الله ما وعدهم من الثواب لها وان عكر قدر ما حاولوا اراهم الله في مقابلتها النار التي يصيرون اليها في الجنة واسبغه الفاضلة كالايمان بالله والكفر بالطاغوت والايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا انجاء ثم ان فرعون تعجب لما رأى المحال وانكر عليهم ايمانهم والقى شبهته في ليبين تكبرهم اي تحرجهم اعلامهم دخيرة في اضمار معلمهم واستادهم من قول اهل مكة للمعلم استاذي كبيري على استادي في العلم او عبرهم وارعدهم بقطع الايدي والارجل خلاف ذلك في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبدأ وناشئ من مخالفة المعهود من فواقه اياه قلت كما راني ان يقال ان المخالف فيهما بمعنى الجهة المخالفة بقطع معنى لابدان اي لاقطعن ايديكم وارجلكم مبدأ من الجهتين المخالفتين يمينا وشمالا فيكون الجار والمجرور في موضع الحال اي كائنا قطعها مختلفات الجهات وقيل في جذوع النخل اي عليها والاصوان يقال هو على اصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف في الظرف اينا اشد اي انا وتفسيره وعلى قراءة خلف بافتال ره وتفسيره وانا الفرض لمعذبنا الناس ما اصحابي بموسى مع المعجزة لان موسى لم يكن فيهم المعذبين في شيء فائدة الكشاف فان قلت يحتمل ان يريد بهو لاء ربنا الله تعالى ونفسه فقد ذكر ربه هرون وموسى وقد سبق هذا الله في قوله ان الله

على من كذب نوك وفي نوله فليحمتكم بعذاب في قوله تعالى التحرم في جوابه والله خير وابقى ان نؤثرك على ما جاءنا من البينات المعجزات
الظاهرات على ايدينا نظرنا اولوا للقسم وعلى هذا يجوز ان يكون على ما جاءنا بمعنى في ما جاءنا اي لن نميل اليك لاجل ما ظهر لنا
لحتوى الكلام لن نترك طاعته خالقنا والقصد بهذا التجرئة بشيء لاجل موالاة فاقض ما انت قاض انما تقضي هذه الحياة الدنيا
اي في مدة الحياة الفاجلة وقرئ تقضي مبنيا للمفعول هذه الحياة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صمت يوم الجمعة لحاصل
ان قضاءك وحكمك مختص بمدة حياتنا الفانية ولا يمتد الى الآخرة فلا يتصل بقضي محل الضرر الفاني للفوز بالنعيم الباقي
والخلاص من العقاب الابدي وذلك قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن بحق الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان طرفة عين
فلم يتعاظم عندهم ان قالوا في ذات الله تعالى ما قالوا فاقض ما انت قاض فان احدهم ليتصعب الهم ان ستين عاما مما يتبع وبينه ثمن عين وما كان فرعون
خطاياهم عهدا ما اظهروه من التحرز قالوا وما اكرهتنا عليه من التحرز في هذا الاكراه وروي عن ابن عباس ان الله تعالى عذب كل واحد من
فريقين على تعلم السحر يوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل فذكروا انهم قالوا لفرعون ارأيت ان موسى ما فعل فوجدوه بحربه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل فايقنوا ان ما عارضوه وعن الحسن انهم حشروا من المدائن مكرهين وزعم عمرو بن عبيد ان فرعون السلطان اكره
وليس بنوى فلا اكراه الا مع الخوف فحينئذ رجد حكم بالاكراه ولا افلا ورد في الآيات امتداد احتجنا من الله او هي من تتمة كلامهم فيرجع الامر
لعل الاول او الى امتداد اي لسان من نيات ربنا اي حبنا لاحكم الا موفيقط استدلال المجتهد حال كون الاتي مجرما فان له جهنم لا يموت فيها موتة
مريحة ولا يحيى حياة تنفعه قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم فان له جهنم بالآية لعموم الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع
بوعيد اصحاب الكبائر اجابت الاشاعرة بان المجرم كثيرا ما يجيء الغران بمعنى الكافر كقوله ربنا ألون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله ولم
نكذب بيوم الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث والجزاء كفر كقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى آخر السورة فلم يلزم
ان المجرم ههنا الذي يموت الكافر وينطبل المقدمة الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلها ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو
وح لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكنه معارض بعمومات الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات
يأته مؤمنا عند نا فلنا يصدق وعليه المؤمن لايمان صدق عند الموت في الزمان الماضي كما تضاف الى الحال والزمان الماضي
منافقا كليهما وبهذا صح جاءني زيد فقام بل صح قوله فعل الصالحات وانه حال وان كانه قبل ومن يأته قد امن فعمل والذي قبل ان تقدم
العصبة يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس ولان الدفع اسهل من الرفع ولقائل ان يحتج بهذه الآية على ان الصغيرة لا تحبط لان
التكفير وقوله تكلا من الله في حق من لم يتب بعد من الشرك فسلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لا يعم صاحب الكبيرة الا انه تعالى قد بين
الدرجات العلى من الجنة لمن اتى بالايمان والاعمال الصالحات مما لو اجبا ما كان الزائد عليها غير محصور فبان الدرجات لا بد ان يكون
لغيرهم ولم لا العصاة من اهل الايمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اي قال لا اله الا الله قال ابن عباس وقيل المراد من تزكى
قال الحسن تزكى اي تطهر من دنس الذنوب

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ
يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ
قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا
عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ
غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَىٰ
قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ
فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ
أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ

القوم فقد فتناهم فكذلك ألقى السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقال هذا إلهكم وإله موسى
فنسي أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما
فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى
قال يا هرون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن أفعصيت أمري قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا
برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري
قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال
فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعدا لن تخلفه وانظر إلى إلهك الذي
ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل
شيء علما كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكرا من أعرض عنه
فإنه يحمل يوم القيامة وزرا خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم
إلا عشرا نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما ويسألونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي
لا عوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن
ورضي له قولا يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب
من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك أنزلناه قرآنا
عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن
من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما القرآن لا تخف دركا ولا تخشى إنا كنا نحن ولا تعجل بالقرآن

القرآن

وواعدنا كم من الوعد ابو عمرو وسهل ويعقوب فتحل ومن يحلل بالضم فيهما على الاخرون بالكسر فيكلكم بفتح اليم ابو جعفر ونافع وعاصم
غير المفضل بضمتها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون والمفضل خلسنا بفتح الخاء واليم مخففة ابو عمرو وسهل ويعقوب حمزة وعلي و
خلف سوى حفص الاخرون بضم الخاء وكسر اليم مشددة بتنعيم ياء إنا كنا حيث اتى كثير ونافع غير اسمعيل في الوصل وقرأ بعد واسمعيل بفتح ياء الباقون بفتحها بالتفخيم بكسر اليم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم نجعل
بتاء الخطاب على وخالف الباقون على التنبيه فبدأ بها مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل أن تخلفه بكسر اللام ابن كثير

الوقوف

وابو عمرو ويعقوب لا يحزنون بفتحها الحزن بفتح الزاي وضم الراء بمعناه لا يحزنون من الاحزان فلا تخف بالجزم على النهي ان كنت ان تقضي بالنون مبنيا للفاعل وخبرا بالنصب يعقوب ايا بالياء معكوسة وبفتح الفتا وجهه بالوقف الوقوف ثلاثة لان قوله لا تخاف يصلح للطرفين مع حذف الضمير العائد اي لا تخاف خبره ويصلح مستانفا ومن قرأ لا تخف وقفه جوز لعدم العاطف ووقوع الحال مع تعقب النهي الامر الا ان يكون جوابا باللام فلا يوقف ولا يحتمل ما غيرهم لان التقدير وقد فضل من قبل على الحال الماضية دون العطف لانه عند ما عشيرهم لم يفرغ للاضلال وما هدى والسلوى عصيتني هوى اهتدى يا موسى لزهى التاء في اسفا الاسنا في الماضي على الماضي بلا تاء وحسنا موسى لسامري حسنوط قولا للعطف والا نفعا فتنتم للابتداء بان مع اتصال العطف امري موسى لا تتبعن ط امري راشي للابتداء بان مع اتصال المعنى واخار الفاء يا سامري يضي لا مساس لن تخلفه لاختلاف الجملتين غاكفا للفتحة المحذوفة الا هو علما وسعا للاستيناف والحال ذكراه لان الشرطية تصلح صفة للذكر وتصلح مبتدأ بها ووعدا لان قوله خالدين حال من الضمير في عمل يحمل غائما الى من ومن للجمع معنى فيه حملا لان يوم ينفخ بدل من يوم الفيه زرقا لان ما بعده يصلح للصفة وللاستيناف عشر يوما نفخا صفصفا امتا لا عوجا له لاختلاف الجملتين همسا قولا علما القيوم ظلما هضما ذكرا لحق وحيد لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما اضيف اليه علما التفسير هذا شروع في قصة اخبار بني اسرائيل واهلاك عدوهم وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي هود ومعنى فاضرب لهم طريقا اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله اوادوا بين لهم طريقا في البحر اضرب يابسا حتى يتعلق فعل الضرب بالطريق ثم بين ان جميع الامر من حاصل في ذلك الطريق اليبس مصدر وصف به ومثله اليهس ونحوهما العدد والعدد ويوصف به الموت لذلك فيقال ناقة يابس اي لا حق لبنها والدرك والدرك اسم من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في البحر اي لا تخاف لا يجتمع هو الا يستينا اي وانت لا تخشى ويجوز في الكشاف ان يكون الالف للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر كان ثبيرا في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل ايماسينا اداما تراك ما قبله وتضحك مني شيخة عيشية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا ضرورة في الآية فانهم فرعون الحق بهم جنوده اوتبعهم ومعه جنوده كما ترى في بوس فغشيهم اي علاهم وروعهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما هو مبهم في باب لا يجاز لانه لا يحاط بغشيانهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلف منه في السور المذكورة ما حكي عن الانبياء وروي في الآثار ونسبة الاضلال الى فرعون لانه السبب انتهى الكل الى ارادته الله ومشيته وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وعينه تحكم بري في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدنا ثم تبنا على بني اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا للهود المعاصرين لان النعمة على الآباء نعمة في حق الابناء ومثله قوله واعدنا كم جانب الطور الايمن اي الواقع على يمين من انطلق من مصر الى الشام لان شعفر المواعدة غادرتا لهم وان كانت المواعدة لنبيهم فكتب التوراة في الواح قام عشر واستقام امرهما شهم ومعادهم كلوا من نعم اقول وطعنا نهم في الترف وشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وبعد واحد دراته فيها بالاسراف والتقتير والغضب من قرا بضم الكسر فبمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومن قرا بالضم فمعنى النزول الغضب نزول شاهد من الاموات والتلاف ومعنى هوى هلك واصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اي وقع في الهاوية سؤال كيف اثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما تحصل في حق من اذنب ايقم ما معنى قوله ثم اهتدى بعد الاوصاف المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها الا اقل ان يكون معها الجواب اراد واني لغفار لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وهذا دليل لمن ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان المغفرة ان هو الى الذنوب السابقة على هذه الامور وبجوز ان يراد انه اذا تاب من الكفر واقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغاير التي تصدر عنه في خلال ذلك كقولهم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقولهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الحد مراصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الشاد العلى حركات ولكن عز من اوتحال ثبات ونظير هذا العطف قوله واهلكنا ها باسنا وقد مر الكلام فيه وفي قوله ان موسى قد سفى مع التقبا التسعين الى الطور على الوعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتخبر ما وعد ربه بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله فانكر الله تعالى تقدمه قائلا وما اعجلك عن قومك اي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم بالتقيا الجميع قومي على اثوهم بعضهم توكيد قوله هم اولاء على اثري ولم يكن جميع قومه على اثره قال جار الله سفد تضمن معنى ما فعدي بعن وقرئ شيئين احدهما انكار التعجل في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان امرا بالرجوع الى موسى ممهدا لعذره من كلا التعجل نفسها فاعتل بانهم اولاء خلفي يجيء لبس بيني وبينهم الا مسافة يتقدم بمثلها الوفد رؤساءهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى وطلبت دوام رضاك عني او مزيد رضاك بناء على اجتهادي ان التعجيل الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب اكرامه وقيل لما انكر عليه الاستعجال وهش خوفا من العقاب فخيره في الجواب قال فانا قد فتنا قومك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما بين عبادة العجل الا اثني عشر الفا بترك انهم افاموا بعد

مقدار ذي القعدة وعشر ليلة ذي الحجة وهو قوله وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وكان موسى قد وعدهم ثلاثين ليلة فلما مضت ولم يأتهم استقصروا مدة غيبته وقالوا قد أخلفنا موسى ما وعدنا وقيل إن الله تعالى لما أخبر موسى بفتنة قومه وأنه لا يدري ما يفعل بهم السامري رجع إليهم وقال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا أي بإنزال التوراة عليكم فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات وقيل بل أراد عن مجاز هذا العهد المذكور من قوله ولقد عهدنا إلى آدم فنسي وقيل وعدهم أن لهم الجنة بقوله ثم أفاض عليهم من فضله وبرحمته وقيل وعدهم رضاه ورضاهم وقيل وعدهم قوله أو طال عليكم العهد وبرحمته وقيل وعدهم أن يقيموا على ما أمرتكم به من الإيمان فأخلفوا في وعده بعبادتهم العجل وقيل وعدهم نعيم الله تعالى من الأنجاء وغيره والأكثرون على الأول لما أتاهم ما وعدهم ثلاثين كما أمره الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة فجاء بعدها بعشر أخر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وتممناها بعشر أخر وكانوا قد حسبوا العشرين أربعين وقيل لما أمرتهم أن يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا لا يمكن إجراؤه على الظاهر لأن أحدا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعنى وهو خلاف الوعد لما كان يوجب ذلك صح هذا الكلام لأن السبب مريد للمسبب لعرض أن الفعل بالإرادة وبناها هو من قولهم حل عليكم غضبي أن الغضب من صفات الأفعال لا من صفات الذات كان صفة الله تعالى لا ينزل في شيء من الأجساد وموعده موسى هو ما ذكرنا من إتيانهم وعده الآفاقة على ما نبه إلى أن يرجع إليهم من الطور وقيل وعدهم الجنة بعبادة العجل على ثروة قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا الحركات الثلاث أي بأن ملكنا أمرنا أي لو ملكنا أمرنا وخلينا وآراءنا لما أخلفنا ولكن غلبنا من جهة السامري وكيده والظاهر أن القائلين هم عبدة العجل وقيل إنهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه إلى نفسه مكانهم قالوا التهمة ثبتت على عبدة العجل فلم يفيدوا على متهم ولم يفيدوا أيضا على مخالفتهم حدا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم إن القوم تابوا بعد ذلك العذر الجميل فقالوا ولكنا حملنا أوزارا من زينة القوم أي ثقلا من حلي القبط كما مر في الأعراف وقيل الأوزار الآثام وإنما في الحقيقة ثقلا محظورة مفوتة بعد أن ذلك لأن الغنائم لم تحل لهم ولأنهم كانوا مستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربي وقيل إن تلك الحلي كان القبط ائتمنوهم بها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك صفت بأنها أوزار كما يقال في الأثر الذي هو فقدها أي في الحفرة كانوا هم ونارهم مجتمع إلى انتظار العود موسى أو في موضع أمرهم السامري بذلك بعد أن قذف النار وكذلك ألقى السامري مثل ما ألقينا إبراهيم أثر إلقي حليا في يده مثل ما ألقوا وإنما ألقى التربة التي أخذها من موطئ فرس جبريل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقد مر في الأعراف فقالوا أي السامري ومن تبعه هذا إلهكم وإله موسى فنسي موسى أن يطلبه ههنا فقد ان يطلبه عند الطور وفسي السامري وترك ما كان عليه من الإيمان الكم ارسني الاستدلال على أن العجل لا يجوز أن يكون إلها بقوله ألا يرون الآية ويجوز أن تحقق من الثقيلة ولهذا لم يعمل وقرئ بالنصب على أنها الناصبة قال العلماء ظهور الخوار في عبد عجل الإلهية جائز لأنه لا يحصر الانبياء وههنا كذلك فوجب أن لا يمتنع خلق الحيوة في جثة العجل وقد مر عن ابن عباس أن هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع فقال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم أعطه ما سألك فلما مضى قال السامري اللهم إني أسألك أن يخور فخار وعلى هذا التقدير يكون معجزا للنبي لا للسامري ثم إنه سبحانه أخبر عن هرون أنه قال لهم ما قال تنبيها على أن السامري ما قال إلا ما تشفقه على نفسه فهي إذا دخلها في زمرة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر وإنما أشفل نفسه في شأن القوم قبل أن يقول لهم السامري ما قال إلا ما تشفقه على نفسه فهي إذا دخلها في زمرة الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر أراد حين قال لهم يا قوم إنما فتنتم به فإن ربكم الرحمن ما وقعت عليه أبصارهم حين طلع من الحفرة فتنوا به واستحسنوه وقبل أن يطلق السامري بادره هرون فزجرهم عن الباطل ولا يبعد أن هذا من جملة الفتن ثم ذعاهم إلى الحق بقوله وإن ربكم الرحمن ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام إنهم إن تابوا عاد عفوه عليهم فإن الله يرحمهم وقبل توبتهم ثم بين أن الوسيلة إلى معرفة كيفية عبادته الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني وأطيعوا أمري وهذا ترغيب في غاية الحسن واعلم أن التفقه

الجزء الرابع

الشفقة على خلق الله اصل عظيم في الدين وقاعدة متينة روى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى ان رسول الله ﷺ بينا هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر اليه فنظر القوم اليه فاذا هو شاب نوفلي وقال الحلبي وسيأتي هذا رسول الله يشهد على ابي من اهل النار وانا اعلم انه صادق فاذا كان الامر كذلك فاسالك ان تخلصني فداء امتي وتستعمل النار بي حتى يبرء يمينه ولا يسمع النار احدا فهبط جبريل وقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول اني قد انقذته من النار بتصديقه لك وفداء امتك بنفسه وشفقته على الخلق قال اهل التفسير فيها ان استيقنوا ان استيقنوا ممكنوا بقوله انا ربكم فاعبدون من موسى ثم ان هرون ما سعر التفتة في مثل ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت فتنة عمياء لكان يجب على كرم الله وجهه ان يفعل ما فعل هرون من غير تفتة وخوف فالشيعة ان يقولوا ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت وهذا ما نبه موسى بما عاتب فاعتذر وبانا القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فهكذا على اصنع او لا من الشيعة فلما آل الامر الى ما آل اليه امام ما سألوا واتما فلت هذا على سبيل التحية لاجل التعصب ان القوم فالوا حسن موعظة هرون بالتقليد والجمود فالذين لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من انواع التوكيد من حيث التفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل ومن تقديم الخبر المشعر بحكم ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن كقوله ما منعك ان لا تسجد ان لا هذه مزيدة ام لا وقد مر في الاعراف وفي هذا الاتباع قولان فمن ابن عباس ما منعك مما تتابعني عليه مما امرتك به في الخلوف في ترك القتال بين اظهرهم وقال مقاتل اراد الاتباع في رضيته كانه قال هلا قاتلت من كفر بهن امن وقال لا تباشر الامر كما كنت اباشره لا تولين في قولك افعصيت امري دلالة على ان تارك المأمور عاص الفاء في فتقول للعقوبة ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه ان الامر للوجوب والحج الطاعون في عصمة الانبياء بان موسى هل امر هرون بالتباعد الا وعلى التقدير ان هرون تباعد الا فانه لم يأمره او امره لكن اشعر هذا منه لهرون ان من حقه ان يكون زجرا وان امره بالبعد كان هرون عاصيا وايهم قوله فعصيت اسفها بمعنى الانكار فاما ان يكون موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما ان يكون هرون عاصيا وايهم اخذه بلحية هرون ورأسه ان كان بعد التحقيق والتفتيش فهرون عاص الا فموسى مخاطب بان كل ذلك موراجتهاد يترجاز ترجيحها او هي من باب ترك الاولى وقد مر في اوايل البقرة في قضية آدم عليه السلام قوله ولم ترقب قولي اي صيتني لك بحفظ الدهما واجتماع جمع الشمل بولده مثل حسبتي ان تقول فرقت قال الامام ابو القاسم الانصاري لهذا يدل على ان الهجران لا يزيد فوق ثلاث لانه فوق الهجر ما داروا الا ثلاثة فان الهجر ما داروا واحدة فامنوا وتحابوا في الدين ما تخاوا واما قوم موسى فقد داروا ذلك مع زيادة تسعة الايام التسع ومع عشرين بصوا العجل وعكفوا على عبادته وفرضنا ان الغرض لا يحصل الا بهذا التباعد الله تعالى لما فرغ موسى عن عتاب هرون اقبل على السامري ويمكن ان يكون بعيدا ثم حضر او ذهب الى السامري بخاطبه فقال الله الخطب فصدر بخطب الامر اذا طلب فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك لهذا الغرض منه انكارا عليه وتعظيما لصنيعه قال الى السامري بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس ورواه ابو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصيرة يعني العلم يقال للاعمى ابصر اذا علم قرأ ابن عباس والكسائي بالتاء للتعدية رجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب اخذا من تتبعه عدم البصارة الى الشيء كالقبضة بالضم مصدر بمعنى المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على ان المراد بالرسول جبريل ورأيته التراب الذي اخذه من موضع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومنى رآه الاكثرون على انه رآه يوم فلق البحر كان جبريل على الفرس وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبريل متنكرا فرعون وعن علي ان جبريل لما نزل ليذهب بفرعون الى الطور ابصره السامري من بين الناس وكان راكبا حيزوم وتوسم فيه ان لهذا شانا فقبض من تربة موطئ فرسه فنبذت اي القت ما قبضت من اثر الرسول الى العجل بوم حلول الهيام من المفسرين من جوز ان البصر الشامري بصرت بالتاء ومنهم من قال انه عرف عن ابن عباس انه عرف جبريل لانه رباه في صغره وحفظه من القتل حين امر فرعون بقتل كل مولود من بني اسرائيل فكان المرأة تلد وتطرح ولدها حيث لا يشعر به آل فرعون فيأخذه الملائكة الولدان يغذون بهم حتى ترعرع وتخلطوا بالناس فكان السامري اخذ من جبريل وجعل كف نفسه في فيه وازدرد فصار له ذلك علما فلما رآه علم انه ليس من البشر فقال ابو مسلم اطلاق الرسول على جبريل في هذا المقام من غير قرينة تكليف بعلم الغيب ايضا تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبريل وبصره خاصة تراب حافر دابته لا يخلو عن تعسف لو جاز الاطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شانه فلما ائل ان يقول لعل موسى اطلع على شيء آخر لاجله قد على الحواري فالاولى ان يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير كذا ويكون طلاق الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان كافرا بمكذبا واراد بالرؤية سنته ومنه من قولهم فلان يقفو اثر فلان اي عرفت الذي عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئا من ذلك فطرحتها فعلى قول العامة يكون قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما اوحى الامير ليه الشيطان ان ذلك التربة اذا نبذ على الجماد صاحبوانا وعلى قول ابي مسلم يشير الى ان اتباع اثر كان من تسويلات النفس الامارة فلذلك ركنه ثم موسى لما عوقب في الدنيا وعفو يترفي الاخرة يروى انه اراد ان يقتل نفسه فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتل فانه يحيى وفي قوله لا مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لانه اذا اتفق ان مماسه احدهم الماس والممسوس فلذلك اذا رأى احدا صاح لا مساس بقال

ان فوضوا بانفسهم ذلك الى الاله الذي اشاعت به الشياطين من نحالة الطنفسة قال مقاتل ان موسى اخبر من تخلف بني اسرائيل وقال له اخرج انت واهلك
طويلا الى البراري اعرض اولئك عليه بان ارتحل اذا صار مشحونا فلا يقول هو كلا مساس وانما يقال لمن ذلك وجيب بان هذا على الكناية اي
اجعلك بالساعة التي يجب اذا تعين خروجك لم تقبل الا لامساس وقال قتادة قول ابي مسلم ان المراد انقطاع نسلهم وان يخبر بانه لا يمكن لمسانه
المرأة اي مجامعتها واما حالة الاخرة فمن ذلك فقد قدروا ان لك موعدا لن تخلفه قال ابن عباس الله من قرأ بكسر اللام فهو من خلفت الموعد اذا وجدته
خلافا بين ما لك الهك وقال انظر الى الهك الذي ظللت عليه عاكفا اي ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا المحرفة من الاحرف فتقديره ظللت
على انه صلة لما دل عليه الكلام لان الذي يكون الخوف ابتداء وشفقة في ايام قال السدي امر موسى بن يحمر فقال فنحن الدم ثم احرق ثم ذف رماده والنسف
النقض ومن حمله من الحرق اي لنبردنه بالمبرد فنسفه كالذي ترى اسيف جوادنا الا اذا اريد برقطام ومن حمله من التحريق فانه يحتمل الوجهين
والمراد بعلم الساعة مجيء وقتها والله خبيرا كون تختم الكلام بهذا الدين الحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة والتعظيم
الله لا اله الا هو وسع كل شيء علما فاقدر مثل هذا الاله ان يعلم من يعبده وجيء فرع من قصة موسى في تثبيت سولنا ثم فقال كذلك
اي نحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون والسامري نقص عليك من سائر اخبار الرسل مع امهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شان القرآن
بقوله وقد اتيناك من لدنا ذكرا اي ما ذكر فيه كل ما تحتاج اليه المكلف في دينه وفي دنياه والوزر العقوبة لتقتلنا الى نقض ظهرها جعلها
اوزارا جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه اي في ذلك الوزر او في حمله وساء لهم بمعنى بئس ضمير جمع مبهم يفسره ما بعده حملا على المخصوص محذوف للقرينة اي
حملا وزرهم واللام في لهم تبيانا كالتي في هيت لك مجوزان يكون سائغا فيجيء ويكون في ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز وهم حال من حمل لانه لو
لم تكره صاحب الكشاف لكنا الان يمنع وقوع الحال من التمييز في نظر فان السكيت الحمل بالفتح ما كان في بطن او على راس شجرة وبالكسر ما كان
على ظهر او راس في الصور وقولان شهرها انه القرن بوزن فوله فاذا نفخ اثنا فورة لتفرق الامور الاخرة بامثال ما شوهد في الدنيا وعن عادة
الناس ان ينفخ في البوق عند الاسفار وفي الغساكر يجعل الله فم البوق في تلك الاذن علامة لغراب الدنيا وعلامة الاموات واقبالها من المقبور
ات الصور جمع صورة كذة فراهم من قرأ بفتح الراء وبقال صوره وصورة ونفخ النفخ الروح فيها والكثرة يدل عليه ان نفخ يتكرر لقوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى واحياء لا يتكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو مرادا من النفخة الاولى بالاتفاق وتحشر المجرمين يعني عن ابن
عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها اخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة وفي لزرق وجوه قال الفحاك ذوو قال مقاتل انا لنرى قوما من الوان العيون الى الحرب لان الروم اعداؤهم وانهم زرق العيون ومن كلامهم في صفة العدا سود الاكباد صم الاسنة زرق العيون فقال الكلبي
زرقا اي عميا قال الوحاج يخرجون عميا في اول امرهم لقوله يوم ينفخ في الصور ولا ينافيه قوله اقرأ كتابك ثم يؤول حالهم الى العمى حدقة زرقاء
تزيد بصيرته نورا وقال زرقا اي عطاشا كقوله ورد وفي المجرمين الى جهنم وردا فكانهم من شدة العطش يغمرون واعينهم حكاه ثعلب عن ابن
الاعرابي يخافتون يتسارون بينهم لغاية خوفهم لكاذبة صدقهم وعبارة هو لا يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لانها ايام سرورهم وقيل
قصارا لانها فانقضت والذاهب قليل وان طال ولا سيما بالنسبة الى الابد الشرمد كان ظنهم يقول قد لبثنا في الدنيا بالنسبة الى
لبثنا في الاخرة كعشرة ايام فقال اعلم بما يقولون الوحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل اربعة عشر ساعات اي بعض يوم وعلى
هذا فانضاف مدة علمهم استقصارهم ونفاقهم وقيل المراد بقولهم في القبور قال اهل النظر كان سائلا سال كيف يقع التخافت بين المجرمين والجبال
حاملة ما فعذ فذلك قال وهيا لو تلك من الجبال وقال الجبال الفحالات شركي مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال
يوم القيمة فنزلت ويحتمل ان يكون هذا جوابا لهم بمثل ما سكروا البعث منهم جاثيون نعم ات الاملاك لا تفنى لانها لو فنت لا تبدلت
بالتقضاء حتى ينتهي الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكثيفة فامر الله نبيه ان يصلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم هذه المسئلة الا تتغير
من عبر اخبر هذا ادخل فاء التعقيب في الجواب لتسف الفلع وقال الخليل انطحين والارحاء كانه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح تذرها
وحاصل الجواب كل بطارئة يلزم ان يكون زوليا بل قد يكون رفيعا والنقيعة في بقاعها للصفا الجذ وذاي بقاع مقارها ومراكزها وهو للارض
للعلم بها كقوله مازلت على ظهرها والقاع المستوى من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الارض المستوية
قيل التي لا نبات بها والامت النتوء الكثير وقيل القليل اصغاء كانه شيء تعاد كانه شيء تعاد كانه شيء تعاد

وان يبدل الضمير وطي الاقدام الى المحشر فقوله الا لمن اذن له الرحمن يصلح ان يكون من منتصبا على المفعولية وان يكون مرفوعا على البدلية بتقدير حذف المضاف اى لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي لها اجل قولا قال الامام فخر الدين الرازي الاحتمال الاول ابعد لعدم التزام الاضمار وكان وجد الشافع وزعيمه فلا تصلح ولا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الاية على ذلك كان من باب الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع وقول الاخمال ان منفاريان مثلا زيان لان المشفوع لا يقبل الشفاعة في حقه الا اذا اذن الرحمن لاجله ينبو الى ذلك قال المعتزلي الفاسق عيرضي عند الله تعالى فوجب لا ينفعه شفاعة الرسول راجيبا نه قد رضي لاجله قولا واحدا وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضي الله قولا لاجله فلم لا يجوز ان حاصل للشافع في حقه والجواب انا ايما منع من كون الاذن غير حاصل في حقه على انه قال في موضع اخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم ما بين ايديهم الضمير للذين يتبعون الداعي يعلم ما قدامهم من الاحوال وما خلفهم او بالعكس وقيل بالعكس ومعناه الضمير يرجع الى ما دخل تحت علمه من اعمال المكلفين والا فالله لا يحيط علما بذاته كما مر في اية الكرسي وعن ابن عباس رضي الله عنهما يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان بعد خلقهم من امر الاخرة والثواب والعقاب انهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يطمحون للمعبود تم ذكر غاية قدرته وعظمته بقوله وعنت الوجوه اى ذلت وانقادت منقادين لامره كالاساري عنا يعنو عنوا اذا سار اسيرا وقيل راد بوجوه العصاة في الدنيا كقوله تعالى وجوه الذين كفروا وقيل خص الوجوه بالذكر لان اثر الذل يكسوها بين واظهر قال جار الله وقد خاب من بعد اعراضا عن كل من ظلم فهو خاسر ولا هل السنة ان يخصوا الظلم بهذا الشرك او بما رضوا بهذا العموم يعضده قوله وعد من قرأ فلا يخاف ان يزاد فيه الا سيئا اى فهو لا يخاف كقوله فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اى فلا يخاف ان ينقص من حسناته او يرهق سيئاته فليس من له لان النهي عن الخوف امر بالامن من شر الظلم بانه لا يحذف وفي حقه والهضم النقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضافا محذوفا اى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه العقاب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال ابو مسلم الظلم ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفي حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال جار الله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص وفي مثل ذلك انزال وعلى هذا نحو كما انزلنا عليك هؤلاء الصنف انزلنا القرآن كله عربيا لان العرب اصل وعيرهم تبع لان النبي عربي وصدقنا فيه من الوعيد كررناه وبينا لعلهم يتقون الضمير الفرائض والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك احدهما وبفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل جار الله الاول على زيادة ترك لعلهم والثاني على فعل الخير لان الطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة فلذلك لا يبعد ان القرآن ينفر عن السيئات يبعث على الطاعات من حيث ان فهم معانيه يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان اى ان شيئا من التروك والافعال لا يخلو لهم ذكرا اذا تأملوا معانيه وكلمة او على الاول للتخيير لانه حكاية للقسمين وعلى الثاني يجوز ان يكون للتنويع وقيل اراد انزلنا القرآن ليتقوا فان لم يحصل ذلك فلا اقل من ان يوجب القرآن لهم ذكرا اى شرفا وفخرا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقدير يكون في انزال القرآن نفع عظيم شان القرآن من وجهين احدهما وهو عظمة شان منزله فانه تعالى الملك الحق ارفع صفات عن صفات المخلوقين انزل القرآن لتخبروا عما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بيقظاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد فسر في البسملة قال جار الله فيه استعظام لما يتصرف عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والاداره بين ثوابه وعقابه وعزه ذلك كما يجري عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله ويسئلونك عن الجبال الى هنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب مستأنف وقال الحرون انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف ان ينوب شيء فينفر مع الملك فانه تعالى حين شرح كيفية نفع القرآن للمكلفين وبين انه سبحانه وتعالى اعز الانبياء بالطاعات والتضرع بالطاعات والتمسك بالملك الدائم والفخر الباقي وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان في امر الوحي وما يتعلق بصلاح المعاش والمعاد فقال لا تعجل بالقرآن لانه تحصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضى اليك وحيه اى من قبل ان يتم قراءة جبريل ونحوه قوله ولا تحرك به لسانك لتعجل به قال مقاتل والكلبي وابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة اراد ولا تعجل بالقرآن فتقرأه على اصحابك من قبل ان يوحى اليك بيانه اى لا تبلغ ما كان مجملا حتى يأتيك بيانه وقال الفراء اهل مكة يقولون اعجل علي بكذا اسرع وقال الزجاج اهل الحجاز اذا قالوا يا محمد اخبرنا عن كذا وكذا فقد عجل لنا اجلا ثلثة ايام ونابها الوحي عليه وقيل المقالة ان السهو قد غلبوا فنزلت هذه الاية اى لا تعجل بتلاوة القرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومن اليك جبريل ومن اليك عن الحسن ان امرأة اتت النبي فقالت زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الاية فامسك رسول الله عن القصاص وتأناه هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقرآن يحتمل التعجيل بقراءته في نفسه او في غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعرف الغير اى بقضيه نظم وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك بيانه تماما او من قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل عقيبه استئنافا او شرطا وغيرها

من الخصوصات والتبتل وتؤكد هذا المعنى قوله وقل رب زدني علما لان معرفة ان لا علم زائد على معرفة الاجمال والتكلم ان هذا الشيء كان امره اجتهاديا وكان الاولى تركه فلذلك نهي عنه فقال جل جلاله لهذا الامر متضمن للتواضع لله والتكول عند ما علم من ترتيب
التعلم اي علمتني فارب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا مما كان عندك فزدني علما الى علم ومن فضائل العلم ان النبي ﷺ امر بطلب
الزيادة في شيء الا في العلم وفيه اشارة الى ان اسرار القرآن غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره وقصانه فما
فاسالك فما سالك به فبلغنا ان نتوفى بنيته علما ينفعنا في الدارين التأويل والفتا وجئنا الى موسى القلب ان اسر بعبادي
وهم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سر بهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطين
الصفات الحيوانية وباقي التاويل كما مر في بوادي وتركنا عليكم من صفاتنا وسلوى اخلاقنا فانتفعوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا فيه
فاقضي اسرار التوبة الى عز ما كن قال فالمحو وسبحاني فان الحالات لا تصلح للمقالات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وامن بالتوبة
وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق ان حضرة الربوبية منزهة عن دنس لوثهم والحيا ومقام الوصال ما بان للقيل والقال
وعجلت اليك رب لترات الشوق فاغلب اقطع العلايق وات مطلوب لشائبة ان يكون الا رضاء الله قد فتنا قومك من بعدك بدات
فتنة الامر والزيد مقرون بالنبي والشيخ بملكنا اي بارادتنا ومشيتنا ولكن بارادة الله ومشيته وكذلك سولت لي نفسي اي خيلت منه
ولكن باضطرار من الغلبات ام قبل خاطبه بذلك ليذكره قول الملائكة ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الارباب فقبضت قبضة من اثر
الرسول فبذلتها بدات الكرامة لاهل الكرامة كوامن ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فبصرت بها في الباطل والطبيعة لانها الخلق والحقيقة
قوله لا مساس فيه معارضة بقبض مقصود من ارادة الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعدت بالتقريد والتوحش والتفارد عن الخلق وقد
ان الوجد اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه وقد قرن العين دلالة على عزوبها عن الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا
عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق الثابتة للامر جدوعت الوجوه اي كل جمعها استند الممكن الى الواجب يتبعون الداعي لان
كل ناس يدعى بامامهم فيتبعونه التبتل واهل الله لا يهرفون الا الى الشيء قوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله قصد السبيل

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا
وبدرستيكه عهد كرديم بادم از پيش پس فراموش كرد ونيافتيم مر اورا قصد وچون گفتيم مر ملايكرا كه سجده كنيد مر ادرا پس سجده كردند
إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۝ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۝ إِنَّ لَكَ أَلَّا
ابليس كه ابا نمود پس گفتيم اي آدم بدرستيكه اين دشمن است مر ترا ومر جفت ترا پس بيرون نكند شمارا از بهشت پس رنج كشي بدرستيكه مر ترا
تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۝ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ۝ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ
كه گرسنه نشوي در بهشت وبرهنه نشوي در وي وتشنه نشوي در وي وبتابش آفتاب پس وسوسه كرد مر اورا شيطان گفت اي آدم اي دلالت كنم ترا
عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ۝ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
بر درخت جاودانگي وپادشاهي كه كهنه نشود پس خوردند از آن پس ظاهر شد مر ايشانرا عورتهاي ايشان وبچسبانيدند
الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۝ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
برگ از برگ درخت بهشت ونافرماني كرد آدم خداي خويش را پس برنج افتاد توبه كرد او را پروردگار او وبدرستي كرد او را وهدايت كرد وفرمود از آن همه
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي
پاره شويد همه شما دشمن بعضي از شما مر بعضي را پس اگر بيايد شمارا از من
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ۝ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝ قَالَ
هدايتي پس هر كه پيروي كند هدايت مرا پس گمراه نشود ونه بدبخت شود ونه عيب بيند وهر كه روي گرداند از ذكر من
كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ ۝ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ
پس مر اورا زندگي تنگ وحشر كنيم اورا روز قيامت نابينا گويد پروردگارا مرا چرا حشر كردي مرا نابينا وبدرستيكه بودم بينا گفت همچنين
الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ۝ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
آمدند ترا آيات ما پس فراموش كردي آنرا وهمچنين امروز فراموش شوي وهمچنين جزا دهيم هر كه اسراف كرد وبگرويد بآيات پروردگار خود وبدرستيكه
لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ ۝ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ۝ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ
عذاب آخرت سخت تر وپاينده تر است آيا پس ندانست مر ايشانرا كه بسيار هلاك كرديم پيش از ايشان از قرنها كه مي روند در مسكنهاي ايشان
بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝ وَلَا
بدرستيكه در اين آيات هر صاحب خردرا كه منزه دارد خدا را از زوال وملامت چون واجب شد از پروردگار تو وعده نام برده شده بسبب كثرت گناهان ايشان

الجزء ١

لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ وَقَالُوا لَوْلَا

يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا

لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ

مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ألقاء

على ان لا تجوع ولا تلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة

للفصل بالخبر ولا تجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه اعني بالا فالا لحمزة وعلى وخلف حشو ابفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وهي سبينا للمفعول على ابو بكر وحما والفصل زهرة بفتح الهاء فنبه وسهل ويقوبون لا خرون لتكونها وقفا حمزة وعلى وخلف هذه السورة وكل سورة اتانها على ايتنا بالالف المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر الوقف عنها الا ابليط اوج فلسفه ولا نعرى لمن فر وانك بالكسر ولا نخجى لا شيء الجنة لنوع عدد اعن ذكر وقال اثنين الى بيان نفل من هو المفعول فعوى رهدا عدة وكلا بتدا الشرط مع الفاء ولا يبقى يوم القيمة اعني به بصيرا فنبيتها لعطف المختلفين منوي بايا تر وابقى مناكهم النحي منحه عزوبها لعطف الجملتين مع اختلاف النظم فرضي لفتنهم فيه وابقى عليها ورزق ربك للتقوى من تبر الاولى وتخزى فتربصوا لنبين التهدد مع الفاء واهتدى التفسير في سلق قصة ادم بما قبلها وجوه منها انه لما قال كلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم عظم شان القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة اعجازا للموعد ومنها انه كان وصرفنا فيه من الوعيد اردفه بهذه القصة ليعلم ان طاعة بني آدم للشيطان امر قديم وخلة موروثة وقد ذلك انه عهد الى آدم من قبل فهؤلاء الذين صرفوا كلهم الوعيد شقي وترك العهد ومنها ان قوله ولا تخجل بالقرآن دليل على انه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في رعاية امر الدين وكان مفرطا في اداء الرسالة وحفظ ما امر به فناسب بعطف عليه قصة ادم لانه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى واذا كان اول الانبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنك بغيرهما ومن هنا يعرف افضلية الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى ان عوتب بالترجي عن حد الاعتدال وادم توسط في جبر النقصان فلا جرم وسم بالظلم والعصيان ومنها ان محمدا صلى الله عليه وآله امر بان يقول رب زدني علما ثم ذكر عقيب قصة ادم تنبيها على ان بني ادم مع مقدرون في جميع احوالهم الى التضرع والدعا الى الله حتى ينفع بعلمهم ابواب التبتير في العلم والعمل ومعنى عهدنا الى ادم امرناه ووصينا من قبل اي من قبل محمد والقرآن وفي التبيان قولان احدهما انه يقتضي الذكر عن الحسن والله ما عصه فظ الانبياء والثاني ان معنى الترك وعلى هذا يحتمل ان يقال انه مع الاكل من عين ناديل وان يقال انما عوتب بالترك قال في البقرة قال اهل الاشارة عهد اليه ان لا يتعلق بشجرة فانفاد للشيطان وهو النسيان والعزم ايقاع فيه قوله احدهما عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد وثانيها عزما في العود الى الذنب ثبانيا وثالثها اراد صبرا لم يكن من اهل العزم والثبات ان كان من حقه ان يتصلب لما مور به فتصلبا يوسف الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعوله لا عزما وان يكون بمعنى يقيض لعهد كما قال وعدنا لا عزما قوله واذ قلنا للملائكة سلف في البقرة مستقصى قوله ان هذا عدو لك ذكر وا في سبب عداوته اوجها انه كان شيطانا غالما لقوله وعلم ادم الاسماء كلها وابليس كان شجاعا عالما لانه اثبت فضله بفضيلة اصله وانتسج الجاهل ابدا يكون عدوا للشاب العالم ايضا الماء والتراب مضادان لنا فلا يكون سببا لاخراجكما لانا لا نفاعل الا فاعل الحقيقة هو الله سبحانه فنسبي منع طلب الفوت ونيل ما يتعلق به الانسان يسند الشقاء اليه وهذا مع اشارة كما في الخروج لان الرجل اصلح باب الانفاق والكسب والمرأة باب التدبير فذلك الشقاء ان تقول لان لا تجوع فيها الى اخره والظمأ العطش وقول صخت لتمتعوا لكنه ضحى ضحا عمد وذا ازورت لها والمراد به لكن مع ان الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها ضحا فكون هذه الامور في الجنة ليست حصولها في غيرها لا ريب ان اصول النعم في الدنيا هي المسكن والكسوة والاكل واما المنكوح فمشترك لان موت النكاح يحضر الدنيا وايضا نزع الى المذكور ان ترك كان لبنا سهما النظر فيها اضافا الخطيئة نزع عنها وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع فوسوس اليه الشيطان الهمني اليه وسوسة كما مر في الاعراف بيت الوسوسة قال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بغير كما قال لحجر وم فرس الحيوة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى اي لا ينقطع ولا يزول قال القاضي ليس في النظم انه قيل ذلك عنه لانه لا بد ان يحصل بين قال النكتة في حال المجاراة فضل البلوث والنبي يمنع

ان لا يمنع فيلم هذا القدر واجيب بالمنع ولو سلم فلم يكف الفضل بشيء ورفع خفيف ولو سلم انه لا يكفي فلم استحال ان يجعل الله تعالى ذلك كالجعل حد جواز الرؤية على ممكن حين قال ارني انظر اليك وما يدل على ذلك قوله تعالى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما فعلله بالعلة التي هي كون آدم وحواء ما عرفا ذنبا ولا عصيا الا بترك الاولى فقد فسر بعضهم في الاعراف الاكل بترك وعصى آدم ربه فغوى قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والامم يوصف بالعصيان والغواية لان الغاصي والغاوي اسمان مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما واجيب بان المتحتم خلافه للامر بالامر فقد يكون مندوبا وزيف بالمنع من ان الندب وغيره مامور به ثم من ان مخالفة غاوص ولا كان الانبياء كلهم معصومين عن ترك المندوب قالوا فيقال اشرت اليه في مركد فاضطر واضرب الدراه فعصى واجيب بالمنع من ان هذا من استعمال العرب لغاوية ولو سلم فلعله انما يقال ذلك اذا عرفت الحقيقة بحيث لو كون معنى لا يجاب خاصا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك لا يجا لم يصلح عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغير هم خاتمة المحققين ودبان العاصي انهم من يستحق العقاب وهذا لا يتوقف الصغير وا جاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لانها بتصل بالتكليف وهذا قال سبحانه فغوى اي خاب من نعيم الجنة لان الرشد هو ان يتوصل بشيء الى شيء يفضل الى المقصود والغي ضده وانه سعى في طلب الخلود فنال ضده المقصود وغر بعضهم فغوى اي ثم من كثرة الاكل وزيفه جار الله وقد قال ابو مسلم ان مصالح الدنيا لا تكون بالخطر فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر والاحوط في هذا الباب ان يعتقد كون هذا الواقع قبل النبوة بدليل قوله ثم اجتباه وبراي اجتباه وهدى لحفظ اسنا العصمة اصل الاجتباء هو الجمع كما مر في اخوان الاقران بتزوج الامام ولو زين احلام بحلام ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما قال العلماء فيه دليل على انه لا اراد لفضا وما قدره كائن لا محالة ولو شاء الفضا عنهما لتصور والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على اعقل الناس كما خفي على ادم عداوة ابليس وانه يعز من لحفظ الله في شأن حين امتنع من سجوده تكبر قبل ضده وسوسته لولا كتاب الله سبق قال المحققون الاولى ان لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على ادم وان عدد في القران وعصى ادم ربه فغوى لانه لم يصل عنه لوفاة الامر لواحد وصيغة اسم الفاعل ينبئ عن المزاولة وكان المسلم اذا تاب عن الشرب والزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب زان لان السيد يجوز ان يشتم عبده بما شاء وليس لغيره ذلك قال فبطل ما ذكره بعض المفسرين مثله في البقرة خاطبهما بالهبوط لانهما اصلا البشر ثم عم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما ياتينكم اما قوله بعضكم لبعض عدو فقد قال الفاضي يكفي في توضيح هذا الكلام حصول ان يكون ابليس والشيطان من اعداء الناس والناس اعداء لهم فاذا ضاف الى ذلك عداوة بعض الامرين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام فمن ابى عن الله لم يتبع القران ان لا يضل الدنيا ولا يشقى في الاخرة ثم لا قوله فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى دليل على ان الصغائر الاخرة انه قد فضل عن الدين في مادة التكليف وليس كذلك الله يسلم مدة الاعلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الاخرة واما الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لعصمة الله على ان الرضا بالقضا يهون عليه مصائب الدنيا والفاظها ثم ذكر وعيده من اعرض عن ذكره ظاهر الكلام يدل على ان الذكر بهما هو الهدى الذكور لان قوله ومن اعرض عن ذكري في مقابلة قوله فمن تبع هداي وقد مر في اول البقرة ان المراد به الشريعة والنبيا وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو القران وسماه الله وعيشة ضنكا بفتح فسكون مصدر ضنك ضنكا وهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك كانه قيل ذات ضنك قال الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لا نفضا ئه وغصة مرة وكثرة شوائبه وانما العيش الواسع عيش الاخرة وهذا الضيق المتوعد به اما في الدنيا وفي القبور وفي الاخرة قال الى كل طائفة اما الاول فان المسلم الواضي بقضا الله مع معه من التسليم والتوكل والقناعة لم يعش عيشا ضنكا وان ابتلي بالفقر ومن الناس من تسول عليه الحرص والشح فلا يقف على الغنا ض والقطوع ما لم يستغن بالحرص من الفزع والدفاع الكلي هم لا لام الدنيا عن عيشة الضنك فحان ينضيق عليه ابواب الخير فلا يجد لبغيه منها ومن الكفرة من ضربت عليه الذلة والمسكنة وسئل الشبلي عن فقراء اذا بتم اهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال اهل البلاء هم اهل الغفلة عن الله فقد صفوتهم ان يردهم الصفو الى الكدر واي معيشة اضيق واشد من ان يرد الانسان الى نفسه قلت الضيقات نوعان نوع لبليات من الصفوات فطلب العافية منها لازم ونوع منها لمزيد الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا اما بول امر البلاء الى الجزع والفزع فحرم الثواب فيطلب العافية من هذا القسم ابهم جزعا من البلاء واما البلاء الذي هو عن ابن مسعود وابي سعيد الخدري وضر اوجره في الدنيا فعذاب القبر للكافر وعن ابن عباس ان الاثير زلك في الاسود بن عبد الله المخزومي والمراد ضغطة القبر بضيق فيها ضلاعه واما الثالث فعن الحسن في ناره والكلبة انه ضيق في الاخرة وفي جهنم وان طعامهم فيها الضريع والزقوم الجحيم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون اما قوله ونحشره يوم القيمة اعمى كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فيحتمل ان يحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال الحبائي اذا اراد انه لا يهتدي يوم القيمة الطريق بنال منه خيرا كالاعمى ومن تحامد وانتحى ومن قال اراد اعمى عن الحجة وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القاضي هذا القول ضعيف لانه لا يدري القيمة ان يعلم الله فيهم ضلالان ما كانوا يبصرونه لهم لكن من تامل ومن هذه حاله لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا بنا فيه قال الامام فخر الدين الرازي وهو يؤكد هذا الاعتراض ثم قال على ذلك المعنى ان المكلف متى كان في الدنيا ملوكان المعنى الحاصل في الاخرة يعني

لاجل

ذلك نسيا لم يكن للمكلف سبب ذلك منه ذكر كما في الدنيا قال والتحقيق في الجواب عن الاعتراض هو ان الموت انما هو انتقال من دار الى دار فاذا فارقت الدار التي يبقى على جهانها في الآخرة فصير ذلك الجهل كالسبب الاعظم للاثم الذي يحصل في الآخرة فيجعل ان يكون مجازا باعتبار الغاية فقد يبقى الشيء باعتبار عدم غايته وثمرته فلا بد في كونه عاصيا في الآخرة بعد الاعتبار اعلام الله تعالى اياه للجزء لا كونه بصيرا في الدنيا كونه عاصيا في الآخرة بالاعتبار المذكور لان العرض عن الدليل بشبه ان يكون كافرا معاندا ويكون العرض عن الاعلام التوبيخ بحيث يقول له ذلك في جوابه كذلك اتتك آياتنا فنسيتها مثل ذلك اتت ثم فترك ذلك بقوله اتتك آياتنا اي دلائلنا واضحة مستبينة فنسيتها اي تركتها تركك العمل بها والاعتبار بموجبها وكذلك اليوم تنسى تترك بلا فائدة النظر والاعتبار وعلى الاقوام انما يلزم من كون المكلف غير متفكر ومتسببا الدلائل في الدنيا كونه متهاونا بها في الآخرة واما قوله في الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جعل النفس بحيث يصير سببا لنعيمها فان كان صنعا لقول المعتزلة انه تعالى يفعل للكلف بطلان ما كان عليه في الدنيا فذلك لا يفتقر الى العدل وان كان تسليما لقولهم من ان يجعل الاعراض هذا وقد رأيت في بعض الآثار ان الناس يعمى يوم القيامة هم الذين حفظوا القرآن ثم نسوه وتأويله قوله انك آياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوته كما ثابت حتى لا ابقاه يوم القيامة وكذلك فجزي من اسرف قيل معصيته وتبرأ والاظهر انه اراد اشرك وكفر به بدليل قوله ومن لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة وهو اشد على المعنى اشد وابقى من صبغ الصبغ في العاجل اراد بالكفر اياه في المعنى اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم رتب المعرضين عن الدلائل بعد الاعتبار باحوال القرون الخالية فقال افلم يهد لهم بالفاء وفي التحفة بالواو ولا تلتفت الى قوله ومن اعرض عن ذكر ربه وعصى كما لمفصل من الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك اوردت قصة موسى فناسب ان يستبينا بالواو واما حذف من بينهما واثباته هناك فلما مر من ان من يفيد الاستيناف وهناك قد زاد في القرون بشرح فحشر بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء قال في الكشاف فاعل يهد الجملة بعده وانكر البصريون مثل هذا لان الجملة لا يقع فاعلا فهذا قال يريد لم يهد لهم هذا المعنى او مضمون هذا الكلام كما قال الفقال جعل كثرة اهلك من القرون مضيا لهم وقال الزجاج اراد ولم يتبين لهم ما يهدون به لو ندبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله والرسول والجملة بعده بقدره يريد ان قرونا يمشون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والمعنى لعقول وقدر في السورة قال بعض اهل اللغة ان للتعنيف مزيد على العقل فلا يقال الا لمن يعقل ينبغي به عن الفتاح فقوله اولى النهى كقوله اولى العزم والحزم ومن هذا فسرته بعضهم باهل التوقي والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا يزيل العذاب معجلا على من كذب به من هذه الامة فقال ولولا كلمة هي العدة بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبر بها ملائكته ورسله لان فيهم او في نسلهم من يؤمن او لصلحة اخرى يقتضيها قال اهل التسنن امر محكم المالكية لان يفعل ما يشاء من عجز عنه والالزام مصدر لازم نصف به وقيل ضار لما يفصل به فهو بمعنى ملزم كتارة للزوم اي كان الاخذ العاجل لزاما اجل مسمى وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان والمعنى انما جوز ذلك للفضل اي لكان الاخذ العاجل ولاجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل حين بين انه لا بد لهلكهم بعذاب الاستيصال امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وسائر الاذيات ذم الكلبي ومقاتل انها منسوخة بآية القتال وليس بذاك فان كلا منهما معمول بها في وقتها وسبح بحمد ربك اي سل لبحمده على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون انها بمعنى الصلوة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة ولانه سبق ذكر الصلوة فقيل طلوع الشمس هو صلوة الفجر وقيل عنى بها صلوة الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار ومن آناء الليل فتح المغرب العتمة وقوله واطراف النهار اي طرفيه فحيث للبنا العتمة وامن الالتباس لان اقل الجمع اثنان او اراد طرفي كل نهار فكرارا لصلوة الفجر والعصر والمغرب على ما قاطن اعشاء فيها كقوله والصلوة الوسطى وآناء جمع انى وهو الساعة وقيل في آناء النهار تمام في آناء الليل وادخل الفاء في فسبح المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها فنبهها على زيادة الاهتمام بشأن صلوة الليل لان الليل وقت استكون والراحة وهدو الاصوات فالصلوة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص واقرب من المحافظة على الخشوع والاحتراز عن الرياء وقيل لعلك ترضى من الاية صلوة الظهر لانه مختص بقبل الغروب بصلوة العصر ومنهم من زاد فيها النوافل لان صلوة في الاوقات المذكورة تشملها والامر قد يكون للندب لا قال من التغليب قال ابو مسلم الامر بجعل التسبيح على التنزيه والاجلال كالامر بالصبر على ادبار القوم بعيد على الاشتغال بالتهديد في المواظبة في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى ان الاتمام من الكرم واجب لوقوع اللام وقيل كاشف عنه واحث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى الحرام وفي الدنيا نهاه فقال ولا تمدن تمنيك اي نظرك بحيث ومد طويلا استحسانا للمنظور اليه وفيه زجر للنظر المحرم ورد معقوبة عنه كما نظر فحض وقال ابو مسلم المنهي عنه قرن لا يتبع هو التطويل وانما هو الاسف على ما فاتك تمانوا من حفظ الدنيا فانوا ابو رافع نزل ضيفا بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثه الى يهودي يستقرضه فقال لا اقرضه الا برهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والله اني لامين في الارض اهل السماء ولئن اسلفني او باعني لاقضينه فنزلت ولا الازواج الاصناف وقيل اي اشكالا واشباها من الكفار كأنهم اشكال في الذهاب عن الصواب وقيل زهرة الحياة الدنيا وزينتها وقرئ بفتح الهاء وزهرة الحياة الدنيا المنقون في رجوع عائق البصر عن ابهة الظلمة وملاذتهم وزاكيهم لانهم اخلص لعبودية انتظارا فالكلا لناظر بها لتحصل لغرضهم فيكون اعز لهم على التحاذها قال جارالله منصوب بفعل دل عليه متعنا به على التذكير او على تضمين متعنا معنى خولنا او اعطينا

او على ابدالها من ازدجارا التفخيم يزدري زهرة وهي الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء وضمها ايضا وهي جمع زاهر كما تم لصفا لونهم وطهور اثمارا لتقوته عليهم زاهر هذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون المتعلقاء من نحوب الاثواب والتفتح الشباب وقوله لنفتنهم اى لنبلوهم كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله لا عذبن ماله او لاذبحنه اتما بسلطان مبين والله ليعذبهم وقال الكلبي ومقاتل لنبتليهم في التكليف لان لاجتنابه من المعاصي مع القدرة عليها مشقة على النفس ومن ذلك ثوابه وهو ثواب الاخرة وما رزقت من الاسلام والنبوة خير وابقى وقيل وما يدوم الحلال الطيب الذي يحل لك من رزق ربك خير من اموالهم التي غلب عليها الغصب والسرقة وسائر وجوه الخيانة وابقى بركة وما ورد عاقبة ولاهلك في سورة مريم وكان يامر اهله بالصلوة اى امتثل ان تمتع اهلك على عبادته الله من كان اذا اصاب اهله خصاصة قال قوموا فصلوا فان الله امر رسوله ثم تلا وهذه الاية رعى عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الاية ثم ينادي الصلوة الصلوة رحمكم الله كان رسول الله بعد نزول هذه الاية يدعو على كل صباح فيقول الصلوة وكان يفعل ذلك شهرا وقيل اذا رأيت الشاكلة امرهم بها وحافظ عليها فان لوعظ بلبث الفعل الزم منه بلبث القول لا ان الله لا يريد الملوك خراجا من رعيتهم واشاره خراجا من عبيدهم بل يحض من رزقك كقوله وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا لما امرنا بالصلوة فذلك كالحمل لنفتنهم بها لا لانا نتفع بها وقيل لا نسالك رزقا لنفسك ولا لاهلك بل نحن نرزقك وايانا فلا تهتم بامر الرزق والعيشة وفرغ بالك لامر الاخرة وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله قال اهل الاشارة ونزرق رتبك رفعا الى قوله لابيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن سلام كان النبي اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلوة والعافية تلا هذه الاية الى قوله فاصبر على ما يقولون تحكى تحدثه شبيها نهم هي قولهم لولا ياتينا بآية من ربه كانهم لم يعبدوا بالقرآن الذي احرس شغاشهم فرقا ان الله عليهم بقوله اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى لان القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وايتها عن عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها من اشارة محمد صلعم وعن ابن جريج ما فيها من فضائح الامم لكن تبين اهلاكهم بعد افتراح الايات وانما انام هذا البيان في القرآن فلهذا وصف القرآن بكونه بينة ما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول الآية القرآن ولولا انا اهلكنا هم بعذاب من قبله اى من قبل البرهان الدال عليه البينة لقالوا اى في القيمة لان الهالك لا قول له في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلعم قال يجتمع على الله تعالى يوم القيمة ثلثة الهالك في الفترة يقول لم ياتني رسول ولا كتاب اطوع خلقك ولو اتاني رسولا او كتابا لكنت اطوع خلقك ورجل اتاه رسولا او المغلوب على عقله يقول اي رب جعلت لي عقلا فانتفع به وبعقول الصبي كنت صغيرا لا اعقل فرفع لهم نار ويقال ادخلوها فيتقطها من كان في علم الله انه سعيد ويكل من كان في علمه انه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف برسولي لو اتاكم طعن المعتزلة في هذا الخبر فقالوا لا يحسن العقاب على ما لم يفعل وقال المجبرة في الاية دلالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده ولا كان لهم ان يقولوا لو اعلمت ذلك منا لآمنا وفي الكشف فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من عباده وليس معنى قوله لا يسئل عما يفعل ان الجور منه يكون عدلا بل ما وليته لا يقع منه الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به لكان لهم فيه اعظم حجة واستدل اهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق الا بالشرع ولا لكان العقاب حاصلا قبل مجيء الشرع

يوعيدا حمالي فقال هل كل اى كل صباح وشكم

متربص عاقبة امره وهذا الانتظار قبل

الموت حسب لا ربما لجبا او ظلم

الدولة والغلبة

او بالموت

فان كل واحد من الخصمين ينتظر موت صاحبه ما بعد الموت وهو ظهور اثر الثواب والعقاب وتبين الحق والمبطل وبه وقوله فستعلمون الاخره وهذا من كلام المتصف وبالله التوفيق تمت

قد تم المجلد الثاني من التفسير المسمى بتفسير القرآن ويليه المجلد الثالث اوله سورة طه والحمد لله على نواله والصلوة والسلام على محمد وآله كتب المصنف في كتبه على عجل منه وقد فرغ من تحرير هذه النسخة العبد المحتاج الى رحمة ربه الغني محمد الحسيني المشتهر بسماعي التيماري ببلدة الهند في دار ملكها المدعو بدلي في اواخر صفر سنة ثلاثين وسبعمائة

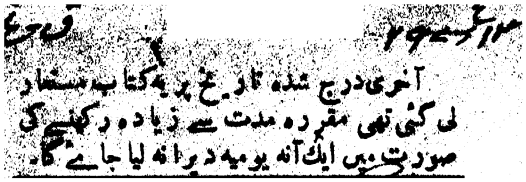
آخری درج شدہ تاریخ پر یہ کتاب مستعار
لی گئی تھی مقررہ مدت سے زیادہ رکھنے کی
صورت میں ایک آنہ یومیہ دیرانہ لیا جائے گا۔